

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في  
عُصُورِ الْمَرْبِيطِ الزَّاهِرَةِ

السطر الأول من رسائل  
العصر القبايلى الأول

تأليف  
أحمد زكى صموئيل

المكتبة الجليلة  
بيروت - لبنان

# حجرات سائل العرب

## في عصور العرب الزاهرة

الجزء الثالث

الشطر الأول من رسائل  
العصر العباسي الأول

وهو يحوى رسائل العباسيين من أول خلافة السفاح إلى آخر خلافة المأمون

تأليف

أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة العلمية

متوزع - لبنان

## مُقَدِّمَةٌ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحمودُ اللهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ ، وَعَمَّتْ آلَاؤُهُ ، وَالْمُصَلَّى وَالْمُسَلَّمُ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ ،  
صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْبَرَّةِ الطَّاهِرِينَ .

وبعد : فقد كنت مُزْمِعًا أَنْ أُصَدِّرَ الْجُزْءَ الثَّلَاثَ مِنْ « جَمْهَرَةِ رَسَائِلِ الْعَرَبِ »  
حَاوِيَا رَسَائِلَ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِ جَمِيعَهَا ، بَيِّدَ أُنَى - بَعْدَ مَبَاشَرَةِ الطَّبْعِ - رَأْيَهَا  
مِنَ الْكَثْرَةِ وَالْوَفْرَةِ بِمِثِّ بِضِيقِ عَنَّا جُزْءٍ وَاحِدٍ ، فَلَمْ تَكُنْ لِي مَنْدُوحَةً مِنْ أَنْ أُقْسِمَهَا  
فِي جُزْأَيْنِ ، يَحْوِي أَوْلَهَا الشُّطْرَ الْأَوَّلَ مِنْهَا ، وَثَانِيهَا الشُّطْرَ الثَّانِي ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ  
ذَلِكَ اضْطُرَّرتُ أَنْ أَقْتَطِعَ مِنْ سُلْسَلَتِهَا الطَّوِيلَةِ أَرْبَعَ حَلَقَاتٍ :

( ١ ) رَسَائِلُ الْأَدَبِ الْكَبِيرِ وَالْأَدَبِ الصَّغِيرِ ، لِابْنِ الْمُقَفَّعِ .

( ٢ ) طَائِفَةٌ مِنْ رَسَائِلِ الْجَلَّاحِظِ .

( ٣ ) طَائِفَةٌ مِنْ الرِّسَالِ الشُّعْرِيَّةِ ، لِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ .

( ٤ ) رَسَائِلٌ قَلِيلَةٌ وَرَدَّتْ فِي كِتَابِ « اخْتِيَارِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ » غَيْرَ مَعْرُوضَةٍ  
إِلَى ذَوِيهَا .

وإِنَّمَا حَدَا بِي إِلَى انْتِقَاصِ تِلْكَ الْحَلَقَاتِ مَا رَأَيْتُهُ مِنْ أَنْ ضَمَّهَا إِلَى كِتَابِي يُفْضِي  
إِلَى إِصْدَارِ جُزْءٍ ثَالِثٍ فِي رَسَائِلِ هَذَا الْعَصْرِ ، لَا يُقْبَلُ فِي ضَخَامَتِهِ عَنِ اخْوَابِهِ ، وَفِي ذَلِكَ  
مَافِيهِ مِنْ انْفِهَاقِ أَمْرِ الطَّبْعِ عَلَى « النَّاشِرِ » وَإِثْقَالِ كَاهِلِهِ بِفَادِحِ النِّفَقَاتِ ، عَلَى أَنْ  
الاطَّلَاعَ عَلَيْهَا مَيَسُورٌ لِمَنْ شَاءَ .

فالحلقتان الأوليان مطبوعتان منشورتان ، طبع المرحوم أحمد زكي باشا « الأدب الصغير » سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م ، و « الأدب الكبير » سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م بمصر ، وأوردتها الأستاذ محمد كرد علي بك في كتابه « رسائل البلغاء » وقد طبع طبعة أولى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م ، وثانية سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م بمصر ، غير أنه ورد فيه الأدب الكبير معنوفا بعنوان « الدرّة اليّيمة » وهو خطأ ، لأن الدرّة اليّيمة لا تزال مجهولة منقودة .

وطبع المرحوم الحاج محمد السامى التونسى « مجموعة رسائل للجاحظ » بمصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وعدتها إحدى عشرة رسالة ، وقد طرّز هامش كتاب « الكامل » للبرد طبع مصر سنة ١٣٢٣ هـ بكتاب « الفصول المختارة من كتب الجاحظ » اختيار الإمام عبيد الله بن حسان ، ويحوى ثمانى عشرة رسالة - منها تسع من المجموعة الآنفة الذكر - وطبع الأستاذ يوشع فنسكل « ثلاث رسائل للجاحظ » بمصر سنة ١٣٤٤ هـ - وقد ورد نحو نصف الرسالة الأولى منها فى كتاب الفصول المختارة .

وقد أوردت من الحلقة الثالثة ما اتسع له المقام ، وتقرأ سائرهما فى كتب الأدب ، وبخاصّة كتاب « الأغاني » فقد ورد فيه طائفة منها فى خلال تراجم كاتبها .

وأما الحلقة الرابعة ، فقد أغفلتها لما قدّمت ، ولأنه لا يدري : أموية هي أم عباسية ؟ لعدم نسبتها إلى أصحابها ، وإن كنت أرجح كل الترجيح أنها عباسية ، ودونك كتاب « اختيار المنظوم والمنثور » فقرأها فيه .

وقد نوّهت فى مقدمة الجزء الثانى بهذا الكتاب ، وأعود هنا فأقول : إن ذلك الكتاب - على نفاسته وانفراده بما لم يحوه سواه من الرسائل - لقد عبّث به يد التصريف ، فشوّهته كلّ مشوّه ، حتى بدا كالعادة الحسناء فى خلق الرّداء ، وقد أرهقنى تحقيق ما نقلت منه ، وأمضى رده إلى نصابه ، وعانيت فى ذلك السبيل من العناء وكذا الذين واعتصاره ما ينبعل به الجلّد الصبور ، وقال منى الجهد كلّ منال ، حتى

لقد خفت أن يعود علي صحتي بالأثر السيئ، إذ طالما تحبستُ على تحقيقه ساعاتٍ متعالية،  
مُكبّاً على حلِّ معيَّياته، وفكِّ طلاسمه، حتى أكاد أسقط إعياء زفتورا، وكنت إذا  
ما حَزَبَني الأمر واشتدت بي الحيرة، وضاق بي المخرجُ، أنهض فأصليُّ لله عز وجل  
ركعتين، مستلهماً إياه الصواب، مبتريلاً إليه أن يَهْدِيَنِي سِوَاهُ السَّبِيلِ، ثم أُجِيلُ  
الفكرَ ثانيةً، فلا أَعْتَمُّ أن يَنْفَتِحَ لي بَابُ المَغْلَقِ، وَيَنْجِبَ ظِلَامَ المُبْتَهَمِ، وتَضِحَ لي  
الحقيقة سافرةً ناصعةً، وتلك نعمة جُلِيَّ من المولى القدير عليّ، أعدّها آيةً على رضاه  
عني، فله - تبارك وتعالى - أَجْلُ الحَمْدِ وأَسْنَاهُ، وَأَجْزَلُ الشُّكْرِ وَأَوْفَاهُ .

ولست أدعى أني فيما حققتُ من الرسائل قد بلغت ذروة الكمال - فالكمال  
فه وحده - ولكنني أستطيع أن أجهرَ بأني قد وُقِّت في صنيعي هذا - والله الحمد والمغنة -  
إلى حدِّ أغبط عليه نفسي، وأن ضميري جِدُّ مستريح إلى ما بذلته من جهد في تعبيد  
طُرُقها، وتصفية رَنَقِها، فإن يحمَد القراء صنيعي فذاك ما أصبو إليه، وإن تكن  
الأخرى فقد أعذرتُ أمام نفسي، وأدبت واجبي غيرَ وانٍ ولا مُلُول .

أمدنا الله وإياكم بروح منه، وكلاًنا وكلاًكم بعين رعايته وتوفيقه، إنه العليُّ  
المنان، ذو الطولِ والإِنعامِ ؟

أحمد زكي صفوت

وحرر بالقاهرة في { الحرم سنة ١٣٥٧  
مارس سنة ١٩٣٨

## فہرس

### ماخذ الرسائل في العصر العباسي الأول

- الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني : الجزء التاسع - الحادي عشر -  
: السابع عشر - التاسع عشر - العشرون  
تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبري : الجزء التاسع - العاشر - الحادي عشر -  
الثاني عشر  
تاريخ السكامل : لعز الدين بن الأثير : الجزء الخامس - السادس  
صبح الأعشى : لأبي العباس القلقشندي : الجزء الأول - الثاني - السادس -  
: السابع - التاسع - الرابع عشر  
تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي : الجزء الثاني عشر  
عيون الأخبار : لابن قتيبة : المجلد الأول - الثالث  
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويري : الجزء السابع  
السكامل : للمبرد : الجزء الأول - الثاني  
العقد الفريد : لابن عبد ربه : الأول - الثاني - الثالث  
زهر الآداب : لأبي إسحاق الحضرمي : الجزء الأول - الثاني - الثالث  
البيان والتبيين : للجاحظ : الثاني - الثالث  
شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد : المجلد الثاني - الثالث  
اختيار المنظوم والمنثور : لابن طيفور : الجزء الثاني عشر - الثالث عشر  
كتاب بغداد : لابن طيفور : الجزء السادس  
معجم الأدباء : لياقوت الحموي : الجزء الأول - الثالث - الرابع - الخامس  
السادس

- معجم البلدان : لياقوت الحموي : الجزء الثاني - الخامس
- وفيات الأعيان : لابن خلكان : الأول - الثاني
- الأمالي : لأبي علي القالي : الأول - الثاني
- الإمامة والسياسة لابن قتيبة : الثاني
- حروج الذهب : للمعدي : » »
- أمالي السيد المرتضى : الأول
- كتاب الأوراق : لأبي بكر الصولي : الأول - الثاني
- أدب الصكتاب : » » »
- فتوح البلدان : للبلاذري :
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لضياء الدين بن الأثير
- كتاب الوزراء والكتاب : لابن عبدوس الجهشياري
- شرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون : لابن نباتة المصري
- الفهرست : لابن النديم
- غرر الحصائص الواضحة ، وعرر النقائص الفاضحة : للوطواط
- الغزيرى : لابن طباطبا
- خاص الخاص : للثعالبي
- رسالة للجاحظ في بني أمية [ رسالة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٨٥٥
- أدب ] .
- مقدمة ابن خلدون :
- مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي البغدادي :
- الأدب الكبير : لابن المقفع :

كتاب الصناعتين : لأبي هلال العسكري :

كتاب البخلاء : للجاحظ :

المواهب الفتحية : للشيخ حمزة فتح الله : الجزء الثاني

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح :

رسائل البلغاء : لمحمد كرد علي بك :



## الباب الرابع

# الترسائل

في

## العصر العباسي الأول

١ - كتاب ابن العباس السفاح إلى الحسن بن قحطبة

دخل أبو مسلم الخراساني<sup>(١)</sup> زعيم الدعوة العباسية مدينة مرو قاعدة خراسان سنة ١٣٠ هـ ، ثم وجه قحطبة بن شبيب الطائي أحد دعاة بني العباس في جيش من الخراسانيين لقتال جيوش الأمويين ، فواتاه النصر عليهم<sup>(٢)</sup> ، حتى بلغ العراق ، وكان يزيد بن عمر بن هبيرة والياً عليه من قبل مروان بن محمد الأموي ، بيد أن قحطبة

(١) قدمنا في الجزء الثاني ص ٤٧٦ كلمة في أبي مسلم فارجع إليها .

(٢) لما دخل أبو مسلم مرو سنة ١٣٠ هـ هرب منها نصر بن سيار أمير خراسان ، وقدّم في هذه السنة قحطبة بن شبيب على أبي مسلم خراسان ، منصرفاً من عند إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ومعه لواؤه الذي عقد له إبراهيم ، فوجه أبو مسلم حين قدم عليه على مقدمته ، وضم إليه الجيوش ، وجعل له العزل والاستعمال ، وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة له ، وتبعاً قحطبة لقتال تميم ابن نصر بن سيار ، ثم زحف إليه فاقتلوا قتالاً شديداً ، وقتل تميم في المعركة ، وقتل معه مقتلة عظيمة واستبيح عسكره ، ثم سار قحطبة إلى فانة بن حنظلة مامل جرجان من قبل ابن هبيرة أمير العراق ، فقتل فانة ومزق جيشه ، وبعث برأسه ورأس ابنه حية إلى أبي مسلم - انظر تاريخ الطبري ٩ : ١٠٤ ، ١٠٦ .

غرق في الفرات ، وهو يخوضه إلى ابن هبيرة ، فولّى أصحابه عليهم ابنه الحسن  
لأبن قحطبة ، وحلوا على ابن هبيرة وهزموه عسكره ، فلجئاً بمدينة واسط<sup>(۱)</sup> ،  
وتحصّن بها .

فلما تمت البيعة لأبي العباس السفّاح سنة ۱۳۲ هـ ، وجّه أخاه أبا جعفر المنصور إلى  
واسط لقتال ابن هبيرة ، وكتب إلى الحسن بن قحطبة :

« إن العسكر عسكرك ، والقوادقوادك ، ولكن أحببتُ أن يكون أخى حاضراً ،  
فاسمع له وأطع ، وأحسن مؤازرته ومكافئته<sup>(۲)</sup> . »

فكان الحسنُ المدبرُ لذلك العسكر بأمر المنصور .

( تاريخ الطبري ۹ : ۱۴۷ ، والإمامة والسياسة ۲ : ۱۰۴ )

## ۲ - كتاب المنصور إلى ابن هبيرة

وروى أن يزيد بن عمر بن هبيرة أرسل إلى المنصور وهو محصور بواسط  
والمنصور بإزائه : إني خارج يوم كذا وكذا وداعيك إلى المبارزة فقد بلغني تجمينك  
إياي ، فكتب إليه :

« يا ابن هبيرة ، إنك أمرؤ متعدّ طورك ، جار في عمن غيئك يعدك الله ما هو  
مصدّقهُ ، ويمنيك الشيطان ما هو مكذّبهُ ، ويقرب ما الله مباعده ، فرؤبداً يُتم  
الكتابُ أجلهُ ، وقد ضربتُ مثلي ومثلك : بلغني أن أسداً لقي خنزيراً ، فقال له  
الخنزير : قاتني ، فقال الأسد : إنما أنت خنزير ، ولست لي بكف ، ولا نظير ، ومتى  
فعلتُ الذي دعوتني إليه فقتلتك قيل لي : قتلت خنزيراً ، فلم أعتقد<sup>(۳)</sup> بذلك نفراً  
ولا ذكراً ، وإن نالني منك شيء كان سبّةً عليّ ، فقال : إن أنت لم تفعل رجعت

(۱) مدينة بالمرق اختطها الحجاج سنة ۸۳ بين البصرة والكوفة .

(۲) كافه : وازره وعاونته . (۳) من اعتقد ضيعة ومالا : أي اقتنهما .

إلى السباع فأعلتها أنك نكيت<sup>(۱)</sup> عني ، وَجَبُنْتَ عن قتالي ، فقال الأسد : احتمالُ  
عاري كذبك أيسرُ عليَّ من لَطخِ شاربي بدمك .

( تاريخ الطبري ۹ : ۳۰۳ والكامل لابن الأثير ۶ : ۱۲ )

### ۳- كتاب أبي جعفر المنصور لابن هبيرة بالأمان

وحصر أبو جعفر المنصور ابن هبيرة شهوراً ، ثم جرت الشفراء بينهما بالصلح  
حتى جعل له أبو جعفر أماناً ، وكتب له به كتاباً مكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء  
أربعين يوماً حتى رَضِيَهُ ، وأَنْفَذَهُ إلى أبي جعفر ، فَأَنْفَذَهُ أبو جعفر إلى أبي العباس ،  
فَأَمَرَ بِإِمضائه<sup>(۲)</sup> ، وَهُوَ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن علي أبي جعفر  
وَالِيٍّ أمر المسلمين ، لِيَزِيدَ بن هَبِيرَةَ ومن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم في مدينة  
واسط وأرضها من المسلمين والمعاهدن ، ومن معهم من وزراءهم .

إني أَمَتُّكُمْ بِأَمَانِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّاتِ الْعِبَادِ ، وَيَعْلَمُ مَا تُخْفِي  
الصدورُ ، وَإِلَيْهِ الْأَمْرُ كُلُّهُ ، أَمَانًا صَادِقًا لَا يَشُوبُهُ غِشٌّ ، وَلَا يَخَالِفُهُ بَاطِلٌ ، عَلِيٌّ  
أَنْفُسِكُمْ وَذَرَائِبِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَأَعْطَيْتُ يَزِيدَ بنَ عَمْرِو بنِ هَبِيرَةَ ، وَمَنْ أَمَّنْتَهُ فِي أَعْلَى  
كِتَابِي هَذَا ، الْوَفَاءَ بِمَا جَعَلْتُ لَهُمْ مِنْ عَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ الَّذِي وَاثَقَ بِهِ الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ  
مِنْ خَلْفِهِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ بِهِ أَمْرَهُ ، عَهْدًا خَالصًا ، وَذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَمَنْ مَضَى مِنْ  
خَلْفَائِهِ الصَّالِحِينَ ، وَأَسْلَافِهِ الطَّيِّبِينَ ، الَّتِي لَا يَبِغُ الْعِبَادَ نَقْضُهَا ، وَلَا تَعْطِيلُ شَيْءٍ مِنْهَا ،  
وَلَا الْإِحْتِرَارُ لَهَا ، وَبِهَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَأَتَيْنَ أَنْ يُحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ  
مِنَهَا ، تَعْظِيمًا لَهَا ، وَبِهَا حُقِنَتِ الدَّمَاةُ ، وَذِمَّةَ رُوحِ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ عِيسَى بنَ مَرْيَمَ ،  
وَذِمَّةَ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَبِعَقُوبَ ، وَالْأَسْبَاطِ ، وَأَعْطَيْتُكَ مَا جَعَلْتُ  
لَكَ مِنْ هَذِهِ الْعَهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ وَلَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَهْلِ الذِمَّةِ ، بَعْدَ اسْتِمَارِي فِيهَا

(۱) أي جبت . (۲) انظر تاريخ الطبري ۹ : ۱۴۴ .

جعلتُ لك منه عبدَ اللَّهِ بنِ محمدٍ<sup>(۱)</sup> أميرَ المؤمنين ، أعزَّ اللَّهُ نصره ، وأمرَ بإفادِكم ، فاطمناً إلى ما جعلتُ لك من الأمان والمواثيق ، وثيقاً بِاللَّهِ وبأمرِ المؤمنين فيما سَلِمَ منه ورَضِيَ به ، وجعلتُهُ لك ، ولن معك على نفسي ، ولك على الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمَّ أَشَدَّ مَا أَحَدَ اللَّهُ وَحَرَّمَهُ وما أنزلَ اللَّهُ تبارك وتعالى على نبيه محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ، فإنه جعله كتاباً مُبيناً لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، ونوراً وَحُجَّةً على العباد ، حتى ألقى اللهُ وأنا عليه ، وأنا أشهدُ اللهُ وملائكته ورُسُلَهُ ، وَمَنْ قُرِئَ عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق ، وإقرارى بها على نفسي ، وتوكيدى فيها ، وعلى تسليمى لك ما سألتَ ، لا يفتادِر منها نبي ، ولا يُنكثُ عليك فيها ، وأدخلتُ فى أمانك هذا جميعَ مَنْ قَبِلَ من شِيعَةِ أميرِ المؤمنين من أهلِ خراسان ، وَمَنْ لأميرِ المؤمنين عليه طاعةٌ من أهلِ الشام والحرب وأهلِ الذمة ، وجعلتُ لك أن لا ترى منى انقباضاً ولا مُجَابَّةً ولا ازوراراً<sup>(۲)</sup> ولا شيئاً تَكْرَهُهُ فى دخولك علىّ إلى مفارقتك إياى ، ولا ينالُ أحداً معك أمرٌ يَكْرَهُهُ ، وأذِنتُ لك ولهم فى المسير والمقام ، وجعلتُ لهم أماناً صحيحاً ، وعهداً وثيقاً ، وأن عبدَ اللهِ بنِ محمدٍ<sup>(۳)</sup> إن نقض ما جعل لك فى أمانكم هذا ، فنكثَ أو غدرَ بكم ، أو خالف إلى أمرٍ تَكْرَهُهُ ، أو تابعَ على خِلافه أحداً من المخلوقين فى سرٍّ أو علانية ، أو أضمر لك فى نفسه غيرَ ما أظهر لك ، أو أدخل عليك شيئاً فى أمانه ، وما ذكر لك من تسليم أمير المؤمنين ، التماس الخديعة والكرِّ بك ، وإدخال المكاره عليك ، أو نوى غير ما جعل لك من الوفاء لك به ، فلا قبلَ اللهُ مِنْهُ صَرفاً ولا عدلاً<sup>(۴)</sup> ، وهو برىء من محمد بنِ على ، وهو ينجح أمير المؤمنين ، ويتبرأ من طاعته ، وعليه ثلاثون حِجَّةً<sup>(۵)</sup> بِمَشِيهَا من موضعه الذى هو به من مدينة واسط

(۱) يعنى أبا العباس السفاح . (۲) أى انحرافاً . (۳) يعنى نفسه .

(۴) الصَّرف : التوبة ، والعدل : القدية ، - اظهره بتوسم فى الجزء الأول ص ۲۷ .

(۵) قال صاحب القاموس : والحججه ( بالكسر ) المرة الواحدة ، شاذ ، لأن القياس الفتح .

إلى بيت الله الحرام الذى بمكة حافياً راجلاً ، وكل مملوك يملكه من اليوم إلى ثلاثين حجّة<sup>(۱)</sup> بشاء أو هبة أحراراً لوجه الله ، وكل امرأة له طالق ثلاثاً ، وكل ما يملكه من ذهبٍ أو فضةٍ أو متاعٍ أو دابةٍ أو غير ذلك فهو صدقة على المساكين ، وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيه ، والله عليه فيما وكّد وجعل على نفسه في هذه الأيمان راعٍ وكفيلٌ ، وكفى بالله شهيداً .

(الإمامة والسياسة ۲ : ۱۰۵)

### ٤ - كتب بين أبي مسلم وأبي العباس وأبي جعفر

وكان رأى أبي جعفر الوفاء لابن هبيرة بما أعطاه ، وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون أبي مسلم ، وكان أبو الجهم بن عطية عيّناً لأبي مسلم على أبي العباس ، فكتب إليه بأخباره كلها ، فكتب أبو مسلم إلى أبي العباس :

« إنه قلّ طريقٌ سهلٌ يلتقى فيه حجارة إلا ضرّاً ذلك بأهله<sup>(۲)</sup> ، لا والله لا يصلح طريقٌ فيه ابن هبيرة . »

فكتب أبو العباس إلى أبي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة ، وألحّ عليه في ذلك ، وأبو جعفر يراجع حتى كتب إليه أبو العباس : « والله لتقتلنه أو لأبعثنّ إليك من يخرج من عندك ثم يتولى قتله » فقتله أبو جعفر ، وكان ذلك سنة ۱۳۲ هـ .

(تاريخ الطبرى ۹ : ۱۴۴ ، والإمامة والسياسة ۲ : ۱۰۷)

وجاء في ترجمة ابن هبيرة في وفيات الأعيان : فيقال إنه كان يكتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ويدعو إليهم وإلى خاع السفاح ، وجاءه كتاب أبي مسلم الخراسانى يحثه على قتل ابن هبيرة ، فكتب السفاح إلى المنصور يأمره بقتله ، فقال : لا أفعلُ وله في عنق بيعة وأيمان ، فلا أضيّعها بقول

(۱) الحجّة : السنة .

(۲) وفى الطبرى « إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فد ... » .

أبي مسلم . فكتب إليه السفاح : « إني لا أقتله بقول أبي مسلم ، بل بِنِكَتهِ وغَدْرِهِ  
ودسِيسَتِهِ إلى آل أبي طالب ، وقد أبيع لنا دمه » فلم يُجبه المنصور ، وقال : هذا فساد  
الملك ، فكتب إليه السفاح : « لست مني ولست منك إن لم تقتله » .  
( وفيات الأعيان ۲ : ۲۸۰ )

## ه - كتاب صالح بن علي إلى أبي العباس السفاح

وكان عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس - عم السفاح - قد سار في جمع  
عظيمٍ للقاء مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، فالتقيا بالزآب<sup>(۱)</sup> من أرض الموصل ،  
فهزِم مروان وفرَّ هارباً حتى أتى الشام ، وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن علي يأمره  
بإتباعه ، فلحق مروان بمصر ، فأتبعه عبد الله أخاه صالح بن علي ومعه عامر بن إسماعيل  
الحارثي ، فأدركوه ببوصير<sup>(۲)</sup> وقتلوه وقتلوا كل من كان معه من أهله وبطانته .  
وبعث صالح بن علي برأسه إلى أمير المؤمنين أبي العباس وكتب إليه :  
« إنا اتبعنا عدو الله الجعدي<sup>(۳)</sup> ، حتى أجانأه إلى أرض عدو الله شبيهه فرعون ،  
فقتله بأرضه » .  
( تاريخ الطبري ۹ : ۱۳۶ )

## ۶ - كتاب أبي العباس إلى عامر بن إسماعيل

ودخل عامر بن إسماعيل بعد أن قتل مروان ببوصير ، واحتوى على عسكره ، إلى  
الكنيسة التي كان فيها بناته ونساؤه ، فقعده على فراشه ، وأكل من طعامه ، فقالت له  
ابنة مروان الكبرى - وتعرف بأُم مروان - يا عامر ، إن دهرأً أنزل مروان عن فرشه  
حتى أقعدك عليها تأكل من طعامه ، ليلة قتلِهِ ، محتويًا على أمره حاكماً في ملكه

(۱) الزاب الأسفل والزاب الأعلى : نهيران بصبان في نهر دجلة من شاطئ الأيسر .

(۲) هي بوسير الأشموتين : قرية بصعيد مصر .

(۳) كان مروان بن محمد يلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم مولد بني الحكم .

وحرّمه وأهله ، لقَادِرٌ أن يغيّر ذلك ، فأنهى <sup>(۱)</sup> هذا الكلام إلى أبي العباس السفّاح ، فاستهجن ما فعله عامر ابن إسماعيل ، وكتب إليه :

« أما كان لك في أدب الله ما يزجرك أن تقعدَ في مثل تلك الساعة على مهاد مروان وتأكل من طعامه ! أما والله لولا أن أمير المؤمنين أنزل ما فعلته على غير اعتقاد منك ، ولا نهم على طعام ، لك من غضبه ، وأليم أدبه ، ما يكون لك زاجرا ، ولغيرك واعظا ، فإذا أتاك كتاب أمير المؤمنين ، فتقرّب إلى الله بصدقة تطفى بها غضبه ، وصلاة تظهر فيها الخشوع والاستكانة <sup>(۲)</sup> له ، وصم ثلاثة أيام ، ونب إلى الله من جميع ما بسخطه وبغضبه ، ومرّ جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك <sup>(۳)</sup> . »

( شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۲۰۵ )

## ۷ - كتاب سليمان بن علي إلى أبي العباس

قال صاحب العقد الفريد :

وكان أشد الناس على بني أمية عبد الله بن علي ، وأحَنّهم عليهم سليمان بن علي ، وهو الذي كان يسميه أبو مسلم « كنف الأمان » وكان يُجبر كل من استجار به ، وكتب إلى أبي العباس :

« يا أمير المؤمنين ، إننا لم نحارب بني أمية على أرحامهم ، وإنما حاربناهم على

(۱) أنهى الشيء : أبلغه . (۲) الاستكانة : الخضوع .

(۳) وبمناسبة هذا الخبر أقول : روى البرد في الكامل - ج ۲ : ص ۲۴۰ - قال : « دخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي ، وقد أجلس ثمانين رجلا من بني أمية على سبط الطعام فقتل بين يديه فقال :

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس الأبيات ...

( بغيره بيني أمية ويذكره بما كان منهم من قتل الحسين وزيد بن علي وحزرة بن عبد المطلب وإبراهيم الإمام ) فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد ، وبسطت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام ، ولأنه ليسع أفن بعضهم حتى ماتوا جميعاً ، اه وروى ابن طباطبا هذا الحادث في الفخرى ص ۱۳۴ ، غير أنه ذكر أن ذلك كان في مجلس أبي العباس السفّاح ، وأن السفّاح هذا الذي قتل بهم ما ذكر ، فتأمل .

عُقُوقِهِمْ ، وَقَدْ دَفَّتْ إِلَىٰ مِنْهُمْ دَافَةٌ <sup>(۱)</sup> لَمْ يَشْهَرُوا سِلَاحًا ، وَلَمْ يُكْثِرُوا جَمْعًا ، فَأُحِبُّ أَنْ تَكْتُبَ لَهُمْ مَنشُورَ أَمَانٍ .

فَكْتُبْ لَهُمْ مَنشُورَ أَمَانٍ وَأَنْفِذْهُ إِلَيْهِمْ ، فَتَاتَ سَلِيمَانَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ حُرْمَةً لِبَنِي أُمِيَّةٍ . (العقد الفريد ۲ : ۳۰۲)

## ۸ - كِتَابُ يَوْسُفَ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَلِيٍّ إِلَىٰ أَبِي الْعَبَّاسِ

وَكُتِبَ يَوْسُفَ <sup>(۲)</sup> بِنِ الْقَاسِمِ بْنِ صُبَيْحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَىٰ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ يَعْزِيهِ عَنْ ابْنِ لَهْ تُوْفِي .

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ ، مَنْ كَانَ إِمَامًا خَلَقَ اللَّهُ ، وَخَلِيفَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَهْمِكَ ، وَارْجِعْ فِي وَعْدِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ مِنَ الصَّابِرِينَ إِلَىٰ عَمَلِكَ .

( كِتَابُ الْأُورَاقِ لِلصَّوَلِيِّ ۱ : ۱۴۷ )

## ۹ - كِتَابُ يَوْسُفَ بْنِ الْقَاسِمِ إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ

وَقَالَ يَوْسُفَ بْنُ الْقَاسِمِ : كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ يَبْرُؤُنِي كَثِيرًا ، وَيُوجِّهُ بِرَّهٖ مَبْتَدِئًا فِي رَأْسِ كُلِّ شَهْرٍ ، فَغَفَلَ عَنِّي شَهْرَيْنِ فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

مَا لِبِرِّ الْأُمَمِيِّ قَعَّرَ عَنِّي بَعْدَ أَنْ لَمْ أَكُنْ أَرَىٰ تَقْصِيرًا ؟

إِنْ يَكُنْ نَاسِيًا فَعِنْدِي إِذْ كَا رُّ لَهٗ دَائِمًا عَتِيدًا كَثِيرًا <sup>(۳)</sup>

(۱) الدافعة: الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد، يقال: دفت علينا من بني فلان دافة: أي أتوا.

(۲) هو والد أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون، وكان يوسف مع خاله بشر بن سليمان على

ديوان الكوفة أيام بني أمية، ثم كتب لعبد الله بن علي في أول الدولة العباسية بعد أن كان أبوه القاسم

يكتب له - انظر خبره في كتاب الأوراق للصولي ۱ : ۱۴۶ .

(۳) العتيد: الحاضر الميأ .



أَوْ يَكْنَ عَنْ إِضَاقَةِ فَلَهَ الْعُذُ رُ مَتَى شَاءَ أَنْ يُرَى مَعذُورًا<sup>(۱)</sup>  
لِأَرَى خَادِمًا بِإِنْفَاقٍ وَفَرِي وَأَرَى مَا لَهُ مَوْفُورًا  
إِنْ يَرَى الْأَمِيرَ عِنْدِي ( وَإِنْ كَانِ يَرَاهُ لَدَيْهِ نَزْرًا يَسِيرًا )  
لَكَبِيرٌ عِنْدِي ، وَلَمْ يَكُ عَهْدِي أَنْ أَرَى الرِّزْقَ عِنْدَهُ مَحْظُورًا

### ۱۰ - رد عبد الله بن علي عليه

قوقع في رقتي :

« لم يكن تأخير برئنا عنك لبخل وضمن ، ولا إهمال وتناسي ، لكنهما غفلة من  
موجب حلقك عارفي ، شغله عنك ما يقسم قلبه ، متكلا على معرفتك به ، وبسط  
عذرك له . على أني ظننت أن ما كنت عليه أولا قد زال فيما بيننا وبينك ، إذ كنا  
قد أحللتناك على محال الشريك ، وخلطناك بأنفسنا خلط النسب ، لتنفق من نفقتنا ،  
وتقرن أمرنا بأمرنا ، وقد أمرت لك بالقي درهم ، رزقك لشهرين ، فاقبضهما ، ولا  
تنتظرن لي أمرا بعدهما في مثلهما عند وجوبهما ، وأمرت لك بالقي درهم تصدح بها  
حالك ، وقد أطلقت بعد هذا يدك في المال ، لتأخذ منه كفايتك ، وفضلا يكون عده  
لك إما لا يؤمن من عثرات الدهور ، وحوادث الأمور ، فإنك لم تصحبتنا إلا بقلب  
وامق ، وود صادق ، وإنا نحب أن يبين عليك لنا أثر محمود تفتبط به وتفتبط  
عليه ، فأعمل على ذلك إن شاء الله . »

( كتاب الأوراق للصولي ۱ : ۱۴۷ )

(۱) أضاق : ذهب ماله .

( ۲ - جبهة رسائل العرب - ناك )

## ۱۱ - کتب بین ابی مسلم و ابی العباس و ابی جعفر

ولم یزال أبو مسلم مقبلاً بخراسان ، حتی کتب إلى أبی العباس یستأذنه فی القدوم علیه للحج ( سنة ۱۳۶ هـ ) - وإنما أراد أن یصلی بالناس - فأذن له ، وکتب إليه أن : « اقدم فی خمسمائة من الجندي ». فکتب إليه أبو مسلم : « إني قد وترت الناس ، ولست آمن علی نفسي ». فکتب إليه أبو العباس أن : « أقبل فی ألف ، فإنما أنت فی سلطان أهلك ودولتك ، وطريق مكة لا یحتمل العسكر » .

وکتب أبو العباس إلى أبی جعفر - وهو علی الجزيرة وأرمينية وأذربيجان - : « إن أباً مسلم کتب إلى یستأذن فی الحج ، وقد أذنت له ، وقد ظننت أنه إذا قدم یريد أن یسألني أن أولیة إقامة الحج للناس ، فاكتب إلى تستأذني فی الحج ، فإنك إذا كنت بمكة لم یطمع أن یقدمک » . فکتب أبو جعفر إلى أبی العباس یستأذنه فی الحج ، فأذن له فوافی الأنبار .

وشخص أبو مسلم فی ثمانية آلاف فرقةهم فیما بین نيسابور والرعي ، وقدم بالأموال والخزائن خلفها بالرعي ، وشخص منها فی ألف ، وأقبل إلى أبی العباس فأعظمه وأكرمه ، ثم استأذن أباً العباس فی الحج فأذن له ، وقال : لولا أن أباً جعفر حاج لوليتك الموسم .

وقد قال أبو مسلم : أما وجد أبو جعفر عاماً یحج فيه غیر هذا ! واضطفتها علیه .

( تاریخ الطبری ۹ : ۱۵۳ ، ۱۵۹ )

## ۱۲ - كتاب لعقارة بن حمزة عن أبي العباس

### في وفاة داود بن علي

ومن أبي العباس في وفاة داود<sup>(۱)</sup> بن عليّ عمه ، لعقارة<sup>(۲)</sup> بن حمزة :

« فإن داود بن عليّ كان في قرابته بأمر المؤمنين بحيث قد علمت ، مع طاعته وسنته<sup>(۳)</sup> وبرّه بأهل بيته ، فقَبَضَهُ اللهُ في طاعة أمير المؤمنين ومناصحته ، فلم يَكْرَهُ أمير المؤمنين - مع عِزَّةِ داود كانت عليه ، ومنزلته في أهل بيته - الذي أظهر له من قضاء الله عز وجل فيه ، رضاً بقضاء الله عليه ، ورغبةً في ثوابه ، فرَحِمَهُ اللهُ وغفَرَ له ، فقد كان مكانه مكان أنس ، فليكن الذي ظهر لأمر المؤمنين من محبة الله في أقضية عليه ، أحبَّ إلى أمير المؤمنين أن يُعْظَمَ له الأجر ، ويُحْسِنَ عليه الخلافة » .

( اختبار النظم والنثور ۱۳ : ۳۰۸ )

(۱) ولاء السفاح الكوفة وسوادها ، ثم عزله عنها وولاه المدينة ومكة واليمن واليامة . ومات بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ۱۳۳ - انظر تاريخ الطبري ۹ : ۱۴۷ .

(۲) هو عقارة بن حمزة ، ولى السفاح ، ثم مولى أبي جعفر المنصور وكتبه ، وكان فصيحاً بليغاً ، وكان أمور ذمياً تائها معجياً ، وكان المنصور والهدى بعده يقدمانه ويحتملان أخلاقه ، لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه ، وولى له ما أعمالا كباراً ، ( ومن ذلك أن ولاء المنصور سنة ۱۵۶ كور دجلة والأهواز وفارس ، وكان سنة ۱۵۸ على ديوان خراج البصرة وأرضها ) وله رسائل من جلتها رسالة الخميس التي كانت تقرأ لبني العباس ( وصياني الكلام عنها في شرح رسالة الخميس لأحد ابن يوسف ) - انظر أخباره في الفهرست لابن النديم ص ۱۷۱ ومعجم الأدباء ۶ : ۳ ( طبع مطبعة هندية ) وكتاب الوزراء والكتاب للجيشياري ص ۹۳ وتاريخ الطبري ۹ : ۲۸۸ ، ۳۲۶ .

(۳) السنة : الطريقة المحمودة المشيخة ، وفي الأصل « وسنه » .

## ١٣ - كتاب أبي مسلم إلى أبي جعفر

وروى أن أبا جعفر حرّض أبا العباس على قتل أبي مسلم حين قدّم عليه، وما زال به حتى وافقه على قتله ، ثم عدّل عن إنفاذه (١) .

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

وذكروا أن أبا مسلم لما رجع من عند أبي العباس ، وقد قيل له بالعراق : إن القوم أرادوك (٢) لولا ما توقعوا ممن معك من أهل خراسان ، فلما كان في بعض الطريق كتب إلى أبي جعفر :

« أما بعد : فإني كنت قد اتخذت أخاك (٣) إماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه ، وكان في تحلّي من العلم وقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كان ، ثمّعتني بالفتنه ، واستجهلتني بالقرآن ، فخرّفته عن مواضعه طمعا في قليل قد نعم الله إلى خلقه ، فمثل الضلالة في صورة الهدى ، فكان كالذي ضلّ بفروره ، حتى وترت أهل الدين والدنيا في دينهم ، واستحللت بما كان من ذلك من الله النعمة ، وركبت

(١) قال أبو جعفر لأبي العباس : يا أمير المؤمنين ، أظنني واقتل أبا مسلم ، فوالله إن في رأسه لغدرة ، وقال يا أخى قد عرفت بلاءه وما كان منه ، فقال أبو جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما كان بدولتنا ، والله لو بعثت سنورا لقام مقامه وبلغ ما بلغ في هذه الدولة ، فقال له أبو العباس : فكيف تقتله؟ قال : إذا دخل عليك وحادثته وأقبل عليك ، دخلت فتغفلكه فضربتة من خلفه ضربة أتيت بها على نفسه ، فقال أبو العباس : فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم ؟ قال : يتول ذلك كله إلى ما تريد ، ولو علموا أنه قد قتل تفرقوا وذلوا ، قال : عزمت عليك إلا كفت عن هذا ، قال : أخاف والله إن لم تنفذه اليوم أن يتمشاك غدا ، قال : فدونك فأنت أعلم ، فخرج أبو جعفر من عنده عازما على ذلك ، فلما دخل أبو مسلم على أبي العباس بعث أبو العباس خصياله فقال : اذهب فانظر ما يصنع أبو جعفر ، فأناؤه فوجده محنيا بسيفه ، فقال للخصي : أجالس أمير المؤمنين ؟ فقال له : قد تهبأ للجلوس ، ورجع الخصي إلى أبي العباس فأخبره بما رأى منه فردّه إلى أبي جعفر وقال له : قل له عزمت عليك أن لا تنفذ الأمر الذي هزمت عليه ، فكف أبو جعفر - انظر تاريخ الطبري ٩ : ١٥٣ والإمامة والسياسة ٢ : ١٠٩ .

(٢) أي أرادوا قتلك . (٣) يعني أخاه إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وقد قدمنا لك خبره في الجزء الثاني ص ٤٧٥ .

للعصية في طاعتكم وتوطئة سلطانكم ، حتى عرفكم من كان يجهلكم ، وأوطأت  
غيركم العشواء<sup>(۱)</sup> بالظلم والعدوان ، حتى بلغت في مشيئة الله ما أحب .

ثم إن الله بمنه وكرمه أتاح لي الحسنة ، وتداركني بالرحمة ، واستنقذني  
بالتوبة<sup>(۲)</sup> ، فإن بغفر فقد بما عرف بذلك ، وإن ياقب فيما قدمت يداي ، وما الله  
بظلام للعبيد . ( الإمامة والسياسة ۲ : ۱۱۰ )

## ۱۴ - رد أبي جعفر على أبي مسلم

فكتب إليه أبو جعفر :

« أروم مارمت ، وأزول حيث زلت ، ليس لي دونك مرمى ولا عنك  
مقصر ، الرأي ما رأيت ، إن كنت أنكرت من سيرته شيئاً ، فانت الموفق  
للسواب ، والعالم بالرشاد ، أنا من لا يعرف غير يديك ، ولم يتقلب إلا في فضلك ،  
فأنا غير كافر بنعمتك ، ولا منكراً لإحسانك ، لا تحمل عليّ إصر<sup>(۳)</sup> غيري ، ولا  
تُلحق ما جناه سواي بي ، إن أمرتني أن أشخص إليك وألحق بخراسان ، فقلت ،  
الأمر أمرك ، والسلطان سلطانك ، والسلام . » ( الإمامة والسياسة ۲ : ۱۱۰ )

## ۱۵ - كتاب من الخليفة إلى ولي العهد<sup>(۱)</sup> لعبد الله بن علي

« فإن نعم الله على أمير المؤمنين باطنة وظاهرة متكافئة منزلتها ، وإن تفاضلتا  
في أحوالهما ، وقد شرتك في كل ذلك أمير المؤمنين ، وخصيت بما تعقد به منه ،  
ووجب عليك الشكر لله به ، كوجوبه على أمير المؤمنين ، لجزالة قسمك من نعمة الله

(۱) العشواء : الظلمة .  
(۲) تهديد بأنه سيفك عن نصرتهم ويرجع عن معوثتهم .

(۳) الإصر : الذنب .

(۴) يعني أبا جعفر المنصور ، وكان أبو العباس السفاح قد ولاه سنة ۱۳۲ على الجزيرة وأذربيجان  
وأرمينية ، فظل أميراً على الجزيرة حتى مات السفاح سنة ۱۳۶ - انظر تاريخ الطبري ۹ : ۱۴۷ ، ۱۴۸ ؛  
۱۵۱ ، ۱۵۲ ، ۱۵۴ .

عنده ، وسرورك به كسروره ، وسكونك إليه ككونه ، وأحب أمير المؤمنين  
 لذلك أن يتابع إليك كتبه بما يعرفه الله من نعمه وآلائه ، وإدامته له السلامة في بدنه  
 وولده وأهل بيته وشيعته وأنصاره وسائر المسلمين قبله ، وفي أطرافه وأقاصيه<sup>(١)</sup> ،  
 فكتب إليك أمير المؤمنين وهو في سلامة بدنه وسُبُوغ<sup>(٢)</sup> نعم الله عليه في نفسه  
 وكل من قبله ، وولاية الله إياه بأحسن ما رجأ منه ، وأمل من فضله ، وانتهت  
 رعيته إليه وما يتناهى إليه ثغوره وأطرافه ، من سلامة أهلها ، واجتماع كلمتهم ، وحسن  
 طاعتهم ، وصلاح ذات البين ، على أفضل ما لم يزل الله يُولِيهِ وَيُبْلِيهِ<sup>(٣)</sup> ، ويمتنُّ به  
 عليه في ذلك كله ، وأمير المؤمنين يحمدهُ الله على قديم نعمه عنده وحديثها ، وباطنِها  
 وظاهرِها ، ويسأله إعانتته على التادية لشكره بها .

( اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٧٣ )

## ١٦ - كتاب صالح بن علي في السلامة

وكتب صالح<sup>(٤)</sup> في السلامة :

« أصلح الله أمير المؤمنين وحفظه وأمتع به ، وأحسن جزاءه ، وتولى له أمرَ  
 آخرته ودنياه ، فإن الله بحمده ونعمته لم يزل يُبْلِي أمير المؤمنين ويعرفه في كل ما يقضى إليه ،  
 ويعزِمُ له عليه في أموره : مِنْ حُسْنِ الصَّنْعِ وَالْوِلَايَةِ وَالْحِفْظِ وَالْكَفَايَةِ وَالْحَيْطَةِ  
 وَإِسْبَاغِ النِّعْمَةِ ، أَفْضَلَ أَمَلِهِ وَأَمَلِنَا لَهُ ، وَأَعْظَمَ رَجَائِهِ وَرَجَائِنَا فِي حَسَنِ الْمَدَافَعَةِ عَنْهُ ،  
 إِلَى أَنْ وَصَلَ ذَلِكَ مِنْ نِعْمَةِ عِنْدِهِ بِمَا تَوَحَّدَ بِهِ فِي وَجْهِهِ وَسَفَرَهُ : مِنَ السَّلَامَةِ ، وَسُبُوغِ  
 النِّعْمَةِ ، وَعَمُومِ الْعَافِيَةِ فِي نَفْسِهِ وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، وَأَقْدَمَهُ مَنَزِلَهُ وَنَحَلَهُ مُعَافَى مُسَلِّمًا

(١) في الأصل « وأوفاه » وهو تحريف . (٢) أي تمامها .

(٣) الإبلاء : الإتمام والإحسان . أبلأه الله : أنعم عليه .

(٤) يعني صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد ولاء السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم

فلسطين ، ثم ولاء مصر ثانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم الخبر بموت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦  
 فأقره المنصور على عمل مصر ، ثم خرج إلى فلسطين ، ومات وهو عامل حمص بقنسرين - انظر النجوم  
 الزاهرة الجزء الأول .

محفوظاً من الله ، إحساناً منه إليه ، وإفضالاً وإنعاماً عليه ، واختصاصاً له ، والله يمتع أمير المؤمنين ، ويتمم له أحسن بلائِهِ عنده وعندنا فيه بمنه ولطفه .  
( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۷۲ )

## ۱۷ - كتاب عبد الله بن صالح في السلامة

وكتب عبد الله بن صالح في السلامة :

« فَإِنِّي مِنْ إِعْظَامِ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَشَكَرِي بِلَاءِهِ ، وَالْإِعْتِدَادِ بِمَا يَجِدُّ اللَّهُ لَهُ مِنَ النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَعَظِيمِ الْأَمَلِ فِيهِ ، وَالرَّجَاءِ لَهُ ، وَالِاسْتِشْرَافِ<sup>(۱)</sup> إِلَى عِلْمِ حَالِهِ فِي خَوَاصِّهِ وَعَوَامِّهِ ، عَلَى أَفْضَلِ مَا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَذَوِي تَرَابْتِهِ ، لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْفَعُنِي مِنْ صِلَتِهِ وَعَائِدَتِهِ ، وَيُحَدِّثُ عِنْدِي مِنْ كَرَمِ فِعَالِهِ ، الَّذِي أَصْبَحْتُ - يَعْلَمُ اللَّهُ - مُحْتَمِلًا لَهُ بِأَخْلِصِ الشُّكْرِ وَأَحْسَنِ الذِّكْرِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمُرَنِي بِالْكِتَابِ إِلَى مَنْ سَلَامَتُهُ بِمَا يَبْسُطُ بِهِ أَمَلِي ، وَتَعْظُمُ بِهِ النِّعْمَةُ مِنَ اللَّهِ لَدَيَّ ، وَيَجِبُ بِهِ الشُّكْرُ عَلَيَّ ، فَعَلَّ وَالسَّلَامُ » .  
( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۷۲ )

## ۱۸ - بين أبي مسلم وأبي جعفر

وحج أبو جعفر سنة ۱۳۶ هـ وحج معه أبو مسلم ، فلما انقضى المورسم أقبل ، وأتى أبا جعفر وهو في الطريق كتاب من عيسى بن موسى<sup>(۲)</sup> بموت أبي العباس ، وكان أبو جعفر قد تقدم أبا مسلم بمرة حاة<sup>(۳)</sup> ، فكتب إلى أبي مسلم : « إِنَّهُ قَدْ حَدَّثَ أَمْرًا فَالْعَجَلِ الْعَجَلِ » وَأَقْبَلَ حَتَّى لِحِقَ أبا جعفر وأقبل إلى الكوفة .  
وقيل إن أبا مسلم كان هو الذي تقدم أبا جعفر فعرف الخبر قبله ، فكتب إلى أبي جعفر :

(۱) أي والتطلع .

(۲) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو ابن أخي النصور والسفاح . وكان السفاح قد جعل له الخلافة من بعد أبي جعفر .

(۳) المرحلة : المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : عَافَاكَ اللَّهُ وَأَمْتَعَ بِكَ ، إِنَّهُ أَتَانِي أَمْرٌ أَفْطَعْتَنِي ، وَبَلَغَ مِنِّي مَبْلَغًا لَمْ يَبْلُغُهُ شَيْءٌ قَطُّ ، لَقِيَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بِكِتَابٍ مِنْ عَيْسَى بْنِ مُوسَى إِلَيْكَ بِوَفَاةِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُعْظِمَ أَجْرَكَ ، وَيُحْسِنَ الْخِلَافَةَ عَلَيْكَ ، وَيُبَارِكَ لَكَ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أَحَدٌ أَشَدَّ تَعْظِيمًا لِحَقِّكَ ، وَأَصْنَفِي نَصِيحَةً لَكَ وَحِرْمًا عَلَيَّ مَا يَسُرُّكَ مِنِّي » .  
وَأَنْفَذَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَكَثَ أَبُو مُسْلِمٍ يَوْمَهُ وَمِنْ الْغَدِ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ بِالْبَيْعَةِ - وَإِنَّمَا أَرَادَ تَرْهِيْبَ أَبِي جَعْفَرٍ بِتَأْخِيرِهَا - .  
( تاريخ الطبري ۹ : ۱۵۴ ، ۱۵۵ )

## ۱۹ - كتاب أبي جعفر إلى عبد الله بن علي

وَوَلِيَ أَبُو جَعْفَرٍ الْخِلَافَةَ ، وَكَانَ عُمُّهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بِالشَّامِ ، وَكَانَ السَّفَّاحُ قَدْ وَجَّهَهُ لِقِتَالِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدِ الْأُمَوِيِّ ، فَطَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْخِلَافَةِ ، وَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ :  
إِنَّ السَّفَّاحَ نَدَبَ بَنِي الْعَبَّاسِ لِقِتَالِ مَرْوَانَ فَلَمْ يَنْتَدِبْ<sup>(۱)</sup> غَيْرِي ، وَقَدْ قَالَ لِي : إِنْ ظَهَرْتَ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ الْعَلْبَةُ لَكَ ، فَأَنْتَ وَلِيُّ الْعَهْدِ بَعْدِي ، وَشَهِدَ لَهُ جَمَاعَةٌ بِذَلِكَ فَبَايَعَهُ النَّاسُ<sup>(۲)</sup> .

فلما بلغ المنصور ذلك من فعل عبد الله كتب إليه :

« سَأَجْعَلُ نَفْسِي مِنْكَ حَيْثُ جَعَلْتَهَا وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ لَهْنٌ عَوَاقِبُ »

( مروج الذهب ۲ : ۲۳۴ )

## ۲۰ - كتاب الأمان لعبد الله بن علي ( كتبه ابن المقفع )

ثُمَّ بَعَثَ الْمَنْصُورُ أَبَا مُسْلِمٍ لِقِتَالِهِ فَهَزَمَهُ ، وَهَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَنَزَلَ عَلَى أَخُوهِ سُلَيْمَانَ وَعَيْسَى ابْنِي عَلِيٍّ ، فَشَفَعَا فِيهِ إِلَى الْمَنْصُورِ وَطَلَبَا لَهُ الْأَمَانَ ، فَقَبِلَ شَفَاعَتَهُمَا

(۱) يقال : ندبه للأمر فانتدب له أي دعاه له فأجاب .

(۲) انظر الخبر في الفخرى ص ۱۵۰ وفي غيره .



واتفقوا أن يكتبوا له أماناً منه ، وكان عبد الله<sup>(١)</sup> بن المقفع كاتباً لعيسى بن علي ، فكتب ابن المقفع الأمان وشدد فيه ، حتى قال في جملة فصوله : « ومتى غدر أمير المؤمنين بعمة عبد الله بن علي فساؤه طوائق ودوابه حبس ، وعبيده أحرار ، والمسلمون في حل من بيته » .

فلما جاء عبد الله إلى المنصور حبسه ومات في حبسه ، فقيل إنه بنى له بيتاً ، وجعل في أساسه ملحاً ، ثم أجرى الماء فيه فسقط البيت عليه فمات<sup>(٢)</sup> ، وكان ذلك سنة ١٤٧ هـ .

( وفيات الأعيان ١ : ١٥٠ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ٩٤ )

\* \* \*

وجاء في كتاب الوزراء والكتاب :

وكان ابن المقفع يكتب لعيسى بن علي ، فأمره عيسى بعمل نسخة الأمان لعبد الله ، فعملها ووكدها واحترس من كل تأويل يجوز أن يقع عليه فيها ، وترددت بين أبي جعفر وبينهم في النسخة كتب ، إلى أن استقرت على ما أرادوا من الاحتياط . ولم يتهيأ لأبي جعفر إيقاع حيلة فيها ، لفرط احتياط ابن المقفع ، وكان الذي شقَّ على أبي جعفر أن قال في النسخة :

يوقع بخطه في أسفل الأمان :

وإن أنا نلتُ عبد الله بن علي أو أحداً ممن أقدمه معه بصغيرٍ من المكروه

(١) هو أحد فحول الكتاب المعروفين ، فارسي الأصل ، نشأ بالبصرة في أواخر الدولة الأموية ، وكان يكتب لداود بن عمر بن هبيرة ، ولما قامت الدولة العباسية اتصل بعيسى بن علي عم السفاح والمنصور أيام ولايته على كرمان ، وكتب له واختص به ، وأسلم على يديه - وكان قبل مجوسياً - وهو أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي ، وكان مضطرباً باللغتين فصيحاً بهما ، وكان يتهم بالزندقة ، وقتل سنة ١٤٢ هـ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ١٤٩ ( في خلال ترجمة الحسين بن منصور الحلاج ) وفي الفهرست لابن النديم ص ١٧٢ وفي تاريخ الحكماء لابن الفظلي ص ٢٢٠ طبع أوربة وغرر الخصائص الواضحة ص ٤٠٩ وكتاب الوزراء والكتاب للجيشياري ص ١١٠ وأمالى السيد المرتضى ١ : ٩٤ والفصول المختارة من كتب الجاحظ ( على هامش الكامل للبرد ) ١ : ٣٢ وطبقات الأطباء ١ : ٣٠٨ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢٦٥ والفخرى أيضاً .

أو كبير ، أو أوصلتُ إلى أحد منهم ضرراً : مرراً وعلانيةً ، على الوجوه والأسباب كلها ، تصريحاً أو كنايةً ، أو بحيلة من الحيل ، فأنا نفيٌ من محمد بن علي بن عبد الله ، ومولود لغير رشدة<sup>(١)</sup> ، وقد حلّ لجميع أمة محمد خلعي وحرّبي والبراءةُ مني ، ولا بيعةَ لي في رقاب المسلمين ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروجُ من طاعتي ، وإغاثةُ مَنْ ناوأني من جميع الخلق ، ولا موالاةَ بيني وبين أحد من المسلمين .

وهو متبرئٌ من الحول والقوة ، ومدّعي إن كان أنه كافر بجميع الأديان ، ولقي ربه على غير دين ولا شريعة ، محرّمُ المأكَلِ والمشربِ والمفَاعِ كِحِ ، والمزكَبِ والرَّقِ ، والمَلِكِ ، والمَلْبَسِ ، على الوجوه والأسباب كلها .

وكتبتُ بخطي ، ولا نيّةَ لي سواة ، ولا يقبلُ الله مني إلا إياه ، والوفاء به .  
( كتاب الوزراء والكتاب ص ١١٠ )

## ٢١ - كتاب أبي جعفر إلى أبي مسلم

ولما ظفّر أبو مسلم بعسكر عبد الله بن علي ، بعث أبو جعفر مولاه أبا الخصيب إلى أبي مسلم ، ليكتب له ما أصاب من الأموال ، فهمّ أبو مسلم بقتله ، فكلم فيه ، وقيل له إنما هو رسول نخلٍ سبيله ، فلما رجع إلى أبي جعفر أخبره بما كان ، تخاف أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان ، فكتب إليه كتاباً مع يقطين بن موسى أن :

« قد وليتكم مصر والشام ، فهي خير لك من خراسان ، فوجهُ إلى مصر من أحببت ، وأقم بالشام فتكونَ بقرب أمير المؤمنين ، فإن أحبَّ لقاءك أتيتك من قريب . »

(١) يقال : هذا ولد رشدة : إذا كان لنكاح صحيح ، كما يقال في ضده : ولد زنية ، بالكسر خيها والفتح .

فلما أتاه الكتاب غضب وقال : هو يوليني الشام ومصر ، وخراسان لي ! واعتزم أن يمضي إلى خراسان ، فكتب يقطين إلى أبي جعفر بذلك .  
( تاريخ الطبري ٩ : ١٦١ )

## ٢٢ - كتاب أبي مسلم إلى أبي جعفر

وروى أن المنصور بعث يقطين وأمره أن يُخَصِّيَ ما في العسكر ، فقال أبو مسلم : يا يقطين ، أمين على الدماء خائن في الأموال ! وشتمَ أبا جعفر ، فأبلغه يقطين ذلك ، وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مُجمِعاً على الخِلاف ، وخرج من وجهه يريد خراسان ، وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن ، وكتب إلى أبي مسلم في المصير إليه ، فكتب أبو مسلم وقد نزل الزَّاب وهو على الرَّواح إلى طريق حُلوان :

« إنه لم يَبْقَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أكرمهُ اللهُ - عدوٌّ إِلَّا أَمَكَنَهُ اللهُ مِنْهُ ، وَقَدْ كُنَّا نَرَوِي عَنْ مَلُوكِ آلِ حَاسَانٍ : إِنْ أَخُوفَ مَا يَكُونُ الْوِزْرَاءُ ، إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ<sup>(١)</sup> ، فَتَحْنُ نَافِرُونَ مِنْ قَرْبِكَ ، حَرِيصُونَ عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ مَا وَفَيْتَ ، جَرِيُونَ بِالسَّعِ وَالطَّاعَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مِنْ بَعِيدٍ حَيْثُ تَقَارَنُهَا السَّلَامَةُ ، فَإِنْ أَرْضَاكَ ذَاكَ فَأَنَا كَأَحْسَنِ عَبِيدِكَ ، فَإِنْ أُبَيَّتَ إِلَّا أَنْ تُعْطِيَ نَفْسَكَ إِرَادَتَهَا نَقَضْتُ مَا أُرْمَتْ مِنْ عَهْدِكَ ضِنًّا بِنَفْسِي » .  
( تاريخ الطبري ٩ : ١٦١ )

## ٢٣ - رد أبي جعفر على أبي مسلم

فلما وصل الكتاب إلى أبي جعفر كتب إليه :  
« قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ ، وَلَيْسَتْ صِفَتُكَ صِفَةً أَوْلَانِكَ الْوِزْرَاءِ الْفَشَّشَةِ مَلُوكِهِمْ ، الَّذِينَ يَتَمَنُّونَ اضْطِرَابَ حَبْلِ الدَّوْلَةِ لِكَثْرَةِ جِرَائِمِهِمْ ، فَإِنَّمَا رَاحَتُهُمْ فِي انْتِشَارِ نِظَامِ-

(١) الدهماء : جماعة الناس .

الجماعة ، فليَمَّ سَوَّيْتَ نَفْسِكَ بِهِمْ ؟ فَأَنْتَ فِي طَاعَتِكَ وَمَنَاصِحَتِكَ وَاضْطِلَاعِكَ<sup>(۱)</sup> بِمَا حَمَلْتَ مِنْ أَعْبَاءِ هَذَا الْأَمْرِ ، عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ مَعَ الشَّرِيطَةِ الَّتِي أَوْجِبَتْ مِنْكَ سَمَاعٌ وَلَا طَاعَةٌ ، وَحَمَلَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى رِسَالَةً لِيَتَسَكَّنَ إِلَيْهَا إِنْ أَصْغَيْتَ إِلَيْهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَنَزَوَاتِهِ وَبَيْنَكَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجِدْ بَابًا يُفْسِدُ بِهِ نَيْتَكَ أَوْ كَدَّ عِنْدَهُ وَأَقْرَبَ مِنْ طِبِّهِ<sup>(۲)</sup> ، مِنْ الْبَابِ الَّذِي فَتَحَهُ عَلَيْكَ » .  
( تاريخ الطبري ۹ : ۱۶۱ )

## ۲۴ - كتاب أبي مسلم إلى أبي جعفر

وروى الطبري أن أبا مسلم كتب إلى أبي جعفر<sup>(۳)</sup> :  
« أما بعد ، فَإِنِّي أَخَذْتُ رَجُلًا<sup>(۴)</sup> إِمَامًا وَدَلِيلًا عَلَى مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَكَانَ فِي مَحَلَّةِ الْعِلْمِ نَازِلًا ، وَفِي قَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبًا ، فَاسْتَجَبَّاهُنِي بِالْقُرْآنِ فَخَرَّفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ طَمَعًا فِي قَلِيلٍ قَدْ نَعَاهُ<sup>(۵)</sup> اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ ، فَكَانَ كَالَّذِي دُلِّيَ<sup>(۶)</sup> بِغُرُورٍ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُجْرِدَ السَّيْفَ ، وَأَرْفَعَ الرَّحْمَةَ وَلَا أَقْبِلَ الْمَعْدِرَةَ ، وَلَا أَقْبِلَ الْعَثْرَةَ ، ففعلتُ ، تَوَطَّيْتُ لِسُلْطَانِكُمْ ، حَتَّى عَرَفْتُمْ مِنْ كَانِ جَهْلِكُمْ ، ثُمَّ اسْتَنْقَذَنِي اللَّهُ بِالتَّوْبَةِ ، فَإِن يَعْزُ عَنِّي ، فَقَدِّمًا عَرُفْ بِهِ<sup>(۷)</sup> وَنُسِبَ إِلَيْهِ ، وَإِن يَعْاقِبُنِي فَمَا قَدَّمْتُ يَدَايَ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .

(۱) اضطلع بالأمر : قوى على عمله . (۲) الطب : السحر .  
(۳) قدمنا في ص ۲۰ أن ابن قتيبة روى أن هذا الكتاب كتبه أبو مسلم إلى أبي جعفر في خلافة أبي العباس ، وقد أوردته بصورة تخالف رواية الطبري بعض المخالفة كما يتضح بمراجعة الروايتين ، ثم أورد رد أبي جعفر عليه . (۴) يعني أخاه إبراهيم الإمام كما تقدم .  
(۵) في الأصل « تعافاه » وهو تحريف .  
(۶) أي أطمع ، انظر تفسيره في الجزء الأول ص ۹۴ .  
(۷) الضمير فيه يعود على العفو المفهوم من فعله السابق ، على حد قوله تعالى : « اَعْدِلُوا هُوَ

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى »

وقدما : قدما .

وخرج أبو مسلم يريد خراسان مُرَاغِمًا<sup>(۱)</sup> مُشَاقًّا وأخذ طريقَ حُلوان ، وقال أبو جعفر لميسى بن علي وعيسى بن موسى ، ومن حَضَرَه من بنى هاشم : اكتبوا إلى أبي مسلم ، فكتبوا إليه : « يعظّمون أمره ويشكرون ما كان منه ، ويسألونه أن يَتِمَّ<sup>(۲)</sup> على ما كان منه وعليه من الطاعة ، ويحذّرونه عاقبة القدر ، ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين ، وأن يلتمس رضاه » . وبعث إليه بالكتاب مع رسول له ، وتقدّم إلى الرسول أن يُبَلِّغَهُ وَيَبْعِدَهُ وَيَمْنِيَهُ ، فإن أبي أن يرجع تهدّده وتوعّده<sup>(۳)</sup> ، فأنفذ الرسول ما أمر به .

( تاريخ الطبري ۹ : ۱۶۲ )

## ۲۵ - كتاب أبي جعفر إلى أبي داود

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود - وهو خليفة أبي مسلم بخراسان - حين اتهم أبا مسلم : « إن لك إمرة خراسان ما بقيت » .

( تاريخ الطبري ۹ : ۱۶۳ )

(۱) راعهم : نابذهم وهجرهم وعاداهم . وشاقهم : خالفهم .  
 (۲) يقال : تم على الأمر وتم عليه بالتحريك : أي استمر عليه .  
 (۳) بعث إليه أبا حميد المرورودي وقال له « كالم أبا مسلم بألبن ماتكلم به أحدا ، ومنه ، وأعلمه أني رافعه وصانع به ما لم يصنعه به أحد إن هو صلح وراجع ما أحب ، فإن أبي أن يرجع فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : لست للعباس ، وأنا بريء من عمه - إن مضيت مشاقا ولم تأتي - إن وكلت أمرك لي أحد سواي ، وإن لم آل طلبك وقتالك بنفسي ، ولو خضت البحر لحضته ، ولو افتحمت النار لاقتحمها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك ، ولا تقولن له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه ولا تطمع منه في خير ، فسار إليه أبو حميد ، حتى قدم عليه بحلوان ، ودفع إليه الكتاب ، وجمل يتلطف معه في القول ، فكان جوابه : ارجع لي صاحبك فليس من رأي أن آتية » قال : قد عزمتم على خلافه ؟ قال : نعم ، قال : لا تفعل ، قال : ما أريد أن ألقاه . فلما آتاه من الرجوع قال له ما أمره به أبو جعفر ، فوجم طويلا ، وكسره ذلك القول ورهبه ، ووافق كتاب أبي داود ( الآتي ) على تلك الحال فزدها رعبا وها ، وتضعض رأيه ، وكتب إلى أبي جعفر يخبره أنه منصرف إليه .

## ۲۶ - کتاب أبي داود إلى أبي مسلم

فكتب أبو داود إلى أبي مسلم :

« إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله ، وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلا تُخَالِفَنَّ

إمامك ، ولا ترجعن إلا بإذنه » .

فرجع إلى أبي جعفر ، فأمره ثم قتله (۱) . ( وكان ذلك سنة ۱۳۷ هـ ) .

( تاريخ الطبري ۹ : ۱۶۳ )

## ۲۷ - رسالة عبد الله بن المقفع في الصحابة

« كتبها للمنصور »

« أما بعد - أصلح الله أمير المؤمنين ، وأتم عليه النعمة ، وألبسه المعافاة

والرحمة - فإن أمير المؤمنين - حفظه الله - يجمع مع علمه المسألة والاستماع ، كما كان

(۱) سار أبو مسلم إلى أبي جعفر فلما دنا من المدائن أمر أمير المؤمنين الناس فتلقوه ، فلما دخل على أبي جعفر أدناه وأكرمه ، ثم قال له انصرف يا عبد الرحمن فأرح نفسك وادخل الحمام ثم اغد على ، فلما أصبح أرسل إليه فأتاه ، وكان المنصور قد أحضر أربعة ممن يثق بهم من الحرس ، وقال لهم : كونوا خلف الرواق فإذا صفقت فأخرجوا فاقتلوه ، فلما دخل عليه أبو مسلم قال له : أخبرني عن سيفين وجدتهما في عسكر عبد الله بن علي ، فقال أبو مسلم : هذا أحدهما . وكان في يده سيف ، فأخذه أبو جعفر ووضع تحت فراشه ، ثم أقبل عليه يعاتبه ويقرعه ، ويقول له : فعلت وفعلت ، وهو يعتذر إليه مما أنهم به ، حتى قال له : فراغتك وخروجك إلى خراسان ؟ قال . خفت أن يكون قد دخلك نبي شيء ، فقلت آتي خراسان فأكتب إليك بعذري ، ثم قال له : يا أمير المؤمنين ليس يقال هذا لي بعد بلأني وما كان مني ، فقال : يا ابن الحبيثة ، والله لو كانت مكانك أمة سوداء لفعلت ما فعلت ، لأننا عملت ما عملت في دولتنا وبريحتنا ، ولو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلاً ، ثم ضرب بيديه فخرج أولئك النفر فخطوه بالسيوف ، فصاح : يا أمير المؤمنين استبقني لعدوك ، فقال المنصور : لأبقاني الله إذن ، وأي عدو لي أعدى منك ! ثم أمر به فلف في بساط . ودخل عيسى بن موسى بعد قتله - وكان قد كفل بأمانه حين أمنه المنصور - فقال : يا أمير المؤمنين ، أين أبو مسلم . قال : قد كان هاهنا آتفا ، فقال عيسى : يا أمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى الإمام إبراهيم كان فيه ، فقال : يا أنوك ( أي يا أحمق ) والله ما أعلم في الأرض عدوا أعدى لك منه ، هاهو ذاك في البساط ، فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ فقال له المنصور : خلق الله قلبك ، وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم ! - انظر تاريخ الطبري ( ۹ : ۱۶۷ والفخرى ص ۱۵۳ ) .

وَلَاةِ الشَّرِّ يَجْمَعُونَ مَعَ جَهْلِهِمُ الْعُجْبَ وَالْأَمْعَنَاءَ ، وَيَسْتَوْتِقُ لِنَفْسِهِ بِالْحِجَّةِ ، وَيَتَّخِذُهَا عَلَى رَعِيَّتِهِ فِيمَا يَلْطَفُ لَهُ مِنَ الْفَحْصِ عَنْ أُمُورِهِمْ ، كَمَا كَانَ أَوْلَاكَ يَكْتَفُونَ بِالذَّعَةِ ، وَيَرْضَوْنَ بِدُحُوضِ<sup>(۱)</sup> الْحِجَّةِ ، وَانْقِطَاعِ الْعُذْرِ فِي الْاِمْتِنَاعِ أَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بِرَأْيٍ أَوْ خَيْرٍ ، مَعَ تَسْلِيْطِ الذَّنَابِ<sup>(۲)</sup> ، وَقَدْ عَصَمَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - حِينَ أَهْلَكَ عَدُوَّهُ ، وَشَقَى غَلِيْلَهُ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَأَتَاهُ مُلْكُهَا وَخَزَائِنُهَا - مِنْ أَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِالْمَتَمُّعِ وَالتَّفَيْشِ<sup>(۳)</sup> ، وَالتَّائُلِ وَالْأَخْلَاءِ<sup>(۴)</sup> ، وَأَنْ يَرْضَى مِنْ آوَى<sup>(۵)</sup> بِالْمَتَاعِ بِهِ ، وَقَضَاءِ حَاجَةِ النَّفْسِ مِنْهُ ، وَأَكْرَمَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْتِهَانَةِ ذَلِكَ وَاسْتِصْفَارِهِ إِيَّاهُ ، وَذَلِكَ مِنْ أَتَيْنِ عِلَامَاتِ السَّعَادَةِ ، وَأَتَجَمَّعُ الْأَعْوَانُ عَلَى الْخَيْرِ ، وَقَدْ قَصَّ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا مِنْ نَبَأِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ : أَنَّهُ لَمَّا تَمَّتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَأَتَاهُ الْمُلْكُ ، وَعَلَّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ ، وَأَقْرَبَتْ عَيْنَهُ بِأَبُوِيهِ وَإِخْوَتِهِ ، أَتَى عَلَى اللهِ عِزَّ وَجَلَّ بِنِعْمَتِهِ ، ثُمَّ سَلَا عَمَّا كَانَ فِيهِ ، وَعَرَفَ أَنْ الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ هُوَ أَوْلَى ، فَقَالَ : « تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ » .

وَفِي الَّذِي قَدْ عَرَفْنَا مِنْ طَرِيقَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَشْجَعُ ذَا الرَّأْيِ عَلَى تَنَاوُلِهِ بِالْخَبَرِ فِيمَا ظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُبْلَغْهُ إِيَّاهُ غَيْرُهُ ، وَبِالتَّذَكِيرِ بِمَا قَدْ انْتَهَى إِلَيْهِ ، وَلَا يَزِيدُ صَاحِبُ الرَّأْيِ عَلَى أَنْ يَكُونَ نُخْبِرًا أَوْ مُذَكِّرًا ، وَكُلٌّ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْبُولٌ إِنْ شَاءَ اللهُ ، مَعَ أَنْ مِمَّا يَزِيدُ ذَوِي الْأَلْبَابِ نَشَاطًا إِلَى إِعْمَالِ الرَّأْيِ فِيمَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِ الْأُمَّةَ فِي يَوْمِهَا ، أَوْ غَايِرِ دَهْرِهَا ، الَّذِي أَصْبَحُوا قَدْ طَمِعُوا فِيهِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَدَى أَمِيرِ

(۱) دَحَضْتُ الْحِجَّةَ كَتَمْتُ دَحْوَضًا : بَطَلْتُ .

(۲) فِي الْأَصْلِ « الدِّبَانُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(۳) فِي الْأَصْلِ « التَّفَيْشُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالتَّفَيْشُ : ادْعَاءُ الشَّيْءِ وَالْفَخْرُ بِهِ بِاطْلَا ، وَيُقَالُ : فَاشَ الرَّجُلُ فَيْشًا : أَيِ افْتَخَرَ وَتَكَبَّرَ وَلَا شَيْءَ عِنْدَهُ ، وَفُلَانٌ فَيْاشٌ : إِذَا كَانَ نَفَاحًا بِالْبَاطِلِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ طَائِلٌ ، وَتَأْتِلُ الْمَالُ : جَمْعُهُ .

(۴) فِي الْأَصْلِ وَالْإِخْلَادُ وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى تَقْدِيرِ : وَالْإِخْلَادُ إِلَى الدَّعَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ : أَيِ الْمِيلِ إِلَيْهَا ، وَأَرَى أَنَّهُ « الْأَخْلَاءُ » وَيَقْوَى ذَلِكَ بِمَاسِدِهِ . (۵) أَيِ مِنْ آوَاهُ .

المؤمنين ، فإن مع الطمع الجِدَّة ، ومع اليأس القُعود ، وقلنا ضَعَفَ الرَّجَاءُ إِلَّا ذَهَبَ الرَّخَاءُ ، وَطَلَبُ الْمُؤَيَّسِ عَجْزٌ ، وَطَلَبُ الطَّامِعِ حَزْمٌ ، وَلَمْ نُذَكِّرِ النَّاسَ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا إِلَّا وَهُمْ يَرَوْنَ فِيهَا خِلَالَاً تَقَطُّعَ الرَّأْيِ ، وَتَمْسِكُ بِالْأَفْوَاهِ : مِنْ حَالِ وَالٍ لَمْ يُؤَمِّهِ الْإِصْلَاحُ ، أَوْ أَهَمَّهُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَثِقْ فِيهِ بِفَضْلِ رَأْيٍ ، أَوْ كَانَ ذَا رَأْيٍ لَيْسَ مَعَ رَأْيِهِ صَوْلٌ بِعَمْرَامَةٍ أَوْ حَزْمٍ ، أَوْ كَانَ ذَلِكَ اسْتِثْنَاءً مِنْهُ عَلَى النَّاسِ بِنَسَبٍ (۱) ، أَوْ قَلَّةَ تَقَدُّمِ لِمَا يَجْمَعُ أَوْ يَقْسِمُ ، أَوْ حَالِ أَعْوَانٍ تُبْتَلَى بِهِمُ الْوَلَاةُ لَيْسُوا عَلَى الْخَيْرِ بِأَعْوَانٍ ، وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَى اقْتِلَاعِهِمْ سَبِيلٌ ، لِمَكَانِهِمْ مِنَ الْأَمْرِ ، وَمَخَافَةِ الدُّوَلِ (۲) وَالْفَسَادِ إِنْ هُوَ هَاجَهُمْ أَوْ انْتَقَصَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، أَوْ حَالِ رَعِيَّةٍ مَتَزَّرَةٍ (۳) ، لَيْسَ لَهَا مِنْ أَمْرِهَا النَّصْفُ فِي نَفْسِهَا ، فَإِنْ أَخَذَتْ بِالشَّدَةِ حَمِيَّتٌ ، وَإِنْ أَخَذَتْ بِاللِّينِ طَفَّتٌ ، وَكُلُّ هَذِهِ الْخِلَاقُ قَدْ طَهَّرَ اللَّهُ مِنْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَاهُ اللَّهُ مَا آتَاهُ فِي نِيَّتِهِ وَمَقْدَرَتِهِ وَعِزِّمَهُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَرَى ذَلِكَ مِنْهُ النَّاسُ ، حَتَّى عَرَفَهُ مِنْهُ جُهَاهُمْ ، فَضْلاً عَنْ عِلْمَائِهِمْ ، وَصَنَعَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْطَفَ الصَّنْعِ فِي اقْتِلَاعِ مَنْ كَانَ يَشْرَكَهُ فِي أَمْرِهِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَتِهِ وَرَأْيِهِ ، حَتَّى أَرَاخَهُ اللَّهُ وَآمَنَهُ مِنْهُمْ ، بِمَا جَعَلُوا مِنَ الْحِجَّةِ وَالسَّبِيلِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ (۴) ، وَمَا قَوَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي رَأْيِهِ وَاتِّبَاعِهِ مَرْضَاتِهِ ، وَأَذَلَّ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَعِيَّتَهُ ، بِمَا جَمَعَ لَهُ مِنَ اللَّيْنِ وَالْعَفْوِ ، فَإِنْ لَانَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْإِثْمَانِ (۵) لَهُ شَهِيدٌ عَلَى أَنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِضَعْفٍ وَلَا مُصَانَعَةٍ ، وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْعَفْوِ شَهِيدٌ عَلَى أَنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِعُتْفٍ وَلَا خُرْقٍ ، مَعَ أُمُورٍ سِوَى ذَلِكَ نَكْفٌ عَنْ ذِكْرِهَا كِرَاهَةٌ أَنْ نَسْكَونَ كَأَنَّا نَصِيبُنَا لِلدَّحِ ، فَمَا أَخْلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ أَنْ تَكُونَ عِتَاداً (۶) لِكُلِّ جَسِيمٍ مِنَ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْيَوْمِ وَالْقَدْرِ ، وَالْخِصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، وَمَا أَرْجَانَا لِأَنَّ يَكُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

(۱) النِّسْبُ : الْمَالِ الْأَصِيلُ . (۲) جَمْعُ دَوْلَةٍ : وَهِيَ انْقِلَابُ الزَّمَانِ .

(۳) اتَّزَّرَ : رَكِبَ الْوِزْرَ بِالْكَسْرِ أَيْ الذَّنْبَ وَالْإِثْمَ ، وَالنَّصْفُ : الْإِنْصَافُ .

(۴) يَبْرُضُ بِأَبِي مُسْلِمِ الْخِرَاسَانِيِّ .

(۵) اتَّخَذَهُ : غَلِبَهُ وَأَوْهَنَهُ ، وَفِي الْأَصْلِ « فِي الْإِثْمَانِ » وَأَرَاهُ عَرَفَا . (۶) الْعِتَادُ : الْمُدَّةُ .



- بما أصاح الله الأمة من بعده - أشدَّ اهتماماً من بعض الولاة بما لا يُصلح رعيته في سلطانه، وما أشدَّ ما قد استبان لنا أن أمير المؤمنين أطولُ بأمر الأمة عنايةً، ولها نظراً وتقديراً، من الرجل منا بخاصَّةِ أهله، ففي دون هذا ما يثبت الأمل، وينشط للعمل، ولا قوة إلا بالله، والله الحمد، وعلى الله التمام.

فمن الأمور التي يذكُرُ بها أمير المؤمنين - أمتَحَ اللهُ به - أمرُ هذا الجند من أهل خراسان، فإنهم جند لم يدرك مثاهم في الإسلام، وفيهم منعةٌ بها يتمُّ فضلهم إن شاء الله أمَّاهم وأهلُ بصرٍ بالطاعة، وفضلٍ عند الناس، وعفافِ نفوسٍ وفروجٍ، وكفٍّ عن الفساد، وذُلِّ للولاية، فهذه حالٌ لا نعلمها توجد عند أحدٍ غيرهم. وأمَّا ما يحتاجون فيه إلى المنفعة من ذلك، فتقويمُ أيديهم ورأيهم وكلامهم، فإن في ذلك اليوم أخلاطاً<sup>(۱)</sup>: من رأسٍ مفرطٍ غالٍ، وتابعٍ متعجبرٍ شاكٍ، ومن كان إنما يصولُ على الناس بقومٍ لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول والسيرة، فهو كراكب الأسد الذي يوجَلُ<sup>(۲)</sup> من رآه، والراكبُ أشدُّ وجلاً؛ فلو أن أمير المؤمنين كتب لهم أماناً معروفاً بليفاً وجيزاً، مُحيطاً بكل شيءٍ يجب أن يعملوا<sup>(۳)</sup> به أو يكفوا عنه، بالفا في الحجَّة، قاصراً عن الغلو، يحفظه رؤسائهم حتى يعودوا به دهائم<sup>(۴)</sup>، ويتعهدوا به منهم من دونهم من عرض الناس، لكان ذلك إن شاء الله لرايهم صلاحاً، وعلى من سواهم حجَّةٌ، وعند الله عذراً، فإن كثيراً من المتكلمين من قواد أمير المؤمنين اليوم إنما عامَّةُ كلامهم فيما يؤمَّرُ الأمرُ، ويُرَّعَمُ الزعمُ أن أمير المؤمنين لو أمرَ الجبال أن تسير سارت، ولو أمرَ أن تستدبرَ القبلةُ بالصلاة ففعل ذلك، وهذا كلامٌ قلما يرتضيه من كان مُحالفاً، وقلما يردُّ في سمع السامع إلا أحدث في قلبه ريبةً

(۱) في الأصل «اختلاطاً» وهو تحريف. (۲) أي يخاف.

(۳) في الأصل «أن يقول» وهو تحريف.

(۴) الدهاء: جماعة الناس، وعرض الناس بالضم ويفتح: معظمهم.

وَشَكًّا ، وَالَّذِي يَقُولُ أَهْلُ الْقَصْدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ أَقْوَى لِلأَمْرِ ، وَأَعَزُّ لِلسُّلْطَانِ ، وَأَفْعَى لِلْمُخَالَفِ ، وَأَرْضَى لِلْمُوَافِقِ ، وَأُثْبِتُ لِلْعَذْرِ عِنْدَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .

فَإِنَّا قَدْ سَمِعْنَا فَرِيقًا مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ : لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، بِنَوَا قَوْلِهِمْ هَذَا بِنَاءً مُعَوَّجًا قَالُوا : إِنَّا أَمَرْنَا الْإِمَامَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يُعَصَى ، وَإِنَّا أَمَرْنَا الْإِمَامَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يُطَاعَ ، فَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ يُعَصَى فِي الْمَعْصِيَةِ ، وَكَانَ غَيْرُ الْإِمَامِ يُطَاعُ فِي الطَّاعَةِ ، فَالْإِمَامُ وَمَنْ سِوَاهُ عَلَى حَقِّ الطَّاعَةِ سَوَاءٌ ، وَهَذَا قَوْلٌ مَعْلُومٌ يَجِدُهُ الشَّيْطَانُ ذَرِيعَةً إِلَى خَلْعِ الطَّاعَةِ ، وَالَّذِي فِيهِ أُمْنِيَّتُهُ لِكَيْ يَكُونَ النَّاسُ نِظَارًا ، وَلَا يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ إِمَامٌ ، وَلَا يَكُونُ عَلَى عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ ثِقَلٌ .

سَمِعْنَا آخَرِينَ يَقُولُونَ : بَلْ نَطِيعُ الْأُئِمَّةَ فِي كُلِّ أَمْرِنَا ، وَلَا نَفْتَسُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَلَا مَعْصِيَتِهِ ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا عَلَيْهِمْ حَسِيبًا ، هُمْ وَوَلَاؤُ الْأَمْرِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ ، وَنَحْنُ الْآتِبَاعُ وَعَلَيْنَا الطَّاعَةُ وَالتَّسَامِيحُ ، وَلَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ بِأَقْلَّ ضَرَرًا فِي تَوْهِينِ (۱) السُّلْطَانِ ، وَتَهْجِينِ الطَّاعَةِ ، مِنَ التَّوَلُّوْلِ الَّذِي قَبْلَهُ ، لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَى الْفِطْيَانِ الْمُتَفَاحِشِ مِنَ الْأَمْرِ ، فِي اسْتِحْلَالِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ جِهَارًا صُرَاحًا (۲) .

وَقَالَ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالصَّوَابِ : قَدْ أَصَابَ الَّذِينَ قَالُوا : لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَلَمْ يُصِيبُوا فِي تَعْطِيلِهِمْ طَاعَةَ الْأُئِمَّةِ ، وَتَسْخِيفِهِمْ إِيَّاهَا ، أَصَابَ الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِطَاعَةِ الْأُئِمَّةِ لِمَا حَقَّقُوا مِنْهَا ، وَلَمْ يُصِيبُوا مَا أَبْهَمُوا مِنْ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ كَلَامًا .

فَأَمَّا إِقْرَارُنَا بِأَنَّهُ لَا يُطَاعُ الْإِمَامُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ عِزَائِمِ الْفُرَائِضِ وَالْحُدُودِ الَّتِي لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِأَحَدٍ عَلَيْهَا سُلْطَانًا ، وَلَوْ أَنَّ الْإِمَامَ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ ، أَوْ مَنَعَ الْحُدُودَ وَأَبَاحَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ .

فَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ لِلْإِمَامِ الطَّاعَةَ فِيمَا لَا يُطَاعُ فِيهِ غَيْرُهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي الرَّأْيِ وَالتَّيْدِيرِ وَالْأَمْرِ

(۱) التَّوْهِينُ : الْإِضْعَافُ ، وَالتَّهْجِينُ : التَّفْجِيعُ .

(۲) يُقَالُ : شَتَمَهُ مُصَارِحَةً وَصُرَاحًا بِالضَّمِّ وَالكُسْرِ : أَيَّ مُوَاجَهَةً .

الذي جعل الله أزمته وعُراه بأيدي الأئمة ، ليس لأحد فيه أمرٌ ولا طاعة ، من الغزو والقول<sup>(۱)</sup> ، والجمع والقسم ، والاستعمال والعزل ، والحكم بالرأى فيما لم يكن فيه أثر ، وإمضاء الحدود والأحكام على الكتاب والسنة ، ومحاربة العدو ومخادعته ، والأخذ للمسلمين والإعطاء عليهم ، وهذه الأمور وأشباهها من طاعة الله عز وجل الواجبة ، وليس لأحد من الناس فيها حق إلا الإمام ، ومن عصى الإمام فيها أو خذله فقد أوتغ<sup>(۲)</sup> نفسه ، وليس يفترق هذان الأمران إلا بيهتان من الله عز وجل عظيم ، وذلك أن الله جعل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم في خلتين : الدين والعقل ، ولم تكن عقولهم — وإن كانت نعمة الله عز وجل عظمت عليهم فيها — بالغة معرفة الهدى ، ولا مبلغة أهامها رضوان الله ، إلا بما أكمل لهم من النعمة ، بالدين الذي شرع لهم ، وشرح به صدر من أراد هداة منهم ، ثم لو أن الدين جاء من الله لم يفادِر حرقاً من الأحكام والرأى والأمر وجميع ما هو وارد على الناس ، وجارٍ فيهم منذ بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى يوم يلقونه إلا جاء فيه بمزيمة ، لكانوا قد كُتبتوا غير وُسعهم ، فضيق عليهم في دينهم ، وأتاهم ما لم تتسع<sup>(۳)</sup> أسماعهم لاستماعه ، ولا قلوبهم لفهمه ، وتكارت عقولهم وألبابهم التي امتن الله بها عليهم ، ولكانت لغوا لا يحتاجون إليها في شيء ، ولا يُعملونها إلا في أمرٍ قد أتاهم به تنزيلٌ ، ولكن الله ممن عليهم بدينهم الذي لم يكن يسعه رأيتهم ، كما قال عباد الله المتقون : « وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ » .

ثم جعل ما سوا ذلك من الأمر والتدبير إلى الرأى ، وجعل الرأى إلى ولاة الأمر ، ليس للناس في ذلك الأمر شيء إلا الإشارة عند المشورة ، والإجابة عند الدعوة ، والنصيحة بظهر الغيب ، ولا يستحق الوالى هذه الطاعة إلا بإقامة العزائم والشأن مما هو في معنى ذلك ، ثم ليس من وجوه القول وجهٌ يُلتمس فيه إثبات فضل

(۱) القول : الرجوع . (۲) أوتغ نفسه : أهلكها .

(۳) في الأصل : نسيم وهو تحريف .

أهل بيت أمير المؤمنين على أهل كل بيت ، وغير ذلك مما يحتاج الناس إلى ذكره ،  
إلا وهو موجود فيه من الكلام الفاضل المعروف ما هو أبلغ مما يغلو فيه الغالون ،  
فإن الحجّة ثابتة ، والأمر واضح بحمد الله ونعمته .

ومما يُنظر فيه لِصَلاحِ أهل الجند أَلَّا يُؤَلَّى أَحَدًا مِنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الْخِراجِ ، فإن ولاية  
الخِراج مَفْسَدَةٌ لِلْمُقَاتِلَةِ ، ولم يَزَلِ الناس يتحامون ذلك منهم ، وَيُنَجِّونَهُ عَنْهُمْ ، لأنهم  
أهل دَالَّةٌ<sup>(١)</sup> ودَعْوَى بِلَاءٍ ، وإذا كان<sup>(٢)</sup> جَلَابًا لِلدراهم والدنانير اجترأ عليهما ، وإذا  
وقع في الخيانة صار كلُّ أمرِهِ<sup>(٣)</sup> مدخولا : نصيحته وطاعته ، فإن جعل بينه وبين  
رفعه أمرٌ حَقَّقَهُ<sup>(٤)</sup> الحمية ، مع أن ولاية الخِراج داعيةٌ إلى ذِلَّةٍ وعقوبةٍ وهوانٍ ، وإنما  
منزلة المقاتل منزلة الكرامة واللطف .

ومما يُنظرُ فيه من أمرهم أن منهم من المجهولين من هو أفضل من بعض قادتهم ،  
فلو التمسوا وصنعوا<sup>(٥)</sup> كانوا عُدَّةً وقوةً ، وكان ذلك صلاحًا لمن فوقهم من القادة ،  
ومن دونهم من العامة .

ومن ذلك تعهدُ أدبهم في تعلُّمِ الكتاب ، والتفقه في الشئنة ، والأمانة والعصمة  
والمباينة لأهل الهوى ، وأن يظهر فيهم من القصد والتواضع واجتناب زِيِّ المترفين  
وشكليهم ، مثل الذي يأخذ به أمير المؤمنين في أمر نفسه ، ولا يزال يطلع من  
أمير المؤمنين ، ويخرج منه القول بما يعرف مَقْتَهُ لِلإتراف والإسراف وأهلها ، ومحبته  
القصد والتواضع ومن أخذ بهما ، حتى يعلموا أن معروف أمير المؤمنين محظورٌ عن  
يَكْنِزُهُ بِمُخْلَا ، أو<sup>(٦)</sup> يَنْفِقُهُ سَرَفًا فِي العِطْرِ واللِّبَاسِ والمُغَالَاةِ بالنساء والمراتب ، فإن  
أمير المؤمنين يؤثر بالمعروف من وجهته المعروف والمؤاساة .

(١) في الأصل « أهل ذاك » وهو تحريف . (٢) الضمير فيه يعود على « أحدا » المتقدم .

(٣) في الأصل « كل أمر » وهو تحريف ( ونصيحته وطاعته بدل من كل أمره ) .

(٤) في الأصل « أمرضته » . (٥) أي أحسن إليهم .

(٦) في الأصل « أن » وهو تحريف .

ومن ذلك أمرُ أرزاقهم أن بوقتَ لهم أميرُ المؤمنين فيها وقتاً يعرفونه ، في كل ثلاثة أشهر ، أو أربعة ، أو ما بدّأه ، وأن يعلمَ عامتهم العذرَ الذي في ذلك من إقامة ديوانهم ، وجعلِ<sup>(١)</sup> أسماهم ، ويعلموا الوقتَ الذي يأخذون فيه ، فيقطعَ الاستبطاءَ والشكوى ، فإن السكامة الواحدة تخرجُ من أحدهم في ذلك ، أهلٌ أن تستغظمَ ، وإنَّ بابَ ذلك جديرٌ أن يحسَمَ ، مع أن أمير المؤمنين قد علمَ كثرةَ أرزاقهم ، وكثرةَ المال الذي يُخرج لهم ، وأن هذا الخراج إن لم يكن راجعاً لغلاء السعر ، فإنه لا بدُّ من الكساد والكسر ، وأن لكل شيءٍ ديرةً وغزارةً ، وإنما دُرُورُ خراج العراق بارتفاع الأسعار ، وإنما يحتاج الجند اليومَ إلى ما يحتاجون إليه من كثرة الرزق ، لغلاء السعر ، فمن حُسِنَ التقدير إن شاء الله أن لا يدخلَ على الأرض ضررٌ ، ولا بيتَ المال نقصانٌ من قبل الرحمن ، إلا دخلَ ذلك عليهم في أرزاقهم مع أنه ليس عليهم في ذلك نقصانٌ ، لأنهم يشترون بالقليلِ مثلَ ما كانوا يشترون بالكثير ، فأقولُ : لو أن أمير المؤمنين خلى<sup>(٢)</sup> شيئاً من الرزق ، فجعل بعضه طعاماً ، وجعل بعضه علفاً ، وأعطوه بأعيانه ، فإن قومت لهم قيمةً ، فخرج ما خرج على حسابهِ<sup>(٣)</sup> قيمة الطعام والعلف ، لم يكن في أرزاقهم لذلك نقصانٌ عاجلٌ يستنكرونه ، وكان ذلك قوةً لهم في نزاهم عند الحمل على العدو<sup>(٤)</sup> ، وإنصافَ بيت المال من أنفسهم فيما يستبطنون مع أنه إن زاد السعر أخذوا بمحصتهم من فضل ذلك .

ومن جِماعِ الأمر وقوامه بإذن الله أن لا يخفى على أمير المؤمنين شيءٌ من أخبارهم وحالاتهم وباطنِ أمرهم بخراسان والعسكر والأطرافِ ، وأن يحتمر في ذلك النفقة ،

(١) الجمل : الجمجم .

(٢) في الأصل « ما خلا » والمعنى عليه غير مستقيم ، وأرى أن صوابه « خلى » بمعنى انقص وانقطع .

(٣) الحساب : الحساب ، مصدر حبه كنصر : أي عده .

(٤) في الأصل « وكان ذلك ... نزاهم لحمل العدو » .

ولا يستعين فيه إلا بالثقات النُصَّاحِ ، فإن تَرَكَ ذلكَ وأشباهَهُ أحزمُ بتاركه من الاستعانة فيه بغير الثقة ، فتصير مغبته للجَهالة والكذب .

ومما يُذَكِّرُ به أميرُ المؤمنين - أمتعَ اللهُ به - أمرُ هذينِ المِصْرَيْنِ<sup>(۱)</sup> ، فإنهم - بعد أهلِ خراسان - أقربُ الناسِ إلى أن يكونوا شِيعَتَهُ ومُعِينِيهِ ، مع اختلاطهم بأهلِ خراسان - وإنهم منهم وهامَتهم<sup>(۲)</sup> - ، وإنما ينظرُ أميرُ<sup>(۳)</sup> المؤمنين منهم إلى صدقِ رابطتهم ، وما أرادَ مَعَزَّةً<sup>(۴)</sup> من أمورهم استعانَ أهلَ خراسانَ في ذلكَ لهم ، مع الذي في ذلكَ من جمالِ الأمرِ ، واختلاطِ الناسِ بالناسِ ، العربِ بالعجمِ ، وأهلِ خراسانِ بالمِصْرَيْنِ .

إن في أهلِ العراقِ يا أميرَ المؤمنين من الفِقهِ والمَعافِ والألبابِ والألسنةِ ، شيئاً لا يكادُ يُشَكُّ أنه ليس في جميعِ مَنْ سواهم من أهلِ القِبلةِ مثلهُ ولا مثلُ نصفه ، فلو أرادَ أميرُ المؤمنين أن يكتفيَ بهم في جميعِ ما يُكْتَمَسُ له أهلُ هذه الطَّبَقَةِ من الناسِ ، رَجَوْنا أن يكون ذلكَ فيهم موجوداً ، وقد أزرى بأهلِ العراقِ في تلكِ الطَّبَقَةِ أن ولاةَ العراقِ فيما مضى كانوا أشرارَ الولايةِ ، وأن أعوانهم من أهلِ أمصارهم كذلك فَحُمِلَ جميعُ أهلِ العراقِ على ما ظهر من أولئكِ الفُؤولِ<sup>(۵)</sup> ، وتعلَّقَ بذلكِ أعداؤهم من أهلِ الشامِ فَنَمَوْهُ<sup>(۶)</sup> عليهم ، ثم كانت هذه الدولةُ فلم يتعلَّقَ مَنْ دونكم من الوزراءِ والعمالِ إلا بالأقربِ فالأقربِ مما دنا منهم ، أو وجدوه بسبيلِ شيءٍ من الأمرِ ، فَوَقَعَ رجالٌ مَوَاقِعَ شائِنَةٍ لجميعِ أهلِ العراقِ ، حيثما وَقَعُوا من صحابةِ خليفة ، أو ولايةِ

(۱) يعني البصرة والكوفة . (۲) هامة كل شيء : رأسه .

(۳) في الأصل « وإنما ينظر أمير المؤمنين منهم .... صدق ولرابطتهم أو ما أراد من أمورهم » . عرفته استئصال أهل خراسان ذلك لهم من أمرهم ، والعبارة مضطربة معرفة ، وقد أصلحتها كما ترى .

(۴) أي تقويته من عز كضرب: إذا قوى بعد ذلة ، وأرى أن هذه الكلمة أنسب من كلمة « معرفته »

الواردة في الأصل ، وبها ينسجم المعنى ، وربما كان الأصل « تقويته » .

(۵) الفؤول جمع فسل بالفتح ؛ وهو الرذل الذي لامرودة له .

(۶) نعى عليه ذنوبه بنعاهها : أي أظهرها وشهرها .

عمل ، أو موضع أمانة ، أو موطن جهاد ، وكان من رأى أهل الفضل أن يقصدوا حيث يلتصون ، فأبطأ ذلك بهم أن يعرفوا ويبتنع بهم ، وإن كان صاحب السلطان ممن لم يعرف الناس قبل أن يليهم ، ثم لم يزل يسأل عنهم من يعرفهم ، ولم يستثبت في استقضائهم ، زالت الأمور عن مراكرها ، وتزلت الرجال عن منازلها ، لأن الناس لا يلقونه إلا متصنعين بأحسن ما يقدرون عليه من الصمت والكلام ، غير أن أهل النقص هم أشد تصنعا ، وأحلى السنة ، وأرفق تلطفا للوزراء ، وتمحلا لأن يثنى عليهم من وراء وراء ، فإذا آثر أولي أن يستخلص رجلا واحدا ممن ليس لذلك أهلا ، دعا إلى نفسه جميع ذلك الشرح<sup>(۱)</sup> ، وطبعوا فيه ، واجتروا عليه ، وتواردوه ، وزحوا على ما عنده ، وإذا رأى ذلك أهل الفضل كفوا عنه ، وباعدوا منه ، وكرهوا أن يروا في غير موضعهم ، أو يزاحموا غير نظرهم .

ومما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر هذين الضارين ، وغيرها من الأمصار والنواحي ، اختلاف هذه الأحكام المتناقضة ، التي قد بلغ اختلافها أمرا عظيما في الدماء والفروج والأموار ، فيستحل الدم والفروج بالحيرة ، وهما محرمان بالكوفة ، ويكون مثل ذلك الاختلاف في جوف الكوفة ، فيستحل في ناحية منها ما يحرم في ناحية أخرى ، غير أنه على كثرة ألوانه نافذ على المسلمين في دماهم وحرهم ، يقضى به قضاة جائر أمرهم وحكمهم ، مع أنه ليس ممن ينظر في ذلك من أهل العراق وأهل الحجاز فريق إلا قد ليج بهم العجب مما في أيديهم ، والاستخفاف بمن سوامهم ، فأقبحهم ذلك في الأمور التي يتبع<sup>(۲)</sup> بها من سمعها من ذوى الألباب ، مما من يدعى لزوم السنة منهم فيجعل ما ليس له سنة سنة حتى يبيع ذلك به إلى أن بسفك الدم بغير بيعة ولا حجة على الأمر الذي يزعم أنه سنة ، وإذا سئل عن ذلك لم يستطع أن يقول هريق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أمة الهدى من بعده ، وإذا قيل له : أى

(۱) الشرح : النوع والمثل . (۲) تبين به الدم : حاج به .

دم سُنِّكَ على هذه السُّنَّة التي تزعمون؟ قالوا : فَعَلَّ ذلك عبد الملك بن مروان، أو أمير من بعض أولئك الأمراء ، وإنما يأخذ بالرأى ، فيبلغ به الاعتزامُ على رأيه ، أن يقول في الأمرِ الجسيم من أمرِ المسلمين قولاً لا يوافقُه عليه أحد من المسلمين ، ثم لا يستوجِبُ لانفراده بذلك ، وإمضائه الحكمَ عليه ، وهو مُقَرَّرٌ أنه رأى منه ، لا يحتاجُ بكتاب ولا سُنَّة .

فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الأفضية والسُنن المختلفة فترفع إليه في كتاب؛ ويرفع معها ما يحتاجُ به كل قوم من سُنَّة ، أو قياس ، ثم نظر أمير المؤمنين في ذلك ، وأمضى في كل قضية رأيه الذي يُلهمه الله ، وَيَعزِمُ له عليه ، وينهى عن القضاء بخلافه، وكتب بذلك كتاباً جامعاً عزماً، رَجَوْنَا أن يجعل الله هذه الأحكامَ المختلطة الصوابِ بالخطأ، حُكماً واحداً صواباً ، ورجونا أن يكون اجتماعُ السَّيرِ قُرْبَةً لإجماع الأمرِ برأى أمير المؤمنين وعلى لسانه ، ثم يكون ذلك من إمامٍ آخرٍ آخرِ الدهرِ إن شاء الله .

فأما اختلاف الأحكام . فإما شيء ما نثور عن السلف غير مُجمَعٍ عليه ، يدبره قوم على وجه ، ويدبره آخرون على وجه آخر ، فَيُنظَرُ فيه إلى أحقَّ الفريقين بالتصديق ، وأشبه الأمرين بالعدل . وإما رأى أجراه أهله على القياس ، فاختلف وانتشر بفنطٍ في أصلِ المقايسة ، وابتداء أمير على غير مثاله . وإما لطول ملازمته القياس ، فإن من أراد أن يلزمَ القياس ، ولا يفارقه أبداً في أمر الدين والحكم ، وقع في الوَرطَاتِ ومضى على الشُّبُهَاتِ ، ونمَّض على التَّبِيحِ الذي يَعْرِفه وَيُبصِرُه ، فأبى أن يتركه كراهة تركِ القياس ، وإنما القياسُ دَائِلٌ يُسْتَدلُّ به على المحاسن ، فإذا كان ما بقود إليه حَسَنًا معروفًا أخذ به ، وإذا قاد إلى التَّبِيحِ المستفكر ترك ، لأن المتبغى ليس عَيْنٌ<sup>(١)</sup> القياس يَبغى ، واسكن محاسن الأمور ومعروفها وما أُلْحِقَ الحقَّ بأهله ،

(١) في الأصل : ليس غير القياس ، وهو تعريف لأنه ضد المعنى المقصود . . .



ولو أن شيئاً مستقيماً على الناس ، ومنقاداً حيثُ قِيدَ ، آكان الصدقُ هو ذلك ، ولا يُعتبرُ بالمقاييس ، فإنه لو أراد أن يقوده الصدقُ لم يَنقَدْ له ، وذلك أن رجلاً لو قال : أتأمرني أن أصدقَ فلا أ كذبَ كذبةً أبداً ، لكان جوابه أن يقول : نعم ، ثم لو التمسَ منه قَوْدَ<sup>(١)</sup> ذلك فقال : أأصدقُ في كذا وكذا ، حتى يَبْلُغَ به أن يقول : أصدقُ في رجل هارب ، استدائى عليه طالبٌ ليظلمه فيقتله ، لكسَرَ عليه قيادته ، وكان الرأي له أن يترك ذلك ، وينصرفَ إلى المُجْتَمَعِ عليه المعروفِ المستحسنِ .

ومما يُذكرُ به أميرُ المؤمنين أهلُ الشام ، فإنهم أشدُّ الناسِ مُؤثَةً ، وأخوفهم عداوةً وبائقةً ، وليس يؤاخذهم أميرُ المؤمنين بالعداوة ، ولا يَطْمَعُ منهم في الاستجماع على المودةِ ، فمن الرأي في أمرهم أن يختصَّ أميرُ المؤمنين منهم خاصةً ، ممن يرجو عنده صلاحاً ، أو يعرفُ منه نصيحةً أو وفاءً ، فإن أولئك لا يلبثون أن ينفصلوا عن أصحابهم في الرأي والهوى ، ويدخلوا فيما حُلوا عليه من أمرهم ، فقد رأينا أشباه أولئك من أهل العراق الذين استدخلهم أهلُ الشام ، ولكن أخذَ في أمر أهل الشام على القصاصِ<sup>(٢)</sup> . حُرِّموا كما كانوا يحرمون الناسَ ، وجُعِلَ فيئثمُ إلى غيرهم كما كان في غيرهم إليهم ، ونُحُوا عن المنابر والمجالس والأعمال كما كانوا يُنحون عن ذلك من لا يجهلون فضله في السابقة والموضع ، ومُنِعَتْ منهم المرافقُ كما كانوا يمنعون الناسَ أن ينالوا معهم أكلةً من الطعام الذي يصنعه أمراؤهم للعامَّةِ ، فإذا رَغِبَ أميرُ المؤمنين بنفسه عن هذه السيرة وما أشبهها ، فلم يعارض<sup>(٣)</sup> ما عابَ ، ولم يُبَدِّلْ ما سَخِطَ ؟ كان العدلُ أن يقتصرَ بهم على فيئثمِهم ، فيجعلَ ما خرج من كور الشام فضلاً عن النفقاتِ ،

(١) القود : ، والمعنى أن يتابع الصدق في كل ما يقول .

(٢) في الأصل « وليس أحد في أمر أهل السلم على القصاص » وقد أصلته كما ترى .

(٣) أي لم يأتى بمثله .

وما خرج من مصر فضلاً عن حقوق أهل المدينة ومكة ، بأن يجعل أمير المؤمنين ديوان مُقَاتِلَتِهِمْ ديوانهم ، أو يزيد ، أو ينقص ، غير أنه يأخذ أهل القوة والغناء<sup>(١)</sup> وخِفَّةِ المُوْتَةِ والخِفَّةِ فِي الطَّلَاعَةِ ، وَلَا يَفْضَلُ أَحَدًا مِنْهُمِ عَلَى أَحَدٍ ، إِلَّا عَلَى خَاصَّةٍ مَعْلُومَةٍ ، وَيَكُونُ الدِّيْوَانُ كَالغَرَضِ الْمُسْتَأْنَفِ ، وَيَأْمُرُ لِسُكْلِ جَنْدٍ مِنْ أَجْنَادِ أَهْلِ الشَّامِ بَعْدَهُ مِنَ الْعِيَالِ يَفْتَرِعُونَ عَلَيْهَا ، وَيُسَوِّى بَيْنَهُمْ فِيمَا لَمْ يَكُونُوا أَسْوَةً فِيهِ فَيَمْنِ مَاتَ مِنْ عِيَالَتِهِمْ ، وَلَا يُضَيِّعُ أَحَدًا<sup>(٢)</sup> مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَمَّا مَا يَتَخَوَّفُ الْمُتَخَوِّفُونَ مِنْ نَزَوَاتِهِمْ ، فَلَعَمْرِي لَنْ أُخِذُوا بِالْحَقِّ - وَلَمْ يُوْخَذُوا بِهِ - إِنْهُمْ نُحْلَقَاءُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَزَوَاتٌ وَنَزَقَاتٌ<sup>(٣)</sup> ، وَكُنَّا عَلَى مِثْلِ الْيَقِينِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ يَشْرِكُوا بِذَلِكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ، وَأَنَّ الدَّائِرَةَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ آخِرَ الدَّهْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْرُجِ الْمَلِكُ مِنْ قَوْمٍ إِلَّا بَقِيَّتْ فِيهِمْ بَقِيَّةٌ يَتَوَثَّبُونَ بِهَا ، ثُمَّ كَانَ ذَلِكَ التَّوَثُّبُ هُوَ سَبَبُ اسْتِنْصَالِهِمْ وَتَدْوِيحِهِمْ .

وَمَا يُذَكِّرُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرُ أَصْحَابِهِ ، فَإِنْ مِنْ أَوْلَى أَمْرِ الْوَالِي مِنْهُ بِالتَّثْبُتِ وَالتَّحْيِيرِ ، أَمْرُ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ بِهَا فِي نَائِهِ<sup>(٤)</sup> ، وَزِينَةُ مَجْلِسِهِ ، وَأُسْنَةُ رَعِيَّتِهِ ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى رَأْيِهِ ، وَهَوَاضِعُ كِرَامَتِهِ ، وَالْخَاصَّةُ مِنْ عَامَّتِهِ ، فَإِنْ أَمْرُ هَذِهِ الصَّحَابَةِ قَدْ عَمِلَ فِيهِ مَنْ كَانَ وَلِيَهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ<sup>(٥)</sup> وَالْكِتَابَ قَبْلَ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمَلًا قَبِيحًا مُفْرِطَ الْقُبْحِ ، مُفْسِدًا لِلْحَسَبِ وَالْأَدَبِ وَالسِّيَاسَةِ ، دَاعِيًا لِلأَشْرَارِ ، طَارِدًا لِلأَخْيَارِ ، فَصَارَتْ حَبِيبَةُ الْخَلِيظِ<sup>(٦)</sup> أَمْرًا سَخِيْفًا ، فَطَمِعَ فِيهِ الأَوْغَادُ ، وَتَزَهَّدَ فِيهِ مَنْ كَانَ يَرْغَبُ فِيهَا دُونَهُ ، حَتَّى إِذَا لَقِينَا<sup>(٧)</sup> أَبَا الْعَبَّاسِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - وَكُنْتُ فِي نَاسٍ مِنْ صُلَحَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

(١) الغناء : الكفاية . (٢) في الأصل « ولا يصنع بأحد » وأراه محرفاً .

(٣) نزوات جمع نزوة كوردة ، فعلة من النزو بالسكون وهو الوثوب ، ونزقات جمع نزقة كنزوة أيضاً ، فعلة من النزق بالسكون ، نزق الفرس كسمع ونصر وضرب نزقا ونزوقا : نزا أو تقدم خفة ووثب ، أو من النزق بالتحريك ، نزق كفرح : طاش وخف عند الغضب .

(٤) فناء الدار : ما اتسع من أمامها . (٥) في الأصل « الوزارة » وهو تحريف .

(٦) الخايظ : الشريك والمخالط . (٧) في الأصل « التقينا » وهو تحريف .

ووجوههم ، فكنت في عصابة منهم أبوا أن يأتوه ، فمنهم من تغيب فلم يقدم ، ومنهم من هرب بعد قدومه ، اختياراً للمعصية على سوء الموضع ؛ لا يعتذرون في ذلك إلا بضياع المكتب<sup>(١)</sup> والدعوة والمدخل ، يقولون : هذه منزلة كان من هو أشرف من أبنائنا يرغبون فيما هو دونها عند من هو أصغر أمراء ولاتنا اليوم ، ولكنها قد كانت مكرمة وحسباً ، إذ الناس ينظرون ويُسأل عنهم ، فأما اليوم ونحن نرى فلانا وفلانا يُنفر<sup>(٢)</sup> بأسمائهم - على غير قديم سلف ، ولا بلاه حدث ، فمن يرغب فيما هاهنا يا أمير المؤمنين - أكرمك الله - ؟ أما يصير العدل كله إلى تقوى الله عز وجل ، وإنزال الأمور منازلها ، فإن الأول قال :

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لِمَرْأَةٍ لَهُمْ وَلَا صِرَاةَ إِذَا جِهَاهُمْ سَادُوا  
وقال :

مُمْ سَوَّدُوا نَصْرًا ، وَكُلُّ قَبِيلَةٍ يُبَيِّنُ عَنْ أَحْلَامِهَا مَنْ يَتَوَدُّهَا

وإن أمر هذه الصحابة قد كان فيه أعجيب ، دخلت فيه مظالم ، أما العجب فقد سمعنا من الناس من يقول : ما رأينا أعجوبة قط أجب من هذه الصحابة ، ممن لا ينتهي إلى أدب ذي نباهة ، ولا حسب معزز ، ثم هو مسخوط الرأي ، مشهور بالفجور في أهل مصر<sup>(٣)</sup> ، قد غير عامة دهره صناعاً يعمل بيده ، ولا يتد مع ذلك ببلاء ولا غناء ، إلا أنه مكته من الأمر صاغ<sup>(٤)</sup> ، فاحتوى حيث أحب ، فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار ، وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب ، ويجرى عايه من الرزق الضعف مما يجري على كثير من بني هاشم ،

(١) يريد به منزلة الكتابة ومكانة الكاتب .

(٢) أي ينهب بها ، والمعنى ترفع منازلهم وتعل مكانهم .

(٣) في الأصل « في أهل مصر » وهو تحريف .

(٤) صاغ إليه كسى وقد وفرح : مال ، أي شخص يعيل إليه ويفرجه .

وغيرهم من سرّوات<sup>(١)</sup> قريش، وَيُخْرِجُ لَهُ من المَعُونَة على نحو ذلك، لم يضعه بهذا  
الموضع رِعاية رَحِمٍ، ولا فِقَه في دين، ولا بلاء في مجاهدة عدوّ معروف ماضية  
مقتابعة قديمة، ولا غنّاء حديث، ولا حاجة إليه في شيء من الأشياء، ولا عدّة  
يستمدّ بها، وليس بفارس ولا خطيب ولا علامة، إلا أنه خدّم كاتباً أو حاجباً،  
فأخبر أن الدين لا يقوم إلا به، حتى كتب كيف شاء، ودخل حيث شاء.

وأما المظالم التي دَخَلَتْ في ذلك فمظيمة، قد خصّت قريشاً وعمّت كثيراً من  
الناس، وأدخلت على الأحساب والمروءات محنة شديدة وضياعاً كثيراً، فإن في إذن  
الخليفة والمدخل عليه والمجلس عنده، وما يُجرى على صحابته من الرزق والمعونة،  
وتفضيل بعضهم على بعض في ذلك، حُكماً عظيماً على<sup>(٢)</sup> الناس في أنسابهم وأخطارهم  
وبلاء أهل البلاء منهم، وليس ذلك كخصائص المعروف ولطيف المنازل، أو الأعمال  
التي يختص بها المولى من أحب، ولكنه باب من القضاء جسم عام يُقضى فيه للماضين  
من أهل السوابق والمآثر من أهل الباقين، وأهل البلاء والغناء بالعدل أو بما يُحال  
فيه عليهم، فإن أحقّ المظالم بتعجيل الرفع والتغيير، ما كان ضرراً عابثاً، وكان للسلطان  
شائناً، ثم لم يكن في رفعه مؤنة، ولا شغب، ولا توغیر لصدور<sup>(٣)</sup>، عامة، ولا للقوة  
والإضرار<sup>(٤)</sup> سبب.

وإصحابة أمير المؤمنين - أكرمه الله - مزية وفضل، وهي مكرمة سيّدة حرّية  
أن تكون شرفاً لأهلها، وحسباً لأعقابهم، حقيقة أن تصان وتُحظر، ولا يكون  
فيها إلا رجل بدر<sup>(٥)</sup> بخصلة من الخصال، أو<sup>(٦)</sup> رجل له عند أمير المؤمنين خاصّة  
بقرابة أو بلاء، أو رجل يكون شرفه ورأيه وعمله أهلاً لمجلس أمير المؤمنين وحديثه

(١) سرّوات جمع سرّاة بالفتح، وسرّاة اسم جمع سرى كغنى، وصف من السرو بالفتح، وهو  
المروءة في شرف.

(٢) في الأصل « هل أن الناس » وكلمة « أن » لا لزوم لها في الجملة، والظاهر أنها وقعت سهواً.

(٣) في الأصل « بصدور » وهو تحريف، (٤) وفيه « ولا إضرار » وهو تحريف.

(٥) بدر إليه : عجل وسبق. (٦) في الأصل « ومن رجل » وهو تحريف.

ومشورته ، أو صاحبُ بجدة يُعرف بها ويستعدُّ لها ، يجمع بجدته حسباً وعفافاً ، فيُرَقَم من الجند إلى الصحابة أو رجلٍ فقيهٍ مُصَلِحٍ يوضع بين أظهرِ الناس لينتقموا بصلاحه وقيمته ، أو رجلٍ شريفٍ لا يُفسد نفسه أو غيرها ، فأما من يتوسَّل بالشفاعات فإنه يكتفي أو يكتفي له بالمعروف والبر فيما لا يهجن رأياً ، ولا يُزيلُ أمراً عن مرتبته ، ثم تكون تلك الصحابة المخلصة على منازلها ، ومداخلها ، لا يكون للكاتب فيها أمرٌ في رَفْعِ رِزْقٍ ولا وَضْعِهِ ، ولا للحاجب في تقديم إذن ولا تأخيرهِ .

ومما يذكر به أمير المؤمنين ، أمرُ فتیانِ أهل بيته وبنى أبيه وبنى عليّ وبنى العباس ، فإن فيهم رجالاً لو مُتَّموا بحسام الأمور والأعمال سدُّوا وجوهاً ، وكالوا عُدَّةً لأخرى .

ومما يذكر به أمير المؤمنين ، أمرُ الأرض والخراج ، فإن أجسمَ ذلك وأعظمه خطراً ، وأشدَّه مؤثمةً وأقربه من الضياع ، ما بين سهل وجبَله ، ليس لها تفسير على الرساتيق<sup>(١)</sup> والقرى ، فليس للعمال أمر ينتهون إليه ، ولا يحاسبون عليه ، ويحول بينهم وبين الحكم على أهل الأرض بعد ما يتأثنون لها في العارة ، ويرجون لها فضلَ هاتَمَلُ أيديهم ، فسيرة العمال فيهم إحدى ثنيتين : إما رجلٌ أخذ بالخرق<sup>(٢)</sup> والعنف من حيث وجد ، وتتبع الرجال والرساتيق بالمغالاة ممن وجد ، وإما رجلٌ صاحبُ مساحةٍ ، يستخرج ممن زرع ، ويترك من لم يزرع ، فيعمر من عمر<sup>(٣)</sup> ، ويسلم من أخرج ، مع أن أصول الوظائف<sup>(٤)</sup> على الكور لم يكن لها ثبت<sup>(٥)</sup> ، ولا علم ، وليس من كورة إلا وقد غيّرت وظيفتها مراراً ، تخففت وظائف بعضها ، وبقيت وظائفُ بعض ، فلو أن أمير المؤمنين أعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى والأرضين

(١) الرساتيق : جمع رستاق بالضم ، ويستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم ، معرب .  
(٢) الخرق بالضم وبالتحريك : ضد الرفق ، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور . والخرق .  
(٣) يعمر هنا معناه : يدفع ، أي يعمر خزانة الدولة من عمر الأرض .  
(٤) أي القدرات . (٥) شيء ثبت : ثابت ، أي ليس لها قانون ثابت يجري فيها على مقتضاه .

وظائف معلومة ، وتدوين الدواوين بذلك ، وإثبات الأصول ، حتى لا يؤخذ رجل إلا بوظيفة قد عرفها وضمنها ، ولا يجتهد في عمارة إلا كان له فضلها ونفعها ، لرجونا أن يكون في ذلك صلاح للرعية ، وعمارة للأرض ، وحسم لأبواب الحياة وغشم<sup>(١)</sup> العمال ، وهذا رأى مؤنته شديدة ، ورجاله قليل ، ونفعه متأخر ، وليس بعد هذا في أمر الخراج إلا رأى قد رأينا أمير المؤمنين أخذ به ، ولم نره من أحد قبله ، من تخيير العمال وتفقدهم والاستعتاب<sup>(٢)</sup> لهم ، والاستبدال بهم .

وما يذكر به أمير المؤمنين ، جزيرة العرب من الحجاز واليمن واليمامة وما سوى ذلك ، أن يكون من رأى أمير المؤمنين - إذا سخط نفسه عن أموالها من الصدقات وغيرها - أن يختار لولايتها الخیار من أهل بيته وغيرهم ، لأن ذلك من تمام السيرة العادلة ، والكلمة الحسنة التي قد رزق الله أمير المؤمنين وأكرمته بها ، من رأى الذي هو بإذن الله حي ونظام لهذه الأمور كلها في الأمصار والأجناد والثغور والكور .

إن بالناس من الاستجراح<sup>(٣)</sup> والفساد ما قد علم أمير المؤمنين ، وبهم من الحاجة إلى تقويم آدابهم وطرائقهم ما هو أشد من حاجتهم إلى أقواتهم التي يعيشون بها ، وأهل كل مصر وجند وثغر فقراء إلى أن يكون لهم من أهل الفقه والسنة والسير والنصيحة مؤدبون موقنون يذكرون ، ويصرون<sup>(٤)</sup> الخطأ ، ويعظون من الجهل ، ويمنعون عن البدع ، ويحذرون الفتن ، ويتفقدون أمور عامة من هو بين أظهرهم ، حتى لا يخفى عليهم منها مهم ، ثم يستصلحون ذلك ويعالجون ما استنكروا منه بالرأى والرفق والنصح ، ويرفعون ما أعيام إلى ما يرجون قوته عليهم<sup>(٥)</sup> ، مأمونين على سير ذلك وتخصيصه ، بصراه بالرأى حين يبدو ، وأطباء باستنصاله قبل أن يتمكن ، وفي كل

(٢) استعته . استرضاه .

(١) الغشم : الظلم .

(٣) الاستجراح : الفساد والعيب ، وفي الأصل « الاستخراج » وهو تصحيف .

(٤) بصره الأمر : فهمه إياه .

(٥) كذا في الأصل ، والأظهر أن يكون « قوتهم عليه » .

قَوْمٍ خَوَاصُّ رِجَالٍ عِنْدَهُمْ عَلَى هَذَا مَعُونَةٌ ، إِذَا صُنِعُوا لِلذَّكَ ، وَتَلَطَّفَ لَهُمْ ، وَأَعِينُوا عَلَى رَأْيِهِمْ ، وَقُوُّوا عَلَى مَعَاشِهِمْ بِبَعْضِ مَا يَفْرَغُهُمْ لِذَلِكَ وَيَبْسُطُهُمْ لَهُ ، وَخَطَرٌ<sup>(١)</sup> هَذَا جَسِيمٌ فِي أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا رَجُوعُ أَهْلِ الْفَسَادِ إِلَى الصَّلَاحِ ، وَأَهْلِ الْفُرْقَةِ إِلَى الْإِلَافَةِ . وَالْأَمْرُ الْآخِرُ أَنْ لَا يَتَحَرَّكَ مَتَحَرِّكَ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْعَامَّةِ إِلَّا وَعَيْنٌ نَاصِحَةٌ تَرْمِئُهُ ، وَلَا يَهْمِسُ هَامِسٌ إِلَّا وَأُذُنٌ شَفِيقَةٌ تُصَيِّخُ<sup>(٢)</sup> نَحْوَهُ ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْ أَهْلُ الْفَسَادِ عَلَى تَرْبِيضِ<sup>(٣)</sup> الْأُمُورِ وَتَلْقِيحِهَا ، وَإِذَا لَمْ تُلَقَّحْ كَانَ نِتَاجُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ مَا أَوْنَا .

وَقَدْ عَلِمْنَا عِلْمًا لَا يَخَالُطُهُ شَكٌّ أَنَّ عَامَّةً قَطَّ لَمْ تَصْلُحْ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهَا ، وَلَمْ يَأْتِهَا الصَّلَاحُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ خَاصَّتِهَا ، وَأَنْ خَاصَّةً قَطَّ لَمْ تَصْلُحْ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهَا ، وَأَنْهَا لَمْ يَأْتِهَا الصَّلَاحُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ إِمَائِهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عِدَدَ النَّاسِ فِي ضَعْفَتِهِمْ<sup>(٤)</sup> وَجَهَالَتِهِمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَفْتُونَ بِرَأْيِ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَا يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ فِي الْأُمُورِ ، فَإِذَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ خَوَاصًّا مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْعُقُولِ ، يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ وَيَسْمَعُونَ مِنْهُمْ ، وَاهْتَمَّتْ خَوَاصُّهُمْ بِأُمُورِ عَوَامَّتِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهَا بِجِدِّ وَنُصْحٍ وَمُثَابَرَةٍ وَقُوَّةٍ ، جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ صَلَاحًا لِمَجَاعَتِهِمْ ، وَسَبَبًا لِأَهْلِ الصَّلَاحِ مِنْ خَوَاصَّتِهِمْ ، وَزِيَادَةً فِي مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَبِلَاغًا إِلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَحَاجَةً الْخَاصَّةَ إِلَى الْإِمَامِ الَّذِي يُصَلِّحُهُمُ اللَّهُ بِهِ كَحَاجَةِ الْعَامَّةِ إِلَى خَوَاصَّتِهِمْ وَأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ ، فَبِالْإِمَامِ يَجْمَعُ اللَّهُ أَمْرَهُمْ ، وَيَكْتَبُ<sup>(٥)</sup> أَهْلَ الطَّمَنِ عَلَيْهِمْ ، وَيَجْمَعُ رَأْيَهُمْ وَكَلِمَتَهُمْ ، وَيَبَيِّنُ لَهُمْ عِنْدَ الْعَامَّةِ مَنَازِلَهُمْ ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ الْحُجَّةَ وَالْأَيْدِ<sup>(٦)</sup> وَالْمَقَالَ عَلَى مَنْ نَكَبَ<sup>(٧)</sup> عَنْ سَبِيلِ حَقِّهِمْ .

فَلَمَّا رَأَيْنَا هَذِهِ الْأُمُورَ يَنْتَظِمُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، وَعَرَفْنَا مِنْ أَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَمَثَلُهُ جَمْعُ اللَّهِ خَوَاصَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي حَسَنِ الْمَعَاوَنَةِ وَالْمُؤَاوَزَةِ وَالسَّمْعِ فِي صَلَاحِ عَامَّتِهِمْ :

- (١) الخطر : القدر .  
 (٢) أصاخ له : استمع .  
 (٣) من تربيض السقاء : وهو أن يجعل ما فيه يفرق قعره .  
 (٤) ضعفة : جمع ضيف كضفاف .  
 (٥) كتبه : أخزاه وأذله وورده بفيظه .  
 (٦) الأيد : القوة .  
 (٧) أي مال وعدل .

حَطَمْنَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَطَمَعْنَا فِيهِ لِعَامَّتِهِمْ ، وَرَجَوْنَا أَلَّا يَعْمَلَ بِهَذَا الْأَمْرِ أَحَدٌ إِلَّا رَزَقَهُ اللَّهُ الْمَتَابَةَ فِيهِ ، وَالْقُوَّةَ عَلَيْهِ ، فَإِنِ الْأَمْرُ إِذَا أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ جَعَلَ لِلْقَائِلِ مَقَالًا ، وَهَيَّأَ لِلسَّاعِي نَجَاحًا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَهُوَ رَبُّ الْخَلْقِ ، وَوَلِيُّ الْأَمْرِ يَقْضِي فِي أُمُورِهِمْ ، يَدَبِّرُ أَمْرَهُ بِقُدْرَةِ عَزِيزَةٍ ، وَعِلْمٍ سَابِقٍ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَعْزِمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمَرَّاشِدِ ، وَيَحْصِنَهُ بِالْحَفِظِ وَالثَّبَاتِ وَالسَّلَامِ ، وَفِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ .

( اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ١٨٢ )

## ٢٨ - الرسالة اليتيمة لابن المنقفع

وقال ابن طيفور في اختيار المنظوم والمنثور أيضاً :

ومن الرسائل المفردات اللواتي لانظير لها ولا أشباه ، وهي أركان البلاغة ، ومنها استتقى البلغاء ، لأنها نهاية في المختار من الكلام ، وحسن التأليف والنظام ، والرسالة التي لابن المنقفع اليتيمة ، فإن الناس جميعاً مجمعون أنه لم يعبر أحد عن مثلها ، ولا تقدمها من الكلام شيء قبلها ، ولم نكتبها على تمامها لشهرتها وكثرتها في أيدي الرواة لها ، فمن أصولها قوله في صدرها :

« وقد أصبح الناس - إلا قليلاً - ممن عصم الله - مدخواين منقوصين ، فقائلهم باغ ، وسامعهم عيب ؛ سائلهم متعنت ، ومجيبهم متكلف ، وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل ، وموعوظهم غير سليم من الهزء والاستغفاف ، ومستشيرهم غير موطن نفسه على إنفاذ ما يشار به عليه ، ومصطبر للحق مما يسمع ، ومستشارهم غير مأمون على الغش والخد ، وأن يكون منهما كاللستر ، مشيعاً للفاحشة ، مؤثراً للهوى ، والأبين منهم غير متحفظ من ائتمان الخونة ، والصدوق غير محترس من حديث الكذبة ، وذو الدين غير متورع عن تفريط النجرة ، يتقارضون الثناء ، ويترقبون الذوان ، ويعيبون بالهمز ، يكاد أحزمتهم رأياً يلفته عن ربه أدنى الرضا وأدنى



وأدنى السُّخْطِ ، وكاد أُمَّةٌ هُمُ عُوْدًا أَنْ تَسْحِرَهُ الْكَلِمَةُ ، وَتُسْكِرَهُ (١) اللَّحْظَةُ ،  
 وَقَدْ ابْتُلِيَتْ أَنْ أكون قَائِلًا ، وَابْتُلِيْتُمْ أَنْ تَكُونُوا سَامِعِينَ ، وَلَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ  
 إِلَّا مَا انْتَفَعَ بِهِ ، وَلَا يُنْتَفَعُ إِلَّا بِالصِّدْقِ ، وَلَا صِدْقَ إِلَّا مَعَ الرَّأْيِ ، وَلَا رَأْيَ إِلَّا  
 فِي مَوْضِعِهِ وَعِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، فَإِنْ خَيْرَ الْقَائِلِينَ مَنْ لَمْ يَكُنْ الْبَاطِلُ غَايَتَهُ ، ثُمَّ لَزِمَ الْقَصْدَ  
 وَالصَّوَابَ ، وَخَيْرَ السَّامِعِينَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ سُوءًا وَلَا رِيَاءً ، وَلَمْ يَتَّخِذْ مَا يَسْمَعُ عَوْنًا  
 عَلَى دَفْعِ الْهَدْيِ ، وَلَا بُلْغَةً إِلَى حَاجَةِ دُنْيَا ، فَإِنْ اجْتَمَعَ الْقَائِلُ وَالسَّامِعُ : أَنْ يُرْزَقَ  
 الْقَائِلُ مِنَ النَّاسِ مِقَّةً وَقَبُولًا عَلَى مَا يَقُولُهُ ، وَيُرْزَقَ السَّامِعُ انْتِعَازًا بِمَا يَسْمَعُ فِي أَمْرِ  
 دُنْيَا ، وَقَدْ صَلَّحَتْ نِيَّاتُهُمَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ ، فَعَسَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي يُبَلِّغُهُ  
 اللَّهُ عِبَادَتَهُ ، وَيَعْجَلُ لَهُمْ مِنْ حَسَنَةِ الدُّنْيَا مَا لَا يَحْرِمُهُمْ (٢) مِنْ حَسَنَةِ الْآخِرَةِ ، كَمَا أَنَّ  
 الْمُرِيدَ بِكَلَامِهِ أَنْ يُعْجِبَ النَّاسَ ، قَدْ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ : حَرَمَانُ مَا طَلِبَ مَعَ سُوءِ النِّيَّةِ ،  
 وَخَلُّ الْوِزْرِ ، وَقَدْ وَافَقْتُمْ مَنِي مَسَارَعَةً فِيمَا سَأَلْتُونِي مِنْ غَيْرِ مَعَاوِدَةٍ فِي أَشْبَاهِهِ ، وَلَكِنْ  
 اسْتَطَالَ النَّاسُ فِي جَسِيمِ أُمُورِهِمْ وَإِنْفِازِ الطَّوَالِعِ (٣) ، وَلَمْ يَبْرَحْ يُطَّلَعُ مَنِي فِي ذَلِكَ  
 احْتِسَابُ الْخَيْرِ فِيمَا بَلَّغَتْهُ الْقُوَّةُ مَنِي فِي ذَلِكَ ، طَمَعًا فِي أَنْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ مِنْ يَشَاءُ ،  
 فَإِنَّهُ مَا يَشَاءُ يَقَعُ .

أَمَّا سُؤَالُكُمْ عَنِ الزَّمَانِ ، فَإِنَّ الزَّمَانَ النَّاسُ ، وَالنَّاسُ رِجَالَانِ : وَالْمَوَالِي  
 عَلَيْهِ ، وَالْأَزْمَنَةُ أَرْبَعَةٌ عَلَى اخْتِلَافِ حَالَاتِ النَّاسِ .

فِيخِيَارُ الْأَزْمَنَةِ : مَا اجْتَمَعَ فِيهِ صَالِحُ الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ ، فَكَانَ الْإِمَامُ مُؤَدِّيًا إِلَى  
 الرَّعِيَّةِ حَتْمًا فِي الرَّدِّ عَنْهُمْ ، وَالْمُغِيْظِ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَالْجِهَادِ مِنْ وَرَاءِ بَيْضَتِهِمْ ،  
 وَالِاخْتِيَارِ لِحُكْمَانِهِمْ ، وَتَوَلِيَةِ صُلَحَائِهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ ، وَإِفَاضَةِ الْأَمْنِ

(١) فِي الْأَصْلِ « وَتُسْكِرُهُ » وَأَرَاهُ مَحْرَفًا .

(٢) فِي كِتَابِ اللُّغَةِ أَنَّ حَرَمَ يَتَعَدَّى إِلَى اثْنَيْنِ فَيُقَالُ : حَرَمَهُ الشَّيْءُ .

(٣) الطَّوَالِعُ : جَمْعُ طَالَعٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَجَاوِزُ الْمَدْفِعَ وَيَقَعُ وَرَاءَهُ ، وَالْمَعْنَى : جَاوَزْتَهُمُ الْمُدُودَ  
 وَتَعَدَّيْتَهُمْ .

فيهم والمتابعة في الحق<sup>(۱)</sup> لهم ، والعدل في القسمة بينهم ، والتمويم لأودهم ، والأخذ لهم بحقوق الله عز وجل عليهم ، وكانت الرعية مؤدبة إلى الإمام حقه في المودة والمناحة والمخالطة ، وترك المنازعة في أمره ، والصبر عند مكروه طاعته ، والمعونة له على أنفسهم ، والشدة على من أخل بحقه وخالف أمره ، غير مؤثرين في ذلك آباءهم ولا أبناءهم ، ولا لايسين<sup>(۲)</sup> عليه أحدا ، فإذا اجتمع ذلك في الإمام والرعية ، تم صلاح الزمان ، وبنعمة الله تتم الصالحات .

ثم إن الزمان الذي بليه : أن يصلح الإمام نفسه ويفسد الناس ، ولا قوة بالإمام مع خذلان الرعية ومخالفتهم وزهدهم في صلاح أنفسهم ، على أن يبلغ ذات نفسه في صلاحهم ، وذلك أعظم ما تكون نعمة الله على الوالي ، وحجة الله على الرعية بواليتهم ، فبالحرى أن يؤخذوا بأعمالهم ، وما أخلقهم أن تصيبهم فتنة أو عذاب أليم ! والزمان الثالث صلاح الناس وفساد الوالي ، وهذا دون الذي قبله ، فإن لولاية الناس يداً في الخير والشر ، ومكانا ليس لأحد ، وقد عرفنا فيما يُعتبر به أن ألف رجل كلهم مُفسدٌ وأميرهم مُصلِحٌ ، أقلُّ فساداً من ألف رجل كلهم مُصلِحٌ وأميرهم مُفسدٌ ، والوالي إلى أن يصالح الله به الرعية أقرب من الرعية إلى أن يُصلح الله بهم الوالي ، وذلك لأنهم لا يستطيعون معاتبته وتقويمه ، مع استطالته بالسلطان ، والحمية التي تعلوه . وشر الزمان : ما اجتمع فيه فساد الوالي والرعية ، وتلك كارثة<sup>(۳)</sup> لم يتهادم عهد كورها ، ولم تغف عنكم آثارها ، وكل هذه الطباق من الشدة والرخاء فيما يبتلى الله عز وجل به عباده ، يجزأ معدة ، وكلمة سابقة ، قال الله عز وجل : « وَنَبَلُّوكم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » فقولي في هذا الزمان : إنه إلا بكن خير

(۱) في الأصل « و الخاق » وهو تحريف .

(۲) يقال : لبست القوم : أي تليت بهم ذمرا ، قال الجعدي :

لبست أناسا فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناسا

(۳) في الأصل « كارهة » وهو تحريف ، وقد أصلحت في هامشه « كازمة » أي كاسرة بجناحه

من كرمه بتقديم فكه كضرب : أي كسره واستخرج ما فيه ليا كله .

الأزمان ، فليس على واليكم ذنب ، وإلاّ يكن شرّ الأزمان ، فليس لكم حمدُ ذلك ، غيرَ أنا بحمد الله قد أصبحنا نرجو لأنفسنا الصلاح بصلاح إمامنا ، ولا نخاف عليه الفساد بفسادنا ، وقد رأينا حظّه من الله عز وجل في الثبوت والعصمة ، فلم يبرح الله يزيدنا خيرا ، ويزيد به رعيته مَدْ ولاءً ، فعندنا من هذا وثائق من عبر وبيّنات . ومحتسب من الله عز وجل أن لا يزال إمامنا يسارع في مرضاة ربه ، بالاستصلاح لرعيته . والصبر على ما يستنكر منهم ، وقلة المؤاخذة لهم بذنوبهم ، حتى يقرب الله له بصلاحه قلوبهم ويفتح له أسماعهم وأبصارهم ، فيجمع ألفتهم ، ويقوم أودهم ، ويلزمهم صراشد أمورهم ، وتتم نعمة الله على أمير المؤمنين ، بأن يصلح له وعلى يديه ، فيكون نوار عيئة خير راعٍ ، ويكون راعي خير رعية ، إن شاء الله وبه الثقة .

والذي أصبحنا نحمد من أمير المؤمنين كثير ، أنا ذكركم ما تيسر منه ، وإلى هذا سبق الحديث ، وهو [ قيامه على ] رعاية العهد وجحد الجحدية ، وفيه استبطن المستبطنون ، ولهم المليمون<sup>(۱)</sup> ، فإن المستبطنين في التنصير لأكثر من المستبطنين في الإنكار ، فإنما قلنا نلقى من أهل العقل والمعاينة منكرًا لنعمة الله بأمر المؤمنين على المسلمين إذا ذكر ذلك ووقف عليه ، وفأما نلقى إلا متصرا من ناطق أو صامت . ولم تصبحوا معاتبين على ما جهلتم من حق أمير المؤمنين وفضله في سير الأمور حين أقبلت ، فإن الأمر في مستقبله مما يستبهم على ذوى العقول ، وتشهد فيه خيرتهم ، لما يشتهر عندهم ببعض ما يتذكرون مما مضى : من أمور لم يكن لها تمام ، وأخرى تمت فلم تُحمد ، ولئن كان علم وصل إلى خاصة قوم ، ما على من قصر ذلك عنه لوم<sup>(۲)</sup> ، وإن كان ممن وصل ذلك إليه ، فأخذ به بحقه ، فضله بذلك ، فإذا آلت الأمور إلى مراتبها ، وحصل محصولها ، وصرحت عن تحضيها ، لم يكن في جهاتها

(۱) الام فهورمليم : أنى ما يلام عليه . (۲) في الأصل لو ورق ، وهو تحريف .

عذر ، ولا في تضييع حق ذي الحجة حجة ، ومن أشد جهلاً ، وأفظع عُذراً ، ممن لم يعرف النعمة ، ولم يقبل العافية ؟ نعوذ بالله أن نكون من الذين لا يعقلون .

فتفهموا ما أنا ذا كراكم ، وتدبروه بالحق والعدل ، فإن المرء ناظر بإحدى عيون ثلاث ، وهما الفاشتان والصادقة - وهي التي لا تكاد توجد - : عين مودة تُربيه القبيح حسناً ، وعين شنآن<sup>(۱)</sup> تربيه الحسن قبيحاً ، وعين عدل تربيه حسناً حسناً ، وقبيحاً قبيحاً .

فتفكروا فيما جمع الله لأمر المؤمنين في معدنه وفي سيرته ، وفيما ظاهر عليكم من النعمة والحق والحجة بذلك فيما عسى القائل أن يبتغى فيه المغز والمقال ، فلعمرى إن للشيطان من أهواء الناس وألفتهم في الأمر نصيباً ، وإنه مُستراحاً بينهم ، يستوفيهم أمنيته ، ويصدق عليهم ظنه ، ويوحى إليهم بكائده ، فجعل الله كيداً ضعيفاً ، وحزناً مغلوباً ، وجعله وإياهم نصيباً لجهنم من أجزائه المقسومة لأبوابها وخطبها ووقودها وخصبها<sup>(۲)</sup> ليعدل لها .

فمن كان سائلاً عن حق أمير المؤمنين في معدنه ، فإن أعظم حقوق الناس منزلة ، وأكرمها نسبة ، وأولاها بالفضل ، حق رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، وإمام الهدى ، ووارث الكتاب والنبوة ، والمهيمن<sup>(۳)</sup> عليهما ، وخاتم النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، بعنه الله بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، ثم هو باعنه يوم القيامة مقاماً محموداً ، شرع الله به دينه ، وأتم به نوره على عهده ، وبحق رهوس الضلالة ، وجبابرة الكفر ، وخوّلته الشفاعة ، وجعله في الرفيق الأعلى ، صلى الله عليه وسلم .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۱۶۰)

(۱) الشنآن: البغض والكراهية .

(۲) الحصب : الخطب : وما يرمى به في النار .

(۳) المهيمن : الأمين أو المؤمن أو الشاهد .

## ۲۹ - تحمید لابن المقفع

« الحمد لله ذی العظمة القاهرة ، والآلاء<sup>(۱)</sup> الظاهرة ، الذی لا یُعجزه شیء ولا یمتنع منه ، ولا یدفع قضاؤه ولا أمره » « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » والحمد لله الذی خلق الخلق بعلمه ، ودبّر الأمور بحُكمه ، وأنفذَ فیما اختار واصطفا منها عزومه ، بقدره منه علیها ، ومَلَکَتِهِ<sup>(۲)</sup> منه لها ، لامعقَّبِ الحُکْمِ ، ولا شریک له فی شیء من الأمور ، یخلق ما یشاء ویختار ، ما کان للناس الخیرة فی شیء من أمورهم ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

والحمد لله الذی جعل صفوة ما اختار من الأمور دینة الذی ارتضى لنفسه ، ولمن أراد کرامته من عباده ، فقام به ملائکته المقرَّبون ، یُعظَّمون جلاله ، ویقدِّسون أسماءه ، ویذکرون آلاءه ، لا یستخسرون<sup>(۳)</sup> عن عبادته ولا یتکبرون . یُسَبِّحُونَ اللَّیْلَ وَالنَّهَارَ لَا یَفْتُرُونَ ، وقام به من اختار من أنبیائه وخلفائه وأولیائه فی أرضه ، یطیعون أمره ، ویذُبُّونَ عن محارمه ، ویصدِّقون بوعدہ ، ویوفون بعهده ویأخذون بحقه ، ویجاهدون عدوه ، وكان لهم عند ما وعدهم من تصدیقه قولهم ، وإفلاجه<sup>(۴)</sup> حُجَّتِهِمْ ، وإعزازِهِ دینهم ، وإظهارِهِ حَقِّهِمْ ، وتمکینِهِ لهم ، وكان لِعَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ عندما أوعدهم من خزيه ، وإحلالِهِ بِأَمْرِهِمْ ، وانتقامِهِ منهم ، وغَضَبِهِ علیهم ، مَضَى عَلَى ذَلِكَ أَمْرُهُ ، وَنَفَذَ فِيهِ قَضَاؤَهُ فِيمَا مَضَى ، وَهُوَ مُمَضِّيهِ وَمُنْفِذُهُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَقِيَ ، لِيَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، وَیُحِقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ .

والحمد لله الذی لا یقفى فی الأمور ولا یدبّرُها غیره ، أبتدأها بعلمه ، وأمضاها بقدرته ، وهو وائِثها ومنتهاها ، وولی الخیرة فیها ، والإمضاء لما أحب أن یمضیَ منها ، یخلق ما یشاء ویختار ، ما کان لهم الخیرة سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

(۲) المَلَکَةُ : الملك .

(۴) أى نصره .

(۱) الآلاء : النعم .

(۳) أى لا یسیون ولا یعلون .

والحمد لله الفتح العليم ، العزيز الحكيم ، ذى المن والطول ، والقدرة والحول ،  
الذى لا تُمَسِكُ لِمَا فَتَحَ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا دَافِعَ لِمَا أَنْزَلَ بِأَعْدَائِهِ مِنْ نِقْمَتِهِ ،  
وَلَا رَادًّا لِأَمْرِهِ فِي ذَلِكَ وَقَضَائِهِ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ .

والحمد لله ، المُتَّيِّبُ بِحَمْدِهِ وَمِنْهُ ابْتِغَاؤُهُ ، وَالْمُنْعِمُ بِشُكْرِهِ وَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ ، وَالْمُتَّيِّبُ  
بِالْإِيمَانِ وَهُوَ عَطَاؤُهُ . ( اختيار المنظوم والنثور : ۱۳ : ۲۸۲ )

### ۳ - كتاب ابن المقفع إلى بعض إخوانه

وكتب ابن المقفع إلى بعض إخوانه :

« أما بعد ، فتعلم العلم ممن هو أعلمُ به منك ، وعلمه من أنت أعلمُ به منه ، فإنك  
إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت ، وحفظت ما علمت . »  
( أمالي السيد المرتضى ۱ : ۹۵ )

### ۳۱ - وله في وصف أحد إخوانه

ومن قوله يصف أخاه<sup>(۱)</sup> :

« إني مُخْبِرُكَ عَنْ صَاحِبِ لِي كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ فِي عَيْنِي ، وَكَانَ رَأْسَ مَا عَظَّمَهُ  
فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَتَشَهَّى مَا لَا يَجِدُ ،  
وَلَا يُكْتَبِرُ إِذَا وَجَدَ ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ قَرْجِهِ ، فَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ<sup>(۲)</sup> رِيَّةً ، وَلَا

(۱) وردت هذه القطعة في آخر الأدب الكبير لابن المقفع ، وإنما ذكرتها هنا لوقوع الاختلاف  
في نسبتها إليه ، فهي في الأدب الكبير وزهر الآداب تعزى إليه ، ونسبه الشريف الرضي في « نهج البلاغة  
ج ۲ : ص ۱۴۷ » إلى الإمام علي كرم الله وجهه ، ونسبها ابن قتيبة في « عيون الأخبار م ۲ : ص ۳۵۵ »  
إلى الحسن بن علي رضي الله عنه ، مع اختلاف في الرواية .

(۲) وفي زهر الآداب « فلا تدعوه إليه مؤنة » وأرى أن صوابه « فلا يدعوا إليه مؤنة » كما  
في رسائل البلاغ .

يستخف له رأياً ولا بدناً ، وكان لا يَأْشُرُ<sup>(۲)</sup> عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة ، وكان خارجاً من سلطان لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يُبَارِي<sup>(۳)</sup> فيما علم ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة ، فلا يتقدم أبداً إلا على ثقة بمنفعة ، وكان أكثر دهره صامتا ، إذا نطق ببد القائلين ، وكان يُرَى ضعيفا مستضعفا ، فإذا جدَّ الجدُّ فهو الليث عاديا ، وكان لا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ، ولا يُدلي بحجة حتى يرى قاضيا فهما وشهودا عدولا ، وكان لا يلوم أحدا على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره ، وكان لا يشكو وجعه إلا إلى من يرجو عنده البرء ، ولا يستشير صاحباً إلا من يرجون عنده النصيحة ، وكان لا يتبرم<sup>(۴)</sup> ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يتشهى ، وكان لا ينقم على الولي ، ولا يفعل عن العدو<sup>(۵)</sup> ولا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته .

فعليك هذه الأخلاق إن أطقتها - ولن تطيق - ولكن أخذ القليل خير من

ترك الجميع . ( الأدب الكبير من ۱۲۹ ، وزهر الآداب ۱ : ۲۲۴ )

### ۳۲ - كتاب ابن المقفع إلى صديق له يهنئه بمولودة

وكتب ابن المقفع إلى صديق له ، ولدت له جارية :

« بَارِكْ اللهُ لَكُمْ فِي الْأَبْنَةِ الْمُسْتَفَادَةِ ، وَجَعَلَهَا لَكُمْ زِينًا ، وَأَجْرِي لَكُمْ بِهَا خَيْرًا ، فَلَا تَكْرَهْنَهَا ، فَإِنَّهُنَّ الْأُمَّهَاتُ وَالْأَخَوَاتُ وَالْعَمَّاتُ وَالْخَالَاتُ ، وَمِنْهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ، وَرُبَّ غُلَامٍ سَاءَ أَهْلُهُ بَعْدَ مَسَرَّتِهِمْ ، وَرُبَّ جَارِيَةٍ فَرَّحَتْ أَهْلَهَا بَعْدَ

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۴ )

مساءتهم .

(۱) هذه الجملة وما بعدها واردتان في زهر الآداب الكبير ، وأشر كبطر وزنا ومعنى ، وفي زهر الآداب « لا يَأْشُرُ » وهو تحريف .

(۲) لا يجارى : لا يجادل ، وفي الأدب الكبير « ولا ينازع » .

(۳) يتبرم : يضجر . (۴) وفي زهر الآداب « ولا ينقم من العدو ، ولا يفعل عن الولي » .

### ۳۳ - كتابه يعزى عن ولد

وكتب تعزية عن ولد :

« أعظم الله على المصيبة أجرك ، وأحسن على جليل الرزء ثوابك ، وعجل لك الخلف فيه ، وذخر لك الثواب عليه . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۸ )

### ۳۴ - كتابه يعزى عن ولد

وكتب يعزى عن ولد أيضاً :

« إنما يستوجب على الله وعده ، من صبر لله بحقه ، فلا تجمعن إلى ما فوجعت به من ولدك ، الفجيرة بالأجر عليه والعوض منه ، فإنها أعظم المصبتين عليك ، وأنكى المرزئتين<sup>(۱)</sup> لك ، أخاف الله عليك بخير ، وذخر لك جزيل الثواب . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۸ )

### ۳۵ - كتابه يعزى عن بنت

وكتب يعزى عن ابنة :

« لا ينقص الله عددك ، ولا ينزع عنك نعمته التي البسك ، وأحسن العوض لك ، وجعل الخلف لك خيراً مما رزأك به ، وما أعطاك خيراً مما قبض منك . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۸ )

### ۳۶ - كتابه يعزى عن بنت

وكتب يعزى عن بنت أيضاً :

« جدد الله لك من هبته ما يكون خلفاً لك بما رزئته ، وعوضاً من المصيبة به ،

(۱) المرزئة والرزية والرزه : المصيبة .



وبرزقك من الثواب عليه أضعاف ما رزأك به منها ، فما أقلّ كثير الدنيا ، في قليل الآخرة ، مع فناء هذه ، ودوام تلك . ( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۱۸ )

### ۳۷ - كتاب تعزية له

وله تعزية أيضاً :

« أعظم الله أجرك في كل مصيبة ، وأوزعك<sup>(۱)</sup> الشكر على كل نعمة ، أعرف لله حقه ، وأعتصم بما أمر به من الصبر ، تظفر بما وعد من عظيم الأجر . »  
( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۱۸ )

### ۳۸ - كتاب آخر

وله أيضاً :

« أما بعد ، فإن أمر الآخرة والدنيا بيد الله ، هو يدبرهما ويقضى فيهما ما يشاء ، لا إراداً لقضائه ، ولا مقلباً لحكمه ، فإن الله خلق الخلق بقدرته ، ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة ، لئلا يطمع أحد من خلقه في خلد الدنيا ، ووقت لكل شيء ميقاتاً أجلاً ، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليس أحد من خلقه إلا وهو مستيقن بالموت ، لا يرجو أن يخلصه من ذلك أحد ، نسال الله خير المقلب . »

وباغنى وفاة « فلان » فكانت وفاته من المصائب العظام ، التي يحدث ثوابها من ربنا ، الذي إليه منقلبنا ومعادنا ، وعليه ثوابنا .

فعايك بتموى الله والصبر ، وحسن الغان بالله ، فإنه جعل لأهل الصبر صلوات منه ورحمة وجعلهم من المهتدين .  
( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۲۵ )

(۱) أى الهلك .

## ۳۹ - كتابه إلى صديق له يستقضيه حاجة

وكتب إلى بعض إخوانه يستقضيه حاجة :

« أما بعد ، فإن من قضي الحوائج لإخوانه ، واستوجبَ بذلك الشكرَ عليهم ، فليَنفِسه عَمَلِ لاهم ، والمعروفُ إذا وضع عند من لا يشكره فهو زرعٌ لا بدَّ ازارعه من حصاده ، أو لِعَقَبِهِ من بعده .

وكتبتُ إليك ، ولحالنا التي نحن بها فيما نذكر لك حاجةً ، أوَّلُ ما فيها معروفٌ ، تستوجبُ به الشكرَ علينا ، وتَدَّخِرُ به الأياديَ قِبَلَنَا .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۲ )

## ۴۰ - كتاب آخر

وكتب في استقضاء حاجة أيضاً :

« إن الناس لم يَغْدَمُوا أن يطلبوا الحوائج إلى الخواصِّ من الإخوان ، وأن يتواصلوا بالحقوق ، ويرغبوا إلى أهل المقامات ، ويتوسَّلوا إلى الأكفاء ، وأنت بحمد الله ونعمته من أهل الخير ، ومن أعان عليه ، وبَدَّلَ لأهل ثقته المصافين ، وإنَّ بَدَلَ النفوس فيه ، وإعطاء الرغيب ، ليس منك بيكر ولا طريف ، بل هو تَلِيدٌ ، أَمَلَدَهُ أَوْلُكُمْ لَأَحْرَمِ ، وأورثه أكَبَرُكُمْ أَصَاغِرَكُمْ .

ومن حاجتي « كذا » ، وأنت أحقُّ من طلبتُ إليه واستعنته على حوادث الدهر ، وانزلتُ به أمرى ، لِقُرْبِ نسبك ، وكريم حَبَبِكَ ، ونباهتِكَ ، وعلوِّ منزلتك وجسيم طبائعتك ، وعوامِّ أياديك إلى عشيرتك وغيرها ، فليكن من رأيك ما سَخَلتُكَ من حاجتي ، على قدر فَمِّمِ اللهُ لك من فضله ، وما عودك من مِثْنِهِ ، وَوَسِعَ غَيْرِي

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۲ )

من نعمائك وإحسانك . »

## ۴۱ - کتاب له فی السلامة

وله فی السلامة :

« أما بعد ، فقد أتاني كتابك فيما أخبرتنا عنه ، من صلاحك وصلاح ما قبلك ، وفي الذي ذكرت من ذلك نعمةٌ مجللةٌ عظيمة ، نحمدُ عليها وليَّها المنعمَ المفضلَ المحمودَ ، ونسأله أن يُلهمنا وإياك من شكره وذكره ما به مزيدُها ، وتأديةُ حقِّها .

وسألت أن أكتب إليك بخبرنا ، ونحن من عافية الله وكفايته ودفاعه على حال لو أظنبتُ في ذكرها ، لم يكن في ذلك إحصاءٌ للنعمة ، ولا اعترافٌ لِكُنْهِ الحق ، فنرغبُ إلى الذي تزداد نعمة علينا في كل يوم وليلة تظاهراً ، ألا يجعل شكرنا منقوصاً ولا مدخولاً ، وأن يرزقنا مع كل نعمة كفاءها من المعرفة بنضله فيها ، والعمل في أداء حقها ، إنه وليُّ قديرٌ . »

( اختيار المنظوم والمنثور : ۱۳ : ۳۶۸ و ۳۷۶ )

## ۴۲ - كتاب آخر إلى ابن الثقفى

وله في السلامة إلى ابن الثقفى :

« أما بعد ، فإن مما نمتق الله به مناقبتك الكريمة المحمودة الفائتة عن القول والوصف ، أنك موضعُ المؤنات<sup>(۱)</sup> من إخوانك ، حمالٌ عنهم أثقال الأمور ، ومما وضعت عنه المؤنة ارتفاعك عن الأمور التي بطأنا إليها الكلام على السنة الناس إذا أباحوه وبهزَّ جوه<sup>(۲)</sup> ، وضيعوا القول ونسوا القصد فيه ، وأخذوا به في كل فن ، وأصفوا<sup>(۳)</sup> بصفوته غير أهلها فيما لا ينبغي لهم من التشبيه والتوقير والتفضيل .

كان من خبري بعدك أني قدِمْتُ بلد كذا ، فتمها لي بعض ما شخصتُ له ،

(۱) المؤنة كغرفة وركوبة وسورة : النقل .

(۲) البهرجة : أن يعمل بالشئ عن الجادة الفاسدة إلى غيرها .

(۳) أصفاه بكذا : آثره .

والحمودُ على ذلك اللهُ عز وجل ، وأنا على أن يأتي خَبْرُكَ محتاجٌ ، فأما بُجْلةُ خَبْرِي  
في فراقك قَلْبِي مَكَّةُ : كلُّ ما سواك حَرَامٌ فيها .

( اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٦ )

### ٤٣ - كتاب آخر

وله جواب في السلامة :

« أما بعدُ ، فقد أتاني كتاب الأمير ، رَجَعَةَ كتابي إليه ، فكان فيه تصديقُ  
الظن ، وتثبيت الرأي ، ودَرْكُ البُغْيَةِ ، والله محمودٌ ، فأمتَعَ اللهُ بالأمر ، وأمتعه بصالح  
ما آتاه ، وزاده من الخير مستعمراً له فيه ، مستعملاً بطاعته التي بها يفوز الفائزون ،  
والذي رَزَقَ اللهُ من الأمير فهو عندي عظيم نفيس ، وكلُّ الذي قَبِلِي عن مكافاته  
فمَقْصَرٌ ، إلا أنه ليس في النية تقصيرٌ ، ولا بلوغٌ لشيء من الأمور إلا بتوفيق الله عز  
وجل ومَعُونته ، والسلام » .

( اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٦ )

### ٤٤ - كتاب في السلامة

وفي السلامة أيضاً<sup>(١)</sup> :

« كتبتُ إليك ، وأميرُ المؤمنين ، وما يأتيه من ابنِ الطاعة واتِّساقِ الكلمة ،  
عمَّت في الدار والقاصي من بلدانه ، وحواشي سلطاناه ، على ما يُحمدُ اللهُ عليه ، فإن  
نعمة الله على أمير المؤمنين تجرِي على أذلالها<sup>(٢)</sup> ، وتنقادُ في أمهلِ سبيلها » .

( اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٧ )

(١) هكذا ذكر ابن طيفور ، ولم ينس على أنه لابن المقفع .

(٢) يقال : أمور الله جارية أذلالها وعلى أذلالها : أي مجاريها جمع ذل بالكسر .

## ٤٥ - كتاب لابن الثقفى فى السلامة

وكتب ابن الثقفى فى السلامة :

« أما بعد ، أصلحنا الله وإياك صلاحاً دائماً يجمع لنا ولك به الفضيلة فى العاجلة ، والكرامة فى الآجلة ، فإنى لا أعلم أمراً أعظم عند أهل منفعة من أمرٍ ترك ذكره لفضله ، ولا أعلم أمراً أحق أن يستغنى أهله بفضله عندهم ، عن ذكره فيما بينهم ، من أمرٍ وشج (١) الله بيننا وبينك فى الدنيا ، حتى نكون به إخواناً فى الآخرة ، حين تصير الخلة (٢) عداوة بين أهلها ، إلا عداوة المتقين .

كتبتُ والأمير فى دُخلة أمره وجميع حاله ومَنْ قبَله من الجند والرعية على « كذا » ، ونحن فيما يحبُّ امرؤ أن يكون عليه أحد من إخوانه ، فإنى لا أرجو إلا أن أكون متصراً عن أفضل غابة ذلك ، فى تعظيم حَقِّك ، ورعاية ودِّك وعهدك وحفظك ، إن شاء الله .

وأما ما قبَل فلان فليست بك إلينا فيه ولا إلى غيرنا حاجة ، أنت منه بمكانٍ أخصَّ الخاصَّة فى المودة والمِنة ، وأرضى الرِّضا فى الدين والمروءة ، ونسأل الله أن يزيِّن كلَّ محسن بك ظناً ، وطالبٍ لك فضلاً ، بتصديق أحسن ما نظرَ وتعرَّفَ .

( اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٦ )

## ٤٦ - كتاب ابن المقفع إلى يحيى بن زياد الحارثى

ولعبد الله بن المقفع إلى يحيى (٣) بن زياد الحارثى ابتداءً فى المؤاخاة :

« أما بعد ، فإن أهل الفضل فى اللب ، والوفاء فى الود ، واليكرم فى الخلق ،

(١) أى ألف ووصل .

(٢) الخلة : الصداقة .

(٣) من ولد الحارث بن كعب ، شاعر مترسل بليغ - انظر الفهرست ص ١٧١ ، وله أخبار متفرقة فى الأغاني .

لهم من الثناء الحسن في الناس لسان صدقٍ يُشيد بفضلهم ، ويُخبر عن صحة ودم ، وثقة مؤاخاتهم ، فيتخير إليهم رغبة الإخوان ، ويصطفى لهم سلامة صدورهم ، ويختبى لهم ثمرة قلوبهم ، فلامثنى أفضل تقرّظاً ، ولا يُخبر أصدقُ أهدوثةً منه ، وقد لزم<sup>(١)</sup> من الوفاء والكرم فيما بينك وبين الناس طريقةً محمودةً ، نُسبت إلى مزيّتها في الفضل ، وجُمِلَ بها ثناؤك في الذِّكر ، وشهد لك بها لسانُ الصدق ، فعرفت بمنّاقيها ، ووُسِّمت بمحاسنها ، فأسرعَ إليك الإخوان برغبتهم مُسْتَبِقِينَ ، يبتدرون<sup>(٢)</sup> ودك ، ويصلون حبلك ، ابتدارَ أهلِ التنافسِ في حظٍّ رَغِيبٍ ، ونصبتَ لهم غايةً يجري إليها الطالبون ، ويفوزُ بها السابقون ، فمن أثبتَ اللهُ عندك بموضعِ الحرزِ والثقة ، وملا بك يده من أخى وفاءٍ ووُصلةٍ ، واستنمَ منك إلى شعب<sup>(٣)</sup> مأمون ، وعهدٍ محفوظ ، وصار مغموراً بِفِضْلِكَ عليه في الودِّ يعاطى من مكافأتك ما لا يستطيع ، ويطلبُ من أثرك في ذلك غايةً بلوغها شديدٌ ، فلو كنتَ لا تُؤاخى من الإخوان إلا من كافأ بودك ، وبلغ من الغايات حدك ، ما آخيت أحداً ، وآصرتَ من الإخوان صفراً ، ولكن إخوانك يُقرّون لك بالفضل ، وتقبلُ أنت ميسورهم من الودِّ ، ولا تجشمهم كفافَ مكافأتك ، ولا بلوغَ فِضْلِكَ فيما بينك وبينهم ، فإنما مثلك في ذلك ومثلهم كما قال الأول :

وَمَنْ يَفَارِعْ سَعِيدَ الْخَيْرِ فِي حَسَبٍ يَنْزِعْ طَلِيحاً وَيَقْصِرْ قَيْدَهُ الصَّعْدُ<sup>(٤)</sup>

وَلَمْ أُرِدْ بِهَذَا الثَّنَاءِ عَلَيْكَ تَرْكِيَتَكَ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ قُرْبَةً عِنْدَكَ ، وَآخِيَةً<sup>(٥)</sup> لِي لَدَيْكَ ، وَلَكِنْ تَحَرَّيْتُ فِيمَا وَصَفْتُ مِنْ ذَلِكَ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ ، وَتَنَكَّبْتُ<sup>(٦)</sup> الْإِيمَ

(١) وجاء في العقد الفريد ( ٢ : ١٩٦ ) : « فصل لمحمد بن الخهم : إنك لزم من الوفاء طريقة محمودة ، عرفت بمنّاقيها ، وشهرت بمحاسنها ، فتنافس الإخوان فيك يبتدرون ودك ، ويتمسكون بحبلك ، فمن أثبت الله له عندك ودا ، فقد وضع خلتَه موضعِ حرزها » - والحلّة بالضم : الصداقة - وفي الأصل « حاته » وهو تصحيف .

(٢) أي يتسابقون إليه . (٣) استنم إليه : سكن واطمأن ، والكعب : الطريق في الجبل .

(٤) طلع البعير كنم : إذا أعبا وكل وسقط من السفر ، فهو طليح ، والصعد : المشقة .

(٥) الآخية بالشدّيد والتخفيف : مثل عروة أشد إليها الدابة ، ومعناها هنا صلة وقربة .

(٦) تنكب : عدل وتجاوى .

والباطل ، فإن القليل من الصدق البريء من الكذب ، أفضل من كثير الصدق المشوب بالباطل ، ولقد وصفتُ من مناقبك ، ومحاميرِ أمورك ، وإلى لأخاف الفتنة عليك حين تسمع بتزكية نفسك ، وذكري ما ذكرتُ من فضلك ، لأن المدح مفسدة للقلب ، مبعثة للعجب ، ثم رجوتُ لك المنعة والمصنعة ، لأنني لم أذكر إلا حقاً ، والحق ينفي عن اللبيب العجب ، وخيلاء الكبر ، ويحمّله على الاقتصاد والتواضع ، وقد رأيتُ - إذ كنتُ في الفضل والوفاء على ما وصفتُ منك - أن آخذ بنصيبي من ودك ، وأصل وثيقة حبلي بحبلك ، فيجري بيننا من الإخاء أو اصير<sup>(١)</sup> الأسباب التي بها يستحكيم الود ، ويدوم العهد ، وعلتُ أن ترهكي ذلك غميباً ، وإضاعتي إياه جهلاً ، لأن التارك ليعظ داخل في الغيب ، والعائد عن الرشد موجف<sup>(٢)</sup> إلى الغي ، فأرغب من ودي فيما رغبت فيه من ودك ، فإني لم أدع شيئاً أستتلي به منك الرغبة ، وأجترّ به منك المودة ، إلا وقد اقتدتُ إليك ذريمته ، وأعملتُ نحوك مطيته ، لترى حرصي على مودتك ، ورغبتني في مؤاخاتك ، والسلام .

( اختيار النظم والمنثور ١٣ : ٤٠١ )

## ٤٧ - رديحي بن زياد على ابن المقفع

فكتب إليه يحيى بن زياد :

« أما بعد ، فإننا لما رأينا موضع الإخاء ممن يحتمله في تأنيديه من الوحشة ، وتقريبه لدى البعدة<sup>(٣)</sup> ، ومشاركته بين ذوى الأرحام في القرابة ، لم نرض بمعرفة عينه دون معرفة نسبه ، فنسبنا الإخاء فوجدناه في نسبه لا يستحق أمم الإخاء إلا بالوفاء ، فلما انتقلنا منه إلى الوفاء فنسبناه ، انتسب لنا إلى الصبر ، فوجدناه محتويًا

(١) أو اصير جمع آصرة : وهي جبل صغير يشد به أسفل الحباء . (٢) أي مسرع .

(٣) ذو البعدة : الذي يبعد في العادة ، ويقال أيضاً إنه لنوع بحد وبعدة بالضم فيهما : أي لذو رأي وحزم ، يقال ذلك للرجل إذا كان نافذ الرأي ذا غور وذا بعد رأي .

على الكرم ، والنجدة ، والصدق ، والحياء ، والنجابة ، والزكّانة<sup>(١)</sup> ، وسائر ما لا يأتي عليه المدد من المحامد ، ثم انحدَرْنَا فيما أضعَدْنَا فيه من هذا النَّسَبِ ، فَعَدْنَا إلى الإخاء فوجدناه لا يقوم به إلا من هذه الخصال كلها أخلاقه ، ولما استوجب الإخاء مآلِكَ المَحْمَدَةَ كلها ، رأينا أن تتخير له المواضع في صواب التوزير ، وإحكام التقدير ، وعلمنا أن الاحتباس به ، أحسن من الندم بعد بذله ، واستوجب - إذ كان جماع المحامد - أن تتخير له محامله التي كان يُحْمَلُ عليها ، فكان الناس فيما احتبسنا به عنهم من الإخاء ، على صنفين : فصنف عَدَرُونَا بالتعجب للتخير ، إذ كان التخير من شأنهم ، وصنف هم ذروا مُرْعَةَ إلى الإخاء ومُرْعَةَ في الإلتفاء ، فَعَدَمُوا اللَّائِمَةَ<sup>(٢)</sup> ، واستعجلوا بالموذبة ، وتركوا باب التروية ، واستعجلوا عاجل المحبة ، ولهوًا عن آجل الثقة ، فكانوا بذلك أهل لائمة ، ولم يجد العذرون<sup>(٣)</sup> إلا الصبر على تلك ، والاستعمال للرأى ، والاستعداد بالعذر عند الحاجة .

وقد فهمت كتابك إلى بالوذة ، واستحشائك إياي في الأخوة ، وما دنوت به من حرمة المحبة ، فنازعت<sup>(٤)</sup> إليك نفسي بمثل الذي نازعت به إلى نفسك ، فواثبني عادة الاستعمال للتروية في الخبرة ، والتخير للمعبة ، فجلت عن كتابك جولة غير نافية ، ثم راحت مقاربتك ، فقلت : ألقى إلى أسباب المودة قبل كشف العطاء بالخبرة فحشيت أن تعذر نفسك بالتقدم ، وتحدث الزهادة للتعسف بالجمالة عند الخبرة ، فجلت عن هذا جولة كالجولة الأولى ، ثم عاودت إساءتك ، وطاعة التشوق ، ومعصية التغير ثم قلت ما حال من جعل الضن دون اليمين ، والتقدم قبل الوثيقة ؟ فلما كان الرأى لي خصها ، تنكبت الوقوع في خلافه ، فلم أجد إلا الإدبار عن إقبالك سبيلا ، ولا مع

(٢) اللائمة : اللوم .

(٤) أي اشتاقت .

(١) الزكّانة : الفطنة والحرس الصادق .

(٣) العذر : من كان له عذر .



ذلك في طاعة الشوق حُجَّةً ، فتَبَيَّنَتْ<sup>(١)</sup> السبيلَ بين ذلك إلى إعطائك طَرَفِ حَبْلِ الإِخَاءِ ، في غير الخروج من سبيل التخيُّر ، وكرِهَتْ أن تستعبدني بالإِخَاءِ ، قبل أن أَعْرِفَكَ بِحُسْنِ الْمَلَكَةِ ، وأن تستظهرَ بي<sup>(٢)</sup> على الأعداء ، قبل أن أَعْرِفَكَ بِعَدْلِ السَّيْرِ ، وأن تستضيءَ بي في ظلمِ الجَهِلِ ، قبل أن أَعْرِفَكَ بِعَقْدِ اللَّبِّ ، وأن تستمكنَ بي في المَطَالِبِ ، قبل أن أَعْرِفَكَ بِقَصْدِ الْهَمَّةِ ، فقدمتُ إليك الترحيبَ والعِيدةَ ، وأحسنتُ عنك المفاوضةَ والثقةَ ، وتنظرتُ أن تُشمرَ لي فأذوقَ جَنَّاكَ<sup>(٣)</sup> ، فأعرفَكَ بِالْمَذَاقَةِ فِي الطَّعْمِ ، إما لافظاً ، وإما مُستبِلياً<sup>(٤)</sup> ، فإن كان اللَّفْظُ لم أكن من الرأى في قلبه ، وإن كان الاستبلاعُ ذوقتك ما تشوقتُ إليه مما أدعيتَ مني به الخِبرَةَ ، وأوَّلُ ما أنا معتبرٌ به منك المواظبةُ على استنجاح ما سألتَ أو السَّامةُ له ، فإن كانت المواظبةُ فأحدُ الشهودِ المعدِّلين<sup>(٥)</sup> ، وإن كانت السَّامةُ ، فانت عن حَمْلِ ما تُعْطَى أضعفُ منك عن حمل ما تطلبُ ، طالِعِني بكتبتك ، فإنك قد حلَّلتَ قِبَلي عَقْدًا من التحفظِ ، وعقدتَ عَقْدًا من التقربِ ، والسلام .

( اختيار النظم والمشور ١٣ : ٢٠٢ )

## ٤٨ - كتاب أبي نصر الرقاشي إلى يحيى بن زياد

وكتب أبو نصر<sup>(٦)</sup> الرقاشي إلى يحيى بن زياد في الإخاء :  
« أما بعدُ ، أصلحك الله ، وأمتع بك ، في سترٍ منه وكرامة دائمة ، فإن خيرَ ما استفاد المرء لنفسه ، واستعان به على مروءته ، واعتقد<sup>(٧)</sup> لذيابه وآخرته . وإن كان الله قد أكملَ عقله ، وأحسنَ إليه في جميع أمورهِ ، الأدبُ الصالحُ الذي به يُكشَفُ

(١) في الأصل « فتبييت » وهو تحريف . (٢) أي نتعن .

(٣) الجنى : ما يجنى . (٤) في الأصل « مقبلنا » وهو تصحيف .

(٥) أي الزكبين ، من عدله إذا زكاه .

(٦) هو يونس بن أبي ذريرة ، كتب لعيسى بن موسى - انظر الفهرست ص ١٨١ -

(٧) أي امتلك - اعتقد مالا : افتناه .

غِطَاهُ الْجَهْلُ ، وَتَنْجِي غِشَاوَةَ الْعَمَى ، وَيَسْتَنْبِطُ بِهِ مَذْخُورَ الْعِلْمِ ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى سَبِيلِ  
الرِّشَادِ ، وَإِنِّي وَجَدْتُ الطَّرِيقَ إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ الْأَدَبِ ، لِأَنَّ مَا سَنَفَ مِنْ عَهْدِ اللَّهِ  
فِي الْمَاضِينَ ، وَبَقِيَ فِي الْغَابِرِينَ ، نَادِيْبٌ لَهُمْ ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ أَرَ مِنْ دَرَجَاتِ الْخَيْرِ  
دَرَجَةً ، وَلَا فِي أَعْلَى الشَّرَفِ مَحَلَّةً ، إِلَّا وَالْأَدَبُ الصَّالِحُ مِفْتَاحُ بَابِهَا ، وَالسُّلْمُ إِلَى إِحْرَازِ  
نُبُلِهَا ، قَبْلَ ذَلِكَ مَنْ قَبِلَهُ فَكَانَ أَسْعَدَ بِهِ ، وَضَيَّعَهُ مَنْ ضَيَّعَهُ فَكَانَ أَشَقَى بِهِ .

وَقَدْ ابْتَلَيْتَنِي فِي ذَلِكَ أَحْسَنَ الْبَلَاءِ ، وَوَلِيْتَنِي فِيهِ بِأَحَدِ الْوَلَايَةِ ، فَحَمَلْتَ مِنِّي الْمُوْتَةَ  
وَقَبَلْتَنِي بِالْأَدَبِ عَلَى الصَّغِيرَةِ ، وَرَضِيْتَنِي مُحْرِمًا<sup>(١)</sup> عَتِيْقًا ، لَا تَدْخِرْنِي نَصْحًا ، وَلَا  
تَأْلُوْنِي رِشْدًا ، فَعَلِمْتَنِي مَا أَعْلَمُ ، وَبَصَّرْتَنِي مَا كُنْتُ أَجْهَلُ ، حَتَّى وَسَمْتَنِي بَعْدَ الْإِغْفَالِ ،  
وَنَوَّهْتَنِي بَعْدَ خُحُولِ ذِكْرِي ، وَشَهَّرْتَنِي بَعْدَ الْأُقُولِ بَسْطَةً مِنْ طَوْلِكَ ، وَبَدَّ مِنْ  
فَضْلِكَ ، كَأَنَّكَ تَشْكُرُ لِذَلِكَ نِعْمَةً ، أَوْ تَجْزِي<sup>(٢)</sup> مِثْمَةً ، فَكُنْتُ فِي نِعْمَتِكَ إِلَى يَوْمِ  
هَذَا ، قَدْ أَعْطَيْتَنِي مِنْكَ النِّصْفَ ، مَوْدَةَ كَرِيمٍ بِفَاوْحِظًا وَإِنْعَامًا ؛ وَلَيْسَ الْمُنْعِمُ  
كَتَحْمَلِ النِّعْمِ ، إِفْضَالًا بَعْدَ إِفْضَالٍ ، وَرِبَابَةً<sup>(٣)</sup> بِحَسَنِ بِلَاثِكَ ، وَتَنْبِيْهَا عَلَى كَرِيمٍ  
فَعَالِكَ ، فِعْلَ ذِي الشَّرَفِ بِذِي الشَّرَفِ ، وَالْوَالِدِ ذِي النِّعْمَةِ ، فَاصْفَيْتَنِي دُونَ<sup>(٤)</sup> لُطْفِ  
بَنِي الْأَخِ ، وَلَطَفْتَنِي لِي دُونَ مَنْزِلَةِ الْعَمُومِ ، أَخَا بَرًّا ، لَا يَلُّ أَبَا كَرِيْمًا ، فَخَلَفْتَنِي  
لِي مِنْ سِوَاكَ وَلَسْتَ بِمُخْلُوفٍ ، وَكَفَيْتَنِي الْمَهْمَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَسَدَّدْتَنِي عَنِ تُؤْلَةِ الْبَعِيدِ ،  
ثُمَّ لَمْ يَأْتِ عَلَيَّ يَوْمٌ مِّنْذُ أَنْزَلَنِي اللَّهُ مِنْكَ بِحَيْثُ أَنْزَلَنِي ، وَأَصْفَانِي مِنْكَ بِمَا أَصْفَانِي ،  
إِلَّا وَأَنَا لِكَ فِيهِ أَحْمَدُ مِنَ الْمَاضِي قَبْلَهُ ، وَكَذَلِكَ أَنْتَ لِي فِي غَدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ رَأَيْتَكَ لَا تَزْدَادُ عَلَى الْخُبْرَةِ إِلَّا طِيْبًا ، وَلَا عَلَى بُعْدِ الْغَايَةِ إِلَّا قُرْبًا ، وَلَا عَلَى  
طَوْلِ الْأَيَّامِ إِلَّا حُسْنًا ، لَمْ أَتَحَلَّلْ مِنْ عَقْدِكَ عُقْدَةً ، وَلَمْ أَزِدْ مِنْ فَضْلِكَ إِلَّا وَفْرًا ، وَلَمْ

(١) مِنْ أَحْرَمٍ : إِذَا دَخَلَ فِي الْحَرَمِ ، دَخَلَ فِي حَرَمَةِ لَاتِهْنِكَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « تَجْرِي » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) رَبُّ النِّعْمَةِ وَالصَّنِيعَةُ كَنْصَرٌ . رَبَابَةٌ : نَمَاهَا وَزَادَهَا وَأَتَمَّهَا وَأَصْلَحَهَا .

(٤) دُونَ : تَقِيْضٌ فَوْقَ ، وَتَأْتِي بِمَعْنَى فَوْقَ ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا ، وَاللُّغِيُّ : وَآثَرْتَنِي بِلُطْفِ فَوْقِ

لُطْفِ بَنِي الْأَخِ .

يُقَصِّرُ بِي<sup>(١)</sup> عن أداءِ حَقِّكَ والمحافظةِ عليه وَعَلَى ما يَجِبُ من المعرفةِ بِفَضْلِكَ ، تَضْيِيعُ الأمانةِ ، ولا نسيانُ النعمةِ ، ولا نُقْصَانُ الشُّكْرِ .

وقد علمتُ أن لك في الشُّكْرِ رأياً ، وفي استغراجك الشُّكْرَ مني دليلٌ على أني من أهله إن شاء الله ، فإني وجدت الشُّكْرَ شقيقَ الحَسَبِ ، والوفاءَ وجدته يَجْزِي<sup>(٢)</sup> من النعم ما قبله ، ويستدعي تمامها بعده ، فأى أمرٍ أَخْبَثُ صَنِيعاً إلى نفسه فيما يسوءها<sup>(٣)</sup> مني إذا كان شُكْرُكَ عندي منقوصاً ، وبلاؤُكَ لدى مكفوراً ، وَفَضْلُكَ علىَّ مجهولاً ، ولكنه لم يساعدي دهرٌ معينٌ فَأَجْزِي بِالْبُؤْسِ ، وَأُصْنِفِي بِالنُّعْمِ ، وَإِنْ أُبْلِغُ ذَلِكَ بعونِ الله ، فهو أَمَلِي وَمَا فِيهِ النِّعْمَةُ ، وَإِنْ تَقَصَّرْتُ بِي دُونَ ذَلِكَ مَقْصُرَاتُ التَّقْدِيرِ ، فنحن وَأَنْتَ راضون<sup>(٤)</sup> بما أتانا به تَقْدِيرُ المَسْؤَى بِعَدْلِهِ بين خلقه ، وَالسَّلَامُ .

( اختيار النظم والنثر ١٣ : ٤٠٦ )

## ٤٩ - جواب يحيى بن زياد

« أما بعدُ ، دَفَعَ اللهُ عَنَّا وَعَنْكَ ما نَكَرَهُه بالنعم السَّوابغِ ، ووقانا وإياك الأمورَ المشبهةَ بالكراماتِ الظاهرةِ ، والأبديِ المترادفةِ ، حتى يزول القضاء بنا وبك إلى ما نُحِبُّ ونَرْضَى ، فإنك كتبتَ إلىَّ تذكُرُ معزلةَ الأدبِ من المتأدِّبِ ، ورأيتُكَ ترغَّبُ إلى الإكثارِ والترديدِ ، وقد يفرِّعُ إلى ذلك بعضُ المجتهدين ، فإن أَسْمَ الاجتهادِ إنما يقعُ على من يَبْلُغُ جُهْدَهُ ، ولكني قد رأيتُ لك إخواناً ممن لم تعلقَ بهم معرفتكُ يُعْجِبُهُم من أنفسهم وإخوانهم أن يمدوا لكثيرَ الكلامِ جوامع<sup>(٥)</sup> يَحِيدُونَ<sup>(٦)</sup> بِمَعْرِفَتِهَا عن سَقَطَةِ المَدَرِ ، ويأمنون بها مع ذلك الخطأ ، ولم تعدلْ عن حسنِ النيةِ في الإرادةِ لذلك ،

(١) في الأصل « ولم يفتدني » وهو تحريف .

(٢) في الأصل « يجزي » وهو تصحيف .

(٣) في الأصل « فن سواها » .

(٤) في الأصل « راجونا » وهو تحريف .

(٥) الجوامع : جمع جامعة ، وهي القيد .

(٦) في الأصل « معدون » وهو تحريف .

كما<sup>(١)</sup> عرّفتُ من إعلامِ كتابك ، إلا أن المرید بنيتہ غیرُ معذور ، دون أن يبلغ فيه بفعله<sup>(٢)</sup> ، وقد يُنحى عن اسمِ العنف بك ، ويُلزمُني اسمُ التأديب لك ، أن التأديب بيني وبينك غير مُنكر عندي وعندك ، وإن حَمَلْنَاهُ عَلَى قَوْمٍ<sup>(٣)</sup> العُنفِ كان كافياً لك من جميع صفات تعظيم الأدب أن تقول : لولا الأدبُ سَقَطَ اسمُ المتأديبين ، وإذا سقط غَلَبَ اسمُ الجاهلين ، وإذا غلب اسمُ الجاهلين عُصِيَ الخالق ، وَفَسَدَتِ الدنیا ومن فيها .

وفهمتُ قولك ، وما دَلَّلتَ به على نفسك من معرفة الشكر ، فليس شيء مما صَبَّقتَ به يدي إلى إخواني ، مِنْ مشاركتهم إِيَّاي في مثل ما به نفسي ، بِسَارَّةٍ لِي أن يقع مني موقعَ إِذْلالٍ لهم ، أو عذابٍ عليهم ، فإنه من يتخذ أيدى الإخوان عذاباً على نفسه ووقراً<sup>(٤)</sup> على قوّته ، فقد تعرّض لمعاودة بعض الأدب ، للاستزادة من الأوقارِ المُفْتَمِّ بها ، المَلُولِ<sup>(٥)</sup> مِنْ حَمَلِهَا ، وبثت الأيدي جَرِيرَتُهَا<sup>(٦)</sup> استئثارُ الكتبِ ، وضيقُ الأذراعِ من فوائِد الأَحْبَةِ .

فَأَمَّا مَا عَظَّمْتَ مِنَ الشُّكْرِ ، فَإِنَّ الشُّكْرَ مِكَافَأَةٌ ، وَإِذَا كَانَ الشُّكْرُ كَفِيًّا<sup>(٧)</sup> الْمِنَّةَ ، فَإِنَّ الْكَفِيَّةَ لَا يَكُونُ دُونَ كَفَيْتِهِ ، وَإِذَا بَلَغْتَ بِالشُّكْرِ مَنْزِلَةَ الْمِكَافَأَةِ ، فَقَدْ عَلَوْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ ، وَكَانَ يَجْمَعُ لَكَ ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ : الشُّكْرُ مِكَافَأَةٌ ، وَالْمِكَافَأَةُ كَفَيْتُهُ ، وَالْكَفِيَّةُ مِثْلُ كَفَيْتِهِ .

فَأَمَّا مَا ظَنَنْتَ أَنِّي أَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الشُّكْرِ ، بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي وَصَفْتَ ، فَإِنَّ تَقَدُّمْتُ بِالْيَدِ عَلَى جَبَالَةِ - فِي أَوَّلِ يَوْمٍ - مَنِّي بِمَوْضِعِ الشُّكْرِ ، مَا أَنَا<sup>(٨)</sup> بِمُجْزِئٍ مَوْضِعَ الْأَمْرِ بِبَادِرَةٍ مِنَ الْكَلَامِ هِيَ<sup>(٩)</sup> مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ حَدُودٍ جَامِعَةٍ ، وَلَوْ جَمَعْتُ .

(١) في الأصل « فسا » وهو تحريف . (٢) في الأصل « بعقله » وهو تحريف .

(٣) أي على محل العنف ومركبه ، والقعود من الإبل : ما يقتضيه الراعي في كل حاجة .

(٤) الوقر : الحمل . (٥) في الأصل « الأموال » وهو تحريف .

(٦) أي ذنبها . (٧) أي مكافئ .

(٨) في الأصل « وأنا » وهو تحريف . (٩) في الأصل « ببادرة من الكلام مع ذلك » .

فأما ما ذكرت من إبطاء الدهر عنك بالتقوية على مساعدتي ، فكأنك عنيت  
 بهذه الكلمة [ أن صداقتك لي من ذات<sup>(١)</sup> ] الأيدي ، فإن كفت عنيت ، فما أشنع  
 ما ألزمتني ونفستك من قبيح الخلق ، وقد يرُدُّ عنى فورة الغضب أنك لم تقل ذلك  
 قاصداً ، واستدللت على أنك لم تقصد له ، بأنك بنفسك بدأت بالإفحاش ، وما صغر  
 لك ما صغر الله من ذات الأيدي التي تقطعُ إليها أعناقُ السُّخفاء ، وأعظمُ لك منزلة  
 المودة بتدبير العقل ، بما عظمَ اللهُ منها ؛ ألا ترى رحمك الله أن العقل يكسبُ المال ،  
 وأن المال معجوزٌ به عن مكسبة العقل ، حَسْبِي وَحَسْبُكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ أَخَا أَنْ تَجْعَلَهُ  
 أَخَا ، وَحَسْبُنَا مَنْ كَانَ بَعِيداً أَنْ نَجْعَلَهُ قَرِيباً ، وَحَسْبُنَا مِنَ الْخَائِفِينَ أَنْ يَكُونُوا  
 مُوَاقِينَ . فأما ما تملكُ الأيدي ، فإني لا أدري : أما خدعتَ العدوَّ عنه أكثرُ ،  
 أم ما تناولته بغير المؤامرة<sup>(٢)</sup> من مال الصديق ؟ فإن باغتَ حدَّ المؤامرة ، فذلك  
 وضم<sup>(٣)</sup> في صداقة المأخوذ منه ، أو عجزُ من الآخذ من صديقه ؛ قد مضى لك إخوان  
 لم تلحقهم ، وآخرون كثيرٌ أنت بين أظهرهم لم تعرفهم ، كان الرجل منهم بكره  
 أن يعدَّ إخوانه الوفاء ، فيضربَ اختلاطُ المواعيد بصادق النية المكسوب عليها ، مع مافي  
 المواعيد من التفرير بالعجز عنها ، ومافي الزمان من الخيانة لأهلها ، ومافي الاختلاط<sup>(٤)</sup>  
 من الضعف .

أما إني قد كنتُ أرى مكانَ الموافقة في الجواب ، فأنعجلَ حاضرَ سرورك  
 بذلك ، وتجرى بيننا وبينك الخديعة والرياء ، فترك (سبيل) السفلة الذين أغلبُ  
 الأشياء عليهم الملق ، ولكن حرَّ كتنى المودة بالتأديب لبعض تلك الحرِّكات فيما مضى  
 حين عاودتني المكاتبة بالمناسمة<sup>(٥)</sup> ، وإني قد عدت أن كل ذي عقل ذو حاجة ، وأن

(١) ما بين القوسين بياض بالأصل ، وقد زدته لتستقيم العبارة .

(٢) المؤامرة : الشاوره .

(٣) عيب وهار .

(٤) في الأصل « وما .... لاختلاط » .

(٥) ناسمه : شامته ، وجدت ريحه ووجد ريحي ، والمعنى بتسم أخبارك .

الأعقلَ فالأعقلَ الأحوجُ فالأحوجُ، والاستفادة فيما مضى غيرُ مُضِرَّة بما يستفيد فيما  
يُستقبلُ، وأن بعض ذلك اتكالمُ على بعض، غيرُ مُضِرَّ به، ولا ناقضٍ له، ولا  
مُسيءُ الثناء عليه، فافهم . ( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۰۷ )

## ۵ - كتاب حماد عجرد إلى يحيى بن زياد

وروى صاحب الأغاني قال :

كان حمادُ عَجْرَدٌ<sup>(۱)</sup> صديقاً ليحيى بن زياد، فأظهر تورُّعا وقراءة وتزُّوعا عما كان  
عليه، وهَجَرَ حماداً وأشباهه، فكان إذا ذُكِرَ عنده ثلَّبه<sup>(۲)</sup>، وذكَّرَ تهتكه ومُجُورَه،  
فبلغ ذلك حمادا، فكتب إليه<sup>(۳)</sup> :

هل تَذَكَّرُنْ دَلَجِي إِلَيْكَ عَلَى الْمُضْمَرَةِ الْقِلَاصِ<sup>(۴)</sup>  
أَيَّامَ تَعْطِينِي وَتَأْخُذُ مِنْ أُبَارِيقِ الرَّصَاصِ  
إِنْ كَانَ نُسُكُكَ لَا يَتَمُّ بِغَيْرِ شَتْمِي وَاتَّقَاصِي

(۱) هو حماد بن يحيى بن عمرو، وعجرد لقب له، وهو من مخضرمي الدولتين، وكان خليعا ماجنا  
متهما في دينه، وكان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد  
الزيرقان، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار. وكانوا كأنهم نفس واحدة، يرمون بالزندقة  
جميعا، وأشهرهم بها حماد عجرد، وقتله محمد بن سليمان بن علي عامل البصرة بظاهر الكوفة على الزندقة  
سنة ۱۵۵ - انظر ترجمته في الأغاني ۱۳ : ۷۰ ووفيات الأعيان ۱ : ۱۶۵، وكذلك كان يحيى بن زياد  
متهما بالزندقة، قال علي بن الجعد : « قدم علينا (بيضا) في أيام المهدي هؤلاء القوم : حماد عجرد ومطيع  
ابن لباس ويحيى بن زياد، فزلوا بالقرب منا، فكانوا لا يطاقون خبثا ومجانة . »  
(۲) ثلَّبه كضربه : عابه .

(۳) وفي رواية ابن خلكان في وفيات الأعيان « ويحكى أنه كانت بين حماد عجرد وبين أحد الأئمة  
الكبار - وما يليق التصريح بذكر اسمه - مودة، ثم تقاطعا فبلغه عنه أنه يتنقصه، فكتب إليه حماد... »  
وجاء في رواية أخرى لصاحب الأغاني قال : « كان أبو حنيفة الفقيه صديقا لحماد عجرد، فنسك أبو حنيفة  
وظاب الفقه فبلغ ما بلغ، ورفض حمادا وبسط لسانه فيه، فجعل حماد يلاطفه حتى يكف عن ذكره، وأبو حنيفة  
يذكره، فكتب إليه حماد بهذه الأبيات » والصحيح أن ذلك الكتاب إلى يحيى بن زياد كما في الرواية  
الأولى، أما الرواية الأخرى فإننا نجزم أنها كذب على أبي حنيفة قطعا .

(۴) الدلاج : السير من أوله الليل، والقلاص جمع قلوب كصبور : وهي الناقة الفتية .

أو كنت لست بغيرِ ذاك تنالُ منزلةَ الخلاصِ  
 فعليك ، فاشتمُّ آمناً كلَّ الأمانِ من القصاصِ  
 واقعد وقمُّ بي مابداً لك في الأداني والأقاصي  
 فلطالما زكيتني وأنا للقيم على المعاصي  
 أيامَ أنت ( إذا ذكرَ ) ( ت ) مُناضلٌ عنى مُناصي<sup>(١)</sup>  
 وأنا وأنت على ارتكابي الموبقاتِ من الحِراسِ  
 وبنا مواطنُ مايناً في البرِّ أهلةُ العِراسِ<sup>(٢)</sup>

فاتصل هذا الشعر بيحيى بن زياد ، فنسب حمادا إلى الزندقة ، ورماه بالخروج عن

الإسلام . فقال حماد فيه :

للمؤمن يُعرفُ إيمانه وليس يحى بالفتى الكافرِ  
 منافقٌ ظاهرُهُ ناسكٌ مُخالفُ الباطنِ للظاهرِ

( الأغاني ١٣ : ٢٦ وفيات الأعيان ١ : ١٦٦ )

## ٥١ - جواب سلامة لمحمد<sup>(٣)</sup> بن زياد الحارثي إلى المنصور

أما بعدُ ، أصلح الله أمير المؤمنين صلاحاً دائماً يستقبلُ به أنفَسَ العمرِ في أدومِ  
 السعادة ، ويستقبل بنا فيه أحسنَ المتاع ، مساعدًا له القضاء على كل ما يرعى في نفسه  
 وأهل بيته ورعيته ، معدولاً عنه كلُّ محذور عليه ، حتى يبلغه في نفسه غاية الأمل ،  
 وفي أهل بيته أحسنَ العِارة ، وفي أمته أكلَّ الصلاح ، وفي أهل العداوة لدينه  
 أبلغَ النقم .

(١) ناصيته : نصوته ونصاني . أي أخذت بناصيته وأخذ بناصيتي ، والمعنى : مناضل مدافع .  
 (٢) العِراس : جمع عرصة كوردة : وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء ، وفي الأصل «مابنا»  
 في ..... وهو تصحيف .  
 (٣) هو أخو يحيى بن زياد الحارثي ، شاعر مترسل بليغ - انظر الفهرست ص ١٧١ .

أتانى كتاب أمير المؤمنين بما أحب أن يشرّنى به من سلامته ، فى نعمته وولده  
 وخاصته ، فأدام الله لأمير المؤمنين العافية ، ووثق له عقد الكرامة ، وأسبغ عليه  
 فضائل النعمة ، وفواضل الأيادى ، فإنه أصبح محتجراً<sup>(١)</sup> بصلاح أمير المؤمنين فى نفسه  
 وولده وجميع أمته ، مقروناً بما كرهوا له أو عليه ، ما كرهوا لأنفسهم أو عليها ، محقّوقين  
 ألا يروا للنعمة تماماً ، ولا للعافية دواماً ، إلا بتامها على أمير المؤمنين وبقائها له ، فإن  
 الوالى إذا نزل من أمته ، فى إحياء العدل لها ، ودفع المكروه عنها ، وإثبات شرائع  
 الحق فيها ، وإسباغ الأيادى بالفضل عليها ، بمثل منزل أمير المؤمنين الذى أنزله الله  
 به من رعيته ، فى دينهم وحریمهم ومعاشهم ، لم يروه بالنعمة عليه فى نفسه وولده وخاصته  
 مخصوصاً دون أنفسهم ، لأن بقاءه وصلاحه مقرون موصول ببقائهم وصلاحهم ، فلا زال  
 أمير المؤمنين مصنوعاً له ، مدفوعاً عنه ، مجنباً مخذور الليل والنهار ، مؤثى ما تشتمل  
 عليه الأ [ يام من الأحداث<sup>(٢)</sup> ] ، ممنوعاً بمنعه الله برحمته فى نفسه وولده ، محروساً  
 بكلاءة<sup>(٣)</sup> الله وحفظه فى جميع ما أنعم به عليه ، نسال الله لأمير المؤمنين تمام النعم ،  
 ودوام الكرامات ، والسلام .

( اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٠ )

## ٥٢ - كتاب له فى الشكر

« لولا ما يجب علينا من قضاء حق الأمير بما تبلغه الطاقة فى تقریظ الألسن ، ونصائح  
 القلوب ، والتمسك بحبل الشكر له ، والوفاء فى المحضّر والمغيب ، كأن أولى الأمور بنا  
 فى التخيير لأنفسنا والنظر لها ، الإمساك من ذلك عما لا يتر بدنا ذكره إلا بعداً من غابته ،  
 وعجزاً عن بلوغه ، ولكنا لما صرنا نعتمد فى القول على الاجتهاد فى معرفة الحق على

(١) احتجراً به : التجأ واستعاذ ، والمعنى مقترناً به ومرتبلاً .

(٢) فى الأصل « موق يشتمل عليه إلا ..... ممنوعاً » .

(٣) كلاءة كنفه ، كلاءة : حرسه .



صدق النية ، والمكافأة على باطن الشكر ، وَسِعْنَا أَنْ نُظْهِرَ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْرَارِ ،  
لَتَعْرِفَ أَنْ قَدْ اجْتَهَدْنَا فِي قِضَاءِ حَقِّهِ ، لِيَعْذِرَنَا فِي مَا قَصَرْنَا عَنْهُ الْقَوْلَ بِالْاجْتِهَادِ ، وَيَحْمِلَ  
أَمْرَنَا فِي الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ عَلَى مَا يَثِقُ بِهِ مِنَّا فِي تَحْيِيزِ الْمَوَدَّةِ ، وَصِحَّةِ الضَّمِيرِ .  
( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۴ ) .

### ۵۳ - كتاب آخر

« مازال ظاهراً معروفِ الأميرِ يشهدُ على باطنِ سريره ، وما برحتِ سريرة  
باطنه من جميلِ رأيه ونيته متصلةً بمرورِ ظاهر ، وما أنفكَ قديمٌ من صلته يلحوقُ  
بحديث ، حتى ما نجدُ مستزاداً ، ولا لِأملنا على ما أصبحنا فيه من برِّه متفصلاً ، ولا من  
التقصير وإن جهدنا في تأدية الحق وشكر النعم مخرجاً . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۴ )

### ۵۴ - كتاب آخر

« قد يجب على من يتقلب في ظلِّ كرامتك ، وبأوى إلى كنفِ نعمتك ، أن يقول بما  
هو أولى ، ويُخبر عما هو به مرتهن ، من شكر بلائِكَ ، وحقِّ نعمتك ، ونحن الذين  
سبقت نعمتك عليهم ، وعظمت مِنتك لديهم ، فيما أبليت وأوليت من جميلِ رأبك ،  
وحسنِ أثرِكَ ، بعطفِكَ وتحفَنِكَ ، واستخلاصِكَ إياه مِقةً وأنسا ، دون أصحابِكَ من  
نظرائه في أبادٍ من أباديك عظمتُ فلا تُجحد ، ونعم من نعمك شهرتُ فلا تنكرو ولا يُخصي  
عددها ، وإن اجتهدنا في حفظها ، ولا نبلغ في شكرها وإن دأبنا في بلوغِ تاديتها ،  
فقد اعتقدتها مِنةً علينا ، وبدأ عندنا ، فنحن لك صديعة ما بقينا ، وبقي  
أخلفُ منا . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۴ )

## ۵۵ - کتابہ إلى صالح بن علی

وكتب إلى صالح بن علی :

« فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يُجِلَّ مَوْضِعُ رِضَاہِ وَسُخْطِهِ مَنْ كَانَ سُخْطُهُ حِطَّةً ، وَرِضَاہِ شَرَفًا ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْأَمِيرَ كَذَلِكَ ، فَرِضَاہِ عَمَّنْ رَضِيَ عَنْهُ زَيْنٌ ، وَسُخْطُهُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ ، وَإِقْبَالُهُ إِلَى مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ فَائِدَةٌ ، وَإِدْبَارُهُ عَمَّنْ أَدْبَرَ عَنْهُ تَأْدِيبٌ ، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَمِيلُ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ مِنْ دَوَاعِي السُّخْطِ وَالرِّضَا تَحَامُلٌ يُحْجِزُهُ عَنِ الْإِنصَافِ ، وَلَا هَوَى يُزِيلُهُ عَنِ الرَّأْيِ ، وَلَا بَادِرَةٌ تُعْجِلُهُ عَنِ التَّثَبُّتِ ، وَلَا غَلَقٌ <sup>(۱)</sup> يُقْعِدُهُ عَنِ الْحِلْمِ ، وَلَا سَطْوَةٌ بِيَدِهِ وَلَا لِسَانٌ تَحْوُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَفْوٍ ، بَلْ يَحْتَمِلُ وَلَا يَجْهَلُ ، وَيَعْتَذِرُ وَلَا يِعَاقِبُ ، وَيَصْفَحُ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ، وَيُدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَاللَّهُ مُجَوِّدٌ .

وقد نالني من جفوة الأمير بعد ما كنت أعرف من برِّه وإِطافِه <sup>(۲)</sup> ، أمرٌ أحتلني مع المذنب في نفسى مع البراءة من الذنب ، وألزمني الإساءة مع التقصير ، وزاده عندي عِظْمًا أَنِي شَدَمًا <sup>(۳)</sup> حاولتُ المخرجَ منه بالأعتذار ، ولم أجد إلى الأمير ذنبًا أعتذر منه إليه ، ولا فيما أُلزمني من معتبته حُجَّةً أحاولُ دفعها والتخلص منها ، فأصبحتُ أعالج من ذلك ما قد خفي عني هوائه ، وأحاول صلاحَ ما لم أجنِ فساده ، فإن رأى الأميرُ أن يصلَ قديم معروفه بحديثه ، فإنني لم أجد إلى الأمير في مطالبته بذلك أنجحَ من التوجهِ إليه بنفسه » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۵ ) .

(۱) الغلق : ضيق الصدر وقلة الصبر .

(۲) أطفه بكذا : بره .

(۳) في الأصل « وزاده عندي عظاما وشد مما حاولت .... » والمعنى عليه غير مستقيم .

## ۵۶ - کتاب عبد الله بن الحسن إلى صديق له

وكتب عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى صديق له :  
« أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإن الله جعل لمن اتقاه المخرج من حيث يكره ،  
والرزق من حيث لا يحتسب » .

( زهرة الآداب ۱ : ۹۳ )

## ۵۷ - أبو جعفر المنصور وعبد الله بن الحسن

وروى صاحب العقد المفريد قال :

لما قام أبو جعفر بالأمر بعث بعطاء أهل المدينة، وكتب إلى عامله أن :  
« أعطِ الناس في أيديهم ، ولا تَبْعَثْ إلى أحد بعطائه ، وتفقد بني هاشم ، ومن  
مخلف منهم من حضر ، وتحفظ بمحمد وإبراهيم ابني عبد الله ابن الحسن » .  
فقال وكتب : « إنه لم يتخلف أحد عن العطاء إلا محمد وإبراهيم ابنا عبد الله  
ابن الحسن ، فإنهما لم يحضرا (۱) » .

فكتب أبو جعفر إلى عبد الله بن الحسن - وذلك مبدأ سنة تسع وثلاثين ومائة -  
يسأله عنهما ، ويأمره بإظهارهما ، ويخبره أنه غير غادره .

(۱) كان بنو هاشم الطالبيون والعباسيون - قد اجتمعوا أخريات العصر الأيوبي بمكة ، وتذاكروا  
حالهم ومآلهم عليه من الاضطهاد ، وما قد آل إليه أمر بني مروان من الاضطراب ، وانفقوا على أن يدعوا  
الناس إليهم سرا ، ثم قالوا : لا بد لنا من رئيس نبايعه ، فانفقوا على مبايعه محمد بن عبد الله بن الحسن -  
وكان يلقب بالنفس الزكية - وكان من سادات بني هاشم ورجلهم فضلا وشرفا وعلما - وكان المنصور  
منذ تبوأ عرشها سوى طلب النفس الزكية ليقتله أو يخلعه ، وأغراه بذلك أن الناس كانوا شديدي  
الميل إليه ، وكانوا يعتقدون فيه الفضل والشرف والرياسة ، فطلبه المنصور هو وأخاه إبراهيم من أيهما  
عبد الله بن الحسن ، فقال : لا علم لي بهما - وكانا قد تنبأ خوفا منه - فلما طول عليه القول ، قال : كم  
تطول ؟ والله لو كانا تحت قدمي لما رفضتهما عنهما ، سبحان الله آتيتك بولدي لتقتلها ؟ قبض عليه  
وعلى أهله من بني الحسن ، وحبسهم في سجن الكوفة حتى ماتوا فيه - انظر الفخرى ص ۱۴۶ وتاريخ  
الطبري ۹ : ۱۸۰ .

فكتب إليه عبد الله : « أنه لا يدري أين هما ، ولا أين توجهها ، وأن غيبتهما

غير معروفة » .

فلم يابث أبو جعفر - وكان قد أذكى<sup>(۱)</sup> العيون ، ووضع الأرصاء - حتى جاءه كتاب من بعض ثقاته يخبره أن رسولا لعبد الله ومحمد وإبراهيم خرج بكتب إلى رجال بخراسان يستدعيهم إليه ، فأمر أبو جعفر برسولهم فأتى به وبكتبه ، فردها إلى عبد الله بن الحسن بطوابعها لم يفتح منها كتابا ، وردَّ إليه رسوله وكتب إليه :  
« إني أتيتُ برسولك والكتب الذي معه ، فرددتُها إليك بطوابعها ، كراهية أن أُطَّلِعَ منها على ما يُغيِّرُ لك قلبى ، فلا تدعُ إلى التقاطع بعد التواصل ، ولا إلى الفرقة بعد الاجتماع ، وأظهر لي ابنيك ، فإنهما سيصيران بحيث تُحبُّ من الولاية والقرابة وتعظيم الشرف » .

فكتب إليه عبد الله بن الحسن : يعتذر إليه ، ويتنصَّل في كتابه ، ويُبعِّلُه أن ذلك من عدو أراد تشتيت ما بينهم بعد الثامه ، ثم جاءه كتاب ثقة من ثقته يذكر أن الرسول بعينه خرج بالكتب بأعيانها على طريق البصرة ، وأنه نازل على فلان المهلبى ، فإن أراد أمير المؤمنين فليضع عليه رصده ، فوضع عليه أبو جعفر رصده ، فأتى به إليه ومعه الكتب ، فحبس الرسول وأمضى الكتب إلى خراسان مع رسول من عنده من أهل ثقته ، فقدمت عليه الجوابات بما كرهه ، واستبان له الأمر .

فكتب إلى عبد الله بن الحسن يقول :

« أريد حياتاه ويُرِيد قَتلى عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيْلِكَ مِنْ مُرَادٍ<sup>(۲)</sup> »

أما بعد فقد قرأت كتبك وكتب ابنيك ، وأفندتُها إلى خراسان ، وجاءتني

(۱) أذكى عليه العيون : إذا أرسل عليه الطلائع .

(۲) قاله على بن أبي طالب رضى الله عنه وهو ينظر إلى عبد الرحمن بن ماجم المرادى لعنه الله ، ويقال : عذيرك من فلان بالنصب : أى هات من يعذرك ، فعيل بمعنى فاعل .

جواباتها بتصديقها ، وقد استقرّ عندي أنك مُغيّب لأبنيك تعرف مكانهما ، فأظهرهما لي ، فإن لك عليّ أن أعظم صلتهما وجوائزهما ، وأضعهما بحيث وضعتهما قرابتهما ، فتدارك الأمور قبل تفاقمها .

فكتب إليه عبد الله بن الحسن :

وكيف أريد ذاك وأنت مني      وَزَنْدُكَ حِينَ تَقْدَحُ مِنْ زِنَادِي

وكيف أريد ذاك وأنت مني      بِمَنْزِلَةِ النَّيَاطِ مِنَ الْفَوَادِ؟ (١)

وكتب إليه : أنه لا يدري أين توجهها من بلاد الله ، ولا يدري أين صارها ، وأنه لا يعرف الكتب ، ولا يشك أنها مفتعلة (٢) .  
(المقد الفريد ٣ : ٢٩)

## ٥٨ - كتاب أبي جعفر إلى النفس الزكية

ولما بلغ أبا جعفر المنصور خروج النفس الزكية بالمدينة (٣) - وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - كتب إليه :

(١) النياط : عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .  
(٢) قدس المنصور إليه سام بن قتيبة الباهلي ، وبعث معه بمال وأمره بأمره ، فقدم سالم المدينة فجلس إلى عبد الله بن الحسن ، وأظهر له الحجة والميل إلى ناحيته ، فلما أنس به قال له : إن تقرا من أهل خراسان - وسمى له رجلا يعرفهم ممن كان يكتب - قد بعثوا إليك معي مالا ، وكتبوا إليك كتابا ، فقبل الكتاب والمال . فلما ازداد به أنسا واستئمانا ، قال له : إن قد بعثت بكتابين إلى أمير المؤمنين محمد ، وإلى ولي عهده إبراهيم ، وأمرت ألا أوصل ذلك إلا في أيديهما ، فإن أوصلتني إليهما أوصلت إليهما الكتابين والمال ، ورحلت إلى القوم بما يثلج صدورهم ، فأنا عندهم بموضع الصدق والأمانة ، وإن مرهما مظلم ، وإن لم تكن تعرف مكانهما لم يخاطروا بدينهم وأموالهم ومهجم ، فأوصله إليهما ، فدفع لهما الكتابين والمال ، وما زال سالم يحتمل له ويفريه بأن يخلع أبا جعفر ويبيع ابنه محمد حتى أجابه فخلع أبا جعفر ويبيع محمد ويبيع سالم من بعده ، وأخذ كتبه وكتب إبراهيم ومحمد فخرج فقدم على أبي جعفر فأخبره بحقيقة الأمر .

(٣) لم يزل النفس الزكية متغربا منذ أفضت الدولة إلى بني العباس خوفا منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لأبيه ولقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ، وتبعه أعيان المدينة ، ثم غلب عليها وعزل عنها أميرها ، ورتب عليها عاملا وقاضيا ، فوجه المنصور لقتاله جيشا بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى ، فكانت الغلبة لجيش المنصور ، وقتل النفس الزكية ، وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ ، ثم خرج أخوه إبراهيم =

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله ،  
 أما بعد : و « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا  
 أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ  
 الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِلَّا الَّذِينَ  
 تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . ولك (١) على  
 عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم إن ثبتت ورجعت من قبل أن  
 أقدر عليك أن أومنك وجميع ولدك وإخوتك ، وأهل بيتك ومن أتبعك ، على دماءكم  
 وأموالكم ، وأموغك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما  
 سألت من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق من في حبسى من  
 أهل بيتك ، وأن أومن كل من جاءك وبابك وأتبعك ، أو دخل معك في شيء  
 من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منه بشئ كان منه أبداً ، فإن أردت أن تتوثق لنفسك  
 فوجه إلى من أحببت أن يأخذك من الأمان والعهد والميثاق ما تشق به » .

وكتب على العنوان ، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله .

( تاريخ الطبرى ٩ : ٢١٠ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٥ : ١٩٩ ،  
 والكامل للمبرد ٢ : ٢٩٣ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٣١ )

— على المنصور بالبصرة ، فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى — بعد رجوعه من قتال النفس الزكية —  
 فقاتله ، وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ أيضاً — انظر الفخرى ص ١٤٨ وتاريخ الطبرى  
 ج ٩ ص ٢٠١ .

(١) في رواية الكامل للمبرد وصبح الأعشى اختلاف يسير من هذه الرواية ، وهي : « ولك  
 عهد الله ودمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إن ثبتت من قبل أن أقدر عليك أن أومنك .  
 على نفسك وولدك وإخوتك ومن بابك وتابعك وجميع شيعتك ، وأن أعطيك ألف ألف درهم ، وأنزلك  
 من البلاد حيث شئت ، وأقضى لك ما شئت من الحاجات ، وأن أطلق من في سجنى من أهل بيتك وشيعتك  
 وأنصارك ، ثم لا أتبع أحداً منكم بمكروه ، فإن شئت أن تتوثق لنفسك فوجه إلى من يأخذك من  
 الميثاق والعهد والأمان ما أحببت ، والسلام » .

## ٥٩ - رد النفس الزكية على أبي جعفر

فكتب إليه محمد بن عبد الله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدي<sup>(١)</sup> محمد بن عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد :

« أما بعد : « طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . نَتَلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِيعُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُقْسِدِينَ . وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ » وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت علي ، فإن الحق حقتنا ، وإنما أذعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا علياً كان الوصي ، وكان الإمام ، وكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا ، وشرف آبائنا ، لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا اللطقاء ، وليس يمت<sup>(٢)</sup> أحد من بني هاشم بمثل الذي تمت به من القرابة والسابقة والفضل ، وإنا بنو أم أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو<sup>(٣)</sup> في الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم ، إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن الساف أولهم إسلاما علي ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، أول من آمن بالله وصلى إلى القبلة ، ومن البنات خيرهن

(١) كان أبوه عبد الله يقول للناس عنه : هذا هو المهدي الذي بشر به ، فلقب بالمهدي .

(٢) أي يتوسل .

(٣) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي أم أبي طالب وأم عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم - انظر شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥ وتاريخ الطبري ٢ : ١٧٢ وغيره .

فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام : حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، وإن هاشمًا ولَدَ عَلِيًّا مرتين<sup>(۱)</sup> ، وإن عبد المطلب ولَدَ حَسَنًا مرتين<sup>(۲)</sup> ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَدَني مرتين من قِبَلِ حسن وحسين<sup>(۳)</sup> ، وإني أَوْسَطُ<sup>(۴)</sup> بني هاشم سبًّا ، وأَصْرَحُهُمْ أبا ، لم تُعْرِقْ في العَجَمِ ، ولم تَنَازِعْ في أمهات الأولاد<sup>(۵)</sup> ، فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام ، حتى اختار لي في النار ، فأنا ابنُ أرفعِ الناس درجةً في الجنة ، وأهونهم عذابًا في النار<sup>(۶)</sup> ، وأنا ابنُ خير الأخيار ، وابنُ خير الأشرار ، وابنُ خير أهل الجنة ، وابنُ خير أهل النار .

ولك اللهُ عليَّ إن دخلتَ في طاعتِي ، وأجبتَ دعوتي ، أن أومَّنتك على نفسك وولدك ومالك وعلى كل أمر أحدثته إلا حدًّا من حدود الله ، أو حقًّا يُسَلِّمُ أو مُعَاهَدًا ، فقد علمتَ ما يلزمك في ذلك ، وأنا أُولَى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد ، وأنت أحرى بقبول الأمان مني ، فأما أمانك الذي عَرَضْتَ عليَّ فأى الأمانات هو ؟ أمانُ ابنِ هُبَيْرَةَ<sup>(۷)</sup> ؟ أم أمانُ عمك عبد الله بن علي<sup>(۸)</sup> ؟ أم أمانُ أبي مُسَلِّمٍ<sup>(۹)</sup> ؟ والسلام<sup>(۱۰)</sup> .

( تاريخ الطبري ۹ : ۲۱۰ ، والكامل لابن الأثير ۵ : ۱۹۹ ، والكامل للمبرد ۲ : ۲۹۴ ، وصبح الأعشى ۱ : ۲۳۲ )

- (۱) يعني علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وعلي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
- (۲) يعني جده وأبا جده . فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب .
- (۳) يعني نفسه ، ويعني محمدا الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين . (۴) أرفعهم وخيرهم .
- (۵) يعرض بالمصور ، وكانت أم المنصور أم ولد يقال لها سلامة ، بربرية - انظر مروج الذهب ۲ : ۲۲۸ والعقد الفريد ۳ : ۴۴ .
- (۶) يعني جده أبا طالب ، وأن الله سيخفف عنه العذاب لما كان منه من نصرة رسول الله وحايته من أذى قريش . (۷) انظر ص ۱۳ . (۸) انظر ص ۲۴ . (۹) انظر ص ۳۰ .
- (۱۰) في رواية الكامل للمبرد وصبح الأعشى اختلاف يسير أيضا ، جاء فيهما بعد الآية الكريمة : « وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي أعطيتني ، فقد تعلم أن الحق حقنا ، وأنكم إنما طلبتموه بنا ، ونهضتم فيه بشيعتنا ، وخطبتموه بفضلنا ، وأن أبانا عليا عليه السلام كان الوصي والإمام ، فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء ، وقد علمت أنه ليس أحد من بني هاشم يمت بمثل فضلنا ، ولا يفخر بمثل قديمتنا وحديثنا ونسبنا ، وصبنا ، وإنا بنو أم أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية =



## ۶۰ - رد ابن جعفر على النفس الزكية

فكتب إليه أبو جعفر :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله : عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله . أما بعد :  
 فقد أتاني كتابك ، وبلغني كلامك ، فإذا جلّ نحرِك بقرابة النساء ، لتُضِلَّ به الجفَاءَ  
 والفَوْغَاءَ ، ولم يجعل الله النساء كالعُمومة (۱) والآباء ، ولا كالعَصْبَةِ والأولياء ، لأن الله  
 جعل العمَّ أبا وبدأ به في كتابه على الوالد الأَدْنَى ، فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف  
 عليه السلام : « وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ (۲) » ، ولقد علمت  
 أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ، وحمومته أربيّةً ، فأنزل الله عز وجل  
 « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبي (۳) ،  
 وكفّر اثنان أحدهما أبوك (۴) ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلا (۵) ،  
 ولا ذمّةً ، ولا ميراثاً .

= دونكم ، وبنو بنته فاطمة في الإسلام من بينكم ، فأنا أوسط بني هاشم نسبا ، وخيرهم أما وأبا ، لم تلدني  
 العجم ، ولم تفرق في أمهات الأولاد ، وإن الله عز وجل لم يزل يختار لنا ، فولدني من النبيين أفضلهم محمد  
 صلى الله عليه وسلم ، ومن أصحابه أقدمهم لإسلاما ، وأوسعهم علما ، وأكثرهم جهادا ، علي بن أبي طالب ،  
 ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد ، أول من آمن بالله وصلى إلى القبلة ، ومن بناته أفضلهن وسيدة  
 نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ثم قد علمت أن هاشما  
 ولد عليا مرتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين  
 من قبل جدى الحسن والحسين ، فما زال الله يختار لي ... الخ .

(۱) لا يجهل أبو جعفر أن النفس الزكية فضلا عن قرابته برسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة  
 النساء ( إذ أن جده الحسن بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ) له به قرابة من جهة العمومة أيضا كأبي  
 جعفر ( إذ أن جده أبا طالب عم رسول الله ، كما أن العباس جد المنصور عم رسول الله ) غير أن العباسيين  
 كانوا يرون أنهم أحق بالخلافة من العلويين . لأن رسول الله مات وعمه العباس حي ، فهو أولى بوراثته  
 بعصية العمومة من ابن عمه علي ، ومقدم عليه في الميراث ، وسرى أبا جعفر يصرح في أواخر هذه الرسالة  
 بأن العباس هو وارث الرسول .

(۲) أقول : ولا تنهض الآية دليلا لأبي جعفر ، فإن المذكورين فيها ليسوا بأعمام ليوسف ، بل  
 يعقوب أبوه ، وإسحاق جده ، وإبراهيم أبو جده ، على أن البسده فيها إبراهيم لغرض ، فهو أبو الملة  
 وأبناؤه تبع له فيها . (۳) يعني جده العباس ، وثانيهما سيدنا حمزة .

(۴) يعني جد النفس الزكية أبا طالب ، وثانيهما أبو لهب . (۵) أي عمدا .

فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهم ، فلو أُعْطِينِ على قرب الأسباب وحقّ الأحساب ، لكان الخير كله لآمنة بنت وهب<sup>(۱)</sup> ، ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه<sup>(۲)</sup> .

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلامَ لا بنتاً ولا ولداً<sup>(۳)</sup> ، ولو أن أحداً رزق الإسلام بالقرابة رزقه عبداً لله أو لاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ، ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء<sup>(۴)</sup> ، قال الله عز وجل : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » .

وأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد<sup>(۵)</sup> أم علي بن أبي طالب ، وفاطمة أم الحسن ، وأن هاشماً وآد عليا مرتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين . وأن النبي صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين ، نفي الأولين والآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلدّه هاشم إلا مرة واحدة ولم يلدّه عبد المطلب إلا مرة واحدة .  
وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً ، وأصرحهم أمّاً وأباً ، وأنه لم يلدك العجم ولم تُعْرِقْ فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً ، فانظر ويحك أين أنت من الله غداً ؟ فإنك قد تعديت طورك ، وفخرت على من هو خير

(۱) هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، أم رسول الله .

(۲) في رواية الطبري : « ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهن ، كانت آمنة أقربهن رحماً ، وأعظمهن حقاً ، وأول من يدخل الجنة غداً ، ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم ، واصطفاه لهم » .

(۳) روى الطبري ( ج ۲ : ص ۱۷۲ ) قال : « عبد الله أبو رسول الله ، وأبو طالب ، والزيد ، وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبرة ، وأميمة ، ولد عبد المطلب إخوة . أم جميعهم فاطمة بنت عمرو ... »  
(۴) وفي رواية الكامل للمبرد : « فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب ، فإن الله لم يهدأ أحداً من ولدها الإسلام ، ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الآخرة والأولى ، وأسعدهم بدخول الجنة غداً ، واسكن الله أبي ذلك فقال » .

(۵) هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، ( شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴ ) وليتنبه إلى أنها لم يرد لها ذكر في كتاب النفس الزكية السالف .

منك نفساً وأباً ، وأولاً وآخراً ، فخبرت على إبراهيم<sup>(۱)</sup> ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ، وما خيارُ بني أبيك خاصةً ، وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد ، وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن الحسين<sup>(۲)</sup> ، وهو لأم ولد ، وهو خير من جدك حسن بن حسن ، وما كان فيكم بعده مثلُ ابنه محمد<sup>(۳)</sup> بن علي ، وجدته أم ولد ، وهو خير من أبيك ، ولا مثلُ ابنه جعفر<sup>(۴)</sup> ، وجدته أم ولد ، وهو خير منك .

وأما قولك : إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله عز وجل قد أبقى ذلك . فقال : « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » . ولكنكم بنو ابنته ، وإنها قرابةٌ قريبة ، غير أنها امرأة لا تجوز الميراث<sup>(۵)</sup> ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف تورث الإمامة من

(۱) أمه مارية التي أهداها القوقس عظيم القبط لى رسول الله فتسرى بها ، وجاء منها به .  
(۲) هو على زين العابدين بن الحسين بن علي : قال ابن خلكان في ترجمته : « وذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار أن الصحابة رضى الله عنهم لما أتوا المدينة بسى فارس في خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد ، فباعوا السبايا ، وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضا ، فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه : إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوق ، فقال : كيف الطريق إلى العمل معهن ؟ قال : يقومن ، ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن ، فقومن . فأخذهن على بن أبى طالب ، فدفعت واحدة لعبد الله بن عمر ، وأخرى لولده الحسين ، وأخرى لمحمد ابن أبى بكر الصديق ، فأولد عبد الله أمته ولده سالما ، وأولد الحسين زين العابدين ، وأولد محمد وندد القاسم ، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة ، وأمهاتهم بنات يزدجرد . اه ثم قال : « وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد ، حتى نشأ فيهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله فناقروا أهل المدينة فقها وورعا ، فرغب الناس في السرارى - وفيات الأعيان ۱ : ۳۲۰ .

(۳) هو محمد الملقب بالباقر وأمه هي أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۴۵۰ - ولكن أخاه زيد بن على كانت أمه أمة ، وقد قدمنا في الجزء الثانى ص ۳۶۲ مدار بينه وبين هشام بن عبد الملك من الحديث في هذا الصدد .

(۴) هو جعفر الملقب بالصادق ابن محمد الباقر ، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۱۰۵ .

(۵) لأنها من أصحاب الفروض ، فتأخذ فرضها فقط ( نعم لأنها تأخذ التركة كلها فرسا وردا إن لم يكن هناك عاصب ) .

قَبْلَهَا؟ وَلَقَدْ ظَلَمَهَا أَبُوكَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، فَأَخْرَجَهَا مُنْجَاهِمَ <sup>(۱)</sup> ، وَمَرَّضَهَا مِرًّا ، وَدَفَنَهَا لَيْلًا ، فَأَبَى النَّاسُ إِلَّا تَقْدِيمَ الشَّيْخِينَ وَتَفْضِيلَهُمَا ، وَلَقَدْ جَاءَتِ السَّنَةُ الَّتِي لَا اخْتِلَافَ فِيهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ اجْتَدَّ أَبَا الْأُمِّ وَالْحَالِ وَالْحَالَةَ لَا يَرْتُونَ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنْ اللَّهُ اخْتَارَكَ فِي الْكُفْرِ ، فَجَعَلَ أَبَاكَ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا ، فَلَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ ، وَلَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ هَيْئٌ ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَفْخَرَ بِالذَّارِ ، وَسَتَرِدَ فَتَعَلَّمَ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ <sup>(۲)</sup> .

وَأَمَّا مَا فَخَرْتَ بِهِ مِنْ عَلِيٍّ وَسَابَقْتِهِ ، فَقَدْ حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاةُ ، فَأَمَرَ غَيْرَهُ <sup>(۳)</sup> بِالصَّلَاةِ ، ثُمَّ أَخَذَ النَّاسَ رِجْلًا بَعْدَ رِجْلٍ <sup>(۴)</sup> فَلَمْ يَأْخُذُوهُ ثُمَّ كَانَ فِي أَصْحَابِ الشُّورَى <sup>(۵)</sup> فَتَرَكَوهُ كُلَّهُمْ دَفْعًا لَهَا عَنْهَا ، وَلَمْ يَرَوْا لَهُ حَقًّا فِيهَا ، أَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَدَّمَ عَلَيْهِ عَثْمَانَ ، وَقَتَلَ عَثْمَانَ وَهُوَ لَهُ مُتَّهِمٌ ، وَقَاتَلَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، وَأَبِي سَعْدٍ بَيْعَتَهُ <sup>(۶)</sup> ، وَأَغْلَقَ دُونَهُ بَابَهُ ، ثُمَّ بَاعَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَهُ .

ثُمَّ طَلَبَهَا بِكُلِّ وَجْهٍ ، وَقَاتَلَ عَلَيْهَا ، وَتَفَرَّقَ عَنْهَا أَصْحَابُهَا ، وَشَكََّ فِيهِ شَيْعَتُهُ قَبْلَ الْحُكُومَةِ ، ثُمَّ حَكَمَ حَكَمِينَ ، وَأَعْطَاهُمَا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ عَلَى الرِّضَا بِمَا حَكَمَّا بِهِ ، فَاجْتَمَعَا عَلَى خُلْعِهِ .

وَأَنْفَضَى أَمْرًا جَدَّكَ إِلَى أَبِيكَ الْحَسَنِ ، فَبَايَعَهَا مِنْ مَعَاوِيَةَ بِخَرْقٍ وَدِرَاهِمٍ ، وَلَحِقَ

(۱) يريد خروج فاطمة إلى أبي بكر رضي الله عنهما تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداءك - انظر الجزء الثاني من ۲۸۵ - وقد هجرت فاطمة أبا بكر فلم تكلمه حتى ماتت - بعد ستة أشهر من وفاة أبيها - فدفنها على ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر - تاريخ الطبري ۳ : ۲۰۲ .

(۲) وفي رواية الطبري : « وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا ؛ وابن خير الأشرار ، وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير ، وليس في الشر خيار ، ولا يبغي . . . الخ »

(۳) لما مرض رسول الله المرض الذي مات فيه ، أذن بالصلاة ، فقال : مروا أبا بكر أن يصلى بالناس - تاريخ الطبري ۳ : ۱۹۵ وغيره .

(۴) أي لتولى الخلافة .

(۵) وهم : هلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف .

(۶) وكان سعد ممن تربعس ولم يبايع عليا حين ولي الخلافة - تاريخ الطبري ۵ : ۱۵۴ .

بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا<sup>(۱)</sup> من غير ولاءه ولا حله ، فإن كان لكم فيها شيء فقد يعتموه وأخذتم منه .

ثم خرج عمك الحسين بن عليّ على ابن مَرْجَانَةَ<sup>(۲)</sup> ، فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه ، وقتلوا رجالكم ، وأمرُوا الصَّبِيَةَ والنساء ، وحلّوهم بلا وِطَاء<sup>(۳)</sup> في المَحَامِلِ ، كالتَّبِيّ المجلوب ، إلى الشام<sup>(۴)</sup> .

ثم خرج منكم غير واحد على بني أمية ، فقتلوكم وصدّبوكم على جُدُوع النخل<sup>(۵)</sup> ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفّوكم من البلدان ، حتى قُتل يحيى<sup>(۶)</sup> بن زيد بخراسان .

حتى خرجنا عليهم ، فأدركنا بئاركم إذ لم تُدركوه ، ورفعنا أقداركم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة ، كما تلعن الكفّرة ، وعفّناهم وكفرناهم ، وبيننا فضله ، وأشدنا بذكرك ، فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا - لما ذكرنا من فضل عليّ - قدّمناه على حمزة والعباس وجعفر<sup>(۷)</sup> ، كل أولئك مضوا سالين مسلّمًا منهم ، وابتلى أبوك بالدماء<sup>(۸)</sup> .

- (۱) انظر الجزء الثاني من ۱۹ . (۲) هو عبيد الله بن زياد ، ومرجانة : أمه .  
(۳) الوطاء بالكسر والفتح : المهاد الوطني ، وجمعه أوطية ، والمحمل كجاس : شقان على البعير يحمل فيهما العديان وجمعه محامل . وفي الكامل للبرد وصبح الأعشى « ثم أتوا بكم على الأفتاب من غير أوطية كالي المجلوب ... » والأفتاب جمع قتب بالتجريك وهو الإكاف ( بالكسر ) الصغير على قدر صنم البعير . (۴) انظر الجزء الثاني من ۳۶۰ .  
(۵) خرج زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك سنة ۱۲۱ هـ فقتل وصلب بالكناسة ثم أحرق - انظر ماقدمناه في الجزء الثاني من ۴۲۰ .  
(۶) هرب بعد مقتل أبيه إلى خراسان ، وخرج في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ۱۲۵ هـ فقتل وصلب وأحرق وذرى في الفرات - انظر الجزء الثاني من ۳۹۲ .  
(۷) هو جعفر بن أبي طالب ، قتل في غزوة مؤتة سنة ۸ هـ - انظر الجزء الأول من ۳۹۵ .  
(۸) في رواية الطبري « حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بئاركم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وأسبنا سلفكم ( أي رفضنا ) وفضلنا ، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلنا ، للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالين مسلّمًا منهم ، مجتمعًا عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بني أمية تلعه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له ، وذكرناهم فضله ، وعفناهم وظلناهم بما نالوا منه » .

ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم ،  
وكانت للعباس دون إخوته<sup>(۱)</sup> ، فنارعتنا فيها أبوك<sup>(۲)</sup> ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل  
فليها في الجاهلية والإسلام ، ولقد قحط أهل المدينة<sup>(۳)</sup> ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ،  
ولم يتقرب إليه ، إلا بأبينا<sup>(۴)</sup> ، حتى نعتهم الله ، وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضر  
لم يتوسل به .

ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم  
غيره فكان وارثه من عمومته<sup>(۵)</sup> ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله  
إلا ولده ، فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف  
ولا فضل ، في جاهلية ولا إسلام ، في دنيا ولا آخرة ، إلا والعباس وارثه ومورثه<sup>(۶)</sup> ،  
واقدم جاء الإسلام<sup>(۷)</sup> والعباس يمون أبا طالب وعياله ، ويتفق عليهم للأزمة التي

(۱) انظر أسد الغابة ۳ : ۱۰۹ .

(۲) جاء في شرح ابن أبي الحديد ۳ : ص ۴۶۱ « وكانت السقاية في الجاهلية بيد أبي طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس » .

(۳) كان ذلك عام الرمادة سنة ۱۸ هـ ، أصابت الناس فيه مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها ، فكانت  
تسى إذا ريحت ترابا كالرماد فسمى ذلك العام عام الرمادة - انظر تاريخ الطبري ۴ : ۲۲۳ .

(۴) خطب عمر عام الرمادة بالعباس ، فكان فيما قال : « اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وببقية

آبائه وكبار رجاله ، فإنك تقول ( وقولك الحق ) : « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ

فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » فحفظتها لصالح أبيهما ، فاحفظ

اللهم نبيك و عمه » فا برحوا حتى علقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطلق الناس بالعباس يقولون : «هنيئا  
لك ياساقى الحرمين » - انظر العقد الفريد ۲ : ۱۳۲ .

(۵) في الكامل للمبرد و صبح ، الأعشى « وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد

حيا إلا العباس ، فكان وارثه دون بني عبد المطلب » .

(۶) وفيهما . « فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، وبنوه القادة

الحقاه ، فقد ذهب بفضل القديم والحديث » .

(۷) في الطبري « وأما ما ذكرت من بدر فإن الإسلام به جاء . . . » غير أنه لم يرد ذكر بدر

في كتاب النفس الزكية .

أصابته (۱) ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كزها لمات عمك طالب وعقيل جوعا ،  
وللحسا جفان عتبة وشيبة (۲) ، ولكنه كان من المطمئنين ، فأذهب عمكم العار  
والشمار (۳) ، وكذا كم النفقة والثؤنة ، ثم فدَى عقيلاً يوم بدر (۴) .

فكيف تفخر علينا؟ وقد منّاكم (۵) في الكفر ، وقديناكم من الأسر ، وحزنا  
عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بئارك فأدر كئنا منه  
بما تجزتم منه ، ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم ، والسلام عليك ، ورحمة الله .  
( تاريخ الطبري ۹ : ۲۱۱ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ۵ : ۱۹۹ ،  
والكامل المبرد ۲ : ۲۹۵ ، وصبح الأعشى ۱ : ۲۳۳ )

## ۶۱ - كتاب أبي جعفر إلى الحسن بن زيد

وخاصم عيسى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن  
أبي طالب ، بن محمد النفس الزكية في ميراث عبد الله ، وقالوا : قتل أبوكم محمد فوره

(۱) جاء في شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۵ « ذكروا أن قريشا أصابتها أزمة وقحط ، فقال  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبيزة حنظلة والعباس : ألا نحمّل ثقل أبي طالب في هذا الحبل ( والحبل  
كالقحط وزنا ومعنى ) جاءوا إليه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم ، فقال : دعوا لي عقيلاً  
وخذوا من شتم ، وكان شديد الحب لعقيل ، فأخذ العباس طالباً ، وأخذ حمزة جعفرًا . وأخذ محمد  
صلى الله عليه وآله وسلم علياً . »

(۲) الجفان : جم جفنة بالفتح وهي القصة ، وعتبة هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو هند أم معاوية ،  
وكان من المطمئنين من قريش - انظر سيرة ابن هشام ۱ : ۴۰۶ ، وشيبة أخو عتبة .

(۳) الشمار : أبق العيب . وفي الطبري « السبة » والمعنى واحد .

(۴) كان العباس ممن خرج مع المشركين يوم بدر ثم أسر ، وكذا عقيل بن أبي طالب . وروى  
الطبري ( ج ۲ : ص ۲۹۰ ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس حين انتهى به إلى  
المدينة : يا عباس اهد نفسك وابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو  
ابن جحدم ، فإنك ذو مال . فقال : يا رسول الله إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروني . فقال :  
الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكر حقاً فافقه يجريك به ، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فأفد نفسك .  
قال : فإنه ليس لي مال ، قال : فأين المال الذي وضعته بك؟ حيث خرجت عند أم الفضل بنت الحارث  
ليس ممكناً أحد ، ثم قلت لها : إن أصبت في سفري هذا ، فلفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ،  
ولقمت كذا وكذا ، ولعبيد الله كذا وكذا . قال : والذي بينك بالحق ما علم هذا أحد غيري وغيرها ، وإني لأعلم  
أنك رسول الله ، فدَى العباس نفسه وابني أخيه وحليفه .

(۵) في الطبري « وقد علناكم » والمعنى واحد .

عبدُ الله ، فتنازَعوا إلى الحسن بن زيد ، فكتب بذلك إلى أبي جعفر ، فكتب إليه :  
 « أما بعد : فإذا بلغك كتابي هذا فورثهم من جدِّهم ، فإني قد ردَدْتُ  
 عليهم أموالهم<sup>(۱)</sup> ، صِلَةً لأرحامهم ، وحفظًا لقرابتهم » .

( تاريخ الطبری ۹ : ۲۳۲ )

## ۶۲ - کتب بين أبي جعفر وسلم بن قتيبة

وكتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة الباهلي لما وُلِّاه البصرة — بعد مقتل إبراهيم  
 ابن عبد الله بن الحسن — :

« أما بعد ، فأهدم دُورَ مَنْ خرج مع إبراهيم واعقر نخلهم » .

فكتب إليه سلم : « بأى ذلك أبدأ ، أبا الدور أم بالنخل ؟ »

فكتب إليه أبو جعفر : « أما بعد : فقد كتبت إليك أمرُك بإفساد تمرهم ،

فكتبت نستاذتني في آيةٍ تبدأ به . أبا البرني<sup>(۲)</sup> أم بالشهريز<sup>(۳)</sup> ؟ » وعزله ، وكان

ذلك سنة ۱۴۶ هـ . ( تاريخ الطبری ۹ : ۲۶۴ )

## ۶۳ - كتاب المنصور إلى عيسى بن موسى

وكان أبو العباس السَّفَّاح ، عامَ وفاته ( سنة ۱۳۶ هـ ) عمَّد لأخيه أبي جعفر الخليفة  
 من بعده ، وجعله وليَّ عهد المسلمين ، ومن بعده ابن أخيه عيسى بن موسى ، وكتب  
 العهد بذلك وصَّيره في ثوب ، وختم عليه بخاتمته وخواتيم أهل بيته ، ودفعه إلى عيسى  
 ابن موسى<sup>(۱)</sup> .

(۱) كان عيسى بن موسى لما قتل محمد النفس الزكية ، قبض أموال بني الحسن كلها ، فأجاز  
 ذلك أبو جعفر . (۲) البرني : تمر ، فارسي معرب .

(۳) تمر أيضا . جاء في القاموس : « تمر شهريز بالضم والكسر ، وبالنت وبالإضافة ، وبالسين :

نوع معروف » . (۴) انظر تاريخ الطبری ۹ : ۱۵۴ .



فلما ولى أبو جعفر الخلافة أقرَّ عيسى بن موسى على ما كان أبو العباس ولاء من ولاية الكوفة وسوادها ، وكان له مُكرِّمًا مُجَلِّيًا ، وكان إذا دخل عليه أجلسه عن يمينه ، وأجلس المهدي ابنه عن يساره ، ثم عزم على تقديم المهدي عليه في الخلافة ، وكلمه في ذلك برفيق من الكلام فأبى ، فتفبرَّ عليه وباعده بعض المباعدة . وقصد إليه بالأذى حتى أجابه إلى ما سأله<sup>(۱)</sup> ، وكان ذلك سنة ۱۴۷ هـ .

وروى الطبري أن أبا جعفر كتب إليه في ذلك :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله : عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى عيسى ابن موسى ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فالحمد لله ذي المنِّ القديم ، وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، وَالْبَلَاءِ<sup>(۲)</sup> الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، الذي ابتداء الخلق بعلمه ، وَأَنْفَذَ الْقَضَاءَ بِأَمْرِهِ ، فلا يبلغُ مخلوق كُنْهَ حَقِّهِ ، ولا ينال في عظمتِهِ كُنْهَ ذِكْرِهِ ، يدبِّرُ ما أَرَادَ من الأمور بِقُدْرَتِهِ ، وَيُصَدِّرُهَا عن مشيئته ، لا قاضِي فيها

(۱) من ذلك ما قيل من أن أبا جعفر سقاه بعض ما يتلفه ، فرض مدة ، وبلغت العلة منه كل مبلغ حتى تمط شعره ثم أفاق من علته ، وقيل إنه وضغ الجند فصاروا يشتمونه إذا رأوه وينالون منه ، فشكا ذلك إلى المنصور فقال للجند : لا تؤذوا ابن أخي ، فإنه جلدة بين عيني ولو كنت تقدمت إليكم لضربت أعناقكم ، فكانوا يكفون ثم يمودون ، فسكت بذلك زمانا ، فلما كتب أبو جعفر إليه الكتاب الآتي ، وأتاه جوابه بالإباه . عاد الجند لأشد ما كانوا يصنعون ، فكانوا يأتون باب عيسى فيمنعون من يدخل إليه ، فإذا ركب مشوا خلفه ، وقالوا : أنت البقرة التي قال الله فيها « فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » فعاد فشكاهم ، فقال له المنصور : يا ابن أخي أنا والله أخافهم عليك وعلى نفسي ، قد أشربوا حب هذا الفتى ( المهدي ) فلو قدمته بين يديك فيكون بيني وبينك لكفوا ، فأجابه ، وقيل إن أبا جعفر لما أعباه الأمر في خلق عيسى بن موسى من ولاية العهد ، بعث إلى خالد بن برمك وقال له : هل عندك حيلة فيه ، فقد أعبينا وجوه الحبل ، وضل هنا الرأي . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وسار إليه في ثلاثين رجلا من كبار شيعة أبي جعفر ، فأداره بكل وجه من وجوه الحذر والطمع ، فأبى عليه ، فخرج خالد فقال : نخبر أمير المؤمنين أنه قد أجاب ، ونشهد عليه إن أنكره ، وساروا إلى أبي جعفر ، فأعلموه أنه قد أجاب . فأخرج التوقيع بالبيعة للمهدي ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وبلغ الخبر عيسى فأبى أبا جعفر منكرًا لما أئعى عليه ، فدعاهم أبو جعفر فأهلم ، فقالوا : نشهد عليه أنه قد أجاب ، وليس له أن يرجع ، فأمضى أبو جعفر الأمر وشكر لخالد ما كان منه . انظر تاريخ الطبري ۹ : ۲۷۲ ، والنخري ص ۱۵۵ .

(۲) البلاء يكون منعة ، ويكون محنة .

غيره ، ولا نفاذ لها إلا به ، يُجْرِيهَا عَلَىٰ أَذْلَالِهَا (۱) ، لا يَسْتَأْمِرُ (۲) بِهَا وَزِيْرًا ،  
ولا يُشَاوِرُ فِيهَا مُعِينًا ، ولا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ شَيْءَ أَرَادَهُ ، يَمْتَضِي قَضَاؤَهُ فِيْمَا أَحَبَّ الْعِبَادُ  
وَكَرِهُوا ، لا يَسْتَطِيعُونَ مِنْهُ امْتِنَاعًا ، ولا عَنْ أَنْفُسِهِمْ دِفَاعًا ، رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ،  
لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

ثم إنك قد علمت الحال التي كنا عليها في ولاية الظلمة : كيف كانت قوتنا  
وحياتنا ، لما اجترأ عليه أهل بيت اللعنة علينا ، فيما أحببنا وكرهنا ، فصبرنا أنفسنا على  
مادعونا إليه ، من تسليم الأمور إلى من أسندوها إليه ، واجتمع رأيهم عليه ، نسامُ  
الْحَسَفِ (۱) ، ونوطاً بالعسف ، لا ندفع ظلماً ، ولا تمنع ضيماً ، ولا نعطي حقاً ، ولا ننكر  
مُنْكَرًا ، ولا نستطيع لها ولا لأنفسنا نفعاً ، حتى إذا بلغ الكتاب أجله ، وانتهى الأمر  
إلى مدته ، وأذن الله في هلاك عدوه ، وارتاح بالرحمة لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ،  
فابتعث الله لهم أنصاراً يطلبون بثأرهم ، ويجاهدون عدوهم ، ويدعون إلى حُبِّهم ،  
وينصرون دولتهم ، من أرضين متفرقة ، وأسباب مختلفة ، وأهواء مؤتلفة ، فجمعهم الله  
على طاعتنا ، وألف بين قلوبهم ، ووددنا على نصرتنا ، وأعزهم بنصرنا ، لم نلق منهم رجلاً ،  
ولم نشهر معهم سيفاً ، إلا ما قذف الله في قلوبهم ، حتى ابتغهم لنا من بلادهم ببصائر  
نافذة ، وطاعة خالصة ، يلقون الظفر ، ويعودون بالنصر ، وينصرون بالرعب ، لا يلقون  
أحداً إلا هزموه ، ولا واثراً إلا قتلوه ، حتى بلغ الله بنا بذلك أقصى مدانا ، وغاية  
منانا ، ومنتهى آمالنا ، وإظهار حقنا ، وإهلاك عدونا ، كرامة من الله جل وعز لنا ،  
وفضلاً منه علينا بغير حول منا ولا قوة .

ثم لم نزل من ذلك في نعمته الله وفضله علينا ، حتى نشأ هذا الفلام (۱) ، فقذف الله

(۱) يقال : أمور الله جارية أذلالها ( بالنصب ) وعلى أذلالها : أي مجاريها ، جمع ذل بالكسر ،  
وذال الطريق : محجته . (۲) الاستئثار والمؤامرة : المشاورة .  
(۳) سامه الحسف : أولاه الذل . والعسف : الظلم : (۴) يعني ابنه محمدا المهدي .

له في قلوب أنصار الدين الذين ابتعهم لنا مثل ابتدائه لنا أول أمرنا، وأمر رب قلوبهم موؤدته، وقسم في صدورهم محبته، فصاروا لا يذكرون إلا فضله، ولا يبنوهون<sup>(۱)</sup> إلا باسمه، ولا يعرفون إلا حقه، فلما رأى أمير المؤمنين ما قذف الله في قلوبهم من مودته، وأجرى على ألسنتهم من ذكره، ومعرفة إياه بعلاماته وأسمه، ودعا العامة إلى طاعته، أيقنت نفس أمير المؤمنين أن ذلك أمر تولاها الله وصنعه، لم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة ولا مؤامرة ولا مذكرة، لا الذي رأى أمير المؤمنين من اجتماع الكلمة، وتتابع العامة، حتى ظن أمير المؤمنين أنه لولا معرفة المهدي بحق الأبوّة لأفضت الأمور إليه، وكان أمير المؤمنين لا يمنع مما اجتمعت عليه العامة، ولا يجد مناصاً عن خلاص مادعوا إليه، وكان أشد الناس على أمير المؤمنين في ذلك الأقرب فالأقرب من خاصته وثقاته من حرسه وشروطه، فلم يجد أمير المؤمنين بدءاً من استصلاحهم ومتابعتهم، وكان أمير المؤمنين وأهل بيته أحق من سارع إلى ذلك، وحرص عليه ورغب فيه، وعرف فضله، ورجا بركته، وصدق الرواية فيه، وحمد الله إذ جعل في ذريته مثل ما سالت الأنبياء قبله، إذ قال العبد الصالح<sup>(۲)</sup>: «فهب لي من لدنك ولياً. يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيعاً». فوهب الله لأمر المؤمنين ولياً، ثم جعله تقياً مباركاً مهدياً، وللنبي صلى الله عليه وسلم سميّاً، وسلب من انتحل هذا الاسم<sup>(۳)</sup>، ودعا إلى تلك الشبهة التي تحير فيها أهل تلك النية، وافتتن بها أهل تلك الشقوة، فانزع ذلك منهم، وجعل دائرة السوء عليهم، وأقر الحق قراره، وأعلن للمهدي مناره، وللدين انصاره.

(۱) نوه بفلان: إذا رفضه وطير به.

(۲) هو زكريا عليه السلام.

(۳) يعني النفس الزكية، وكان يلقب بالمهدي - انظر ص ۷۹.

فَأَحَبَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْلَمَكَ الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُ رِعِيَّتِهِ ، وَكَنتَ فِي نَفْسِهِ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهِ ، يُحِبُّ مِنْ سَتْرِكَ وَرُشْدِكَ وَزَيْنِكَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ، وَيَرَى لَكَ - إِذَا بَلَغَكَ مِنْ حَالِ ابْنِ عَمِكَ مَا تَرَى مِنْ أَجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ - أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكَ ، لِيَعْلَمَ أَنْصَارُنَا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّكَ أَمْرَعُ إِلَى مَا أُحِبُّوْا ، مِمَّا عَلَيْهِ رَأْيُهُمْ فِي صَلَاحِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَنْ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِ عِرْفَانِهِ لِلْمُهْدِيِّ ، أَوْ أَمْلُوهُ فِيهِ ، كَنتَ أَحْظَى النَّاسِ بِذَلِكَ وَأَمْرَهُمْ بِهِ ، لِإِسْكَانِهِ وَقَرَابَتِهِ ، فَاقْبَلْ نَصِيحَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ ، تَصَاحُحًا وَتَرْشُدًا ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ .

( تاريخ الطبري ۹ : ۲۶۹ )

## ۶۴ - رد عيسى بن موسى على المنصور

فكتب إليه عيسى بن موسى :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : لَعَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَيْسَى بْنِ مُوسَى .  
سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَحَدٌ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،  
أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَاغَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ مَا أَجْمَعْتُ<sup>(۱)</sup> عَلَيْهِ ، مِنْ خِلَافِ الْحَقِّ ، وَرُكُوبِ  
الإِثْمِ فِي قَطِيعَةِ الرَّحِيمِ ، وَنَقْضِ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمِيثَاقِ مِنَ الْعَامَّةِ ، بِالْوَفَاءِ لِلْخِلَافَةِ  
وَالْعَهْدِ لِي مِنْ بَعْدِكَ ، لِتَقْطَعَ بِذَلِكَ مَا وَصَلَ اللَّهُ مِنْ حَبْلِهِ ، وَتُفَرِّقَ بَيْنَ مَا أَلْفَ اللَّهُ  
جَمْعَهُ ، وَتَجْمَعَ بَيْنَ مَا فَرَّقَ اللَّهُ أَمْرَهُ ، مَكَابِرَةَ اللَّهِ فِي سَمَائِهِ ، وَحَوَالَا<sup>(۲)</sup> عَلَى اللَّهِ  
فِي قِضَائِهِ ، وَمَتَابَعَةَ الشَّيْطَانِ فِي هَوَاهُ ، وَمَنْ كَابَرَ اللَّهَ صَرَاعَهُ ، وَمَنْ نَارَعَهُ قَمَعَهُ<sup>(۳)</sup> ،  
وَمَنْ مَا كَرَّهَ عَنْ شَيْ خَدَعَهُ ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ مَنَعَهُ ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ .  
إِنَّ الَّذِي أُسِّسَ عَلَيْهِ الْبِنَاءُ ، وَخُطَّ عَلَيْهِ الْحِدَاةُ<sup>(۴)</sup> ، مِنْ الْخَلِيفَةِ الْمَاضِي ، عَهْدِي لِي

(۱) أجمع الأمر وأجمع عليه : عزم ، وخلاف : مخالفة .

(۲) الحول : الاحتيال والتحيل . (۳) قعه كنده : قهره وذلله .

(۴) أي القالب الذي قدر الحداء وقطع على مثاله ، ومعنى هذا وما قبله : أن القاعدة التي أسس

عليها بنيان الدولة ، والمخطة التي رسمها أبو العباس وارتضاها ، عهد لي ... الخ .

من الله ، وأمرنا نحن فيه سواء ، ليس لأحد من المسلمين فيه رخصة<sup>(۱)</sup> دون أحد ، فإن  
 وجب وفاء فيه فما الأول بأحق به من الآخر ، وإن حل من الآخر شيء فما حرم ذلك  
 من الأول ، بل الأول الذي تلا خبره ، وعرف أثره ، وكشف عما ظن به وأمل  
 فيه أسرع ، وكان الحق أولى بالذي أراد أن يصنع أولاً ، فلا يدعك إلى الأمن  
 من البلاء اغتراراً بالله ، وترخيصاً للناس في ترك الوفاء ، فإن من أجابك إلى ترك  
 شيء وجب لي ، واستحل ذلك مني ، لم يخرج<sup>(۲)</sup> إذا أمكنته الفرصة ، وأفتنته<sup>(۳)</sup>  
 بالرخصة ، أن يكون لي مثل ذلك منك أسرع ، ويكون بالذي أسست من ذلك  
 أنجع ، فاقبل العافية<sup>(۴)</sup> ، وارض من الله بما صنع ، وخذ ما أوتيت بقوة ، وكن  
 من الشاكرين ، فإن الله جل وعز زائد من شكره ، وعداً منه حقاً لا خلف فيه ، فمن  
 راقب الله حفظه ، ومن أضمر خلافه خذله ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي  
 الصدور ، ولسنا مع ذلك نأمن من حوادث الأمور ، وبفتات الموت ، قبل ما ابتدأت  
 به من قطيعتي ، فإن يعجل بي أمر كنت قد كفيت مئونة ما اعتممت له ،  
 وسترت قبح ما أردت إظهاره ، وإن بقيت بعدك لم تكن أوغرت<sup>(۵)</sup>  
 صدري ، وقطعت رحي ، ولا أظهرت<sup>(۶)</sup> أعدائي في اتباع أثرك ، وقبول أدبك ،  
 وعمل بمالك .

وذكرت أن الأمور كلها بيد الله هو مدبرها ومقدرها ومضدورها عن مشيئته ،  
 فقد صدقت ، إن الأمور بيد الله ، وقد حق على من عرف ذلك ووصفه العمل به ،  
 والانتباه إليه .

(۱) الرخصة : ترخيص الله للعبد فيما يخففه عليه ، والتسهيل . والمعنى : ليس لأحد منهم أن يتحلل  
 منه ، بل يجب عليهم جميعاً الوفاء به .

(۲) خرج كفرح : أم . (۳) فتته كضربه وقتته وأفتته : أوقعه في الفتنة .

(۴) في الأصل العاقبة ، وهو تصحيف .

(۵) الوغر ويحرك : الحقد والضغن والعداوة والتوقد من الغيظ ، وفي الأصل أوغرت ، وهو تصحيف .

(۶) ظهر عليه : غلبه وقوى عليه ، وأظهره عليه : أعانه عليه وأظفره به .

وأعلم أنا لسنّا جرّرتنا إلى أنفسنا نفعاً ، ولا دَقَعْنَا عنها ضرّاً ، ولا نِلْنَا الذي مرَفَفْتُهُ  
 بِمَحْوَلِنَا وَلَا قُوَّتِنَا ، ولو وَكَلِفْنَا في ذلك إلى أنفسنا وأهوائنا ، لَضَعُفَتْ قُوَّتُنَا ، وَعَجَزَتْ  
 قُدْرَتُنَا في طلب ما بَلَغَ اللهُ بنا ، ولكن الله إذا أراد عَزْمًا لِإِنْفَازِ أمره ، وإِنجَازِ وعده ،  
 وإِتِمَامِ عهده ، وتأكيد عَقْدِهِ ، أَحْكَمَ إِبْرَامَهُ ، وَأَبْرَمَ إِحْكَامَهُ ، ونوّرَ إِعْلَانَهُ ،  
 وثبّتَ أركانَهُ ، حين أسّسُ بُنْيَانَهُ ، فلا يستطيع العباد تأخيرَ ما عَجَّلَ ، ولا تعجيلَ ما أَخَّرَ ،  
 غيرَ أن الشيطان عدوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قد حذّرَ اللهُ طاعته ، وبَيَّنَّ عداوته ، يَنْزَعُ (۱)  
 بين وِلَاةِ الحقِّ وأهلِ طاعته ، لِيُفَرِّقَ بَجمَعِهِمْ ، وبَشَتَّ شَمْلَهُمْ ، وَيُوقِعَ العداوةَ والبغضاءَ  
 بينهم ، ويَتَبَرَأَ منهم عند حقائق الأمور ، وَمَضَابِقِ البَلَايَا ، وقد قال اللهُ عز وجل  
 في كتابه : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ  
 فِي أُمْنِيَّتِهِ ، فَيَنسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .  
 وَوَصَفَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَقَالَ : « إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذْهُمْ مُبْصِرُونَ »  
 فَأَعْيَدُ أمير المؤمنين بالله من أن يكون نَبِيُّهُ وَضَمِيرُ سريرته خِلَافَ ما زَيَّنَّ اللهُ به  
 جِلَّ وَعِزَّ مِنْ كَانَ قَبْلَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ سَأَلْتَهُمْ أبنائِهِمْ ، وَنَازَلْتَهُمْ أَهْوَاؤَهُمْ إِلَى مِثْلِ الَّذِي  
 هَمَّ بِهِ أمير المؤمنين ، فَأَثَرُوا الحقَّ على ماسواه ، وَعَرَفُوا أَنَّ اللهَ لا غَالِبَ لِقَضَائِهِ ،  
 ولا مانعَ لِعَطَائِهِ ، ولم يَأْمَنُوا مع ذلك تَفييرَ النِّعَمِ ، وَتَعْجِيلَ النِّقَمِ ، فَأَثَرُوا الآجِلَةَ ،  
 وَقَبِلُوا العَاقِبَةَ ، وَكَرِهُوا التَّغْيِيرَ ، وَخَافُوا التَّبْدِيلَ ، فَأَظْهَرُوا الجَمِيلَ ، فَتَمَّ اللهُ لَهُمْ  
 أُمُورُهُمْ ، وَكَفَاهُمْ ما أَهَمَّهُمْ ، وَمَنَعَ سُلْطَانَهُمْ ، وَأَعَزَّ أَنْصَارَهُمْ ، وَكَرَّمَ أَعْوَانَهُمْ ، وَشَرَّفَ  
 بُنْيَانَهُمْ ، فَتَمَّتْ النِّعَمُ ، وَتَظَاهَرَتِ (۲) المِنَّةُ ، فَاسْتَوْجَبُوا الشُّكْرَ ، فَتَمَّ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ  
 كَارِهُونَ ، وَالسَّلَامُ عَلَى أمير المؤمنين وَرَحْمَةُ اللهِ .

\*\*\*

(۱) نزع بينهم كنع : أفسد وأغرى ووسوس ، قال تعالى « مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ

بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي » وفي الأصل « ينزع » وهو تصحيف .

(۲) معناه : تضاعفت ، يقال ظاهرين توين أي لبس أحدهما على الآخر وتظاهروا عليه : تعاونوا .

وروى أن المنصور لما رجع إليه من عند عيسى جواب كتابه وقع في كتابه :  
« أُسَلُّ عَنْهَا تَنْقُلُ مِنْهَا عِوَضًا فِي الدُّنْيَا ، وَتَأْمَنُ تَبِعَتَهَا فِي الآخِرَةِ » .  
( تاريخ الطبري ۹ : ۲۷۰ )

## ۶۵ - كتاب عيسى بن موسى إلى المنصور

وروى الصولي قال :

وكتب عيسى بن موسى إلى المنصور ، حين ألحَّ عليه في البيعة للمهدي ، كتابا غليظا  
لكتاب المنصور إليه :

« فَهِمْتُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، الْمَزِيلَ عَنْهُ نَعَمَ اللَّهُ ، وَالْمَعْرُضَةَ لِسُخْطِهِ ، بِمَا قَرُبَ  
فِيهِ مِنَ الْقَطِيعَةِ وَنَمَضِ الْمِيثَاقِ ، أَوْجَبَ مَا كَانَ الشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَيْهِ ، وَأَلْزَمَ مَا كَانَ الْوَفَاءُ  
لَهُ ، فَأَعَقَبَ سُبُوغَ<sup>(۱)</sup> النِّعَمِ كَفْرًا ، وَأَتَّبَعَ الْوَفَاءَ بِالْحَقِّ غَدْرًا ، وَأَمِنَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا مَدَّ  
مِنْ بَسْطَتِهِ إِحْسَانًا ، وَتَمَكَّنَتْهُ إِيَّاهُ اسْتِدْرَاجًا ، وَكَفَى اللَّهُ مِنَ الظَّالِمِ مُنْتَصِرًا ، وَالْمَظْلُومِ  
نَاصِرًا ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَهُوَ حَسْبِي وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ .

ولقد انتهت أمورًا يا أمير المؤمنين لوقعتُ عنك فيها - فضلا عن ترك معونتك  
عليها - لَقَامَ بِكَ الْقَاعِدُ ، وَلطَالَ عَلَيْكَ التَّصِيرُ ، وَلقد كُنْتُ وَاجِدًا فِيهَا بُغْيَتِي ،  
وَأَمِنًا مَعَهَا نَكَتَ بِيَعْتِي ، فَلَزِمْتُ لَكَ طَرِيقَةَ الْوَفَاءِ ، إِلَى أَنْ أوردتُكَ شَرِيعَةَ<sup>(۲)</sup>  
الرِّخَاءِ ، وَمَا أَنَا بِأَبْسٍ مِنْ انتِقَامِ اللَّهِ وَرَفْعِ جِلْمِهِ » .  
وكتب بعد ذلك :

« بَدَّتْ لِي أَمَارَاتٌ مِنَ الْقَدْرِ شِمْتَهَا أَظُنُّ وَإِيَّاهَا سَتُمُطِرُكُمْ دَمًا<sup>(۳)</sup>  
وَمَا يَسْمُ لِلْعَالِي مَتَى هَبَطَاتُهُ وَإِنْ سَارَ فِي رِيحِ الْغُرُورِ مُتَلَمَّا

(۱) أي تمامها .

(۲) الشريعة : للورد .

(۳) في الأصل « ستمها » وهو تصعيف .

أَتَهَضُّنِي حَقًّا تَرَاهُ مُؤَخَّرًا حُكْمَ إِلَهِي حِينَ صَرْتُ مُقَدَّمًا؟  
سَدَّتَ انْتِقَاضَ الْعَهْدِ فَاصْبِرْ لِمَا لَكَ مِنْ عَهْدِي الَّذِي كَانَ أُزْرًا  
(الأوراق للصولي ٢ : ٣١٥)

## ٦٦ - كتاب آخر

وكتب عيسى بن موسى إلى المنصور حين ألح عليه في الخلع، وطرح عليه من أهل خراسان من هدده بالقتل .

« لوسامني غيرك ما سُمِّتني لاعتنصرتك عليه، ولا استشفعت بك إليه، حتى تُقرَّ الحَرَمُ<sup>(١)</sup> مَقَرَّهَا، وتُنزِلَ الوفاء منزلته، ونحن أول دولة يُسْتَنُّ بِعَمَلِنَا فِيهَا، ويُنظَرُ إلى ما اخترناه منها، وقد استعنت بك على قوم لا يعرفون الحقَّ معرفتك، ولا يلاحظون العواقبَ لحظك، فكن لي عليهم نصيرًا، ومنهم مُجِيرًا، يَجْزِكَ اللهُ خَيْرَ جزائك عن صلاة الرَّحِمِ، وَقَطْعِ الظُّلْمِ، إن شاء اللهُ » .  
(الأوراق للصولي ٢ : ٣١٦)

## ٦٧ - رد المنصور عليه

فأجابه المنصور :

« لولا أنك تُسَامُ النزولَ عن حقِّك، وواجبٍ في يدك، لزال الضَّرْعُ<sup>(٢)</sup> إليك، والتحمُّلُ عليك، ولولا أني أخاف أن تسبق أيدي هذه العصابة من أهل الدولة إليك، لَمَا كَلَّفْتُكَ شاقًّا، ولا حملتكَ مكروها، ولكنني عندك - بالنصح لك، والإشفاقِ عليك - في جَنَبَةٍ<sup>(٣)</sup> مَنْ لا يرضى منك إلا بإرادته، ولا يستمهل أيامك لسرعته، وما أُلذِي أسمو بك إليه بدون الذي يستنزلونك عنه، واللهُ يوفِّقك ويُحَسِّنُ الاختيارَ لك » .  
(الأوراق للصولي ٢ : ٣١٦)

(١) الحرم : جمع حرمة بالضم، وهي ما يجب القيام به ولا يجمل انتهاكه .

(٢) الضرع والضراعة : الخضوع والامتكانة .

(٣) الجنبه : الجانب .



## ٦٨ - كتاب المنصور إلى عيسى بن موسى

وكتب المنصور إلى عيسى بن موسى كتاباً يحثه فيه على خلع نفسه وتقديم المهدي عليه، فكتب إليه عيسى :

« بسم الله الرحمن الرحيم : وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ<sup>(١)</sup> فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ » . وقال عز وجل : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » .

قرأتُ كتاب أمير المؤمنين وتفهمته وأنعمت<sup>(٢)</sup> بالنظر إليه كما أمر، ونحرته<sup>(٣)</sup>، فوجدتُ أمير المؤمنين إنما يزيدني لينقضي، ويقرّبني ليبيدني، وما أجهلُ مالي في رضاه من الحظ الجزيل، والأثر الخطير<sup>(٤)</sup>، ولكنه سامني ماتش<sup>(٥)</sup> به الأنفس، وتبدّل دونه، وما لا يسمع به والد لولده مادام له حظُّ فيه .

وقد علم أمير المؤمنين أنه يريد هذا الأمر لأبنة لاله، وهو صائر إلى ما سيصير إليه، أشغل ما يكون، وأحوج إلى حسنة قدمها، وسيئة اجتمدها، ولا صيلة في معصية الله، ولا قطيعة ما كانت في ذات الله .

( الأوراق للصولي ٢ : ٣١٩ )

## ٦٩ - كتاب المنصور إلى عيسى بن موسى

وبلغ المنصور أن عيسى بن موسى قتل رجلاً من ولد نصر بن سيار<sup>(٦)</sup> كان مستخفياً بالكوفة، فدُلَّ عليه فضرب عنقه، فأنكر ذلك وأعظمه وهمَّ في عيسى بأمر كان فيه هلاكه، ثم قطعته عن ذلك جهل عيسى بما فعل، فكتب إليه :

(١) نصب على المدح . (٢) يقال : أنعم في الأمر : بالغ .  
(٣) معناه : وخبرته كل الخبرة وأصبت حقيقته ، وأصله من نحر البعير إذا أصاب نحره ، وفي الأصل « وتحرته » وهو تحريف . (٤) أي العظيم .  
(٥) أي ماتشغل به وهو الخلافة ، وفعله كفرح ونصر وضرب .  
(٦) كان والياً على خراسان في خلافة مروان بن محمد الأموي .

( ٧ - جبهة رسائل العرب - ثالث )

« أما بعد : فإنه لو لا نظرُ أمير المؤمنين واستبقاؤه ، لم يؤخركَ عقوبة قتل ابن نصر ابن سيار ، واستبدادك به ، بما يقطع أطماع العَمَّال في مثله ، فأمنيك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره من عربى وأعجمي ، وأحمر<sup>(١)</sup> وأسود ، ولا تستبدنَّ على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة في أحدٍ قبَّله تِبَاعَةً<sup>(٢)</sup> ، فإنه لا يَرَى أن يأخذ أحداً بِظَنَّةٍ<sup>(٣)</sup> قد وضعها اللهُ عنه بالتوبة ، ولا يحدثِ كان منه في حرب أعتبه اللهُ منها سِلماً سَتَرَ به عن ذى غُلَّةٍ<sup>(٤)</sup> ، وحجَّزَ به عن مِحْنَةٍ ما في الصدور ، وليس يئأسُ أمير المؤمنين لأحدٍ ولا لنفسه من الله من إقبال مُدْبِر ، كما أنه لا يَأْمَنُ إِدْبَارَ مُقْبِلٍ إن شاء اللهُ والسلام .  
( تاريخ الطبرى ٩ : ٢٩٤ )

## ٧٠ - كتاب عبيد الله العمرى إلى أبي جعفر المنصور

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أن أبا جعفر المنصور لما قفل من حجَّته سنة ثمان وأربعين ومائة ، سأل عن عبيد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وهو الفقيه المعروف بالعمرى ، فقيل له : إنه لم يحجَّ العامَ يا أمير المؤمنين ، ولو حجَّ لكان أول داخل عليك ، فلا تقبل عليه أحداً ، ولا يقْدَح فيه عندك إلا باطلاً أو كذاباً ، فإنه من علمت ، فقال أبو جعفر : والله ما تخلف عن الحج في عامه هذا إلا هِلماً منه بأنى حاجٍ فلذلك تخلف ، ولا والله ما زاده ذلك عندي إلا شرفاً ورفعة ، وإنى من التوقير والإجلال له بحال لا إخال أحداً من الناس بذلك ، لشرفه في قريش وعظم منزلته من هذا الأمر ، والموضع الذى جعله اللهُ فيه ، والمكان الذى أنزله به ، فلما قدِم أبو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبيد الله العمرى ، وفيه :

(١) الحمراء : العجم لبياضهم ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم ، وكانت العرب تقول للعجم القدين يكون البياض غالباً على ألوانهم مثل الروم والفرس ومن سابقهم إنهم الحمراء ، وكلت تدس الموالى الحمراء .  
(٢) التباعة ككتابة ، والتبعة كفرحة ، واحد . (٣) الظنة : التهمة .  
(٤) الغلة في الأصل : شدة العطش وحرارة الجوف .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله أبي جعفر أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر : سلام الله عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت من شاء ، أما بعد : فإني عهدتُك وأمرُ نفسك لك مهمٌّ ، وقد أصبحتَ وقد وليتَ أمر هذه الأمة أحمرها<sup>(١)</sup> وأسودها وأبيضها ، وشريفها ووضعها ، يجلس بين يديك العدو والصديق ، والشريف والوضيع ، ولكل حصته من العدل ، ونصيبه من الحق ، فانظر كيف أنت عند الله يا أبا جعفر ، وإني أهدرك يوماً تغنو<sup>(٢)</sup> فيه الوجوه والقلوب ، وتنقطع فيه الحجّة ، لملكٍ قد قهرهم بجبروته ، وأذلهم بسلطانه ، واخلق داخرون<sup>(٣)</sup> له ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه وعقابه ، وإنا كنا نتحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ، وإني أعود بالله أن تنزل كتابي سوء المنزّل ، إنما كتبتُ به نصيحةً والسلام<sup>(٤)</sup> . »

(الإمامة والسياسة ٢ : ١١٧)

## ٧١ - رد أبي جعفر على العمري

فأجابه أبو جعفر المنصور :

« من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن عمر بن حفص ، سلام عليك . أما بعد ، فإنك كتبتَ إليّ تذكر أنك عهدتني وأمرُ نفسي لي مهمٌّ ، فأصبحتُ وقد وليتُ أمر هذه الأمة بأمرها وكتبتَ تذكر أنه بلغك أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ، ولستُ إن شاء الله من أولئك ، وليس هذا زمان ذلك ، إنما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة ، والرغبة تكون رغبة بعض الناس إلى بعض ؛ صلاح دنياهم أحب إليهم من صلاح دينهم ، وكتبتَ تحذرنى ما حذرتَ به الأمم من قبلى ، وقدّمًا كان يقال : اختلافُ الليل والنهار يُقرَّبان كلَّ بعيدٍ ويُبليان

(١) انظر هامش ص ١٤٨ من الجزء الأول .

(٢) عنا كسما : فل وخصم . (٣) دخر كنم وفرح : دل أيضا .

(٤) قدمنا في الجزء الأول ص ١٤٧ أن هذا الكتاب كتبه أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب حين ولي الخلافة ، وأن الكتاب القى يلبه كتبه عمر إليهما رداً عليهما ، كما جاء في رواية صاحب فتوح الشام وإعجاز القرآن .

كل جديد ، ويأتیان بكل موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار ، وكتبت تتعوذ بالله أن تُنزل كتابك سوء المنزل ، وأنتك إنما كتبت به نصيحة ، فصدقت وبررت ، فلا تدع الكتب إلى ، فإنه لاغنى بي عن ذلك ، والسلام .  
( الإمامة والسياسة ۲ : ۱۱۸ )

## ۷۲- كتاب أبي جعفر إلى محمد بن سليمان

وأتي محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس في عمله على الكوفة - وكان أبو جعفر ولآه إياها سنة ۱۵۰ هـ - بعبد الكريم بن أبي العوجاء ، فأمر بحبسه ، وكثر شفاؤه عند أبي جعفر ، وألحوا عليه فيه ، فلم يتكلم فيه إلا ظنين<sup>(۱)</sup> ، فأمر بالكتاب إلى محمد بن سليمان بالكف عنه إلى أن يأتيه رأيه .

ثم إن محمداً دعا به وأمر بضرب عنقه ، فلما أيقن أنه مقتول قال : أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث ، أحرم فيها الحلال ، وأحل فيها الحرام ، والله لقد فطرتم في يوم صومكم ، وصومتمكم في يوم فطرتم ، فضربت عنقه .  
وورد على محمد رسول أبي جعفر بكتابه : « إياك أن تُحدث في أمر ابن أبي العوجاء شيئاً ، فإنك إن فعلت فعلت بك وفعلت . . . يتهدده » .

فقال محمد للرسول : هذا رأس ابن أبي العوجاء وهذا بدنه مصلوباً بالكناسة<sup>(۲)</sup> ، فأخبر أمير المؤمنين بما أعلمتك ، فتغيظ عليه أبو جعفر وأمر بالكتاب بعزله ، وقال : والله لهما من أن أقيده<sup>(۳)</sup> به ، ثم أرسل إلى عيسى ابن علي وقال له : هذا عمك ، أنت أشرت بتولية هذا الغلام ، فوليته غلاماً جاهلاً لا علم له بما يأتي ، يُقدم على رجل يقتله ولا ينتظر أمرى ! وقد كتبت بعزله ، وبالله لأفعلن به ولأفعلن . . . فنكت عنه عيسى حتى

(۱) الظنين : المتهم . (۲) الكناسة : حلة بالكوفة .

(۳) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

سكن غضبه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين إن محمداً إنما قتل هذا الرجل على الزندقة ، فإن كان قتله صواباً فهو لك ، وإن كان خطأ فهو على محمد ، فأمر أبو جعفر بالكتب فمزقت وأقرت على عمله — وكان ذلك سنة ۱۵۵ هـ . (تاريخ الطبري ۹ : ۲۸۷)

### ۷۳ - رسالة غسان بن عبد الحميد في العتاب

قال ابن طيفور :

ومن الرسائل المفردات رسالة غسان<sup>(۱)</sup> بن عبد الحميد المدائني كاتب جعفر بن

سليمان في العتاب :

« أما بعد : فإن الله جعل العباد أطواراً في أخلاقهم ، كما جعلهم أطواراً في صورهم ، وجعل بينهم أموراً يتآلفون عليها ، ويُعملون أحلامهم<sup>(۲)</sup> فيها من حرم يتجاملون بها ، وحقوق يتنازعونها ، ومودة يتعاطونها ، وأخوة يتداولونها ، تُرعى بوفاء ، وتودى بأمانة ، وتضيع بتقصير ، وتنتقص بخيانة ، ليس من أدبت إليه فيما يحفظ منها بأسعد من التودى لها فيما يأخذ به من الفضل لنفسه ، وليس من ضيقت منه بأشقى من ضيقتها فيما يدخل من التقصير عليه ، فإنه من أخطأه الوفاء من أخيه ، فإنما يدخل عليه تقصير غيره ، ومن ضيع الوفاء لإخوانه فقد أدخل النقص في خاصة نفسه ، والمرء يجد من أخيه إذا خانته بدلاً ، ولا يجد عن نفسه إذا قصرت به متحولاً ، فليس نقص يستبدل به كتنقص لا يستطيع مزايايته ، وقد ألبس الله عبداً من عباده نقماً ، وجعل لهم في صلاح الأمور قسماً ، فكان ذلك عندهم ذريعة يرعونها ، لما ألحق عليهم فيها مما يكون صلاحاً وتاماً لها ، لئلا يعملوا بانتقاص الأمر بلغهم الله إياه ، ولا

(۱) قال ابن النديم في الفهرست (ص ۱۸۳) : « كان يكتب لجعفر بن سليمان بن هبل ، وكان يلينا حلو الكلام لطيف المعاني » .

(۲) في الأصل « أخلاقهم » وأراه محرفاً .

بوضیعة خلقت رفعم الله إليه حتى نُسبَ إليهم ونُسبوا إليه، فسمى لهم قفلاً وُسَموا له قفلاً<sup>(۱)</sup> وأولى من ألبسته<sup>(۲)</sup> نعمة، وأجرى لها على الألسن صفة، أن يكون عمله موافقا لما صنع الله به، ولا يكون لما أصلىح منه مُفسداً، ولا يكون<sup>(۳)</sup> له مخالفاً.

ولم أزل أتعرفُ من نعم الله عز وجل علىّ، قديماً وحديثاً، وبافياً ومُسناً، فيما أبلاني<sup>(۴)</sup> وأظهر مني، وأثبت معرفته عند الناس، ما أصبحت أرى استصلاحه والتوقى لتغيره حقاً علىّ واجباً، فليس<sup>(۵)</sup> من كالت منه فجيعة لأهل الإخاء والحُرمة الذين ارتادوا ارتياداً، واختاروا واختاروا، فوقع رأيه عليهم، ووقع رأيهم عليه، وارتضوه لأنفسهم، وارتضاهم لنفسه، واقتصروا عليه بتودتهم، واقتصر عليهم بتودته، فحملوه أخوتهم، وحملهم أخوته، واسترعوه الوفاء لهم، حتى ثبت الله بينهم وبينه ما كان داعياً لكل رأى جميل، ناهياً لكل صنيعٍ معيبٍ، وأمرٍ مُريبٍ، فأى نقصٍ أكثر، وأى دناءةٍ أبين، من أن يكون امرؤ بمنزلة ثقةٍ، قد حُفظت منه حرمةٌ، واعتقدت بها عليه أمانةٌ، فوجبت منه مضافةً، وانتظرت منه صلةً، ثم يذكُشف عن خيانةٍ وغدرٍ وقطيعةٍ ونجعةٍ؟ ثم أحقُّ من كنتُ له على الجليل فيما بيدي وبينه، أهلُ الفضل في المنزلة، والثقة في المكافاة، والأمانة في الوفاء، والجمال في الإخاء، الذين<sup>(۶)</sup> يُرغبُ فيهم إنعامه، ويوثقُ بحفظهم اليسير من الحرمة، فأ كنتُ لأقطع خاصتي ممن يرغب في عامتي، ولا لأضيع الكثير ممن لا بضيع اليسير، ولا ألقى أخاً شاهداً، بغير ما أكون عليه غائباً، فأكون قد لقيته بدَل<sup>(۷)</sup>، وغِبتُ

(۱) جمع فعول كعبور . (۲) في الأصل « السنة » وهو تحريف .

(۳) في الأصل « ولم يكن » . (۴) أبلاه الله : أنعم عليه وأحسن إليه .

(۵) تنبه إلى أن خبر ليس لم يرد بعد في الكلام ، إلا أن يكون محذوقاً لأنه مفهوم من السياق .

(۶) في الأصل « لا الذين » والكلام على الإثبات لاعلى النبي ، وإنعامه : زيادته .

(۷) الدل ( والهدى بفتح فسكون والسمت أيضاً ) : الحالة التي يكون عليها الإنسان ، من الكينة

والوقار في الهيئة وحسن المنظر والشماثل والسيرة .

عنه بقدر<sup>(۱)</sup> ، ويكون قد استودعني شيئاً حفظتُ ضِدَّه وسُتِرتُ سِوَاهُ ، بل أنا لأخى حين يَغِيبُ عني وأُرْعَاهُ ، أحفظُ مني حين يشاهدني فيعماينُ ما يكونُ مني ، ولم يكن ليُمِتْ<sup>(۲)</sup> بالأسبابِ إلى أهلِ الفضلِ والأحسابِ ، لا يدعوني إليهم إلا الرغبةُ فيهم ، والتزِينُ بأحسابهم ، والاستعدادُ بَعْدَهم ، حتى إذا استحكمتُ حرْمَتَهُم وتظاهرتُ ، ووجبتُ وعظمتُ وصرتُ إما محافظاً يَرِيبُهُ حِفَاظُهُ ، وإما مضياً بِشِدَّتِهِ تَضْيِيعُهُ<sup>(۳)</sup> عملتُ في ذلك بما يقطعُ ما أردتُ صلتهُ ، وَيَشِينُ ما أردتُ زِينَتَهُ ، وَيَصِيرُ عَلَيَّ وَلَا يَصِيرُ لِي ، وَيَزْهَدُ فِي نَظَرَاءِهِمْ ، إذا مددتُ بالأسبابِ إليهم ، فأكون عند من اعتقدتُ إِيْئَاءَهُ مَقْلِبِيًّا<sup>(۴)</sup> ، قد تغيَّرتُ عنده منزلتي ، ومن أردتُ استعارة مودَّته مكروها ، لا يقبل ذلك مني ، إني إذنُ إلى نفسي لُئْسِي ، وبمَحْظَى لِحْطِي ، وما كنتُ لأختار الإخوانَ على فضلهم ، ثم أسير فيما بيني وبينهم بما يخالف أخطارهم<sup>(۵)</sup> ومنازلهم ، لَبَسْتُ<sup>(۶)</sup> إذنُ ما خالطتُ به الأكفاء ، وراقبتُ به الحُرَمَ ، وأسلمتُ<sup>(۷)</sup> به المودةَ التي قد أعطى الله فيها النعمَ ، وأترك<sup>(۸)</sup> مخالطةَ الأكفاءِ قبل اعتقادها ، وإن كان الفضلُ فيما بيننا أحسنَ من إيجابِ حقها ، ثم الاستخفافِ بها ، فإن المَجَانِبَ المستورَ خيرٌ من المحافظِ المذمومِ ، وَمَنْ لِيَمَّ عَلَيَّ جَمِيلٌ لَمْ يَتَنَاوَلْهُ ، أَحْسَنُ مَنْ لِيَمَّ عَلَيَّ سَمِجٌ<sup>(۹)</sup> قَدْ أَنَا .  
وإنه بَلَّغَنِي أَنْ غَاشَا ظِلْمًا أَنَا بِأَمْرٍ ، لَمْ أَكُنْ لَهُ أَهْلًا ، وَلَمْ تَكُنْ بِتَبَوُّلِهِ خَلِيقًا ، لأنني لم أكن لأشبهه معروفًا ، ولم أكن على استماعٍ مثله مخوفًا ، فوجد فيك مَسَاغًا ، وعندك مستقرًّا ، وكنتُ أحسنَ منازلِ إخوانك عندك ، والثقة لهم منك في حصن

(۱) في الأصل « وعتب عند تذكره » وهو تحريف .

(۲) أي ليتوسل . (۳) في الأصل هكذا « بشده تضييه » .

(۴) فلاء كرماء ورضيه : أبنضه وكرمه غاية الكراهة فركه .

(۵) الأخطار : جمع خطر بالتحريك : وهو القدر .

(۶) في الأصل « لبيس » . (۷) أي خذت .

(۸) والمعنى : وإنه لجدير بي أن أترك مخالطتهم مادام حالى في السبر معهم على ما ذكره التقدير : وإني

لإذن أترك ... الخ . (۹) سمج كشمس وكتف : قبيح .

حصين ، ومحل مكين ، لا يناله أ كاذب الكاذبين ، ولا أقاويلُ المفسدين ؛ وذلك أن الكاذب كان بالثُّهْمَةِ على منزلتي وحرمتي ، أحقَّ مني بالثُّهْمَةِ على رأيي وخلقي ، وأنا كنت عندك بالثقة في وفائي ، أحقَّ منه بالتصديق في عَضِيَّتِهِ<sup>(۱)</sup> إياي ، فإن الأخ المخبور<sup>(۲)</sup> ، أولى بالثقة من الساعي بالكذب والزُّور ، وإذا كان يُحْفِظُ الإخوان ما هو مَثْلُومٌ بأيدي السفهاء<sup>(۳)</sup> ، إذا شاهدوا سَعَوْا قَبْلَ قَوْلِهِمْ ، فكيف تَبْقَى على ذلك أخوَةٌ ، أو تُرْعَى معه حرمةٌ ، أو يَصْلُحَ عليه قلبٌ ، أو يَسْلَمَ صدرٌ ؟ وكنت إذ حذرت أخاك من أهل الدناءة حقيقاً أن تحذَرَهُمْ في إخوانك<sup>(۴)</sup> الذين وقع إحسانك عليهم ، فلا تقبلُ سِعَايَتِهِمْ بِهِمْ ، وكيف تسخط على أهل الدناءة لإخائك<sup>(۵)</sup> وترضى قولهم على إخوانك ؟ لقد عرفت أن على الأخ من ردِّ الكذب عن أخيه<sup>(۶)</sup> ما حسن الغيب له ، فإذا لم تكن لذلك راداً مكذباً ، فهلاً كنت فيه واقفاً متأملاً حتى تكشفه ويتبين لك حقه من باطله ! فإن وجدته حقاً أتيت ما أتيت على بينة لك فيها حجةٌ ، وإن وجدته باطلاً كان أن تستخرج أخاك من تهمة ، خيراً من أن تُقيم له على سخطه ولم يكن منه إساءةٌ ، فقد كان إخوانك يرجون إن أساءوا أن يأتي على ذلك فضلك ، ولا يخافون إن أحسنوا أن يضيع ذلك عندك ، لقد طالت عِشْرَتِي ، وتردد خبرك<sup>(۷)</sup> عليَّ في حالات متصرفة ، ومنازل مختلفة ، لا يصرف حالي لك حالاً انصرفت ، ولا يقلبُ رأيي منزلةً انقلبت ، فكان ذلك مني في غياب سلطانك ، ثم كان في موأتي<sup>(۸)</sup> زمانك ، والناس في ذلك تنصرف عنك حالاتهم ، ويختلف عليهم رأيهم ، فلم تكن

(۱) العضية : الكذب والبهتان ، عضه كمنه عضها وعضية : قال فيه مالم يكن .

(۲) أى المختبر المحرب ، وفي الأصل « المحبور » وهو تصحيف .

(۳) أحفظه : أغضبه ، وفي الأصل « إذا كان يحافظ الإخوان إنما هو معلوم ... » وهو تحريف

(۴) في الأصل « أن يحذروهم منهم لإخوانك » وهو تحريف .

(۵) في الأصل « لأجارك » وهو تحريف . (۶) في الأصل « من » .

(۷) في الأصل « وترددت حرك على » .

(۸) آتاه على الأمر : طأعه ووافقه - وفي لغة لأهل اليمن وآتاه - والمعنى وقت أن كان الزمان

لك موأتي ومساعد ، أى إبان سلطانك ، وفي الأصل « موأني » وهو تحريف .



حاجةٌ كثيرٍ من الصديق في السلطان إلا أن يأكلوك ويأكلوا بك ، ويتمجّلوا يومك من عندك ، ولا ينظرون لك ولا يبالون ما دخل — إذا أصابوا — في جنبك ، فكانت حاجتي الإبقاء عليك ، والادّخار لك ، والاستغفار لما يتمجّل المتعجّلون منك مع ما أوّمل فيك ، ولم تكن حاجتهم حين نبأ بك الزمان إلا أن يخذلوك ويدفنوا مودتك. ويميتوا ذكر إخوانك ، ويتقرب أكثرهم بك ، ويسمو بعداوتك ، وإن كانوا قد أخذوا بصداقتك<sup>(۱)</sup> ، وكانت حاجتي حفظك وحياطتك ، أفما كان في هذا ما تردّ به عنى بغي باغ ، وسعاية ساع ؟ ما كنت لأعادي من غشك ، وأعتب<sup>(۲)</sup> بالنفس لك ! ولا لأوالى من ناصحك وأقطع نصيحتي لك ! ولا لأعرض نفسي فيك وأستخفّ بعد ذلك بمحك ! فأكون عوناً لمن عاديتك فيك ، مفارقاً لمن واليتك فيما واليتك عليه ، معرضاً في أمرٍ لأسلم له ما قبلي ، لقد بحمد الله خبرني الإخوان في طول هذا الزمان ، فبغير هذا عرفوني ، وعلى<sup>(۳)</sup> غيره احتملوني ، فما<sup>(۴)</sup> كنت لأعاشك بغير ما عابستهم ، ولا لأعمل<sup>(۵)</sup> في إخوانك بغير ما عملت في إخوانهم ، وأنت أعظمهم منزلةً ، وأقدمهم مودةً ، وأكلمهم ثقةً ، وأزينهم أخوةً ، وأجملهم محافظةً ، فما أعظم عندي أن أنزل منزلةً استخفافٍ بمحك ، أو شهمةً عندك على براءة فيما بيني وبينك ! فإنه إن تكن البراءة أخرجتني من التقصير عندك في الظن بك ، فغفر الله لك ، لقد جرى قلبي لسانك ما لم يجز قلبي لسان أخ قبلك ، واضطررتني في إخوانك إلى معاذير لم يضطررتني إليها أحدٌ سواك ، ولو لم أكن بفضلك عارفاً ، وقلبي نصيبى منك شحيحاً ، لَشَحَحْتُ على ما سلف

(۱) في الأصل « وإن كان قد دخلوا صداقتك » وهو تحريف ، وعندى أن هذه الجملة مقحمة في الكلام ، إذ الأولى حذفها .

(۲) اعتب : رجع عن أمر كان فيه إلى غيره ، وفي الأصل هكذا « واعدت » .

(۳) في الأصل « ولعل » وهو تحريف .

(۴) في الأصل « فيما » وهو تحريف .

(۵) في الأصل « لأعمل » وهو تحريف .

منى فيما بينى وبينك أن يذهب باطلا ، ويصير ضائعاً ، ويتحول حسنه قبيحاً ،  
ومعروفه منكراً ، ولو كانت منك إساءة فيما بينى وبينك لرأيت أن قد وجب على  
من حقت ما يوجب احتمال ذلك ، فكيف أهتكت حرمتك عن غير إساءة منك ؟  
ولو أنى قد هجوتك لكنت لنفسى بهجائك ، أهجى منى لك ، لأنى بذلك لما مكذب  
فيما سلف من مدحتى إياك ، وثنائى عليك ، وقولى فيك ! فهل يهجو امرؤ غيره بأشد  
من إكذابه نفسه ؟ مع قطع الأخوة ، وهتك الحرمه ، ولو كنت شاعراً التمس بشعرى  
موضِعاً ، وأطلب له مخرجاً ، ما جعلت مخرجى فى صديقى ، الذى هجاؤه على أشد  
منه عليه ، فإن ظهر افتضحت ، وإن خفى احتفظت ، ولو وجدت من أهل الدناءة  
والسفاه من شينيه بهم الصق ، وهم به أحق ، ما أنا بالقول فيهم بحرى<sup>(۱)</sup> ، وآيم الله  
إنى لأرى الشعر فى جميل الأمور ، وحسن الثناء على الصديق قبيحاً ، فكيف إذا  
كان فى الظلم العدوان ، والفجعة للإخوان ؟ فأجتمعت نقيصة الشعر ونقيصة الفدر ،  
ولقد ثقل على ما كان من ذلك وهو باطل ، صوتاً للنفس عنه ، فكيف أرضى أن  
يكون منى ما أستحقيه به ؟ وإنى لأرجو أن أكون ممن يصبر للوفاء على بليّة إن نزلت ،  
فكيف أخرج منه بغير اضطرار إلى غيره ؟ ، ولو كنت على وقع عليه<sup>(۲)</sup> لكنت  
بالنقص على نفسى مقراً ، وكيف أسخط على من أساء القول إلى ، إذا أسأت الفعل  
إلى نفسى ؟ وأمرٌ بأن يُحسِن لى القول وأنا مسىء إلى نفسى فى الفعل ؟ فهلاً رغبت بى  
أن أكون أتيت ذلك ، كما رغبت بك عن التصديق به فيما بينى وبينك ! ولكنك  
حببت كتبك عنا وقطعت تعهدك ، ونحن نُحسِنُ الظن بك ، وبمآلنا عندك ،  
لا نُنزِلُ ذلك إلا على العذر لك ، والشعل منك ، ثم إخراجك ما أخرجت إخراج

(۱) فى الأصل : ولو وجدت من أهل الدناءة والسفاه فاسد لهم بهم الصق وهم به أحق وأنا للقول

فيهم وهم فيه أحرى ، وقد أصلحتها كما ترى .

(۲) أى على الاضطرار إلى غير الوفاء .

محقق متيقن، لا إخراج متأمل ناظر، فراجع أحسن<sup>(۱)</sup>، واعلم أننا لم نحل عن حبس  
الرأى في حفظ حقلك ساعة من ليل ولا نهار، في سر ولا علانية، ولا غيبة ولا شهادة،  
ولا ذاتي أمراً ينقص من حرمتنا، والسلام» . (اختيار المنظوم والنثور ۱۲ : ۱۹۸)

## ۷۴ - كتاب لغسان بن عبد الحميد في تهنئة تزويج

وكتب غسان بن عبد الحميد في تهنئة تزويج :

« قد بلغني جمع الأمير أهله على الحال التي جمعهم عليها من نعمة الله عليه ،  
خالدهم الله على كل ما يرى الأمير فيما له فيه نعمة ، فأسأل الله أن يجعل الطائر في ذلك  
ميمونا ، والشمل مجتمعا ، والبركة عظيمة ، والأمور سليمة ، وكذلك فقد عظم الله  
القسم منه لزوجه ، جعل الأمير<sup>(۲)</sup> سكنا لها ، وأجرى المودة والرحمة بينهما ، فإنه  
يقول عز وجل : « خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ  
مَوَدَّةً وَرَحْمَةً » فلما كان الأمير هو المنظور إليه وهي المنظور إليها ، اختارها الأمير  
لنفسه ، واختار نفسه لها ، وأراد الله عز وجل أن يزيد ما مع فضلها في نفسها ، فضلا  
اختيار الأمير إياها ، وباختصاص الله لها بالأمير دون غيرها ، فكان ذلك فضلا من الله  
زينة بفضل ، وكرامة من الله وصل بعضها ببعض ، فترغب إلى الله عز وجل في أن  
يزيد الأمير في كل سعة مبسوطة ، ونعمة مقسومة ، ويعطيه في ذلك شكراً يكون  
لرضاه موجبا ، كما أعطاه فضلا كان الشكر له به واجبا ، ثم يملى<sup>(۳)</sup> الأمير ذلك  
بأحسن ما قلى أحدا من خلقه ، كرامة اصطنمها عنده .

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۲۰۲)

(۱) أي فالمراجعة أحسن ، وربما كان « فراجع وأحسن » .

(۲) السكن : ما ي سكن إليه .

(۳) ملاء الله حبيبه : منه به وأعاشه مع طويلا .

## ۷۵ - تحمید له

وله تحمید فی المطر :

« الحمد لله الذي نشرَ رحمته في بلاده، وبسطَ سَعَتَه على عباده، الذي لا يزال العبادُ

منه في رِزقٍ بقتسمونه، وفضلٍ ينتظرونه، لا ينتقضه ما قبله، ولا ينتقض ما بعده » .

( اختيار النظم والمنثور ۱۳ : ۲۸۳ )

## ۷۶ - تعزية له

« أما بعد ، فإن الله لم يَرْضَ لنفسه أن يُمضَى قضاءه فيما وافق العبادَ أو خالفهم ،

وَلَمْ يَرْضَ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا أَنْ يَسْلَمُوا لِأَمْرِهِ فِيمَا أَحْبَبُوا أَوْ كَرِهُوا مِمَّا أَنْزَلَ بِهِمْ ،

فَقَضَاهُ اللَّهُ غَيْرَ مُرَدُّودٍ ، وَأَمْرُهُ غَيْرٌ مَدْفُوعٌ ، وَالسَّخِطُ لَدَيْكَ غَيْرٌ مُعْتَبَرٌ <sup>(۱)</sup> ، وَلِلرَّاضِيِّ بِهِ ،

أَفْضَلُ الْعِوَاضِ » .

( اختيار النظم والمنثور ۱۳ : ۳۰۶ )

## ۷۷ - تعزية له إلى خليفة

« أما بعد ، فإن الله جعل خلافة حفظاً لدينه ، ورحمةً لعباده ، ثم جعل لهم أولياء

خلفاء يتوارثونها ، ويتداولون الكرامة من الله بها ، فتتقضى مدة ماضيهم <sup>(۲)</sup> بخيرة الله

إياه ، وتأتي خلافة باقيهم لاصطناع الله له ، فحمد الله الذي جعل فيكم أهل تلك الخلافة

الذين جعلهم لها ورثاً فكان منهم الماضي الذي كانت له ، والباقي الذي صارت إليه ،

والحمد لله على ما كانت عليه حياة أمير المؤمنين ووفاته من كرامة الله إياه ، وعلى وضعه

الخلافة عند أمير المؤمنين الباقي ، ونسأل الله أن يُعْظِمَ في الماضي الأجر ، ويمنحك

من الباقي أفضلَ الحظ ، ويُعينك في المصيبة على أفضلِ الصبر ، وفي النعمة على أفضلِ

الشكر » .

( اختيار النظم والمنثور ۱۳ : ۳۰۶ )

(۱) أعتبه : أَرْضَاهُ . (۲) في الأصل « ما بينهم » وهو تحريف .

## ۷۸ - تعزية له

وَأَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي خَلْقِهِ ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِمُ الرِّضَا بِمَا قَضَى بِهِ ، وَالْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَأَمْرُ الدُّنْيَا إِلَى فَنَاءِ كُلِّهِ ، فَمَا أَشْبَهَ الْبَاقِيَ الَّذِي يُفْتَضَّرُ الْفَنَاءَ لَهُ ، بِالْمَاضِي الَّذِي قَدْ أَتَى الْفَنَاءَ عَلَيْهِ ، وَأُحْوَجُ مَا يَكُونُ ذُو الْعَقْلِ إِلَى عَقْلِهِ ، وَذُو الْفَضْلِ إِلَى فَضْلِهِ ، حِينَ يَنْزِلُ بِهِ مِنْ قَضَاءِ رَبِّهِ مَا يَبْتَلِي فِيهِ صَبْرَهُ ، وَيَخْتَبِرُ بِهِ تَسْلِيمَهُ ، فَإِنَّ فَاتَهُ الصَّبْرَ كَانَ عِنْدَهُ أَكْبَرَ الرِّزْيَةِ ، وَإِنْ أَحْرَزَهُ كَانَ أَعْظَمَ الْفَنِيمَةِ ، وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ فِي رَأْيِكَ ، وَمَا قَسَمَ لَكَ ، وَعَرَّفَكَ مَا اتَّخَذَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعُودَ بِمَنْفَعَةٍ عَلَى غَيْرِكَ ، فَكَيْفَ بِكَ إِنْ عَجَزَ ذَلِكَ عِنْدَ اخْتِبَارِ رَبِّكَ إِيَّاكَ ، فَإِذَا أَخَذَ مِنْكَ مَنْ قَدْ سَبَقَتْ النِّعْمَةُ فِيهِ الْمَصِيبَةَ بِهِ ، مَعَ إِمْتِنَاعِهِ إِيَّاكَ بِطَوْلِ صِحْبَتِهِ عَلَى الَّذِي خَلَقَ لَكَ مِنْهُ ، وَمِنْهُ لَكَ ، ثُمَّ قَدَّمَهُ اللَّهُ قَبْلَكَ فَكَانَ فَرَطًا<sup>(۱)</sup> لَكَ ، وَعَوَّضَكَ اللَّهُ أَجْرَهُ ، وَجَعَلَكَ الْمَسْتَخْلَفَ بَعْدَهُ ، فِي الصَّلَاةِ لَهُ ، وَاللِّتْرَحُّمِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَالخِلَافَةِ فِي رُكْنِهِ ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِكَ مِنَ الْمَصِيبَةِ بِأَخِيكَ ، إِلَّا مَا رَأَيْتَهُ نَزَلَ بِالنَّاسِ فِي أَحِبَّائِهِمْ قَبْلَكَ ، فَلَا أَحْسِبُكَ رَأَيْتَ مِنْهُمْ صَابِرًا إِلَّا غُبُطَتَهُ<sup>(۲)</sup> ، وَلَا جَازِعًا إِلَّا عَجَزَتَهُ ، نَحَذُ لِنَفْسِكَ بِالَّذِي تَغْبِطُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَاحْذَرِ عَلَيْهَا الَّذِي تَعَجَّزُ فِيهِ سِوَاكَ ، وَإِذَا ذَكَرَ الشَّيْطَانُ مَصِيبَتَكَ ، فَاذْكُرْ ثَوَابَ رَبِّكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ نَصِيْبِكَ مِنْ حَيَاةِ أَخِيكَ ، فَاطْلُبْ بِذَلِكَ صِحْبَتَهُ لَا يَرْزُوكَ وَلَا تَرْزُوهَ ، وَلَا تَدْخُلْ فُرْقَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَلَعَمْرِي لئن كُنَّا اصْطَلَحْتُمَا فِي الدُّنْيَا بِمَا اصْطَلَحْتُمَا بِهِ مِنَ النِّعْمَةِ ، ثُمَّ أُعْطِيتَ صِحْبَتَهُ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ وَالرَّحْمَةِ ، لَقَدْ سَعِدَ بِكَ وَسَعِدْتَ بِهِ ، وَنَفَعَ اللَّهُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ ، فَمَا أَقْدَرَ اللَّهُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَكَ ذَلِكَ فِيهِ بِاحْتِسَابِكَ إِيَّاهُ ، وَيُعْطِيَهُ ذَلِكَ فِيكَ بِدَعَاؤِكَ لَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ

(۱) الفراط: ما تقدمك من أجر وعمل .

(۲) غبطه: أي مثل نعمته على أن لا تتحول عن صاحبها .

لك فيه من الأجر ، وتخلف عليك له الدعاء ، فاستكمل إعداها بالأخرى ، أكمل الله لنا ولك الآخرة والأولى ، ورحمة الله على فلان ، وجعل الله ما يرجع إليه خيراً له مما كان فيه ، وجعل أجره خيراً لك من بقائه ، وخلفه بأحسن خلافة ، وأعانك على حسن الخلافة له من بعده .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۲۰ )

### ۷۹ - تعزية له

« إن أعظم المصائب عندنا مصيبتك ، وأجل المرآزي في أنفسنا مرزيتك ، ولو تركنا تمزيقك بمصيبتك لخاصتنا بك ، ومشاركتنا فيها لك ، لكنت بمنزلة ذلك إن شاء الله .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۲۱ )

### ۸۰ - تعزية له

« أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى خلق الدنيا هيئة عليه ، زهيدة عنده ، ثم أمر عباده أن ينزلوها المنزلة التي أنزلها الله بها ، ثم أمتع بها البر والفاجر ، والمحسن والمسيء ، فلم تكن سراًؤها علامة لرضاه ، ولا بلواها دليلاً على سُخطه ، نظراً لهم . بأن يبألوم في أهون الدارين عليه ، ويجزيهم في أفضل الدارين عنده ، وأكرم أهل طاعته بأن أعطاهم فيها الزهادة ، كما أكرمهم بأن زوى<sup>(۱)</sup> عنهم فيها الفتنه ، ولو كانت عنده بمنزلة كرامته ، جعل أهل طاعته هم أهل الإكثار منها والمسارة فيها ، فليست داراً اختارها الله لأهل ولايته ، قبضها عنهم ، وأمرهم بالإبعاد<sup>(۲)</sup> عنها بأنفسهم ، وجعلها فتنة وغروراً ، وأسماءها لعباده لهواً ولعباً ، لئلا يسرّ ذو عقل بما أُعطى<sup>(۳)</sup> فيها ، ولا يأس<sup>(۴)</sup> على ما فاتته منها ، ولولا أن الله عز وجل جعلها بلفظة للآخرة ، وامتنعنا

(۱) أي نحاها وأبعدها .  
 (۲) في الأصل « فنصبا عنهم والإباض عنها ... » .  
 (۳) في الأصل « بما أفضى » . (۴) أي يحزن .

لأعمال البرية ، لكأنت هي أهدون عليه من أن يخلقها ، أو أن يعمرها بمن عمرها ،  
أو يبث ما بث لها .

ومن أمور الدنيا ما جعله الله على الأسوة<sup>(١)</sup> ، ومنه ما جعله على التفضيل ، فأحق  
أمورها أن يرضاه من أعطيه ، ويصبر له من نزل به ، ما كان أمراً أسوة في محبة  
أو مكروه ، وهذا الموت مما آسى الله فيه بين الخلائق ، ففضي أن تذوقه كل نفس ،  
ويعنى به كل حي ، فالعقد في أسوة ممن قبله ومن بعده ، وأنه سيلحقه الباقي  
كما سبقه الماضي ، ومكاره الدنيا حالة<sup>(٢)</sup> على من عمر الدنيا ، فإن الله خلقها للبلاد  
حين خلقها ، وخلق أهلها على الابتلاء ، فجعل لهم منها أطباقاً<sup>(٣)</sup> يركبونها ، وحالات  
ينتقلون فيها من محنة إلى مكروه ، ونقص<sup>(٤)</sup> وعافية ، فكل ذي سلامة وإن طالت ،  
وذي عافية وإن تتابعت ، لا بد أن تناله المكاره ، وتتصرف به الحالات ، ويبتلى  
بالخير والشر فتنة ، على ذلك وضعت ، فيرجو عبد أن يعمرها بما لم يعمرها أحد قبله ،  
ولا يعمرها به أحد بعده ؟ إنه من نفسه في قريب الدنيا وظاهرها — وينسى عواقبها  
التي بقيت وعبرها التي مضت — كان جاهلاً مغروراً ، ومن جعل قلبه في الفكر  
والتذكر كان معافى معصوماً ، وكل كثير الدنيا قليل ، وكل حالاتها غرور ، غير  
أن الله برحمته جعل ما يتقرب به العباد إليه زاكياً عظيماً عنده ، فاصبر لأمره ، وارض  
بفضائه ، وارح ما وعد أهل المعرفة بحقه من النعيم المقيم ، والخلود الدائم ، فيما لم تعلمه  
نفس ، ولم تره عين ، ولم يخطر على قلب ، ولم تبلغه أمنية ، فضلاً من خوراً لأهل طاعته  
حين يحلون عنده ، ويتلذذون فيه بالشهوات ، ويتجددون فيه على طول البقاء ؛ قد فني  
الموت وبقوا بعده كما كان يفنيهم ويبقى بعدهم ، وجميع العباد أسوة لأخيك في الموت  
الذي أتى عليه ، ونظير ذلك في أشباه المرزئة التي دخلت عليك ، فاذا ذكر ذلك عند

(١) أي القدوة . (٢) في الأصل « حلة » وهو تحريف .

(٣) جمع طبق بالتحريك : وهو الحال . (٤) في الأصل « نقص » .

مصيبتك ، والعبادُ على مقادير ، فكلُّ داخلٍ فيها مكتوبٌ الذي له وعليه ، وكلُّ خارجٍ منها محفوظٌ ما قدَّم وما تقدم إليه في الدنيا ، أعمالٌ قدَّرت لآجال ، وآجالٌ قدَّرت لأعمال ، وابتلاءٌ قدَّرت لجزاء ، وجزاءٌ أُخِّر لابتلاء ، وكذا ، والسلام .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۲۱ )

## ۸۱ - رسالة عمارة بن حمزة في علي بن ماهان

قال ابن طيفور : ومن الرسائل المفردات رسالةُ عمارة بن حمزة<sup>(۱)</sup> في علي بن ماهان ، فإنه يقال إنه لا مثل لها في معناها وهي :

«أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك في ابن ماهان وخالد، ولم يُرد أمير المؤمنين بكتابه إليك مشقةً عليك فيما وصَّف لك من الأمور ، وصرف لك من الموعظة ، ولكنه أحب أن يذنبك لرشدك ، ويدلك على حظك ، فيشدُّ بذلك عقداً ما خشيت وهيه<sup>(۲)</sup> ، وبذلك لك صعوبة ما خفت نفازه - ولم يكن يقع ذلك ليصل إليك ، إلا ببعض الغلظة التي فيها لدغٌ وتقبيض - ويأخذ بمرشد الأمور ، ووثائق الحزم ، وورائب الحظ التي لا يصل إليها إلا بالكراه دون الهويئتي ، وبما يمرُّ على أهله ويفلظ ، دون ما يملأ قلبه ويلين ، وأخلاق بما شقَّ عليك من كتاب أمير المؤمنين أن يُعقبك منه مسرةً ، فإن خير الأمور خيرها عواقب .

وقد أصبح أمير المؤمنين واثقاً بتمام عصمة الله عز وجل في حالك التي يرجو أن لا يُزبك الله عنها سرّاً لاضرراً ، مادمت بحمها قائماً ، ولبئها<sup>(۳)</sup> لازماً ، مع أن أمير المؤمنين ليس ذلك يخافُ عليك ، ولا فيه يتعهدك ، ولكن أموراً من قلات الخطأ ، وميل الهوى ، وخشية الزلل ، لا يأمنها عليك ولا على نفسه ولا على الأقرب

(۱) في الأصل «إلى علي بن ماهان» ولكن سياق الرسالة يدل على أنها كتبت عن الخليفة إلى أحد

عماله في شأن علي بن ماهان ، لا إليه ، كما ستري .

(۲) الوهي : الشق في الشيء . (۳) البعد : المذهب ، يقال : لاله بعد : أي مذهب .



رُحماً<sup>(۱)</sup> ونصيحةً له ، فإن الجهاد جهادُ المرءِ نفسه ثم حامته<sup>(۲)</sup> ، لأن النفس أمارة بالسوء ، والناس متزینون بالباطل ، والشيطان شديد العداوة ، لطيف<sup>(۳)</sup> الغش ، بصير بالعمارة ، مُعدٌّ للفرصة ، قد التمس أن يصعب على نفسه ما ذلَّل اللهُ ، ويحمل عليها مؤنة ما قدَّم اللهُ فيه الصنع والكفاية .

قد علم أمير المؤمنين أنه لم يبلغ غاية التأديب ، فإنه لا يبلغ ذلك دون انقطاع الأمور التي يُحتاج فيها إلى الأدب ، وليس لها نهاية دون الفناء ، ولم يُصبح بتعمُّد أحدًا من الناس بعد نفسه أحقَّ منك بتعمُّده ، لأنك الثقةُ له ، ولعدوه الثائر<sup>(۴)</sup> الأعظم ، وإن الناس بأوساط الأرض وأقطارها يُصيخون<sup>(۵)</sup> بأسماعهم إلى خيرٍ : يودُّون أن تزلَّ قَدَمٌ بعد ثبوتها ، وتفسدَ حال بعد صلاحها ، وتكِلَّ بصيرة بعد نفاذها ، متخذين ذلك ذريعةً إلى الإخلال بحق أمير المؤمنين ، ولم يكن بين طاعته ومعصيته إلا ساعة من نهار .

وأمير المؤمنين لا يُنكر قُرب الطاعة من المعصية ، قُرب بعض الأمور من بعض ، لسرعة تقلُّب القلوب ، واختلاف الحالات عند مِثْلِ الهوى ، ولا يُنكر جرئَ المقادير بغيبِ ذلك عن العباد ، واستنثار الله بعلم مالم يأتهم إلا بفتنةً ، بل قد علم أمير المؤمنين أن أقواماً في قلوبهم ضغائنٌ دونها الغدرُ يُظهرون أَسرارهم ، ويخرج أضعافهم ، ثم يبلغ بفضبه منهم مالم يكن ذلك عنده عزيزاً ، ولم يكن بهم امتناع ، غير أنه قد أنكر وأنعم<sup>(۶)</sup> أن تعجَّل إلى « ابن ماهان » - وإن كان محلاً بارزاً - بأمرٍ دون مؤامرتِهِ<sup>(۷)</sup> ، ويكره لك العجالة فإنها موكلٌ بها الندمُ ، وإنه كان يقال : « أصاب متأملٌ أو كاد » وقالت العرب « فإمَّا ترين أمراً رشداً ، فتبينن ثم ارضعوا ، أو أقدم وأحكيكم » وخلق ما أمر الله عز وجل به من التبين ، وما حذر أن يُصاب قومٌ بجهالةٍ

(۱) أي رحمة وعطفا . (۲) الحامة : الحامة .

(۳) أي دقيق ، من لطف ككرم : إذا دق . (۴) أي الآخذ بالنار .

(۵) أصاخ له : استمع . (۶) أضم : زاد ( أي في إنكاره ) .

(۷) المؤامرة : الشاورة ( أي مؤامرة أمير المؤمنين ) .

وما خوَّفَ على ذلك من الندامة<sup>(۱)</sup> ، فليس يبرح المرء بخير ما فرغ لقول الله عز وجل  
وانعظ واستيقظ .

وأما ما ذكرت من كذا ، فليس يبعدُ أن يدعو إلى « خالد » التهمة ، وإلى  
« ابن ماهان » المذرة ، فإنما العجلة مُستراحُ المُريب ، والبدارُ بالأمور أمرٌ من ليس  
على ثقةٍ من رأيه ، ومن لا يرجو أن يكون الثبوت لقوله مُصدِّقا ، ولرأيه مُنفِّذا ، فمن  
أخذ بهذا الرأي ، وأنزل أحدا منزلَ تهمة وهو غيرُ ظنين<sup>(۲)</sup> فقد أعظم الجريرة .  
وأما ما سألت من البعثة إليك فرأى أمير المؤمنين البيان الذي يُذهب عنه ريب  
الشك ، وأبسَ الشبهة فيما تحمله من أمر عيسى ، وما دام على الثقة واليقين فليست  
منزلتك عند أمير المؤمنين بالملوثة ، فيكون الناس مجازا إلى انتقامك ، وقد صدق  
أمير المؤمنين قولك ، وعذر خالد باعذارك ، وتجاوز عما لا عُذر فيه ، غير أنه ليس  
يجبُ لنفسه من العجلة وسرعة المبادرة ، ما يبكره لكم ، ولا يرضى منها بمثل ما بسخط  
منكم ، ولا يريد المخالفة إلى ما بنهى عنه .

وأما الشر الذي كان يُثيره لو كان نفس<sup>(۳)</sup> عنه ، فما لم يكن ليدافعه ولا يستظهر  
عليه بمثل طاعة الله عز وجل وتقواه ، ولزوم الأمر ذي الخُجعة والعذر ، ولو ميل<sup>(۴)</sup>  
أمير المؤمنين بين أن تقع كريمة ذات شوكة يُزاول<sup>(۵)</sup> خطرَها ، ويعالج مؤنتها ، وبين  
أن يأخذ بشبهات الأمور المهمة ، حذرًا لما عسى أن يقع ، لاختار ذات الشوكة بأن  
يحمل<sup>(۶)</sup> بليتها على التحفظ والإقدام على الشبهة بغير بيئنة ، ليس ذلك إلا أن يكون

(۱) قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن  
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُكُمْ عَلَى مَا قَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » .

(۲) الظنين : المتهم . (۳) نفس عنه : فرج .

(۴) ميل بين أمرين : يقال : لاني لأميل بين ذنبك الأمرين وأميل بينهما ، أيهما آتى : أي

أتردد وأرجح

(۵) في الأصل « نزلت » وأرى أنه محرف وصوابه « يزاول » أو « يرد » أو « يزبل » .

(۶) في الأصل « ينحل » وأراه محرفا ، وربما كان يحيل أو « ينحى » أي بوجه .

عهدُ أمير المؤمنين حديثاً بنفسهم<sup>(۱)</sup> الحرب التي لم تكن تكفُّ أيدي شيعته عما بسطوها إليه ولكنه لا تستوى السيرة قبل الإنجاز وبعده ، بذلك مضت سنن الله عز وجل ، حتى حرّم الله على الأنبياء أن تكون لهم أسرى حتى يُشخّنوا في الأرض ، وأمر بضرب الرقاب فإذا أئمنوا فالنُّ أو الفداء<sup>(۲)</sup> وليس من سعى في طاعته في البسط أمسّ بأجتم بلاء من انتهى إلى أمره في الكفّ اليوم ، فإنما الطاعة كلها بمنزلة قربانٍ وتمحيصٍ محوّل بين الناس وبين أهوائهم ، لأن الحق لا يتبع الهوى ، ولا يجري على شهوات النفوس ، فمن أراد الله به الخيرَ محصّه فأخلص إيمانه ، وأنفذ بُغيته ، وألهمه عزائم الصبر عند ما ينتقل عليه من الحق ، ويخفّ عليه من الباطل ، ومن يتبع هواه في كفّ أو بسطٍ تحقّه الله عز وجل وخذله .

قد علم أمير المؤمنين أن للشيطان من كل قوم قسماً يَحْتَدِيهِمْ<sup>(۳)</sup> وبصدق عليهم ظنّه ، ولو كان ذلك مُخْطِئَةً من قوم أخطأه من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد وقع هذا الحق بمراغم الشيطان ومكاريه ، فليس تاركه جهداً ، وليس وبال ذلك كله كائناً إلا على أوليائه ومستجيبيه ، وأمير المؤمنين يرجو أن يكون الله قد بلغ بحقه

(۱) النفس : الظلم ، والمعنى بشدتها .

(۲) قال تعالى : « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ،

تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » - بشخن : أى يبالغ في قتل الكفار - وذلك « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى يوم بدر بسبعين أسيراً . فاستشار أصحابه فيهم ، فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله النصر عليهم ، استبقهم لعل الله يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك ، وقال عمر : اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر وقد كذبوك وقتلوك وأخرجوك ، فرأى عليه الصلاة والسلام رأى أبي بكر ، وأخذ الفداء من الأسرى ، فنزلت الآية عتاباً له في قبول الفدية ، ثم نسخت بقوله تعالى : « فَشُدُّوا الْوَتَأَقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً » أمره سبحانه بالإثخان في الكفار الذين يصدون عن سبيل الله ، ومنعه عن قبول الفدية منهم - وذلك حين كانت الشوكة للمعركين - ثم خير بين المن والفداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين .

(۳) اجبأه : اختاره .

مبلغاً لا يضيره (۱) معه عداوةُ عدو ، ولا خِذلانُ خاذل ، ولا استجيش (۲) من لم ينصره اليومَ لو لم يكن له نصير .

وقد رآك أميرُ المؤمنين خلطت اعترافاً باعتذار ، وتنصلاً بجاحدة ، فأما الذنبُ فمغفورٌ متجاوزٌ عنه ، وأما العذر والحجة فلم يعرفهما أميرُ المؤمنين ، ولم يثبتا لك ، ولو ثبتا لك لم يزد ذلك من رضاه عنك ، ورأبه فيك ، على ما رأيت مستحكماً لك عنده . وأما قرب بعض أصحابك لبعض حتى يدعواهم ذلك إلى الشهادة بسفك دماهم ، فإن ذلك قد عمَّ الناس بكلِّ أفق ، وهو راجع إليك جواباً يجب أن تفهمه وتدبره ، وهو يستعيد بالله من زلل (۳) الغي ، وخطأ القول ، وشبهات العمل ، وزينة الهوى ، وخطرات الشيطان .

اعلم أن هذا الجند الذين أسترعتهم ، وأعنت بطاعتهم ونصرتهم ، من أفضل أهل الأرض عليك حقاً ، وأن حقهم هو حقُّ الله عز وجل ، وحق أمير المؤمنين ، وحق همه نفسك على نفسك ، وأنه إن وصل إلى أقصاهم داراً ، أو أدناهم منزلاً ، ضياعٌ ، كان ذلك لك مأساً ولو لم تشعُر به ، وأنت لا تقدر لهم على شيء مما تلتَمِس به صلاح أمورهم ، من بذل مالٍ ، أو مواساة بنفس ، هو أهمُّ لهم نفعاً ، وأغزرُ عليهم غناءً ، من أدبٍ صالحٍ تأخذهم به ، وسيرةٍ صالحةٍ تحمِلُهُم عليها ، من العفاف في الدين ، والحضور للصلوات ، والتعلُّم للقرآن ، والتكريم في الأخلاق ، والتزُّين بالوقار والصدق والكف عن الشبهة ، مع أن عفو الوالى عما بدا له أن يعفو عنه ، ليس ذلك بإبطال شهادة من شهد عليه ، وإنما يكون ذلك لو كانت حقوقهم فيما بينهم ، فلا يستطيع الإمام أن يُبطلها ، وأما إذا كان الحق حقَّ الإمام يُمضي فيه ما أحب ، ويعفو عما أراد ، فمن ذا الذى يخاصمه في حقه ، وينهاه عن التثبت فيما اشتبه عليه ، والعفو فيما أحب العفو عنه ؟ أو ليس قد يكفر الرجل بهد إيمانه ، ثم يثبت ذلك عليه ، إما بإقراره ، وإما ببينة

(۱) ضاره يضيره : ضره . (۲) استجاشه : طلب منه جيشاً ، أى استنصره .

(۳) في الأصل « من ذلك » وهو تحريف .

فيستتبه الإمام ، ويحتمن دمه إن تاب ، ولا يشاركه الشهود في أمره ، ولا يملونه ، ولا يقولون اتهمنا وردت شهادتنا ، مع أن تثبت الوالي فيما تثبت فيه من أمر أصحابه ، حتى يُبرئ البريء ، وينطف (۱) السقيم المتمر بذببه ، هو أقوى في الأمر ، وأبلغ في الرأي ، وأقرب إلى أن يأمن البريء ، ويخاف السقيم ، وينطق الصدوق ، ويهاب الكذوب ، وإذا سوي بين البريء والسقيم في العقوبة ، وبين الصدوق والكذوب في إجازة القول ، لم يتبكل (۲) ذو الحزم ، ولم يسلّم ذو الاستقامة ، ولم يزد الشر إلا فُشوا في دين ورأي ونصح (۳) .

وأما ما سألت أمير المؤمنين من رضاه عنك ، وما عظمت من موقع كتابه منك ، فلم يكتب إليك كتاب ساخط ، ولكن كتاب استعجاب ، وليس كل مستعجاباً — وقد أعطاك الله عز وجل منه الرضا قبل أن تسأله ، وأنى سألته ، ورضى عن « خالد » بما رأى من إشرائك إياه مع نفسك في المذرة والطلبية ، وهو يسأل الله توفيقه وتسيده ، وأن يتحنن عليكم برأفته ، ويؤويكم في كنف ألفته ، ويحجزكم عن معاصيه ، ويجعلكم خير أعوان وإخوان ووزراء على إنفاذ عدله في مشارق الأرض ومغاربها ، إنه سميع قريب ، والسلام .

(اختيار للنظوم والمنثور ۱۲ : ۱۶۳)

## ۸۲ - كتاب له في السلامة

« أما بعد ، فإني كتبت إلى أمير المؤمنين حين حلت محلّ الوالي من خراسان من دار الإمارة بمرو ، متعرفاً من حفيظ الله أمير المؤمنين فيها ، أجل ما يعرفه أحد

(۱) نطفه كضرب ونطفه : اتهمه ولطفه بسبب ، وفي الأصل « وينطق » .

(۲) أي لم يغم ، قال أوس بن حجر :

على خير ما أبصرتها من بضاعة الشمس يباع لها أو تبكلا

أي تضاعف ، وفي الأصل « لم يسكل » وربما كان « لم يتكلم » .

(۳) في الأصل « إلا وسوا من دين ورأي مصحح » وهو تحريف .

توجّه في أموره ، وسار مسيراً في طاعته ، وقرأت عهد أمير المؤمنين على من قدمت عليه من رعيته وجنده ، مؤدياً إليهم عنه الذي جعل الله لهم عنده من كذا ، وأعلمتهم أن كل محسن أحمدهوا له أثراً ، فبسيرته سار ، وبهداه وعهده ائتم واهتدى ، وأن من خالف بهم سبيل العدل والإنصاف ، وسار فيهم بالجور والاعتساف ، فبالتعدى لأمره ، والخلاف لعهده ، وأعلمتهم أن القيام بكل ما قرأته في عهده ، أو حكيت لهم من رأيه وأمره ، رهن غلق<sup>(۱)</sup> ، فأثبت لي فيهم قدم ولاية [ وتوطد ]<sup>(۲)</sup> مني به سلطان ، فاستقام مرور ذلك فيهم ، ورجع بأهوائهم إلى الألفة ، ونقي عن صدورهم حركات<sup>(۳)</sup> الوحشة والسلام .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۶۸ )

### ۸۳ - كتاب له

وكتب :

« بلغني كتابك تصف ( كذا ) ، فإن رأيت ألا تعتمد على ما لصقت به من عذرك ، وأطعت فيه الهوى من قبول عفوك ، وتجماني أحد من يسر بسرورك ، وتشرّكه في مهمات أمورك ، فإني أخدم وأوسطهم عناية بما عناك ، وتوسطك لما عراك ، فعلت » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۴ )

### ۸۴ - كتاب جبل بن يزيد إلى بعض إخوانه

وكتب جبل بن يزيد<sup>(۴)</sup> إلى بعض إخوانه :

- ( ۱ ) غلق الرهن كفرح فهو غلق : احتفظه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط . وفي الأصل « نغلق » وهو تحريف .
- ( ۲ ) ما بين القوسين بياض بالأصل ، وقد زدته لتستقيم العبارة .
- ( ۳ ) المسك بالتحريك : نبات عند ورقه شوك صلب ذو ثلاث شعب ، واحده حكة .
- ( ۴ ) قال ابن الزديم في ترجمته : « هو كاتب عمارة بن حمزة ، وكان مترجماً من معدودي البناء والبرعاء » - انظر الفهرست ص ۱۷۱ .

« تَمَّ اللهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ النِّعَمَ ، وَأَجْزَلَ لَنَا وَلَكَ مُحَاسِنَ صَالِحِ الْقِسْمِ ، إِنْ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَجْرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ لَطِيفَ مَوَدَّةٍ ، وَخَاصَّ أُخُوَّةٍ ، غَيْرَ أَنْ الْمَعْرِفَةَ قَدْ تُحَمَّدُ بَعْدَ الْخُبْرَةِ ، وَالثَّقَةَ إِذَا تَعَرَّفَ بَعْدَ التَّجْرِبَةِ ، وَقَدْ أُحِبَّتْ أَنْ يَعْلَمَ مِنْ قَبْلِكَ الَّذِي أَحَدَثَ اللهُ لَكَ مِنْ حَالِ دَوْلَتِكَ ، وَأَنْ يَعْلَمَ : هَلْ أَبَقَتْ لَنَا مِنْكَ النِّعْمَةُ سَعَةً ، أَمْ تَرَكْتَ لَنَا مِنْكَ صَفْحَةً نَعْرِفُ بِهَا عَهْدَكَ ، وَنَأْمُلُ بِهَا وَصْلَكَ ، فَإِنْ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ بِحَالِ بَلْوَى فِي التَّغْيِيرِ وَالْأَنْقَالِ ، إِلَّا مَنْ نَالَهُ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِصْمَةٌ ، فَإِنَّ كُنْتَ عَلَى مَا رَجَوْنَا مِنَ الْوَفَاءِ ، وَحُسْنِ الْحِفْظِ لِلْمَوَدَّةِ وَالْإِخَاءِ ، فَثُمَّ لَمْ يَرْضَ لِنَفْسِهِ إِلَّا بِأَجْلِ الْأَخْلَاقِ ، وَأَوْفَقَهَا لِلسَّدَادِ ، وَإِنْ حَجَّزَكَ عَنْ ذَلِكَ مَا تَأْتِي بِهِ الْأَقْدَارُ فِي مُتَصَرِّفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، نَعْدِرُكَ بِمَا نَعْدِرُ بِهِ أَهْلَ السُّلْطَانِ إِذَا غَيَّرْتَهُمُ الْحَالُ ، وَتَنَكَّرْتَ شِمَائِلَهُمْ بَيْنَ الْإِخْوَانِ . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۴ )

## ۸۵ - كتابه إلى بعض إخوانه

وله إلى بعض إخوانه أيضاً :

« اعلم أني إليك مشوق ، وأن صلة الإخوان كرم ، وخير الصلوات ما لم يكن لها وجه إلا الرجاء والحفظ وتجديد المودة وتصحيح الإخاء ، فإن الذي يكتب إخوانه على حال الرغبة ، يكنى القائل كتابه حيث شاء إن أحبَّ مال به إلى الصحة ، وإن شاء وضعه للرغبة ، والرغبة أمدكهما به ، والذي يكتب إخوانه على حال الضرورة ، فقد يستقطع الصلة عند الحداث مخافة الملامة من الناس على القطيعة الشنعاء المشهورة لإخوانه ، فإن الذي لا مودة له قد يصل ذلك في تلك القطيعة بأهل البلاء . »

والكتاب على مثل حالنا وحالك اليوم شاهد على أن ذلك ليس إلا صحة الإخاء ، والشوق إلى المحادثة بالكتاب ، حين لا يلومك اللاتمون لمنزلة البلاء تلك اللائمة على التقصير ، ولا يوضع منك الرغبة في الإطعام . إياك أن تعتل بالأشغال إن كنت

في خاصّة نفسك ، فإن أداء الحق وصلة الإخوان أعظم الخاصّة بك خاصة ، وإنما أمرنا في كل هذا كأمرك في الذي تستغنى به من خاصّتك تلك التي لنا ، فإن لنا مالك ، وهذه التي لنا لك ، أليس ما سرّنا سرّك ، وما سألنا سألنا ، فهذه كذلك وذلك كهذي ، والله يوفّقنا وإياك ، وأنت أبا يوسف ، هكذا حال ما بيننا وبينك ما وصفت لأبي سعيد ، غير أنه سألنا أمراً لم يسألناه قط ، فله فضل السبق علينا في المسألة ، ولنا فضل المنزلة هايك في اللائمة ، ولن أدعك والفعل ، دون أن تشفعه بالعمل الذي هو صلة القول ، وسلام عليك ورحمة الله ، وقضى الله عز وجل بالحسنى لنا ولك .  
( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۵ )

## ۱۶ - كتابه إلى بعض إخوانه

وله إلى بعض إخوانه :

« أما بعد ، فإن أعظم الأمور فيما بين الناس حقاً أمران : منهما الإخاء في الدين ، فهو سبب وصية الله بين عباده بالألفة والمحبة التي انقطعت بها قرآن القلوب من بعضهم إلى بعض ، فاتصلت بمجائلتهم مرائر<sup>(۱)</sup> حبّلتها ، وتقطعت فيما بينهم عاطفات وصلتها ، ومنها مجاملة جميل الأعداء ، وحفظ ما يحق لأهل حسن البلاء ، ثم الصنائع بعد ذلك في مواقعها فضائل ، بقدر ما جرّت به أسبابها ، وأطفت مداخيلها .  
( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۳ )

## ۱۷ - كتاب له في المطر

قد كنت كتبت إلى أمير المؤمنين أعلمه المطرة التي أصابتنا ، وما أنزل الله بها من رحمته ، ثم عادت لنا بعدها من الله عائدة رحمة ، بولي<sup>(۲)</sup> مطر أنزله الله بأحسن

(۱) المرائر : جم مريرة ، وهي الجبل الشديد الفتل .

(۲) الولي : المطر يأتي بعد المطر .



ما رأينا من المطر ، وإبلاً جَوْدًا<sup>(۱)</sup> لا يَقْتَرُ غزيرُهُ ، ولا يرعوى جَوْدُهُ ، إلا إلى دِيْمَةٍ<sup>(۲)</sup> عن دِيْمَةٍ ، يتراخى إليها بسيرا ريثما تعود ، فأقامت علينا سماؤه مستهله<sup>(۳)</sup> بذلك وكذلك ، إلى غروب الشمس ، ثم انقطع مطرها بسكون من الريح ، وفُتور من القُرِّ<sup>(۴)</sup> ، وفضل من الله عظيم ينشر به رحمته ، وييسط به رزقه ، فأسبغ النعمة ، وأوسع البركة ، وأوثق<sup>(۵)</sup> بحمد الله معارف الخِصْب والحِجَى ، والله محمود على آلائه<sup>(۶)</sup> ، ومشكور على بلائه ، وما أنزل الله من سُقْيَاه ورحمته بعد الذي أقبلت به السَّنة البرِّيَّة<sup>(۷)</sup> والقحط وعدم الإِمْطار ، وشدة ما بلغ الناس من القنوطِ وسوء الظنون .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۳ )

## ۸۸ - تعزية له

« مَنْ كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ ، وَالْعِلْمِ بِاللَّهِ ، عَلَى مِثْلِ الَّذِي حُبِّيتَ بِهِ ، اقْتَصَرَ بِرَأْيِهِ وَصِحَّةِ فَهْمِهِ عَلَى مَا يَبْعُدُ عَلَيْهِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ، وَبَلَّغَنِي وَفَاةَ فُلَانٍ ، فَأَعْظِمَ اللَّهُ بِهَا فِي الْمَصَائِبِ مَصِيبَةً ، وَأَجَلِلْ بِهَا فِي الْأَحْدَاثِ نَائِبَةً ، نَوَّرَ اللَّهُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَعَزَّمَ لَكَ عَلَى الصَّبْرِ ، وَبَارَكَ لَنَا وَلكَ فِي الَّذِي تَشُولُ إِلَيْهِ الْعَوَاقِبُ . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۸ )

## ۸۹ - تعزية له

« أما بعد ، فإن من صحب الدنيا لم يخل من تصرف أحوالها ، وكثرة معاريف غنائمها ، في اخترام<sup>(۸)</sup> الأنفيس في خواصها ، ومواقع البلايا بين ذلك فيما يهدتها ، ويعزرو

(۱) الوايل : المطر الشديد الضخم القطر ، والجود : المطر الغزير أو مالا مطر فوقه .

(۲) الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق .

(۳) استهل المطر : اشتد انصبابه . (۴) القُر مثالة : البرد .

(۵) في الأصل « وأوثق » وأراه مصحفاً ، والصواب « وأوثق » أي جعلها وثيقة ، وأرض وثيقة : كثيرة العشب موثوق بها .

(۶) الآلاء : النعم ، والبلاء : النعمة أيضاً .

(۷) البرية : الصحراء ، ونسب السنة إليها تشبيهاً بها في الجذب والقحط .

(۸) اخترمته النية : أخذه .

من الأمتى عليها ، وكل ذلك لا سبيلَ إلى دفعه ولا حيلةَ يستعان بها عند نزوله ، إلا الرضا عن الله عز وجل فيما قضى ، والتسليمُ لأمره في كل ما أتى ، والسكونُ إلى الأسنوة التي نهبَ الله سبيلها ، وخففَ بها مواقعَ المصائبِ على أهلها ، ثم الرجاء بعد ذلك لحسن ثواب الله ، الذي جعله لمن لزم أمره ، وأجشم<sup>(۱)</sup> نفسه مكروهها في مواطنِ الصبر على المصيبة والشكر في حال العافية .

( اختيار المنظوم والمشور ۱۳ : ۳۰۸ و ۱۲ : ۲۶۳ )

### ۹۰ - تعزية له إلى الخليفة

« فإن الله أنزل أمير المؤمنين من الإسلام وأهله منزلاً عظماً فيه فضله ، واختصه منه بالذي هو أهله وأولى به ، فأصبح بفضل نعمة الله عايبه ، ولطيف إحسانه إليه ، عماداً لجميع المسلمين ، عليه تجتمع أهواؤهم ، وإليه تسكن أملاؤهم<sup>(۲)</sup> ، وبه يصلح الله دينهم ، ولا تصلح إلا به دنياهم ، فما يلبسه الله من عافية ، ويحدث له من كرامة ، تجلّلهم مع النعمة في وصولها ، وأعباء الشكر في وجوبها ، وما يتوبه - والله ولي حفظه - من نائبة حدث برزه مصيبة ، شرّكوه في ألم الخلد ، وتركوا شركته في حسن الثواب .

وقد كان من قضاء الله في ابن أمير المؤمنين ، ما عظمت به المصيبة ، وعمت به الرزية للمنزلة التي أنزله الله بها من دينه وقرابته من نبيه صلى الله عليه وسلم ، مع مكانه من خليفته ، وما كان فيه مع ذلك من الأمل العظيم ، والرجاء الجسيم ، الذي به سكنت القلوب ، وأمل لآليلات الخطوب ، وكان عاريةً من عواري نعم الله ، أنعم بها الله على أمير المؤمنين ، فاستمتع بما أعاره فيه من قرّة العين والغبطة والسرور ، إلى أن بلغ منتهى مدّة ما أعير ، وقضى كل ارتجاع [ أن ] يرتجمها مُعيرها فيبتلى بها من

(۱) أي كلفها كجشمها . (۲) جمع ملاء بالتحريك : وهو الجماعة .

أعيرها ، وكان يجرى من تقدير الله في ذلك على حتم من العمر ، وقسم من الرزق ، ومدته لها وقت وتأجيل ، فلما استكمل الحتم من عمره ، واستتم القسم من رزقه ، قبضه الله إليه اختياراً لما عنده ، وابتلى أمير المؤمنين ليجمع له إن شاء الله حسن ثواب حسبته ، إلى ما مضى ما استمتع به فيه من نعمه ، محموداً في ذلك بلاؤه ، منتصحاً فيه قضاؤه ، مسلماً فيه لأمره الذي جرت به سنته ، واعتدلت بالأسوة فيه حال جميع خلقه ، فإن الله وإنا إليه راجعون ، نسأل الله الذي ابتدأه بمنه وفضله ، أن يجعله وخليفته وارث إرث نبوته ، وصفي الأصفياء من صفوته ، وفي معدن الفضل من أهل خبرته ، وأن يُلحِقَه بالأخيار من سلفه والمنتجبين<sup>(۱)</sup> الأبرار من فرطه ، ويكرم فيما لديه ما به ، ويحسن في المعاد ثوابه ، ويعظم هناك فضيلته ، ويقرب إليه وسيلته ، ويرفع في أعالي درجات الصالحين درجته ، إكراماً بذلك لنبيه ، وتوقيراً لخليفته ، وتطويلاً عليه فيه بمنه وكرمه ، وأن يعظم أجر أمير المؤمنين في مصيبته ويحسن فيها ثوابه ، ويجزل فيها عيوضه ، ويكرم بها في المعاد ذكره ، ويريه من معارف عاجل حسن الخلف في الزيادة النامية في عباده ، والمواهب المتتابعة في ولده ، ما يجبر به مصيبته ، ويقر به عينه ، ويتم به كرامته ، ويبلغ به أفضل ما ينتهي إلى رضاه ، من سُبُوغ<sup>(۲)</sup> العطفية ، وتمام النعمة ، وإيتاء كل حسنة ، وصرف كل سيئة ، ولا يريه وإياناً في ولده مكروهاً أبداً ، فإنه وليه وولي إتمام النعمة عليه ، وما اختصه به وظاهر عليه من المن والإحسان والسلام .

(اختيار النظم والمنثور ۱۳ : ۳۰۸)

## ۹۱ - فصل له في الذم

« إن فلانا حجة<sup>(۳)</sup> من بقايا حجة الشيطان ، جمع الله إليه أولاد الهزائم وذوى الفئك وأبناء النقم ، ثم قدم باطلهم بين أعينهم ، فلفقهم<sup>(۴)</sup> على غير أسباب ، حتى إذا تضايقت

(۱) اتجبه : اختاره . (۲) أي تمامها . (۳) الحجة : الإبرة ضرب بها الحية .

(۴) أي جمع بعضهم إلى بعض ، من لفق الثوب كضرب : ضم شقة إلى أخرى فخالطها .

بہم المذاهب ، أخرجهم الله كالنَّبيل لم يوصل به ريشه ، ولم يُشدّد عليه نصله ، فطاش  
عن المرعى ، وقصّر عن المدى ، فترعوا أيديهم ، وصاروا إلى ربّهم بالخَبيل (۱) .  
( اختيار المنظوم والمتنوع ۱۳ : ۱۹ )

## ۹۲ - کتاب بشر البلوی إلى یزید بن منصور

وكتب بشر<sup>(۲)</sup> بن أبي كِبَارِ الْبَلَوِيِّ إلى یزید بن منصور عامل أبي جعفر المنصور  
على اليمن ، وقَدِمَ إلى صنعاء أوّل سنة ۱۵۴ بعد الفُرَات بن سالم ، وقد طلب منه ما كان  
فَرَضَهُ الفُرَاتُ لنفسه على أهل اليمن :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإنه قَدِمَ على كتاب من الأمير - حفظه الله -  
مع رسوله نَعْمَانُ الهمدانيّ ، يأمرني أن أبعث إليه بفرض الفُرَات بن سالم ، وأنا أخبر  
الأمير - أكرمه الله - أنه كان قَدِمَ علينا قبل كتابه كتابُ الله تعالى مع رسوله محمد  
صلى الله عليه وسلم ، يأمرنا فيه أن نفرّق ما جمَعَ الفُرَاتُ ، وأن نهديم ما بنى ، وأن نوالى  
مَن عادى ، وأن نُعادى مَن والى ، ونظرتُ في الرسالتين ، وقِسْتُ بين الرسولين ، لغير  
تخيّر عَرَضَ ، ولا شُبّهة بمحمد الله دخلتُ ، فرأيتُ أن لا أنقضَ ما جاء به محمد بن عبد الله  
صلى الله عليه وسلم ، لِمَا قَدِمَ به النعمان - لعنه الله وغضب عليه - وعلتُ أنه من يَزِغُ  
منا عن أمر الله بذِيقه من عذاب السَّعِيرِ<sup>(۳)</sup> ، فليقتضِ الأمير - حفظه الله - في ما كان  
قاضيًا<sup>(۴)</sup> ، ثم ليعجّل ذلك ولا ينظرني<sup>(۵)</sup> ، فوالله إن العافية لفي عقابه ، وإن العقاب

(۱) الخيل : الفساد .

(۲) جاء في المواهب الفتحية ۲ : ۱۴۰ « هو من فضلاء اليمن من أهل صنعاء ، من قبيلة بلي  
كفى ، وهو أبلغ الناس ، وكانت بلاغته تهادى في البلاد ، وكان له فيها مأخذ لم يسبقه إليه أحد ولم يلحقه  
فيه ، ويتمجّب من بلاغته ونفاستها ، وأنه فيها أوحده ، وأنه لا يشابهه بلاغته البلقاء ، وأنه منفرد بحسن  
اختلاس القرآن الكريم - هكذا ذكر أبو محمد الهمداني الشهير بابن الحائك المتوفى سنة ۳۳۴ » .

(۳) اقتبه من قوله تعالى : « وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ »

(۴) اقتبه من قوله تعالى : « فَأَقْضِ ، وَأَنْتَ قَاضٍ » (۵) انظره : أخره .

لنى عافيته ، وإن الموت خَيْرٌ من الحياة معه ، إذا كان هذا الجِدِّ منه ، والحقُّ عنده والسلام .

( مفتاح الأفكار ص ۲۷۲ ، والمواهب الفتحية ۲ : ۱۴۱ )

### ۹۳ - كتاب أبي جعفر إلى عامله بحضر موت

وَوَلَّى المنصور رجلا من العرب حَضَرَ مَوْتَ ، فكتب إليه والى البريد « إنه يُكثِر الخروج في طلب الصيد بِبُزَاةٍ <sup>(۱)</sup> وكلابٍ قد أعدّها » فعزله ، وكتب إليه :  
« تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ <sup>(۲)</sup> ، وَعِدَمْتَكَ عَشِيرَتَكَ ، مَا هَذِهِ الْعِدَّةُ الَّتِي أَعَدَدْتَهَا لِلنَّكَايَةِ فِي الْوَحْشِ ؟ إِنَّا إِنَّمَا اسْتَكْفَيْنَاكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ نَسْتَكْفِكَ أُمُورَ الْوَحْشِ ، سَلِّمْ مَا كُنْتَ تَعْلِي مِنْ عَمَلِنَا إِلَى فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ ، وَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ مَلُومًا مَذْحُورًا <sup>(۳)</sup> . »

( تاريخ الطبرى ۹ : ۲۹۷ )

### ۹۴ - فصل من كتاب أبي جعفر إلى الآفاق بالبيعة المهدي

« والمهدى - معشر المسلمين - في عفاة وصلاحه وورعه وطباطه وشيخه وحلمه ورافته واستصلاحه واستبقائه ، وعفوه ومقدرته ، ورأيه ومكيدته وشوكته على عدوه ، وحسن تدبيره في ولايته وسياسته لجنوده ، ورقيقه وعدله ، وأدبه وفقهه ، وفهمه ونجابته وَيُؤْمِنُ نَقِيْبَتَهُ <sup>(۴)</sup> وتوسعة ذات يده ، واغتفاره وهدية ، وحسن جزائه أهل الغناء <sup>(۵)</sup> عنه والبلاء معه ، والطاعة له والسمع منه ، ولينه وحزمه وعزمه ، ووفائه وصدقه ، هو المصطنع <sup>(۶)</sup> لولايتكم ، والمتخير لسياستكم واجتماع ألفتكم ، وتعام نعمة الله عليكم ، ولم يكن الله ليُعدَّ لهذه الأمور إلا مصطنعا في رأيه ، كاملا في فضله وسياسته ، قويا على طاعة الله وفصر دينه والذب عن حقه وملته . »

(۱) البزاة جمع البازي: وهو ضرب من الصقور .  
(۲) دحره كنع: طرده وأبعده ودفنه .  
(۳) الغناء: الكفاية .  
(۴) أي المختار .  
(۵) نكله كفرح: فقده .  
(۶) النقية: النفس والطبيعة .

وقد بايع أمير المؤمنين ومن قبله من أهل بيته وجنوده ورعيته للمهدى محمد ابن أمير المؤمنين ، ولعيسى بن موسى من بعد محمد المهدى ، مستبشرين ببيعتهم ، راغبين فيما صَفَقَتْ<sup>(۱)</sup> عليه أيمانهم من تخيير للذي كان يُذْكَرُ في الأمير من تمام نعمة الله عليهم مؤملين لما في الأحاديث الماثورة من أهل الحق قبلهم موقنين بخيرة الله لهم ، فإن اسم المهدى محمد ابن أمير المؤمنين واسم أبيه ، والزمان الذي كان يُذْكَرُ ذلك فيه ، والأمور التي تُنسَبُ إليه ، والفتوح التي كانت تُذْكَرُ أنها تفتَحُ عليه في أول أمره ، ومبتدأ زمانه - وقد رأيناها وعرفناها يشهد بعضها لبعض ، متصلة على حالاتها ، متواليه على ما ذكر في الأحاديث منها بصدق الأول منها الآخر على مراتبها ومنازلها ، والأحايين التي تكون فيها ، لا يُحْرَمُ<sup>(۲)</sup> شيء منها عن شيء متلاحقة ملتئمة إن شاء الله ولا قوة إلا بالله - واصل<sup>(۳)</sup> هذه الأطراف المنكورة والأعلام المقدمة بأصولها الجسيمة العظيمة التي ملأت<sup>(۴)</sup> الأرض نورا وعدلا وعزا لأهل الإسلام ، وظفرا وتأييدا لأهل الحق ، ونصرا وفضلا ونعمة من الله عليهم ، ولم يحبَّ أمير المؤمنين أن يُخْرِجَ عيسى بن موسى من هذا الإل<sup>(۵)</sup> ، فعقد له من بعد محمد ابن أمير المؤمنين ، وجعله ولي عهد ، ونوى أمير المؤمنين الخير في ذلك ، واحتسب الأجر من الله عليه ، ورجا صلاح الرعية .

فبايعوا باسم الله وعلى برِّكم وتوفيقه وتسديده ، لحمد ابن أمير المؤمنين ببيعة رضوان من الله إن شاء الله ، بصحة من نياتكم ، وسلامة من صدوركم ، ووفاء واستقامة بخير صفة صَفَقَتْ عليها أيمانكم ، وأعظمها إن شاء الله وأتمها نعمة ، وأحسنها عاقبة ، وأبلغها في طاعة الله منزلة ، وأرفعها في الخير درجة ، فأبشروا بنعم مخبات عاجلات وآجلات يُعز الله بها دينكم ، وييم بها النعمة عليكم ، ويقمع بها الشيطان وجنوده وأبالسته ،

(۱) صفق يده بالبيعة والبيع كضرب وعلى يده : ضرب بيده على يده ، وذلك عند وجوب البيع

(۲) في الأصل « لا يحرم » وأراه مصحفا . (۳) خبر « فإن » .

(۴) في الأصل « علا » .

(۵) الإل : العهد ، وفي الأصل « إلا » .

وبفلُّ بها حدَّهم ، وبُوهِنَ بها قوتهم ، وبَعَثَرَعَهُمْ في كلِّ مَوْطِنٍ ، ويقتلهم في كلِّ مشهدٍ ، فإنكم - معشر المسلمين - قد أخذتم في توفيق الله إياكم ، وتسديده لكم ، بطرف أمرٍ فيما ألهمكم الله من بيعتكم للهدي ابن أمير المؤمنين ، سيؤدِّبكم إلى النعم التي كانت توصف ، والظهور الذي كان يُذكر .

( اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۲۳۹ )

## ۹۵ - كتاب بعض الهاشميين إلى المهدي وهو ولي عهد

وكتب بعض الهاشميين إلى المهدي وهو ولي عهد يشكر له :

« إن لباس النعم التي ألبس الله الأمير كرامةً توحدها له بها في سابق علمه ، ونافذ قضائه ، فأحله من التماسل في أذكي الدسل ، وأطيب الحلل ، طينة عن طينة ، وأباً عن أب ، وخلفاً عن سلف ، حتى انتهى به إلى المحل الذي منه برز ، فكان خير البرية وابن خيرها ، حقاً له غير مجرود ، وسابقة له معروفة عند أهل الأدب والدين ، ثم خصفاً الله في أنفسنا : بأن جعلنا من أهل المعرفة بذلك ، وفي الأمير : بأن جعل لنا في نسبه شركة اشعبت بها إلينا شعبة في شرفنا المذكور ، وزيننا الأعظم ، والله محمود .

ثم كان من بلاء الأمير عندي ما كان في الخاصة مشهوراً ، وعن لساني وشكري وقولي منشوراً ، ولست أدعي حقاً لي قبل الأمير في القرابة والحُرمة والموادَّة إلا وللأمير عندي الفضل والزيادة على القدر ، فأما ما عليّ من واجب الحق للأمير فلا أراي - وإن اجتهدت - بالفاكئة حق الأمير عليّ ، غير أن الحصول مني أن دنياي التي أصلح ، وآخرتي التي أطلب ، إنما أستنججها بالأمير ، لأن الأمير في الدنيا ذو قرابتي ، فالعائدة<sup>(۱)</sup> عليّ ، وفي ديني المهدي الرضى ، على ذلك بيعة يدي ، ورضا نفسي ، قد أوضح الله

(۱) العائدة : الفائدة والمعروف والصلة .

للناس من بركة الأمير ويمنه وعلامات صفته ، مالم يصبح أحد يحتاج فيه إلى خبر مخبر ، ولا صفة واصف ، والله محمود ، نسأل الله الذي بلغ الأمير في نفسه وعلى السن الناس ما بلغ ، أن يتممه له بأحسن ما تممه لأحد قط في طول البقاء لأمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، وآتم النعمة عليه فيه .

( اختيار النظم والنثر ۱۳ : ۲۸۳ )

## ۹۶ - كتاب أبي جعفر عند موته يوصي بالمهدي

وروى الطبري أنه لما مات أبو جعفر المنصور ( سنة ۱۵۸ هـ ) خرج الربيع<sup>(۱)</sup> ابن يونس ، وفي يده قرطاس ، فالتقى أسفاه على الأرض ، وتناول طرفه ثم قرأ :  
« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى من خلف بعده ، من بني هاشم ، وشيعته من أهل خراسان ، وعامة المسلمين » ثم ألقى القرطاس من يده وبكى وبكى الناس ، فأخذ القرطاس وقال : قد أمكنكم البكاء ، ولكن هذا عهد عهد أمير المؤمنين ، لا بد من أن نقرأ عليكم ، فأنصتوا ، رحمكم الله ، فسكت الناس ثم رجع إلى القراءة . « أما بعد : فإني كتبت كتابي هذا ، وأنا حتى في آخر يوم من الدنيا ، وأول يوم من الآخرة ، وأنا أقرأ عليكم السلام ، وأسأل الله ألا يفتنكم بعدي ، ولا يلبسكم<sup>(۲)</sup> شيئا ، ولا يذيق بعضكم بأس بعض ، يا بني هاشم ويا أهل خراسان . »

(۱) هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة كيسان مولى الحارث المخارمولى عثمان بن عفان ، وزير للمنصور ، وكان مهيبا نصيحا كافيحا حازما فطنا ، ولم يزل وزيرا للمنصور إلى أن مات المنصور ، فقام بأخذ البيعة للمهدي ، ثم سعى به أعداؤه إلى الهادي ، فقتله سنة ۱۷۰ هـ انظر ترجمته في الفخرى ص ۱۵۸ ووفيات الأعيان ۱ : ۱۸۵ .

(۲) أخذه من قوله تعالى « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عدابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض » واللبس : الخلط ، يقال : لبست الأمر البسه كضرب : إذا خاطت بعضه ببعض ، أي يجهلكم فرقا مختلفة الأهواء .



ثم أخذ في وصيتهم بالمهدى ، وإذ كارهم البيعة له ، وحضهم على القيام بدولته ،  
والوفاء بعهدة . . . إلى آخر الكتاب .

قال النوفلي: قال أوى : وكان هذا شيئاً وضعه الربيع .

ثم أخذ الربيع البيعة منهم لمحمد المهدي .

( تاريخ الطبري ۹ : ۲۲۴ )

## ۹۷ - كتاب لجبل بن يزيد تعزية وتهنئة للمهدى

فإنه من أقر له بالقدرة ، واعترف له بالرؤوبية ، لم ينكر مواقع أقداره ،  
وما مضت به سنته على إحلالها في الأولين والآخرين . وإن الخبر أتنا بوافد  
أمير المؤمنين المهدي بأنها<sup>(۱)</sup> كانت بيعة سليمة مباركة ، لم يطلع أحداً من الناس  
فيها اعتراض ولا خلاف بقول ولا فعل ، بل احتفاض به الرضا والغبطة ، وظهر  
السرور من العامة والخاصة ، واجتمع في ذلك أمران : مصيبة لاتعد لها المصائب ،  
ولا توازيها الفجائع ، وعائدة<sup>(۲)</sup> من الله تعظم عن كل ماعسى واصف أن يصفه  
من أهلها ، أو يعظم من وجوه شكر الله فيها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، إعظاماً  
الارزية ، وإقراراً بالقصة ، واعترافاً لله بالقدرة .

والحمد لله على ما تلافى به عباده في بلائه ، من نعمته التي لم بها الشعث<sup>(۳)</sup> ،  
وجبر بها المصيبة وشد بها أركان الإسلام وأهله ، وأعظم بالاصيبة مصيبة نزلت ،  
وأعظم بالنعمة نعمة حدثت . وإن أحق من انتصح لله في قضائه ، واعترف بوجود  
حسن بلائه ، من علم أن الفجائع أمر جرت به سنن الله بين عباده تذكيراً وتحذيراً ،  
ومن به انقادت معرفتها ، ووفقت حجاج الله على العباد فيها ، ولو لا ذلك لم يكن لمعزة

(۱) الأصل « كأنها » وهو تحريف - (۲) العائدة : النعمة .

(۳) الشعث : انتشار الأمر -

أن يرؤوم تعزية أمير المؤمنين ، ولا لمؤمن<sup>(۱)</sup> تأسية ، إعظاما له عن ذلك ، وتوفيرا لجلال منزلته ، واكتفاء به في ذلك بنفسه ، مع الذي يحق على جميع المسلمين من الوقوف على مساماة فضله ، والترقى في رفيع درجته ، فعظم الله على الحادث النازل أجره ، وأحسن على الخلافة عونه ، ثم لا وَاكَلَهُ اللهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَالْهَمَّهُ الْعَمَلُ بِمَا يُرْضِيهِ ، وَيَبْلُغُ بِهِ تَأْدِيَةَ حَقِّهِ فِيمَا اسْتَرَعَاهُ وَاسْتَحْفَظَهُ ، وَجَعَلَهُ أَهْلَهُ وَأَحَقَّ بِهِ ، وَاللَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۰ )

### ۹۸- تعزية لغسان بن عبد الحميد عن خليفة<sup>(۲)</sup>

« أما بعد : فإن الله تبارك وتعالى جعل المقادير علما ثابتا عنده ، وكتابا سابقا منه ، فجزت عليه ومضت به الأمور في قدرته ، والعباد في قبضته ، وليس عبد من عبده إلا وقد كان عمره في الدنيا موطؤا قبل خلقه ، وكان ما يصيبه منها مكتوبا عليه قبل أن ينزل به ، ثم جعل أهل عبادته أهل حظوظ متكاملة في السعادة ، وأهل فضائل متظاهرة في الكرامة ، فاصطفى منهم أنبياءه ، وانتجب<sup>(۳)</sup> منهم خلفاءه ، وألزمهم على ذلك الموت الذي لا يُبد منه ، وجعله الحياة لهم فيما عنده ، فكانت وفاة من توفى<sup>(۴)</sup> منهم له سعادة فيما يصيرهم إليه ، وحياة من أحيأ منهم له كرامة فيما يصطنعهم له ، فيتمضي الأول منهم سعيدا ، ويبقى الباقي منهم مُصْطَنَعًا ، فلا تنقطع الدنيا بماضيتهم إلا إلى خير منها ، ولا يبقى باقيهم إلا ليزداد خيرا فيها ، قد أخذوا من الله بأسباب أصلح لهم بها معادهم في آخرتهم ، وحفظ لهم بها دنياهم في نحيتهم ، يُعرف حق الميت منهم بعد موته ، كما كان يُعرف حقه في حياته ، ويُعظم حق الحي منهم للنزل الذي أنزله الله به .

(۱) أساء تأسية : عزاء .

(۲) أرى أن هذه الرسالة تعزية من غسان للمهدي من أية المنصور .

(۳) أي اختار (۴) عائد الموصول محذوف أي من توفاه .

والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين « فلانا » من خلفائه الذين عُمرُوا في كرامته وتمكينه، ومَضَوْا على أحسن الرجاء فيما عنده، ثم جَمَعَ له الأجرَ بما أدَّى من حق الله في حياته، فيما نظر به للرعيَّة، من استخلاف أمير المؤمنين بعده، وجَمَعَ لأمر المؤمنين الأجرَ في محبته إياه بالبرِّ والموازرة له، وفيما احتسب به من مودته، وقام به من الحق فيما استخلفه عليه، فوالدك يا أمير المؤمنين خيرُ الناس فرطاً<sup>(۱)</sup>، وأنت أفضل الناس خلقاً، لقد لقيت الله والدك من الحياة ما يُرجى له في الوفاة، وأعقبك من مصيبتك به، ما وطأ لك من الخلافة بعده، وأعقب الرعيَّة من فقدته، ما عملت به فيها من المعدلة<sup>(۲)</sup>، والماضي مفقودٌ مستخلفٌ منه، والباقي محمودٌ مرضىٌ به، وأمرُ الرعيَّة قائمٌ معدولٌ فيه، فَعَلَّ اللهُ كذا والسلام .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۲۳ )

## ۹۹ - فصل من تعزية له

« ولم يزل أهل بيت أمير المؤمنين أعظم الناس مصيبةً بميت ، وأعظم الناس نعمةً بحى ، لفضل أمواتهم ، ونعمة الله على أحيائهم ، فإن الله جعل أمواتهم للمسلمين سلفاً ، وجعل أحياءهم لهم عصماً ، فلحوق<sup>(۳)</sup> المسلمين بسلفهم من أمواتهم نجاة لهم في معادهم ، واعتصامهم بطاعة أحيائهم صلاحٌ لأموالهم في دنياهم ، وأحق الأموات أن يسألوا عنه الأحياء ، من رُتخ له - لفضله - أن يكون اختار الله له ما عنده ، فيذهب ما يوجد عليه من الحزن ، لما يقع له عند الله من حسن الأمل ، فإن الحسبة تجبر المصيبة ، والحزن لا يرُدُّ المرزئة . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۲۴ )

(۱) الفرط : ما تقدمك من أجر وعمل .

(۲) في الأصل «العلقة» ولا يستقيم بها المعنى ، وأرى أنها معرفة من « المعدلة » أى العدل

(۳) في الأصل «الحقوق» وهو تحريف .

## ۱۰۰ - كتاب له في المودة

« وقد أصبحت للوسائل إليك أسباباً ، وللحقوق إليك دواعٍ ، منها ما يشهدك من خالطك وكثر لقاؤه لك ، ومنها ما غاب عنك ، من مؤدّة لحقك ، وعاريف بفضلك ، مناصح لك ، مُدخِر لموضع ذلك إذا هومت<sup>(۱)</sup> به إليك ، وليس من كان له نصيبٌ من مخالطتك ، بأوجب حقاً ممن له فضلٌ في أداء حقك ، ولا أحسب أحداً ممن طالت لك خِدْطته<sup>(۲)</sup> ، يبلغ من المعرفة بحقك ، وما جعل الله فيك من الفضل ، ما بلغ<sup>(۳)</sup> أصحاب النصيحة وإظهار المودة والسرور بما أحدث الله لك من الزيادة ، وقد أحببتُ - إذ كنتُ على ذلك لك ، وأحرزتُ حظي من معرفة فضلك - أن أحرز حظي في موقع ذلك لي عندك ، وأن تجرى المكاتبة ، وكذا... » .

( اختيار النظم والمنثور ۱۳ : ۴۰۹ )

## ۱۰۱ - عهد من المهدي إلى أحد ولاته

« هذا ما عهد به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين إلى فلان ، حين ولّاه ثغر أرمينية والباب والأبواب<sup>(۴)</sup> ، حرّبتها وخراجها وصدقائها وجميع أعمالها . أمره بتقوى الله في سرائره وعلانيته ، والاعتصام بالله والعمل بطاعته ، والإيثار لحقه على ماسواه ، والمراقبة له والخشية منه ، والحفظ لدينه وأمانته ، والانتهاج إلى ما يحق عاينه فيما وافقه وخالفه ، فإن الله لا يضيع لحسن أجرا ، ولا يضلح لمفسد عملا . وأمره أن يشعر قلبه بخافة الله وهيبته ، وأن يعلم أنه لا حول ولا قوة في شيء »

(۱) أي توصل . (۲) الخبطة بالكسر : العثرة ( وبالضم : العركة ) .

(۳) في الأصل « بل أبلغ من أصحاب ... » وهو تحريف .

(۴) قال ياقوت في معجم الأدباء ۲ : ۹ « باب الأبواب ، ويقال له الباب غير مضاف ، والباب

والأبواب ، ... مدينة على بحر طبرستان . وهو بحر الخزر » .

إلا بالله والعمل بطاعته ، فإن الله عز وجل إذا علم بذلك بصدق نيته ، وصحة من يقينه ، أحسن عونه ، وخار<sup>(۱)</sup> له في قضائه ، وكفاه ما همم ، ولم يكله في شيء من أموره إلى نفسه إن شاء الله .

وأمره أن يتعاهد نفسه في دينه وطاعته ونصيحته وحاله ، في الصغير والكبير من أمره ، ويكثر ذكر علمه به وقدرته عليه ، وألا ياتر أمرا حتى يستخير الله فيه ، ويستعينه عليه ، ويستغضيه فيه ، بالذي هو أحب إليه ، وأرضى عنده ، فإن العاقبة للتقوى ، وإن أفضل الأمور أصلحها عاجلا ، وخيرها عاقبة ، وأعظمها أجرا ، وأحسنها ذخرا ، إن شاء الله .

وأمره أن يعلم أن الثغر الذي ولأه أمره ، من أعظم ثغوره عنده ، وأهم أعماله إليه ، لقربه من العدو ، وإطلاله عليهم ، وموقعه من المسلمين ، وأنه لم يسند إليه إلا لحاله عنده ، وثقته به ، ومعرفته بطاعته ونصيحته ، وكفايته وضبطه ومبالفته ، وحسن سيرته ، وسياسته ومكيدته ، ونكايته في أهل الشرك بالله ، وعن الإسلام ، وأهله وأنه ليس أحد من هماله إن اتقى واعتصم بأمره وأخذ بعهدته ورأيه ، بأسرع منه بكل أمر زاده الله به عنده منزلة ومزية وفضلا .

وأمره أن يصلي الصلوات لمواقيتها في مسجد الجماعة ، ولا يتشاغل عنها بغيرها ، فإن الله جعلها عمود الدين ، فقال تبارك وتعالى : « فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » .

وأمره أن يفتح بابه لأهل عمله ، ويُقل الاحتجاب عنهم ، ويُبين كنفه<sup>(۲)</sup> لهم ، وينظر في أمورهم ومظالمهم ، ويُنصف بعضهم من بعض ، ولا يُحابي شريفا لشرفه ، ولا يتعدى على وضع لضعته ، وألا يكون لأحد من الناس ، يخالف الحق عنده ،

(۱) خار الله له في الأمر : جعل له فيه الخير . (۲) الكنف : الجباب .

هوادة ولا غميمة (۱) ، وأن يصبر نفسه على ما نابه وورد عليه من أمورهم ومظالمهم ،  
وينظر ويجلس له ، حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه ، فإن في ذلك صلاحهم ومعونته  
على ما ينوي من العدل عليهم ، وتأدية حق الله عليه فيهم إن شاء الله .

وأمره بحسن الولاية ورفق السياسة ، وإظهار العدل والعمل بالحق ، وكف  
الظلم ، وإبطال الجور ، وإيثار أهل الطاعة والنصيحة والفضل والورع وصدق النية ،  
وإفشاءهم على غيرهم ، ويستعين بأرائهم فيما هو مصدره حتى يكون ما يمضي وينفذ  
منه بحسب ما يجتمعون عليه ويرؤونه موافقاً للعدل ، ومجانباً للظلم والجور .

هذا عهدى إليك ، وأمرى إياك فيما وليتك ، وأسندت إليك وقلدتك ، فامتثله ،  
واعمل به ولا تجاوزه ، واستعن بالله فيما غلبك ، يعينك الله ، والله أسأل أن يصلى  
على محمد عبده ورسوله ، وأن يوفقك ويحسن كفايتك .

( المنظوم وثلثون ۱۳ : ۵۰۳ )

## ۱۰۲ - كتاب المهدي إلى محمد بن سليمان

وكتب المهدي إلى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو والي  
البصرة ، بأمره أن يرد آل زياد إلى نسبهم (۲) .

(۱) أي مطمن أو مطمع .

(۲) كانت سمية أم زياد قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندي للحارث بن كلدة الثقفي ، وكان طيباً  
يعاينه ، فولدت له علي فراشه نافعاً ، ثم ولدت أبا بكره ، فأنكر لونه ، وقيل له : إن جاريتك بغي ، فانتفى  
من أبي بكره ومن نافع ، وزوجها عبيداً وكان عبداً لابنته ، فولدت علي فراشه زيادا ، (في السنة الأولى  
من الهجرة كما جاء في الطبري ۲ : ۲۵۹) فلما كان يوم الطائف نادى منادى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : «أيما عبد نزل فهو حر ، وولاؤه لله ورسوله» فنزل أبو بكره وأسلم ولحق برسول الله ، فقال  
الحارث بن كلدة لنافع : أنت ابني فلا تفعل كما فعل هذا ، يريد أبا بكره ، فلحق به (العقد الفريد ۳ : ۲) .  
وقد قدمنا لك أخبار زياد واستلحاق معاوية لإمام انظر الجزء الأول ص ۳۳۵ ، ص ۵۱۱ والجزء  
الثاني ص ۳۴ ، ومنذ استلحاقه (سنة ۴۴ هـ) أصبح هو وذريته يعدون في سلالة أبي سفيان ويعتبرون  
من قريش ، وبعد قليل أسجدت سلالة أبي بكره مولى رسول الله بعد في تقيف .

فلما كانت خلافة المهدي أمر برد آل أبي بكره من نسبهم في تقيف إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم =

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن أحق ما حمل عليه ولاة المسلمين أنفسهم ،  
وخواصهم وعوامهم في أمورهم وأحكامهم ، العمل بينهم بما في كتاب الله ،  
والاتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصبر على ذلك والمواظبة عليه ،  
والرضا به فيما وافقهم وخالفهم ، للذي فيه من إقامة حدود الله ، ومعرفة حقوقه ،  
واتباع مرضاته ، وإحراز جزائه وحسن ثوابه ، ولما في مخالفة ذلك والصدور عنه  
وغلبة الهوى لغيره ، من الضلال والخسار في الدنيا والآخرة .

وقد كان من رأى معاوية بن أبي سفيان في استلحاقه زياد بن عبيد ، عبد  
آل علاج من ثقيف ، وادعائه ما أباه بعد معاوية عامة المسلمين ، وكثير منهم  
في زمانه ، لعلمهم بزياد وأبي زياد وأمه ، من أهل الرضا والفضل والفقه والورع والعلم ،  
ولم يدع معاوية إلى ذلك ورع ولا هدى ، ولا اتباع سنة هادية ، ولا قدوة من  
أئمة الحق ماضية ، إلا الرغبة في هلاك دينه وآخرته ، والتصميم على مخالفة الكتاب  
والسنة ، والمجب بزياد في جلده ونفاذه ، وما رجا من معونته وموازرتة إياه على  
باطل ما كان ير كُن إليه في سيرته وآثاره وأعماله الخبيثة ، وقد قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر »<sup>(۱)</sup> ، وقال : « من ادعى إلى غير أبيه ،

== وبرد آل زياد إلى نسبهم من عبيد . وكان سبب ذلك أن رجلا من آل أبي بكر رفع طلعة إلى المهدي ،  
وتقرب إليه فيها بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المهدي : إن هذا نسب واعتزاه ما تقرون به إلا عند  
حاجة تعرض لكم ، وعند اضطراركم إلى التقرب به إلينا ! فقال : يا أمير المؤمنين ، من جحد ذلك فإناسنقر ،  
أنا أسالك أن تردني ومعتز آل أبي بكر إلى نسبنا من ولاء رسول الله ، وتأمر بآل زياد بن عبيد  
فيخرجوا من نسبهم الذي ألحقهم به معاوية ، فيردوا إلى نسبهم من عبيد في موالي ثقيف ، فأمر المهدي  
في آل أبي بكر وآل زياد أن يرد كل فريق منهم إلى نسبه ، وكان مما قوى رأيه في آل زياد أنه قدم عليه  
وهو ينظر في المظالم رجل منهم ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا ابن عمك ، قال : أي ابن عمي أنت ؟  
فانتسب إلى زياد ، فقال له المهدي : يا ابن سمية الرانية ، متى كنت ابن عمي ؟ وغضب وأمر به فوجئ  
في عنقه وأخرج ، وكتب المهدي فيهم إلى محمد بن سليمان الكتاب المذكور ، فأخرجوا من ديوان قريش .  
ثم إن آل زياد بعد ذلك رشوا الديوان حتى ردم إلى ما كانوا عليه - انظر تاريخ الطبري ۹ : ۳۳۴  
والعسرى ص ۱۶۲ .

(۱) العاهر : الزاني ، أي لاحق له في النسب ولاحظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش ، أي  
لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقولنا الآخر : له التراب ، أي لا شيء له .

أو انتمى إلى غير موالیه ، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعین ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً<sup>(۱)</sup> .

ولعمری ماؤلهَ زیادٌ فی حجرِ أبی سفیان ، ولا علی فراشه ، ولا کان عبیدٌ عبداً لأبى سفیان ، ولا سُمیةُ أمةً له ، ولا كانا فی ملکک ، ولا صارا إليه سبب من الأسباب ، ولقد قال معاوية فيما يعلمه أهلُ الحفظ للأحاديث عند كلام نصر بن الحجاج ابن عیاض السلمي ومن كان معه من موالی بنی المغيرة الخزوميين ، وإرادتهم استلحاقه وإثبات دعوته ، وقد أعدّ لهم معاوية حجراً تحت بعض فرشه ، فألقاه إليهم ، فقالوا له : نسوغ لك ما فعلت في زياد ، ولا تسوغ لنا ما فعلنا في صاحبنا ! فقال : قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لكم من قضاء معاوية ، فخالف معاوية بقضائه في زياد واستلحاقه إياه ، وما صنع فيه وأقدم عليه ، أمر الله جلّ وعزّ ، وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبع في ذلك هواه رغبةً عن الحق ، ومجانبةً له ، وقد قال الله عز وجل : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » وقال لداود صلى الله عليه وسلم — وقد آتاه الحكم والنبوة والمال والخلافة — : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَأَحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ » .

فأمير المؤمنين يسأل الله أن يعصم له نفسه ودينه ، وأن يعيذه من غلبة الهوى ، ويوفقه في جميع الأمور لما يحب ويرضى ، إنه سمیع قريب ، وقد رأى أمير المؤمنين أن يرد زيادا ومن كان من ولده إلى أمهم ونسبهم المعروف ، ويُلحقهم بأبيهم عبید وأُمهم سُمیة ، ويتبع في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى ، ولا يُجيز لمعاوية ما أقدم عليه ممن اجترأ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله

(۱) الصرف : التوبة . والعدل : القدية — انظر الجزء الأول ص ۳۳ .



عليه وسلم ، وكان أمير المؤمنين أحقَّ من أخذ بذلك وعمل به ، لقرايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه آثاره ، وإحيائه سنته ، وإبطاله سنن غيره الزائفة الجائرة عن الحق والهدى ، وقد قال الله جل وعز : « فَأَذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ » .

فاعلم أن ذلك من رأى أمير المؤمنين في زياد وما كان من ولد زياد ، فألحقهم بأبيهم زياد بن عبيد وأمهم سمية ، واحمهم عليه ، وأظهره لمن قبلك من المسلمين ، حتى يعرفوه ويستقيم فيهم ، فإن أمير المؤمنين قد كتب إلى قاضي البصرة ، وصاحب ديوانهم بذلك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب معاوية بن عبيد الله في سنة ۱۵۹ هـ . ( تاريخ الطبري ۹ : ۲۳۵ )

### ۱۰۳ - كتاب بشر البلوى إلى علي بن سليمان

وكتب بشر البلوى إلى علي بن سليمان وكان والياً للهدى على اليمن يعاتبه (۱) :  
« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد : فإنه مهما اختلط قلب من عقل ، واشتبه على من رأى ، وشككت فيه من أمرى ، فلت أشك في أن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يقدر (۲) قلب رزق ، أو يتلى بالشدة عيالى ، أطلعك على (۳) باب طمعى ، ودلك على وجه طلى ، وجعلك جليلاً لأهل حاجتى ، ثم ابتلاني بطلها إليك ، فإذا ذكرتها لك أسفرت (۴) وأبشرت ووعدت من نفسك وعداً حسناً ، ففرقت نفقتى لإسفارك ، ووسعت على عيالى لإبشارك ، وتسلفت (۵) من إخوانى لموعدك ، فإذا أتيتك متفجراً

(۱) هكذا نقل صاحب مفتاح الأفكار، وفي المنظوم والمنتور أن هذا الكتاب لمطرف بن أبي مطرف.

(۲) لمرطبه رزقه كنصر وضرب، وقدره . ضيقه .

(۳) في مفتاح الأفكار « على ذات طمعى » .

(۴) سفر الصبح كضرب وأسفر : أضاء وأشرق ، وأبشرت : أى بشرت .

(۵) أى اقترضت .

ذَٰلِكَ عَبَسْتَ وَبَسَرْتَ ، ثُمَّ أَدْبَرْتَ وَاسْتَكْبَرْتَ (۱) وَقَدْ تَصَرَّمْتَ النِّفْقَةَ ، وَانْقَطَعَ  
الرَّجَاءُ ، وَبِئْسَتْ مِنَ الطَّمَعِ ، كَمَا بَيْسَ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (۲) .

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدِي كَرْهًا ، وَأَشَدُّ جَهْدًا (۳) أَنْ غَيْرَكَ يَعْزُضُ عَلَيَّ الْحَاجَةَ  
الَّتِي طَلَبْتُهَا إِلَيْكَ ، فَأَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا بِسَبَبِكَ ، وَأَنْ تَجْرِيَ إِلَّا عَلَيَّ يَدُكَ ،  
وَأَعْمُرِي مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا لِسَابِقِ الْعِلْمِ فِي شِقْوَتِي (۴) بِكَ . فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ  
جَاهَتَكَ (۵) مِنْ بِلَائِي ، وَحُسْنَ مَنَازِلِكَ مِنْ مُصَابِي . وَطُولَ حَيَاتِكَ فَتَنَةً لِعِيَالِي ،  
أَنْ يَنْقَلِكَ إِلَى جَنَّتِهِ (۶) قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرَفُكَ (۷) وَالسَّلَامُ .

( مفتاح الأفكار ص ۲۷۷ ، والمنظوم والنثور ۱۳ : ۴۱۶ )

## ۱۰۴ - كتاب عيسى بن موسى بنزوله عن

### ولاية العهد لموسى الهادي

وفأوض المهديُّ عيسى بن موسى في أن ينزل عن ولاية العهد لأبنته موسى  
الهادي ، وألحَّ عليه في ذلك فأبى ، ثم أجابه إلى سُؤله ، على مالٍ عوَّضه المهديُّ إياه  
مِنْ حَقِّهِ : عَشْرَةَ آلَافٍ أَلْفِ دَرَاهِمٍ وَضِيَاعٍ بِالزَّابِ الْأَعْلَى (۸) وَكَسْكَرٍ (۹) ، وَكُتِبَ

( ۱ ) اقْتَبَسَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى « ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ » وَبَسَرَ كَنَصَرَ :

كَلَعَ وَعَبَسَ .

( ۲ ) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « قَدْ بَيَّسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا بَيَّسَ الْكُفَّارُ مِنَ

أَصْحَابِ الْقُبُورِ » .

( ۳ ) الْجَهْدُ : الْمَشَقَّةُ . ( ۴ ) الشَّقْوَةُ : الشَّقَاءُ .

( ۵ ) الْجَاهُ وَالْجَاهَةُ : الْمَنْزِلَةُ وَالْقَدْرُ . وَفِي الْمَنْظُومِ وَالنُّثُورِ « جَاهُكَ » .

( ۶ ) فِي الْمَنْظُومِ وَالنُّثُورِ « أَنْ يَعْجَلَكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ » .

( ۷ ) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ

( ۸ ) انظر ص ۱۴ ج ۳

قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرَفُكَ » .

( ۹ ) كَسْكَرٌ : كَوْرَةٌ جَنُوبِي الْعِرَاقِ ، كَانَتْ قَصَبَتَهَا مَدِينَةٌ وَاسِطٌ ( الَّتِي بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ) .

عليه بذلك كتاباً أشهد عليه فيه جماعة أهل بيته وصحابته وجميع شيعته وكتابه وجنده في الدراوين ، ليكون حجة على عيسى وقطعاً لقوله ودعواه فيما خرج منه ، وكان ذلك سنة ۱۶۰ هـ .

وهذه نسخة الشرط الذي كتبه عيسى على نفسه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين موسى بن المهدي ولأهل بيته وجميع قواده وجنوده من أهل خراسان ، وعامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وحيث كان كأن منهم ، كتبت للمهدي محمد أمير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ، فيما جعل إليه من العهد ، إذ كان إلى ، حتى اجتمعت كلمة المسلمين واتسق أمرهم ، وأتلفت أهواؤهم على الرضا بولاية موسى بن المهدي محمد أمير المؤمنين وعرفت الحظ في ذلك على ، والحظ فيه لي ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون من الرضا بموسى ابن أمير المؤمنين ، والبيعة له ، والخروج مما كان لي في رقابهم من البيعة ، وجعلتكم في حل من ذلك ، وسعة من غير حرج يدخل عليكم ، أو على أحد من جماعتكم وعامة المسلمين ، وليس في شيء من ذلك قديم ولا حديث لي دعوى ولا طلبية<sup>(۱)</sup> ولا حجة ولا مقالة ولا طاعة على أحد منكم ولا على عامة المسلمين ولا بيعة ، في حياة المهدي محمد أمير المؤمنين ، ولا بعده ، ولا بعد ولي عهد المسلمين موسى ، ولا ما كنت حياً حتى أموت ، وقد بايعت لمحمد المهدي أمير المؤمنين ، ولوسى ابن أمير المؤمنين من بعده ، وجعلت لها ولعامة المسلمين من أهل خراسان وغيرهم الوفاء مما شرطت على نفسي في هذا الأمر الذي خرجت منه ، والتمام<sup>(۲)</sup> عليه ، على بذلك عهد الله وما اعتقد أحد من خلقه من عهد أو ميثاق أو تغيظ أو تأكيد ،

(۱) الطلبة بالكسر : الطلب ، والطلبية بفتح فكسر : ما طلبته .

(۲) تم على الأمر وتم عليه بالتحريك : أي استمر عليه .

على السَّمْع والطاعة والنصيحة للهدي محمد أمير المؤمنين ، وولى عهدِه موسى ابن أمير المؤمنين ، في السرِّ والعلانية ، والقول والفعل والنية ، والشدة والرخاء ، والسرِّاء والضَّرَّاء ، والموالاتِ لهما ولمن والاهما ، والمعاداة لمن عاداهما ، كائنا من كان في هذا الأمر الذي خرجتُ منه ، فإن أنا نَكَبْتُ<sup>(۱)</sup> أو غَيَّرْتُ أو بَدَّلْتُ أو دَغَلْتُ<sup>(۲)</sup> أو نَوَيْتُ غيرَ ما أعطيتُ عليه هذه الأيمانَ ، أو دعوتُ إلى خلافِ شيءٍ مما حملتُ على نفسي في هذا الكتاب ، للهدي محمد أمير المؤمنين ، ولولى عهدِه موسى ابن أمير المؤمنين ولعامَّة المسلمين ، أو لم أفِ بذلك ، فكلُّ زوجة عندي يومَ كتبتُ هذا الكتاب أو أتزوجها إلى ثلاثين سنةً طالقٌ ثلاثاً أَلْبَتَّةَ<sup>(۳)</sup> طلاقَ الحَرَجِ<sup>(۴)</sup> ، وكل مملوك عندي اليومَ أو أمِدِّكهُ إلى ثلاثين سنةً أحرارٌ لوجه الله ، وكل مالٍ لي نَقْدٍ أو عَرَضٍ<sup>(۵)</sup> أو قَرَضٍ أو أرض ، أو قايِلٍ أو كثير ، تالِدٍ أو طارِفٍ<sup>(۶)</sup> ، أو أستفيده فيما بعد اليوم إلى ثلاثين سنةً ، صدقةً على الساكنين بضع ذلك الوالى حيثُ يَرَى ، وعلى من مدينة السلام<sup>(۷)</sup> المشي حافيا إلى بيت الله العتيق الذي بمكة ،

(۱) نكب عنه كنصر وفرح : عدل .

(۲) دغل في الشيء كمنع : دخل فيه دخول الريب ، وأدغل فيه : أدخل فيه ما يخالفه ويفسده ، والمعنى على كليهما مستقيم .

(۳) يقال : لا أفعله بنة بالنصب ، ولا أفعله ألبنة ، لكل أمر لارجعة فيه ونصبه على المصدر ، من ألبت : وهو القطع المستأصل ، وطلقها ثلاثا بنة وبتانا وألبنة : أى قطعا لاعود فيها ، قال شارح القاموس : « ألبنة ، بقطع الهزمة كما في نسختنا ، وضبط في الصحاح بوصلها » وفي شرح التصريح ( ۱ : ۳۳۳ - باب المفعول المطلق ) : « وفي الباب : لم يسمع في البنة إلا قطع الهزمة ، والقياس وصلها » .

(۴) أى طلاق التحريم ، يقال : حرجت الصلاة على المرأة ( كفرح ) حرجا بالتحريك : أى حرمت وهو من الضيق ، لأن الشيء إذا حرم فقد ضاق ، وحرج على ظلمك حرجا أى حرم ، ويقال : أخرج امرأته بطلقة أى حرمها .

(۵) العرض : المتاع ، وكل شيء عرض إلا الدرهم والدنانير فإنها عين .

(۶) التالِد والتلید والتلاد ( بالكسر ) والمتلد ( بضم فسكون ففتح ) : المال القديم الأصل الذى ولد عندك ، والطارِف والطريف : المال المستحدث .

(۷) هى بغداد ، بناها المنصور وانتقل إليها من الهاشمية ( وهى مدينة كان قد اختطها أخوه السفاح قرب الكوفة ) وشرع فى عمارتها سنة ۱۴۵ ونزلها سنة ۱۴۹ فكانت قاعدة الدولة العباسية .

تَذْرًا وَاجِبًا ثَلَاثِينَ سَنَةً لَا كَفَّارَةَ لِي وَلَا تَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا الْوَفَاءُ بِهِ ، وَاللَّهُ عَلَى الْوَفَاءِ  
بِذَلِكَ رَاعٍ كَفِيلٌ شَهِيدٌ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا .

وَشَهِدَ عَلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى بِإِقْرَارِهِ بِمَا فِي هَذَا الشَّرْطِ أَرْبَعًا وَعِثْرًا مِنْ  
بَنِي هَاشِمٍ ، وَمِنْ الْمَوَالِي وَالصَّحَابَةِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْوُزَرَاءِ وَالْكَتَبِ وَاللَّمَّضَةِ .  
وَكُتِبَ فِي صَفَرِ سَنَةِ ۱۶۰ هـ ، وَخْتَمَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى .

( تاريخ الطبري ۹ : ۳۳۳ )

## ۱۰۵ - كتاب المهدي إلى روح بن حاتم

وَفِي سَنَةِ ۱۶۷ هـ تُوُفِّيَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى بِالْكُوفَةِ ، وَوَالِيَ الْكُوفَةَ يَوْمَئِذٍ رَوْحُ  
ابْنِ حَاتِمٍ ، فَحَضَرَ جَنَازَتَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : تَقَدَّمَ فَأَنْتَ الْأَمِيرُ ، فَقَالَ : مَا كَانَ اللَّهُ لِيَرَى رَوْحًا  
يَصِلُ عَلَى عَيْسَى بْنِ مُوسَى ، فَلْيَتَقَدَّمْ أَكْبَرُ وَلَدِهِ ، فَأَبْرَأَ عَلَيْهِ ، وَأَبَى عَلَيْهِمْ ، فَتَقَدَّمَ  
الْعَبَّاسُ بْنُ عَيْسَى فَصَلَّى عَلَى أَبِيهِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْدِيَّ فَغَضِبَ عَلَى رَوْحٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

« قَدْ بَلَغَنِي مَا كَانَ مِنْ نُكُوصِكَ <sup>(۱)</sup> عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى عَيْسَى ، أِبْنِغَيْبِكَ ، أُمُّ بَابِيكَ ،  
أُمُّ بَجْدِكَ ، كَيْتَ تَصَلَّى عَلَيْهِ ؟ أَوْلَيْسَ إِنَّمَا ذَلِكَ مَقَامِي لَوْ حَضَرْتُ ؟ فَإِذَا غَبْتُ كَيْتَ  
أَنْتَ أَوْلَى بِهِ ، لِيُوضِعَكَ مِنَ السُّلْطَانِ . »

فَأَمَرَ بِمَحَاسِبَتِهِ ، وَكَانَ يَلِي الْخُرَاجَ مَعَ الصَّلَاةِ وَالْأَحْدَاثِ .

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۹ )

(۱) نكص من الأمر : أجهل .

## ۱۰۶ - کتاب أبي عبيد الله إلى المهدي

وكتب إلى المهدي وزيره أبو عبيد الله<sup>(۱)</sup> وقد عزّاه عن ديوان الرسائل سنة (۱۶۷) هـ، وولاه الربيع :

« لم يُنكر أمير المؤمنين حالي في قُرب المُؤانسة ، وخصوص الخِلطة<sup>(۲)</sup> ، من حالي عنده قبل ذلك في قيامي بواجب خدمته التي أدتني من نعمته ، ووطّدت<sup>(۳)</sup> لِقَدَمي من كرامته ، فلمْ أُبدَلُ - أعزَّ الله أمير المؤمنين - حال التبعيد ؟ وأقرب في محل الإقصاء ، وما يعلم الله مني فيما قلتُ إلا ما علمه أمير المؤمنين ، فإن رأى - أكرمه الله - أن يعارض قولي بعلمه بدءاً وعاقبةً ، فَعَلَّ إن شاء الله . »

\* \* \*

فلما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه ، فقال : ظلمنا أبا عبيد الله فليردَّ إلى حاله ، ويعلم ما تجدد له من حسن رأبي فيه . ( زهر الآداب ۱ : ۳۴۳ )

## ۱۰۷ - تحميد لأبي عبيد الله

« الحمد لله الذي شرع - لإظهار حقه ، وإفناذ سابق قضاؤه فيمن ذرأ وبراً<sup>(۴)</sup> من عباده . بإدخال مَنْ أراد أن يُدخِلَ في رحمته ، وإنجاز ما حَقَّ له من العبادة على

(۱) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار من موالى الأشعريين ، كان كاتب المهدي ونائبه قبل الخلافة ، صممه المنصور إليه ، وكان قد عزم على أن يستوزره ، لكنه آثر به ابنه المهدي ، فكان غالباً على أمور المهدي لا يعصى له قولاً ، وكان المنصور لا يزال يوصيه فيه ويأمره بامثال ما يشير به ، فلما ولي المهدي الخلافة فوض إليه تدبير المملكة ، وسلم إليه الدواوين ، وكان كاتب الدنيا وأوحد الناس حنفاً وعلماً وخبرة ، ومات سنة ۱۷۰ هـ .

وكان الربيع بن يونس يحقد عليه ، فجهد أن ينال منه ، وصمى بابنه إلى المهدي ، واتهمه بالزندقة فقتله المهدي - انظر أخباره في تاريخ الطبري ۹ : ۳۳۹ و ۱۰ : ۹ والفخرى ص ۱۶۳ .

(۲) الخِلطة بالكسر : العشرة . (۳) وطد العىء كوعد ووطده : ثبته .

(۴) ذرأ الله الملقى وبرأهم - كجعل فيهما - خلقهم .

خَلَقَهُ ، بِابْتِدَائِهِ خَلَقَهُمْ ، وَمُظَاهَرَتِهِ الْآلَاءِ<sup>(۱)</sup> عَلَيْهِمْ ، وَإِحْسَانِهِ الْبَلَاءِ عِنْدَهُمْ ، وَإِبْلَاغِهِ فِي الْحَجَجِ إِلَى عَامَّتِهِمْ - دِينًا رَضِيَهُ لِنَفْسِهِ وَمَلَائِكَتِهِ الَّذِينَ أَسْكَنَ سَمَوَاتِهِ وَرُسُلِهِ فَأَنَّمَهُ عَلَى وَجْهِهِ لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِهِ<sup>(۲)</sup> ، وَلَمْ يَقْبَلْ إِلَّا إِيَّاهُ ، ثُمَّ كَانَ مَا أَعَزَّ بِهِ نَفْسَهُ ، وَأَظْهَرَ بِهِ نُورَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْلُغَ<sup>(۳)</sup> بِهِ عِبَادَهُ ، تَحْقِيقًا لِمَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ ، وَإِنْفِذًا لِمَا جَرَتْ بِهِ مَقَادِيرُهُ ، أَنْ يَبْعَثَ لِمَا شَرَعَ مِنْ دِينِهِ ، وَاصْطَفَى لِتَسْبِيحِهِ وَتَقْدِيسِهِ مِنْ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ ، مَنْ ارْتَضَى وَاخْتَارَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ الْمُجْتَبِينَ<sup>(۴)</sup> لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ وَإِظْهَارِ حَقِّهِ ، وَاسْتِشْلَاءِ<sup>(۵)</sup> مَنْ أَرَادَ سَعَادَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ وَعَمَّتْهُمْ ، لِيُعْبَدَ مُخْلِصًا لَهُ ، مَحْمُودًا بِمَا اسْتَحَمَدَ بِهِ إِلَى خَلْقِهِ ، مَشْهُودًا لَهُ بِمَا أَشْهَدَ بِهِ مِنْ كَلِمَةِ الْحَقِّ ، فَكَانَ مِنْهُمْ التَّبْلِيغُ لِمَا أُرْسِلُوا بِهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِمَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ ، غَيْرَ مُخْتَلِفِينَ فِي مَا يُعْشَوْنَ لَهُ ، وَلَا مُتَفَرِّقِينَ فِي مَا اسْتُعْمِلُوا فِيهِ ، يَدْعُوهُمْ آخِرًا إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ أَوَّلًا ، فَيَصْدُقُ بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَهْدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ، فَضَّتْ رُسُلُ اللَّهِ وَأَنْبِيَآؤُهُ عَلَى ذَلِكَ ، سَالِكِينَ مِنْهَا إِلَى الْحَقِّ وَسَبِيلَهُ ، وَالِدَّاعِيَاءَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى طَاعَتِهِ ، هَادِينَ مَهْدِيِّينَ ، غَيْرَ مَبْخُوسِينَ شَيْئًا مِمَّا كَانُوا أَهْلَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْقُرْبَةَ مِنْهُ ، وَالْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ ، هُمْ وَمَنْ آمَنَ بِهِمْ وَعَزَّرَهُمْ<sup>(۶)</sup> وَاتَّبَعَ النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُمْ ، حَتَّى تَقُضَتْ بِهِمُ الْأَعْمَارُ ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْآثَارُ ، وَتَحْرَمَتْهُمْ<sup>(۷)</sup> الْأَجَالُ .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۷۷ )

(۱) الآلاء : النعم ، ومظاهرتها : مضاعفتها ، والبلاء : النعمة أيضا .

(۲) في الأصل : فأتمن على وجه من لم يرض إلا به ، وهو تحريف .

(۳) بلاء يبلوه : اختبره .

(۴) اجتبا : اختاره .

(۵) الاستشلاء : الاستنفاذ من المالك .

(۶) التعزير : التفضيم والتعظيم .

(۷) تحرمته النية واخترمته : أخذته واقطعته .

## ۱۰۸ - تحمید لابی عید اللہ

« الحمد لله الذي جعل الإسلام رحمةً قَدَّمَهَا لعباده قبل خَلْقِهِ إِيَّاهُمْ ، وَاسْتِجَابِهِمْ إِيَّاهَا مِنْهُ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَشَرَعَهُ لَهُمْ دِينًا يَدِينُونَ بِهِ ، ثُمَّ جَعَلَ تَجْدِيدَ وَحْيِهِ وَمُتَابِعَةَ رِسَالِهِ رَحْمَةً تَلْفَافُهُمْ بِهَا بَعْدَ تَقْدِيمِهَا ، وَمِنَّةً ظَاهِرًا عَلَيْهِمْ قَبْلَ اسْتِجَابِهِمْ لَهَا ، تَطَوُّؤًا عَلَى الْعِبَادَةِ بِالنَّعْمَاءِ ، وَإِعْذَارًا إِلَيْهِمْ بِالْحُجُجِ ، وَتَقْدِيمَةً بِالْوَعْدِ ، وَإِنْدَارًا إِلَيْهِمْ عَوَاقِبَ سُخْطِهِ فِي الْمَعَادِ .

والحمد لله الذي ابتعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهداه وشرائع حقه على فترة من الرسل ، وطُمُوسٍ مِنْ مَعَالِمِ الْحَقِّ ، وَدُرُوسٍ<sup>(۱)</sup> مِنْ سُبُلِ الْهُدَى ، عِنْدَ الْوَقْتِ الَّذِي بَلَغَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ وَمَقَادِيرِهِ أَنْ يَجْتَبِيَ لِدِينِهِ الْأَصْفِيَاءَ ، وَيَخْتَارَ لَهُ الْأَوْلِيَاءَ ، الظَّاهِرِينَ بِحَقِّهِ ، الْقَاهِرِينَ لِمَنْ ابْتَغَى سَبِيلًا غَيْرَ سَبِيلِهِ ، فَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ ، وَوَسَّعَ حَوَازَتَهُ ، وَصَدَّعَ<sup>(۲)</sup> بِأَمْرِهِ ، وَجَاهَدَ عَنْ حَقِّهِ فِي حَوَامِتِ الضَّلَالَةِ وَظُلُمَاتِ الْكُفْرِ ، بِالْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَالسُّرَّاجِ الْمُنِيرِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ مَصْدَقًا لِمَنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُلِ ، وَمَجْدَادًا لِمَا بُمَثُوا لَهُ وَهُدًى وَرَحْمَةً ، ثُمَّ جَعَلَ لِدِينِهِ وَظَائِفَ وَظَنَفَهَا عَلَى أَهْلِهَا ، وَشَرَائِعَ شَرَعَهَا لَهُمْ ، لَا يَكُلُّ دِينَهُمْ إِلَّا بِهَا ، وَجَعَلَ أَدَاءَهَا إِلَيْهِ ، وَاعْتِصَامَهُمْ بِهَا ، إِمَامًا لِدِينِهِ ، وَنِظَامًا لِنُورِهِ ، وَقَوَامًا لِحَقِّهِ ، وَاسْتِجَابًا لِمَا وَعَدَ عَلَيْهِ مِنْ ثَوَابِهِ ، وَأَمْنًا لِمَا أُوْعِدَ مَنْ خَالَفَهُ مِنْ عِقَابِهِ ، فَلَيْسَ يَسْمَعُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمْ بِهِ ، وَأَجْزَلَ لَهُمْ فَضْلَهُ وَأَجْرَهُ ، وَجَمَلَ لَهُمْ عِزَّهُ وَعُلُوَّهُ ، وَاخْتَارَ لَهُمُ الْغَلْبَةَ وَالْمَأْقِبَةَ عَلَى مَنْ فَارَقَهُمْ فِيهِ ، إِلَّا مَعْرِفَتُهَا وَأَدَاؤُهَا بِمَا يُسْتَكْمَلُ بِهِ حَدُودُهَا وَمَمَالُهَا مِنْ كَذَا وَكَذَا» .

( اختيار النظم والاشور ۱۳ : ۲۷۸ )

(۱) أى اعزاء ، (۲) أى جهر .



## ۱۰۹ - تحمید لابی عید اللہ

« أما بعدُ ، فالحمد لله ذي الآلاء والقدره ، والطَّوَل والعِزَّة ، الذي اصطفى الإسلام تينا لنفسه وملائكته وأنبيائه وَمَنْ كَرُم عليه من خلقه ، فبعث به محمداً صلى الله عليه وسلم اختصاصاً له في ذلك بكراماته ، واصطفاه له به على عباده ، فأعزّه ومنعه ، وكفاه وحاطه ، وتوكل لأهله بالعالم والتمكين ، والظهور والتأييد ، فلم يُلجِد فيه مُلجِد ، ولم يَزِغ عن قبول حقه زائغ ، بعد إعدار الله إليه ، وإعادة الحجّة لله عليه ، إلا أنزل به من الذل والصغار ، والاجتياح والاستئصال ، مما يجعل له فيه قَمَعاً<sup>(۱)</sup> ، حَمْدًا كثيراً دائماً مرضياً له ، مؤمناً من غيره<sup>(۲)</sup> ، مُوجِباً لأفضل مزيد ثوابه . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۸۴ )

## ۱۱۰ - تحمید لابی عید اللہ

« والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بما أصارَ إليه من الخلافة ، وإرث النبوة وجعله القائم بأمر عباده وبلاده ، والمُحِبِّ لِسُنَّته ، والذابِّ عن دينه وحقه ، والمُنَاصِبِ لأهل الشُّركِ والجُهودِ به ، ثم نصره وأظهرَ فضلَ أيامه ودولته ، ومكَّن له في بلاد هدوّه ، وجعل كلمته العُليا ، وأنصاره الغالبين ، ومَنْ نَاوَأهُ<sup>(۳)</sup> من أهل الخلافِ الأذنين المقهورين ، وعرفه من نعمته في ذلك ومنته وجميل صنعه وعاداته ، أحسن ما عوداً أحداً من أوليائه الذابين عن الإسلام وأهله ، حَمْدًا متتابعاً لا انقطاع له ولا انصرام دون بلوغ حقه ، وقد كان كذا وكذا . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۸۹ )

(۱) الصغار : الذل . واجتياحه : أهلكه واستأصله : وقعه كمنعه : فهره وذلك .

(۲) أي من قمنه . وغير الدهر : أحداثه المنيرة . (۳) ناوَأه : عاداه .

( ۱۰ - جبهة رسائل العرب - ناك )

## ۱۱۱ - تحمید لابی عبید اللہ فی آخر کتاب

« فالحمد لله على ما يحدث لأمر المؤمنين في دولته وسلطانه ، وإمامة المسلمين من صنعه وكراماته ، في جسيم الأمور ولطيفها ، وخاصها وعامها ، بما يجعله للنعمة تماما ، وعلى ما يحل بعدوه من بأسه وقوارعه<sup>(۱)</sup> ، ويوقع بهم من جوائحه واستنصاله ، ما يكون لموعدده إنجازا ، حمدا يبلغ رضاه ، ويستوجب به مزيدة » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۹۵ )

## ۱۱۲ - كتاب إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمى إلى المهدي

« وكتب إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمى إلى المهدي بعزبه على ابنته<sup>(۲)</sup> :  
« أما بعد : فإن أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه ، من عظم حق الله عليه فيما أبقى له . واعلم يا أمير المؤمنين أن الماضي قبلك هو الباقي لك ، وأن الباقي بعدك هو المأجور فيك ، وأن أجر الصابرين فيما يصابون به ، أعظم من النعمة عليهم فيما يعاقون منه » .

( البيان والتبيين ۲ : ۳۶ والعقد الفريد ۲ : ۳۵ واختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۲۶ )

## ۱۱۳ - جواب تعزية لشبيب بن شيبه<sup>(۳)</sup>

« قد نالتني عظمة بما عزيت به<sup>(۴)</sup> ، فجزاك الله أفضل الجزاء ، فثلك أهدى النصيح ، وتوكل بالتذكر ، وقضى واجب الحق عليه في الإرشاد » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۲۳ )

(۱) القارعة : الداهية الفاجئة .

(۲) هي ابنته البانوقة ، وقد أظهر عليها المهدي جزعا لم يسم بمثله ( جلس للناس يعزونه » وأمر ألا يعجب منه أحد ، فأكثر الناس في التعازي ، واجتمعوا في البلاغة - تاريخ الطبري ۱۰ : ۲۱ .

(۳) هو شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عمرو بن الأهم القرقي التيمي ، خطيب عباسي بليغ »

تولى سنة ۱۷۰ هـ .

(۴) في الأصل « قد نالتني عظمة بما عزيت به أو تمزيتك » والعبارة غير مستقيمة .

## ۱۱۴ - کتاب فی البيعة لمحمد بن حجر<sup>(۱)</sup>

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين بمنّ الله ونعمته عليه وحسن بدنه وبِلائِهِ<sup>(۲)</sup> عنده ، لم يزل مُدَحِّمَهُ رعاية هذه الأمة ، وقلده حريمهم<sup>(۳)</sup> ، بفعل كذا .

وقد كان من حادثِ نعمة الله على هذه الأمة في حينه هذا وزمانه ، أن أخرج لهم من ذرية أمير المؤمنين ذريةً مباركةً طيبةً ، حذّاهم على مثاله ، وحلّاهم بحليته ، وجعل فيهم وليّ عهد ، فلمّ بهم أمورهم ، وسدّ بهم ثغورهم ، ثم أحدثُ نعمه عليهم ما ألفت بين قلوبهم ، وأفشى ذكره في خاصّتهم وعامّتهم ، وتسمتُ نحوه أبصارهم ، من البيعة لهُرون ابن أمير المؤمنين ، وما أمّلوا في ذلك ورجّوا . من ألقمهم في دينهم ، والبلوغ لأفضلِ أممهم ، ولم يكن الله ليختارَ للقيام بأمر هذه الأمة ، والذبّ عن دينها إلا من بيتِ نبيه صلى الله عليه وسلم وخيرته وصفوته مُضْطَلِعاً<sup>(۴)</sup> في رأيه ، كاملاً في فضله ، سائياً قريباً على طاعته ، ولو أن الرعية عدّاتُ بأبصارها عنه ، أو قصّدتُ بأهوائها دونه لمحقها الله ، [ إذ أفاض عليها ببرّ كنهه ويمنه ، من الخير والصلاح<sup>(۵)</sup> ] ما أصبحتُ تتقلبُ فيه من نعمته ، وتسرّبُ به من كرامته ، كما قد عرفتهم وأراهم من حسن ثوابه على صدق نياتهم فيه ، وعظيم رجائهم له ، وقد أتقنا بيعة هرون على حين ظمأ إليها ، وتطلع نحوه ، فتبادرتُها أكفنا ، وأسرعَ إليها شاهِدُنَا وغائبُنَا ، وبابِعُنَا بيعة رضوانٍ من الله ، بصحّة من نيّاتنا ، وسلامة من صدورنا ، مستبشرين ببيعتنا ، راغبين فيما صنفت<sup>(۶)</sup> عليه أيماننا ، عارفين بأنها مفتحُ نعمة ، ومقدّمة فضيلة ، ودرجة

(۱) هو محمد بن حجر بن سليمان ، كاتب العباس بن محمد أخى المنصور ، وهو كاتب بليغ متسل - انظر الفهرست ص ۱۷۲ ، ص ۱۸۱ - .

(۲) أي نعمته . (۳) الحريم : ما تحببه وتقاتل عنه . (۴) أي قويا .

(۵) في الأصل « لمحقها الله صلح ما أصبحت تتقلب . . . » والعبارة كما ترى مضطربة ، وقد زدت ما بين القوسين ليقيم المعنى .

(۶) صنق يده بالبيعة والبيم كضرب وعلى يده : ضرب يده على يده ، وذلك عند وجوب البيع .

في الخير رفيعة ، مقدّمين للمسرور بها فُصِحَ الجيوب<sup>(۱)</sup> ، باذلين لا جاء فيها ثمار القلوب ،  
فَسأل الله أن يفعل الذي . . . . .<sup>(۲)</sup> .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۴۰ )

## ۱۱۵ - رسالة ابن سيابة إلى يحيى بن خالد البرمكي

وكتب ابن سيابة<sup>(۳)</sup> إلى يحيى<sup>(۴)</sup> بن خالد بن برمك :

« لِلأَصِيدِ<sup>(۵)</sup> الْجَوَادِ ، الْوَارِي الزَّنَادِ ، الْمَاجِدِ الْأَجْدَادِ ، الْوَزِيرِ الْفَاضِلِ ،

الْأَشْمِ<sup>(۶)</sup> الْبَاذِلِ ، الْأَبَابِ الْخَلَّاحِلِ<sup>(۷)</sup> ، مِنْ الْمَسْكِينِ الْمَسْتَجِيرِ ، الْبَائِسِ الضَّرِيرِ ،

( ۱ ) جيب القميص : طوقه ، وهو ناصح الجيب أي القلب والصدر . ( ۲ ) كذا في الأصل .

( ۳ ) هو إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم ، وهو من مقاربي شعراء وقته ، وليست له نباهة ولا شعر شريف ، وإنما كان يتيل بمودته ومدحه إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ففنيا في شعره ورفعا منه - انظر ترجمته في الأغاني ۱۱ : ۵ .

( ۴ ) هو يحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد ، كان جده برمك من مجوس بلخ ، وكان يخدم « النوبهار » وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران ، وكان برمك عظيم المقدر عندهم ، فلما فتح المسلمون بلخ أسلم ابنه خالد فيمن أسلم من أهلها ، وساد وتقدم في الدولة العباسية ، واستوزره السفاح بعد وزيره أبي سلمة الخلال ، ولما تولى المنصور الخلافة أقره على وزارته فبقي سنة وشهورا ، وولد له ابنه يحيى ، وكان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكل حال ، فضم إليه المهدي ولده الرشيد وجعله في حجره ، ثم صار يحيى كاتب الرشيد ونائبه ووزيره قبل أن يتولى الخلافة ، وكان الهادي أراد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويختم أخاه الرشيد ، وسعى إلى الهادي يحيى بن خالد ، وقيل له : إنه ليس عليك من الرشيد خلاف ، وإنما يفسده يحيى ، فأغضب ذلك الهادي على يحيى وأمر بحبسه ، فلما كانت الليلة التي تولى فيها الهادي ( من سنة ۱۷۰ هـ ) قدم الرشيد للخلافة فدعا يحيى من حبسه - وكان الهادي قد عزم على قتله وقتل الرشيد في تلك الليلة - وقال له : يا أبت أنت أجلسني في هذا المجلس ببركتك وبتك وحسن تدبيرك وقد قدتلك الأمر ، ودفعت له خاتمه ، فنولى الوزارة ونهض بأعباء الدولة أتم نهوض ، وكان كاتباً بليفاً لبيا سديد الآراء حسن التدبير ، ثم أقاله واستوزر ابنه الفضل ، ثم أقال الفضل واستوزر أخاه جعفراً ، إلى أن نكب الرامكة فغضب عليه وحبسه ( سنة ۱۸۷ ) وخلده في الحبس حتى مات فيه ( سنة ۱۹۰ ) - انظر وفيات الأعيان ۳ : ۲۴۳ وتاريخ الطبري ۱۰ : ص ۳۴ ، ص ۴۸ : والفخرى ص ۱۳۹ ، ۱۷۹ ومروج الذهب ۲ : ۲۶۳ .

( ۵ ) الأصيد : الذي يرفع رأسه كبرا ، ومنه قيل للملك أصيد لأنه لا يلتفت من زهو ويمينا ولا شمالا ، والزناد جمع زناد بالفتح : وهو العود الذي يقدر به النار ، ووري الزند كوعى وولى : خرجت ناره ، وفلان وارى الزاد : كناية عن مضاء العزيمة . ( ۶ ) الأشم : السيد ذو الأنفة .

( ۷ ) لباب كل شيء : خياره ، والخلال : السيد الشجاع ، أو الضخم الكثير اللروة ، أو الرزين في ثخانة ، والمستكين : الخاضع .

فإني أحمد الله ذا العزة القدير ، إليك وإلى الصغير والكبير ، بالرحمة العائمة ،  
والبركة التامة .

أما بعد ، فاغتم واسلم ، واعلم - إن كنت تعلم - أنه من يرحم يرحم ، ومن  
يحرّم يحرم ، ومن يحسن يغم ، ومن يصنع المعروف لا يعدم<sup>(۱)</sup> ، وقد سبق إلى  
تفضيك على ، واطراحك لي ، وغفلتك عني ، بما لا أقوم له ولا أقعد ، ولا أنتبه  
ولا أرقد ، فلت بجمي صحيح ، ولا بجميت مستريح ، فررت بعد الله منك إليك ،  
وتحمّلت بك عليك ، ولذلك قلت :

أسرعت بي حثاً إليك خطائي فأنخت بمذهب ذي رجاء<sup>(۲)</sup>  
راغب راغب إليك يرجي منك عفواً عنه وفضل عطاء  
ولعمري ما من أصر ومن تا ب مقراً من ذنبه بسواه  
فإن رأيت - أراك الله ما تحب ، وأبقاك في خير - أن لا ترهد فيما ترى من تضرعي  
وتخشعي ، وتذلي وتضعفي ، فإن ذلك ليس مني بنجيزة<sup>(۳)</sup> ولا طبيعة ، ولا على وجه  
تصنع ولا تمدح ، ولكنه تذلل ، وتخضع ، وتضرع ، من غير ضارع<sup>(۴)</sup> ولا مهين  
ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك ، إلا لمن التضرع له عزاً ورفعة وشرف .

( البيان والتبيين ۳ : ۱۱۰ )

## ۱۱۶ - بين ابن سيابة وصديق له

وكتب إبراهيم بن سيابة إلى صديق له يساويه في الأدب ، ويرتفع عليه في الحال ،  
وكان كثير المال ، كثير الصامت ، يستسلف منه بعض ما يرتفق به إلى أن يأتيه  
بعض ما يؤمل ، فكتب إليه صديقه هذا بعذر ويقول : « إن المال مكذوب له وعليه ،

(۱) أخذه من قول الخطيئة :

من يفعل الحيرم يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

(۲) الخطوة بالفتح : المرة الواحدة من الخطو ، والجمع خطوات بالتحريك وخطاه بالكسر .

(۳) النجيزة : الطبيعة . (۴) الضارع : الذليل ، والمهين : الحقير .

والناس يُضيفون إلى الناس في هذا الباب ما ليس عندهم ، وأنا اليوم مُضيق<sup>(۱)</sup> ،  
ولست الحال كما نحب ، وأحقُّ من عذر الصديق العاقلُ » فلما ورد كتابه على  
ابن سيابة كتب إليه : إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنتَ ملوماً فجعلك  
الله معذوراً .

( البغلاء ص ۱۷۹ ، والأغانى ۱۱ : ۶ )

## ۱۱۷ - كتاب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى يحيى بن خالد

وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى يحيى بن خالد يستعفيه من عمل :  
« شُكْرِى لكَ عَلَى مَا أَسْأَلُكَ الْخُرُوجَ مِنْهُ ، شُكْرُ مَنْ نَالَ الدُّخُولَ فِيهِ ، فَأَمَّا  
عُذْرِي فِي تَطْوِيلِ الْكِتَابِ إِلَيْكَ فَلَمْ يَذْهَبْ ، عَلَى أَنْ وَجَّهَ الْحَوَائِجَ قَدْ يَكْثُرُ الْكَلَامُ  
فِيهَا ، وَتَشْتَدُّ قِرَاءَتُهَا ، وَإِنْ مِنْ الْحَقِّ عَلَى الرَّاغِبِ الْاِكْتِفَاءُ بِبَعْضِ مَا بَلَغَ ، وَإِنْ نَفْسِي  
جَاسَتْ بِعَظِيمِ حَاجَتِهَا . »

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۱ ، وكتاب الصناعتين ص ۳۲۷ )

## ۱۱۸ - كتاب آخر

وكتب جعفر إليه أيضاً :

« إِنَّمَا حَمَلْتُ فَلَانَا حَاجَتِي ، لِأَنَّهُ ضَعْفَ عَنْ تَحْمِلِ أَيَادِيكَ شُكْرِي ، فَجَعَلْتَهُ  
شَاهِدًا عَلَى فَضْلِكَ عِنْدِي ، وَقِيًّا بِشُكْرِي لَكَ وَحْدِي . »

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۴ )

## ۱۱۹ - كتاب آخر

وكتب جعفر إلى رجل لم يكاتبه :

« لَسْتُ بِمَا صَرَفْتَ إِلَيَّ مِنْ مَعْرُوفِكَ ، بِأَسْرٍ مَنِي بِمَا أَهْدَيْتَ إِلَيَّ مِنْ قِضَاءِ الْحَقِّ

(۱) أُنَاقُ الرَّجُلِ فَهُوَ مُضِيقٌ : إِذَا ضَاقَ عَلَيْهِ مَعَاشُهُ .

عذك ، وقلة ذوى الحُرمة بك لأنك قد تصل من لا يثق ولا يأمن إلا بمن يعتمد عليه «  
( المظلوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۷ )

## ۱۲۰ - كتاب يوسف بن القاسم إلى يحيى بن خالد

وزوج يوسف بن القاسم ابنة أحمدَ بابقر الحسن بن سليمان - ويعرف بالشَّيْمي -  
وكان من كتاب البرامكة ، فكتب إلى يحيى بن خالد :

« عَرَضْتُ حَاجَةَ فِكْرِهِتُ أَنْ أَعْدِلَ بِهَا عَنِ الْوَزِيرِ ، فَأُبْخِئَهُ (۱) - مع معرفتي  
بمحبته لِرَبِّ (۲) نِعْمَتِهِ ، وَالزِّيَادَةِ فِي صَنِيعَتِهِ - حَظًّا ، وَلِزِمَنِي حَقًّا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ وَلَا  
أَخِيرُهُ ، وَهُوَ نَقْدُ مَهْرِي عَنْ « أَحْمَدَ » إِلَى ابْنَةِ الْحَسَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ  
أَنْ يَوْقَعَ مَعِ مَا اسْتَحَقَّقْتُهُ مِنْ أَرْزَاقِي بِشَهْرَيْنِ ، سَلَفًا لَشَهْرَيْنِ ، فَعَلَّ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ  
أَبْلُغَ بِذَلِكَ لَعْبَدِهِ « أَحْمَدَ » مَحَبَّتَهُ ، وَأُنَالُ بِبُغْيَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

## ۱۲۱ - رد يحيى عليه

فوق يحيى إليه :

« هَذِهِ فَضِيلَةٌ فِي أَوْلِيَانَا ، وَحَقُوقٌ فِي ضِيَافَتِنَا ، فَنَحْنُ بِالْقِيَامِ مِنْهَا دُونَكَ حَرِيْبُونَ ،  
وَبِحَظِّ نَقْلِهَا عَنِ مَالِكِ جَدِيْرُونَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لِأَحْمَدَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْمَالِ ، بِمَسْأَلَتِكَ فِيهِ ،  
وَزِيَادَةَ الضَّمْفِ ، اسْتَظْهَارًا مَعِيَ لَهُ وَمَوْكِدًا ، وَأَمَرْتُ بِاسْتِحْقَاقِكَ لَشَهْرَيْنِ مِنْ مَالِ  
السُّلْطَانِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - وَمِثْلَهُ حِلَّةً مِنْ مَالِي ، وَأَنْفَذْتُ إِلَيْكَ بِذَلِكَ كُلَّهُ رِقَاعًا بِحَظِّ إِلَى  
مَنْ تَقْبِضُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَأَمَّا السَّلْفُ مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، وَلَا أَعْرِفُ « جَمْفَرًا »  
بِتَارِكِ « أَحْمَدَ » إِلَيْكَ وَلَا إِلَيْنَا ، كَمَا لَمْ يَتْرِكِ « الْفَضْلُ » « قَاسِمًا » (۳) ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ : »

(۱) أى ألقمه . (۲) رب النعمة : تميمها وزيادتها وإتمامها وإصلاحها .

(۳) يعنى القاسم بن يوسف أخا أحمد بن يوسف ، وقد أمر له الفضل بن يحيى لما بلغه خبر أبيه يوسف  
وأخيه أحمد ، بثلاثين ألف درهم ، ولقيه معاوية بن صالح فقال له : فاعزمت أن تعمل فيها ؟ قال : أرفد  
بها أخى أحمد فى عرسه ، قال معاوية : وإن أخذها كلها ؟ قال : وإن أخذها كلها فلا بأس .

وفي أسفل الرقعة من شعر يحيى :

عِنْدِي لِمَنَّكَ إِحْسَانٌ وَنَسْكَرِمَةٌ فَتَقِ بِذَلِكَ مِنِّي وَابْسُطِ الْأَمَلَا  
اعْمَلْ عَلَى ثِقَةٍ، إِنِّي أَنَا رَجُلٌ لَا أَمْنَعُ الْمَرْءَ مَوْجُودًا إِذَا سَأَلَ  
وَإِن عِنْدِي لَكَ الْحَسَنَى وَنَافِلَةٌ<sup>(۱)</sup> بِنُضْحِ غَيْبِكَ إِذْ لَمْ تَبْعِرْ بِي بَدَلًا

### ۱۲۲ - رد يوسف بن القاسم عليه

فكتب إليه يوسف بن القاسم :

فَهَيْتُ مَا قَلَّتْ فِي بَرِّي وَمَنْزَلِي وَنُضِحَ غَيْبِي وَبَسَطِي نَحْوَكِ الْأَمَلَا  
وَلَمْ أَزَلْ مِنْكَ مِنْ أَمْرِي عَلَى ثِقَةٍ لَا أَبْتغِي بِكَ مِنْ قَدْ تَرَى بَدَلًا  
بَصِيقِ وَعْدِكَ إِذْ أَسْلَفْتَ عَارِفَةً<sup>(۲)</sup> وَحَسَنِ عَفْوِكَ عَمَّنْ زَاغَ أَوْ جَهَلَا  
فِي وَبَابِنِي وَنَمِّ<sup>(۳)</sup> فِي مَحَبَّتِكُمْ كَمَا تَعَرَّفْتَ مِنْ نِيرَانِهَا الْإِبِلَا  
فَقَدْ بَسَطْتُمْ لَنَا جَاهًا بِجَاهِكُمْ وَقَدْ كَفَيْتُمْ بِيذَلِ الْعُرْفِ مَنْ بَخِلَا  
لَوْلَاكُمْ كَانَ جُودُ النَّاسِ مَشْتَبِهًا لَكِنْ بَرَعْتُمْ فَأَضْحَى جُودَكُمْ مَثَلَا  
( كتاب الأوراق للصولي ۱ : ۱۵۶ )

### ۱۲۳ - كتاب يوسف بن القاسم إلى محمد بن زياد الحارثي

وكتب يوسف بن القاسم إلى محمد بن زياد الحارثي :

«إِحْفَظْكَ اللَّهُ وَحَاطَكَ، رَأَيْتُكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - فِي خَرْجَتِكَ هَذِهِ رَغِبْتَ عَنْ  
مَوَاصِلَتِنَا بِكُتُبِكَ، وَإِبْلَاغِنَا خَبْرَكَ، وَقَطَعْتَنَا قَطْعَ ذِي السَّلْوَةِ، أَوْ أَخِي الْمَلَّةَ<sup>(۴)</sup>،  
حَتَّى كَأَنَّكَ كُنْتَ إِلَى مَفَارِقَتِنَا مَشْتَاقًا، وَإِلَى الْبُعْدِ مِنَّا تَوَاقًا، فَوَقَعَ بَعْدُكَ بِحَيْثُ

(۱) النافلة : العطية . (۲) العارفة : العروف .

(۳) الوسم : العلامة - أثر الكي - وقوله « كما تعرفت . . . » أي كما تميز الإبل بسماتها وهي الآثار

التي تحدث بكيتها بالآثار ، وفي الأصل « كما تفرقت » وهو تحريف .

(۴) الملة ومنه بالكسر مللا وملة وملاة ولالا : ستمته .



تعباً من جهتين : إحداهما حلاوة الولاية ، والأخرى لذة الراحة منا ، فإن يكن ذلك كما رجَّيناه ، فاطعنك مُجملين ، أو لَيْسْنَاكَ<sup>(۱)</sup> على يقين ، وإن لم يكن إِدْلاًلاً بهدية أعدتها لنا من ناحية عمالك ، فليس قدر الهدايا وإن كثرت ، ولا الفوائد وإن جلت ، احتمال لوم الإخوان إذا كانت الهدايا تُراد لهم ، والفوائد إنما تنال بهم ، والمباهاة بأعراض الدنيا تُراد لِخُلُطَتِهِمْ<sup>(۲)</sup> ، وما أدري ما أقول في اختيارك ترك الكتب المحدثمة عن العتب بالأسرار المفهومة ، حتى كأنها محادثة الحضور ، على تنأى الدور ، والقلوبُ بها مشاهدة ، وإن كانت الأبدان متباعدة ، ولئن كذب فيك الرجاء ، لَقَدِيمًا عَزَّ الوفاء ، وقد أصبتك من مرارة العتاب بما لا تُقيم بعده على قطيعة ولا جفاء ، ولا تتوهَّمَنَّ أنى أدت إعناتك<sup>(۳)</sup> بإعتابي ، ولا أزرِي<sup>(۴)</sup> عليك بكتابي ، فإن وصلت فشكور ، وإن قطعت فمذور ، والسلام .

( كتاب الأوراق للصولي ۱ : ۱۵۲ )

## ۱۲۴ - بين يوسف بن القاسم ومحمد بن زياد

واقضى محمد بن زياد الحارثي يوسف بن القاسم حوائج له ، سأله عرَّضَهُ لها على الرشيد ، فقال له : إني أنتظرُ بها وقتاً أرجو لك فيه رجوعها بِمَسَرَّتِكَ دون مساءتك ، ثم كتب محمد بن زياد إليه في ذلك ، وكان صديقاً له مُدِّلاً عليه ، فكان في كتابه :

« ولولا أنك وَصَمْتَ حاجتي بالتأخير ، تجرَّت بحجري غيرها ، إِمَّا بنجاح ، وإِمَّا بسراج . »

\*\*\*

(۱) يقال : لبت قوماً : أي تليت بهم دهرًا . (۲) الخلطة بالكسر : العشرة .  
 (۳) أعنته : أدخل المشقة عليه ، وأعتبه : طلب إليه العتبى ( بالضم ) أي الرضا .  
 (۴) زرى عليه كرمى : عابه وعابته كأزرى لكنه قليل ، وفي الأصل « ولا أرزأ » وهو تحريف .

فوقع يوسف بن القاسم في كتابه :  
« صدقتَ وتعديتَ ، فأما صدقكُ ففي تأخيري ، وأما تعديكُ ففي عذلي عليه ،  
وإنما طلبتُ وقتاً أصادفُ منه فيه طيبَ نفسٍ ، وطلاقةَ وجهٍ ، فيمكنني القول  
- قبلَ عرضِ الحاجة - في تقربك ، بما لعله أن يُميلَ إليك قلبه ، وظنفتَ أني أخزيتها  
تواينياً فتعديتَ » .

وكتب بعدها :

إني إذا ما صاحبي تعدى في اللوم والعذل على حاداً  
لم أوله بالعذل عذلاً قصداً ولم أبق في احتمال جهداً  
فإن أبي إلا التعدى عمداً أوسعته بالحلم مني صداً  
حتى يرى وجه اختياري سداً ويرجع الدم إلى أحداً

ثم قضى حوائجه ، وكتب إليه :

« قد حقق الله رجاءنا فيما أملنا ، وأبجح طلبنا فيما ابتغيينا ، وخرج التوقيع بما

أحببنا ، والحمد لله على ذلك » .

وفي أسفل الرقعة :

الرفق يُمنُّ وبعضُ الناسِ يحسبه عجزاً ، وما العجزُ إلا الخرقُ والعجلُ  
وَالْخُرْقُ بُورْثُ رَبِّثًا<sup>(١)</sup> لَانْجَاحَ لَهُ وَالرَّفْقُ يَحْيَا بِهِ الْأَمَلِ الْأَمَلُ

( كتاب الأوراق للصولي ١ : ١٥٩ )

## ١٢٥ - كتاب ليوسف بن القاسم عن الفضل بن يحيى

وكتب يوسف بن القاسم عن الفضل بن يحيى في حاجة لرجل :

« فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن تحريكك لك بأمره ، لأن الصنيفة حرمة

(١) الريث : البطء .

المصطنع ، ووسيلته إلى مصطنعه ، سبباً عند من يُحسِن الصنعة ويستتمها مستنبتاً  
الشكر عليها ، والثناء الجميل بها ، بسطَ اللهُ بالخير يدك ، وَوَصَلَ به أسبابك ، وأعانك  
عليه ، وجعلك من أهله . ( كتاب الأوراق للصولي ١ : ١٥٨ )

## ١٢٦ - كتاب يحيى بن خالد إلى ابنه الفضل

وقال الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي : يا أبتِ<sup>(١)</sup> إني أردت أن أجعل الخاتم<sup>(٢)</sup>  
الذي في يد الفضل إلى جعفر ، وقد احتشمتُ من مكاتبتِهِ في ذلك ، فاكفنيهِ ، فكتب  
إليه يحيى :

« قد أمر أمير المؤمنين أعلى اللهُ أمرَهُ - أن يحوّل الخاتم من يمينك  
إلى شمالك . »

## ١٢٧ - رد الفضل عليه

فكتب إليه الفضل<sup>(٣)</sup> :

« قد سمعتُ مقالة أمير المؤمنين في أخي ، وقد أظمتُ أمرَهُ ، وما انقلبتُ عنى نعمةٌ  
صارت إليه ، ولا عزبتُ<sup>(٤)</sup> عنى رتبةٌ طلعت عليه . »  
فقال جعفر<sup>(٥)</sup> :

(١) كان الرشيد بعظم يحيى بن خالد ، وكان يدعوهُ : يا أبتِ ، لتربيته إياه ويده عليه ، كما قدمنا ،  
ولأن ابنه الفضل كان أخاه من الرضاع ، ولذا كان الرشيد يدعوهُ : يا أخي ، وذلك أن الرشيد ولد أول  
المهرم سنة ١٤٩ هـ ، وولد الفضل بن يحيى قبله بسبعة أيام ، فحلت أم الفضل طئراً للرشيد ، فأرضعت  
الرشيد بلبان الفضل ، وأرضعت الحيزران أم الرشيد الفضل بلبان الرشيد - انظر تاريخ الطبري ١٠ : ٤٨  
ووفيات الأعيان ١ : ٤٠٨ .

(٢) يكنى بذلك من الوزارة ، وكان جعفر أبلغ في الرسائل والكتابة من الفضل .

(٣) وزير للرشيد كما قدمنا ، وتوفي في سجنه سنة ١٩٣ هـ - ( في السنة التي مات فيها الرشيد )  
انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٤٠٨ والفخرى ص ١٨٣ .

(٤) عزب كدخل وجلس : بعد وغاب ، وفي رواية « ولا غربت » وغرب كنصر : بعد أيضاً .

(٥) قتله الرشيد سنة ١٨٧ هـ كما بيأتى - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ١٠٥ والفخرى ص ١٨٦ .

« فِئَةِ أَخِي مَا أَنْفَسَ نَفْسَهُ ! وَأَبْيَنَ دَلَائِلَ الْفَضْلِ عَلَيْهِ ، وَأَقْوَى مُنَّةً <sup>(۱)</sup> الْعَقْلِ فِيهِ ، وَأَوْسَعَ فِي الْبَلَاغَةِ ذَرْعَهُ <sup>(۲)</sup> ، وَأَرْحَبَ بِهَا جَنَابَهُ ! يُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ ، وَيَحْمِلُ بِكَرَمِهِ فَوْقَ طَاقَتِهِ . »

( زهر الآداب ۱ : ۳۳۳ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۴۰۹ ، والفخرى ص ۱۸۶ )

## ۱۲۸ - كتاب يحيى بن خالد إلى ابنه الفضل

ثم إن الرشيد قلّد الفضل بن يحيى خراسان ، فتوجّه إليها وأقام بها مُدَّةً وورد على الرشيد يوماً كتابُ صاحب البريد بخراسان - ويحيى بن خالد بين يديه - يذكر فيه أن الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية ، فلما قرأه الرشيد رمى به إلى يحيى وقال له : يا أبت اقرأ هذا الكتاب ، واكتب إليه بما يردّعه عن مثل هذا ، فمدّ يدهُ إلى دواة الرشيد ، وكتب إلى الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد :

« حَفِظَكَ اللهُ يَا بُنَيَّ ، وَأَمْتَعَكَ بِكَ ، قَدْ أَنْتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ ، مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوِمَةِ اللَّذَاتِ ، عَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرِّعِيَةِ مَا أَنْكَرَهُ ، فَعَاوِذْ مَا هُوَ أَزِينُ بِكَ ، فَإِنَّهُ مِنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ » :

وكتب في أسفله هذه الأبيات :

انصَبْ نَهَاراً فِي طِلَابِ الْعُلَا      واصْبِرْ عَلَى قَدْرِ لِقَاءِ الْحَبِيبِ  
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ أَتَى مُقْبِلاً      واستقرتْ فِيهِ وَجُوهُ الْغُيُوبِ  
فَكَابِدِ اللَّيْلَ بِمَا تَشْتَهِي      فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ <sup>(۳)</sup>  
كَمْ مِنْ فِتْنَى تَحْسِبُهُ نَامِكَا      يستقبلُ اللَّيْلَ بِأَمْرِ عَجِيبِ

(۱) المنّة : القوة . (۲) أصل الذرع : بسط اليدين . (۳) الأريب : العاقل .

أرْحَى عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَسْتَارَهُ فَبَاتَ فِي لَهْوٍ وَعَيْشٍ خَصِيبٍ  
وَلَذَّةٍ الْأَحْمَقِ مَكْشُوفَةٌ يَمْتَعِي بِهَا كُلُّ عَدُوٍّ رَقِيبٍ  
والرشيد ينظر إلى ما يكتب ، فلما فرغ قال : أبلغت يا أبتِ ، فلما ورد الكتاب  
على الفضل لم يفارق المسجد نهائياً إلى أن انصرف من عمله .

( وفيات الأعيان ۱ : ۴۰۹ ، ومروج الذهب ۲ : ۲۸۲ )

## ۱۲۹ - كتاب أبي العباس بن جرير إلى الفضل بن يحيى

وكتب أبو العباس بن جرير إلى الفضل بن يحيى :  
« لا أعلم منزلةً تُوحِشُنِي مِنَ الْأَمِيرِ وَلَا تُوحِشُهُ مِنِّي ، لِأَنِّي فِي الْمُوَدَّةِ لَهُ كَنَفْسِي ،  
وَفِي الطَّاعَةِ كَيْدِهِ ، وَإِنَّمَا الْطِيفَةُ<sup>(۱)</sup> مِنْ فَضْلِهِ ، وَقَدْ بَعَثْتُ بَعْضَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِ »  
وَذَكَرَ مَا بَعَثَ .  
( زهر الآداب ۳ : ۳۴۳ )

\*\*\*

قال صاحب زهر الآداب :

وكتب غيره في هذا المعنى :

« إِذَا كَانَ الْإِطْفُ دَائِلَ مَحَبَّةٍ ، وَمِيَسَمِ<sup>(۲)</sup> قُرْبَةٍ ، كَتَفَى قَائِلُهُ عَنْ كَثِيرِهِ ، وَبَابُ  
يَسِيرُهُ عَنْ خَطِيرِهِ ، لِأَسْمَاءِ إِذَا كَانَ الْقَصُودُ ذَاهِمَةً ، لَا يَسْتَعْظِمُ نَفْسًا ، وَلَا يَسْتَصْفِرُ  
خَسِيئًا ، وَقَدْ حُزَّتْ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ أَجَلٌ فَضَائِلُهَا ، وَأَرْفَعَ مَنَازِلُهَا . »

( زهر الآداب ۳ : ۳۴۴ )

(۱) أطفه بكذا : أتمفه وبره به ، واللفظ بالضم وبالتعريك : البر والتكرمة ، ويقال : جاءتنا  
لطفة من فلان بالتعريك أي هدية .

(۲) أي علامة - والميسم كما يكون اسماً للآلة التي يوسم بها يكون اسماً لأثر الوسم أيضاً  
قال الشاعر :

ولو غير أخوال أرادوا قيصي جعلت لهم فوق العرائن ميسما  
أي أثر وسم .

### ۱۳۰ - کتاب للفضل بن یحیی

وكتب الفضل بن یحیی إلى رجل یساوره فی أمر حدّث :  
« ليس كل امرئ - وإن كان ذا عزّة فی رأیه ، وأصاله فی عقله - يستغنی  
عن مكاشفة أهل الرأی ، لتوزیع الله عز وجل أقسام الفضل فی خلقه ، وإشراكه إياهم  
فی عطایاه فرأيتك فی كذا » .  
( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۷ )

### ۱۳۱ - کتاب عمر بن مهران إلى الرشید

وولّى الرشیدُ جعفر بن یحیی مصرَ سنة ۱۷۶ هـ ، فولّاهَا عمرَ بن مهران ، وكان  
بها قوم قد اعتادوا المَطْلَ وكسّر الخراج ، فبدأ برجل منهم ، فلوّاه (۱) ، فقال : والله  
لا تؤدی ما عليك من الخراج إلا فی بیت المال بمدينة السلام إن سلمت ، قال :  
فأنا أوْدی ، فقال : قد حلفتُ ولا أحنثُ ، فأشخصه مع رجائین من الجند ، وكتب  
إلى الرشید :

« إني دعوتُ بفلان بن فلان ، وطالبته بما عليه من الخراج فلوانی واستنظرنی (۲)  
فأنظرته ، ثم دعوته فدافع ومال إلى الإلطاق (۳) ، فأليتُ إلاّ بؤدّیه إلا فی بیت المال  
بمدينة السلام ، وجملة ما عليه كذا وكذا ، وقد أفذنته مع فلان بن فلان وفلان بن  
فلان من قيادة فلان بن فلان ، فإن رأی أمير المؤمنين أن يكتب إلىّ بوصوله فعل  
إن شاء الله » .

فلم يَلوّه أحد بشئ من الخراج . ( تاريخ الطبری ۱۰ : ۶۱ )

(۱) لوّاه بدینه : مطله .

(۲) استنظره : طلب منه النظره ( بفتح فكسر ) وهي التأخير ، وأنظره : أخره .

(۳) لطاقه وألط : جده .

## ۱۳۲ - کتاب ابی الریح محمد بن الیث إلى جعفر بن یحیی

« وكتب جعفر بن یحیی إلى محمد<sup>(۱)</sup> بن الیث يستوصفه الخطَّ ، فكتب إليه :  
 « أما بعدُ ، فلیکن قلبك بحریا ، لا متینا ولا رقیقا ما بین الرقّة والغلظ ، ضیق  
 النَّب<sup>(۲)</sup> ، فابزّه برّیا مستویا کمنقار الحمامة ، اعطِف بطنه ، ورقّق شفّتیّه ، ولیکن  
 مدادك فارسیا ، خفیفا إذا وزنته ، فانقعه ایلة ثم صفّه فی الدّواة ، ولیکن قرطاسك  
 رقیقا مستوی النَّسج ، تخرج السّحاة<sup>(۳)</sup> مستویة من أحد الطّرفین إلى آخره ، فلیست  
 لتقیم السطور إلا فیما كان كذلك ، ولیکن أكثر تمطیطك فی طرف القرطاس  
 الی فی یسارك ، وأقلّه فی الوَسَط ، ولا تمطّ فی الطرف الآخر ، ولا تمط كلمة ثلاثة  
 أحرف ولا أربعة ولا تترك الأخری بغير مطّ ، فإنك إذا قرّنت القلیل كان قبیحا ،  
 وإذا جمعت الكثير كان سمیجا .

ثم ابتدئ الألف برأس القلم كله واخططه بعرضه واختمه بأسفله ، واكتب الياء  
 والتاء والسين والشين والمطّة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين  
 والذین ، ورأس كل مُرسَل ، برأس القلم ، واكتب الجیم والحاء والخاء والذال والذال  
 والراء ، والمطّة السفلی من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعین والذین بالسن السفلی  
 من القلم ، وأمطط بعرض القلم ، والمطّ نصف الخط ، ولا یقوی علیه إلا العاقل ، ولا  
 أحسبُ العاقل یقوی علیه أيضا إلا بالنظر إلى الید فی استعمالها الحركة والسلام .

( الفد الفريد ۲ : ۱۸۱ )

(۱) هو أبو الریح محمد بن الیث ، من موالی بنی أمیة ، وكتب یحیی بن خالد ، وكان بلخا مرسلًا  
 کتابا فیها مشکلا بارها واضلا فی رسالته - انظر ترجمته فی القهرست لابن التندیم ص ۱۶۰ .

(۲) النَّب : النَّب ، بالفتح فیها .

(۳) سحاة القرطاس : ما أخذ منه : وسعا القرطاس وسعاه : أخذ منه سحاة .

### ۱۳۳ - کتاب له فی السلامة

وكتب أبو الربيع محمد بن الليث في السلامة :

« أما بعد : فإني كتبت إليك ، وأمير المؤمنين - أطال الله بقاءه ، وزين أمره بلباس التقوى - وولي عهد - مد الله للمسلمين في عمره - في تظاهر نعم الله عليهما ، وتوالي إحسانه إليهما ، وحوادث مزيدة إياهما ومن قبلهما وما يتناهى إليهما ، وبعزز لديهما ، من عز أطرافهما ، وثغور رعيتهما وجنودهما ، من الأمن والسلامة ، والهدوء والاستقامة ، على أحسن ما جرت به العادة ، ومضت به النعمة عليهما ، والله محمود مشكور ، والأمير أسعده الله بما آتاه ، ومن جمعت النعمة في ظل كنفه ، على أحسن ما كان يُبليه ويؤليه ، ويجري النعمة فيه ، وهو محمود ، ونحن من تتابع النعم ، وتكامل المزيد ، بحيث يُقصر الوصفُ عنا ، وعن الحفظ له نظرنا ، والله نسال العون على شكره وتأديته حقه . »

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۷۵ )

### ۱۳۴ - كتاب له في الاعتذار

« كيف يسعك أن تأخذني بظن ، لو كنت فيه على حقيقة علمي لما وسعك أخذني ولا عتابي عليه ، ولو كانت العقوبة على الذنب السكامن في سويداء القلب ، واسعة لك في حكم الرب ، لكان فيما حجبت الغيوب من العمل ، ما ينتقل في القلوب التي لا تثبت على حال ، إلا ريثما يتبعها انتقال ما يدعوك إلى أن تمسك عني ، وتقف حتى تعرف أيمضي رأي أم ينصرف ؟ »

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۸ )



## ۱۳۵ - کتاب منصور النمري إلى الرشيد

وكتب منصور<sup>(۱)</sup> النمري<sup>(۲)</sup> إلى الرشيد :

« والله يا أمير المؤمنين ما وخرتنا شوكتهم ، ولا مضتتنا<sup>(۳)</sup> فرحتهم ، وإنما نحن  
حرمة من حرمتك ، وطرف من أطرافك ، فننشدك الله أن يحول غضبك لنا غضباً  
علينا ، وتعمتك فينا قمة منا ، فقد صرنا نشترى : ألا تغضب لنا بالأ تغضب علينا ،  
وألا تنتقم فينا بالأ تنتقم منا . »  
(النظوم والنثور ۱۳ : ۳۸۸)

## ۱۳۶ - كتاب محمد بن عبد الله بن حرب

وكتب محمد<sup>(۴)</sup> بن عبد الله بن حرب :

« أما بعد ، فإني أحمد الله الذي توحد بالحمد انفسه ، وجعله غاية شكر عباده ،  
وأول دعوى أهل جنته<sup>(۵)</sup> إذ أذهب عنهم الحزن ، وأصارهم إلى مغفرته وحلول  
دار المقامة من فضله ، وأتبع ذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ،  
لما به من الضلالة هدينا ، ومن حيرات العمى نجينا ، ثم أقول : جعلك الله لكل خير

(۱) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة بن النمر بن قاسط ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من  
أهل الجزيرة . وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العنابي وراويته وعنه أخذ ومن بحره استق ، ووصفه العنابي  
للفضل بن يحيى بن خالد وقرطه عنده حتى استفدته من الجزيرة واستصحبه ثم وصله بالرشيد - انظر  
ترجمته في الأغاني ۱۲ : ۱۶ .

(۲) في الأصل « النمري » وهو تحريف .

(۳) مضه الشيء وأمضه : بلغ من قلبه الحزن به .

(۴) كاتب الحسن بن قحطبة على أرمينية ، ثم كتب إيريد بن أسيد ، ثم كتب للفضل بن يحيى -  
انظر الفهرست ص ۱۸۳ .

(۵) يشير إلى قوله تعالى : « جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ  
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ . إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ  
شَكُورٌ . الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ »

( ۱۱ - جمهرة رسائل العرب - ثالث )

مُوفِقًا ، ومن كل سوء معصوما ، قد كان أتاني منك كتابٌ حال عليه الحولُ عندي ، ولم يمنعني من إجابتك فيه في البدء إلا أنر سولك الموصل له أخبرني بإجماع منك على بعثه خاصة من أهلك لمطالعتي ، فكانت الإجابة مني مع خاصتك أوقع بموافقتي ، ثم رأيتك - والله يُصليح باللك - قطعت رُسُلًا عني ، فصار ذلك سببًا لإبطاء جوابي عنك ، غير زاهدٍ في إخائك ، ولا راغبٍ عن وداك ، ولا مُنكرٍ لجمل حالك ، والفاضل من أقسام الله لك فيما منحك وأعارك في عقلك ومحمود صفاتك ووفائك ، فإني وجدت حقائق الأخوة لا تثبت إلا بتحصن المودة من صحة العقل والمجبول في الطبيعة ، وأصبحت العقل قائدًا إلى زين العاجلة وحظوتها ، ومحجوبٍ ما يتعاطف به ذرو الحجبى فيها ، ويتواصلون به في دوام نعيمها وميسور أمورها ، ودرّ كما لمذخور أجر الآخرة وسعادتها وما ليس له عدلٌ ولا خطرٌ من جزائها وثوابها ، وقد أزم نفسي من تنافسها في إخائك وضئها وتمسكها بما أجرى الله بيني وبينك ، ما يجاوز مدى المتنافسين في رغائب الأمور المحروص عليها من كنوز الذهب والفضة ، لأنى رأيت الأموال ، وإن كثرت عند من يجمعها ، حتى لا يحصى عددها وتعجز المواضع عنده لما قال منها دانيةً لديه إلا ربنا تختلف أعصر الدهر عليه فيها بالإتلاف لها ، بالنوائب المفرقة لما جمع منها ، وكنز الإخاء ممن استحكمت منه قواه بخالص الصفاء ، أفضل ذخيرة وأحمد مغيبة ، وأمس عند ملهات الدهور منفعه ، وأوصل إلى كل مرجوٍ من خير في عاجل أو عاقبة ، من كنوز الأموال المكتنفة المتصرفه ، فعلى ذلك فليكن عندك من الحالة ، وبه فليكن في غابر الأيام لى الثقة ، وإلى الله الحولُ والقوة ، فأما قبيلك : إنا صبرنا عندك - فيما أخلفنا من ظنك ، وبعد الذي اخترت من شاهدنا ، ووافقك منا - كبرق الخلب<sup>(۱)</sup> الذي يضى ، قليلا ، وبضم جيل وشيكا<sup>(۲)</sup> ، فإن برق الخلب لمن عابنه غير متصل له

(۱) البرق الحلب ( بالوصف ) و برق الحلب ( بالإضافة ) : المطم الخلف .

(۲) أى سريما .

ما يلتبس به النور أمامه ، ولا يبلغ له منتهى غايته في ذجى ظلمة الليل وأهواله ، وذلك غير قياس من رسخت في القلوب مودته ، واستكفنت في سريرتها ميقته<sup>(۱)</sup> ، وساعدتها منه محبته وثيقته ، وتمسكت بها حباله ، وانطوت عليها ضمائرُه ، وإن الدليل من ذلك على رأبي فيك ، لاحتفاظي بكتابك إلى منذ سنة قد مضت له ، وهو عندي غير مضيع ، ولا مغفل لدى ، وقد أتلفت ما يناهز المائة الألف من مالى في معاريف نوائبي وحاجاتي ، وأنا متمسك بكتابك ، متلوم<sup>(۲)</sup> بحوائجك ، وتأدية الواجب من حقلك ، جعل الله الخلة<sup>(۳)</sup> منا ومنك فيما يُديم به المصرة ، ويوالى به النعمة ، وتكون عاقبته إلى السعادة في دار الخلود والمقامة من فضله والسلام . ( المنظوم والنثور ۱۳ : ۲۹۹ )

### ۱۳۷ - كتاب محمد بن علي إلى محمد بن يحيى بن خالد

وكتب محمد بن علي إلى محمد بن يحيى بن خالد ، وكان والياً على أرمينية للرشيد :  
« إن قوما صاروا إلى سبيل النصح ، فذكروا ضياعاً بأرمينية قد عفت ودرست<sup>(۴)</sup> يرجع منها إلى السلطان مال عظيم ، وإني وقفت عن المطالبة حتى أعرف رأيك . »

### ۱۳۸ - رد محمد بن يحيى عليه

فكتب إليه :

« قرأت هذه الرقعة المذمومة وفهمتها ، وسوق السعاية بحمد الله في أيامنا كاسدة ، والسنة الشعاع في أيامنا كليلية خاسية ، فإذا قرأت كتابي هذا فاحمل للناس على قانونك ، وخدم بما في ديوانك ، فإننا لم نؤلك الناحية لتتبع الرسوم العافية ، ولا لإحياء الأعلام الدائرة ، وجنبتني وتجنب بيت جرير يحاطب الفرزدق :  
و كنت إذا حملت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

(۲) تلوم في الأمر : تمسك وانظر .

(۴) عفا الرسم ودرس ودثر : بمعنى .

(۱) القفة : المحبة .

(۳) الخلة : الصداقة .

وأجرِ أموركَ على ما يكسب الدعاء لنا لا علينا ، وأعلم أنها مدة تنتهي ، وأيام تنقضي ، فإما ذكر جميل ، وإما خزي طويل . ( زهر الآداب ۱ : ۳۰۵ )

### ۱۳۹ - كتاب جعفر بن يحيى إلى أحد عماله

وكتب جعفر بن يحيى في العفو والمسامحة لأحد عماله :

« عندنا الاغتفارُ لما اقرفت ، وتصديقُ كل ما قلت واحتججتَ بذكره ، واعتذرتَ بوصفه ، والإسقاطُ لما جحدته ، والإكذابُ للجورِ الذي اقرفته ، والرجوعُ عما أنكرته ، والزَّيادةُ فيما اخترته ، استدعاءُ لك وإن انصرفت ، وحياطةُ لما قدَّمتَ وإن ذُمتَ ، وإيثارُ للإغضاء والاحتمال ، فإنهما أبلغُ في الإصلاح ، وأنجعُ في الاستنجاح ، وأسرعُ في التعليم ، وأكبرُ في التقوم ، إن احتيج إليه في مثلك ممن تؤمن عليه قريحته ، وترُدُّه إلى الاستقامة تجربته . »

\* \* \*

وله فصل من رسالة :

« فإن العذر إذا جاء واضحا لم يكن لسوء الظن مجازاً ، ولا لمن أراد التجنُّيَ تخلص ، وما أريد أن أزداد بك علماً إلى عامي . ( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۶ )

### ۱۴۰ - كتاب حميد بن مهران إلى عامل معزول

وكتب [ حميد<sup>(۱)</sup> بن مهران ] إلى عامل عزل عن عمله :

« بلغني - أعزك الله - انصرفك عن عمالك ، ورجوعك إلى منزلك ، فسُررت بذلك ، ولم أستفظمه وأجزع له ، لعلني بأن قدرك أجلُّ وأعلى من أن يرفعك عملٌ

(۱) في الأصل « حمدون بن نهران » ولم أجد في كتب التراجم ترجمة بهذا الاسم ، وأرجح أن يكون محرفاً وصوابه « حميد بن مهران » كما ذكرت ، قال ابن النديم في الفهرست ص ۱۷۹ « حميد ابن مهران الكاتب من أصفهان ، وكان يكتب للبرامكة مدة حياتهم ، وله كتاب رسائل . »

تولاه ، أو يضعك عزل عنه ، ووالله لو لم تختز الانصراف ، وترد الأعتزال ، لكان في لطف تدبيرك ، وثقوب رويتك ، وحسن تأتيك<sup>(۱)</sup> ، ما تُزِيل به السبب الداعي إلى عزلك ، والباعث على صرفك ، ونحن إلى تهنتك بهذه الحال أولى بنا من أن نعزبك ، إذ أردت الانصراف فأوتيته ، وأحببت الأعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك في منقلبك ، وهنأك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها ، الزائد فيها .

( زهر الآداب ۱ : ۳۲۵ )

## ۱۴۱ - تحميد لأنس بن أبي شيخ

« الحمد لله الذي بالقلوب ههرفته ، وبالعقول حجته ، الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم أميناً فوقه له ، ومبئلاً فادى عنه ، فحج به المنكير وتالف به المدبر ، وثبت به المستبصر ، إلى أن توفاه على منهاج طاعته ، وشريعة دينه ، ثم أورثكم عهده ، وخصكم بكلمة التقوى ، وجعلكم الأمة الوسطى<sup>(۳)</sup> . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۷۵ )

(۱) تأنى للأمر : ترفق له وأناه من وجبه .

(۲) قال ابن النديم في الفهرست ص : ۱۸۲ « بلغاه الناس عشرة : عبد الله بن المقفع ، عمار ابن حمزة ، حجر بن محمد ، محمد بن حجر ، أنس بن أبي شيخ - وعليه اعتمد أحمد بن يوسف الكاتب - سام ، مسعدة ، الهزير ، عبد الجبار بن عدي ، أحمد بن يوسف . »

وكان جعفر بن يحيى معجبا ببلاغته : وقد اجتباه وجعله كاتبه الخاص وتدينه ، ولما نكب الرشيد البرامكة وقتل جعفرا ، أشركه الرشيد معه في الإثم وقتله وصلبه على عود في ارقه .

وفيه يروي ابن عبدوس الجهشياري عن الجاحظ أنه قال : « كان أنس بن أبي شيخ يكتب لجعفر ابن يحيى ، وكان ذكيا فهما نقي الألفاظ جيد المعاني حسن البلاغة ، وقتل مع جعفر بن يحيى . » - انظر كتاب الوزراء والكتاب ص ۲۹۹ .

(۳) الوسطى مؤنث الأوسط ، ويقال : فلان أوسط قومه : أي أشرفهم وأحسبهم .

## ۱۴۲ - کتاب بشر البلوی إلى إبراهيم بن عبد الله الحجبي

وكتب بشر البلوی إلى إبراهيم بن عبد الله الحجبي والي صنعاء لهرن الرشيد ،  
لما قدمها سنة ۱۸۲ ، وعزم على أن يولى بشرا بعض نواحي اليمن ، فعاقه عن ذلك  
هشام بن يوسف الأبتاوي<sup>(۱)</sup> :

بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن رأى الأمير - أمتع الله به - أن لا يُعلم  
هشاما ما يريد من صلتى ، فإنه لم يُردنى وآلى قط بخير ، ولم يفتح لى باب صلته ،  
فتكون منه خالصة لا يريد بها إلا وجه الله وحده ، ولا يرجو بها إلا ثوابه ،  
إلا عرض هشام من دونها ، فثقلها وكرهها<sup>(۲)</sup> وأدار القياس فيها ، وضرب لها  
الأمثال ، وألقى الحيلة فيها إلى الكاتب والحاجب ، وقاسمهما<sup>(۳)</sup> إني أكما لمن  
الناسحين<sup>(۴)</sup> ، ومدحنى بما لا يسمع به من أخلاقى ، وانتقصنى فيما لا يطمع بغيره منى ،  
ليكون ما أظهر من المدحة ، مصدقا لما أسر من العيبة ، ثم زخرف ذلك بالموعظة ،  
وزينه بالصيحة ، وقاربه بالموذبة ، وأغراه من ناحية الشفقة ، وشهد عليه أربع شهادات  
بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن كمنة الله عليه إن كان من الكاذبين<sup>(۵)</sup> ،

(۱) نسبة إلى الأبناء ، وهم قوم من الفرس استوطنوا اليمن ، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف  
ابن ذى القرن لما جاء بسنجدته على الحبشة . فنصروه وملكوا اليمن وتزوجوا في العرب ، فقبل لأولادهم  
الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم - كغلبة الأنصار - .

(۲) وى متاع الأفكار ، وكرها .

(۳) أخذته من قوله تعالى في قصة إبليس مع آدم وحواء ، وقاسمهما : أى أقسم لها .

(۴) اقتبس من قوله تعالى : « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ

إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . وَالْخَامِسَةُ أَنَّ

كَمَنَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ » .

فَإِذَا الْخَاجِبُ يُزَلُّنِي بِبَصْرِهِ<sup>(۱)</sup>، وَإِذَا الْكَاتِبُ يَسْلِقُنِي بِلِسَانِهِ<sup>(۲)</sup>، وَإِذَا الْخَادِمُ بَعْرِضَ عَنِّي بِجَانِبِهِ<sup>(۳)</sup>، وَإِذَا الْوَالِي يَنْظُرُنِي نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ<sup>(۴)</sup>، فَصَارَتْ وَجْوهُ النَّفْعِ مَرْدُودَةً، وَأَبْوَابُ الطَّمَعِ مَسْدُودَةً، وَأَصْبَحَ الْخَيْرُ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُوهُ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ<sup>(۵)</sup>، وَالصَّلَاةُ الَّتِي كُنْتُ أَشْرَفْتُ عَلَيْهَا صَمِيدًا زَلَقًا، وَأَصْبَحَ مَاوُهَا غُورًا فَمَا أُسْتَطِيعُ لَهُ طَلَبًا<sup>(۶)</sup>، فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ<sup>(۷)</sup>

(۱) اقتبسه من قوله تعالى : « وَإِنْ يَسْكَدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ » أى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد يزل قدمك .

(۲) اقتبسه من قوله تعالى : « فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ » وسلفه بالكلام : آذاه ، قال صاحب الصحاح : وبيانه ضرب .

(۳) اقتبسه من قوله تعالى : « وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ » .

(۴) اقتبسه من قوله تعالى : « فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » .

(۵) اقتبسه من قوله تعالى : « وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ » والمهيم : النبات اليابس المتكسر ، تذوره : نظيره وتذمبه .

(۶) اقتبسه من قوله تعالى : « فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَمِيدًا زَلَقًا، أَوْ يُصْبِحَ مَاوُهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا » والحسان : البلاء والشمر والجراد والصواعق . والصعيد : التراب ووجه الأرض . زلقا نأى ملساء لا يثبت عليها قدم ، غورا . أى غائرا .

(۷) اقتبسه من قوله تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا » .

أن يكفيني شره ، وبصرف عنى كيدَه ، فإنه يرانى هوَ وقبيلَهُ ، من حيث لا أراهم<sup>(۱)</sup> ، والسلام .

( مفتاح الأفسكار ص ۲۷۳ ، والمواهب الفتحية ۲ : ۱۴۰ )

## ۱۴۳ - كتاب بشر البلوى إلى إبراهيم بن عبد الله الحجبي

وكتب بشر<sup>(۲)</sup> البلوى إلى إبراهيم بن عبد الله الحجبي أيضاً يستمنحه :  
« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن الله - وله الحمد - قد كان عرضني وجوها كثيرة ، وخيرني في مكاسب حلال ، وكنت - بتوفيق الله عز وجل وإحسانه - قد اخترت منها ناحية الأمير - حفظه الله تعالى - ورضيتُ به من كل مطلب ، واقتصرت على رجائه من كل مكسب ، فأثابه الله عز وجل فتحاً قريباً ومغائم كثيرة عجلها ، وكان الله عزيزاً حكيماً<sup>(۳)</sup> ، وقد عرف الأمير - أبقاه الله تعالى - طول مودتي له ، وقديم حرمتي ، وهجرتي معه ، وأنى بمن أنفق من قبل الفتح وقاتل<sup>(۴)</sup> ، ثم إنى

(۱) اقتبسه من قوله تعالى : « يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ » .

(۲) كذا نقل صاحب مفتاح الأفسكار ، وفي المنظوم والنور أن هذا الكتاب لمطرف بن أبي مطرف .

(۳) اقتبسه من قوله تعالى : « لَمَّا رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ، وَمَغَائِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » .

(۴) اقتبسه من قوله تعالى : « لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ، وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى »

والمراد بالفتح في الآية فتح مكة .



لم أتخرف<sup>(۱)</sup> - بحمد الله - بعد الهجرة ، ولم أنافق بعد النصرة ، ولم أكن كحاطب<sup>(۲)</sup> حين ألقى بالموذنة<sup>(۳)</sup> ، ولا كتميم يوم نادوا من وراء الحجرات<sup>(۴)</sup> ، بل أقت على مكاني ، واصطبرت على عسرتي ، لا أردد الجوعنة إلا بالبلغة<sup>(۵)</sup> أحيانا ، ولا أوارى العورة إلا بالغنية<sup>(۶)</sup> زمانا، حتى جاء الفتح من عند الله<sup>(۷)</sup> ، وطلع الأمير - حفظه الله -

(۱) في الأصل « المنظوم والمشور » ، « تعرف » وهو تخريف ، وتعرف وانحرف واحرورف : مال وعديل .  
(۲) هو حاطب بن أبي بلتعة ، وكان من خبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجمع السير إلى مكة لفتحها (سنة ۸ هـ) دعا الله أن يعي الأخبار على قريش ، فكتب إليهم حاطب كتابا يخبرهم بغير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وبعثه مع امرأة وجعل لها جملا ، فأعلم الله رسوله ذلك ، فبعث أثرها عليا والزبير والمقداد ، وقال اطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها ، فانطلقوا إلى الروضة فوجدوا بها المرأة ، فقالوا لها : أخرجي الكتاب ، قالت : مامعي كتاب ، فقالوا : اخرجي الكتاب أولنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذا يا حاطب ؟ قال : لا تعجل علي يا رسول الله : إني كنت امرأ موصفا في قريش ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك أن آخذ عندهم يدايهمون بها قرابتي ، ولم أفعله ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : أما إنه قد صدقكم ، فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك يا عمر ! لعل الله قد اطعم على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم - اظرك كتب السيرة - .

(۳) اقتبسه من قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ » وقد نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة للسبب المتقدم ذكره ، وفي مفتاح الأفكار والمواهب الفتحية « حين ألقى بالموذنة » وقال صاحب المواهب الفتحية في تفسير تلك الرسالة : « والمادة بضم الميم : اسم استمددت به من المداد على القلم ، وهي المعروفة عند العوام بالمللة ، أي حين ألقى بالمداد على تلك الصحيفة » .  
وعندي أن ذلك التفسير تكلف ، وأن كلمة « بالموذنة » معرفة عن « بالموذنة » ويؤيد ذلك ما جرت به سنة بشر البلوى في الكتابة من اقتباس آي القرآن كما عرفت .

(۴) يشير إلى قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم »  
وذلك أنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم سنة تسع وفد بني تميم ، فجلسوا ينتظرونه ، فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء حجراته بصوت جاف : أن يا محمد اخرج إلينا ، فأذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فنزلت فيهم الآية .  
(۵) البلغة : ما يبلغ به من العيش .  
(۶) الغنية بالضم والكسر : اسم من الاستغناء .

(۷) اقتبسه من قوله تعالى : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ »

فلما ظهر وتمكّن ، ورجونا الغنى منه حين أيسر وأثخن<sup>(۱)</sup> ، والعزّ تماماً على الذي أحسن<sup>(۲)</sup> ، وأن يشفي الله به صدور قوم مؤمنين<sup>(۳)</sup> ويذهب غيظ قلوبهم ركن إلى الظالمين ، وأضفى إلى المداهنين ، واستمع من المنافقين ، وعفا عن المرجفين<sup>(۴)</sup> ، وتجاوز عن المستهزئين ، وخفض جناحه للمتكبرين ، وصعّر<sup>(۵)</sup> خذه للمستضعفين ، وعبس في وجوه المقلّين ، وجفا عشيرته الأقرابين ، وأقصى شيعته الأولين والآخريين ، وحرّم إخوانه الأقدمين ، « فَمَا تَنْتَعِمُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » ثم تأوّل الكتاب ، فعدّى الصواب ، وقرّب الأحزاب ، وآوى المتخلفين<sup>(۶)</sup> من الأعراب ، وآثر بالفيء من لم يوجف عليه بحيل ولا ركاب<sup>(۷)</sup> ، فأصبحت أياديه عند المؤلفة قلوبهم ، ومن كان بسير النفاق فيهم ، ويلمزه في الصدقات منهم<sup>(۸)</sup> ، وصنّاعه عند المعدّرين من

(۱) أثخنه : غلبه ؛ أى حين غلب أعداءه وفهرم .

(۲) أخذه من قوله تعالى : « ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ

وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِم بِدِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ » .

(۳) اقتبس من قوله تعالى : « قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ

عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ » .

(۴) أرجف القوم : خاضوا في أخبار العن ونحوها .

(۵) صعّر خذه : أماله كبرا .

(۶) في مفتاح الأفكار « وآوى المخالفين » .

(۷) اقتبس من قوله تعالى : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ

مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ » ووجف البعير والفرس وجفا : عدا ، وأوجفته : أعديته .

(۸) اقتبس من قوله تعالى : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا

رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » واللمز : العيب ، وأصله الإشارة بالعين

ونحوها ، ونعله كضرب ونصر .

الأعراب (۱) ، والذين جاءوا من بعدهم ، ظاهرة في الآفاق وفي أنفسهم (۲) ، وأصبح  
نقباه العقبه (۳) ، وفقراء الهجرة ، ومساكين الصفة (۴) تفيض أعينهم من الدمع  
حزناً ألا يجدوا ما ينفقون (۵) ، وأصبح السابقون الأولون منا ومن أهل النصره (۶)  
مرجبن لأمر الله (۷) ، والتائبون العابدون موقوفين لحكم الله ، وأصبح الفقراء  
المستضعفون محصورين في سبيل الله ، فإن رأى الأمير - حفظه الله تعالى - أن يغيرنا

(۱) اقتبس من قوله تعالى : « وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ »

والمعذر: إمام من عذر في الأمر: إذا قصر فيه موماً أن له عذراً ولا عذر له، فمعناه: المنصرون الذين لا عذر لهم ،  
وإما من اعتذر ، فأصله المعتذرون ، ألقى فتحة التاء على العين وأبدل منها دالا وأدعت في الدال الي  
بعدها ، ومعناه : الذين يعتذرون ، كان لهم عذر أو لم يكن ، وقرأ ابن عباس « المعتذرون » بسكون  
العين ، وهم الذين لهم العذر ، وكان يقول : والله لكذا أنزلت ، وقال : لعن الله المعذرين بالشديد .

(۲) اقتبس من قوله تعالى : « سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » .

(۳) العقبه : بين مكي ومكة ، بينها وبين مكة نحو ميلين ، ومنها ترى حرة العقبه ، وتقاؤها : هم  
الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، وذلك أنه كان في بدء أمره يوافق الموسم ، ويتبع  
القبائل في رحالها يدعوهم إلى أن يمنعوه ليبلغ رسالة ربه ، فلا يجد من ينصره ، حتى كانت سنة إحدى  
عشرة من النبوة ، لقي ستة نفر من الأوس عند هذه العقبه فدعاهم إلى الإسلام وعرض عليهم أن يمنعوه  
فقالوا : هذا والله النبي الذي تعدنا به اليهود ، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة ، فأمنوا به وصدقوه ، ثم  
انصرفوا إلى المدينة ، وذكروا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابهم ناس وغنا فيهم الإسلام ، ولما كانت  
سنة اثنتي عشرة من النبوة وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلاً ، هؤلاء الستة وستة آخر ، فأمنوا وأسلموا ،  
فلما كانت سنة ثلاث عشرة من النبوة أتى منهم سبعون رجلاً وامرأتان .

(۴) أهل الصفة . هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه ، فكانوا يأوون إلى صفة  
مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهي موضع مظلل من المسجد يبيتون فيه .

(۵) اقتبس من قوله تعالى : « تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا

يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ » .

(۶) اقتبس من قوله تعالى : « وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » .

(۷) اقتبس من قوله تعالى : « وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا

يُتُوبُ عَلَيْهِمْ » .

فإنا قد سَغَبْنَا<sup>(۱)</sup> ، وأن يعطف علينا من قبل أن يزيغ قلوبُ فريقٍ<sup>(۲)</sup> مِنَّا ، فَعَلَّ ،  
 فـ«إِنَّ الْإِنْسَانَ حُلِقَ هَلُوعًا<sup>(۳)</sup> ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا »  
 ولست أدري ماذا اعتذرُ به اليومَ إلى الناس في أمرى عن الأمير ! وهم يعلمون أنى قد  
 رأيتُ فيه ثُلثي أُمِّي ، ولم أبلغ في نفسي رُبْعَ رَجَائِي ، أم ماذا ينتظر الأمير - حَفِظَهُ اللهُ - في ؟  
 بعد أن آتاه اللهُ المَلَكُ ، وَعَلَّمَهُ الْحِكْمَةَ<sup>(۴)</sup> وَمَكَّنَهُ مِنْ خَزَائِنِ الْأَرْضِ<sup>(۵)</sup> ، وجعله  
 في الدنيا وجيهاً<sup>(۶)</sup> ، وفي الإسلام مكيناً . وعند الخليفة - أبقاه اللهُ تعالى - مُطَاعاً أَمِيناً<sup>(۷)</sup> ،  
 فمن يَفِرُّ<sup>(۸)</sup> الأميرَ بعد هذه النعمة ؟ أم من يَعتذرُه مع هذه الكرامة ؟ وَمَنْ يَرْضَى مِنْهُ  
 بِأَقْلٍ مِنْ جَبْرِهِ<sup>(۹)</sup> ، إِلَّا مَنْ سَفِهَ<sup>(۱۰)</sup> نَفْسَهُ ، ولست آمنُ أن يتناول علينا الجُزَعُ ،

(۱) مار أهله كباع : أنام بالميرة بكسر الميم وهى الضمام ، وسبب كفرح ونصر : جاع ، وفي  
 الأصل « المظلوم والشور » «فإنا قد استعنا » .

(۲) اقتبس من قوله تعالى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ » .

(۳) الهلم : أشد الجزع .

(۴) اقتبس من قوله تعالى : « رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ » ، وقوله تعالى :

« وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ » .

(۵) اقتبس من قوله تعالى في قصة يوسف : « قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ

إِنِّي حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ » . وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا إِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ » .

(۶) اقتبس من قوله تعالى : « يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أُسْمُهُ الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ » .

(۷) اقتبس من قوله تعالى : « مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ » .

(۸) أى يحفظ عرضه من النقد .

(۹) فى الأصل « جبرانه » والذى فى كتب اللغة : « جبر العظم والفقير والينيم كنصر جبرا بالفتح

وجبوراً بالضم ، وجبارة بالكسر » .

(۱۰) أخذ من قوله تعالى : وَمَنْ يَرْتَعِْبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ » .

وَيَتِمَادِي بِهِ مِنَ الْمَنَعِ ، أَنْ يَجْتَمِعَ مِنْهُ أُمَّةٌ صَابِرَةٌ ، وَفِرْقَةٌ خَاشِعَةٌ ، وَطَائِفَةٌ مَمْنُوعَةٌ ، وَأُخْرَى مَدْفُوعَةٌ ، فَيَدْعُو رَبَّهُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ <sup>(۱)</sup> وَالسَّلَامَ .

( المنظوم والنثور ۱۳ : ۴۱۴ ؛ ومفتاح الأفكار ص ۲۷۳ والنوادر الفتحية ۲ : ۱۴۴ )

## ۱۴۴ - كتابه إلى الحجي

وكتب إليه أيضاً - وكان نهى بشرا عن التعرض للوزراء ولأهل العراق - :  
« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإنك كتبت إلى تنهاني عن السلطان وعن قرّبه ، ولست أعتذر إليك في ذلك ، إن دعاني السلطان سارعت ، وإن أبطأ عني تعرّضت . فإن كان الله تبارك وتعالى أحل لك خدمة أمير المؤمنين ، ومنادمة الفضل ، ومسامرة جعفر <sup>(۲)</sup> ، وأباح لك أن تأخذ من أموالهم القفاطير المتنظرة من الذهب والفضة <sup>(۳)</sup> ، وحرّم عليّ مكانبة الشرط ، ومراسلة البرد <sup>(۴)</sup> ، والتخدم للحضان <sup>(۵)</sup> والتعرض للدايات ، وحظر عليّ من أموالهم ما أسد به الفورة <sup>(۶)</sup> ، وأواري به

(۱) اقتبس من قوله تعالى : « ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » .

(۲) يعني الفضل بن يحيى البرمكي ، وجعفر أخاه .

(۳) اقتبس من قوله تعالى : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . . . الآية » .

(۴) البرد جمع بريد : وهو الرسول .

(۵) تخدم خادما : آخذ ، والحضان جمع حاضن ، والحاضن والحاضنة : الموكلان بالصبي بحفظانه ورببانه ، لأن المربي والكافل يضم الطفل إلى حضنه ( بالكسر ) ، وكما تسمى المرأة التي تربي الطفل « الحاضنة » تسمى في العربية أيضا « الداية » - وحرفت ولفنا العامية فقيل « الدادة » - والداية عربية خصبة ، قال الفرزدق :

ربيبة دايات ثلاث ربيبتها يلقمها من كل سخن ومبرد

( ورب الصبي رباه حتى أدرك ) ويرادفها أيضا « الظئر » بالكسر - العاطفة على ولد غيرها المرضع له ، في الناس وغيرهم - وقد توسعوا في كلمة الداية فاستعملت بمعنى القابلة .

(۶) فورة المر : شدته ، يعني بذلك فوران النفس وجيشانها من شدة الجوع ، أي ما ألقى به حاجتي

العَوْرَةَ ، فَأَنَا الْهَالِكُ وَأَنْتَ النَّاجِي ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهَا مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، فَأَنْتَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ (۱) ، وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ (۲) وَالسَّلَامُ .  
(مفتاح الأفكار ص ۲۷۵)

## ۱۴۵ - كتابه إلى يحيى بن خالد البرمكي

وكتب إلى يحيى بن خالد البرمكي :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابًا لَمْ أَرَ شَيْءَ مِنْهَا جَوَابًا ، وَلَسْتُ - أَمْتَعُ اللَّهُ بِكَ - أَتَكَبَّرُ عَنْ مُوَاطَّأَةِ (۳) الْكُتُبِ إِلَيْكَ ، وَلَا أَسْتَنْكِفُ مِنْ (۴) تَرْكِكَ الْكِتَابَ إِلَيَّ ، لِأَنَّ مِثْلَكَ لَا يَكْتُبُ إِلَى ضَعِيفٍ مِثْلِي إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَلَا يَلْتَقِي الْحِكْمَةَ كِتَابَهُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِحْسَانِهِ ، وَلِعَلَّكَ - أَمْتَعُ اللَّهُ بِكَ - لَمْ يُوَافِقْ نَزُولَ ذَلِكَ مِنْ رَبِّكَ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْدَرُ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (۵) .  
(مفتاح الأفكار ص ۲۷۵)

(۱) اقتبس من قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ » - كبره معظمه -

(۲) قال تعالى : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ » .

(۳) أى متابعه .

(۴) فى الأصل « وَلَا أَسْتَنْكِفُ عَلَى » والذى فى كتب اللغة تعديته بمن .

(۵) اقتبس من قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ » .

## ۱۴۶ - كتابه إلى يحيى بن خالد البرمكي

« وكتب بشر البلوي إلى يحيى بن خالد أيضاً يستمتع<sup>(۱)</sup> بالحجبي المذكور :  
« أما بعد : حفظ الله أبا علي ، وحفظ لك ما استحفظك<sup>(۲)</sup> من دينك وأمانتك ،  
وخواتيم عملك ، أما ما تُحب أن ينتهي إليك علمه من قدوم الحجبي علينا ، وما عمل  
به فينا ، وعلى ما أصبح المسلمون معه قبلنا ، فكل ذلك بحمد الله تعالى ونعمه على  
أفضل سرورك ، وأعظم رجائك ، ومنتهي أمالك ، من سكون الدهماء<sup>(۳)</sup> ، وأمان  
الشبل ، وحسن الحال ، وتتابع الأمطار ، وقد أصبح الناس بحمد الله رجاء<sup>(۴)</sup> بينهم ،  
لا يسمع إلا سلاماً سلاماً<sup>(۵)</sup> ، وذلك أن الحجبي لما قدم علينا ، فزع إلى خيار الناس  
وأهل الصلاح منهم ، فقرَّبهم وأدناهم ، وغاظ على أهل النجور والزَّيِّية ، وأبعدهم  
وأقصاهم ، وبعث لجملة القرآن ، فلما اجتمعوا إليه من أطراف البلاد تخير الدعاء ، وذرى  
الرأي منهم ، فجاءهم بطانته ، وأهل مشاورته ، وبعث أكثرهم عمالاً على كثير من  
نواحي عمله ، وعهد إليهم ما عهد إليه أمير المؤمنين ، في أخذ الصدقات والزكاة على

(۱) أي يطلب إيقاظه للانتفاع به ، يقال : متعه الله وأمتعته بفلان : أي أبقاه ليستمع به فيما يجب من  
الانتفاع به والسرور بملكه .

(۲) أي ما جعلك حافظاً عليه من الدين والأمانة ، وخواتيم العمل ، أي العمل الصالح الذي هو آخر  
عمل عمله . وأصل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رجل يودعه لدمر . فقال له رسول الله :  
« أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » أي الصالح الذي جعلته آخر عمرك والإمامة . فإن  
الساير يسر له ختم إقامته بعمل صالح ، فيندب لكل من ودع أحداً من المسلمين أن يقول له ذلك  
وأن يكرره .

(۳) الدهماء : جماعة الناس .

(۴) اقتبسه من قوله تعالى : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أُشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ  
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » .

(۵) اقتبسه من قوله تعالى « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً »  
وسلاماً سلاماً في قول بشر نائب فاعل على المسكابة ، ويجوز أن يكون الأمل « لا تسم إلا سلاماً سلاماً » .

وجوهها ، وقَسَمَ السُّهُمَانِ<sup>(۱)</sup> الخمسة مَوْفِرَةً بين أهلها ، وأَعْلَمَهُمْ أن أمير المؤمنين لم يأمره ولا مَنْ قَبْلَهُ من وِلاة اليمين وغيرها إلا بالعدل والإحسان ، وأن أمير المؤمنين يبرأ إلى الله من ظلم كل ظالم ، وجَوْرِ كل جائر ، وأنه قد خلع ما يثقل به عن رقبتة ، وجعله في دين الحَجَبِيِّ وأمانته ، فلم يبق عند ذلك فِرْقَةٌ من فرق المسلمين ، ولا جماعة من الصالحين ، ولا أحد من الفقراء المساكين ، إلا دعا لأمر المؤمنين بطول البقاء ، ثم دَعَاكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ بِأَفْضَلِ الدُّعَاءِ ، ونَشَرُوا عَنْكَ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ ، لِمَا سَأَقَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ بسببك ، وجعله بِيَمِينِ<sup>(۲)</sup> مُوَازِرَتِكَ وأجراه لهم على لسانك ويدك ، وَلِمَا أَخَذَ الحَجَبِيُّ فِيهِمْ من ورائك ، فإننا قد عَرَفْنَاهُ بِالرِّفْقِ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ ضَعْفٌ ، وبالشدة التي ليس معها عُنْفٌ ، وبالجِدِّ الَّذِي لَا يَخَالُطُهُ هَزَلٌ ، ثم هو مع ذلك قليل الغفلة ، شديد التهمة ، لا يتكلم على كتابه ، ولا يفوض أمره إلى أمانته ، ولا يطمئن إلى جلسائه ، حتى يتنقذ الأشياء بنفسه ، فيورد ما حضر منها على عَيْنِهِ ، ويصدر ما غاب عنه منها على علمه ، لا يمنع من مُطالَبَةِ الصَّغِيرِ مُزَاوَلَةَ الكَبِيرِ ، قد أحكم السياسة ، ورَسَخَ في التدبير ، فأشدُّ الناس خوفاً لِعَضْبِهِ أَرْجَاهُمْ جميعاً لِثَوْبَتِهِ ، وأقَامَهُمْ أماناً لِعَقُوبَتِهِ أطولهم لزوماً لِحَالَتِهِ ، قد شَغَلَ كُلًّا بِنَفْسِهِ ، فأقبل كل على شأنه ، فليس أحدٌ يُجَاوِزُ حَدَّهُ ، ولا يعدو قدره ، ولا يتكلم إلا فيما يَعْنِيهِ ، ولسنا نراه بحمد الله يزداد في كل يوم إلا شِدَّةً ، ولا تزداد الأمور معه إلا إِحْكَامًا ، فليس لغتاب إليه سبيلٌ ، ولا لفتقٍ معه مطمعٌ ، والسلام .

( مفتاح الأفكار ص ۲۷۵ ، والمواهب الفتحية ۲ : ۱۴۷ )

(۱) السهمان : جمع سهم ، وهو النصب ، والسهمان الخمسة ومصرفها مبين في قوله تعالى : « وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ » وذكر الله تعالى في الآية للتعظيم ، والمراد قسم الخمس على الخمسة المطوفين ، فكأنه قال : فإن لله خمسة يصرف إلى هؤلاء ، لكل منهم خمس الخمس ، والأخماس الأربعة الباقية للفاتحين .

(۲) اليمين : البركة ، والموازرة : المعاونة والمساعدة .



## ۱۴۷ - كتابه إلى بشار بن رضاء

وكتب ينصح بشار بن رضاء:

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن رأيتك في أول زمانك تغدو على العلماء وتروح عنهم<sup>(۱)</sup> ، وتحدث عن الله وعن ملائكته ورسوله ، وقد أصبحت تحدث عن معن<sup>(۲)</sup> وعن عماله ، وعن أبي مسلم<sup>(۳)</sup> وعن أصحابه ، فبئس للظالمين بدلاً<sup>(۴)</sup> ، فمن خلقت على أهلك ، أم على من تتكىل في هول سفرك ، أم بمن تثق في حال غربتك ؟ أبا الله أم عليه ؟ وكيف ؟ ولست أخشى عليك إلا من قبله ، لأنه قد أعذر إليك وأنذر ، فعصيت أمره ، وأطعت أعداءه ، وخرجت مغاضباً تظن أن كن بقدر عليك<sup>(۵)</sup> ، فاتق على نفسك الزلل ، وانزل من دابتك في كل جبل<sup>(۶)</sup> ،

(۱) غدا يغدو غدواً - ذهب غدوة بالضم : وهي ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، وراح يروح رواحاً : سار بالعشى ، هذا هو الأصل في الغدو والرواح ، وقد استعملتهما العرب في الذهاب في أي وقت كان من ليل أو نهار ، ومنه الحديث : « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى ، أي مشى إليها وذهب إلى الصلاة .

(۲) هو معن بن زائدة الشيباني ، وكان شجاعاً جواداً جزيل العطاء كثير المعروف ، وكان في أيام بني أمية منتقلاً في الولايات ، منقطعاً إلى ابن هبيرة أمير العراقيين ، ثم ولي سجستان في أواخر أمره في عهد بني العباس ، وتوفي سنة ۱۵۱ هـ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۲ : ۱۰۸ - .

(۳) يعني أبا مسلم الخراساني ، وقد تقدم .

(۴) أخذه من قوله تعالى في إبليس : « أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » .

(۵) اقتبسه من قوله تعالى : « وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ » .

وذو النون : هو يونس ، والنون : الحوت .

(۶) وانزل من دابتك أي مطية غوايتك التي تتعجم بك المهالك ، كني بها عن كل ما يكون وصلة لشر من المال أو الجاه أو الصحة أو الفراغ . في كل جبل : أي عقبه من العقبات اللاتي تحول دون الخير . والمعنى : إذا جمعت بك تلك المطية في عقبه من تلك العقبات فبادر بالنزول لئلا تتوغل بك فيها فهلك .

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أُنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى ظَهْرِهَا<sup>(۱)</sup> ، فَلَا تَقُلْ : سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَرِهَ أَنْ يُحَمِّدَ عَلَى مَا نَهَى عَنْهُ ، وَلَكِنْ قُلْ : رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ<sup>(۲)</sup> .

( مفتاح الأفكار ص ۲۷۸ ، والمواهب الفتحية ۲ : ۱۴۲ )

## ۱۴۸ - كتاب مطرف بن أبي مطرف إلى أحد إخوانه

قال ابن طيفور :

وكتب إلى مُطَرِّف<sup>(۳)</sup> بن أبي مُطَرِّف الليثي رجل من إخوانه يسأله عن عبد الله ابن مُصْعَب الزبيرى ، فكتب إليه :

« أما بعد ، فإنك كتبت إلى تسألني عن عبد الله بن مُصْعَب ، كأنك هممت به أو تريد<sup>(۴)</sup> القدوم عليه ، فلا تفعل - أمتع الله بك<sup>(۵)</sup> - فإن حُسنَ الظنِّ به لا يقع في الفهم إلا بِمِخْذَلَانِ اللَّهِ ، وإن الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا من سوء التوكل على الله عز وجل ، وإن الرجاء لما في يده لا ينبغي<sup>(۶)</sup> إلا بعد اليأس من رَوْحِ اللَّهِ ، لأنه

(۱) اقتبسه من قوله تعالى : « فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أُنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » . وقوله تعالى : « وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْتَضُونَ . لِيَتَسَفَّوْا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ » .

(۲) اقتبسه من قوله تعالى : « قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ » .

(۳) ذكره ابن النديم في الفهرست في عداد البلغاء - انظر ص ۱۸۲ ، وأورد صاحب مفتاح الأفكار هذا الكتاب ، معزوا إلى بشر البلوى ، فقال : « وكتب بشر البلوى إلى الشافعي بهجو عبد الله بن مصعب ... » .

(۴) في مفتاح الأفكار « إذ سرك القدوم عليه » . (۵) فيه « يرحمك الله » .

(۶) فيه « لا يكون » والروح : الرحمة ، وأقتر : ضيق في النفقة .

يَرَى أَنْ الْإِقْتَارَ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ هُوَ التَّبْذِيرَ الَّذِي يَعْاقِبُ اللَّهُ فِيهِ ، وَأَنْ  
الْاِقْتِصَادَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ هُوَ الْإِسْرَافَ الَّذِي يَعْذَّبُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
لَمْ يَسْتَبْدِلُوا الْعَدَسَ بِالْمَنْ<sup>(۱)</sup> ، وَالْبَصَلَ بِالسَّلْوَى ، إِلَّا لَفُضُولِ أَحْلَامِهِمْ ، وَقَدِيمِ عِلْمِ  
تَوَارِثِهِمْ عَنْ آبَائِهِمْ ، وَأَنْ الضِّيَافَةَ مَرْفُوعَةً ، وَأَنْ الصَّلَاةَ مَوْضُوعَةً ، وَأَنْ الْهَبَةَ مَكْرُوهَةً ،  
وَأَنْ الصَّدَقَةَ مَنْسُوخَةً ، وَأَنْ السَّلْفَ<sup>(۲)</sup> بَدْعَةً ، وَأَنْ التَّوَسُّعَ ضَلَالَةً ، وَأَنْ الْجُودَ فَسُوقَ  
وَأَنْ السَّخَاءَ مِنْ هَمْزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ مَوَاسَاةَ الرَّجُلِ أَخَاهُ مِنَ الْعِظَامِ الْمَوْبِقَةِ<sup>(۳)</sup> ،  
وَأَنْ فَضَالَهُ عَلَيْهِ إِحْدَى الْكِبَائِرِ الْمَوْجِبَةِ الْمَهْلَكَةِ ، وَأَنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُؤْتَرَ الْمَرَّةَ  
فِي الْخِصَاصَةِ عَلَى نَفْسِهِ<sup>(۴)</sup> ، فَقَدْ ضَلَّ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ضَلَالًا بَعِيدًا ، كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِالْمَعْرُوفِ  
إِلَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى الَّذِينَ قَطَعَ اللَّهُ دَابِرَهُمْ ، وَنَهَى الْمُسْلِمِينَ عَنْ اتِّبَاعِ آثَارِهِمْ ، وَكَأَنْ لَمْ  
تَأْخُذِ الرَّجْفَةُ آلَ مَدْيَنَ<sup>(۵)</sup> عِنْدَهُ إِلَّا لِسَخَاءِ كَانَتْ فِيهِمْ ، وَلَمْ تَهْلِكِ الرَّيْحُ الْعَقِيمُ

(۱) المن : ظل ينزل من السماء على الشجر ، يُجَلُو وَيَنْعَقِدُ عِصَا وَيَجِفُ جَفَافَ الصَّنْعِ ، وَكَانَ يَنْزِلُ  
عَلَيْهِمْ مِثْلَ التَّلْجِ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَالسَّلْوَى : السَّمَانِيُّ - بَضْمُ السِّنِّ وَتَخْفِيفُ اللَّيْمِ وَالْفَصْرُ -  
وَكَانَتْ رِيحُ الْجَنُوبِ تَبِعَتْهُ عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي  
هُوَ خَيْرٌ » .

(۲) السلف : القرض الذي لا منفعة للمقرض فيه غير الأجر والشكر ، وعلى المقرض رده كما أخذه .  
(۳) أي المهلكة .

(۴) اقتبسه من قوله تعالى : « إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ  
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » . وَقَوْلُهُ : « وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » .  
وَالْخِصَاصَةُ : الْفَقْرُ .

(۵) مدين : بلد شعيب عليه السلام ، بلد بجزيرة العرب على بحر القلزم ( كنفذ : وهو البحر الأحمر )  
مخاض لنبوك على نحو من ست مراحل ، بناه مدين بن إبراهيم عليه السلام فسمى باسمه ، وعليه . قوله تعالى :  
« وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ  
لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ » . وَيَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى الْقَبِيلَةِ ، وَهَاهُنَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِلَى مَدْيَنَ  
أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » . وَالرَّجْفَةُ : الزَّلْزَلَةُ =

عاداً<sup>(۱)</sup> إلا لتوسع ذكر عنهم، فهو يخشى العقاب على الإنفاق، ويرجو الثواب على الإفتار، ويمد نفسه الفقر، ويأمرها بالبخل، خيفة أن تنزل به قوارع<sup>(۲)</sup> الظالمين، أو أن يصيبه ما أصاب القرون الأولين<sup>(۳)</sup>، فأقيم - يرحمك الله - على مكانتك، واصطبر على عسرتك، وتربص به الدوائر<sup>(۴)</sup> عسى الله أن يبدلنا خيراً منه زكاةً وأقرباً ونحماً<sup>(۵)</sup> .

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۲ ، ومفتاح الأفكار ۲۷۸ )

## ۱۴۹ - كتاب آخر له

وكتب إلى ذلك الرجل الذي يصف له عبد الله بن مصعب :  
 « أما بعد ، فإنك كتبت إلىّ تسألني عن عبد الله بن مصعب ، فكان والله غمّاً<sup>(۶)</sup> في دينه ، قديراً في دنياه ، رثاً في مروءته ، سمجاً في هيئته ، مسكيناً في علمه ، منقطعاً إلى نفسه ، راضياً عن عقله ، بخيلاً بما وسع الله عليه من رزقه كتوماً لما آتاه الله من فضله

= الشديدة ، قال تعالى فيهم : « وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ » .

(۱) عاد: هم قوم هود عليه السلام وكانوا يسكنون الأحقاف - رمل فيما بين عمان إلى حضرموت - قال تعالى فيهم : « وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ، مَا تَدْرُونَ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِمُ الْآجَمَلَةُ كَالرِّمِيمِ » . والريح العقيم: هي الدبور. وسماها عقياً لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم ، أو لأنها لاخير فيها ولا منفعة ، لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر .

(۲) القوارع : جمع قارعة ، وهي الداهية الفاجئة .

(۳) وفي مفتاح الأفكار « ما أصاب القوم المجرمين » .

(۴) الدوائر : جمع دائرة ، وهي الهزيمة ، وتربص به : : انتظر به شراً ( أو خيراً ) يحل به .

(۵) اقتبسه من قوله تعالى « فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ

رُحْمًا » أي رحمة .

(۶) الفث : ضد السمين ، أي رقيق الدين مهزوله .

حَلَا فَا لُجُوجًا لَا يُطَاعَ فِيمَا عِنْدَهُ حَتَّى يَحَافِ أَلَا يَفْعَلُ ، وَلَا يُرَجَى مِنْهُ أَحَدٌ مَا يُعْطَى حَتَّى  
 يُقْسِمَ بِاللَّهِ أَلَّا يَقْبَلَ ، فَإِذَا أُلْحَ فِي ذَلِكَ وَأَكْثَرَ حَنْثَ مَتَعَمِّدًا ، وَأَتَى الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ  
 ذَلِكَ مَتَطَوُّعًا ، لَوْ أَنْفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ قَدْرَ حِنْثِهِ فِي هَزْلِهِ ، فَكَيْفَ  
 ظَنُّكَ بِكِفَارَةِ حَلْفِهِ فِي جَدِّهِ ؟ وَلَوْ سَكَنَ الْفَالِجُ <sup>(۱)</sup> فِي أَسَانِهِ لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ حَرْفًا وَاحِدًا  
 مِنْ إِيْمَانِهِ ، أَشَدَّ النَّاسِ إِكْرَامًا لِأَبْعَدِهِمْ مِنْ ذَلِكَ اسْتِحْقَاقًا ، وَأَقْلَبَ النَّاسِ إِحْسَانًا إِلَى أَشَدِّهِمْ  
 لِذَلِكَ اسْتِجَابًا ، كَأَنَّ الْبَخْلَ وَالشُّؤْمَ صَارَا جَمِيعًا فِي سَهْمِهِ ، وَكَأَنَّا قَبِلَ ذَلِكَ حَظًّا <sup>(۲)</sup>  
 فِي قِسْمِهِ ، فَاسْتَجْمَعَتَهُمَا مِنَ الْوَرْتَةِ ، وَاسْتَحَقَّ مَا اسْتَهْلَكَ مِنْهُمَا بِالشُّفْعَةِ ، وَاسْتَوْلَاهُمَا مِنْ  
 كُلِّ بِالْقِيَمَةِ ، وَأَشْهَدَ عَلَى حِيَازَتَهُمَا أَهْلَ الدِّينِ وَالْأَمَانَةِ ، حَتَّى خَلَّصَالَهُ مِنْ كُلِّ بَائِعٍ ،  
 وَسَلِيمًا مِنْ تَبِعَةٍ كُلِّ مَنَازِعٍ ، فَلَا يُصِيبُ إِلَّا مَخْطَأًا ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَّا نَاسِيًا ، وَلَا يُنْهَقُ إِلَّا  
 كَارِهًا ، وَلَا يُنْصِفُ إِلَّا صَاغِرًا ، وَلَا يَعْدِلُ إِلَّا رَاهِبًا <sup>(۳)</sup> وَلَا يَرْفَعُ نَفْسَهُ عَنِ <sup>(۴)</sup> مَنْزِلَةِ  
 إِلَّا ذَلَّ بَعْدَ تَعَزُّزِهِ فِيهَا ، وَلَا يَكْرَهُ خُطَّةَ سُوءِ إِلَّا أَصَابَهُ مَا هُوَ شَرُّ مِنْهَا ، لَا تُرْدُ  
 أَعْنَاقُ أُمُورِهِ إِلَّا عَلَى نَعْسَفٍ وَجَهَالَةٍ ، وَلَا تَصْدُرُ أَعْقَابُ رَأْيِهِ إِلَّا عَنِ حُرْقَةٍ وَنَدَامَةٍ ،  
 بَرَأَى جَدَّهُ <sup>(۵)</sup> خَرَجَتْ ، أُمْنَا <sup>(۶)</sup> ، وَشُؤْمٍ وَالِدِهِ <sup>(۷)</sup> هُدِمَتْ قِبَلَتَنَا ، وَبَعَلَى يَدَيْهِ ظَهَرَ  
 الدَّجَالُ فِينَا ، فَمَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا  
 مُرْشِدًا <sup>(۸)</sup> .

(المنظوم والنثور ۱۳ : ۴۱۳)

- (۱) الفالج : مرض يحدث في أحد شقي البدن طولاً فيطول إحساسه وحركته ، وربما كان في الشقين .  
 (۲) في الأصل « خطأ » وهو تحريف .  
 (۳) أي خائفاً ، وفي الأصل « راغباً » وهو تحريف .  
 (۴) الظاهر أن صوابه « إلى » .  
 (۵) يعني الربير بن العوام . (۶) يعني أم المؤمنين السيدة عائشة .  
 (۷) يعني عبد الله بن الزبير ، وقد عاذ بالكعبة وقاتله الحجاج ورمى الكعبة بالمنجنيق كما قدمنا في الجزء الثاني .

(۸) الآية الكريمة : « مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ » .

## ۱۵۰ - کتاب آخر

وكتب إليه :

« أما بعد ، فإنك كتبتَ إلىَّ تسألني عن عبد الله بن مُصعب ، فكان والله قويا على أهل الضعف والمُسكنة ، ذليلا عند أهل الجلد والقوة ، بليغا فيما استحقى الحكمة من ذكره ، وصافا لما لا يُنتفع به كليلًا مما لا يُستغنى عنه ، قد غلبت عليه الدُعاية واستهوتته<sup>(۱)</sup> ، فلا يُحسن إلا ترهات<sup>(۲)</sup> الأمور ، ولا يحفظ إلا سفاسف<sup>(۳)</sup> الأحاديث ولا يروى إلا خرافات الأباطيل ، فأما البصيرة النافعة ، والحكمة البالغة ، فقد أصبح منها أبو بكر<sup>(۴)</sup> غفلاً ، وفي المعرفة بها طفلاً ، ولو لبث أربعين سنة لم يفهم أولها ، ولم يعرف آخرها ، إلا نظرَ المَنشيء عليه من الموت<sup>(۵)</sup> . »

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۳ )

## ۱۵۱ - كتاب آخر

وله أيضاً فيه<sup>(۱)</sup> :

أما بعدُ : فإن من الناس من تحمّل حاجته أهون من فحش طلبه ، ومنهم من حمل عداوته أخف من ثقل صداقته ، ومنهم من إفراط لأئمتيه أحسن من قدر مدحته<sup>(۲)</sup> . وإن الله خلق أبا بكر ليغمم به الدنيا ، ويقدر به أهلها ، فهو على قدره فيها من حُجج الله .

(۱) أي استمالته . (۲) الزهات جم. ترهة : وهي الباطل .

(۳) السفاسف : الرديء من كل شيء . (۴) كنية عبد الله بن مصعب .

(۵) أخذه من قوله تعالى : « يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَنَشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » .

(۶) ورد هذا الكتاب في مفتاح الأفكار منسوباً إلى بشر البلوي أيضاً .

(۷) القدر : التضييق ، وفي المنظوم والمنثور « ومنهم من فرط لأئمتيه أخف من قدر صداقته » .

على أهلها ، فأسألُ الذي فتنَ الأرضَ بغيانه ، وغمَّ أهلها بطول بقائه ، أن يُدِيلَ بَطْنَهَا  
من ظهرها (۱) ، والسلام .

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۴ ومفتاح الأفكار ص ۲۸۰ )

## ۱۵۲ - كتاب آخر

وكتب إليه :

« أما بعد ، فإنني قد ظننتُ أنه لم يدعُك إلى خلاف أمير المؤمنين في عهده ووصيه ،  
وترك ما أمرك به من القسم في رعيتك ، مع البغض لأهل بيته والفرية على قرابته ، إلا أنك  
لم ترَ أن تمسك النارُ إلا أباتاً معدودةً (۲) ، وأنت فكرتَ في ذلك وقدرتَ (۳) ،  
قلتَ : نصيحةٌ ظاهرةٌ ، وفريةٌ غائبةٌ ، ومُتعةٌ عاجلةٌ ، ومواعيد آجلةٌ ، وتهاونتَ بعذاب  
الآخرة ، ولو قد لقيتَ أبا مسلمٍ وأتيتَ الخباج ، وجمع بينك وبين أخوتك : مروان  
ابن الحكم ، ومُسرف (۴) بن عتبة ، لقد أعدتُ القومَ جميعاً أنهم وجدوا مثقال الدرّة  
مكتوباً ، ووزن الخبئة محسوباً ، وأنهم قد أخذوا بأيسرَ من ذنبك ، وعذبوا بأصغرَ  
من جرمك ، وأن الأيام ليست كما عددتَ ، وأن المدة على غير ما كتبتَ حسبتَ ، وأنت  
قد أوهمت (۵) حين فكرتَ ، وأسأتَ حين قدرتَ ، وأنهم كانوا ظنوا كما ظننتَ ،  
فأرداكمُ ظنكم الذي ظننتمُ بربكم فأصبحتُم من الخاسرين . فإن نصبروا فالنارُ  
مثواكم وإن استعجبوا فما أتم من المعتبين (۶) . » ( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۴ )

(۱) أداله الله من عدوه : نصره عليه . والمعنى : أن ينصر الله بطن الأرض على ظهرها ، فيظفر منه  
بذلك المهجو ويضمه إليه : أي أن يمينة الله ويهلكه .

(۲) اقتبسه من قوله تعالى : « وَقَالُوا لَنْ نَمْسَا النَّارَ إِلَّا أَبَاتًا مَعْدُودَةً » .

(۳) اقتبسه من قوله تعالى : « إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ » .

(۴) هو مسلم بن عتبة المري صاحب يوم الحرة - انظر الجزء الثاني ص ۸۷ - وقد سمي مسرفاً .  
والمراد هنا أنها أخواه في القمل . (۵) وهم كوعد وورث وأومم بمعنى .

(۶) اقتبسه من قوله تعالى : « وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا

## ۱۵۳ - کتاب آخر

وكتب إليه أيضاً :

« أما بعد ، فإن الله قد وعدك وعداً حسناً (۱) ، فلست أدري أطلال عليك المهدى فقساً قلبك ، أم أردت أن يحلّ عليك غضبٌ من ربك ، فأخلفت موعده الذى وعدته ، ونقضت عهده الذى عاهدته ، وصحبت أهدائه ، وهو يدعوك من أخراك فيدفعك عن أولاك ، فلا دعاؤه نفعك ، ولا دفعه منعهك ، حتى نفرت على وجهك » كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران « وقد أقيت حملك من كتاب الله ، ونزعت حبلك من عروة الله ، فما أدري أيها الرجل : من استخلفت على أهلك ، أم بمن تثق فى حال غربتك ، أم على من تتكل فى هول سفرك ؟ أبالله أم عليه (۲) ؟ فكيف ولست أخاف عليك أحداً غيره (۳) ؟ والسلام . »

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۵ )

## ۱۵۴ - كتاب آخر

وكتب أيضاً :

« أما بعد فإن أبا نهيك خيرنى أنك اختضبت بالوسمة (۴) ، فعلت أنك أردت

تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين .  
فإن بصبروا فالنار مشوى لهم ، وإن يستعجبوا فما هم من المعتبين » واستعجب : طلب العنى بالضم أى الرضا ، واعتبه : أرضاه .

(۱) اقتبسه من قوله تعالى : « قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفعال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفت موعدي » .

(۲) فى الأصل « علمه » وهو تحريف .

(۳) انظر كتاب بشر البلوى لى بشر بن رضىة ص ۱۷۷ .

(۴) الوسمة : نبات يخضب بورقه .



بذلك ابتغاء الزينة عند أهل الدنيا ، لما عرفت من قبح وجهك عند أهل الآخرة ،  
لتركك الصلوات ، ومنعك الصدقات ، واستحلالك الحُرْمَات . وكلما ازدادت من ذلك  
إكثاراً ، كفت عند نفسك من المقصرين ، وعند أهل السماء من المقوتين ، وفي أهل  
الأرض من المعترضين ، فالحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، فإنك من الذين قال الله  
عز وجل فيهم في كتابه : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَأَهُمْ وَلَوْ أُسْمِئَهُمْ لَآتَوَلَّوْا وَمِمَّ  
مُعْرِضُونَ ﴾ .

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۶ )

## ۱۵۵ - كتاب آخر

وكتب أيضاً :

أما بعد ، فإن الله حبَّب إلى كل مسلم شُعبَةً من دِينِهِ ، فمنهم من حبَّب إليه الصلاة ،  
فهو قانت آتاء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه<sup>(۱)</sup> ، ومنهم من  
حبَّب إليه الزكاة ، فهو ينفق ماله بالليل والنهار سراً وعلانية ، ابتغاء مرضاة الله وتذبيته  
من أنفسهم<sup>(۲)</sup> ، ومنهم من حبَّب إليه الجهاد ، فهو بين المسلمين وبين عدوهم ، يذب  
عن حريمهم ، ويقاتل من دُونِهِمْ ، وفاء بعهد الله ، وتسليماً لبيعة الله . فأما الراسخون  
في العلم ممن قد عرَّف سيرتك ، وما أبدى لهم الله من سريرتك ، فقد اقتصروا على

(۱) الآية الكريمة : « أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ . . . » والقنوت : الدعاء ، والقيام

في الصلاة والطاعة .

(۲) اقتبسه من قوله تعالى « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً  
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » . وقوله : « وَمَثَلُ  
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَذْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ رِبْوَةٍ  
أَصَابَهَا وَايِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَايِلٌ فَطَلٌّ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ » .

بفضلك ، ثقةً والله بعداوتك ، فهم لا يُؤثرون<sup>(۱)</sup> إلا بك وبأشباهلك ، ولا يروون  
القنوتَ اليوم واجبا إلا من أجلك وأجل أضرابك<sup>(۲)</sup> ، ولا يعتمدون بالدعاء فيه إلا  
عليك وعلى أمثالك ، حفظاً على صلواتهم ، ورعايةً لما ائتمنوا عليه من دينهم<sup>(۳)</sup> ،  
وفاءً بعهد الميثاق الذي أخذ عليهم : أن يُصلُّوا مع الله وملائكته على رسوله<sup>(۴)</sup> ، وأن  
يلعنوا مع الله من آمن من أعدائه وأهل معصيته<sup>(۵)</sup> ، فهم يعرضونك على الله في أدبار  
السجود وعند إدبار النجوم<sup>(۶)</sup> ، ويسألونه بالآله<sup>(۷)</sup> مخلصين ، وبأسمائه ملجفين<sup>(۸)</sup> ، أن  
يُصيبك بعذابٍ من عنده أو بأيديهم<sup>(۹)</sup> ، لما استجلت جنودك من سفك الدماء ، وأباحت  
رُسلك من حرم النساء ، وإظالمك اليتامى ، وافترائك على ذى القربى ، وتعريضك إياهم

(۱) أوتر : صلى الوتر ، وأقنت : دعا على عدوه ، وجاء في لسان العرب • وروى عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قنت شهراً في صلاة الصبح بعد الركوع يدعو على رِعل ( بكسر الراء ) وذكوان ( بفتح  
الذال ) وجاء في تاريخ الطبرى ۶ : ۴۰ • وكان على إذا صلى الغداة يقنت فيقول : اللهم العن معاوية وعمرا  
وأبا الأعمور السلمي وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد ، فبلغ ذلك معاوية فكان إذا  
قنت لعن عليا وابن عباس والأشتر وحسنا وحسينا •

(۲) الأضراب جمع ضرب بالفتح : وهو المثل .

(۳) اقتبسه من قوله تعالى في صفة المؤمنين : « وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ  
رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ » .  
(۴) قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَهَلَاكِيَّتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا  
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

(۵) يشير إلى قوله تعالى : « أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ » .

(۶) قال تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحُهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ » . وقال : « وَمِنَ اللَّيْلِ  
فَسَبَّحُهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ » وأدبار جمع دبر كعنق ؛ وإدبار مصدر أدبر .

(۷) الآلاء : النعم .

(۸) في الأصل • مختلفين ، وهو محريف .

(۹) اقتبسه من قوله تعالى : « وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ  
مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا » .

فی فتوحك للعقاب والهلكة والخلاف والمعصية، فويل لك ولكتابك مما كتبت أيديكم  
 وويل لكم مما تكسبون<sup>(۱)</sup> ، وقد وردت كتبك محمد الله من أمير المؤمنين  
 - حفظه الله - على حلم لا يؤهنه الغضب ، وعلى عمل لا يغيره الكذب ، وعلى إيمان  
 لا يستخفه الذين لا يؤمنون<sup>(۲)</sup> ، حفظ الله أمير المؤمنين حفظاً يكون له حصناً من عذابه  
 وحراً من غضبه ، وحاجزاً من معصيته ، ونوراً يستضيء به يوم لقائه في خالقه ، ويهتدى  
 به إلى جنته .  
 (المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۷ )

## ۱۵۶ - كتاب آخر

وكتب إليه<sup>(۳)</sup> :

« أما بعد ، فإني رأيتك في أمر دينك مُنتقصاً<sup>(۴)</sup> مخذولاً ، وفي أمر دنياك فاجراً  
 مشهوراً<sup>(۵)</sup> ، وفيما بين ذلك مُبغضاً ممقوتاً ، وتلك خصال لا تجتمع في مسلم إلا بؤساً  
 سريرة ، أو إصراراً<sup>(۶)</sup> على كبيرة ، أو إضماراً لعظيمة يعمُّ بها عباد الله ، ويخصُّ بها  
 أولياء الله<sup>(۷)</sup> ، ومن آية ذلك أنه تشمُّرُ قلوب أهل الحرمين إذا ذكرت ، وتفسُّرُ  
 جلود أهل المضرين إذا مدحت ، وأنهم لا يزدادون لك إلا بُغضاً ، ولا في الشهادة عليك  
 إلا قطعاً ، لعرفتكم بهم قديماً وحديثاً ، وعلمهم بحالكين صغيراً وكبيراً ، فلمرى لئن

(۱) اقتبس من قوله تعالى : « فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ  
 مِمَّا يَكْسِبُونَ » .

(۲) اقتبس من قوله تعالى : « وَلَا يَسْتَخْفَىٰكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ » .

(۳) نقل صاحب مفتاح الأفكار هذا الكتاب والكتاب الذي يليه ، كتاباً واحداً معزواً إلى  
 بحر البلوى .

(۴) في مفتاح الأفكار « متصفاً » . (۵) أي هالكا أو مصروفاً عن الخير .

(۶) في مفتاح الأفكار « أو مقارفة كبيرة » .

(۷) فيه « يعمُّ بها أولياء الله » ، ويخصُّ بها ولد رسول الله » .

كنت إلى يومك هذا كما ذكروا ، إنك إذن لمن المستهزئين ، ولئن كنت قد نزعْتَ (۱) عما عهدوا ، ما خلصتُ الله إذن نيتك ، ولا صدقتُ توبتك ، وإن في إيمانك لضعفاً ، وإن في نفسك لو هُنما ، وإن في صدرك لكبراً ما أنت ببالفه (۲) ، وإن في قلبك لقساوة (۳) ، وإن في معيشتك لإسرافاً (۴) ، فاستعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .  
( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۱۶۶ و مفتاح الأفكار ۲۷۹ )

## ۱۵۷ - كتاب آخر

وكتب إليه :

« أما بعد ، فأني نظرت في قول الله عز وجل في كتابه : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » فعلتُ أنه يريد الطيبات من المكاسب ، وأنه لا يعني بها الحلو والحامض ، ولا الحار والبارد من الطعام ، وقد زعم أهل المعرفة بك أنه لم يقع في يدك من زينة الله التي أخرج لعباده (۵) ، وأرزاقه الطيبة التي بسطها على خلقه ، ما ترد به جوعاً ولا توارى به عورة ، وإن ذلك لم يصل إليك إلا ببغى المسلمين ، وبطانة المستهزئين ، وإفك المفترين ، ولا أحسبك - إذا كانت

(۱) نزع عن الشيء كضرب : كف عنه .

(۲) اقتبسه من قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ

أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ » .

(۳) اقتبسه من قوله تعالى : « ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ

أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً » .

(۴) ورد عقب ذلك في مفتاح الأفكار : « وما أحسبه صح في يدك من زينة الله التي أخرج لعباده وأرزاقه الطيبة التي بسطها على خلقه ، ما تبلغ به لذة ، ولا تقضى به ذمة ، لأن ذلك لم يصل إليك إلا ببغى المسلمين .... إلى آخر ما ورد في الكتاب التالي » .

(۵) اقتبسه من قوله تعالى : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ

وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ » .

بهذا وأشباهه مكَاسِبُكَ - تَبْرَأُ مِنْ كَسْبِكَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ دِينِكَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ غَرْمَائِكَ  
إِلَّا صَرْتَ بِهَا تَبْرَأُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، رَهِينَةً عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَلَا تَصِلُ  
بشَيْءٍ مِنْ جَمْعِكَ أَحَدًا مِنْ ذَوِي قَرَابَتِكَ إِلَّا كَانَتْ مَسْأَلَةُ اللَّهِ إِيَّاكَ عَنْ قَطِيعَتِهِمْ أَهْوَنَ  
عَلَيْكَ مِنْ مَحَاسِبَتِهِ إِيَّاكَ بِالَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْكَ ، وَلَا تُنْفِقْ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً (۱)  
إِلَّا وَقَعَتْ لَكَ فِي سِجِّينَ (۲) ، وَلَا تَرْفَعْ مَنْزِلَةً إِلَّا هَبَطَتْ بِكَ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (۳) ،  
وَمَا سَلِمَ - مع ما تعرف في نفسك - قَلْبُكَ ، حَتَّى عَرَفْتَ بِهِ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ إِلَّا  
مِنْ ضَعْفِ قَلْبِكَ ، وَلَا تُفْتَحْ عَلَيْكَ حَتَّى رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ إِلَّا مِنْ قَلَّةِ عَقْلِكَ ، وَلَوْ تَفَرَّتْ  
فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ عَلَى وَجْهِكَ (۴) ، وَرَكِبْتَ الْفُلْكَ أَنْفًا مِنْ حَدَثِكَ ، أَوْ سَرْتَ إِلَى  
الْجِبَالِ هَرَبًا مِنْ خَطِيئَتِكَ ، أَوْ تَرَمَّمْتَ (۵) الْعِظَامَ مَعَ الْكِلَابِ ، أَوْ وَلَنْتَ (۶) فَضُولَ  
الْمَاءِ مَعَ السَّبَاعِ ، لَمَا كَانَ ذَلِكَ بِقَدْرِ جُرْمِكَ خَفْضًا وَدَعَةً فِي حَيَاتِكَ ، وَبِقَدْرِ عَمَلِكَ

(۱) اقتبس من قوله تعالى : « وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ  
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ » .

(۲) قال تعالى : « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينُ .  
كِتَابٌ مَرْقُومٌ » .

(۳) قال تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ  
سَافِلِينَ » .

(۴) اقتبس من قوله تعالى : « كَالَّذِي اسْتَمَعْتُهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ  
لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنَيْنَا » .

(۵) ترمم : تفرق ، وتعرف العظم : أكل ما عليه من اللحم .

(۶) ولم الكلب في الإناء وفي الفراب ومنه وبه بلغ كهب : شرب ما فيه بأطراف أسنانه ،  
أو أدخل لسانه فيه فحركه .

رَغَدًا مِنْ مَعِيشَتِكَ ، وَلَوْ اَبْيَضَّتْ عَيْنَاكَ مِنَ الْحُزَنِ (۱) ، أَوْ عَضَّضْتَ عَلَى يَدَيْكَ (۲) ،  
فَأَبْنَتْهُمَا مِنَ الْغَبَنِ ، أَوْ تَقَطَّعَ قَلْبُكَ مِنَ الْهَمِّ ، أَوْ ذَهَبَتْ نَفْسُكَ حَسْرَاتٍ (۳) ، لَمَا  
كَانَ ذَلِكَ أَرْشًا (۴) مَا خَرَجْتَ بِهِ مِنْ دِينِكَ ، وَلَا نَذَرَ مَالٍ (۵) بِه مِنْ أَمَانَتِكَ ،  
وَلَا قِيمَةَ مَا فَانَكَ مِنْ رَبِّكَ ، فَإِذَا بَلَغْتَ مِنْ نَفْسِكَ الْمَسْكِينَةَ مَا بَلَغْتَ ، وَرَضِيَتْ مِنْكَ  
نَفْسُكَ الضَّعِيفَةَ بِمَا صَنَعْتَ ، فَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا .  
( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۵ و مفتاح الأفكار ص ۲۷۹ )

## ۱۵۸ - كتاب يحيى بن خالد إلى ابنه جعفر

وذكروا أن جعفر بن يحيى كان يدخل في مفادمة الرشيد حتى كان أبوه ينهاه عن  
منادمته ، ويأمره بترك الأُنس به ، فيترك أمر أبيه ويدخل معه فيما يدعو إليه .  
وكتب يحيى إلى ابنه جعفر حين أعيته حيلته فيه :  
« إني إنما أهملتك ليعتُر الزمان بك عثرة تعرفُ بها أمرُك ، وإن كنت لأخشى  
أن تكون التي لا شوى (۶) لها » .  
( تاريخ الطبري ۱۰ : ۸۳ )

(۱) اقتبس من قوله تعالى : « وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » .  
(۲) اقتبس من قوله تعالى : « وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي  
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا » وأبانه قطعه .  
(۳) اقتبس من قوله تعالى : « فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
بِمَا يَصْنَعُونَ » .

(۴) الأرش : الية .

(۵) لوى به : ذهب ، ولوى بحقه : جعده لواء .

(۶) لا شوى لها : أى لا براء لها أو لا إبقاء لها ، أشوى من الشىء : أبقى ، والاسم الشوى ،

قال الهذلي :

فإن من القول التي لا شوى لها إذا زل عن ظهر اللسان اغلاتها

## ۱۵۹ - کتاب یحیی بن خالد إلى ایوب بن هرون بن سليمان

ثم تغير الرشيد على البرامكة ، فأوقع<sup>(۱)</sup> بهم ( سنة ۱۸۷ ) وقتل جعفرًا ، وحبس يحيى والفضل وسائر البرامكة في سجن الزنادقة إلى أن ماتوا فيه ، واستصفي أموالهم وضياعهم .

ووافي أيوب بن هرون بن سليمان بن علي خبر مَقْتَلِ جعفر وزوال أمرهم ، فكتب إلى يحيى يعزيه ، فكتب إليه :

« أنا بقضاء الله راضٍ ، وبإختيار منه عالمٌ ، ولا يؤاخذُ الله العبادَ إلا بذنوبهم ، وما ربك بظلامٍ للعبيد ، وما يعفو الله أكثرُ ، والله الحمدُ . »

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۸۷ )

## ۱۶۰ - كتاب يحيى بن خالد إلى الرشيد

وكتب يحيى بن خالد من الحبس ، إلى الرشيد :

« يا أمير المؤمنين إن كان الذنب خاصًا فلا تَمَنَّ بِالْعَقُوبَةِ ، فإن الله عز وجل يقول : « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » . ( اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۸۶ )

## ۱۶۱ - بين يحيى بن خالد والرشيد

وكتب يحيى بن خالد وهو في الحبس إلى هرون الرشيد :

« لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَلِيفَةِ الْمُهَدِّينَ ، وَإِمَامِ الْمَسْلُومِينَ ، وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، مِنْ عَبْدٍ أَسْلَمَتْهُ<sup>(۲)</sup> ذَنْبُهُ وَأُوبِقَتْهُ هَيْبَتُهُ ، وَخَذَلَهُ شَقِيقَتُهُ ، وَرَفَضَهُ صَدِيقُهُ ، وَمَالَ بِهِ

(۱) كان البرامكة قد استأثروا بشؤون الدولة وأموالها ، وغلبوا الرشيد على سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في ملكه ، ولم يبق له من الخلافة إلا رسمها وصورتها - وحدثهم في ذلك طوبل ليس هاهنا موضعه - فغرم على نكبتهم ، حتى انتهز فرصة وجوعه معهم من الحج سنة ۱۸۷ هـ ، فقتل جعفرًا ليلًا في طريقه ، وقبض على سائر البرامكة وسجنهم .

(۲) أسلمته . خذله ، فأسقطته من عليا مرتبته . أو أسلمته إلى السجن والعذاب ، وأوبقته : أهلكته .

الزمان ، ونزل به الحدّثان<sup>(۱)</sup> . فحلّ في الضيق بعد السّعة ، وعالج الهوس بعد الدّعة ،  
وافترش السُّخْط بعد الرّضا ، واكتحل الشّهاد بعد الهجود ، ساعة شهر ، وليلته  
دهر ، قد عابن الموت ، وشارف الفوت ، جزعا لموجِدتك<sup>(۲)</sup> يا أمير المؤمنين ،  
وأسفًا على ما فات من قربك ، لا على شيء من المواهب ، لأن الأهل والمال إنما كانا لك  
وبك ، وكانا في يديّ عارية<sup>(۳)</sup> ، والعارية مردودة ، وأما ما أصبتُ به من وهى  
فبذنبه ، ولا أخشى عليك الخطأ في أمره ، ولا أن تكون تجاوزت به فوق حدّه ،  
فتذكّر يا أمير المؤمنين كبر سنّي ، وضعف قوتی ، وارحم شيبتي ، وهب لي رضاك ،  
بالعفو عن ذنب إن كان<sup>(۴)</sup> ، فمن مثلي الزّلل ، ومن مثلك الإقالة ، وإنما أعتذر إليك  
بإقرار ما يجب به الإقرار حتى ترضى عني ، فإذا رضيت رجوتُ إن شاء الله أن يتبين  
لك من أمری وبرائة ساحتي ما لا يتعاطك<sup>(۵)</sup> بعده ذنبٌ أن تفرّره ، مدّ الله لي  
في عمرك ، وجعل يومی قبل يومك ، وكتب إليه بهذه الأبيات :

قل للخليفة ذي الصّنيعة والعطايا الفاشية  
وابن الخلائف من قُربش والملوك العالية  
إن البرامكة الذين رُموا لديك بداهيه

(۱) حدثان الدهر بالتجريك : حوادثه ونوبه ؛ وربما أنثته العرب ، يذهبون به إلى الحوادث كما  
في قوله :

ألا هلك الشهاب المستنير ومدرهما الكمي إذا تغير  
ووهاب المثين إذا ألت بنا الحدّثان والحامي النصور

وأما حدثان الأمر ( بكسر فسكون ) فهو أوله وابتدأؤه ، يقال : أتيت في حدثان شبابه ، ووقع هنا  
خطأ لصاحب القاموس نكأ من الاختصار قال . « وحدثان الأمر بالكسر : أوله وابتدأؤه كحدثته ،  
ومن الدهر : نوبه كحوادثه وأحداثه ، والصواب : والحدثان بفتحات من الدهر نوبه . . . الخ  
والدعة : الراحة وتخفيف العيش .

(۲) الموجدة : الغضب .

(۳) العارية مشددة ولد تخفف : ما يستعار .

(۴) وفي العقد « تفكر في أمری - جعلني الله فداك - وليل هواك بالعفو عن ذنب . . . » .

(۵) تعاطمه : عظم عليه .



صَفَرُ الْوَجْوهِ عَلَيْهِمُ . خَلَعُ الْاَذَلَّةِ بِاَدِيهِ  
فَكَأَنَّهُمْ مِمَّا هُمْ . اَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيهِ  
عَمَّتْهُمْ لَكَ مَسْخَطَةٌ . لَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ  
بَعْدَ الْاِمَارَةِ وَالْوِزَارَةِ . وَالْاُمُورِ السَّامِيَةِ  
وَمَنَازِلِ كَانَتْ لَهُمْ . فَوْقَ الْمَنَازِلِ عَالِيَةِ  
اَضْحَعُوا وَجُلُّ مَنْهُمْ . مِنْكَ الرِّضَا وَالْعَافِيَةِ  
يَا مَنْ يُوَدُّ لِي الرَّدِّي . يَكْفِيكَ مَنِي مَا بِيهِ  
يَكْفِيكَ مَا اَبْصَرْتَ مِنْ . ذُلِّي وَذَلُّ مَكَانِيهِ  
وَبِكَاهِ قَاطِمَةِ الْكَيْدِ . بِيَةِ وَالْمَدَامِعُ جَارِيَةِ (١)  
وَمَقَالِهَا بِتَوْجُّعٍ . يَا سَوْءَاتِي وَشَقَائِيهِ !  
مَنْ لِي وَقَدْ غَضِبَ الزَّمَانُ . نَ عَلَى جَمِيعِ رَجَائِيهِ ؟  
بِاَلْهَفِ نَفْسِي كَلْفَهَا . مَا لِلزَّمَانِ وَمَالِيهِ ؟  
بِاعْطَافَةِ الْمَلِكِ الرِّضَا . عُوْدِي عَلَيْنَا ثَانِيهِ

فلم يكن له جواب من الرشيد .

\*\*\*

وفي رواية أن الرشيد ردَّ عليه من كتاب :

إن أمير المؤمنين لم يأتِ على ولدك الأمين ، ومن رأيه ترك الباقيين ، ولم يأمر  
بحبسك ، وهو يريد بقاء نفسك ، إنما أخرك وإياهم لتعالج البؤس بعد النعيم ، ثم نصير  
إلى العذاب الأليم ، فأبشر أيها الخادع الزنديق ، والمخالف الفسّيق (٢) ، بما أعدَّ لك  
أمير المؤمنين من تبهيد شملك ، وخول ذكرك ، وإطفاء أمرك ، فتوقَّعه صباحاً ومساءً «

(١) هي زوجة فاطمة بنت محمد بن الحسن بن فضالة بن شبيب .

(٢) رجل فاسق وفسيق ككبير ، وفسق كزحل : دائم الفسق .

ووقع الرشيد عليه : « وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرِيْبَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِأُتَيْهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللهُ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .

واعقل يحيى في الحبس ، فلما أشفى (۱) دعا برقعة ، فكتب في عنوانها : يُنفذ

أمير المؤمنين أبقاه الله عهد مولاہ يحيى بن خالد ، وفيها مكتوب :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : قَدْ تَقَدَّمْتُ الْخِصْمَ إِلَى مَوْقِفِ الْفِضْلِ ، وَأَنْتَ عَلَى الْأَثَرِ ،

وَاللهُ حَكَمٌ عَدْلٌ . وَسَتَقْدَمُ فَتَعَلَّمْ » فلما ثقل (۲) قال للسَّجَّان : هذا عهدي توصله إلى

أمير المؤمنين ، فإنه ولي نعمتي ، وأحقُّ من نفذ وصيتي ، فلما مات يحيى أوصل السجَّان

عهده إلى الرشيد .

قال مهمل بن هرون : وأنا عند الرشيد إذ وصلت الرقعة إليه فلما قرأها جعل

يكتب في أسفلها ، ولا أدري لِمَن الرقعة ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، ألا أكتفيك ؟

قال : كلا ، إني أخاف عادة الراحة أن يتقوى سلطان العجز ، فيحكم بالغفلة ، ويقضى

بالبلادة ، ووقع فيها : « الْحَكَمُ الَّذِي رَضِيَتْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ لَكَ ، هُوَ أَعْدَى الْخِصْمِ

عَلَيْكَ ، وَهُوَ مِنْ لَا يُنْقِضُ حُكْمَهُ ، وَلَا يُرَدُّ قِضَاؤُهُ » قال : ثم رمى الصك إلى ، فلما

رأيت أنه علمت أنه ليحيى ، وأن الرشيد أراد أن يؤثر الجواب عنه .

( العقد الفريد ۳ : ۲۰ وغرر المصائب الواضحة ص ۴۰۶ والإمامة والسياسة ۲ : ۱۳۸ )

## ۱۶۲ — عهد الأمين على نفسه للرشيد

وحجَّ الرشيد ومعه ابنه محمد الأمين (۳) وعبد الله المأمون (۴) وقواده ووزراؤه

وقضائه سنة ۱۸۶ هـ ، فلما قضى مناسكته استكتب ولدَيْه الأمين والمأمون بخط يدهما

(۱) أشفى على الموت : أي أشرف .

(۲) ثقل كفرح فهو ثقل وثاقل : اشتد مرضه .

(۳) وأمه زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن المنصور .

(۴) وأمه أم ولد يقال لها مراجل .

عهدین ، عہدِ فیہما بالخلافة من بعده للأمين ، ثم من بعد الأمين للمأمون ، وأشهدَ فیہما ، وأمر بتعليقہما فی داخل الکعبة ، وتقدّم إلى حجّبتها فی حفظہما ومَنع من أراد إخراجہما والذہاب بہما .

ونسخة عهد الأمين - كما رواه الطبري - :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتابٌ لعبد الله هرون أمير المؤمنين ، كتبہ محمد بن هرون أمير المؤمنين فی صحّة من عقله ، وجوازٍ من أمره ، طائعاً غير مُكره : إن أمير المؤمنين ولأني العهد من بعده ، وصير البيعة لي في رقاب المسلمين جميعا ، وولي عبد الله بن هرون أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدى ، برضا مني وتسليم ، طائعاً غير مُكره ، وولاه خراسان وثغورها وكورها وحرّبها وجنّدها وخراجها وطرازها<sup>(۱)</sup> وبريدها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها وجميع أعمالها في حياته وبعده .

وشرطت لعبد الله هرون أمير المؤمنين ، برضا مني وطيب نفسي ، أن لأخي عبد الله بن هرون على الوفاء بما عقده هرون أمير المؤمنين ، من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعا بعدى ، وتسليم ذلك له ، وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلها وما أقطعه أمير المؤمنين من قطعة ، أو جعل له من عقدة<sup>(۲)</sup> أو ضيعة من ضياعه ، أو ابتاع من الضياع والعقد ، وما أعطاه في حياته وصحته ، من مال أو حليّ أو جوهر أو مفاع أو كسوة أو منزل أو دوابّ أو قليل أو كثير ، فهو لعبد الله بن هرون أمير المؤمنين مؤفرا مسلما إليه ، وقد عرفت ذلك كله شيئا شيئا .

(۱) الطراز : ما ينسج من الثياب للسلطان ، والموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد ، فارسي معرب ، وقد جاء في تاريخ الطبري ( ۱۰ : ۱۳۹ ) أنه كان للطراز دور كدور ضرب النقود .

(۲) العقدة : الضيعة والعقار الذي اعتقده صاحبه ملكا ( واعتقد الضيعة والمال : اقتناهما ) .

فإن حَدَّثَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَ الْمَوْتَ ، وَأَفْضَتِ الْخِلَافَةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
 فَعَلَى مُحَمَّدٍ إِنْفَازُ مَا أَمَرَ بِهِ هُرُونُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَلِيَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُرُونِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
 خِرَاسَانَ وَتُغُورَهَا ، وَمَنْ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَرْمَاسِينَ<sup>(۱)</sup> ، وَأَنْ يُمَضِيَ  
 عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى خِرَاسَانَ وَالرَّيَّ وَالْكُورَ الَّتِي سَمَّاها أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ كَانَ  
 عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَعْسُكِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِ مِنْ سُلْطَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَمِيعِ  
 مَنْ ضَمَّ إِلَيْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ أَحَبَّ مِنْ لَدُنِ الرَّيِّ إِلَى أَقْصَى عَمَلِ خِرَاسَانَ ، لَيْسَ لِمُحَمَّدِ  
 ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَحْوَلَ عَنْهُ قَائِداً وَلَا مَقُوداً وَلَا رَجُلاً وَاحِداً مَنْ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ  
 الَّذِينَ ضَمَّهُمْ إِلَيْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَحْوَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ وَلَا يَتَهَلَّى وَلَا يَلِ  
 إِيَّاهَا هُرُونُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تُغُورِ خِرَاسَانَ وَأَعْمَالِهَا كُلِّهَا ، مَا بَيْنَ عَمَلِ الرَّيِّ وَمَا بَيْنَ هَمْدَانَ  
 إِلَى أَقْصَى خِرَاسَانَ وَتُغُورَهَا وَبِلَادِهَا وَمَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهَا ، وَلَا يُشْخِصُهُ<sup>(۲)</sup> إِلَيْهِ ،  
 وَلَا يَفْرُقُ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَوَّادِهِ عَنْهُ ، وَلَا يُوَلِّيُّ عَلَيْهِ أَحَداً ، وَلَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى  
 أَحَدٍ مِنْ عَمَّالِهِ وَوُلاةِ أُمُورِهِ بُنْدَاراً<sup>(۳)</sup> وَلَا مُحَاسِباً وَلَا عَامِلاً ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي صَغِيرِ  
 مِنْ أَمْرِهِ وَلَا كَبِيرِ ضَرَرٍ وَلَا يَحْوُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْمَلٍ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِرَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ ،  
 وَلَا يَعْزِضُ لِأَحَدٍ مَنْ ضَمَّ إِلَيْهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحَابَتِهِ وَقُضَاتِهِ وَعَمَّالِهِ  
 وَكُتَّابِهِ وَقَوَّادِهِ وَخَدَمِهِ وَمَوَالِيهِ وَجُفَدِهِ ، بِمَا يَلْتَمَسُ إِدْخَالَ الضَّرَرِ وَالْمَكْرُوهِ عَلَيْهِمْ ،  
 فِي أَنْفُسِهِمْ وَلَا قَرَابَاتِهِمْ وَلَا مَوَالِيهِمْ ، وَلَا أَحَدٍ يُنْسَلُ<sup>(۴)</sup> مِنْهُمْ ، وَلَا فِي دِمَائِهِمْ  
 وَلَا فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَلَا فِي ضِيَاعِهِمْ وَدُورِهِمْ وَرِبَاعِهِمْ<sup>(۵)</sup> وَأَمْتَعَتِهِمْ وَرَقِيقَتِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ ،  
 شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ صَغِيراً وَلَا كَبِيراً ، وَلَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بِأَمْرِهِ وَرَأْيِهِ وَهَوَاهُ ، وَبِتَرْخِيصِ

(۱) قَرْمَاسِينَ : مَوْضِعٌ ، قَالَ بَاقُونَ : أَظْهَرَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ .  
 (۲) أَيْ وَلَا يَقْدِمُهُ إِلَيْهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « وَلَا شَخْصَهُ إِلَيْهِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
 (۳) الْبُنْدَارُ : التَّاجِرُ الَّذِي يَخْزِنُ الْبَضَائِعَ لِلْغَلَاءِ وَجَمْعُهُ بِنَادِرَةٌ ، دَخِيلٌ .  
 (۴) أَيْ يُولَدُ ، نَسْلٌ كَنَصْرٍ وَأَنْسَلٌ : وَلا ، وَفِي الْأَصْلِ « يَنْسَلُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
 (۵) الرَّبَاعُ : جَمْعُ رِبْعٍ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْمَنْزَلُ .

له في ذلك ، وإدھان<sup>(۱)</sup> منه فيه ، لأحد من ولد آدم ، ولا يحكم في أمرهم ولا أحد من قضاة ومن عماله ومن كان بسبب منه ، بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأى قضاة .

وإن نزع<sup>(۲)</sup> إليه أحد ممن ضمَّ أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، من أهل بيت أمير المؤمنين وسحابة وقواده وعماله وكتابه وخدمه ومواليه وجنده ، ورفض اسمه ومكتبه ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين ، عاصياً له أو مخالفاً عليه ، فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين بصغر<sup>(۳)</sup> له وقماء ، حتى يُنفذ فيه رأيه وأمره .

فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده ، أو عزل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وثغورها وأعمالها ، والذي من حدَّ عملها مما يلي همدان ، والكور التي سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا ، أو صرف أحد من قواده الذين ضمَّهم أمير المؤمنين إليه ممن قدِم قرمسين ، أو أن ينتقصه قليلاً أو كثيراً مما جعله أمير المؤمنين له ، بوجه من الوجوه ، أو بحيلة من الحيل ، صغرت أو كبرت ، فلعبد الله بن هرون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين ، وهو المقدم على محمد ابن أمير المؤمنين ، وهو وليُّ الأمر من بعد أمير المؤمنين ، والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هرون من أهل خراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين في جميع الأجناد والأمصار ، لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، والقيام معه والمجاهدة لمن خالفه ، والنصر له والذب عنه ، ما كانت الحياة في أبدانهم ، وليس لأحد منهم جميعاً من كانوا أو حيث كانوا أن يخالفه ، ولا يفضيه ، ولا يخرج من طاعته ، ولا يطيع محمد ابن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هرون أمير المؤمنين ، وصرف العهد عنه

(۱) الإدھان . إظهار خلاف ما يضر والنش .

(۲) أي مال . (۳) الصغر : كعيب ، والصغار بالفتح : القل ، وكذا القماء والقمامة .

من بعده إلى غيره ، أو ينتقصه شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هرون في حياته وصحته ، واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام في هذا الكتاب ، وعبدُ الله ابن أمير المؤمنين المصدقُ في قوله ، وأتم في حلٍّ من البيعة التي في أعناقكم لحمد ابن أمير المؤمنين هرون إن نقص شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هرون ، وعلى محمد ابن هرون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين هرون ، ويسلم له الخلافة وليس لمحمد ابن أمير المؤمنين هرون ، ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، أن يخلعا القاسم (١) ابن أمير المؤمنين هرون ولا يقدم ما عليه أحداً من أولادها وقراباتها ولا غيرهم من جميع البرية ، فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، فالأمرُ إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده ، أو صرف ذلك عنه إلى من رأى من ولده وإخوته ، وتقديم من أراد أن يقدم قبله ، وتصيير القاسم ابن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله ، يحكم في ذلك بما أحب ورأى .

فعليناكم معشر المسلمين إنفاذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا ، وشرط عليهم ، وأمر به ، وعليكم السمع والطاعة لأمر المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، وعهد الله وذمته ورسوله صلى الله عليه وسلم وذمم المسلمين والعهود والمواثيق التي أخذ الله على الملائكة المقربين والنبیین والمرسلين ، ووكلها في أعناق المؤمنين والمسلمين : لتكن لعبد الله أمير المؤمنين بما سمى ، ولحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سمى وكتب في كتابه هذا واشترط عليكم وأقررتم به على أنفسكم ، فإن أتم بدلتكم من ذلك شيئاً أو غيرتم أو نكثتم أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين واشترط عليكم في كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذمم المؤمنين والمسلمين ، وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم

(١) وكان يلقب بالمؤمن ، وأمه أم ولد يقال لها قصف ( والمعتم بن الرشيد أمه أم ولد أيضا

يقال لها ماردة ) .

أو يستفیده إلى خمین سنة فهو صدقة على المساکین ، وعلى کل رجل منکم المشیء  
إلى بیت الله الحرام الذی بمكة خمین حجّة نذراً واجباً لا یقبل الله منه إلا الوفاء بذلك ،  
وکل مملوک لأحد منکم أو یملکه فیما یستقبل إلى خمین سنة حرّاً ، وکل امرأة له  
فهی طالق ثلاثاً ألبتة طلاق الحرج<sup>(۱)</sup> لامثنویة فیها ، والله علیکم بذلك کفیل  
وراع وکنی بالله حسیباً . (تاریخ الطبری ۱۰ : ۷۳)

### ۱۶۳ - صورة أخرى

وروی صاحب الصبح الأعشى عهد الأمين بصورة أخرى . وهی :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا کتاب لعبد الله هرون أمير المؤمنين ، کتبه له  
محمد ابن أمير المؤمنين ، فی صحّة من بدنه وعقله ، وجواز من أمره ، طائماً غیر  
مُکره .

إن أمير المؤمنين هرون ولأنی العهد من بعده ، وجعل لی البیمة فی رقاب المسلمین  
جمعاً ، وولّى أخى عبد الله ابن أمير المؤمنين هرون العهد والخلافة وجميع أمور المسلمین  
من بعدی ، برضا منی وتسلیم ، طائماً غیر مُکره ، وولّاه خراسان بثغورها وکورها  
وجنودها وخراجها وطرازها وبریدها وبيوت أموالها وصدقاتها وشرها وعشورها ،  
وجميع أعمالها ، فی حیاته وبعد وفاته ، فشرطت لعبد الله ابن أمير المؤمنين علی الوفاء بما  
جعل له أمير المؤمنين هرون ، من البيعة والعهد وولاية الخلافة وأمور المسلمین بعدی ،  
وتسلیم ذلك له ، وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها ، وما أقطعه أمير المؤمنين  
هرون من قطعة ، وجعل له من عقدة أو ضیعة من ضیاعه وعقده ، أو اتباع له من  
الضیاع والعقد ، وما أعطاه فی حیاته وصحّته : من مال أو حلیّ أو جوهر أو متاع  
أو کسوة أو رقیق أو منزل أو دواب ، قليلاً أو كثيراً ، فهو لعبد الله ابن أمير المؤمنين ،

(۱) انظر ص ۱۴۰ ، ويقال : حلف یینا لامثنویة فیها : أى لا استثناء فیها .

مُوفراً عليه مُسأماً له ، وقد عرَفتُ ذلك كله شيئاً فشيئاً باسمه وأصفاقه ومواضعه ،  
أنا وعبد الله بن هرون أمير المؤمنين ، فإن اختلفنا في شيء منه ، فالقولُ فيه قولُ  
عبد الله بن هرون أمير المؤمنين ، لا أتبعه بشيء من ذلك ، ولا آخذُه منه ، ولا  
أنتقصُه صغيراً ولا كبيراً من ماله ، ولا من ولاية خراسان ولا غيرها ، مما ولّاه  
أميرُ المؤمنين من الأعمال ، ولا أعرِضُه عن شيء منها ، ولا أخلعه ولا أستبدلُ به غيره ،  
ولا أقدمُ عليه في العهد والخلافة أحداً من الناس جميعاً ، ولا أدخلُ عليه مكروهاً  
في نفسه ولا دمه ولا شعره ولا بشره<sup>(۱)</sup> ، ولا خاصاً ولا عامّاً من أموره وولاياته ، ولا  
أمواله ولا قطائعه ولا عقده ، ولا أغيرُ عليه شيئاً لسبب من الأسباب ، ولا آخذُه ولا أحداً  
من نعمته وكتابه وولاية أمره ممن صحبه وأقام معه بمعاينة ، ولا أتتبعُ شيئاً جرى  
على يديه وأيديهم في ولاية خراسان وأعمالها وغيرها ، مما ولّاه أميرُ المؤمنين في حياته  
وصحّته ، من الجباية والأموال والطرّاز والبريد والصدقات والعُشور والعُشور وغير  
ذلك ، ولا أمرُ بذلك أحداً من الناس ولا أرخصُ فيه لعيرى ، ولا أحدثُ نفسى فيه  
بشيء أمضيه عليه ، ولا أتمسُّ قطيعةً له ، ولا أنقضُ شيئاً مما جعله له هرون أمير المؤمنين  
وأعطاهُ في حياته وخلافته وسلطانه ، من جميع ما سمّيتُ في كتابى هذا ، وآخذُ له هلى  
وعلى جميع للناس البيعة ، ولا أرخصُ لأحد - من جميع الناس كلهم في جميع ما ولّاه -  
في خلعه ولا مخالفته ، ولا أسمع من أحد - من البرية في ذلك قولاً ، ولا أرضى بذلك  
في سرّاً ولا علانية ، ولا أغمضُ عليه ، ولا أتغافلُ عنه ، ولا أقبلُ من برّة من العباد  
ولا فاجرٍ ، ولا صادقٍ ولا كاذبٍ ، ولا ناصحٍ ولا غاشٍ ، ولا قريبٍ ولا بعيدٍ ، ولا أحدٍ  
من ولد آدم عليه السلام ، من ذكرٍ ولا أنثى ، مشورةً ولا حيلةً ولا مكيدةً في شيء  
من الأمور : سرّاً وعلانية ، وحقّها وباطلها ، وظاهرها وباطنها ، ولا سببٍ من

(۱) البشر : ظاهر جلد الإنسان ، جمع بشرة .



الأسباب ، أريدُ بذلك إفسادَ شيءٍ مما أعطيتُ عبد الله بن هرون أمير المؤمنين من نفسى ، وأوجبتُ له علىّ ، وشرطتُ وسمّيتُ فى كتابى هذا .

وإن أراد به أحدٌ من الناس أجمعين سوءاً أو مكروهاً ، أو أراد خنعه أو محاربتَه أو الوصولَ إلى نفسه ودمه أو حرّمه أو ماله أو سلطانه أو ولايته ، جميعاً أو فرادى مُسرّين أو مظهرين له ، فإنى أنصُرُه وأحوطُه<sup>(١)</sup> وأدفعُ عنه ، كما أدفعُ عن نفسى ومُهْجَتى ودمى وشعرى وبشرى وحرّمى وسلطانى ، وأجهزُ الجنودَ إليه ، وأعينه على كل من غشّه وخالفه ، ولا أمليه<sup>(٢)</sup> ولا أخذله ولا أتخلى عنه ، ويكونُ أمرى وأمرُه فى ذلك واحداً أبداً ما كنتُ حيّاً

إن حدّثَ بأمر المؤمنين هرون حدّثُ الموت ، وأنا وعبد الله ابن أمير المؤمنين بحضرة أمير المؤمنين ، أو أحدنا ، أو كنا غائبين عنه جميعاً ، مجتمعين كنا أو متفرقين ، وليس عبد الله بن هرون أمير المؤمنين فى ولايته بخراسان ، فعلى لعبد الله ابن أمير المؤمنين أن أمضيه إلى خراسان ، وأن أسلمَ له ولايتها بأعمالها كلها وجنودها ، ولا أعرفه عنها ، ولا أحبّه قبلى ، ولا فى شيء من البلدان دون خراسان ، وأعجلُ إشخاصه إلى خراسان ، وإلياً عليها مفرداً بها ، مفوضاً إليه جميعُ أعمالها كلها ، وأشخصُ معه مَنْ ضمّ إليه أمير المؤمنين من قواده وجنوده وأصحابه وكتابه وعمّاله ومواليه وخدمته ، ومن تبعه من صنوف الناس بأهلهم وأموالهم ، ولا أحبّسُ عنه أحداً ، ولا أشركُ معه فى شيء منها أحداً ، ولا أرسلُ أميناً ولا كاتباً ولا بُنداراً ، ولا أضربُ على يديه فى قليل ولا كثير .

وأعطيتُ هرونَ أمير المؤمنين وعبد الله بن هرون على ما شرطتُ لها على نفسى ، من جميع ما سمّيتُ وكتبتُ فى كتابى هذا عهدَ الله وميثاقه ، وذمّة أمير المؤمنين وذمّتى وذمّة آبائى وذمّم المؤمنين ، وأشدّ ما أخذَ اللهُ تعالى على الغيبين وللرسولين

(١) حاله : صانه وحفظه . (٢) أسله : خذله .

وخلقه أجمعين ، من عهوده وموآثيقه ، والأيمان الموكدة التي أمر الله عز وجل الوفاء بها ، ونهى عن نقضها وتبديلها .

فإن أنا نقضتُ شيئاً مما شرطتُ لهرون أمير المؤمنين ولعبد الله بن هرون أمير المؤمنين ، وسميتُ في كتابي هذا ، أو حدثتُ نفسي أن أنقضَ شيئاً مما أنا عليه ، أو غيرتُ أو بدّلتُ ، أو حلتُ أو غدرتُ ، أو قبلتُ ذلك من أحد من الناس : صغيراً أو كبيراً ، برّاً أو فاجراً ، ذكراً أو أنثى ، وجماعةً أو فرادى ، فبرئتُ من الله عز وجل ومن ولايته ومن دينه ومن محمد صلى الله عليه ، ولقيتُ الله عز وجل يوم القيامة كافراً مشركاً ، وكلُّ امرأة هي اليوم لي أو أتزوجها إلى ثلاثين سنةً طالقاً ثلاثاً البتةً طلاق الخرج ، وقلّ المنيُّ إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجّةً : نذراً واجباً لله تعالى في عُنقِي ، جافياً راجلاً ، لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك ، وكلُّ مالٍ هو لي اليوم ، أو أمليكه إلى ثلاثين سنةً هدىً (۱) بالغ الكعبة الحرام ، وكلُّ مملوك هو لي اليوم أو أمليكه إلى ثلاثين سنةً أحراراً لوجه الله عز وجل .

وكلّ ما جعلتُ لأمير المؤمنين ولعبد الله بن هرون أمير المؤمنين وكتبته وشرطته لها ، وحلفتُ عليه ، وسميتُ في كتابي هذا ، لازمٌ لي الوفاء به ، لا أضمر غيره ، ولا أنوي إلا إياه ، فإن أضمرتُ أو فويتُ غيره ، فهذه العقود والموآثيق والأيمان كلها لازمة لي ، واجبةٌ عليّ ، وقواد أمير المؤمنين وجنوده وأهل الآفاق والأمصار ، في حلٍّ من خلعي وإخراجي من ولايتي عليهم ، حتى أكون سُوقَةً من الشوق ، وكرجلٍ من عرض (۲) المسلمين ، لاحقٌ لي عليهم ، ولا ولاية ، ولا تبعّة لي قبّلتهم ، ولا تبعّة لي في أعناقهم ، وهم في حلٍّ من الأيمان التي أعطوني ، برّاً من تبعتها ووزرها في الدنيا والآخرة .

شهد سليمان ابن أمير المؤمنين المنصور ، وعيسى بن جعفر ، وجعفر بن جعفر ،

(۱) الهدى : ما يهدى إلى الحرم . (۲) عرض الشيء بالضم : وسطه وناحيته .

وعبد الله بن المهدي ، وجعفر بن موسى أمير المؤمنين ، وإسحاق بن موسى أمير المؤمنين ،  
 وإسحاق بن عيسى بن علي ، وأحمد بن إسماعيل بن علي ، وسليمان بن جعفر بن سليمان ،  
 وعيسى بن صالح بن علي ، وداود بن عيسى بن موسى ، ويحيى بن عيسى بن موسى ،  
 وداود بن سليمان بن جعفر ، وخزيمة بن خازم ، وهرة بن أعين ، ويحيى بن خالد ،  
 والفضل بن يحيى ، وجعفر بن يحيى ، والفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين ، والقاسم  
 ابن الربيع مولى أمير المؤمنين ، ودمانة بن عبد العزيز العبدي ، وسليمان بن عبد الله  
 الأصم ، والربيع بن عبد الله الحارثي ، وعبد الرحمن بن أبي الشتر النخاسي ، ومحمد بن  
 عبد الرحمن قاضي مكة ، وعبد الكريم بن شعيب الحجبي ، وإبراهيم بن عبد الله  
 الحجبي ، وعبد الله بن شعيب الحجبي ، ومحمد بن عبد الله بن عثمان الحجبي ، وإبراهيم  
 ابن عبد الرحمن بن نبيه الحجبي ، وعبد الواحد بن عبد الله الحجبي ، وإسماعيل بن عبد الرحمن  
 ابن نبيه الحجبي ، وأبان مولى أمير المؤمنين ، ومحمد بن منصور ، وإسماعيل بن صبيح ،  
 والحارث مولى أمير المؤمنين ، وخالد مولى أمير المؤمنين .

وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة . ( مسج الأعشى ١٤ : ٨٥ )

## ١٦٤ - عهد المأمون على نفسه للرشيد

ونسخة عهد المأمون :

« هذا كتاب لعبد الله هرون أمير المؤمنين ، كتبته له عبد الله بن هرون أمير المؤمنين  
 في صحة من عقله ، وجواز من أمره ، وصدق ثبته فيما كتب في كتابه هذا ، ومعرفة  
 بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين ، إن أمير المؤمنين هرون  
 ولأني العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين في سلطانه ، بعد أخي محمد بن هرون ، ولأني  
 في حياته وبعده نفور خراسان وكورها وجميع أعمالها : من الصدقات والعشر والبريد  
 والطراز وغير ذلك ، وشرط لي على محمد بن هرون الوفاء بما عقد لي من الخلافة وولاية

أمور العباد والبلاد بعده وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لي في شيء مما أقطعني أمير المؤمنين ، أو ابتاع لي من الضياع والعقد والدور والرّباع ، أو ابتعت منه لنفسى من ذلك ، وما أعطاني أمير المؤمنين من الأموال والجواهر والكسا والمتاع والدوابّ والرقيق وغير ذلك ، ولا يعرض لي ولا لأحد من عمالي وكتّابي بسبب محاسبة ، ولا يتتبع لي في ذلك ولا لأحد منهم أثراً ، ولا يدخل عليّ ولا عليهم ولا على من كان معي ، ومن استعنت به من جميع الناس ، مكروهاً في نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال ولا صغير من الأمور ولا كبير ، فأجابته إلى ذلك وأقرّ به ، وكتب له كتاباً أكد فيه على نفسه ، ورضي به أمير المؤمنين هرون وقبائه ، وعرف صدق نيته فيه ، فشرطتُ لأمر المؤمنين وجمعتُ له على نفسه أن أسمع لحمد وأطيعه ولا أعصيه ، وأنصحّه ولا أغشّه ، وأوفّي ببيعةه وولايته ، ولا أغدير ولا أنكث ، وأنفذ كتبه وأموره ، وأحسن موازرتّه ومكافئته<sup>(١)</sup> ، وأجاهد عدوّه في ناحيتي بأحسن جهاد ، ما وقي لي بما شرط لي ولأمر المؤمنين في أمرى ، وسمّي في الكتاب الذى كتبه لأمر المؤمنين ، ورضي به أمير المؤمنين ، ولم ينقص شيئاً من ذلك ، ولم ينقض أمراً من الأمور التى شرطها أمير المؤمنين لي عليه .

فإن احتاج محمد ابن أمير المؤمنين إلى جند ، وكتب إلىّ بأمرنى بإشخاصه إليه ، أو إلى ناحية من النواحي ، أو إلى عدو من أعدائه ، خافه أو أراد نقص شيء من سلطانه أو سلطاني ، الذى أسنده أمير المؤمنين إلينا ولا لنا إياه ، فعلىّ أن أنفذ أمره ولا أخالفه ولا أقصر في شيء كتب به إلىّ .

وإن أراد محمد أن يولّي رجلاً من ولده المهدّ والخلافة من بعدى ، فذلك له ، ما وقي لي بما جعله أمير المؤمنين إلىّ ، واشترطه لي عليه ، وشرط على نفسه في أمرى ، وعلىّ إنفاذ ذلك والوفاء له به ، ولا أنقص من ذلك ولا أغيّره ولا أبدله ، ولا أقدم قبله

(١) المكافئة : الموازنة والمعاونة .

أحدا من ولدي ، ولا قريبا ولا بعيدا من الناس أجمعين ، إلا أن يُؤتي أمير المؤمنين هرون أحدا من ولده العهد من بعدي ، قِيلَزَمْنِي ومحمداً الوفاء له .

وجعلت لأمير المؤمنين ومحمد عليّ الوفاء بما شرطتُ وسمّيتُ في كتابي هذا ، ما وقي لي محمد بجميع ما اشترط لي أمير المؤمنين عليه في نفسي ، وما أعطاني أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة في هذا الكتاب الذي كتبه لي ، وعلى عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتي وذمم آبائي وذمم المؤمنين ، وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين ، من عهوده وموآثيقه والأيمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها ، ونهى عن نقضها وتبديلها ، فإن أنا نقضت شيئا مما شرطتُ وسمّيتُ في كتابي هذا ، أو غيرت أو بدلت أو نكثت أو غدرت ، فبرئت من الله عز وجل ومن ولايته ودينه ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقيتُ الله يوم القيامة كافرا مشركا ، وكل امرأة هي لي اليوم أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثا ألبتة طلاق الحرج ، وكل مملوك هو لي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله ، وعلى المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حججة نذرا واجبا عليّ في عنقي ، حافيا راجلا ، لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك ، وكل مال هو لي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة ، وكل ما جعلتُ لأمير المؤمنين وشرطتُ في كتابي هذا لازم لي ، لا أضير غيره ، ولا أنوي سواه .

وشهد سليمان ابن أمير المؤمنين ، وفلان ، وفلان ،

وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة<sup>(۱)</sup>

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۷۶ ، وصبح الأعشى ۱۴ : ۸۹ )

(۱) ولم يزل هذان الفرطان معلقين في جوف الكعبة حتى مات الرشيد ، فلما انقضت سنتان من خلافة الأمين كلم الفضل بن الربيع وزيره محمد بن عبد الله المحبب لانيانته بهما فترعهما من الكعبة وذهب بهما إلى بغداد ، فأخذهما الفضل ففرقهما وأحرقهما بالنار .

## ۱۶۵ - کتاب الرشید إلى عماله

وكتب الرشيد إلى عماله في هذا الشأن :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ فإن الله ولىَّ أمير المؤمنين وولِيَّ ما وُلاهُ ، والحافظُ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه ، والصانعُ له فيما قدَّم وأخر من أموره ، والمنعمُ عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها ، والكافي<sup>(۱)</sup> والحافظ والكافي من جميع خلقه ، وهو المحمود على جميع آلائه<sup>(۲)</sup> ، المسهولُ تمامَ حُسنِ ما أمضى من قضائه لأمر المؤمنين ، وعادته الجميلة عنده ، وإلهام ما يرضى به ، ويوجبُ له عليه أحسنَ الزيد من فضله .

وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ، ما تولى الله من محمد وعبد الله ابني أمير المؤمنين ، من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ، ومدت إليه أعناقها ، وقذف الله لها في قلوب العامة من المحبة والموودة والسكون إليهما والثقة بهما ، إعمار دينهم ، وقوام أمورهم ، وجمع ألفتهم ، وصلاح دعاتهم<sup>(۳)</sup> ، ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم ، حتى ألقوا إليهما أزمتهن ، وأعطوا بيعتهم ، وصفقات أيمانهم بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المفاظة عليهم ، أراد الله فلم يكن له مرد ، وأمضاه قلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته ، ولا صرف له عن محبته ومشيبته ، وما سبق في علمه منه ، وأمير المؤمنين برجو تمام النعمة عليه وعليهما في ذلك وعلى الأمة كافة ، لا عاقب لأمر الله ، ولا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من

(۱) أي الحارس والحافظ .

(۲) الآلاء : النعم ، واحدها إلى كعمل ، وألوا إلى كشمس وأل كفتى وإلى كفتى .

(۳) الدهاء : جماعة الناس .

بعد أمير المؤمنين ، ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين ، يُعْمَلُ  
فِكْرَهُ وَرَأْيَهُ وَنَظْرَهُ وَرَوَيْتَهُ فِيمَا فِيهِ الصَّلَاحُ لَهَا وَلِجَمِيعِ الرِّعِيَةِ ، وَالْجَمْعُ لِكَلِمَةٍ ، وَاللَّمُّ  
لِلشَّعْثِ ، وَالذَّفْعُ لِلشَّتَاتِ وَالْفُرْقَةُ ، وَالْحَسْمُ لِكَيْدِ أَعْدَاءِ النِّعَمِ ، مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ  
وَالنِّفَاقِ ، وَالغِلُّ وَالشَّقَاقُ ، وَالقَطْعُ لِأَمَانِهِمْ مِنْ كُلِّ فُرْصَةٍ يَرْجُونَ إِدْرَاكَهَا وَاتِّهَازَهَا  
مِنْهَا بِاتِّقَاصِ حَقِّهَا ، وَيَسْتَخِيرُ اللَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ ، وَيَسْأَلُهُ الْعَزِيمَةَ لَهُ عَلَى  
مَا فِيهِ الْخَيْرَةُ لَهَا وَلِجَمِيعِ الْأُمَّةِ ، وَالقُوَّةُ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَحَقِّهِ ، وَاتِّتْلَافُ أَهْوَاهُمَا ، وَصَلَاحُ  
ذَاتِ بَيْنِهِمَا ، وَتَحْصِينُهُمَا مِنْ كَيْدِ أَعْدَاءِ النِّعَمِ ، وَرَدُّ حَسَدِهِمْ وَمَكْرَمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ وَسَعْيِهِمْ  
بِالنِّسَادِ بَيْنَهُمَا فَعَزَمَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الشُّخُوصِ بِهَا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ  
مِنْهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْإِنْفَازِ لِأَمْرِهِ ، وَكَتَابَ الشَّرْطِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ  
مِنْهَا ، لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِهَا ، بِأَشَدِّ الْمَوَاتِيْقِ وَالْعَهُودِ وَأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ وَالتَّوَكِيدِ ، وَالْأَخْذِ  
لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى صَاحِبِهِ ، بِمَا التَّمَسُّ بِهٖ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اجْتِمَاعَ أَلْمَتِهَا وَمَوَدَّتِهَا  
وَتَوَاصُلِهَا وَمُؤَاوَزَتِهَا وَمَكَانَفَتِهَا عَلَى حُسْنِ النَّظَرِ لِأَنْفُسِهَا وَلِوَعِيَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي  
اصْتَرَعَاهَا ، وَالْجَمَاعَةَ لِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكُتَابِهِ وَسُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْجِهَادَ  
لِعَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا ، وَقَطَعَ طَمَعِ كُلِّ عَدُوٍّ مُظْهِرٍ لِلْعَدَاوَةِ وَمُسِيرٍ لَهَا  
وَكَلِّ مَنَافِقٍ مَارِقٍ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ الضَّالَّةِ الْمُضَلَّةِ مِنْ فِرْقَةٍ تَكِيدُ بِكَيْدِ تَوَقُّعِهِ بَيْنَهُمَا ،  
وَيَدْحَسُ تَدْحَسًا (١) بِهِ لَهَا ، وَمَا يَلْتَمَسُ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاءُ النِّعَمِ وَأَعْدَاءُ دِينِهِ ، مِنْ  
الضَّرْبِ بَيْنَ الْأُمَّةِ ، وَالسَّعْيِ بِالنِّسَادِ فِي الْأَرْضِ ، وَالدَّعَاةِ إِلَى الْبِدْعِ وَالضَّلَالَةِ ، نَظْرًا  
مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِدِينِهِ وَرِعِيَّتِهِ وَأُمَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنَاصِحَةِ اللَّهِ وَجَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ ، وَذَبَابًا عَنِ سُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي قَدَّرَهُ وَتَوَحَّدَ فِيهِ لِذِي حَمَلِهِ إِيَّاهُ ، وَالْإِجْتِهَادَ فِي كُلِّ  
مَا فِيهِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ ، وَمَا يَنْبَالُ بِهِ رِضْوَانُهُ وَالْوَسِيلَةَ عِنْدَهُ .

فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أَظْهَرَ لِحَمْدِ وَعَبْدِ اللَّهِ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ ، وَمَا نَظَرَ فِيهِ لَهَا ، فَتَقَبَّلَا كُلَّ

(١) دحس بينهما : كنع ذنبا : أفد ، ودحس بالشر : دسه من حيث لا يعلم .

مادعاهما إليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله وكتب بالأمر المؤمنين في بطن بيت الله الحرام  
مخطوط أيديهما ، بِمَحْضَرٍ مِّنْ شَهِدِ الْمَوْسِمِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوَّادِهِ وَصَحَابَتِهِ  
وَقُضَاتِهِ وَحُجَّابَةِ الْكَعْبَةِ وَشَهَادَاتِهِمْ عَلَيْهِمَا كِتَابِينَ ، اسْتَوْدَعَهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحُجَّابَةَ ،  
وَأَمَرَ بِتَعْلِيْقِهِمَا فِي دَاخِلِ الْكَعْبَةِ .

فَلَمَّا فَرَّغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي دَاخِلِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَبَطْنِ الْكَعْبَةِ أَمَرَ  
قُضَاتَهُ الَّذِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِمَا ، وَعَضَّرُوا كِتَابَهُمَا ، أَنْ يُعَلِّمُوا جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ الْمَوْسِمَ مِنَ  
الْحَاجِّ وَالْعُمَّارِ<sup>(١)</sup> وَوَفُودِ الْأَمْصَارِ مَا شَهِدُوا عَلَيْهِ مِنْ شَرْطِهِمَا وَكِتَابِهِمَا ، وَقِرَاءَةَ ذَلِكَ  
عَلَيْهِمْ ، لِيَفْهَمُوهُ وَيَعُوهُ<sup>(٢)</sup> وَيَعْرِفُوهُ وَيَحْفَظُوهُ ، وَيُبَوِّدُوهُ إِلَى إِخْوَانِهِمْ وَأَهْلِ بِلَادِهِمْ  
وَأَمْصَارِهِمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَقُرِئَ عَلَيْهِمُ الشَّرْطَانِ جَمِيعًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَانصَرَفُوا  
وَقَدْ اشْتَمَرُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ وَأَثْبَتُوا الشَّهَادَةَ عَلَيْهِ ، وَعَرَفُوا نَظَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِنَايَتَهُ بِصَلَاحِهِمْ ،  
وَحَقَّنَ دِمَائِهِمْ ، وَكَلَّمَ شَعْبَهُمْ ، وَإِطْفَاءَ جَمْرَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَجَمَاعَةِ  
الْمُسْلِمِينَ عَنْهُمْ ، وَأَظْهَرُوا الدَّعَاءَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاللِّشْكَرَ لِمَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ .

وَقَدْ نَسَخَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَيْنِكَ الشَّرْطَيْنِ اللَّذَيْنِ كَتَبَهُمَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ  
مُحَمَّدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ فِي بَطْنِ الْكَعْبَةِ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ هَذَا ، فَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا صَنَعَ  
لِحَمْدِ وَعَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا ، وَاشْكُرْهُ بِبِلَائِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَعِنْدَ وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدَكَ وَعِنْدَ جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا ،  
وَاقْرَأْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْفِهِمْ إِيَّاهُ ، وَقُمْ بِهِ  
بَيْنَهُمْ وَأَثْبِتْهُ فِي الدِّيْوَانِ قَبْلَكَ وَقَبْلَ قَوَّادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَعِيَّتِهِ قَبْلَكَ ، وَارْكَبْ إِلَى  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَبِهِ الْخَوْلُ  
وَالْقُوَّةُ وَالطَّوْلُ .

(١) العمار : المتعمرون - والفرق بين الحج والعمرة : أن العمرة تكون للإنسان في السنة كلها ،  
والحج وقت واحد في السنة .  
(٢) وعاه يعيه : حفظه .



وكتب إسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست  
وثمانين ومائة .  
(تاريخ الطبري ١٠ : ٧٧)

## ١٦٦ - رسالة يحيى بن زياد الحارثي في تقرّظ الرشيد

« أما بعد : فإني أسألُ اللهَ لأمير المؤمنين في غابرِ أموره ، أحسنَ ما عَوَدَه في  
سالفِها ، من السلامة التي حرَّسَه بها من المكارِه ، والعِزُّ الذي قهرَ له به الأعداء ،  
والنصر الذي مكَّنَ له في البلاد ، والهدى الذي وهبَ له به الحجة ، والرِّفق الذي أدَّرَ  
له به الخَلَبُ<sup>(١)</sup> والامتصَّاح الذي اتَّسَقَتْ له به الرعية ، حتى يكون - بما أعطاه من  
ذلك ، وما هو مُستَقْبَلٌ به منه - أهدى خُلَفائِه في الخير ذكرا ، وأبقاهم في العزل أثرا  
وأطوَّكهم في العمر مدةً ، وأحسنهم في المعاد مُنتَلَبًا .

ثم نحمدُ اللهَ الذي جعلَ نِعْمَتَه على أمير المؤمنين شواهدَ منه على منزلته منه ،  
ومكانه عنده ، لا يحتاجُ معها إلى شهادات المُشِينِ ، ولا صفاتِ المقرِّظين ، ثم جعلَ ذكرَ  
نِعْمَتِه على أمير المؤمنين ومُنَاصَحَتِها والمجاهدةَ لمن كادَها ، فريضةً أوجبَها على العباد ،  
ومحنةً امتحنهم بها ، وفرقانا مبرزَ به بينهم ، فمن أصبحَ من رعيته أكثرُ شُغله أن  
يستعملَ لسانَه في صِفَتِه ، وذكرِ محاسنه وفضائله ، ووجوبِ حقه وطاقته ، فقد أصبحَ  
أثرا أولى الأمور وأحسنها مَغَبَّةً في دنياه ودينه ، ومن بدلَ ذلك عن قدرة عليه ،  
ودفعَه بعد معرفة ، فلم يدعُه إلا عن خِذلانِ حاقَ به ، أو بدعةٍ استمالتَه ، وكانت  
حُجَّةُ اللهَ لأمير المؤمنين عليه هي الكافية لِثبوتِه ، وقد كان علماء الناس وجهاتهم  
يسوون في عامِّ المعرفة بفضل أمير المؤمنين ، فأما الخاصُّ فلاهل الفضل فيه فضلهم ، غيرَ  
أنه مها كان من ذلك فقد أصبحوا وهم فيه على منازل ثلاث : حامدٌ حَجَبَ الحمدُ

(١) الخلب بالتحريك : اللبن المخلوب .

بَعْرَهُ عَنْ مَوَاقِعِ الصَّوَابِ أَنْ يَرَاهُ ، وَالنَّعْمَةَ أَنْ يَشْكُرَهَا ، وَالْحَقَّ أَنْ يُؤَدِّيَهُ ، وَكَانَتْ مَعْرِفَتُهُ عَلَيْهِ وَبَالًا ، وَحَسَدُهُ إِلَى الْغَيْرِ بِهِ قَائِدًا ، وَذُو هَوَى قَادَهُ الْهَوَى إِلَى الْبِدْعَةِ ، وَأَخْرَجَتْهُ الضَّلَالَةُ مِنَ الْجَمَاعَةِ ، فَهُوَ عُرْضَةٌ لِسُوءِ الْأَدَبِ أَوْ سَيْفِ النَّكَالِ ، لَمْ يُوحِشِ اللَّهُ أَحَدًا بِفَقْدِهِ <sup>(۱)</sup> ، وَلَمْ يَعْزُرْ <sup>(۲)</sup> أَحَدًا بِمَوَالَاتِهِ ، وَمُوثِقٌ مَعْصُومٌ <sup>(۳)</sup> اسْتَنْقَذَهُ اللَّهُ بِمَوَالَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غِلِّ الْحَسَدِ ، وَبِدْعِ الْأَرَاءِ ، وَجَبَّاهُ عَلَى صِحَّةِ الْهَوَى ، فَهُوَ إِنْ نَظَرَ فَبِعَيْنِهِ يَنْظُرُ ، وَإِنْ قَالَ فَبِلِسَانِهِ يَقُولُ ، لَا يَأْمَنُ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اسْتَوْطَأَ مَهَادَ الْخَفْضِ ، وَلَا يَزَالُ لَهُ طَلِيعَةٌ رَأَى تُوْفِي عَلَى خُطَّةِ حَزْمٍ ، وَغَامِضٌ فِطْنَةٍ تَغْلَغُلُ إِلَى لَطِيفِ مَنَفَعَةٍ ، وَسَهْمٌ مَكِيدَةٌ مَحْوِ عَوْرَةٍ <sup>(۴)</sup> ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ يَوْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمُهُ ، وَأَنَّ عَدُوَّهُ عَدُوُّهُ ، فَهُوَ إِنْ تَعَرَّضَ لِأَدَاءِ الْحَقِّ فِي نَصِيحَتِهِ ، يَنْظُرُ لِنَفْسِهِ نَظَرَ مَنْ لَا يَأْمُلُ السَّلَامَةَ إِلَّا بِسَلَامَتِهِ ، وَلَا الْبَقَاءَ إِلَّا بِبِقَائِهِ ، وَقَدْ رَجَوْتُ بِالْقِرَابَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِي بِهِ ، وَالْوَاجِبِ الَّذِي عَرَفْتُهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَالْعَظِيمِ الَّذِي حَمَلْتُهُ مِنْ مَعْرُوفِهِ ، أَلَّا يَكُونَ أَحَدٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بَعَيْنَ الْإِشْفَاقِ أَقْوَمَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ أَهْلَهُ مِنِّي ، فَإِنْ أُبْلِغَ الَّذِي أُرِدْتُ فَيَتَوَفَّقُ اللَّهُ ، وَإِنْ أَقْصَرَ فَعَنْ مِثْلٍ مَا حَاوَلْتُ قَصَّرَ الْجَهْدُ .

فَأَوَّلُ مَا أَنَا إِذَا كَرِهْتُ مِنْ فَضْلِهِ : أَنَّ اللَّهَ قَدَّمَ لَهُ الصَّنْعَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ ، فَجَعَلَ مَحْتَدِيهِ <sup>(۵)</sup> خَيْرَ الْمَحْتَدِيهِ عُنْصُرًا ، ثُمَّ اخْتَارَ لَهُ أَبَا فَا بَا ، لَا يَنْقُلُهُ مِنْ أَبٍ إِلَى أَبٍ إِلَّا نَقَلَ مَعَهُ وَإِلَيْهِ فَضِيلَةُ الْعُنْصُرِ الَّذِي هُوَ مِنْهُ ، حَتَّى صَيَّرَهُ بَعْدَ فَضَائِلِ أَبِيهِ إِلَى أَفْضَلِ بَدَنِهِ <sup>(۶)</sup> فَكَانَ خَيْرَ خَلْفٍ مِنْ خَيْرِ سَابِقٍ ، وَأَفْضَلَ وَوَلَدٍ مِنْ أَفْضَلِ أُبُوَّةٍ ، وَأَرْضَى إِمَامٍ مِنْ أَرْكَى أُمَّةٍ ، ثُمَّ اخْتَارَ لَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَأَلْبَسَهُ جَمَالَ الصُّورَةِ ، فَلَا نَعْلَمُ نَحْنُ وَلَا

(۱) فِي الْأَصْلِ : لَمَّا يُوْحِشُ اللَّهُ أَخْذَهُ بِفَقْدِهِ .

(۲) عَزَّرَهُ : نَجَّاهُ وَعَظَّمَهُ - أَوْ صَوَّابَهُ « وَلَمْ يَعْزُرْ » أَي لَمْ يَجْعَلْهُ عَزِيزًا ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

(۳) فِي الْأَصْلِ : « وَمُوثِقٌ مَعْصُومٌ ثُمَّ اسْتَنْقَذَهُ بِمَوَالَاةِ ... » .

(۴) الْعَوْرَةُ : الْحَالُ فِي الثَّرْوِ وَنَحْوِهِ .

(۵) الْمَحْتَدُ : الْأَصْلُ . (۶) بَدَنُ الرَّجُلِ ، نَسَبُهُ وَحَسَبُهُ .

آباؤنا خليفة أبعد في حلمه من ذلّ ، ولا في هيئته من تجبر ، ولا في شدّته من عنف ، ولا في لينه من وهن ، ولا في أناته من غفلة ، ولا في اقتصاده من بخل ، ولا في بذله من إضاعة ، ولا أرقّ وجهاً عند لقاء ، ولا أحسن بشراً عند تحية ، ولا أغزر دماً عند موءظة ، ولا ألين قياداً عند تذكير بالله منه .

ثم أفضت إليه الخلافة ، وفي المال ما فيه من القلة ، وفي الناس ما فيهم من الاستجراح (۱) ، فما دفع عن مال يُعطيه عن قلة ، ولا قطع عادة توسعة على رعيته ، ثم استدرّ الخلب برفقته ، فكأما درّ له منه شخب (۲) فوقه طائفة من جنده ، حتى سقام بعد التفويق ربياً ، وبعد النهل عللاً (۳) ، ثم ساس رعيته بألین السياسة ، فعفا عن مذنبها ولو شاء لعاقب ، وآمن خائفها ولو طلب لأدرك ، ودفع بالحسنة السيئة ولو كافأ لقدّره ، فما برح صنع الله له بفضّ جموع الضلالة بلا قتال ، وبُعزّ له النصر بلا مكاترة ، حتى فرغ - بشغله - من كان لا يفرغ من الوزراء ، ونام - بسهره - من كان لا ينام من العامة ، واطمأنت - بمفآاته (۴) للأسفار - دار من كان لا ينال الخفض من الجنود حتى استوطنوا مرّكب الأمن ، فكلهم ضنين بفارقتهم .

أما ذو النية فركن إلى الخفض (۵) ، وأما من لا يدّاه (۶) ففعل ما كان يؤخذ به من الاستكراه ، وأما الخشوع من الجند والرّاع فغلبت عليهم عادة الهويئى ، حتى لقد رأيناها يحزّب (۷) الأمر ، فما يجد له الأمر غناء عنده إن وكلّه إلى قوّته ، ولا نشاطاً ولا جدّاً ، ولا قوّة بمآه (۸) ، فلما رأى ما رأى من تخاذل العامة ، وتواكل

(۱) الاستجراح : النقصان والعيب والفساد .

(۲) الشخب بالفتح والضم : ماخرج من الضرع من اللبن إذا احتلب ، وفوقه إياه : أعطاه إياه قليلاً قليلاً . (۳) النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثانى .

(۴) جمع مفآة ، من فآه : إذا رجع . (۵) الخفض : الدعة ، وفي الأصل « النفض » .

(۶) اليد : اللوة ، وفي الأصل « لا يبدله » .

(۷) حزبه الأمر كنصر : اشتد عليه ، وفي الأصل « حتى لو » وهو تحريف ، والفناء : الكفاية .

(۸) فى الأصل ، « وقواه بمآه » يشير بذلك الى ما كان من البرامكة من استشارهم بأمر الدولة وتصريف أحوال السلطان واحتجان الأموال .

الجنود ، ونزور<sup>(۱)</sup> النفي ، وجمود الحلب ، واستكلاب<sup>(۲)</sup> العمال على الخيانة ، وجراًة الرعية على منع الحق ، ومال الفراغ بكثير من الناس عن القصد<sup>(۳)</sup> ، فتحرکت الأهواء واستعرت نيران العصبية ، وجاشت صدور الحسدة وأشياءهم بالأمانى ، وظنوا أن لاشددة معه ، وأن عفوه لا نكير بعده ، وأمير المؤمنين يرّمهم بعين بصيرة ، وأذن مصيخة<sup>(۴)</sup> ، وقلب يقظان ، وقد وفر الحليم أن يخف لأول بوادر السفهاء ، فهو يفتظر بالمدير أن يقبل ، وبالمائد<sup>(۵)</sup> أن يعتدل ، وبالمغلوب على رأيه أن يتذكر فيبصر ، شمّر في إثرهم تسمير من قدم الروية قبل العجلة ، والعمو قبل العتوبة ، والتثبت قبل الإقدام ، فاتخذ روابط<sup>(۶)</sup> أنتجها<sup>(۷)</sup> على الجلد والنشاط ، ليست لهم سوابق تدعوم إلى الإدلال ، وتسمو بهم إلى كثير لم ينالوه ، إنما همهم أن يتفاضلوا في النجدة ، ويستوجبوا بالقناء ، ثم فرقهم على خواص خدّمه ، فإذا أراد أن يتناول بهم فرصة ممكنة ، أو عدواً غاراً<sup>(۸)</sup> ، أو رتق فتق قبل اتساعه<sup>(۹)</sup> ، يغمس يديه إلى أيهم أراده ، فينفذ لأمره ، ولم يشرّكه فيه مشير ، ولم يخرج به توقيع ، ولم يخص فيه عامة ، ولم يطاع منه على مكيدة ، فلم نعلم أننا رأينا جنداً أسرع نهضةً إذا أمرُوا ، وأحسن إجابة إذا دُعُوا ، وأفضل غناءً إذا استكفوا من جنده ، ثم قصد بنفسه حتى مثل بين النواحي إلى أهمها له فساداً في البيضة<sup>(۱۰)</sup> ، وانتقاصاً من الأطراف ، فأتى ناحية الشام فوطئها وطأة جمع الله بها منهم شتات الفرقة ، وأخذ بها بينهم نار الفتنة .

(۱) النزور : القلة .

(۲) استكلاب الكلب ، ضرمي وتعود أكل الناس ( واستكلب الرجل : نبح في قفر لسمعه الكلاب فتنبح فيستدل بها عليه ) ويقال أيضاً : تكالبوا عليه : أي توائبوا وحرصوا عليه حتى كأنهم كلاب

(۳) القصد : الاستقامة . (۴) من أصاح له : أي استمع .

(۵) من ماد يميد : أي تحرك واضطرب .

(۶) أي جنوداً . رابطة . (۷) أي اختارها .

(۸) الفار : الفافل . (۹) في الأصل « قبل الساعة » وهو تحريف .

(۱۰) البيضة : الحوزة والساحة .

وأما الجزيرة فإنه ألفاها وهي كالجرح النغل<sup>(۱)</sup>، فاستأصل الله به منها شأفة الداء، وأطلقا به عنها نواثر<sup>(۲)</sup> السفهاء، وخير أمير المؤمنين من منزله الذي هو به منزلا جمع من بسطة في الموضع، ورفاغية<sup>(۳)</sup> في المعاش، أنه حامل للجنود، جامع للمرافق، فباشر أمره أمرا أمرا، حتى إذا استدبر<sup>(۴)</sup> له منها مبرم<sup>(۵)</sup>، استقبل بعده جسام<sup>(۶)</sup> منتقض، وإذا أثنى<sup>(۷)</sup> من ثوره ثغرا لم يررض حتى يفتح من حصون أعدائه حصنا، وإذا قضى الله عنه حجة، وصل خطوه منها عزا، ثم رأينا ما عزم الله به عليه من ترك الصوائف<sup>(۸)</sup>، مراقبا للذي كان من غموط<sup>(۹)</sup> أهل الشام لما كانوا فيه من النعمة، فلم نشكك في أنه توفيق من الله له وافق سخطا عليهم، حتى استباحوا الحرم، وتنافكوا الدماء، ونقضوا ما بينهم من مبرم حبل الإسلام.

ومن ذلك أن أزمينية كانت فيها جنود تخرج عليهم أطماع<sup>(۱۰)</sup>، وتحمّل إليهم - بعد اعترافهم خراجهم - الأموال من كور الشام، فلما رأى ذلك فعل كذا وكذا، فلم يتوكل على الله في أمره فوكله إلى نفسه، ولم يكتف به في حفظ طرف أو قاصية ثغرا إلا كفاه مشورته، وعلم أن ما يدخل من<sup>(۱۱)</sup> أضعاف العافية من عوارض العيل، إنما هو تقدير من الله لا يمتنع بعذر، ولا يستطاع دفعه بحيلة، يصيب فيه أقواما بالبلايا والتحميص، ويقسم فيه لأقوام الأجر والجهاد والسعادة، فرأى أن في عاجل

(۱) من نغل الأديم كفروح : إذا فسد في الدباغ ، والشأفة : فرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ، والأصل ، واستأصل الله شأفته : أذهب كما تذهب تلك الفرحة ، أو معناه : أزاله من أصله .

(۲) نواثر : جمع نائرة ، وهي العداوة والشحناء ، وفي الأصل « بوار » .

(۳) الرفاغية : الرفاهية ، سعة العيش والحصب .

(۴) في الأصل « استدبر » . (۵) شئ جسيم وجسام : عظيم .

(۶) أثنى : غلبه وأوهته ، وفي الأصل « وإذا أشحن من ثوره ثغرا » وهو تحريف .

(۷) الصوائف : جمع صائفة ، وهي غزوة الروم ، لأنهم كانوا يفتزون صيفا لكان الرد والتلاج .

(۸) غمط النعمة كضرب وسم : بطرها وحقرها ولم يشكرها ( غير أن الوارد في كتب اللغة أن مصدره غمط كشمش لا غموط ) .

(۹) أطماع : جمع طمع بالتحريك ، وهو رزق الجند .

(۱۰) المنن : جمع منة بالضم ، وهي : القوة .

ما يرفع عن أهل أرمينية من ضرر مَثُوتِهِمْ وَخَطَطِهِمْ<sup>(۱)</sup>، نَفْعًا لِلرَّعِيَّةِ، وَإِجْمَالًا لِلنِّبِيِّ،  
 وَرِفْقًا بِالْعَامَةِ، مع اقتصاره<sup>(۲)</sup> في «الأبواب» على أكنافِ سَجِيَّتِهَا، وفي سائر  
 أرمينية على الْمُقَاتِلَةِ من أهلها، ولم يزل منذُ أراه اللهُ ذلك، يَكْنِيهِ مَثُوتَةٌ ذَاكَ الثَّغْرِ،  
 وَيَكْفُ عَنْهُ بَوَائِقُهُ<sup>(۳)</sup> حتى كأنه - في هُدُوءِ الْأَحْدَاثِ عَنْهُ، وَسُكُونِ الْأَفْتَدَةِ مِنْ  
 رَوْعَاتِهِ - مِصْرٌ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَاسِطُ الْمَحَلَّةِ، مَأْمُونٌ النَّائِرَةِ، فَلَمَّا اغْتَنِمَ خَاقَانَ<sup>(۴)</sup>  
 مَا اغْتَنِمَ، انْتَهَزَ الْفُرْصَةَ مُبَادِرًا لِمَا قَدْ أُبْقِنَ مِنْ مُعَاجَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ، فَكَأَنَّهُ  
 حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ فِي إِعْظَامِهِ إِيَّاهُ بِسَبَبِهِ لَهُ، وَمَا أَتَعَبَ فِيهِ مِنْ بَدَنِهِ، وَأَسْهَرَ فِيهِ مِنْ لَيْلِهِ،  
 وَأَنْصَبَ<sup>(۵)</sup> فِيهِ مِنْ نَهَارِهِ - لَمْ يَعْلَمْ الَّذِي كَانَ يَكُونُ مِنْ أَشْبَاهِهِ<sup>(۶)</sup> فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ  
 قَبْلَهُ - وَإِنِّه بِذَلِكَ لَجِدُّ عَالِمٍ - غَيْرَ أَنْ حَمِيَّتَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَشَفَقَتَهُ عَلَيْهِ، وَامْتِعَاضَهُ  
 مِنْ أَنْ يُدْناوِلَ شَيْءًا مِنْ أَطْرَافِهِ، قَدْ زَادَ ذَلِكَ عِنْدَهُ قَدْرًا فِي الْعِظَمِ، وَتَفَاقُمًا<sup>(۷)</sup>  
 فِي الْخَطْبِ، حَتَّى أَكْمَلَ الْبَعْثَ بِأَكْثَرِ الْعَدَدِ وَأَكْمَلَ الْعُدَّةَ، وَاسْتَقْلَى<sup>(۸)</sup> أَهْلَ  
 الْكُورِ وَالْأَمْصَارِ، وَنَدَبَ لَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مَنْ لَمْ يَتْرِكْ بَعْدَهُ نَهَابَةً فِي التَّخْيِيرِ، وَكَانَ  
 قَدْ صَرَفَ بِأَلِهِ إِلَى هَذِينَ الثَّغْرَيْنِ مِنَ الْخَزَرِ وَالرُّومِ، وَإِلَى هَذِينَ الْعَدُوِّينِ الْحَارِبِينَ لَهُ  
 مِنَ الْمَارِقَةِ الْمُتَعَصِّبَةِ .

فَلَمَّا بَلَغَ اللهُ فِي إِحْكَامِ أَمْرِهِمَا مَا بَلَغَ، لَمْ يَسْتَفِنْ عَنِ إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي أَمْرٍ غَيْرِهِمَا مِنْ  
 نَوَاحِيهِ، لِيَسْتَبْرِيَّ<sup>(۹)</sup> بِهِ إِرَادَتَهُ فِي أَقْوَامٍ يَدَافِعُ ظُنُونَهُمْ بِهِ فِي أُخْرَى، وَعَلِمَ أَنَّ لَهَا شِمْلًا  
 مَنْ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ مِنَ الْأَمْنِ وَالْفِرَاقِ نَتِيجَةً مَكْرُوهَةً، فَشَخَّصَ عَنْهَا عِنْدَ تَحْقِيقِ ذَلِكَ،  
 مُؤَثِّرًا لِأَبْغَضِ وَطَنِيهِ عَلَى أَحَبِّهِمَا، وَأَخْشَنَ عَيْشِيَهُ هَلِي أَلَيْهِمَا، فَلَمَّا ظَهَرَتْ لَهُ الْعَوْرَةُ

(۱) حطه كضربه : فشره ، وخطه كضربه أيضا : شواه .

(۲) في الأصل « مع اقتصاده » وهو تحريف ، و« باب الأبواب » : مدينة على بحر الخزر (بحر قزوين)

من غريبه ، والأكناف : النواحي ، والسجية : الطبيعة .

(۳) البوائق : جمع بائقة ، وهي : الداهية .

(۴) لقب ملك الترك . (۵) أي أتعب .

(۶) في الأصل « من أشباهه » . (۷) أي حدة .

(۸) أي حمل . (۹) استبرأه : استنقاه .

أقدم إقدام ذي الحجة ، فلم ير مثلها فاراً خَبَّتْ<sup>(۱)</sup> ، وسحابة أفسحت ، لم يستفك بها دم امرئ مسلم صبراً ، ولم ينتهك فيها حرمة محرم إباحة ، وذلك أنه بسط يده بسطاً من يريد الاستصلاح لا من يريد الانتقام ، فلم يلبث الظالم<sup>(۲)</sup> أن رجع عن ظلمه ، والناطق أن صمت عن بدعته ، والناكث أن رجع إلى قصده ، وازداد البرى على البراءة فرحاً ، والسالم بالسلامة اغتباطاً .

ولم تر مثله فيما أفضى الله به إليه من خلافته ، وحمله من أمور عباده ، أماليه بمناجاة ربه فيها واستعانت به إياه عليها فآهراً ، وأما نهاره في جلب قيتها وإحكام أمورها فتعب ، وأما صدقاته على فقرائها وأهل الحاجة فجارية ، وأما مجلسه من فقهاها وصلحاءها ففاص<sup>(۳)</sup> ، وأما غلظته على ظالمها فعتيبة<sup>(۴)</sup> ، وأما إفضاله لظالمها فبدووط ، ولئن كان الحق لزم أقواماً استوجبوا في أنفسهم وأموالهم ، إنا لنعلم أن ما ترك أكثر ، وأنه لولا ما خفف من الوطأة على أقوام لحمل الواحد منهم مثل الذي حمله للجميع ، ولكنه رضى بالعمو ، وسخاً نفساً عن الاستقصاء ، فأوجب أن يبسط يداً بغلظة ، ويتبعها أخرى بلين ، فكان من ذلك نظره في هذه البقايا التي هي في المسلمين ومال الله ، غير أن الله جعله قيماً فيه ، وفي أخذه وصرفه في وجوهه ، فلما رأى ضراوة<sup>(۵)</sup> العمال بها ، ومصانعتهم دونها ، وأن قد صارت كالثينة اللازمة ، لا يدعها عفيفهم تورعاً ، ولا شريفهم تنزهاً ، أحب مع توفيره للمسلمين قيتهم أن يحدث لهم أدناً يفظم به عنهم أهل الضراوة ، ويعرف به ذوو الاستخفاف بالأمانة والأمن<sup>(۶)</sup> للتبعية ، أن لهم من تفقده وأديه عيناً ترمق ، وبدناً تقبض ، ولو أنه حين هم بأخذ تلك البقايا حمل على

(۱) خبت : انطفات ؛ وأقشم السحاب وانقشم وتشم : انكشف .

(۲) من ظلم كتم : إذا غمز في مشبه ، والمراد المنعريف الزائم .

(۳) منزل غاص بالقوم : أى ممتلئ . (۴) أى حاضرة مهياً .

(۵) ضرى به كرضى ضراوة : لهج به وأغرى ، والمصانعة ، الرشوة والمداهنة .

(۶) فى الأصل « والأمر » وهو تحريف .

الموسر بقدر يساره ، وأخذ العسير بطاعته ، كان قد أنصف ، كلا ! ولكنه أحب أن يستبقى قوة ، ولا يبلغ من المكثّر جهذا ، واقتصر بهم على العشر من ذلك ، كرمًا في القدرة حين رأى موضع الرّفق ، وتجاوى عن العلة حين عرف مكان العذر ، فأى نعمة أعظم ، وأى بلاء أحسن من هذه البقايا ؟ كانت في أيديهم جُمًا<sup>(۱)</sup> فلما اطلع طلعمها<sup>(۲)</sup> أخذ ما أخذ ، وترك ما ترك ، محلاً مع ما جعل الله في ذلك من [ كلمات<sup>(۳)</sup> ] المقصر من العمّال المؤذية التي لم تكن تعدو أفواههم ، فليس منهم أحدٌ إلا كان منه له واعظ ألا يكسّر شيئاً من الخراج تضييعاً ، أو يأخذ غلولا<sup>(۴)</sup> ، أو ينفقه إسرافاً ، أو يتركه إرهاباً .

فلما فرغ من علاج الداء الخوف فاستأصله ، ومن النّفء المتفرق فجَمعه ، ومن الأمور المعطّلة فأحكمها ، استغلف على القيام بذلك من لا يجزئه<sup>(۵)</sup> عقله عن حذر ، ولا إضاعة عن حفظ ، ولا لين عن تشدّد ، ولا يستحل الأكل عن تقصير ما أبرم ، ولا مزاوله ما أحكم ، ولا فتح ما أغلق ، ولا إغلاق ما فتح ، « فلان » : خيرة أبويه ، ومُح<sup>(۶)</sup> بيضته ، وجوهر أرومته ، الفاتت سبقاً ، البين عَنَقاً<sup>(۷)</sup> ، الراسخ عرقاً ، المتفجر بحراً ، الحمود أمراً ، القائل فصلاً ، الحاكم عدلاً ، ثم انصرف بما أفاده الله من الأجر إلى جناحه الذي كان مدّه على من خلف من الأهل والأموال والرعايا والجنود ، « فلان » : سليل صلبه ، وثمره قلبه ، المحتنك<sup>(۸)</sup> مع فتاء سنّه عقلاً ، والمأمون مع شدة شكيمته

(۱) الجمام بالضم والكسر ، أصله ما اجتمع من ماء الفرس .

(۲) يقال ، اطلع طلعه : إذا علم أمره .

(۳) محل هذه الكلمة بياض بالأصل ، وهي المناسبة للعظام .

(۴) الغلول بالضم ، الحيانة .

(۵) أى لا يفييه ، وفي الأصل « يحويه » وأراه عرقاً .

(۶) الملح : صفرة البيض أو ما في البيض كله .

(۷) العنق : ضرب من السير فسيح سريع .

(۸) المحتنك : الذى أحكمته التجارب ، والفتاء : الشباب .



تحلا ، والمُحصَد<sup>(۱)</sup> مع لينه وتعطفه أمرا ، الشبيه بأمر المؤمنين إن نطقَ لفظا ، وإن نظرَ لَحْظًا ، وإن سُئِلَ جودا ، وإن اقتصَرَ<sup>(۲)</sup> عودا ، وإن ساسَ رِفْقًا ، وإن غَضِبَ حِلْمًا ، وإن وصفَ علما ، وإن كَلَّمَ فهما ، وإن قَدَّرَ عَفْوا ، وإن لَقِيَ بِشْرًا ، وإن نازَعَ قَلْبًا<sup>(۳)</sup> ، وإن قَارَعَ ظَفْرًا ، فكان عند ظنِّه به ، رعايةً للأجرمة ، وحزْمًا في المكيدة ، وجأبا للثيء ، وحياةً للغائب ، ومباشرةً للشاهد .

هذا قليل من كثير ، مما جعلك الله أهله ، وإنما اقتصرتُ عليه لأنى رأيت المتكلمين من الخطباء تركوه ، وأن ما سمعتُ من الكتب المقرَّوة لم تنتظمه ، فأحببتُ أن يعلم أمير المؤمنين أن له في كل أمر عميل به في رهيته حُجَّة واضحة ، وعُدرا مروفا ، إن قام به متكلم في خاصَّةٍ حَسُنَ مَوْقِعُهُ ، وإن قرئ به كتابٌ في عامَّةٍ قَوِيَتْ به حُجَّتُهُ .

والحمد لله الذي جعله وذريته أولياء هذه النعم ، والمخصوصين بهذه الفضائل ، ونسأله أن يُبْقِيَهُ وإياهم للدين الذي سدَّ بهم عَوزَتَهُ ، والحق الذي أقرَّ بهم جادَّتَهُ ، والعدل الذي أوضح بهم أعلامه حتى يكونوا وِرثةً لهذه الأمة وخلفاءها في غابر الدهر وباقيات الأيام ، مستقلين<sup>(۴)</sup> بالعدل ، موقِّعين للسداد ، معصومين من الشُّبهات ، مستوجبين مع فضائل الدنيا لأفضلِ كراماتِ المعاد ، والسلام . ( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۱۹۲ )

## ۱۶۷ - رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيد إلى قسطنطين<sup>(۵)</sup> ملك الروم

« من عبد الله هرون أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم :  
سلام على من اتبع الهدى ، فإني أحمد الله الذي لا شريك معه ، ولا وِلْدَ له ، ولا

(۱) المحصد : المحكم أيضا .

(۲) اقتصره : كسره .

(۳) أي ناضب به راضب له .

(۴) الفلج ، الفوز والظفر .

(۵) هو قسطنطين السادس ، ولي ملك الروم سنة ۷۸۰ م (وقد ولي الرشيد الخلافة من سنة ۷۸۶

إلى سنة ۸۹۰ م = سنة ۱۷۰ إلى سنة ۱۹۳ م) .

إله غيره ، الذي تعالى عن شبه المحدثين بعظمته ، واحتجبَ دون المخلوقين بعزته ، فليست الأبصار بمدركة له ، ولا الأوهام بواقعة عليه ، انفراداً عن الأشياء أن يشبهها ، وتعالى أن يشبهه شيء منها ، وهو الواحد القهار ، الذي ارتفع عن مبالغ صفات القائلين ومذاهب لغات العالمين ، وفكر الملائكة المقربين ، فليس كمثل شيء ، وله كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .

أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه ، وتباركت أسماؤه ، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أنزل من آيات الوحي إليه : « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » فرأى أمير المؤمنين من أحسن قوله ، وأفضل فعله ، أن يكون إلى سبيل ربه داعياً ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم متأسياً ، واقوله : « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » موافقاً ، وكنت - من كتب الله المنزلة ، وآياته المفسرة ، وخلقه الكثير - بحيث رجا أمير المؤمنين استماعك لموعظته ، وانتفاعك بمجادلته انتفاع بشر كثير وخلق عظيم ، قد بوئت بأوزارهم مع وزرك ، واحتملت من آثامهم إلى إثمك فأحب أن يدعوك ومن رجا أن يفتنع بدعوته معك ، إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن توليتم عن ذلك رغبة عنه ، أو تركتموه زهادة فيه ، فاشهدوا بأننا مسلمون ، واستمعوا ما أمر المؤمنين واصف لكم ، ومحتاج به إن شاء الله عليكم ، بقلوب شاهدة ، وآذان واعية ، ثم اتبعوا أحسن ما استمعون ، ولا قوة إلا بالله .

فإن الله عز وجل يقول فيما أنزل من كتابه ، واقص على عباده : « فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ » إن الله تبارك اسمه ، وتعالى جده ، وصف فيما أنزل من آياته ، وشرح من بيناته ، الأمم الماضية ، والقرون الخالية ، والملائ المتفرقة ، الذين يعملون مع الله

آلهة أخرى لا برهان لهم بها ، ولا حجة لهم فيها ، فقال : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ، انْتَهَرُوا خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ . »

قالت العرب الذين يعبدون الملائكة ، وأهل الكتاب الذين يقولون ثالثُ ثلاثة :  
بأيِّ آيةٍ يا محمد تزعم أن الله إله واحد ! فأنزل الله عز وجل في ذلك آية تشهد لها العقول ، وتؤمن بها القلوب ، وتعرفها الأبواب ، فلا تستطيع لها ردًا ، ولا تطيق لها جحدًا ، ذكر فيها اتصال خلقه ، واتفاق صنعه ، ليوقن الجاهلون من العرب ، والضالون من أهل الكتاب ، أن إله السماء والأرض وما بينهما من الهواء والخلق واحد لا شريك له ، خالق لا شيء معه ، فقال : « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاقِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » فتفكر في تفسير هذه الآية من كلام الرب عز وجل ، وما أوضح فيها من بيان الخلق ، فإنه ما من مُفكر بنظر فيما ذكر الله فيها مما بين السماء والأرض ، إلا رأى من اتصال بعض ذلك ببعض ، مثل ما رأى في تديره نفسه ، وعرف من اتصال خلقه فيما بين ذوائب<sup>(۱)</sup> شئون رأسه ، إلى أطراف أنامل قدمه ، وفي ذلك أوضح آية ، وأبين دلالة ، على أن الذي خلقه وصنعه إله واحد لا إله معه ، ولا من شيء ابتدعه ، ولا على مثال صنعه ،

(۱) الذوائب : جمع ذؤابة بالضم ، وذؤابة كل شيء ، أعلاه : والشئون ، مواصل قبائل الرأس (وهي القطع الشعوب بعضها إلى بعض) .

قد ترون بعيونكم وتعلمون بعمولكم ، أن الله عز وجل خلق للأنام الأرض ، وجعلها موصولة بالخلق ، فليس يدحوها<sup>(۱)</sup> إلا لهم ، ولا يديهما إلا معهم . وجعل ذلك الخلق متصلاً بالنبت ، لا يقوم إلا به ، ولا يصلح إلا عليه ، وجعل ذلك النبات الذي جعله متاعاً لكم ، ومعاشاً لأنعامكم متصلاً بالماء الذي ينزل من السماء بقدر معلوم لمعاش مفسوم ، فليس ينجم<sup>(۲)</sup> النبات إلا به ، ولا يحيا إلا عنه ، وجعل السحاب الذي يبسطه كيف يشاء ، متصلاً بالريح المسخرة في جو السماء كثيرة من حيث لا تعلمون ، وتسوقه وأتم تنظرون كما قال الله عز وجل : « وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ » ووصل الرياح التي يصر فيها في جو السماء ، بما يؤثر في خلق الهواء ، من الأزمنة التي لا تثبت الهواجر<sup>(۳)</sup> إلا بنباتها ، ولا يزول عنه برود إلا بزوالها ، ولولا ذلك لظل راكداً بالحر المميت ، أو مائلا<sup>(۴)</sup> بالبرد القاتل ، ووصل الأزمنة التي جعلها متصرفة متلوثة بمسير الشمس والقمر الدائبين لكم ، المختلفين بالليل والنهار عليكم ، وجعل مسيرهما الذي لا تعرفون عدد السنين إلا به ، ولا مواقع الحساب إلا من قبله ، متصلاً بدوران الفلك الذي فيه يسبحان ، وبه بأفلاق ، ووصل مسير الفلك بالسماء للناظرين سواء ، فهذا خلق الله عز وجل ، ما فيه تباين ولا تزايل ولا تفاوت ، كما قال سبحانه وتعالى : « مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ » ولو كان لله شريك أو معه ظهير<sup>(۵)</sup> عليه ، يمسك منه ما يرسل ، ويرسل منه ما يمسك ، أو يؤخر شيئاً من ذلك عن وقت زمانه أو يعجله قبل محي ، إبانته ، لتفاوت الخلق ، ولتباين الصنع ، وانسدت السموات والأرض ، ولذهب كل إله بما خلق كما قال عز وجل - وكذب المبطلين - بل أتيناهم

(۱) دحاها يدحوما : بسطها . (۲) نجم كنصر : طلم وظهر .

(۳) الهواجر : جمع هاجرة ، وهي شدة الحر .

(۴) في الأصل « مايلا » ، أو صوابه « مانلا » .

(۵) الظهير : المعين .

بالحق وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ .»

والعجبُ : كيف يصف مخلوق ربه ، أو يجعل معه إلهًا غيره ! وهو يرى فيما ذكر الله من هذه الأشياء ، صنعة ظاهرة ، وحكمة بالغة ، وتأليفًا متفقا ، وتدبيرًا متصلا ، من السماء والأرض ، لا يقوم بعضُهُ إلا ببعض ، مُتَجَاوِيا بين يديه ، ماثلا نُصَبَ عَيْنِيهِ ، يناديه إلى صانعه ، ويدلُّهُ على خالقه ، ويشهد له على وحدانيته ، ويَهْدِيهِ إلى رُبُوبِيَّتِهِ

« فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَيْشِرُ كُونَ مَا لَا يُخْلِقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ » ، حقا ما كرر هؤلاء الجاهلون بربهم ، الضالُّون عن أنفسهم ، في خلق الله النظر ، وَلَا رَجَعُوا - كما قال الله عز وجل - الفكر ، ولو أعمالوا فكرم ، وأجهدوا نظرم ، فيما تسمع آذانهم ، وترى أبصارهم ، من حوادث حالات الخلق ، وعجائب طبقات الصنع ، لوجدوا في أقرب ما يرون بأعينهم : من التأليف لتركيب خلقهم ، والأثر في التدبير بصنعهم ، ما يدلُّهم على توحيد ربهم ، ويقف بهم على انفراده بخلقهم ، فإنهم يرون في أنفسهم بأعينهم ، ويجدون بقلوبهم ، أنها مخلوقة صنعة بعد صنعة ، ومحولة طبقة عن طبقة ، ومنقولة حالا إلى حال :

سُلَالَةٌ مِنْ طَيْنٍ ، ثُمَّ نُطْفَةٌ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ <sup>(۱)</sup> ، ثُمَّ عَلَمَةٌ ، ثُمَّ مُضْغَةٌ ، ثُمَّ عِظْمًا كَسَاهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ لِحْمًا وَنَفَخَ فِيهِ رُوحًا فَإِذَا هُوَ خَلْقٌ آخِرٌ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ، الذي خلق في قرارٍ مَكِينٍ ، من ماء قليل ضعيف ذليل ، خلقا صورته بتخطيط ، وقدره بتركيب ، وألغى بأجزاء متفقا ، وأعضاء متصلة ، من قَدَمٍ إلى ساقٍ إلى نَحْدٍ إلى ما فوق ذلك ، من مفاصلٍ ما يُعْلِنُ ، أو عجائب ما يُبْطِنُ ، ليعلم الجاهلون ، ويوقن الجاحدون ، أن الذي صنع ذلك وخلقهُ ، ودبرهُ وقدرهُ ، وهَيَّا ظاهره وباطنه ، إله واحد لا شريك معه ، فلا يذهبنَ ذِكْرَ هَذَا صَفْحًا عَنْكُمْ ، وَلَا تَسْقُطْ حِكْمَتُهُ جَهْلًا بِهِ عَلَيْكُمْ ، وَفَكَّرُوا

(۱) المهين : المقبر .

فی آیات الرسل وبیِّنات النُّذُر ، فإن فی ذلك فکرا للمُبصرین ، وبصرا للمعتبرین ،  
وَذِکْرَی للعابدين ، والحمد لله رب العالمین .

وأمرُ المؤمنین واصفٌ لکم ، ومقتصٌ من ذلك إن شاء الله علیکم ، ما فیہ شهاداتٌ  
واضحات ، وعلاماتٌ بیِّنات ، ومبتدیٌ بذکر آیات نبینا صلی الله علیه وسلم فیما أنزل  
الله منها فی الوحیِ إلیه ، فإنه ما أحدٌ یقرَعُ بآیات النبوة قلبه ، ويحصن بیِّنات الهدی  
عقله ، إلا قادتُه حتی یؤمن بمحمد صلی الله علیه وسلم ، لا یجد إلى إنکار ما جاء به من  
الحق سبیلا ، فأردتُ أن تكونوا علی علم ومعرفة ویقین وثقة من أمر محمد صلی الله علیه  
وسلم وحقه وما أنزل إلیه من ربه عز وجل ، فأحضرُ کتابَ أمير المؤمنین فهَمَّک ،  
وألقى إلى ما هو واصفٌ إن شاء الله سمعک .

إن الله عز وجل اصطفى الإسلام لنفسه ، واختار له رُسُلًا من خلقه ، وابتعث كل  
رسول بلسان قومه ، لیبین لهم ما یقبعون ، ویعلمهم ما یجهلون ، من توحید الرب ،  
وشرائع الحق « لِئَلَّا یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا  
حَكِيمًا » فلم تزل رسل الله قائمةً بأمره ، متواليةً علی حقه ، فی مواضی الدهور ،  
وخوالی القرون ، وطبقات الزمان ، یصدِّق آخِرُهُم نبیوةً أولهم ، ویصدِّق أولهم قولاً  
آخرهم ، ومفاتیح دعوتهم واحدة لا تختلف ، وتجامع ملَّتْهم ملتئمة لا تفرق ، حتی  
تناهت الولاية والوراثة التي بنی عیسی علیه السلام علیها وبشر بها ، إلى النبی الأمّی  
الذی انتخبه الله لوحیه ، واختاره بعلمه ، فلم یزل ینقله بالآباء الأخایر ، والأممات الطواهر ،  
أمة فامة ، وقرنا فقرنا ، حتی استخرجه الله فی خیر أوانٍ ، وأفضل زمان ، من أثبت  
محاند<sup>(۱)</sup> أرومات البریة أصلا ، وأعلى ذوائب نبعات<sup>(۲)</sup> العرب فرعا ، وأطیب

(۱) محاند : جمع محند کججلس . وهو الأصل ، والأرومة بالفتح وتضم : الأصل أيضا .

(۲) نبعات : جمع نبعه کوردة ، والنجم شجر یتخذ منه القسی والسهام ، ومعناها هنا الأصول .

مَنَابِتِ أَعْيَاصٍ (۱) قَرِيْشٍ مَفْرَسَا ، وَأَرْفَعِ ذُرَى مَجْدِ بَنِي هَاشِمٍ سَمَكَا (۲) ، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِهَا عِنْدَ اللهِ وَخَلَقَهُ نَفْسًا ، عَلَى حِينِ أَوْحَشَتِ الْأَرْضَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ ، وَامْتَلَأَتْ الْأَفَاقَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ ، وَاشْتَمَلَتْ الْبِدْعُ فِي الدِّينِ ، وَأَطْبَقَتِ الظُّلْمُ عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَصَارَ الْحَقُّ رَشْمًا عَافِيًا (۳) ، خَلَقًا بِالْيَأْ ، مَيِّتًا وَسَطًا (۴) أَمْوَاتٍ ، مَا إِنْ يُحَيِّتُونَ لِلْهُدَى صَوْتًا يَسْمَعُونَهُ ، وَلَا لِلدِّينِ أَثْرًا يَتَّبِعُونَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا بِأَمْرِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْهِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُحَذِّرُهُمْ عَقُوبَاتِ الشُّرْكَ ، وَيُجَادِلُهُمْ بِنُورِ الْبُرْهَانِ ، وَأَيَّاتِ الْقُرْآنِ ، وَعَلَامَاتِ الْإِسْلَامِ ، صَابِرًا عَلَى الْأَذَى ، مُحْتِمِلًا لِلْمَكْرُوهِ ، قَدِ أَلْهَمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ مُظْهِرٌ دِينِهِ ، وَمُعِزٌّ تَمَكِينِهِ ، وَعَاضِمٌ وَمَسْتَخْلِفُهُ فِي الْأَرْضِ ، فَلَيْسَ يَثْنِيهِ رَبِّيبٌ ، وَلَا يَلْوِيهِ هَيْبٌ ، وَلَا يُعْنِيهِ أَذَى ، حَتَّى إِذَا قَهَرَتِ الْبِنَاتُ الْبَابِيَهُمْ ، وَبَهَرَتِ الْآيَاتُ أَبْصَارَهُمْ ، وَخَصَمَ نُورَ الْحَقِّ حُجَّتَهُمْ ، فَلَمْ تَمْتَنِعِ الْقُلُوبُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِدُونِ صَدَقِهِ ، وَلَمْ تَجِدِ الْعَقُولَ سَبِيلًا إِلَى دَفْعِ حَقِّهِ ، وَهَمَّ عَلَى ذَلِكَ مَكْذُوبُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَجَاهِدُونَ بِأَقْوَامِهِمْ ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَلِيمُ بِمَا يُسِرُّونَ ، الْخَاطِرُ بِمَا يُعْلِنُونَ : « فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَابَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ » بَغْيًا وَعَدَاوَةً ، وَحَسَدًا وَجَلَّاجَةً ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ قِتَالَهُمْ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَجْرُدَ السِّيفَ لَهُمْ ، وَهَمَّ فِي عِصَابَةِ يَسِيرَةٍ ، وَعِدَّةٍ قَلِيلَةٍ ، مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَدَلِّينَ ، يَخَافُونَ أَنْ يَنْخَطِفَهُمُ الْعَرَبُ ، وَتَدَّاعَى عَلَيْهِمُ الْأُمَمُ ، وَتَسْتَحْمِلَهُمْ (۵) الْحُرُوبُ ، فَأَوَّاهُمْ فِي كَنْفِهِ ، وَأَيْدِيَهُمْ بِنَصْرِهِ ، وَأَنْذَرَهُمْ بِمَقْدَمَةٍ مِنْ

(۱) الأعياص : جمع عيص بالكسر ، وهو الأصل ، ومنبت خيار الشجر .

(۲) سمكة سمكا : رفعه ، والسمك أيضا ، السقف .

(۳) أي محووا دارسا .

(۴) جاء في كتب اللغة : « تقول جلست وسط القوم بالتكئين لأنه ظرف ، وجلست في وسط الدار بالتحريك لأنه اسم ، وكل موضع يصلح فيه بين فهو وسط بالتكئين ، وإن لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك ، وربما سكن ، وليس بالوجه » .

(۵) استحملة نفسه : حمله حوائجه وأموره .

الرعب ، ومَشغلة من الحق ، وجنود من الملائكة ، حتى هزم كثيراً من المشركين بِقَاتِهِمْ ، وغلب قوة الجنود بضعفهم ، إيجازاً لوعده ، وتصديقاً لقوله : « وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » فَأَحْسِنِ النَّظَرَ وَقَابِ الْفِكَرَ فِي حَالَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ قَائِماً لِلَّهِ ، لِتَجِدَ إِذَا هَبَ فِكْرُكَ ، وَتَصَارِيفِ نَظْرِكَ ، مُضْطَرَباً وَاسِعاً ، وَمَعْتَمِداً نَافِعاً ، وَشُعُوباً جَمَّةً ، كُلُّهَا خَيْرٌ يَدْعُوكَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَبَيَانٌ يَكْشِفُ لَكَ عَنْ تَحْضِهِ ، وَأَخِيرَ أَمِيرٍ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا كُنْتَ قَائِلاً لَوْ لَمْ تَكُنِ الْبَعْتَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغْتِكَ ، وَلَمْ تَكُنِ الْأَنْبَاءُ بِأَمُورِهِ تَقَرَّرَتْ قَبْلَكَ ، ثُمَّ قَامَتِ الْحُجَّةُ بِالْاجْتِمَاعِ عِنْدَكَ ، وَقَالَتِ الْجَمَاعَةُ الْمَخْتَلِفَةُ لَكَ : إِنَّهُ نَجْمٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي<sup>(۱)</sup> مِثْلَ هَذِهِ الضَّلَالَاتِ الْمُسْتَأْصِلَةِ ، وَالْجَمَاعَاتِ الْمُسْتَأْمِدَةِ<sup>(۲)</sup> ، الَّتِي ذَكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَجَاهِيزِ الْأُمَمِ ، وَصَنَادِيدِ الْمُلُوكِ ، نَاجِماً قَدْ نَصَبَ لَهَا ، وَغَرِي<sup>(۳)</sup> بِهَا ، يَجْهَلُ أَحْلَامَهَا<sup>(۴)</sup> ، وَيَكْفُرُ أَسْلَافَهَا ، وَيَفْرُقُ أَلْفَهَا ، وَيَلْعَنُ آبَاءَهَا ، وَيَضَلُّ أَدْيَانَهَا ، وَيُنَادِي بِشِهَابِ<sup>(۵)</sup> الْحَقِّ بَيْنَهَا ، وَيَجْهَرُ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ إِلَى مَنْ تَرَخَى عَنْهَا ، حَتَّى حَمِيَتْ الْعَرَبُ ، وَأَنْفَتِ الْعَجَمُ ، وَغَضِبَتِ الْمُلُوكُ ، وَهُوَ عَلَى حَالِ نِدَائِهِ بِالْحَقِّ وَدَعَائِهِ إِلَيْهِ ، وَحِيداً فَرِيداً لَا يَحْفِلُ بِهِمْ غَضَباً ، وَلَا يَرْهَبُ عَنَّا<sup>(۶)</sup> ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » أَكُنْتَ تَقُولُ فِيمَا تَجْرِي الْأَقَاوِيلُ بِهِ ، وَتَقَعُ الْأَرَاءُ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا كَاذِبٌ يَجْهَلُ مَا يَفْعَلُ ، وَيَعْنَى هُمَا يَقُولُ ، وَقَدْ دَعَا الْحَتْفَ<sup>(۷)</sup> إِلَى نَفْسِهِ ،

(۱) يقال : هو بين ظهرينهم وظهرانهم - ولا تكسر النون - وبين أظهرهم : أي وسطهم .

(۲) أي القوية .

(۳) يقال : غرى به كفرح وأغرى به وغرى مبين للمجهول : أي أولع .

(۴) الأحلام : جمع حلم بالكسر ، وهو العقل .

(۵) الشهاب : شعلة من نار ساطعة .

(۶) العنت : دخول المشقة على الإنسان . (۷) الحتف : الهلاك .



وأذن الله لقومه في قتله ، فليست الأيام بمادة له ، ولا الحلال بثابتة له ، إلا ربنا تستلجيه (۱) أممبايهم ، وينهض به حلاؤهم ، غضباً لربهم ، وأنفةً لدينهم ، وحميةً لأصنامهم ، وحسداً من عند أنفسهم . وإما صادق بصير بموضع قدمه ، ومرمى نبله ، قد تكفل الله عز وجل بحفظه ، وصحبه بعزّه ، وجعله في حرزّه ، وعصمه من الخلق ، فليست الوحشة بواصلة - مع صحبة الله - إليه ، ولا الهيبةُ بداخلة - مع عصمة الله - عليه ، ولا سيوف الأعداء بماذون لها فيه ، ثم ما رأيكم (۲) يا أهل الكتاب لو قيل لكم : إن الرجل الذي يدعى العيصة ، وينتجل المنعة ، قد نجحت الأمور به على ما قال ، وسلت الحلال له فيما ادعى ، حتى نصب لعمارات (۳) العرب ، وجماعات الأمم يقاتل بمن طأوعه من خالفه ، ومن تابعه من عانده ، جاداً مُشمرًا ، محتسباً واثقاً بموعود الله ونصره ، لا تأخذه لومة لائم في ربه ، ولا يوجد لديه غميمة (۴) في دينه ، ولا يلفته خذلان خاذلٍ عن حقه ، حتى أعز الله دينه ، وأظهر تمكينه ، وانقادت الأهواء له ، واجتمعت الفرق عليه ، ألم يكن ذلك يزيد حتمه يقينا عندكم ، ودعوته ثبوتاً فيكم ، حتى تقول الجماعة من حلماتكم ، وأهل الحنكة من ذوى آرائكم : ما كان الرجل - إذ كان وحيداً فريداً قليلاً ، ضعيفاً ذليلاً ، معروفاً بالعقل ، منسوباً إلى الفضل - ليحتري أن يقول : إن الله عز وجل أوحى إليه فيما أنزل من الكتاب عليه أن يعصيه من العرب جميعاً ، ويمنعه من الأمم طراً (۵) ، حتى يبلغ رسالات ربه ، ويظهره على الدين كله ، ويدخل الناس أفواجاً في دينه ، إلا وهو على ثقة من أمره ، ويقين من حاله .

فسبحان الله يا أهل الكتاب ! ما أيقن حق النبي صلى الله عليه وسلم لمن طلبه ، وأمهله لمن قصد له ؛ واستعملوا في طلبه ألبابكم ، وارفعوا [ إليه (۶) ] أبصاركم ،

(۱) استلجم ( مبنياً للمجهول ) إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصاً .

(۲) في الأصل « ثم إن آيتكم » وهو تحريف لا يستقيم عليه المعنى ، وقد أصلحته كما ترى .

(۳) العمارة بالفتح والكسر : المي العظيم . (۴) يقال : فيه منز وغميزة : أى مطعن .

(۵) أى جيماً . (۶) في الأصل يفاض محل هذه الكلمة .

( ۱۵ - جهرة رسائل العرب - ناك )

تنظروا بعون الله إليه ، وتقفوا إن شاء الله عليه ، فإن علامات نبوته ، وآيات رسالته ، ظاهرة لا تخفى على من طلبها ، حجة لا يحصى عددها ، منها خواص تعرفها العرب ، وعوام لا تدفعها الأم ، فأما الخواص المعروفة لدينا ، المألومة عندنا ، التي أخذتها الأبناء عن الآباء ، وقبيلها الأتباع عن الأسلاف ، فأمور قد كثرت البيِّنات فيها ، وتداولت الشهادات عليها ، وثبتت الحجج بها ، وتراخت الأيام ببعضها ، حتى رأينا عياناً ، وقبلنا إيقاناً ، فهي أظهر فينا من الشمس ، وأبين لدينا من النهار ، ولكن غيبت الأزمان عنكم أمرها ، ولم ينقل الآباء إليكم علمها ، وما لا يدرك إلا بالسمع موضوع الحجة عن العقل ، فليس أمير المؤمنين بحاجة لكم ، ولا قاصد إليكم من قبلها .

وأما الآيات العوام والدلالات الظاهرة في آفاق الأرضين ، القاطمة للحجج المبطلين ، التي لا تُنكر عقول الأم وجوب حقها ، ولا تدفع ألباب الأعداء صحة أمرها ، فسيؤولها أمير المؤمنين مسالك أسماكم ، ويُعيد بها حجة الله في أعناقكم ، من وجوه حجة وأبواب كثيرة إن شاء الله ، منها : أنه لم تزل الشياطين فيما خلا من فترات الرسل ، وَنَدَرَات<sup>(۱)</sup> النَّذْرِ ، تصعد إلى سماء الدنيا ، وتُنصت للملأ الأعلى ، فتسترق السمع ، وتحتفظ العلم ، وتنزل به إلى كل أفك<sup>(۲)</sup> أثيم ، يذبون أكاذيبهم على واضح صدقه ، وَيَنْفِقُونَ<sup>(۳)</sup> أباطيلهم بحسب حقه ، خلطاً للباطل فيه ، وسوماً<sup>(۴)</sup> للعباد عليه ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأنزل آيات القرآن إليه ، حُرست السماء بالنجوم ، وزميت الشياطين بالشهب ، وانقطعت الأباطيل ، واضمحلت الأكاذيب ، وخلص الوحي فبطلت الكهان ، وضلت السحار ، وكذبت الأحلام ، وتمحرت الشياطين ، فكانت آية بيِّنة ، وعلامة واضحة ، وحجة بالغة ، تبهر قرائح العقول ، وتحرق

(۱) أي فترات أيضا ، يقال : لقيه نذرة وفي النذرة : أي بين الأيام .

(۲) الأفك : الكذاب .

(۳) ينفقون : أي يروجون ، مضاعف من نفق البيع : أي راج .

(۴) كذا في الأصل .

حُجِبَ الْغُيُوبَ ، فلا يقوم مع ضيائها ظلمة ، ولا يقبث عند مُحْكَمِهَا شبهة ، ولا يُقِيمُ معها في محمد صلى الله عليه وسلم شك ، لا من أصحابه خاصة ، ولا ممن جاء بعده عامة ، وإنما جعلها الله عز وجل آية باقية في الغابرين ، وحِرَاسَةً ثابتةً من الشياطين ، لأن الله جلَّ وَعَلا جعل نبيِّنا صلى الله عليه وسلم آخِرَ النَّبِيِّينَ ، فليس باعثا بعده نبيا يكذب أقاويل الكهنة ، ويقطع أخاير<sup>(۱)</sup> الجنة .

وستقول - فيما يذهبُ إليه الظنُّ ، ويقع عليه الرأي - أنت وَمَنْ عَقَلَ من أمتك وأهل ملتك : هذه آية حاسمة ، وحجة قاطعة بَيِّنَةٌ قائمة ، مستعلية لأمرها ، مستغنية بنفسها لا تحتاج إلى ما قبلها ، ولا يُتَّكَلَّ على ما بعدها ، إن أقرت العقول بما تقول ، أو قامت البيينة على ما تدعى ، بلى ، ثم تقول : وأنى لك بالبينة ؟ ولسنا نُقِرُّ بكتابك ، ولا نؤمن برسولك ، ولا نقبل قولك فيما قد سبقنا وإياك زمانه ، وَحَجَبَتِ الْغُيُوبُ عَنَا وَعَنكَ عِلْمَهُ ، فَأَرْجِعْ إِلَيْكُمْ إِنْ قَلِمَ ذَلِكَ ، فَإِنْ وَجَدَانَ الْقَضَاةَ قَبْلَ طَلَبِ الْبَيِّنَاتِ .

وليس يجعل أمير المؤمنين فيما يغازعك ويحاجك فيه حاكما غير عقلك ، ولا قاضيا سوى نفسك ، ولكنه يذكرك الله الذي إليه معادك ، وعليه حسابك ، كما<sup>(۲)</sup> جعلت التفهم لسأله من بالك ، وركبت حدودها في جوابك ، عادلا بالقسط ، قاضيا بالحق ، قائلا بالصدق ولو على نفسك ، ناظرا بالأثرة لدينك ، فلقد وفق الله لك آية ، وأهدى إليك بيينة ، لا تستطيع دفعها لحجبها عن عقلك ، ولا حجبا لنورها دون بصرك ، فلا تدفع الآية بقولك ، والبيينة بلسانك ، جحداً يقطع وصول الحجج إليك ، ولا تُغْلِقُ<sup>(۳)</sup> أبواب الفهم عنك ، فإن اللسان لك مداول حيث شئت ، ومنقاد تُصَرِّفُه فيما هويت ، ولكن أنصب نفسك للفهم وأنت شهيد ، وأرد الحق وقبوله فيما تريد ،

(۱) أخاير : جمع الجمع الخبر .

(۲) أى إلا . (۳) فى الأصل « ويد تغلق » وهو تحريف .

فإذا تصوّرت البيّنات مجسّدة في قلبك ، وتبيّنت الحجج ممثلةً لنظرك ، قد أضاء صوابها لك ، وقرّع حقها قلبك ، فاجعل القول بها شعاراً للسان به متصلاً ، وافهم المسألة ، فهّمك الله الحق ، وجنّبك الجحْد ، ماتقول أنت ومن قبلك في رجل كان يتباً ضعيفاً أجيّراً ساهياً لاهياً عائلاً<sup>(۱)</sup> خاملاً ، لم يثُلُ كتاباً ، ولم يتعلم خطاً ، ولم يكُ في محلّة علم ، ولا إرث ملك ، ولا معدن أدب ، ولا بيت نبوة ، فترأّت الأيام به ، واتصلت الحال بأمره ، حتى خرج إلى العرب عامّةً ، والقبائل كافةً ، وحيداً طريداً شريداً ، مخذولاً مجهولاً ، مجفواً مرّميّاً بالعموق لأهتهم ، متذوقاً بالكذب على أصنامهم ، منسوباً إلى الهجر لأديانهم ، وهم يُجمعون على دعوة العصبيّة ، وحميّة الجاهلية ، متعادون متباغون ، مختلفة أهواؤهم ، متفرقة أملاؤهم<sup>(۲)</sup> ، ينسافكون الدماء ، ويتناوحن<sup>(۳)</sup> النساء ، ويستجّلون الحرم ، لا تمنعهم ألفة ، ولا تمصمهم دعوة ، ولا يحجزهم برّ ، فألف قلوبها ، وجمع شنيئتها ، حتى تناصرت القلوب ، وتواصلت النفوس ، وترافدت<sup>(۴)</sup> الأيدي ، ثم اجتمعت الكلمة ، وانفقت الأفئدة ، حتى صار غايةً ملقَى رحالمهم ، ونهايةً لمنتجع أسفارهم ، وصاروا له حزباً متفقين ، وجنّداً مطيعين ، بلا دنيا بسطها لهم ، ولا أموال أفاضها بينهم ، ولا سلطان له عليهم ، ولا ملك سآف لا بانه فيهم ، ولا نباهة كانت له بين ظهراّنهم ، أتقول : إنه ما قال ذلك كله إلا بوحي عظيم ، وتنزيل كريم ، وحكمة بالغة ؟ فإن قلت ذلك فقد أقررت أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول ، وتركت ما كنت تقول إنه لم يدركه ولم يبلغه إلا بعقل شديد ، ونظرٍ بعيد ، ورفق لطيف ، ورأى وثيق ، استبى به عقول الرجال ، واستمال عليه أفئدة العوام ، فإن قلت ذلك ، فأنا سائلكم بإلهكم الذي تعبدون ،

(۱) عائلاً : فقيراً .

(۲) الأملاء : جمع ملا كسبب ، وهو الجماعة .

(۳) تناوح النساء : أن يقابل بعضهن بعضاً إذا نحن ، وكذا تناوح الرياح : إذا تقابلت في المهب

لأن بعضها يناوح بعضاً . (۴) ترافدت : تعاونت .

ودينكم الذي تنتحلون ، كما صدقتم أنفسكم ، وتجنبتهم الهوى عنكم : أتؤمن قلوبكم ، وتقرُّ عقولكم ، ويحتمل نظركم أن محمداً صلى الله عليه وسلم الذي وصفتموه بكال العقل ، وبيان الفضل ، ورفق التدبير ، كان يقول لرجال العرب ، وجماعات الأمم ، ودُهابة قريش : إن من آيات نبوتى ، ودلالات رسالتى ، وعلامات زمانى ، أن الشياطين تُرمى بنجوم السماء ، ولم تَكُ تُرمى بها فيما خلا ، ثم يجعل ذلك كتاباً يُقرأ ، وقرآناً يُتلى ؛ وهو كاذب فيما تلا ، ومُبتطل فيما ادعى ، إبطالاً تُدركه عيون الناظرين ، وكذباً يظهر لجميع العالمين ، فسيحان الله ! أرايتم أن لو كان فيما قال من الكاذبين ، وعلى ما ادعى من الآئين ، ثم حاول إبعاد القلوب ، وإنغال (۱) الصدور ، وإنفار النفوس ، وتفريق الجموع ، أكان يزيد على ذلك ؟ .

فيا أهل الكتاب ، لا تحمِلنكم الإلف لدينكم على اللعب بتوحيدكم ، فلعمركم الله لئن تداركنم أنفسكم ، وناحتم نظركم ، لتعلمن أن محمداً صلى الله عليه وسلم لو حاول الكذب ، أو رام الإفك ، لما كان يترك جميع الأرض ، وما يغيب عن بعض الخلق ويظهر لبعض ، ويقصد للسماء المتصلة بالبصر ، البارزة للنظر ، التي لا تخفى على بشر ، ولا تغيب عن أحد ، فيدعى فيها كذباً ظاهراً ، وإفكاً بارزاً مكشوفاً ، لا يبقى صغير ولا كبير ، ولا ذكر ولا أنثى ، إلا عرف أنه إفك وزور ، وكذب وغرور ، ولا سيما إذا كان يُلقى ذلك إلى أقوام أكثرهم أعراب ، ليس بينهم وبين السماء حجاب ، إنما يراعون الكواكب ، ويتفقدون النجوم ، فأبعد عهد آخرهم بها تفقد لها ، ونظره إليها ساعة أو ساعتين ، أو ليلة أو ليلتين ، لعمركم الله لو عثرت العرب من أمر النبي صلى الله عليه وسلم على كذب ، لكان أول من يوائمه به ويجاده فيه ، أعداؤه من قريش عامة ، وحسادؤه من جبرته خاصة ، ونظراؤه من أهل

(۱) الإنزال : الإفساد . وأصله من نقل الأديم كفرح : إذا فسد في الباغ . وأصله : أفسده .

بيته دنية<sup>(۱)</sup> الذين كانوا يستغفرونه<sup>(۲)</sup> بكل طريق ، ويقعدون له على كل سبيل ، ويتساءلون من أمره عن كل ذى حادث ، فيتعلقون بالحروف المشكّلة ، والآيات المشبهة ، جدّالاً وخصومة بها ، وطعناً وإلحاداً ومنازعةً فيها ، حتى لقد وصفهم الله بفعلهم ، وأخبر عن ذلك من أمرهم ، فقال عز وجل : « بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ »<sup>(۳)</sup> وما كان الله عز وجل ليقول ذلك ولا لأحدٍ أن يقوله على الله في أمرهم ، إلا عن خصومة شديدة ، ومنازعة بليغة ، ومجادلة معروفة ، فأحسن النظرَ لنفسك ، ولا تهلكن شفقةً على ملكك ، فأيمُ الله لئن قلت : إن النجوم شيء كانت العرب تراه بعيونها ، وتعرفه بقلوبها ، فما كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم وهو عارف بها غيرُ جاهل لها ، ليقول فيها إلا حقاً ، ويبتذل فيها إلا صدقاً ، لقد ثبتت فروع كلامك فيها على أسسه ، ووصلت آخر قولك له بأوله ، ثبوتاً على ما ذكرت من عقده ، ولزوما لما فرطت من نظره ، ولكنك لا تجتمع الإقرار بذلك بدءاً من التصديق برسالته ، ولا مذهباً عن الإيمان بذبوتته .

ولئن زعمت أنه ادعى أمر النجوم كذباً ، وانتحلها باطلاً ، عارفاً كأن بها أم جاهلاً ، لقد نسبه من الخطأ الذي لا يعمى عن بصره إلى ما يخطئ فيه بشرٌ ، فأكذبت نفسك ، وتركت قولك ، إنه لم يكن التأليف لقلوب العرب ، والجمع لشئيت القبائل ، إلا برأى سديد ، وعقل أصيل ، ورفق بالغ ، إلى أحد أمرين ، لا تجد لكلامك وجهاً تذهب إليه غيرهما ، ولا تحملاً تضعه عليه سواهما : إما أن تقول : إنه ألّف قلوب العرب ، وفرّق جموع الأمم ، بتنزيل الوحي ، فتؤمن أنه نبي ، وإما أن تقول : فعل ذلك بجهل ، وهذا قول لا يقبل ، كيف يصفه أحد من الجاحدين به

(۱) يقال : هو ابن عمي دنية بالكسر ودنيا بالكسر والضم : أى لحاً .

(۲) في الأصل « يستغفرونه بكل طريق » وهو تحريف ، وقد أصلحته كما ترى ، واستغفروا فلانا :

أنا على غفلة ، والمراد : يتعرضون له بكل طريق ويؤذونه على غرة .

(۳) الخصم : المجادل .

الكذابين له بغبَاوة ، أو يرمونه بجهالة ، وهم يجوزون به حدود الأنبياء ، ويرفعونه فوق أمور العلماء ، ويتخطون به مراتب الحكماء ومنازل الناس ، تكثيراً لعلمه ، وتسديداً لعقله ، وتثبيتاً لفضله ، فيما لا يقدر الخلق عليه ، ولا تهتدى الألسن إليه ، حتى لقد نحَلوه (۱) فعلَ الرَّبِّ الذي لا يقدر عليه الخلق في وجوه كثيرة ، وأنحاء جمة .

من ذلك أنه إذا قالت البقايا من أمتنا : كان محمد صلى الله عليه وسلم يُخبرنا بالغيوب قبل ظهورها ، ويصف الأمور قبل حلولها ، ويتجاوز ما يكون في زمانه من ذلك إلى ما يكون في زماننا ، غيباً أطلعه الله عز وجل عليه ، أضافوا ذلك علماً إليه ، فقالوا : كان أعلم الناس بمواقع النجوم ، وأبصرهم بمنازل البروج ، وأنظرهم في دقائق الحساب ، كيف ولم يكن الحجاز دار نجوم ، ولا محل حساب ، ولا معدن أدب ، بل كيف والمنجم يقيسُ ويخطئُ ، ويشكُ فيما يدعى ، وهو أخو صواب لا شك فيه ، وفارسٌ صدق لاقياس معه .

ومن ذلك أنه إذا قالت العلماء من المسلمين : كان نبينا صلى الله عليه وسلم علماً بباطن أخبار النبیین ، وخفي قصص القرون الأولين ، قالوا : كان أحياناً الناس قلباً ، وأوسعتهم سراً (۲) ، وأمرهم أخذاً ، يتتبع ذلك ويحبه ، وقد رواه وعلمه ، سبحان الله ! أولاً يعلمون أن المتعلم معروفُ العلم ، متفاوت الحلات ، متنقل الطبقات ؟ وأله ما أحدٌ يؤدب صبياً أو يطلب العلم كبيراً ، إلا وله درجاتٌ في علمه ، وتاراتٌ في أخذه ، ومنازلٌ في تعلمه ، تارة تلميذ ، وتارة مقارب ، وأخرى حاذق ، وبكل ذلك موصوف من أهله ، معروف عند قومه ، ظاهرٌ لجيرته ، مستفيضٌ في عشيرته ، لا يُجهل أمره ، ولا يتحقى ذكره ، ولا يُنسى عند مواضع الحاجة إليه ، وتاراتٍ الاحتجاج به عليه ، ولو كان ذلك معروفًا فيهم ، أو موجوداً لديهم ، أو ظاهراً عندهم ،

(۱) نحَلوه : أى نسبوا إليه . (۲) السرب : البال ، والقلب والنفس .

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ ، ويقول في ذلك لهم : لقد لبثتُ فيكمُ عمرًا من قبله ، لا أتلو قرآنًا ، ولا أدعى وحيًا ، أفلا تعقلون !

وأيمُ الله لو كانوا يعقلون أو ينظرون ، آعلموا أن معلمه على غير الملة التي يعرفون لأنه لهم من المخالفين ، وعليهم من الطاعنين ، يذكر فضائح قولهم ، ومعائب أمرهم ، ومخازي أسلافهم ، وعوار<sup>(۱)</sup> أديانهم ، وأنه لو كان معلمه نصرانيا لدعاه إلى النصرانية أو يهوديا لدعاه إلى اليهودية ، أو مجوسيا لدعاه إلى المجوسية ، ولو لم يكن له معلم لما وقع على الحقيقة ، هداية من تلقاء نفسه ، ومعرفة بقوة عقله ؛ ولو كان معلمه الشيطان لما دعاه إلى عبادة الرحمن ، ولا أمره بهجر الأوثان ، وكسر الأصنام ، وصلة الأرحام ، والإصلاح في الأرض ، كيف وكان الشيطان يصدُّ الناس عن سبيله ، ويرزقهم في دينه وينهاهم عن طاعته ، ويخرجهم من عبادته ، ويدخلهم في مَسَاخِطِهِ ، ويحملهم على معاصيه ؟ إنه إذن لرحيم بهم ، ناظر لهم ، شفيق عليهم ، كأنه هو المبعوث إليهم ، كلا ، ما كان لينقذهم من حباته ، ويخلصهم من مصايدِهِ ، ويخرجهم من ولايته وطاعته وسلطانه وخدعه وفتنته وحزبه ، إلى غير ذلك من أمره ، وما كان لينهى العرب أن يقتلوا أنفسهم ، ويتناوحووا حرَمَهُمْ ، ويؤذوا ذريتهم ، ولا ليقول لهم : لم تعبدون نحييت الحجارة التي جعلها الله لكم عارًا ، وتذرون عبادة الرب الذي خلقكم أطوارًا ! هيئات ! لقد ذهبتم بالشيطان الرجيم إلى صراط العزيز الحكيم ، فقلتم قولًا تنكروه العقول ، وتدفعه القلوب ، وتستوحش منه النفوس ، ألا تسمعون إلى قول الله عز وجل : « فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي يَأْتِيهِمْ مِنَ غَيْرِ مَعْلَمٍ وَهُمْ لَا يَسْتَعِينُونَ » .

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » فما كان الشيطان ليرضى للعرب باللعنة والبكم ، والعمى والصمم ، فاتق الله ولا تكن من الجاحدين .

(۱) أراد بها مثالبها ومخازيها ، ول كتب اللغة : العوار : الفعلة القبيحة ( غير أن فعلاء لا يجمع على فواعل ) وفيها : العوار جمع عائر ، والعائر من السهام والحجارة : الذي لا يدري من رماه . أصابه سهم عائر فقتله : أي لا يدري من رماه .



ومنها : أنه إذا قالت الفقهاء والحكماء : أتانا محمد صلى الله عليه وسلم بكلام لم تسمع الآذان بمثله ، ولم تقع القلوب على لُفْتِهِ ، له رَوْتَقٌ كَحَبَابِ<sup>(۱)</sup> الماء ، ووزِيرِجِ<sup>(۲)</sup> يعلو ولا يُعْلَى ، وعجائب لا تبلى ولا تَفْنَى ، وجِدَّةٌ لا تتغير ، قالوا : كان محمد صلى الله عليه وسلم أبلغهم قولاً ، وأحسنهم وصفاً ، فياسبعان الله ! ألا يعلمون أن لو كان القرآن كلاماً للعباد ، لما أقرت الأعداء من [ العرب<sup>(۳)</sup> ] بفضلِهِ ، ولا عَجَزَتِ القبائل طُرّاً عن مثله ، وهو يناديهم في الكتاب ، ويتحدّأهم في الوحي ، بصوتٍ رفيع ، ونداءٍ سميع ، فيقول : « هاتوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » وهم فرسان الكلام ، وإخوان البلاغة ، وأبناء الخطب ، وأهلُ عداوة له وَبُغْيٍ عَلَيْهِ ، فَتَسْتَحْسِرُ<sup>(۴)</sup> الأَبْصَارُ ، وتثقلُ الأَسْمَاعُ ، وتنعقدُ الأَلْسُنُ ، وتخرسُ الخطباء ، وتعجزُ البلغاء ، وتحرارُ الشعراء ، وتسليمُ الكهّان ، ثم لقد قايستِ البُصراءُ بالكلام والعلماء بالمنطق بين ما بأيدينا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من كلام الوحي ، فإذا بينهما بَوْنٌ<sup>(۵)</sup> بعيد ، وتفاوتٌ شديد ، ليس بشبه له ولا مُدَانٍ ولا قريب ، وكذلك ينبغى الكلام الرب عز وجل أن يعلو كلام الخلق ، وألّا يُشَبَّه قول العباد في تأليفه وأحاديثه ومعانيه وجميع ما فيه ؛ لأن الله عز وجل لا يُشَبَّه شيء من ذلك ، إنه إذا قال المسلمون : كان محمد صلى الله عليه وسلم يُرى ماضياً أسلافنا ، وصُلِحَ آباؤنا ، من العجائب العظام ، والآيات الكبار ، ما هو جديد عندنا ، بَيْنَ قِبَلِنَا ، فلم يَعْفُ أثرُهُ ، ولم يَدْرُسْ خبرُهُ ، ولم يتقدّم عهدُهُ : من شجرة ناداها فأقبلت ، ثم أمرها فرجعت ، ومن نحو بعير تظلم ، وذئب تكلم ، وأشباه ذلك كثيرة ، ونظائر له عجيبة ، قالوا : كان محمد صلى الله عليه وسلم كاهناً حاذقاً ، وساحراً ماهراً ، يشبه بالخيال ، ويأخذ بالأبصار ،

(۱) حباب الماء : فقائمه التي تطفو كأنها الفوارير .

(۲) الزبرج : الزينة من وشى أو جوهر .

(۳) في الأصل يباين عل هذه الكلمة .

(۴) استحسر : أعيا . (۵) البون : الفضل والزيادة .

كيف والجوعُ الكثيرة تصدُر عن الأَطعمة البسيرة ، والمياه القليلة شيباعاً رِوَاءً  
أَيكون ذلك والسحر سواءً ؟ والأخذ بالعيون لايجرى في البطلون ، ولو كانوا يفظرون  
لدينهم وينصفون من أنفسهم ، اعلوا أن أمر الساحر يدور على إفك وغرور ، وأن  
لمحمد صلى الله عليه وسلم آثاراً قائمة ، ومنافع دائمة ، ثم لو كانت الكهانة والسحر  
يبلغان مثل هذا من الأمر ، كَبَطَلَتْ آيات الكتب ، وعلامات الرسل ، ولَعَلَّتِ  
الشبهة ، وسقطت الحججة ، وكَذَبَتِ النبوة ، ولَبَطَل ما كان يفعله عيسى عليه السلام :  
من إبرائيه الأكمة (۱) والأبرص وإحيائه الموتى ، فلا يكونن التقليد للرجال مبلغ  
علمك ، ولا القبول لدعواهم بلا بينة .

ومن ذلك أنه إذا قالت البهراء من أمتنا والعلماء بملتنا : كان النبي صلى الله عليه  
وسلم أمياً لا يُحسِن الكتاب ، وحافظاً لا ينسى القرآن ، وقلماً يجتمع العقلُ السيد  
والحفظُ السريع والنسيانُ البطيء ، قالوا : كان أخطأ الناس يدا ، وأذكاهم حفظاً ، كان  
يكتب بالنهار ، ويدرس بالليل .

ولعمرك الله أن لو كانت الحال كما يقولون ، والأمر كما يصفون ، لما خفيت الصُحف  
له ، ولا اكتُميت الدراسةُ عليه ، ولما كان يُطبق سترها عن أهله ، ولا حجابها دون  
قومه ، وكيف تؤمن القلوب ، وتقرّ العقول ، أن رجلاً كبيراً حملَ علماً كثيراً ، وحكماً  
جماً : من آياتٍ متشابهة ، وسُورٍ متوالية ، وهو صاحب أسفارٍ مترامية (۲) ، وأخو  
حربٍ دائم ، لا يُبطن لفظه ، ولا يسقط حفظه ؛ لولا (۳) أن الله عز وجل كفاه أن  
يحرّك به لسانه ، وضمين له جمعه وقرآنه ، فقال عز وجل : « سَفُرْتُكَ فَلَا تَنْسَى »  
فلم يكن يسقط واوا ولا ألفا ، ولا ينسى كلمة ولا حرفاً ، ما أبينَ هذا وأعجبه ! وأعجب  
منه المنكرُ له !

(۱) من ولد أعمى . (۲) في الأصل « متراخية » .

(۳) في الأصل « ولا يسقط حقه ، ولولا أن الله » .

وأما قولهم في الخطِّ وإكثارهم في الكتاب ، فإن الله عز وجل جعله أمياً ليثبت حجته ، ويصدق مقالته ، ولئلا يشكَّ المُبطلون في أمره ، ويقولون : تعلمه من غيره . فإنه قد قال ذلك بطائن من مُناقفة العرب ، وطوائف من كفره العجم ، فنطقت به الأعداء من جبرته ، والحسدة من عشيرته ، الذين بلغوا [ ما بلغوا <sup>(۱)</sup> ] من مُجادلة حقه ، ومخاصمة ربه ، كفاة لمن قُرب ، ووكلاء لمن بُعد ، فيما لم تكن العرب واقعةً عليه ، ولا الأمم مهتديةً إليه ، لأنهم <sup>(۲)</sup> قد أحاطوا من علم خبره وخفي أثره ، بما كان عن غيرهم محتجياً ، ومن سواهم مكتئباً ، وقالوا : لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعلم من بشر ، أو يختلف إلى أحد ، لما خفي عفا ، واستقط علينا <sup>(۳)</sup> ، وحقا لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يختلف إلى أحد صغيراً ، أو يتعلم من بشر كبيراً ، لعرف ذلك أترابه المختلفون معه ورفقاؤه والمقتدون ، ولما جهل ذلك من حوله من جبرته نُصرة ، ولا من معه من أهل بيته دنية ، الذين عليهم يُوردون من قبلهم يُصدِر ، ولما كان شائماً عند حشم معلمه وجيرة موضعه الذين كان يختلف إليهم ، ويتأدب بين ظهرانيهم ، ولو كانوا بذلك عالمين ، أو فيه من أمره شاكين ، ثم بلغهم وتقرر قبلمهم أنه يقول : إن الله عز وجل أوحى إليه فيما أنزل من الكتاب عليه : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذَا لَأْرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ » لخاصمه منهم من كفر ، ولما كفر به منهم من آمن ، ثم بدعي ذلك قرآناً ، وبتحليله وحياً . أما كان يرهب أن ينقش في الأقربين ويخرج إلى الأبعدين ، فتبطل حجته ، وتنفق دعوته ، وتسقط نبوته ، وينفر أصحابه الذين لم يصبوا <sup>(۴)</sup> معه في المجاهدة أنفسهم ، ويبدلوا عند الشدائد مهجهم ، وينفقوا فيه - على الحاجة - أموالهم ، مُناصبين <sup>(۵)</sup> لأهل الشرق والغرب والعجم وكل الأمم ، وهم قليلون مستضعفون عائلون جائعون ، لا طلباً لدنيا ، ولا طمعا في منال ، إلا لئلا

(۱) زيادة يقتضيا السياق . (۲) في الأصل « إلا أنهم » .

(۳) في الأصل « ولا سقط » .

(۴) صبرته : حبسها . (۵) أي مهابين .

تَعَقَّبُوا مِنْ قَوْلِهِ ، وَعَرَفُوا مِنْ صَدَقِهِ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ وَوَعَدَهُمْ أَن يُغْلَبَ كَسْرِي  
وَقَبِصْرُ لَهُمْ ، فَصَدَّقُوا بِقَوْلِهِ وَأَمَنُوا بِوَعْدِهِ ، حَتَّى قَوَّيْتُ الْبَصَائِرَ ، وَصَرُمْتُ <sup>(۱)</sup> الْعِزَامَ  
وَقَوَّيْتُ النِّيَّاتَ ، فَفَشَّطَتِ النُّفُوسَ ، وَشَجَّعَتِ الْقُلُوبَ ، وَحَمَلَتِ الْأَبْدَانَ ، كَمَا وَقَعَ لَهُمْ  
طَمَعٌ فِيهِ ، وَلَا ذَهَبَ لَهُمْ وَهْلٌ <sup>(۲)</sup> إِلَيْهِ ، فَكُنْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى يَقِينٍ لَا يَخْلِجُهُ <sup>(۳)</sup> شَكٌّ ،  
وَمَهْرَفَةٌ لَا يَخْلِطُهَا رَيْبٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّهُ إِذَا قَالَ الْمُسْلِمُونَ : مَا مِنْ فَعَالٍ مَحْمُودٍ ، وَلَا مِقَالٍ مَعْرُوفٍ ، وَلَا  
خُلُقٍ كَرِيمٍ ، وَلَا أَدَبٍ فَاضِلٍ ، إِلَّا وَقَدْ أَدَّبَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِدِ مَحْمُودًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَأَنْزَلَهُ فِي الْكِتَابِ إِلَيْهِ ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِالْمَكَارِمِ ، وَيَحْضُرُ عَلَى الْمَحَامِدِ ، وَيَعْمَلُ بِالْمَحَاسِنِ  
الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَدْخَلٌ لِشُبُهَةِ طَاعِنٍ ، وَلَا مَعْلَقٌ لِحُجَّةِ قَائِلٍ ، وَلَا مَفْعَمٌ لِبَصِيرَةِ عَائِبٍ ،  
وَلَا مَوْضِعٌ لِحُصُومَةِ بَشَرٍ ، فِي وَعْدٍ أَوْ عَهْدٍ ، أَوْ حَلٍّ أَوْ عَقْدٍ ، أَوْ مِقَالٍ أَوْ فِعَالٍ ، أَوْ  
غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ ، قَالُوا : أُمُورٌ حَمَلَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ ، وَدَعَاها إِلَيْهَا عَقْلُهُ ، وَصَبَّرَ عَلَيْهَا ،  
لِمَا أَمَّلَ وَرَجَا فِيهَا ، سَبَّحَانَ اللَّهِ ! وَمَا أَمَّلَ بِهَا وَارْتَجَى مِنْهَا ؟ إِنْ قَالُوا : الدُّنْيَا ، فَلَقَدْ  
أَكْذَبَهُمْ إِدْبَارُهُ عِنْدَهَا ، حَيْثُ أَمَكَّنَتْهُ الْقُدْرَةُ مِنْهَا ، وَأَعَثَّرَتْهُ الْحَالُ عَلَيْهَا ، وَإِنْ قَالُوا :  
حُبُّ الْأَثَرَةِ ، فَقَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ لِلْمُسْلِمِينَ أُسْوَةً : فِي مِهَامِهِمْ <sup>(۴)</sup> وَقِصَاصِهِمْ <sup>(۵)</sup> ، وَحُدُودِهِمْ  
وَحَقُوقِهِمْ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ ، وَإِنْ قَالُوا الْمَلِكُ ، فَلَقَدْ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ لِرَبِّهِ  
تَوَاضِعًا ، وَأَعْظَمَهُمْ فِي جَنْبِهِ تَصَاغُرًا ، مَا إِنْ أَكَلَ مَتَكِفًا قَطُّ إِلَّا مَرَّةً ، ثُمَّ قَعَدَ  
كَهَيْئَةِ الْفَرِيعِ لَهَا النَّادِمُ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ » ، وَإِنْ قَالُوا :  
النَّعِيمُ ، فَمَنْ كَانَ أَيْبَسَ مِنْهُ مَعَاشًا ، وَأَخْشَنَ رِيَاشًا <sup>(۶)</sup> ، وَأَغْلَظَ مَا كَلَا ؟ وَكَيْفَ

(۱) عزيمة صارمة : أى ماضية .  
(۲) وهل إلى الشيء : يوهل بفتحها ويهل بالكسر وهلا بالكون : ذهب وهمه إليه .  
(۳) خلجه كضربه : حركة وجذبه وانزعه .  
(۴) جم سهم بالفتح : وهو الحظ والنصيب .  
(۵) وفي الحديث « وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .  
(۶) أى لباسا ، وأصل الرياش : اللباس الفاخر .

يذوق العيش ، أو يجد لذيذ النعيم ، من حرّم الشكر والخمر ، ونهى عن اللذّ يباح والقزّ  
وكان أكثر دهره صائماً ، وأطول ليله قائماً ؟ فإن قالوا : طلب الصوت<sup>(۱)</sup> ورغب  
في الدين ، فذلك ما لم يطلبه أحدٌ في حب الصوت ، والتماس الحمد ، لما صبر على  
مغاضب قومه ، وملاوم أهله ، وشتائم العرب ، وتوعد العجم ، واستهزاء قريش :  
يرمونه بالعقوق ، ويقذفونه بالجنون ، ويهتونه<sup>(۲)</sup> بالسحر ، وليس يدري ما يهتجم<sup>(۳)</sup>  
به الأمر .

أم يقولون : طلب تائيل<sup>(۴)</sup> الملك لقومه ، وأراد توطئة الولاية لأقاربه ، فكيف  
يطلب لقومه ما قد زهد فيه لنفسه ؟ أم كيف يطلب لهم عز الملك ، وقد أوطأهم الذلّ  
ثم القتل ؟ لعمر الله أن لو أراد الملك لأقاربه ، وأراد طلب السلطان لذوى رحمة ،  
لو كد لهم عقداً لا يحلّ ، ولا أبرم لهم أمراً لا ينقض ، ولا أثل لهم في عنفوان<sup>(۵)</sup>  
أمره ملكاً لا يخرج من أيديهم ، ولا يبرح<sup>(۶)</sup> أبداً فيهم ، امتثالاً لصنيعكم ، واحتذاءً  
على مثالكم ، مع أقاويل جمة ، ونظائر كثيرة ، لا يستقيم لهم معها أن يقولوا إن محمداً  
صلى الله عليه وسلم غلب العرب وقهر العجم ، أو قال في أمر السلطان والنجوم يكذب .  
فإن قلتم : إن محمداً صلى الله عليه وسلم ، كان في قوة عقله ، وبيان فضله ، على ما قلنا  
وقلتم ، وصدقنا به نحن وأتم ، ولكن هفت العلماء ، وزلت الحكاء ، وأخطأت  
القلوب ، فقد يعلم أمير المؤمنين - وأتم بذلك من العالمين - أن خطأ قلوب العلماء  
كخطأ دائرة الرّحى : ليست العلماء بمخطئة إلا المرة والثنتين ، كما لا تُخطئ الرّحى  
إلا الحبة والحبتين ، ومثل الذي نسبتم إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ عندكم ،

(۱) الصوت والصيت : الذكر الحسن .

(۲) بهته كنهه : قال عليه ما لم يفعل .

(۳) أي ما ينجلي عنه الأمر ، من نجاح وفوز ، أو خذلان وفشل .

(۴) أي تأصيله وتعظيمه . (۵) أي في أوله وحداته .

(۶) في الأصل « ولا ينوح » وهو تحريف .

والجهل في أنفسكم، كثير لا يُحصيه أحد، ولا يُبلغه عدد، وأمير المؤمنين واصف  
بعضه لكم، ومُورِد ما حَضَرَ كتابه إن شاء الله لكم، وإيم الله على ذلك لو قالت  
العلماء من المسلمين: دَبُّوا محمداً صلى الله عليه وسلم كان في أمر النجوم من المخطئين،  
فكيف أخطأت العرب، وهفت الأمم في ترك مجادلتها، ورَفَض منازعتها؟ وكيف  
لم تقل العلماء من إفتائه<sup>(۱)</sup> والحكماء من حكائهم، توبيخاً منهم له، وتصيراً لمن آمن  
معه: هذا أمر من أوضح الأكاذيب، وأبطل الأباطيل، فلا يثبت مع قولهم إيمان،  
ولا يُقيم على شرحهم إنسان. فإن قلت: فلعل ذلك قد كان، ولكنه دَرَج<sup>(۲)</sup> على  
طول الأزمان، فكيف إذن صدقت العرب بنبوته، ولم تكفر القبائل برسالته،  
وهم يسمعون كذباً لا ينفع معه صدق كان قبله، وباطلاً لا يُعصم معه حقٌ حَدَثَ  
بعده؟ وإن قلت: أدخلهم بالقهر، وضَبَطَهم بالقتل، وأكرههم بالسيف، فما بال  
القليل من المسلمين الذين قهرهم الكثير من المشركين، ما بالهم آمنوا وصدقوا،  
وصبروا وصابروا وجدوا وجاهدوا، كيف لم تنكسر عزائمهم، وتَهِن<sup>(۳)</sup> بصائرهم،  
ويرجعوا إلى دينهم، وَيَهْرُبُوا عن توحيدهم؟ كلا، لو كان الأمر على ما تقول  
لَأَرْفَض<sup>(۴)</sup> القوم عن الرسول، ولكان صلى الله عليه وسلم أول مقتول أو مخذول،  
فأحسِن النظر فيما تذهب الأهواء برأيك إليه من آيات النبي صلى الله عليه وسلم، وإن  
جمعت الدعوى بكم، فقاتل - قد مالت به الأهواء في الباطل - فقال: إنه إلا يكن  
الأنبياء ذكرت النجوم في صحتها، بينت الحكماء منها ذكراً في كعبها، فجعلت  
المنقَض من الكواكب بين الأعوام، دليلاً على أمر يحدث تلك الأيام، ولا ما هذا  
الاختلاق، يَلِيطُ به الجاهل للفُسَّاق<sup>(۵)</sup>، ما إن وضعت الحكماء ذلك في الكتب

(۱) هكذا في الأصل . (۲) أي اقترض وفتى .

(۳) أي تضيف . (۴) أي تفرقوا عنه وذهبوا .

(۵) هكذا في الأصل، ولط بالأمر كضرب: لزمه .

إلا ليالي ملئت السماء من الشهب ، وبالله لو ادعيتم غير ذلك فكان حقا ، وكانت  
 القالة مضك صدقا لما كانت الدعوى بناقضة لآية النجوم حجة ، ولا مدخلة على  
 أحد فيها شبهة ، لأن رميا يقع فرط السنين من الكواكب ، لا يبطل رجحا قد ملأ  
 السماء من كل جانب ، ثم لو لم تكن النجوم آية دامغة<sup>(۱)</sup> ، وحجة بالغة ، ودلالة  
 قاهرة ، وعلامة باهرة ، وأمانة ظاهرة ، وشهادة قاطعة ، وبينة عادلة ، وداعية قاهرة ،  
 تبطل أظنان المشركين ، وتردع أقاويل المناهضين ، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم ،  
 ليُعظم أمرها ، ولا ليكرر في آي القرآن ذكرها ، رهبة لمناهضة أحياء العرب ،  
 ومعرفة بمجادلة إخوان الكعب ، الذين لو وجدوا فيما كتب به إليك أمير المؤمنين  
 من أمر النجوم ، واحتج به عليك من ذكر الرجوم ، موقعا لظن ، أو معلما بطعن ،  
 أو مغمزا لقول ، لتأصبوه إذن بالمجادلة ، وكاشفوه بالنازعة ، وجاهروه بالقول الذي  
 لا يستطيع له ردًا ، ولا يطبق له جعدا ، ولكنها آيات ملأت الأفطار كثرة ، وحمرت  
 الأبصار قوة ، قد وجت العقول ، ووهت القلوب ، وملأت النفوس جزاها ووجعا ،  
 وفزعا شغلهم عن الأولاد ، وأذهلهم عن البلاد ، حتى بلغ أمير المؤمنين ، وتقرر عند  
 فقهاء المسلمين أن الله عز وجل لما ملأ السماء حرسا ، وأحدث لها رصدا ، وخلق فيها  
 شهبًا ، ذكرت العقلاء من العرب وقعات الله عز وجل في الكتب بقوم نوح وعاد  
 وثمود وأشباهم من مؤلفي تلك الجفود ، الذين كانوا أشد بطشا ، وأكثر جمعا ،  
 فانفرت أيديهم عن كرائم أموالهم ، وأرسلت أنفسهم متائن عقدهم ، وإن أهل  
 الطائف لما فعلوا ذلك بأموالهم ، وأجمعوا فيه الخروج إلى فقراهم ، قام فيهم رجل منهم  
 ذو سين وعقل فقال : يا مشر العرب ، لانهلكوا أنفسكم قبل أن تهلكوا ، ولا  
 تخرجوا من أموالكم قبل أن تخرجوا ، تفقدوا مواقع نجوم السماء ، وكواكب  
 بدور الدجى ، فإن كانت النجوم التي حدث الرمي بها ، والنجوم التي أخلتكم الأموال

(۱) في الأصل « دافعه » والمعنى عليها صحيح ، ولكن يظهر أنها « دامغة » .

لها، هي لِبُرُوجِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمَسَالِ (١) الْحَيَوانِ وَالشَّجَرِ، فَهِيَ جَوَائِحُ الْاِسْتِنْصَالِ، الْمُتَلَفَةِ الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ، وَإِنْ كَانَتْ النُّجُومُ الَّتِي حَدَّثَ الْقَدْفُ بِهَا إِنَّمَا هِيَ نَجُومٌ خُلِقَتْ الْيَوْمَ، فَلَيْسَتْ الْمَعْرِفَةُ بِوَاقِعَةٍ عَلَى مُبْتَدَايَاهَا، وَلَا الْأَبْصَارُ بِلَا حِقَّةٍ مُنْتَهَاهَا، فَأَمْسِكُوا الْعُقَدَ (٢) عَلَيْكُمْ وَالْأَمْوَالِ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ يَحْدُثُ فِي إِحْدَى هَذِهِ اللَّيَالِ .

فإن قلت : كيف وقعت الأمور في هذا الرجل كالعيان ، وصارت المقالة منه كوعى الآذان ؟ أنبياءك أمير المؤمنين أن أوعية الفقه من المساهين ، الذين حملوا إلينا سنن الدين ، هم أدوا ذلك إلينا ، وأبقوه نخرأ . . . . (٣) علينا ، فما إن ينفك منهم مفتخر يقول : أبونا الذي حبس على العرب الأموال والعقد ، فما إن يدفع القول في ذلك منا أحد ، هيئات ما كانت العرب لتقر عند الفخار ، إلا بطول هو أئين فيها من ضوء النهار ، فافهم ما كتب به أمير المؤمنين في هذا إليك ، ولا يكن التعلل فيها بالشبهات أو ثق ما لديك ، فإنه قل حجة إلا وإلى جنبها شبهة تخيل للعقول ، وتعرض للقلوب ، وتجلجل (٤) في الصدور ، فلا يثبت مع تخيلها ، ولا يُقيم لتعرضها بشر ، إلا من وزن الحق والباطل بميزان عادل ، لا يميل إلى تفریط ، ولا ينحط في تقصير ، وقد جعل الله عز وجل العقول موازين للأموال ، فزِنُوا ما سمعتم من حُجَجِ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ بِما تَنفُونَ به الشبهة عن الحق ، ولا تُتَمِلُوا اللسان ، فتخسروا الميزان .

وسيعلل أمير المؤمنين إن شاء الله ما جاء عن ذكر ما كتب به إليكم من أمر النجوم والرُّجُومِ وَالشُّهُبِ فِي الْقُرْآنِ وَالرُّوَايَةِ وَالْكِتَابِ ، فَالطِّفُوا النَّظَرَ فِي صِحَّةِ مَعَانِيهِ ، وَنَحِّوْا الْهُوَى عَنْ شُبُهَةِ (٥) ما وَقَعَتْ فِيهِ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

(١) مصدر أريد به المكان . والمعنى : ومرعى الحيوان ومنبت الشجر .

(٢) العقد : جم عقدة بالضم ، وهي الضيقة والعقار الذي اعتقده صاحبه ملكا .

(٣) بيان بالأصل بمقدار كلمة .

(٤) أي تحرك . (٥) في الأصل من شبهة إنما .



بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ » وقال : « وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ » وقال : « إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ » وإن شَطَبَ (۱) عن الحق شاطِبٌ ، أو ذهب إلى الباطل ذاهبٌ ، لا يعرف مذاهبَ كلام العرب ، ولا وجوهَ معانى الكتب ، ولا تفسيرَ آيِ القرآن ، فقال : إنما جعلت الكواكبُ والمصابيحُ حِفْظًا من الله عز وجل للسماء ، ورُجُومًا للشياطين من قبل أن يبعثَ اللهُ محمدًا صلى اللهُ عليه وسلم بالدين ، فإن في آيات القرآن ما فيه بيانٌ مما يُبطل دعواه التي لا بيعةَ عليها ، ويكذبُ مقالته التي لا شهودَ لها ، فقالت الجن ، فجعل اللهُ تبارك وتعالى قولها وحيًا ، وبه منها صدقًا : « وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتِ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا » ألا ترون أنها كانت الجن كست السماء فلم تجدها مُلْتِ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ، وقعدت الشياطينُ منها مقاعدَ للسمع فلم تجد شُهَبًا ولا رَصَدًا ، أو لا تسمعون إلى ما يَحْتَقُّ ذلك ويسدُّه ويصدقُه ويشهد له من قول الله تعالى : « هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَلَ الشَّيَاطِينُ . نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ » مع قول الجن أيام حُرست السماء ، ورُميت الشياطينُ : « وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرًا أَرِيدُ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا » فإذا أعلمتم في ذلك فِكْرَكُمْ ، وقلبتهم فيه نظرَكُمْ ، فكنتم على برهان يقين ، ونور مستبين من استطاعة الجنِّ للاستماع ، وقدرة الشياطين على الاستراق ، وإمكان السماء للعود في تلك الحال الأولى ، ففكروا في الحال الأخرى حيث حُرست الآيات أن تعارض باطلا بحق ، ومُنعت الشياطينُ أن تنزل بصدق ، وامتنعت السماء أن يصعد إليها شيطانٌ ، فقال اللهُ عز وجل « وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ » قالت الجن : « وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَحِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا »

(۱) شَطَبَ من العنى : عدل عنه وبعد .

إِنَّ فِي قَوْلِهِمُ الْآنَ لَأَعْظَمُ نُورٌ وَبَيَانٌ ، وَأَيُّنُ مِنْ ذَلِكَ أَيْسَرُ ، وَأَصَحُّ لِمَنْ عَقَلَ  
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْكُمْ ، إِخْبَارُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ جُعِلَتْ الْكُوفَةُ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ  
 مَارِدٍ أَنَّهُمْ « لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُنذِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا » (۱)  
 وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ « مع إخباره في الحال الأولى أنهم يسمعون ويقعدون وينزلون  
 ويستطيعون وَيَتَلُونَ عَلَى مَلِكٍ سَلِيمَانَ ، فَكُنْ لِهَذَا مِنَ الْحَافِظِينَ ، وَفِيهِ مِنَ الْمَفْكُرِينَ .  
 وَمِنْ آيَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا نَفَرَتِ الْقِبَائِلُ مِنْ أَعْلَامِ الشَّرْكِ بِمَجْمُوعِهَا ،  
 وَتَدَاعَتْ الْقَادَةُ مِنْ صَفَادِيدِ الْكُفْرِ بِاتِّبَاعِهَا ، حَذَرًا عَلَى عَيْرٍ (۲) لَهَا أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ ،  
 بِصَنُوفٍ رَغَائِبِ أَمْوَالِ عِظَامٍ ، فَكَانَتِ الْعَيْرُ وَالنَّفِيرُ طَائِفَتَيْنِ : طَائِفَةُ ذَاتِ عُدَّةٍ  
 كَثِيرَةٍ وَشَوْكَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَطَائِفَةُ ذَاتِ أَمْوَالٍ رَغِيْبَةٍ وَرِجَالٍ قَلِيلَةٍ ، وَفُرْصَةٌ مُمَكَّنَةٌ ،  
 أَخْرَجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَعَدَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِحْدَاهُمَا ،  
 فَكَّرَهُ الْمُؤْمِنُونَ جُمُوعَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقَطَعَ دَائِرَةَ الْكَافِرِينَ ،  
 وَيُسَيِّدَ بِذَلِكَ أَرْكَانَ الدِّينِ ، فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ، وَتَنَاوَشَتِ الْفُرْسَانُ ، وَتَلَاقَى النَّاسُ ،  
 وَقَبِلَ ذَلِكَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ » قَبِضَ النَّبِيُّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ ، حَثَّاهَا فِي وُجُوهِهِمْ ، فَلَمْ يَتَنَاهَ دُونَ مَنَاحِرِهِمْ  
 وَعِيُونِهِمْ ، فَانصَرَفُوا مِنْهَزِمِينَ بِلَا كَثِيرٍ قِتَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَأْهَلُ الْكِتَابِ فَأَيَّتِمًا آيَةً  
 أَعْظَمُ حُجَّةً ، وَأَوْضَحُ بَيِّنَةً ، وَأَقْهَرُ غَلْبَةً مِنْ هَذِهِ الَّتِي لَوْ صَدَرَتْ الْأُمُورُ بِهَا لَتَحْقِيقُ  
 لَهَا ، لَانْفِضَتْ الْجُمُوعُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كُفَّارًا بِهَا ، أُبَشِّرُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَمْدَادِ الْمَلَائِكَةِ

(۱) الدحور : الطرد والإبعاد والدفع - واسب : شديد .

(۲) العير الفافلة ، أو الإبل تحمل الميرة ، بلا واحد من لفظها ، يشير إلى عير قريش التي أقبل بها  
 أبو سفيان بن حرب من الشام ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وهو بالمدينة ) قد تحمى رجوعها  
 من الشام إلى مكة ، فندب المسلمين للخروج معه بغية الظفر بها ، ولما علم أبو سفيان أن أصحاب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم معترضون ، له ساحل بالعير ، وبعث إلى قريش أن محمدا وأصحابه معترضون لكم فأجبروا  
 تجارتكم ، فأدركتهم حيثهم ونفروا سراعا ، وكان من وراء ذلك غزوة بدر الكبرى كما هو مشهور ،  
 والنفير : القوم يستنفرون للحرب ، وهم هنا مشركو قريش الذين خرجوا يستنفذون العير ، وكان  
 رئيسهم عتبة بن ربيعة .

المقرّبين ، وهزيمة نفيّر المشركين التي نجتّ الأمور عليها ، وتناهت الحال بهم إليها ، أم قبضة من تراب يسير ، ماملأ المناخِر من عدد كثير ؟

فلئن قلتم : إن هذه آيات بينات ، وعلامات واضحات ، ولكننا لا نُقرّ لكم بها ، ولا نُؤمن بقولكم فيها ، أفتمنّون أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، مع ما نسبتموه من الفضل إليه ، كان يخلّصها كذبا من تلقاء نفسه ، ثم يدّعيها وخبياً من عند ربه ، وهو لا يدري لعلّ الأمور تقع بخلاف ما يقول ، فيظهر كذبهُ ، ويرفض تبعهُ .

ويزعم أن أصحابه كانوا كثيراً أقوياء ، نشاطاً جلداء ، فكان على معرفة بقوتهم وبقين من غلبتهم ، فقد قال الله عز وجل : « وَإِنَّ قَرِيَقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهِونَ . يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ » ولم يكن الرسول ولا غيره ليخبر أصحابه من أمورهم بما يجهلون من أنفسهم ، ثم يدعى ذلك تنزيلاً من ربهم ! هذا لا تقبله الآراء ، ولا تُقرّ به الحكماء ، ولا يحذّاه النظر .

أم تقولون : إنما أراد محمد صلى الله عليه وسلم ببشارته لهم ، وإخباره ما أخبرهم من هزيمة الله عدوهم ، أن يشجّع جيّتهم ، ويقوّي ضعفهم ، فكيف إذن لم يشق<sup>(۱)</sup> لما كان يرى من كثرة المشركين وقوتهم ، وضعف المسلمين وقائهم - بظهور الأنبياء على خلاف قوله ، وأن محال<sup>(۲)</sup> الخبر على غير ظنه ، فيقع ظنر يكذب نبوته ، ويقطع حجّته ، ويكون له ما بعده ؟ وكيف إذن لم ينسب الأمر إلى نفسه ، وينتحي الخبر عن ربه ، ليكون الخطر أصغر ، والشأن أيسر ، إن جرّت الأقدار بما يحذر ، أو وقعت الأمور على ما بكره ؟ ولكنه أثبتته في كتاب مسطور ، ورق<sup>(۳)</sup> منشور ، فعمل لعمرك الله يدل على النبوة التي كان بها واثقاً ، ويهدى إلى الوحي الذي كان إليه ساكناً .

(۱) في الأصل « يبق » وأراه مصحفاً .

(۲) هكذا في الأصل ولعله « يجي » . (۳) الرق : جلد رقيق يكتب فيه .

وَإِنْ عَرَضَ لِنَظَرِكَ ، أَوْ وَقَعَ فِي خَلْدِكَ ، أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَوَّدَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَلْبَةَ ، وَأَجْرَاهُ عَلَى الْمَنَّةِ ، فَكَانَ يَجْرِي عَلَى عَادَةٍ قَدِ عَرَفَهَا ، وَيَسْلُكُ جَادَةً قَدِ خَبَرَهَا ، فَلَقَدْ كَانَتْ الْمَرْبِيعَةُ فِي أَوَّلِ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ ، ثُمَّ لَقَدْ دَالَتْ الْحَرْبُ فِيهَا بَعْدَ سِجَالًا (۱) فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، تَارَةً عَلَيْهِ لِهِمْ ، وَأُخْرَى لَهُ عَلَيْهِمْ ، فَنَاصِحُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي نَظَرِكُمْ ، وَقَلَّبُوا فِيهَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَكَّرَكُمْ ، فَلَعَمْرُؤُا اللَّهُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقُولَ لِلْمُلُوكِ الْمُشْرِكِينَ : إِنْ اللَّهُ هَزَمَكُمْ بِرَمِيَةٍ مِنْ تَرَابٍ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، فَأَحْضِرْ كِتَابِي هَذَا فَهَمَّكَ ، وَاصْبِرْ لَهُ ، وَإِنْ خَصَمَكَ ، فَإِنَّ هَذِهِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَحُجَّةٌ بَلِيغَةٌ ، وَبَيِّنَةٌ عَجِيبَةٌ ، فِي غَلْبَةِ الْعَرَبِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذِهِ وَالطَّفُّ ، وَأَكْثَرُ مِنْهَا وَأَعْظَمُ ، الْآيَةُ فِي غَلْبَةِ الْعَجَمِ ، وَاسْتَمَعَ : أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ لِلْمُؤْمِنِينَ - وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلِيلًا مُتَضَعِّفِينَ - : إِنْ قِبَائِلَ الْعَرَبِ سَتَتْ حَزَبٌ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ اللَّهُ سَيَهْزِمُهُمْ لَكُمْ ، وَحَيًّا أَنْزَلَهُ فِي الْكِتَابِ ، فَقَالَ : « جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ » فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا نَزَلَ هَذَا الْقَوْلُ عَلَيْهِ بِدُهُورٍ طَوِيلَةٍ ، وَسَنِينَ كَثِيرَةٍ ، مَجْبُوسِينَ مَحْصُورِينَ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ ، وَعَسْكَرَ الْخَوْفِ ، وَخَنْدَقَ الْقَهْرِ ، وَذَلُّ الْخَضِرِ ، سَوَادُهُمُ الْأَهْمُ ، وَجُلُّهُمْ الْأَعْظَمُ : حُفَاةُ عُرَاةِ عَالَةٍ (۲) ، إِخْوَانُ دَبْرٍ (۳) ، وَأَصْحَابُ وَبَرٍ ، لَا قُوَّةَ بِهِمْ ، وَلَا مَنَّةَ لَهُمْ ، وَلَا أَسْلِحَةَ عِنْدَهُمْ ، وَلَا عُدَّةَ مَعَهُمْ ، قَدْ أَحْدَقَتِ الْعَرَبُ بِعَسْكَرِهِمْ ، وَأَحَاطَتِ الْقِبَائِلُ بِخَنْدَقِهِمْ ، وَسَالَتِ الْأَحْزَابُ تَصَدِيقًا لِحَتْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، تُرِيدُ أَنْ تُنْزِلَ أَقْدَامَهُمْ ، وَتُهَرِّيقَ دِمَاءَهُمْ ، فَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَضَيْقِ الْمَالِ ، وَشِدَّةِ الْكِظَاطِ (۴) ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ

(۱) فِي الْأَصْلِ « فِيهَا بَعْدَ » وَسِجَالٌ جَمْعُ سَجَلٍ بِالْفَتْحِ : وَهُوَ الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ مَمْلُوءَةٌ ، وَيُقَالُ : الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ سِجَالٌ : أَيْ سَجَلٌ مِنْهَا عَلَى هَؤُلَاءِ وَآخَرَ عَلَى هَؤُلَاءِ .

(۲) عَالَةٌ جَمْعُ عَائِلٍ : وَهُوَ الْفَقِيرُ .

(۳) الدَّبْرُ : قَرْحَةُ الدَّابَّةِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَجْهُودُونَ كَالْبَعِيرِ الدَّبْرِ .

(۴) الْكِظَاطُ : الشَّدَّةُ وَالْتِعَبُ وَالْمَارَسَةُ الشَّدِيدَةُ فِي الْحَرْبِ .

وصف لهم حالهم ، وأذ كرم فعلهم ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليصف لهم عن الله ما يجهلون ، ولا ليد كرم من أمره ما لا يعرفون ، حذاراً أن تفكسیر عزائمهم ، وتتغير بصائرهم ، فتهزيم أفئدتهم ، وتموت نجاتهم ، وتختلف كلمتهم ، فقال الله عز وجل : « إِذْ جَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا » حتى قالت طائفة منهم لأهل المدينة : « يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا » وقالت طائفة أخرى : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة (۱) فأذن لنا ، يقول الله تعالى : « وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا » فبيفاهم على تلك الحال قد أجمعت العرب تفريقهم في الجبال ، وتقسيمهم بالقداح (۲) ، وأخذهم بالأيدي ، إذ قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما ينبئهم به من علم الغيوب ، ويشرهم به من أمر الفتوح ، « إِنْ اللَّهُ سَيَنْصِرْكُمْ عَلَى جَمْعِ الرُّومِ ، وَيَغْلِبُ لَكُمْ جُوعَ فَارِسَ ، فِيهْزِمَ لَكُمْ جُنُودَهُمْ ، وَيُورِثَكُمْ قُصُورَهُمْ ، وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَيَبْدَلُكُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِكُمْ أَمْنًا » وَعَدَا صَدَقَةَ الْكِتَابِ ، وبشارة نطق بها الوحي ، فقال : « وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا » فقال أقوام وأناس ارتابوا حين تضايقت الحال ، وتزلزلت الأقدام ، وطارت القلوب ، ودارت العيون ، وأشرف الموت : « مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا » أبعيدنا هزيمة جوع الأحزاب ، وفتح قصور الشام ، وغلبة جنود كسرى ، وقد سالت القبائل علينا من كل جانب ، وأحرق اللوت بنا من كل مكان ، فبقينا في مسغبة (۳) من الجوع ، وتجهدة من الخوف ،

(۱) أي يخفى عليها لأنها غير حصينة .

(۲) القداح : قدام الميسر ، والمعنى : يتفامرون (أو يتآمرون) على تفنيهم وتجزيقهم .

(۳) المسغبة : المجاعة .

وضنك من الحال ، مقهورين مقموعين<sup>(۱)</sup> ، وقالت الخاصه من للؤمنين حين عابنوا  
 الجموع من المشركين ، وذكروا ما خبرهم الله من تحزبهم عليهم ، ومسيرهم إليهم :  
 « هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا  
 وَتَسْلِيمًا » فبينما أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مضايق تلك الحال ، وشدة ذلك  
 الخِصَال<sup>(۲)</sup> ، وعموم تلك البلايا الباهظة ، والأمور الفادحة ، التي قد أخذ بأنفاسهم  
 غمها ، وبلغ مجهودهم كربها ، رافعين إلى الله عز وجل أيديهم ، يلقبون في السماء  
 أعينهم ، إذ أرسل الله على تلك الجنود الكثيفة ، والجموع العظيمة ، والأحزاب  
 المقتدرة ، ريحاً من الأرض ، وجنوداً من السماء ، فمطعت الأبنية ، وطيرت الأمتعة ،  
 وسفت للتراب في العميون ، وقذفت الرعب في القلوب ، فولوا مذيرين ، وخرجوا  
 منهزمين ، لا يلبى<sup>(۳)</sup> والد على ولد ، ولا مولود على أحد ، أمر صدق الله فيه قوله ،  
 وأنجز به وعده ، وهزم الأحزاب وحده ، وذكر المؤمنين نعمته فيهم ، وعرفهم منته  
 بهم ، فقال : « اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا  
 وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ  
 أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاقِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا »  
 وقال عز وجل : « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ  
 الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » ما كان الله عز وجل ليقتص على المسلمين  
 في أنفسهم إلا ما قدرأوه بأعينهم .

لولا أن هذا مالا ينكره عقلك ، ولا يدفعه نظرك ، لما جادتك بالكتاب ،  
 ولا نازعتك بالتنزيل ، وإني لأترك من آيات النبي صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحي ،  
 ما هو أعظم من هذا وأبين ، وأجل وأوضح ، ولكن ليس لي أن أحاجك من آيات

(۱) أي مقهورين مذلولين .

(۲) خصل القوم خصلا وخصالا : نصلهم . (۳) أي لا يقف ولا ينتظر .

القرآن ، إلا بما عليه شاهدٌ من برهان ، ومُخبر من بيان ، لا يستطيع عقلك ردَّآله ، ولا قلبك جحدآله ، وكيف ينسبط لسانك ، أو يجترى قلبك ، أن يقول : إن محمداً صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بالكذب وهم يعلمون ، فاقصص عليهم من أمورهم ما لا يعرفون ! لا ، ما يسوغ لك ولا يجمل بك ، ولا يُقبل منك أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه ، كيف ! أما كان يخاف أن يكذبه أصحابه ، وتنتقل أحواله ، وتنتقص أموره ! لعمر الله لو وصفت بهذا من لا يعرف بفضل ، ولا يُنسب إلى عقل كما كان سائفاً لك ، ولا جازراً منك ، فكيف تصف به من يُرفع عن الناس قدره ، ويفضل عليهم عقله ، وتقرُّ أنك لم ترفى الدنيا أحداً صنَّع ما صنَّع ، وبلغ ما بلغ ، فأيتما آية فيما اقتصر عليك أمير المؤمنين أعظم ، أو بينة أعجب : أما كان يُتلى على المؤمنين في الكتاب من اجتماع قبائل الأحزاب بجنود عظيمة قبل اجتماعهم سنين كثيرة ، أم ما كان <sup>(١)</sup> ينادى به القرآن من الهزيمة لهم ، وينطق به الوحي من الفتح عليهم ، أم قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « إن الله عز وجل يؤمن خوفكم ويعز نصركم على الأمم » وهو على تلك الحال ، ثم نجحت الأمور على ما قال ، أم عسكريان متطابقان ، وجيشان متقابلان ، باتت الريح تحوش <sup>(٢)</sup> أحدهما حتى انهزموا ، وبات الآخرون منها في عافية وغفلة حتى أصبحوا ، فأحسن النظر في أمرك ، والتثبت في دينك إن شاء الله .

واعلم أن من أعظم الآيات ، وأبين الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقه ، وأن ليس يتقول شيئاً من تلقاء نفسه ، أنه قال في عُنُقوان أمره : « إن الله عز وجل سيظهر ديني على الدين كله » وجاء مع ذلك بأثره عن ربه ، في كتاب مخطوط ، وتنزيل محفوظ ، فأى أمرٍ به <sup>(٣)</sup> لك أدل ، أو أيهما عندك أعجب ؟ إذ كنت

(١) في الأصل « أما كان » .

(٢) حاش الصيد : جاءه من حوالبه ليصرفه إلى الحباله ، وحاش الإبل : جمعها وساقها .

(٣) في الأصل : « فأى أمرٍ بذلك » .

بنبوتہ مصدقاً ، ورسالتہ محققاً : الخبرُ الذي أخبره ، أم الفعلُ الذي صدّقه ، لئن نظرتَ بعقلك ، وقلتَ في نفسك : كيف ترقتَ إلى هذانيتهُ ، وارتفعتَ نحوه همتُهُ ، أم كيف امتدتَ إليه فِطنتُهُ ، وقويتَ عليه رويتهُ ؟ بل كيف دعتهُ إليه نفسه ، وشجّعه عليه قلبُهُ ، ودخلَ فيه طمعه ، وطاوعه فيه لسانُهُ ، وهو يذكرُ جنوداً كسرى ، وجموعَ الروم ، وملوكَ التُّرك ، وملوكَ الشُّرك ، وقُيُولَ (۱) اليمن ، وصناديدَ الأمم ؟ إن هذا لعجَبٌ ، ولا سبياً إذا لم يكن في إرثِ مُلكِ قاهر ، ولا كنفِ عزِّ غالب ، ولا معدنِ علمِ سالف .

ولئن أعدتَ النظرَ وكررتَ ، فقلتَ : كيف وافقَ خبرُهُ أثرُهُ ، وكيف صدقَ فعلُهُ قولُهُ ، حتى غلبَ الشرقَ والغربَ ؟ إن هذا لعجَبٌ ! وأعجبُ من هذا أمرٌ يدُلُّك أميرُ المؤمنين عليه ، ويَهْدِيكَ إن شاء اللهُ إليه ، لو قلتَ لأهلِ مملكتك ومَن قبلاك من أمتك : هل بلفكم أو تقرّر قبلكم ، أنه كان في الدهرِ الأول ، والمعصرِ الخالي ، أحدٌ مثل محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم : بدأتِ الأمورُ به مثل حاله ، من الواحدة والضعف والذلة والقلة ، وصدرتِ الحال به كفعاله ، في الغلبة والمنعة والقهر والظهور ، وغير ذلك ؟ لقالوا : لا .

ثم أنت لا تؤمن بمقالته ، ولا تُقرّ برسالتِهِ ، إنفاً لدينك ، ورضناً بملكك ، وطمعاً في قليل من الدنيا قد نَعَاه اللهُ إليك ، ورغبةً في صُبابة عيشٍ غير باقية في يدك ، فهذا عجَبٌ ، وأعجبُ من هذا أمرٌ نَقَفُكَ أميرُ المؤمنين على نورِ حقه ، ويوضّحُ لك إن شاء اللهُ بيانَ أمرِهِ : أصبحتِ العربُ طرّاً والأُممُ جميعاً في محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم ثلاثة لا رابعَ لهم ، ولا مخرَجَ للحق من بينهم : رَجُلٌ مُصدِّقٌ به من المؤمنين ، وَرَجُلٌ مُكذِّبٌ به من الكافرين ، ورجلٌ شاكٌّ فيه من المنافقين .

فأما الشاكُّ فلما قيل له : أخرجتَ نفسك من الحق ، وأبرأتها من الصواب ،

(۱) القبول : جمع قبيل بالفتح ، وهو : الملك من ملوك حمير .



وأقررتَ عليها بالخطأ ، لقولك : لا بدّ أن يكون الحق في التصديق أو التكذيب ،  
ولستَ على واحدٍ منهما ، اعتزل عنها .

وأما المكذّبُ فلما قيل له : أنت منكرٌ ، والمنكرُ ليس بمُدّعٍ ، ومن لم يدّع  
لم يلتزمه بينةٌ ، ولا يُسأل عن حُجة ، اتبع صاحبه وأيمُ الله على ذلك ، لو سئل هذا  
المدعى عن بينته ، وكشفت حجته ، فقيل له : من أين عرفتَ قلبك ، وأيقنتَ نفسك  
إيمانًا لا يُخالجه شكٌّ ، ومعرفة لا يشوبها ريبٌ ، ولا يفازعها شبهةٌ ، أن محمداً  
صلى الله عليه وسلم ليس برسول؟ كما درى ما يقول ، لأنه لا يستطيع أن يتقول على الرسل ،  
ولا أن يتكذّب على الكتب ، فيقول : قد أخبر الله فيها أنه لا يبعث نبياً ، ولا يُنزل  
وحيًا في كتاب مسطور بعد التوراة والإنجيل والزبور ، بل قد يجد أهل الكتاب  
في أقاويل رسلهم ، وأخاير كتبهم ، أن الله تبارك وتعالى يُنزل كتاباً جديداً  
أو كلاماً حديثاً ، بعد خراب بيت المقدس في آخر الزمان ، ولم يُنزل بعد ذلك كتاباً  
إلا القرآن .

وأما الرجلُ المصدّقُ بمحمد صلى الله عليه وسلم فقيل له : أما أنت فقد ادّعتَ ،  
والمدعى يُسأل عن الحجة ، وتُقبل منه البينةُ ، فما بينتُك ، ومن يشهد لك ؟ فقال :  
ألم تقولوا : إن الحق لا يخرج من بيننا ، ولا يُبدّ أن يكون مع بعضنا ؟ قالوا : بلى ! قال :  
فأية بينةٍ أحقُّ وأعدلُ ، وأي شهود أزكى وأفضل من شهادتكم بمفوط صاحبِي ،  
وثبوتِ الحق من بعدها في يدي ؟ قالوا : إن الأمر لكما تقول ، ولكن البينة أشنى  
للصدور ، فأقام بينةً من الكتاب ، وشهوداً من الوحي ، وآياتٍ سوى ذلك عظاماً ،  
وبيناتٍ عوامً ، من كلام لا يقدر عليه الخلقُ ، وصدق لا يكون إلا من قبَل الربِّ ،  
شبهها بما أورده أمير المؤمنين عليكم ، وكتب به في صدر كتابه هذا إليكم ، مما قد  
تشهد له قلوبُ الأمم ، ويزكّيه فعالُ العرب .

فما أقام بينته ، وثبتت حجته ، ووجب حقه ، وقضى به له ، قيل له : وكيف

توسعت الأمور عليك ، وضاعت المقالة ، لك أن تقول : إن الله لا يبعث نبياً بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا وحياً ينزل غير القرآن ، فأبطلت الكتب المحدثه ، وأكذبت الوثيقة ، ولم تترك وحياً غير القرآن ، ولم تجز للنصارى أن تقول : لا نبى بعد عيسى عليه السلام ، ولا كتاب خلف الإنجيل ، وعن ذلك من أخبار الكتب ما قلنا : كل معنبي بعد نبينا كذاب ، فشاعت وجازت الحجة ، ووضح العذر . وأما النصارى فيجدون في أواخر كتبهم ، وأقاويل رسلمهم ، أن الله عز وجل يبعث نبياً حديثاً ، وينزل كتاباً جديداً ، فليس لهم أن يكذبوا نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يردوا كتابنا .

فهؤلاء الثلاثة : أما الشاك فسقط ، وأما المنكر فبطل ، وأما المصدق فثبت ثبوتاً ليس فيه مدخل شبهة ، ولا موضع لحجة ، ولا معلق لمنازعة ، وذلك أن المنكر لوجوب حقه ، والشاك في ثبوت صدقه ، لا يجد بداً من أن ينص الصدق عن الخلق ، ويخلى الدنيا من الحق ، وهذا قول المكذبين برَبهم ، الشاكين في بعثهم ، فأحين النظر في معانيه ، ينكشف لك هما فيه إن شاء الله .

ومن أبعين آياته وأدل علاماته صلى الله عليه وسلم ، ووسع له فيما صدر إليه ، أنه لما أخبرت النصارى واليهود أنهم لم يجدوا محمداً صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل موصوفاً مكتوباً ، تجمعت العلماء منهم ، وتدارست الكتب فيما بينهم ، فلما نظروا إلى اسمه ، وعابضه بنصته ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويستفتحون بذكره على من سوامهم ، كفرت طائفة حسداً من عند أنفسهم ، وجعداً من بعد ما تبين لها ، وآمنت طائفة ، تصدقوا بكتابها ، وخوفوا من ربها .

فلمسراً الله لولا أن الذين آمنوا بحقه ، وصدقوا بأمره ، رأوا صفة عياناً ، وقيلوا نعتة إبقانا ، كما فارقوا أديانهم ، ولا جادلوا إخوانهم ، حتى وقفوا على اسمه ونسبه ، وصفته وعلامته ، وهم علماء بني إسرائيل ، وحملة الإنجيل : من أهل الكتاب الذين

احتج الله عز وجل بهم على العرب فقال عز وجل : « أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَبْعُدَهُ  
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ » واصر الله إنها لآية عظيمة ، وحجة بليغة ، ذكرها الله في كتابه  
وجعلها على العرب من بيناته ، فقال لهم : « قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا  
إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا » يقولون : وَعَدْنَا أَنْ يُرْسِلَ رَسُولًا ، فقد أرسله ،  
وحقق قوله ، وصدق وعده ، واحتج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وذكره ، ولم يكن  
النبي صلى الله عليه وسلم ليجادل ويحتج في أمرهم بكذب وباطل ، ولم يكن ليقول  
للنصارى واليهود ، فيما ذكر الله من صدق الموعود : إنه في التوراة والإنجيل مكتوب  
موجود ، إلا وهو من ذلك على حق يقين ، ونور مستبين ، وكيف كان يستشهد  
من التوراة والإنجيل بكذب ، ويتقول عليهم الباطل ، مع حرصه على تصديق  
أهل الكتاب ، ليستدعي به إيمان أحياء العرب ، أما كان يعلم أنه إذا قال لهم :  
إنه موجود في مثنائي كتبهم ، وسُئى على أفواه رسلهم ، فلم يجدوا خبره يقينا ،  
ولا وَصْفَهُ مستبيناً ، أنهم سيُدبرون عنه إداراً ، تزداد به العرب نفاراً ، إلا أن يقولوا  
خطأ من علمه ، وهو لا من خبره ، فكيف لم يخطأ إذن في كتبهم حرفاً غيره ، ولم  
يخالف منها شيئاً سواه ؟ سبحان الله ! لقد أكثر المؤمنون العجب من ذهاب الأساقفة  
بكم ، فأنتم إن تنكروا ما يقولون لكم ، مما ليس لذي لب أن يأذن له أن يؤمن به ،  
ولا أن يفيد<sup>(۱)</sup> إليه سمعه ، يقولون : إن أنبياء الله ورسله ، المبعوثين بالرحمة إلى خلقه ،  
لطفّت النبوة منهم ، ووقعت الأخبار المنزلة عليهم ، على صفائر الأمور ، وغوامض  
الخطوب ، فسار الناس عليها ، وأشاروا لهم إلى طلبها ، فهي مكررة في مثنائي كتبهم ،  
وَبُطُون صحفهم ، وأقويل رسلهم ، وتركوا من كلام الله النبا العظيم والأمر الكبير ،  
والذكر الحكيم الذي ملك آفاق الأرضين ، واستفاض على جميع العالمين ، لم يذكره

(۱) أى يلقى .

بخير يأترون به ، ولا بشرة يفتنون عنه ، كلا ! ما ترك الله على هذا خلقه ، ولا بهذا وصف تبارك وتعالى نفسه ، إنه لأرحم الراحمين ، وأحكم الحاكمين .

ولئن رجعت إلى قلبك ، لتقولن في نفسك : لعمر الله لو كان هذا الأمر الذي طلع طلوع الشمس ، وامتد امتداد النهار ، قبّلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسهول الآفاق وحزونها (۱) ، حقا وصدقا وعدلا ، لبشرت الكتب به ، وتنبأت الرسل عليه ، ودعت النذر إليه ، تزيينا له ، وترغيبا فيه ، وأمرأ به ، ولو كان ضلالة وجهالة وعماية ، لتقدموا في التحذير منه ، والترهيد فيه ، والتنبيط عنه ، فيدعو ذلك إلى أن ينظروا في كتب الأنبياء ، وأقاويل الرسل ، فأيم الله لئن طلبت لتجدن ، ولئن اجتهدت لتوفقن ، وما الصواب بممنوع ، ولا الخير بمحذور ، ولقد كانت العلماء بالكتب والبصراء بالتأويل تجده ، ولكنها كانت تكتمه بتحريف كلام الكتب عن مواضعه ، وصرف تأويل الحكم إلى أشباهه ، حسدا من عند أنفسهم ، وبغيا بعد ما تبين لهم ، ثم لقد اقتديتم بهم ، وجربتم معهم ، وأخذتم عنهم ، بلا حجة لكم ولا قوة معكم ، إلا الاقتداء بالآباء ، والاتباع للآثار ، فاتق الله في نفسك ، واتهم الرجال على دينك ، ولا تجعل النظر إلى غيرك من ذوى الشك في القلوب ، والفسخ في . . . (۲) والتهم في التعطيل ، الذين لعلمهم بعرض لأرائهم ، ويقع في أوهامهم أن يقولوا : فلعل ما يتلو عليكم أمير المؤمنين من آيات القرآن ، ويقرّع لكم من حجج الوحي ، شئ زيد في المصاحف بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مالا يحتمله عقل صحيح ، ولا نظر قوى ، وذلك الشاك في شهادات الرجال - متفقا من بلدان وأمصار مختلفة ، وشعوب وقبائل متفرقة ، ليس يدعوم إلى ما شهدوا دين ، ولا يحملهم على ما اتفقوا عليه دنيا - لا يستقيم له أن يؤمن (۳) بما لم تدركه جوارحه ، وتُحيط به

(۱) المزون : جم حزن بالفتح ، وهو : ما غلظ من الأرض .

(۲) هكذا في الأصل .

(۳) في الأصل « أن يؤمن له » بزيادة له بعد يؤمن ، ولا حاجة إليها بل هي قلقة في الجملة .

حواسه ، لإسقاطه حُجَّةَ الإجماع ، وإبطاله شهادة العوام ، واتفاق المختلفين دلالة واضحة ، فهو سائلكم عن الحججة في الإنجيل ، والبيئنة على التواراة ، شكاً في الرب ، وتكذيباً بالرسول ، فما كنت قائله له ، أو مجيبه به في كتابكم ، فأجبه بمثله في كتابنا ، وإن كانت الأحوال منها غير معتدلة ولا مؤتلفة ولا مرتففة ولا واحدة تعتدل حالهما ، ويتفق أمرها من كتابكم ، ما لم تنزل به الملائكة وحياً كالقرآن ، ولم يشافه المسيح به أصحابه باللسان ، إنما كان فعلاً أثبت من بعده ، ولم يكن الفعال موضوعاً بعده ، وليس يكتب أمير المؤمنين بهذا إليكم شكاً فيه ، ولا يورده عليكم مزيةً به .

ولقد علم أمير المؤمنين أن كتب الله عز وجل محفوظة ، وأن حججه مخزونة ، لا يزداد فيها على تقادم عهد ، ولا يُنتقص منها على تقارب دهر ، وأن ذلك ثبت في الإنجيل من بعد عيسى عليه السلام ، وأنه قال لمن اجتمع إليه من الحواريين : « بالوحي أكلّمكم ، والأمثال أضرب لكم ، فأمثاله المضروبة كلام ، وكلامه الرايع وحي » ، ولكن ما بال الشك يُبنى عن كتابكم بحجة الاجتماع عليه عندكم ، وهو على ما وصف أمير المؤمنين لكم ، وسيان في تنزيل كتابنا ، وقد أدرك شهادة دينه ، إما ما قرباً<sup>(١)</sup> من عهده ، ومعاينة وحيه ، واجتماع على حفظه ، هذا حكم مختلف .

فقل للذين يشكون فيه ويرتابون به : أوقِعُوا أوهامكم على حالات الأوقات التي تعرفون وقومها<sup>(٢)</sup> بطبقات الرجال الذين يتهمون .

فإن قالوا : أمّا طبقات الرجال التابعين ، وحالات أزمان أمير المؤمنين ، فذلك ما لا يسوغ الأفاويل فيه ، ولا تدخل الشبهة عليه ، لأن انتشار القرآن وامتداد الزمان ، وكثرة الحملة لآياته فيهم ، والحفظة للسانه منهم ، ولكن الدين الذي نزل به القرآن ،

(١) هكذا في الأصل ، والعبارة كما ترى مضطربة .

(٢) هكذا في الأصل .

وقبض النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، وكيف بوقوع شهمة ، أو دخول شبهة ، على أقوام كبيت النبي صلى الله عليه وسلم عشرين حجةً فيهم ، يتلو كتاب الله عز وجل في كل عام عليهم ، حتى حملوه في صدورهم ، وحفظوه في قلوبهم ، وكرّر في آذانهم مسموعاً ، وأمر على أبصارهم مكتوباً ، وجرى على ألسنتهم مثلوا ، وجمعه كثير منهم محفوظاً ، ثم توارثوه فيهم ، وتداولوه فيما بينهم ، حتى أدّوه إلينا ، وأوفوا به عندنا ، من مواضع متفاوتة ، وأصناف وأجناس متباينة ، على كلمة واحدة .

فإن قالوا : انفتت الرجال على الزيادة فيه ، وأمكنت الحال من الخمل عليه ، فليعلموا أن المؤمنين المخلصين ليسوا في الزيادة متهمين ، وأن المنافقين الملحدين ليسوا على ذلك بقادرين ، وكيف يقدر القليل من المنافقين على مخالفة الجمع من المؤمنين ، بعد ما حفظته قلوبهم ؟ ووعته أسماعهم ، ثم تكتم القدرة لهم ، وانتتير الزيادة منهم ؟ هذا ما لا يقدر عليه منافق ، ولا يطيقه مشرك ولا فاسق ، وأيم الله أن لو قدرت اليهود على الزيادة في الإنجيل لأفسدوا كتابكم ، وغيروا دينكم ، ولو جعل الله المنافقين على الزيادة في كتابه قادرين ، لبدّلوا ديننا ، وغيروا حالنا ، ولو كانوا لذلك مقرّنين (۱) وعلى ذلك مقتدرين ، لكان الذي كتب به أمير المؤمنين إليكم ، وأورده من حجج الله عليكم ، أوّل ما تلقون ، ورأس ما تقرّون ، فلا تلقين إلى ما قاله المضلّ تمعك ، ولا تنصتِ الدهرَ إليه ذهنك ؛ فإنه اتخذ الشكّ في كتابنا ذريعةً إلى الإخلال بكتابك وسأما إلى الشك في دينك (۲) ، وعلة في الطعن على ملّتك ، ولكن قل : يا ولى الشيطان : أتى وقع لك إيمانٌ بأنك من ولد فلان ؟ أتقول شهدت الجيرة ، واجتمعت العشيرة ، وانفق المختلفون ، فذهب الشكُّ وزال الرّيب ، ووقع الإيقان من غير العيان ؟ صدقت فما بال الشك فيما اجتمعت العامة على القول به ، وانفتت الجماعة في الشهادة عليه ،

(۱) أقرن الأمر : أطاقه وقوى عليه .

(۲) في الأصل « في دينه » .

من آیات الكتب وبيِّنات الرسل ! وإن ذهب بهذا عن أمره ، وباعده عن شبهه ، فتؤمن أنه من نُطفة خُلِقَ ، ومن رَحِمٍ خَرَجَ ، فإن جَعَدَ وَأَبَى أَلَّا يُؤْمِنَ بِمَا لَا يَرَى قُلَّ : أَرَأَيْتَ لو كنت سمياً أُمِي ، أكنت تُؤْمِنُ بِشَيْءٍ مِمَّا فِي الدُّنْيَا : من سماءٍ أو هواءٍ ، أو بحرٍ أو سُبُعٍ ، أو أرضٍ أو جبلٍ ، أو شبه ذلك ، مما لم يدركه العيانُ ، ولم يقبله إلا من الناس ؟ فإن قال نعم ، قل فهل لك إلا بالاجتماع الكفرُ بالرب ؟ وما لدائه دواءٌ غير الصَّلب ؟ فاتق الله إذ كنت إماماً وقائداً لأهل مُلْكِكَ ، لا تُقدِّمُ إلى النار ، فتحمِلَ أوزاراً مع وِزْرِكَ . فإن من أبين آيات الوحي ، وأدلُّ علامات النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يبتدع في الدين أمراً من تلقاء نفسه ، ولا يتقدم في الأمور بين يدي ربه ، والله أظهرَ فيما أنزل من الكتاب أموراً كان يحسبها صلى الله عليه وسلم مستورةً ، فقال تاديباً له ، وإخباراً لمن آمنَ من بعده : « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ » وقال : « عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى . أَمَا مَنْ أَسْتَفْتَى . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى . وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ بِشَيْءٍ . وَهُوَ يَخْشَى . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى . كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ » وقال تعالى : « وَلَوْ لَا أَنْ نَبِّئْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرَ كُنُوزَ إِيْنِهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً . إِذَنْ لَأَذْقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً » وقال له حين صرف قلبه عن بيت المقدس إلى البلد الحرام ، حين سكنت القلوب إليها ، وأنست النفوس بها : « وَلَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ » وكانت القبلة التي صرفه الله إليها وأمره بها عظيمة على المنافقين واقعة ، بخلاف الكافرين ، كبيرة<sup>(۱)</sup> إلا على الذين هدى الله من المؤمنين ، فإنهم قالوا : إذا اختلفت القبلةان ، وافترت الجهتان ، كانت الطاعة

(۱) في الأصل « كثيرة » وهو تصحيف .

فِيهِمَا وَاحِدَةٌ ، لَا اخْتِلَافَ فِيهَا وَلَا افْتِرَاقَ عَلَيْهَا ، وَكَيْفَ تَخْتَلِفُ الطَّاعَةُ مِنْ رَجُلٍ بَنَى بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ هَدَمَ بِوَحْيِ اللَّهِ ؟ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّ اللَّهَ حَوَّلَهُ عَنْ أَفْضَلِ الْقِبْلَتَيْنِ ، وَأَقْوَمِ الْجِهَتَيْنِ ، فَلَا سِوَاءَ فِي الْفَضْلِ الْبَيْنِ وَالْخَيْرِ الْمُرَّ : قِبْلَةُ سَاطِطِ اللَّهِ عَلَيْهَا الْكَافِرِينَ ، وَلَمْ يَمْنَعَهَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَقِبْلَةُ مَنْعَهَا بِجَنُودٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَعَصَمَهَا بِغَيْرِ مَا حَوَّلَ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا حُرْمَةَ يَدْعِيهَا أَحَدٌ مِنْ فِيهَا ، « فَأَرْسَلَ طَيْرًا أَبَابِيلَ <sup>(۱)</sup> تَرْمِي الْأَعْدَاءَ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » فَإِنْ تَقُلْ : هَذَا خَيْرٌ نُفَكِّرُهُ ، وَقَوْلٌ لَا نَعْرِفُهُ ، فَبَأَى حَدِيثٌ بَعْدَ هَذَا تُؤْمِنُ بِهِ ، وَتَشْهَدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ مِنْ قِبَلِهِ ؟ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةَ الْفِيلِ عَلَى قَوْمٍ أَدْرَكَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَّرَهُمْ بِمَا عَيْنُوهُ وَأَدْرَكَوا خِلافَهُ ، نَقُلْ : إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَفْرَقَهُمْ عَنْهُ ، وَيُوحِشَهُمْ مِنْهُ ، وَأَحَبُّ أَنْ يَرْمُوهُ بِالْكَذِبِ ، وَيَقْذِفُوهُ بِالْحَقِّ ، وَيَصِمُوهُ بِالْجَنُونِ ، وَيَظُنُّوا بِهِ الظَّنَّ ، كَلَّا ! مَا كَانَ نَبِيًّا وَلَا غَيْرُ نَبِيٍّ لِيَجَاهِرَ <sup>(۲)</sup> أَقْوَامًا بِخِلَافِ مَا رَأَتْ أَبْصَارُهُمْ ، وَشَاهَدَتْ آبَاؤُهُمْ ، فَيُخْبِرَهُمْ بِخِلَافِ مَا شَهِدُوا ، وَتَكْذِيبِ مَا هَابَنُوا ، فَلَا تَكُونَنَّ فِي هَذَا مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ، وَلَا بِأَمْرِ الْفِيلِ مِنَ الْمَكْذِبِينَ .

فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَلْتَحِدُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَيْهِ ، لَمَا قَامَ مَعَهُ رَجُلَانِ ، وَلَا اخْتَلَفَ فِيهِ سَيِّفَانِ ، وَإِنْ فِيمَا صَنَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْفِيلِ وَأَتْبَاعِهِ ، دَلَالَةٌ عَلَى قِبْلَةِ اللَّهِ وَأَنْبِيَاءِهِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ شَرَحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَامَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَشَفَ الْأَعْظِيَةَ لَكَ مِنَ النُّورِ بآيَاتِ الْوَحْيِ فَإِنْ مَالَتْ

(۱) أَبَابِيلُ : جَاعَاتُ ، وَالسِّجِّيلُ : الطَّيْنُ الْمُتَجَبَّرُ ، كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ : أَي كَرْمٍ أَكَلَ حَبَّهُ وَغَيَّرَ نَبْتَهُ ، وَهَلْصَةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ مَعْهُورَةٌ .

(۲) فِي الْأَصْلِ « لِيَجَاهِدَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .



الأهواء بك ، وغلبت الأساقفة عليك ، وحضرك الرؤساء الذين يعملون مع الله آلهة أخرى بلا حجة عندهم ، ولا سلطان أتام ، فقل : أنبئوني عما اجتمعت عليه النصرانية ، وذهبت إليه بهم المعاني ، من تشقيق<sup>(١)</sup> الكلام ، وتصريف الكتب : أحروف تمسّفونها ، أم لغة تعرفونها ؟ فإن قالوا : إنهم بغير لغة يتكلمون ، فهم إذن قوم يلعبون ، وإن قالوا : إنهم يتكلمون بلغة معروفة ، ومعان معلومة ، فقل : أخبروني عن قولكم : أب وابن ، أهما ما تعترف العقول من المنطق ، ويقع في القلوب من المعنى ، أم لا ؟ فإن قالوا : لا ، ليس ذلك بالذي تذهب أوهام العباد إليه ، ولا بالذي تقع الحقائق في الآباء والأبناء عليه ، إنما هو كقول الله عز وجل في التوراة لإسرائيل . « بِكْرِي » لا يعني ولادة الرَّحِمِ ، وكقول المسيح عليه السلام للحواريين : « أتم إخواني » لا يعني أخوة النَّسَبِ ، فذلك قول لا يجدون معه بداً من أن ينسبوا عيسى عليه السلام عبداً ، وإن قالوا : بل هو ما تجرى به ألسن العباد ، ويقع في قلوب الخلق من الولادة المعروفة ، والأبوة المعلومة ، فليخبرونا متى كان الأب والداً ، والابن مولوداً ، أقبل الولادة أم بعدها ؟ فإن قالوا : قبلها ، رجعوا عن القول الأول بتثبيت الأبوة ، إلا أن ذلك ليس بالشئ الذي تذهب إليه الأوهام ، ولا بالمعنى الذي يقع في قلوب الأنام .

ولا بدّ إذا سقطت الولادة المعروفة ، وبطلت الأبوة الموجودة ، أن يقولوا : إن الأب والابن اسمان علّقا على غير معنى ، ونسبان أضيفا إلى غير حق ، فيقرّون أن عيسى عليه السلام خلق مثلهم ، وأنهم يتكلمون بغير لغة أحد منهم .

وإن قالوا : إنما كان الابن مولوداً والأب والداً بعد الولادة ، فقد أقرّوا بأن الابن حدث مخلوق ، وعبء مرثوب ، لقولهم : إنه لم يكن حتى وُلِدَ ، ولم يُولَد حتى خُلِقَ ، وقل لمن يقول الزور العظيم ، ويقذف بالإفك المبين ، أليس الأب أباً على حياله

(١) شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج .

ولم يزل ، والابن ابناً نُجِل<sup>(١)</sup> ، وروح القدس كذلك ، فإن قالوا : نعم ، فقد أقرؤوا بأنهم ثلاثة متباينة ، وَقَعَت عليهم ثلاثة أسماء متفاوتة ، وترَكُوا قولهم : إنهم ثلاثة أصنام واحد .

وإن قالوا : الأب والابن وروح القدس واحد ، ولكن بعضه أب ، وبعضه ابن ، وبعضه روح القدس ، فقد دخلوا في التعديد الذي هو عيبٌ عندهم ، وقالوا في التبويض بما هو كُفْر قِبَلَهُمْ ، وإن قالوا : ليس مُبَعَّضاً ولا مُجَزَّأً ولا محدوداً ، ولا ثلاثة متباينين ، فَإِذَنْ هم قوم يلعبون : يقولون : الأب ابن ، والابن أب ، والوالد مولود ، والمولود والد ، والكبير صغير ، والصغير كبير ، والقليل كثير ، والكثير قليل ! وهذا من أئيين المحال ، وأخلفِ المقال ، وليس من المنطق ما لا يوجد في لغة عرب ولا عجم ، ولا لسان أمة من الأمم ، وإنما أرسل الله عز وجل كل نبي بلسان قومه ليُبَيِّنَ لهم ، فيُضِلَّ الله الظالمين ، ولولا ذلك لما فهمت الأمم مذاهب أقاويل الرُّسُلِ ، ولا معاني أحاديث الكتب ، فلا تُطِيع الذين يلعبون بأنفسهم ، ويتكلمون بغير لغتهم ، ويقولون : الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ، وهذا محال في تجاري المقال ، ومعاني الفعال .

لعمري لئن اتهمت عقول الأساقفة على دينك ، واهتممت بالنظر في توحيدك ، لَتَعْلَمَنَّ أن الواحد لا يكون ثلاثة ، وأن الثلاثة لا تكون واحداً ، إلا على وجه ماله ثانٍ تقول به ، ولا منه تخرج تستريح إليه ، فألق نحوه سمعك ، وأنصت إليه فهمك ، فإن أمير المؤمنين واصفه لك ، وليس واقعاً إلا على المخلوقين ، ولا لازماً غير المحدودين ، ولا داخلاً على رب العالمين : وهو أن يكون الشيء أصله واحدٌ وأجزاؤه كثيرة ، من نحو الإنسان ، وهو أصل يجمعه اسم ، وله أجزاء تلتزمها أسماء ، فليس الجزء بالأصل ، ولا الأصل بالجزء ، ولكن الجزء بعض الأصل ، فإذا أردت الجزء قلت : يد الإنسان ، وسمع الإنسان ، ولولا أنه محدود مخلوق مُجَزَّأً مُبَعَّضٌ ، كما جاز هذا القول فيه ، ولا

(١) نُجِل : أى ولد .

دَخَلَ هذا المثل عليه ، وكذلك الشمس : الأصل واحد ، وهي شمس ، والأجزاء كثيرة :  
وهي عين الشمس ، وضوء الشمس ، وشعاع الشمس ، ودقيقها ، وغلظها ، وحرورها<sup>(۱)</sup> ،  
وأعلاها ، وأسفلها ، وأشباه ذلك .

فلئن قلت : سميت كل جزء من الأجزاء على حياله إنساناً ، وكل جزء من الشمس  
دون أصله شمساً ، ونسبت فعل الأصل إلى بعض أجزائه ، وتركت أن تنسب الأصل  
فاعلاً ببعض الأجزاء كما تقول : بسط الإنسان بيده ، ومشى برجله ، ونظر بعينه ، ثم  
ضربت ذلك لله عز وجل مثلاً ، وجعلت الله له قياساً ، فقلت : الأصل واحد ، وهو الله  
عز وجل ، والأجزاء كثيرة ، وهي أب وابن وروح القدس ، وكل جزء منها إله على  
حياله ، وربّ دون غيره ، لم تجد بداً أن تلحق اليد واليمين والنفس بالأب والابن  
وروح القدس ، فتكثرت آلهتك ، وتحدّد ربك ، وتركت قولك : إن الله ليس محدوداً  
ولا مجزأً ولا مبعّضاً ، إلا أن يكون إنما تريد مذاهب الأسماء فتقول : المعنى واحد ،  
وهو الله عز وجل ، والأسماء أب وابن وروح القدس ، فإن كنت تقول هذا وكنت إنما  
تعبد أسماء ، فما تجد بداً من أن تعبد الأسماء كلها ، وتقول : إنها آلهة على حيالها ، حتى  
تقول باسم : ارحمني ، وبثان : اغفر لي ، فأتقوا الله يا أهل الكتاب ، فإن الله عز وجل  
ليس بأب ولا ابن ولا اسم ، ولكن له الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين  
يلحدون في أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون .

فإن أشارت الأساقفة إلى بعض الإنسان باليد والرجل وأشباه ذلك ، وقالوا :  
ليس إنساناً ، فقل : لا ، ولكنه للإنسان ، وقل : هو إنسان بكامله ، وكذلك إن أشاروا  
إلى بعض الشمس ، فقالوا : أليس هذا الشمس طالماً ؟ قل : لا ، ولكنه بعضها ، ولو  
كانت الأسماء التي تقع أبصاركم عاينها ، وتشير أيديكم إليها من الشمس والسماء والهواء  
شمساً وهواءً وسماءً ، لكانت الشمس والهواء والسماء أكثر مما يختلف الإحصاء ، ولو

(۱) المرور : المر .

قصدت بالإجابة لِمَسْأَلِكِ هَذِهِ الْأُودِيَّةِ ، لِبَطَلَتِ الْحُجَّجِ الدَّاحِضَةِ ، وانقطعت الأقاويل المتناقضة ، وَسَلَّ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ أَصَاقِفِ أُمَّتِكَ ، وَشَمَامِسَةِ أَهْلِ مَلْتِكَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَيْسَى الْمَسِيحِ ، وَيُرْفَعُونَهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ اسْمُ الْمَسِيحِ مِنْ عَيْسَى : عَلَى الرُّوحِ ، أَمْ الْجَسَدِ ، أَمْ عَلَى كِلَيْهِمَا ؟ فَإِنْ قَالُوا : وَقَعَ عَلَى الرُّوحِ نَفْسِهِ ، لِأَنَّ الرُّوحَ إِلَهٌ دُونَ غَيْرِهِ ، فَقَدْ أَقْرَأُوا بِأَنَّ إِلَهُهُمْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ، وَيَمْشِي وَيَرْكَبُ ، لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ عَيْسَى مَبِينًا قَبْلَهُمْ ، مَوْصُوفًا عِنْدَهُمْ ، فَإِنْ قَالُوا : وَقَعَ اسْمُ الْمَسِيحِ عَلَى الْجَسَدِ بَعِينَهُ ، فَكَانَ الْجَسَدُ هُوَ الْمَسِيحُ إِذْنٌ دُونَ غَيْرِهِ ، وَالْمَسِيحُ إِذْنٌ مَخْلُوقٌ عِنْدَهُمْ ، وَالْإِلَهُ إِنْسَانٌ إِذْنٌ مِثْلَهُمْ ، فَلِمَ يَسْبُدُونَ الْمَخْلُوقَ ، وَيَدْعَوْنَ مَنْ خَلَقَهُ وَبَرَّأَهُ ؟ وَإِنْ قَالُوا : وَقَعَ الْاسْمُ عَلَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ جَمِيعًا ، فَلَنْ يَجِدُوا تَخْرُجًا وَلَا بُدًّا وَلَا تَحْيِصًا — إِذَا أَوْقَعُوا الْاسْمَ عَلَيْهِمَا — مِنْ أَنْ يُضَيِّفُوا الْأَعْمَالَ إِلَيْهِمَا ، فَيَقُولُوا : إِنَّ الْجَسَدَ الْمَخْلُوقَ هُوَ خَلَقَهُمْ ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْخَالِقَ قَدْ مَاتَ قَبْلَهُمْ ، وَذَلِكَ لِمَا يَجِدُونَ مِنْ ذِكْرِ مَوْتِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْكُتُبِ عِنْدَهُمْ ، وَفِي الْإِنْجِيلِ الَّذِي قَبْلَهُمْ ، وَسَلَّ مَنْ قَبْلَكَ عَنِ الْأَبِ وَالْإِبْنِ ، فَقُلْ : أَيُّهُمَا أَعْظَمُ ، وَأَيُّهُمَا أَصْفَرُ ؟ فَإِنْ قَالُوا : الْأَبُ أَعْظَمُ وَالْإِبْنُ أَصْفَرُ ، فَقَدْ جَعَلُوهُمَا مُتَبَايِنَيْنِ ، وَإِنْ قَالُوا : هُمَا وَاحِدٌ وَكِلَاهُمَا عَظِيمٌ ، وَلَيْسَ الْأَبُ بِأَعْظَمَ مِنَ الْإِبْنِ ، وَلَا الْإِبْنُ بِأَصْفَرَ مِنَ الْأَبِ ، فَقَدْ نَقَضَ حِينَئِذٍ جَوَابَهُمْ ، وَأَكْذَبَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامَهُمْ ، حَيْثُ يَقُولُ : « لَوْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَنِي لَفَرِحْتُمْ حَيْثُ أَذْهَبُ إِلَى إِلَهِي ، فَإِنَّ إِلَهِي أَعْظَمُ مِنِّي <sup>(۱)</sup> » فَلَمْ يَقُلْ : « أَعْظَمُ مِنِّي » إِلَّا وَهُوَ مُقِرٌّ بِأَنَّهُ أَصْفَرُ مِنْهُ ، وَسَلَّ عَنْ قَوْلِ الْمَسِيحِ : « أَنَا أَذْهَبُ إِلَى إِلَهِي وَإِلَيْكُمْ <sup>(۲)</sup> » فَقُلْ : مَنْ هَذَا الْإِلَهُ الَّذِي ذَهَبَ عَيْسَى إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِلَهُ فِي السَّمَاءِ ، مُتَبَايِنٌ مِنْهُ ، مَنْقَطِعٌ عَنْهُ ؟ فَهَذَا إِذْنٌ اثْنَانِ

(۱) ورد في إنجيل يوحنا (الإصحاح ۱۴ آية ۲۸) من الكتاب المقدس طبع بيروت سنة ۱۹۰۹

« لَوْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْأَبِ ، لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي . »

(۲) ورد في إنجيل يوحنا (الإصحاح ۲۰ آية ۱۷) من الكتاب المقدس : « إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي

وَأَيْبِكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَيْكُمْ . »

متباينان ، أم إلهٌ كان به متصلاً ، وكانا جميعاً واحداً ؟ فكيف إذنٌ يجوز له أن يقول أذهبُ إليه ؟ إلا أن يقولوا : إن بعضه ذهبَ إلى بعض ! وهذا مما لا يجوز عندهم في صفة الربِّ عزَّ وجل .

وَسَلُّ مَنْ قَبْلَكَ : أَخْرَجَ الْمَسِيحُ مِنْ بطنِ أمه مريمَ بكامله ، حتى كان البطنُ منه فارغاً ، وكان هو منه بكامله خارجاً ؟ فإن قالوا : نعم ، فقد انكسر قولهم : إن الله بكل مكان ، وإن قالوا : لم يخرج المسيح ، ولم يخلُ البطنُ ، فقد كذبوا إذنٌ في قولهم : إنه قد خرج ، وأقبروا أنه قد وُلِدَ ، فتعالى اللهُ عما يصفون ، وتنزهَ عما يشركون .  
وَسَلُّهُمْ : لِمَ هبطَ عيسى إلى بطنِ مريم ، وتجمَّدَ باللحمِ والدمِ ؟ فإن قالوا : لِيَتَحَقَّقَ الخَطَايَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَيُرَبِّطُ الشَّيْطَانَ عَنِ الْخَلْقِ ، قُلْ : كيف إذنٌ لم يربطه عن نفسه ؟ وكيف جلاباه<sup>(١)</sup> من اليهود بصلبه ؟ وَلِمَ سُلِّطَ عَلَى أَهْلِ دِينِهِ يُتَّبِعُونَ فِي كُلِّ شَيْبٍ<sup>(٢)</sup> ، وَيُقْتَلُونَ بِكُلِّ وادٍ ؟

وقل للذين يقولون : إن الخالق في كل مكان من السماء والأرض وغير ذلك : أيُّهما أعظم : المحيطُ المشتملُ أم المحيطُ المُشتمَلُ عليه كما يقولون ؟ تعالى اللهُ عما يشركون ؟ فإن قالوا : إنما التَّحَمَّ بعضه دون بعض ، فقد حدَّثوا وبعَّضوا ونقصوا ، وإمَّا قالوا ، فلن يحدوا بدءاً من أن يقولوا : إن بعض المسيح الذي جعلوه ربِّهم ، وهو إلهٌ عندهم ، ميت بعضه جيفة ، وإن بعضه حيٌّ طيب ، لأنهم زعموا أنه التحمَّ بحمدٍ حيٍّ فيه رُوحٌ ، فلا بدَّ إذنٌ أن يدخل عليه ما يدخل على الأجسام الحيَّة من الخوف والفرح والعتشِ وأشباه ذلك ، وهو عندهم كفر عظيم ، وإفكٌ مُبين ، فأتقَّ عقوبة الله ربِّك ولا تمشِ مُكِبًّا على وجهك ، ولكن اطلبِ والتَّمسَّ وابحثْ ، فقد قال عيسى عليه السلام في الإنجيل : « من سألَ أُعْطِيَ ، ومن طلبَ وَجَدَ ، ومن استفتحَ فُتِحَ لَهُ »<sup>(٣)</sup> .

(١) كذا بالأصل . (٢) الشعب : الطريق في الجبل .

(٣) ورد في إنجيل متى ( الإصحاح ٥ آية ٤٢ ) من الكتاب المقدس : « من سألَكَ فأعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترد » ، وورد في إنجيل لوقا ( الإصحاح ١١ آية ١٠ من الكتاب المقدس ) « من يسأل يأخذ ، ومن يطلب يجد ، ومن يفرع يفتح له » .

انجمع العلماء والبصراء الذين عندك ، والأساقفة والرهبان الذين قبلك ، فقل :  
 لأى شيء نسبتم المسيح إلهًا ، وجعلتموه ربًّا ؟ ونجد الله سماء في الكتاب ابنا ، وقد  
 تجدونه قال : « إني أذهب إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم أيضا » وهذا كلام  
 يحتمل وجهين : أحدهما أولى به ، وقول لا يحتمل إلا وجهًا وهو الربوبية ، أم كيف  
 تنظرون إلى كلامه : « أذهب إلى أبي وأبيكم » فتفردونها في نفسه وقد قالها فيه  
 وفي غيره ؟

قاتق الله وكن من القائمين بالحق ، الموحدين للرب . إن أمير المؤمنين قد ضرب  
 لك أمثالا جمة ، وصرف إليك مسائل كثيرة ، وبين لك من آيات النبي صلى الله عليه  
 وسلم وعلامات الوحي قليلا من كثير ، واضحا من تفسير ، لا تمتنع العقول من  
 التصديق به ، ولا القلوب من الإقرار به .

وسيدكر لك أمير المؤمنين من علامات النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة  
 والإنجيل ما يكتفى به ، إن شاء الله ، وباليسر منه ، لأن كتب الله عز وجل محفوظة ،  
 وحججه محروسة ، لا يزاد فيها ولا ينقص منها ، وإذا وجدت فيها كلمة تدلك على حق  
 وتهديك إلى رشد ، فليست واجداً أخرى تصدك عنه ، وتشككك فيه ، إذا تلي ذلك  
 بالحق ، ووضع على الصدق ، ولكن ضلت لليهود والنصارى بتحريف تأويل الكلام  
 وتصريف تفسير الكتب ، وأمير المؤمنين يسأل الله العظمة والتوفيق .

من ذلك ما قد شهد به عيسى عليه السلام عندكم ، وبيئته في الإنجيل لكم ، إذ قال  
 للحواريين : « أنا أذهب وصيانتكم البارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل  
 نفسه ، إنما يقول كما يقال له ، وهو يشهد على وأنتم تشهدون ، لأنكم معي من قبل  
 الناس بالخطيئة ، وكل شيء أعد الله لكم يخبركم به <sup>(١)</sup> » وترجمة البارقليط : أحمد ،

(١) ورد في إنجيل يوحنا ( الإصحاح ١٤ آية ٢٦ ) من الكتاب المقدس : « وأما المعزى الروح  
 المقدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم ، وفيه أيضا  
 ( الإصحاح ٥ آية ٢٦ ) : « ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي =

هذا ما لا شك ولا مرية فيه ، وهو الذي يخبر بما وعد الله المؤمنين وصالحى الخوارجين  
فى القرآن ، ولستم تجدون ذلك فى التوراة ولا فى الإنجيل .

ومن ذلك قول أشعيا النبى عليه السلام : « قيل لى : أقم بطارا ماترى بخبرى <sup>(۱)</sup> ؟  
قال : أرى را كبين مُقباهن أحدهما يقول لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها المنعوتة »  
ولسنا نعلم نبيا ركب بعد موسى صلى الله عليه وسلم بعيرا إلا محمدا صلى الله عليه  
وسلم كثيرا .

ومن ذلك قول داود عليه السلام : « اللهم ابعث جاعل السنة كى يعلم الناس أنهم  
بشرا <sup>(۲)</sup> » يقول : كى يتبين الناس أن عيسى عليه السلام إنسان ، ولسنا نعلم نبيا وضع  
سنة تُنسب إليه إلا محمدا صلى الله عليه وسلم ، أما عيسى فإنه نصب سنة موسى  
عليه السلام .

ومن ذلك قول حَبَبُوقِ المُنْبِى فى زمان دانيال : « جاء الله من السماء ، والتمدّيس  
من جبال فاران ، وامتلات السماء من تحميد أحمد وتقديسه ، ومَسَحَ الأرضَ بيمينه ،  
وملك رقاب الأمم <sup>(۳)</sup> » وقال أيضا : « تُضىء لنوره الأرض ، وتُحمَل خياله

من عند الأب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء . وفيه -  
( الإصحاح ۱۶ آية ۱۳ ) « وأما منى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم  
من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية » .

( ۱ ) كذا بالأصل وهو تحريف ، وورد فى نبوءة أشعيا ( الإصحاح ۲۱ آية ۹ ) من الكتاب  
القدس : « لأنه هكذا قال لى السيد ، اذهب أقم الحارس ليخبر بنا بى ، فرأى ركابا ، أزواج  
فرسان ، ركاب حبر ، ركاب جمال ، فأصغى إصغاء شديدا ، ثم صرخ كأسد : أيها السيد : أنا قائم  
على المرصد دائما فى النهار ، وأنا واقف على المحرس كل الليل ، وهو ذار كات من الرجال ، أزواج  
من الفرسان ، فأجاب وقال : سقطت بابل وجميع آلهتها المنعوتة كسرهما إلى الأرض . . . » .  
( ۲ ) ورد فى سفر الزامير ( مزموور ۹ آية ۲۰ ) من الكتاب المقدس : « يارب اجعل عليهم رعبا ،  
ليعلم الأمم أنهم بشر ، سلاه » .

( ۳ ) ورد فى نبوءة حَبَبُوقِ ( الإصحاح ۳ آية ۳ ) من الكتاب المقدس : « الله جاء من نيبان  
والقدوس من جبل فاران ، سلاه » وجاء فى معجم ياقوت : « فاران : كلمة عبرانية معربة ، وهى من  
أسماء مكة ، ذكرها فى التوراة ، وقيل : هى اسم لجبال مكة . . . » .  
وفى آية ۶ : « وقف وقاس الأرض ، نظر فرجعت الأمم ، ودكت الجبال الدهرية ، وخفت  
آكام القدم ، مالك الأزل له » .

في البحر<sup>(۱)</sup> « فإلى من ينحو هذا القول ، وإلى أين يذهب بهذا المعنى ؟ لئن ذهب به إلى غير الذي تُحْمَلُ خَيْلُهُ في البحر ، وبدأ من جبال فاران أمره ، وغَلَبَ على الأرض وَمَسَّحَهَا<sup>(۲)</sup> ، وَمَلَكَ رِقَابَ الْأُمَمِ كُلِّهَا ، لقد تركتم الحق وأتم تعلمون .

ومن ذلك قول داود عليه السلام في الزبور : « صدَّقوا وسبَّحوا الربَّ تسبيحا حديثا ، سَبَّحُوا الَّذِي هَلَّلَهُ<sup>(۳)</sup> الصالحون ، لِيَفْرَحَ إِسْرَائِيلُ بِخَالِقِهِ ، وَيَتُوبَ صِهْيُونُ مِنْ أَجْلِ أَنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَهُ أُمَّةً ، وَأَعْطَاهُ النِّصْرَ ، وَسَدَّدَ الصَّالِحِينَ بِالْكَرَامَةِ ، يَسْبِّحُونَهُ عَلَى مُضَاجِعِهِمْ ، وَيَكْبُرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ عَالِيَةٍ ، بِأَيْدِيهِمْ سِيُوفَ ذَاتِ شَفْرَتَيْنِ ، لِيَنْقِمَ اللَّهُ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَهُ ، ثُمَّ يَقِيدُ مَلُوكَهُمْ بِالْقَيْدِ ، وَأَشْرَافَهُمْ بِالْأَغْلَالِ<sup>(۴)</sup> » فَأَيُّ أُمَّةٍ يَكْبُرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ وَأَذَانِ الصَّلَوَاتِ الدَّائِمَةِ ، وَعَلَى كُلِّ شَرَفٍ<sup>(۵)</sup> ، وَعِنْدَ كُلِّ حَرْبٍ ، وَأَيُّ أُمَّةٍ كَانَتْ سِيُوفِهَا ذَاتِ شَفْرَتَيْنِ إِلَّا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

ومن ذلك قول أشعيا : « سَبَّحُوا الرَّبَّ تَسْبِيحًا حَدِيثًا ، وَيَسْبِّحُهُ مِنْ آفَاقِ الْأَرْضِ فَوْجٌ<sup>(۶)</sup> يَكُونُ فِي بَنِي فَيَارٍ<sup>(۷)</sup> » ، وَبَنُو فَيَارٍ قَرِيشٌ ، أَهْلُ فَارَانَ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، وَأَيُّ أُمَّةٍ تُسَبِّحُ مِنْ آفَاقِ الْأَرْضِ ، إِلَّا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هُنْدِيٌّ أَوْ كَلْدِيٌّ<sup>(۸)</sup>

- (۱) وجاء في آية ۱۵ من نبوة حبقوق ، « سَلَكَتِ الْبَحْرَ بِخَيْطِكَ كَوْمِ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ » .
- (۲) « فِي الْأَصْلِ » وَمَنْحَهَا . (۳) فِي الْأَصْلِ « هَلَكَةٌ » .
- (۴) وَرَدَ فِي سَفَرِ الزَّامِرِ ( مَزْمُورٌ ۱۴۹ آيَةٌ ۱ - ۹ ) مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ : « هَلَلُوا » غَنُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً : تَسْبِيحَتُهُ فِي جَمَاعَةِ الْأَنْقِيَاءِ ، لِيَفْرَحَ إِسْرَائِيلُ بِخَالِقِهِ ، لِيَتَهَيَّجَ بَنُو صِهْيُونِ بِعَلْمِهِمْ ، لِيَسْبِّحُوا اسْمَهُ بِرَقْصٍ ، نَدْفٍ وَعُودٍ ، لِيَتَنَمَّوْا لَهُ ، لِأَنَّ الرَّبَّ رَاسَ عَن شَعْبِهِ ، يَجْمَلُ الْوَدْعَاءَ بِالْحَلَامِ ، لِيَتَهَيَّجَ الْأَنْقِيَاءُ بِتَجْدِيدِهِمْ ، لِيَتَنَمَّوْا عَلَى مُضَاجِعِهِمْ ، تَنْوِيهَاتِ اللَّهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، وَسَيْفِ ذَوْحِدِيٍّ فِي يَدَيْهِمْ ، لِيَصْنَعُوا قَعْمَةً فِي الْأُمَمِ ، وَتَأْدِيبَاتٍ فِي الشُّعُوبِ ، لِأَسْرِ مَلُوكِهِمْ بِقَيْدٍ ، وَشُرْفَاتِهِمْ بِكَبُولٍ مِنْ حَدِيدٍ ، لِيَجْرُوا بِهِمُ الْحَكْمَ الْمَكْتُوبَ ، كَرَامَةً هَذَا لِجَمِيعِ أَنْقِيَاءِهِ ، هَلَلُوا » .
- (۵) الشَّرَفُ : الْمَكَانُ الْعَالِيُّ .
- (۶) فِي الْأَصْلِ « فَوْجٌ » وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَحْرُوفٌ عَنِ « فَوْجٍ » وَهُوَ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .
- (۷) وَرَدَ فِي نَبْوَةِ أَشْعِيَا ( الْإِسْحَاحُ ٤٢ آيَةٌ ١٠ - ١٢ ) مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ : « غَنُوا لِلرَّبِّ أَغْنِيَةً جَدِيدَةً ، تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ ، أَيُّهَا الْمُتَحَدِّرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمَائِهِ وَالْجَزَائِرِ وَسُكَّانِهَا ، لَتَرْفَعِ الْبَرَّةُ وَمَدْنُهَا صَوْتَهَا الدِّيَارِ الَّتِي سَكَنَهَا قَيْدَارٌ ، لَتَرْنَمَ سَكَّانُ سَالِمٍ مِنْ رَمُوسِ الْجِبَالِ ، لِيَهْتَفُوا ، لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيَخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ » .
- (۸) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ،



ومن ذلك قول أشعياً « عبيد الذي وَجَبَ به حبي الذي بَشَّرْتُ به نفسي ، أفيض عليه رُوحى ، يُوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ولا يُسْمَعُ صوتهُ في الأسواق ، ويفتتح العميون العمور ، ويُسْمَعُ الآذان العُمَّ ، وَيُحْيِي القلوب الغُلْفَ (١) ، وما أعطيه لا أعطى غيره ، أحمد يحمّد الله حمداً حديثاً ، تهليله يأتى من أقصى الأرض ، يمحور الماء بشدة أمواجه ، ويعرج وكورها (٢) سكانها يحمّدون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية (٣) .

ومن ذلك قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين (٤) ، يقول الله عز وجل لمحمد في الزبور : « انصبت رحمتى على شفقتك من أجل ذلك بار كل الدهر تقلد السيف على الأمم أيها الجبار على الأمم بالقتل والأسر والسبأ بهاك وحمدك أحمد يغلب البر منك كلمة الحق ، وذلت لك الأشياء سيفك يحسه يمينك ونبالك مسمومة ويسقط عند الأمم (٥) » فأى نبي كان على الأمم جباراً ، ولهم ياذن الله قتالاً إلا نبياً صلى الله عليه وسلم ؟

ومن ذلك في آخر القوراة : « جاء الله تبارك وتعالى من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستبان واستعلن من جبال فاران ، وجاء عن يمينه ربوات القديسين (٦) »

(١) الغاف جمع أغلف ، وقلب أغلف : كأنما غشى غلافا فهو لا يرمى .

(٢) هكذا في الأصل .

(٣) ورد في نبوة أشعياً (الإصحاح ٤٢ آية ١ - ٤) من الكتاب المقدس : هو ذا هدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى ، وضعت رُوحى عليه ، فيخرج الحق للأمم ، لا يرفع ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته . قصبه مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفأ ، إلى الأمان يخرج الحق ، لا يكلم ولا ينكسر حتى يضم الحق في الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته .

(٤) في الأصل : « في حمة وأربعين زمورا » .

(٥) هكذا وردت العبارة في الأصل ، وهى مليئة بالتحريف وتضحك تصحيحها إذا رجعت إلى سفر المزامير ، جاء في المزمور ٤٥ آية ٢ - ٥ من الكتاب المقدس : « انكبت الزمعة على شفقتك ، لذلك باركك الله إلى الأبد ، تقلد سيفك على نغذك ، أيها الجبار جلالك وبهاءك ، وبجلالك اقتحم ، اركب من أجل الحق والدعة والبر ، فترك يمينك مخاوف ، نبلك السنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يقطعون » .

(٦) ورد في سفر التثنية (الإصحاح ٣٣ آية ١) من الكتاب المقدس : « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير ، وتلاوا من جبل فاران ، وآتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم » .

وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى في طور سيناء ، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام في جبل ساعير ، وهو جبل بالشام ، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في جبال قارآن ، وهي بلاد مكة ، وأنتم تجدون ذلك في كتبكم مكرراً ، وتعرفونه جميعاً بلغتكم .

ومن ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام : « سأقيم لهم من إخوانهم مثلك أجعل كلامي على فم ، ولا يتكلم إلا بما أمره به <sup>(۱)</sup> » فمن إخوانة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل ؟ أما تعلم أن لو كان الله عز وجل يعني أحدا منهم لقال لهم : أقيم لكم نبيا منكم !

فإن قلتم : إنما قال من إخوانكم ، وهو يريد من أنفسكم ، فهب أمير المؤمنين قبل هذا الخلف منكم ، ووسع في هذا المجال لكم ، فكيف تصنعون بقول الله عز وجل في التوراة : « مثل موسى في بني إسرائيل لا يقوم » فهل تجدون من هذا مخرجا ، ومن الإيمان أن المعنى وقع على محمد صلى الله عليه وسلم بدئا ؟ ألا تسمع قول الله عز وجل : « وأجعل كلامي على فم كى يعني به ، أمي لا يقرأ ولا يكتب » .

أوليس قد أمر عيسى عليه السلام حواربييه أن يقولوا في صلواتهم : « يا أبانا الذي في السموات تقدس اسمك <sup>(۲)</sup> » كيف صار عيسى دونهم ابنا ، وصار دونه أبا وهم يقولون : « يا أبانا » ؟ أم كيف لم يجعل سايمان بن داود إلهما ، وقد قال الله عز وجل لداود : « يولد لك غلام يُسَمَّى لى وأسمى له » ؟ ولم لا يجعلون إسرائيل إلهما وقد قال الله عز وجل له : « أنت بكرى » بل لم لا يُسَمُّون المؤمنين عامة والحواريين خاصة آلهة ، وقد قال المسيح للحواريين : « أنتم إخواني » وقد قال في الإنجيل : « أعط كل من آمن بي سلطانا

(۱) ورد في سفر التثنية ( الإصحاح ۱۸ آية ۱۵ ) من الكتاب المقدس : « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوانك مثلى له تسمعون » .  
(۲) ورد في إنجيل متى ( الإصحاح ۶ آية ۹ ) من الكتاب المقدس : « فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذي في السموات ، ايتقدس اسمك » .

يُدْعَى لَهُ ، وإن كان هؤلاء كلهم للمسيح إخوة ، أفلا تجعلونهم كلهم آلهة ؟ وكيف يقولون : إن عيسى ابن الله وهو يقول في مواضع جمة ، وأما كن كثيرة ، إنه ابن الإنسان ؟ فكيف يكون ابن الإنسان ابن الله ؟ ومتى كان ذلك ؟ لئن قالوا : إن عيسى لم يزل ابن الإنسان ، لقد جعلوا مع الله إنساناً ، وجعلوا الله إنساناً حديثاً ، وجعلوا المسيح ابن الله لم يزل ، وابن الإنسان فيما حَدَّثَ ! وهذه أمور متناقضة ، وججج داحضة ، وأقاويل فاحشة .

فإن قالوا : إنما نعبد المسيح لأنه رُفِعَ إلى السماء ، فليعبُدوا الملائكة ، فإنهم في السماء قبله ، وإدريس ، فقد رفعه الله وغيره ، وإن كانوا يعبدون المسيح لأنه لم يُخْلَقْ من ذكر . فآدمُ وحواءُ لم يُخْلَقَا من ذكر ولا أنثى ، ولم يقعا من غم<sup>(۱)</sup> الرحم ، وضيق البطن ، وحال الصبا ، فيما وقع فيه المسيح ، وإن قالوا : إنما نعبد عيسى لأنه أحيى الموتى فما أحيى حزقيل<sup>(۲)</sup> أكثر ، وما كان من اليسع تلميذ إلياس أعجب ، لأنه أحيى الموتى بعد ميتين من السفين ، وإن طلبتم ذلك في سير الملوك عند قصة اليسع أصبتموه إن شاء الله ، وإن كانوا إنما يعبدون المسيح من أجل الأستقام التي أبرأ ، والمعائب التي أرى ، فعجائب موسى أعجب ، وآياته أعظم ، أين ما ذكرت لك من عجائب عيسى ، من عجائب موسى : من انقلاب البحر له ، وسلوك الجيش معه ؟ أم أين ذلك من حَجَر

(۱) أي سنه . (۲) جاء في كتب التفسير عند تفسير قوله تعالى في القرآن الكريم :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ » .

نيل : هم قوم من بني إسرائيل وهم أهل داوردان - قرية قبل واسط - وكان وقع فيها طاعون فخرجوا هاربين فأماهم الله ثم أحياهم ، ليبتروا ويقتنوا أن لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره ، مر عليهم حزقيل عليه السلام - أحد أنبياء بني إسرائيل - وقد هربت عظامهم ، وتفرقت أوصالهم ، فتعجب من ذلك ، فأوحى الله تعالى إليه : ناد فيهم أن قوموا ياخذ الله تعالى ، فنادى ، ققاموا يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، وقيل : هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ، ففروا حذر الموت فأماهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم .

يَضْرِبُهُ فَيَتَفَجَّرُ بِعُيُونِ الْمَاءِ ، وَيَجْعَلُهُ مَعَهُ حَيْثُ شَاءَ ؟ بَلْ أَيْنَ تِلْكَ وَهَذِهِ وَغَيْرَ هَذِهِ مِنَ  
الآيَاتِ مِنْ حَبْسِ بُوشَعِ الشَّمْسِ <sup>(۱)</sup> ثَلَاثَ سَاعَاتٍ ! وَكُلَّ مَا صَنَعَ مُوسَى وَعِيسَى وَغَيْرُهُمَا  
بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَقَدَرِهِ وَقَضَائِهِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَكُنْ مِنَ الْقَائِلِينَ بِالْحَقِّ ، الْمُوَحِّدِينَ لِلرَّبِّ ،  
وَلَا تَقُلْ عَلَى عِيسَى مَا لَمْ يَقُلْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَهُ قَالاً لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ كِتَابِكُمْ : اَعْبُدُونِي  
فَإِنِّي رَبُّكُمْ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ ، وَيَذْهَبُ إِلَيْهِ الْجَاهِدُونَ .

وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَحَ لَكَ ، فِي أَوْلَى دَارِكَ بِكَ ، وَأُمَّ شَأْنِكَ  
لَكَ ، فَدَعَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَمْرَكَ بِالْإِيمَانِ الَّذِي بِهِ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَتَنْجُو مِنَ النَّارِ ، فَإِنْ  
قَبِلْتَ فَحِظْكَ أَصَبْتَ ، وَنَفْسَكَ أَحْرَزْتَ ، وَلَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ  
رَدَدْتَ نَصِيحَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا فِيهِ الْحِظُّ فِي آخِرَتِكَ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَنْصَحُ لَكَ  
فِيمَا فِيهِ الصَّلَاحُ فِي عَاجِلَتِكَ : مِنْ إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ الَّتِي يَتَحَقَّنُ اللَّهُ بِهَا دِمَاءَكُمْ ، وَيَحْرَمُ بِهَا  
مِيبَاءَكُمْ ، وَيَجْعَلُهَا قِوَامًا لِعَاشِكُمْ ، وَصَلَاحًا لِبِلَادِكُمْ ، وَتَوْفِيرًا لِأَمْوَالِكُمْ ، وَأَمْنَا لْجَنَابِكُمْ ،  
وَسَعَةً لِرَبِّكُمْ <sup>(۲)</sup> ، وَبَرَكَةً عَلَى فُقَرَائِكُمْ ، وَغِنًى لِأَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ وَالْمَسْكِنَةِ مِنْكُمْ .  
وَلَنْ يَذْكَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجِزْيَةِ لَكُمْ : مِنْ حُلُولِ الْأَمْنِ فِيكُمْ ، وَعُمُومِ الْعَافِيَةِ  
لِيَاكُمْ ، وَاسْتِقَامَةِ الْبَرَكَةِ عَلَيْكُمْ ، وَكَفِّ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ عَنْكُمْ وَبَسْطِهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ  
مِنْكُمْ ، شَيْئاً إِلَّا وَفِي قَلِيلٍ مَا كَانَ مِنْ أَشْبَاهِ ذَلِكَ أَيَّامَ تِلْكَ الْفِدْيَةِ ، الَّتِي كَانَ اللَّهُ  
أَجْرَى نِعْمَتِهَا لَكُمْ عَلَى يَدِهِ ، وَفَتَحَ بِرِكَتِهَا عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِهِ ، مَا يَدُلُّكُمْ عَلَى صِدْقِ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يَذْكَرُ ، وَيَشْهَدُ لَهُ عَلَى حَقِّهِ فِيمَا يَقُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ  
قَدْ أَدْخَلَ عَلَى كُلِّ طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِكُمْ ، وَصِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِكُمْ ، بِتِلْكَ الْفِدْيَةِ ، أَمْوراً  
عَظِيمَةً الْبَرَكَةِ ، وَاسِعَةً الْمَنْفَعَةِ ، فِي أَمْورٍ غَيْرِ وَاحِدَةٍ :

(۱) هُوَ بُوَشَعُ بْنُ نُونٍ ، فَتَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . رَوَى أَنَّهُ قَاتَلَ الْجَبَارِينَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَلَمَّا أَدْبَرَتِ  
الشَّمْسُ لِلْفُرُوبِ خَافَ أَنْ تَغِيبَ قَبْلَ فِرَاغِهِ ، وَبَدَخَلَ السَّبْتَ فَلَا يَجِلُّ لَهُ قِتَالُهُمْ فِيهِ ، فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى ، فَفَرَدَ  
لَهُ الشَّمْسَ حَتَّى فَرَغَ مِنْ قِتَالِهِمْ .

(۲) السَّرْبُ بِالْفَتْحِ : الطَّرِيقُ ، وَبِالْكَسْرِ : النَّفْسُ .

منها أن قادة جنودكم وساسة حربكم ، كانوا بعد وقوع أمرها واستحكام عقدها ،  
 يرانًا لمحاربة أعدائكم ، ومناصبه من ناوأكم<sup>(١)</sup> ، بين أن يستمعوهم<sup>(٢)</sup> في بلادهم ،  
 وينزلوا عليهم في ديارهم ، ولا يرهبون تعقب بشر إن ساروا في أرضهم ، ولا يتخوفون  
 طرادًا إن اجتمعوا لقتالهم ، أن يُقيموا في خفض ودعة ، وأمن وسعة ، مع الأزواج  
 والأولاد والعِيال والأوطان والرِّباع والمَحَالِّ ، وهم اليوم يترقبون الجيوش من كل  
 شِعب ، ويتخوفون الختوف في كل وقت ، لا يهدأ لهم جَأش<sup>(٣)</sup> ، ولا يَسْكُن لهم  
 فزَع ، ولا ينام لهم ليل ، ولا يأمن فيهم حال ، قد قطعت المهوم دايرهم ، وأضمرت  
 المخاوف جُنوبهم ، واستأصلت الجنود أموالهم .

ومنها : أن أهل الحِراثة وإخوان العِارة في بلادك وأطراف أرضك ، كانوا  
 سيرانًا إلى عمارة أرضهم ، وإصلاح ماتحت أيديهم ، فيما لا قوام لهم ولا لمعاشهم إلا به ،  
 ولا بقاء لدينهم إلا معه ، قد أمنوا الجيوش ومعرَّتها ، والجنود وبادرَّتها<sup>(٤)</sup> ، وانتشروا  
 للعمارة ، وابتكروا في الزراعة ، فارقوا رموس الجبال وأقحام الفياض<sup>(٥)</sup> ، وراحوا  
 في أوساط أوطانهم ، وظلال تحالهم ، يشققون الأنهار ، ويفرسون الأشجار ، ويفجرون  
 العيون ، حتى نمت الأموال ، وأخضرت الحلال ، وأخصب الجنب ، وأصبحوا اليوم  
 عن الزراعة مُسكين ، وللحِراثة تاركين ، وبغيرها مشتغلين في إصلاح آلات الحرب ،  
 وإحراز العيال في الحصون ، ورم القلاع للبعلاء ، وتحريش الحصون للبلاء ، قد انتقلوا  
 عن منابت البر ، وكراهم الأرض ، ومجاري المياه ، إلى أوشال<sup>(٦)</sup> الجبال ، وأشجار  
 الفياض ، وبُطون الأودية ، فليس يلبثون من عمارة بلادهم ، ولزوم أوطانهم ، ومن

(١) ناوأه : عاداه . (٢) كذا في الأصل .

(٣) الجأش : انفس ، ورواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، ولى الأصل « لا سكن لهم جأش »

(٤) البادرة : ما يدير من حدثك في الغضب من قول أو فعل .

(٥) الفياض : جم غيضة بالفتح ، وهي الأجة وجمع الشجر في مفيض ماء .

(٦) الأوشال : جمع وشل بالتحريك ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة .

تناول ثمارهم وقوام معاشهم ، مثل ما كانوا يبلغون ، ولا ينالون من خفض العيش وطيب الأمن ، ولذّة الدّعة ، قريبا مما كانوا ينالون .

ومنها : أن إخوان التجارات وأصحاب الأموال وأهل الظّلف والحافر<sup>(۱)</sup> ، كانوا يتناولون ما شاركهم من بلادنا ، وما قاربهم من أسواقنا ، فينفقون تجارتهم ، ويغلون بضائعهم ، فتعظم الأرباح وتضعف الأثمان ، وكانت الباعة من تجار المسلمين وغيرهم من الذّميين يتناولونهم للبيع لهم ، ويتناولونهم للشراء منهم ، قعت البركة ، وسهلت المنفعة ، حتى نالت الرّعاء في جبالها وأماها<sup>(۲)</sup> ، والنساء في غزولهنّ وعمل أيديهنّ فضلا عن غيرهنّ .

ومنها : أنك ومن قبلك من ذوى العبادة والزّهادة والتأله والنسك والنيات ، كنتم على عافية من أيام الرضا بالحرب ، وسلامة من أوزار الخضر على قتال الخوف ، قد نجوتم من معصية المسيح في الدنيا التي نهاكم عنها ، والأمر التي أمركم بها ، من نحو قوله : « مَنْ لَطَمَ خَدَّكَ الْأَيْمَنَ فَأَمْسِكْهُ مِنَ الْأَيْسَرِ ، وَمَنْ انْتَزَعَ قَيْصَكَ فَأَعْطِهِ كِسَاءَكَ ، وَمَنْ لَطَمَكَ فَأَغْفِرْ لَهُ ، وَمَنْ شَتَمَكَ فَأَعْرِضْ عَنْهُ »<sup>(۳)</sup> .

ومنها : أن من بأقاصى بلادك ونواحي حوزتك ، قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض ، ودعة الحال ، وحلاوة الأمن ، ورفاهية العيش ، وسعة العافية ، من سبأ أزواجهم ، وهنيئ<sup>(۴)</sup> أولادهم ، وحطّم معاشهم ، وأمر رجالهم ، وغنيمه بقرهم وغنيمهم ، وإفساد شجرهم وثمارهم ، وإجلاء عن مساكنهم وأوطانهم ، ما لم يكن لهم رأى يعرفه ، ولا ظنّ يبلغه ، ولا طمع يقاربّه ، ولا أمل يذهب إليه ، وما قد عرفت

(۱) الظلف للبقره والشاة : بمنزلة القدم لنا .

(۲) كذا بالأصل .

(۳) ورد في إنجيل متى ( الإصحاح ٥ آية ٣٩ - ٤١ ) من الكتاب المقدس : « وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فقل له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك معه ميلا واحدا فاذهب معه اثنين » .

(۴) من ماضى العظم يهينيه : إذا كسره بعد الجبور ، والحطم : الكسر .

الخاصة من بطارقتكم ، والعامه من أهل ملتكم به : من رأفتكم بهم ، ورحمتكم لهم ، وشفقتكم عليهم ، وأثرتكم إياهم ، وبرّكته ولايتكم ملكهم ، ومنفعة سياستكم أمرهم ، ماقد ازدادوا لكم به محبة ، وفي بقائكم رغبة ، ولأمركم طاعة ، وعلى ملككم شفقة ، وفيما نابكم نصيحة ، مع ماقد ازددتم بذلك من الهيبة في صدور الأعداء ، والشرف في قلوب النظار ، والعظم في عيون الأمم ، حتى أقرؤوا لكم بقوة عزائم العقول ، وفضل سياسة الأمور ، وصحة تدبير الملك ، وصدق النية ، ولطف الحيلة التي جعلوا نسبة عملكم بها ، ومحلّ رأيكم فيها ، على أنكم نظرتم لضعفائكم حتى قوؤوا ، ولقرائكم حتى استغنؤوا ، ولقراءكم حتى بينوا وحيو وفووا المسلمين<sup>(۱)</sup> من أيام الحروب ، وأوزار القتال ، ومعصية المسيح عليه السلام ، ولأعدائكم الأبعدين ، وجيرتكم الأقربين ، حتى كنتم من فراغكم لهم ، واشتغالكم من أمركم بها ما أوطأتموه لحر سحر<sup>(۲)</sup> القتل ، وذلّ الأسر ، وغلبة القهر ، والإذعان والامتثال ، وإما كفيتموهم بالصلح ، واستوثقتهم منهم بالرهن .

فإذا ذكرت ما كان من هذا وأشباهه وأمثاله في الفدية ، فاعلموا أن أمثاله وأضعافه مقيم معكم في الجزية ، فلا يكوننّ لك رأى غيرها ، ولا أمير سواها ، فلقد أكثر أمير المؤمنين العجب من أمركم ، وأطال قلب الفكرة في بعضكم ، فظن أن إخراجكم من جميع ما كنتم فيه إلى خلافه ، مما أصبحتم عاياه من انتظار وقعات الحروب وصولات الجنود ، وأكل الحدود ، وتوقع الجلاء والسبب والقتل ، والأسر والخضر ، شيئاً اختدعكم الله عز وجل فيه عن أنفسكم ، وكيداً استدرككم به لما علم من قلوبكم .  
الآن إن أعجب عذرکم وأفضله كان عند أمير المؤمنين ، إذ بلغه جرأتكم على الله عز وجل في نقض عهده ، واستغنائكم بحقه في خفر<sup>(۳)</sup> ذمته ، وتهاؤنكم بما كان

(۱) كذا بالأصل . (۲) كذا بالأصل . (۳) أى نقض .

منكم ، وأنتم تعلمون أن موثيق العهود ونُدُورَ الأيمان الذي وضعه الله عز وجل حرماً بين ظهرائي خلقه ، وأماناً أفاضه في عباده ، لِتَسْكُنَ إليه نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، وليتعاملوا به فيما بينهم ، وَيَقِيمُوا به من دنياهم ودينهم ، فَمَا مِنْ مَلِكٍ مِنَ الملوك ، ولا أمة من الأمم ، تُبَيِّحُ حَيَّ الله عز وجل ، تهاوؤنا به وجُرْأَةً عَلَيْهِ ، إلا أجرى الله عليهم دائرة<sup>(۱)</sup> من دُورِ الأعداء ، وأنزل عليهم عذاباً من السماء ، وقد رجا أمير المؤمنين أن يُجْرِيَ الله نِقْمَتَهُ مِنْكُمْ بأيدي المسلمين ، بعد إذ كان اعتقد عهدكم وأخذ ميثاقكم بالأيمان المغلظة ، والعهود المؤكدة ، التي قد اعتقدتها في رقابكم ، وحمَلها على ظهوركم ، فأشهدتم الله بها على أنفسكم ، وتسامع بها من حولكم ، وحاكم بها بطارقتم وأساقفتكم ، فلا الله اتقىتم ، ولا من الناس استحيتم ، نكثنا للعهد ، وبُغْضاً للمسلمين ، وخترنا<sup>(۲)</sup> بالأمانة ، وإباحة للحمي ، فتوقعوا العقوبة ، وانتظروا الغيب ، فلقد وثق أمير المؤمنين أن من عذاب الله ما هو حالٌّ إن شاء الله بكم .

ومن أسباب ما يريدُ الله من الانتقام منكم ، ما قد أزمع أمير المؤمنين وعزم عليه ، وقذف الله في قلبه : من الإرادة والنية والرغبة في إبطاء الجيوشِ بلادكم ، واستبَاءِ المقاتلة أرضكم ، والتفرغ لكم من كل شغل ، والإيثارِ لجهادكم على كل عمل ، حتى تؤمنوا بالله وأنتم طائعون أو كارهون ، وتؤدُّوا الجزية عن يد<sup>(۳)</sup> وأنتم صاغرون ، فكونوا على عُدَّة من الجزية ، وبقين من الأتجاع الذي لا طاقة لكم إن شاء الله به ، ولا صبر لكم بإذن الله عليه ، فإن جنود أمير المؤمنين فارغة كثيرة ، وخزائنه عامرة وافرة ، ونفسه سخية بالإفراق ، وبده مُطلقة بالبذل ، والمسلمون نشاطٌ إليكم ، منقلبون عليكم ، قد هوّدهم الله في لقاءكم عادةً يرجون انتظار مثلها ، وأبلاهم في قتالكم بلاءً من أمثالها ، إن شاء الله .

(۱) الدائرة : الهزيمة .

(۲) انظر الجزء الأول ص ۳۹ .

(۳) الحتر : القدر والمخديعة ، أو أبق القدر .



وكتابُ أمير المؤمنين نذيرُهُ بين يَدَي جنوده ، ومُقدِّمُهُ إن شاء الله من جيوشه ،  
إلا أن تؤدُّوا الجزية عن التي دعاك أمير المؤمنين إليها ، وحداك (۱) ومَن قبلك عليها ،  
رحمةً للضعفاء الذين لا ترحمهم ، وتوجُّعا للمساكين مما لا توجِّع منه لهم من الجلاء  
والسِّبَاء والقتل والأسر والقهر ، وقساوة من قلوبكم ، وأثرةً لأنفسكم ، واعتصاماً  
بخواصِّكم ، وإجلاء اموالكم الضعفاء الفقراء المساكين الذين لا تمنعونهم بقوة ، ولا  
تدفعون عنهم بحيلة ، ولا تراقبون في الرحمة لهم والتعطف عليهم ، أدبَ المسيح إياكم ،  
وقوله في الكتاب لكم : « طوبى للذين يرحمون الناس ، فإن أولئك أصفياء الله ونور  
بنى آدم (۲) » .

وأيمُّ الله لو يعلم مَن قبلك من المساكين والزراعيين والفقراء والضعفاء والعملة  
بأيديهم ، ما لهم عند أمير المؤمنين ، اتحدَّروا عليه ، وأقبلوا إليه ، : من إيوائهم ،  
وإتزالهم الأرض الواسعة ، وإمكانهم من مسائيل المياه السائحة ، والعدل عليهم بما  
لا تبلغه أنت ولا تقاربه ، رفقاً بهم ونظراً لهم ، وإحساناً إليهم ، مع تخليته إياهم  
وأديانهم ، لا يُكرِّهم على خلافها ، ولا يجبرهم على غيرها ، لاختاروا قرب  
أمير المؤمنين على قربك ، وجواره على جوارك ، ولأنتمذوا (۳) أنفسهم وأموالهم وأولادهم  
وأزواجهم وعيالاتهم ، مما يحلُّ بهم في كل عام ، ويلقون من كل غزاة ، فاتق الله  
واقبل ما عرض عليك من الجزية ، ولا يمنعك ما فيه (۴) الحظُّ لك ولأهل مملكته ،  
ونحن على رجاء أن الله لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم ، إلا ليجعله على يد أهل بيت  
النبوة والرحمة ، ولأهل الوراثة فيهم للكتاب والحكمة ، الذين لا يدخل عليكم في الإذعان

(۱) من حدا الإبل وبها : إذا ساقها .

(۲) ورد في إنجيل متى ( الإصحاح ٥ آية ٧ - ٩ ) من الكتاب المقدس « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون  
طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعابنون الله ، طوبى لصابغى السلام لأنهم أبناء الله يدعون » .

(۳) في الأصل « ولا ابتفلوا » .

(۴) فاعل يمنع غير موجود في الجملة ، والظاهر أن الأصل « ولا يمنعك العناد أو الشيطان مثلاً » .

( ١٨ - جبهة رسائل العرب - ثالث )

لهم ، وأداء الجزية إليهم ، حَمِيَّةٌ ولا تقيصةٌ ولا عارٌ ، والذين يقولون لكم ، يا يعقِدُونَ ،  
وَيُتَّبِعُونَ فعلهم ما يقولون .

ثم أمير المؤمنين بِمَخَاصِرِهِ ، لما جعل الله عليه رأيه ، وفيه نظره ، من البرِّ والرحمة  
والإِقْسَاطِ والوفاء بالعقود والعهود والشروط ، نظرًا لدينه ، وخوفًا من ربه ، ولِما  
قَدَفَ اللهُ في قلبه وقلوب المسلمين من المحبة والطاعة والأثرة ، ولِما جعلهم الله عليه من  
اجتماع الكلمة ، واتفاق الأفتدة ، والنصائح في السر والعلانية ، وما عوَّده الله ممن  
نَصَبَ له بمجازية ، ورماه بمكابدة ، وعراه بحيلة : من النصر العزيز ، والفتح الغريب ،  
والظفر المبين ، فابذل من الجزية ما شئت ، وسمَّ منها ما هويت . واعلم أن أمير المؤمنين  
ليس يَحْدُوكَ عليها لحاجةٍ به إليها ولا للمسلمين ، ولكن طاعةً لربه ، وأثرةً لحقه ،  
ولِيَجْعَلَهَا سببًا لِمَا يُرِيدُ أَنْ يَجْرِيَ فيما بينه وبينكم ، وإنه إنما كان قبولُ المهديِّ  
- رحمه الله - الفديةَ منكم ، بطلبية أمير المؤمنين كانت إليه ، والحاجة كانت فيها  
عليه (۱) ، ولم يكن من رغبة فيها ، ولا حاجة إليها ، ولا استعظام لها ، ولقد كان يُعْطَى  
في المجلس الواحد مِرَاراً أمثالها ، ولكن ذلك كان رأى أمير المؤمنين يومئذ فيكم ،  
فأما اليوم إذ استبان له غدركم وتفضكم ونكثكم ، واستخفافكم بدينكم ، وجراتكم  
على ربكم ، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم إلا الإسلامُ أو الحربُ المُجَلِيَّةُ إن شاء الله ، ولا  
حولَ بأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله ، عليه يتوكَّل ، وبه يثق ، وإياه يستعين ، والسلام  
على من اتبع الهدى .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۲۶ )

## ۱۶۸ - كتاب نقفور ملك الروم إلى الرشيد

وجرى الصلح بين الرشيد وبين إيريني<sup>(۲)</sup> ملكة الروم بعد حروب دارت  
بينهما ، فعادت الروم على إيريني نخلتها ، وملكها نقفور<sup>(۳)</sup> ، فلما استوثقت له  
الروم بالطاعة كتب إلى الرشيد :

(۱) كذا بالأصل . (۲) وابتملك الروم سنة ۷۹۲ . (۳) ولى ملك الروم سنة ۸۰۲ م .

« من تقفور ملك الروم إلى هرون ملك العرب .

أما بعدُ ، فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقامَ الرُّخ (١) ، وأقامت نفسها مقامَ البَيْدِق ، فحملتُ إليك من أموالها ما كنتَ حقيقاً بحمل أمثالها إليها ، لكن ذلك لضعف النساءِ ومُخْتَمِن ، فإذا قرأت كتابي فاردُدْ ما حصل قبلك من أموالها ، وافقدِ نفسك بما تقع به المصادرة لك ، وإلا فالسيفُ بيني وبينك .

### ١٦٩ - رد الرشيد عليه

فلما قرأ الرشيد الكتاب استفرزه الغضب وكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من هرون أمير المؤمنين إلى تقفور كلب الروم .  
قد قرأتُ كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه دون ما تسمعه ، والسلام .  
ثم شَخَّصَ إليه من يومه ففتح وغنم ، فطلب تقفور المواعدة على خراجٍ يؤديه في كل سنة ، فأجابه إلى ذلك ، وكان ذلك سنة ١٨٧ هـ . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٩٢ )

### ١٧٠ - رواية أخرى

وفي رواية صبح الأعشى أن تقفور كتب إلى الرشيد :

« أما بعدُ ، فإن هذه المرأة وضعتك موضعَ الشاه ، ووضعت نفسها موضعَ الرُّخ ، وينبغي أن تعلم أني أنا الشاه ، وأنت الرُّخ ، فأدِّ إلى ما كانت للمرأة تؤدي إليك .  
فلما قرأ الكتاب ، قال لكفابه : أجيبوا عنه ، فكتبوا ما لم يرتضه ، فكتب هو إليه :

« من عبد الله هرون أمير المؤمنين ، إلى تقفور كلب الروم ، أما بعد فقد فهمت كتابك ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه ، والسلام على من اتبع الهدى .

(١) الرخ والبندق : من أدوات الشطرنج .

ويقال : إنه كتب : « الجواب ما تراه لا ما تسمعه ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارَ » .  
( صبح الأعشى ۱ : ۱۹۲ ، ۶ : ۴۵۷ )

\* \* \*

وفي رواية الأغاني أن تقفور كتب إلى الرشيد :  
« أما بعد ، فإن هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ، ووضعت  
نفسها موضع السوق<sup>(۱)</sup> ، وإني واضعك بغير ذلك الموضع ، وعامل على طرق بلادك ،  
والمهجوم على أمصارك ، أو تؤدى إلى ما كانت المرأة تؤدى إليك ، والسلام » .  
( الأغاني ۱۷ : ۴۴ )

## ۱۷۱ - كتاب الرشيد إلى علي بن عيسى بن ماهان

وَوَلَّى الرَّشِيدَ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ خِرَاسَانَ (سنة ۱۸۳) فَعَثَ فِيهَا فِسَادًا ،  
وظَلَمَ أَهْلَهَا ، وَوَتَرَ أَشْرَافَهَا ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، وَاسْتَخَفَّ بِرِجَالِهِمْ ، فَكَتَبَ رِجَالَ مِنْ  
وَجُوهَهَا إِلَى الرَّشِيدِ ، وَكَتَبَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ كُورِهَا إِلَى قَرَابَاتِهَا وَأَصْحَابِهَا تَشْكُو سُوءَ  
صِيرَتِهِ ، وَخُبَيْثَ طُعْمَتِهِ ، وَرِدَاءَةَ مَذْهَبِهِ ، وَنَسَأَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُبَدِّلَهَا مِنْهُ مَنْ أَحَبَّ  
مِنْ كُفَاتِهِ وَأَنْصَارِهِ ، فَدَعَا الرَّشِيدَ هَرَّثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَنْكَرَ أَهْلُ خِرَاسَانَ  
أَمْرَ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى ، إِذْ خَالَفَ عَهْدِي وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَقَدْ كَتَبَ يَسْتَمِدُّ  
وَيَسْتَجِيشُ<sup>(۲)</sup> ، وَأَنَا كَاتِبٌ إِلَيْهِ أَخْبِرُهُ أَنِّي أَمِدُّهُ بِكَ ، وَأَوْجِبُهُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ  
وَالسَّلَاحِ وَالْعُدَّةِ مَا يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ قَلْبُهُ ، وَتَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَأُكْتَبُ مَعَكَ كِتَابًا بِخَطِّي  
فَلَا تَفُضِّنْهُ وَلَا تَطْلِعَنَّ فِيهِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَإِذَا نَزَلَتْهَا فَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ وَامْتِثِلْهُ  
وَلَا تَجَاوِزْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَنَا مُوَجِّهُ مَعَكَ « رَجَاءً » الْخَادِمَ بِكِتَابِ أَكْتَبَهُ إِلَيَّ عَلَى

(۱) السوق بالضم : الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وقد يجمع على سوق بضم فسح .  
(۲) وذلك لقتال رافع بن ليث بن نصر بن سيار ، وكان قد خرج على الرشيد بسرقة كما صيحي .

ابن عيسى بخطي ، فلا تُظهِرْهُ عَلَيْهِ وَلَا تَعْلِقْهُ مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ ، وَتَأْهَبُ لِلْمَسِيرِ ، وَأُظْهِرُ  
لِخَاصَّتِكَ وَعَامَّتِكَ أَنِّي أَوْجِهَكَ مَدَدًا لِعَلِيِّ بْنِ عَيْسَى وَهَوْنًا لَهُ .

ثم كتب إلى علي بن عيسى كتاباً بخطه ، نسخته :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ، رَفَعْتُ مِنْ قَدْرِكَ ، وَنَوَّهْتُ بِاسْمِكَ ،  
وَأَوْطَأْتُ سَادَةَ الْعَرَبِ عَقَبَتِكَ ، وَجَعَلْتُ أَبْنَاءَ مَلُوكِ الْعَجَمِ خَوَالِكَ <sup>(۱)</sup> وَأَتْبَاعَكَ ،  
فَكَانَ جَزَائِي أَنْ خَالَفتَ عَهْدِي ، وَنَبَذْتَ وَزَاءَ ظَهْرِكَ أَمْرِي ، حَتَّى عَمِنْتَ فِي الْأَرْضِ ،  
وِظَلَمْتَ الرَّعِيَةَ ، وَأَسْخَطْتَ اللَّهَ وَخَلِيفَتَهُ بِسُوءِ سِيرَتِكَ ، وَرَدَاءَةِ طُعْمَتِكَ <sup>(۲)</sup> ، وَظَاهِرِ  
خِيَانَتِكَ ، وَقَدْ وَلَّيْتُ هَرَثِمَةَ بْنَ أَعْيَنَ مَوْلَايَ ثَغَرَ خُرَاسَانَ ، وَأَمَرْتَهُ أَنْ يَشُدَّ وَطْأَتَهُ  
عَلَيْكَ وَعَلَى وَلَدِكَ وَكُتَابِكَ وَعُمَّالِكَ ، وَلَا يَتْرَكَ وِرَاءَ ظَهْرِكُمْ دِرْهَمًا وَلَا حَقًّا لِمُسْلِمٍ وَلَا  
مُعَاهِدٍ إِلَّا أَخَذَ كُمْ بِهِ ، حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِنْ أَبَيْتَ ذَلِكَ وَأَبَاهُ وَلَدُكَ وَعُمَّالِكَ ،  
فَلَهُ أَنْ يَبْسُطَ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ ، وَيَصُبَّ عَلَيْكُمْ السَّيْطَ ، وَيُحِلَّ بِكُمْ مَا يَحِلُّ بِنِكَتِ  
وغيرِ وَبَدَلٍ وَخَالَفَ وَظَلَمَ وَتَعَدَّى وَغَشَمَ <sup>(۳)</sup> ، اِنْتِقَامًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَادِيًا ، وَتَخْلِيفَةً ثَانِيًا ،  
وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ ثَالِثًا ، فَلَا تَعْرِضْ نَفْسَكَ لِأَشْوَى <sup>(۴)</sup> لَهَا ، وَأَخْرِجْ مِمَّا يَلْزِمُكَ  
طَائِعًا أَوْ مَكْرَهًا .

وكان ذلك سنة ۱۹۱ . ( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۰۲ )

۱۷۲ - عهد الرشيد لهرثمة بن أعين وقد ولاه خراسان

وكتب عهد هرثمة بخطه :

« هذا ما عهد هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعين ، حين ولاه ثغر <sup>(۵)</sup> »

(۱) الخول : الحاشية والحشم . (۲) الطعمة : الأكلة ووجه المكسب .

(۳) غشمة كضربه : طله .

(۴) أشوى من الشى : أبغى منه بعضا ، والاسم الشوى ، ولا شوى لها : أى لا إبقاء لها ،  
أولا برة لها .

(۵) الثغر : موضع الخافة من فروج البلدان .

خراسان وأعماله وخراجه : أمره بتقوى الله وطاعته ، ورعاية أمر الله ومراقبته ، وأن يجعل كتاب الله إماماً في جميع ما هو بسبيله ، فيُحِلَّ حلاله ، ويُحَرِّم حرامه ، ويتوقف عند متشابهه ، ويسأل عنه أولى الفقه في دين الله ، وأولى العلم بكتاب الله ، أو يردّه إلى إمامه ، ليريه الله عز وجل فيه رأيه ، ويعزم له على رشده .

وأمره أن يستوثق من الفاسق على بن عيسى وولده وعمله وكتابه ، وأن يشدّ عليهم وطاقته ، ويحلّ بهم سَطُوتَه ، ويستخرج منهم كل مال يصحّ عليهم ، من خراج أمير المؤمنين ، وفيّء المسلمين ، فإذا استنظف<sup>(۱)</sup> ما عندهم وقبلهم من ذلك ، نظر في حقوق المسلمين ، والمعاهدين ، وأخذهم بحقّ كلّ ذى حق حتى يردوه إليهم ، فإن ثبتت قبيلهم حقوق أمير المؤمنين ، وحقوق المسلمين ، فدافعوا بها وجددوها ، أن يصبّ عليهم سَوَاطِ عذاب الله ، وأليم نعمته ، حتى يبلغ بهم الحال التي إن تخطاها بأذى أدب<sup>(۲)</sup> ، تَلِفَتْ أنفسهم وبطلت أرواحهم ، فإذا خرجوا من حق كل ذى حق أشخصهم كما تُشخص العصاة - من خشونة الوطاء ، وخشونة الطعام والمشرب ، وغِلظ الملبس - مع الثقات من أصحابه ، إلى باب أمير المؤمنين إن شاء الله .

فاعمل يا أبا حاتم بما عهدت إليك ، فإنّي آثرتُ الله ودينى على هواى وإرادتى ، فكذلك فليكن عملك ، وعليه فليكن أمرك ، ودبرّ في أعمال الكور الذين تمر بهم في صمودك مالا يستوحشون معه إلى أمر يربهم ، وظنّ يُرعبهم ، وابسط من آمال أهل ذلك الثغر ومن أمانهم وعذرهم ، ثم اعمل بما يرضى الله منك وخليفته ومن وُلاك الله أمره إن شاء الله .

هذا عهدى وكتابى بخطى ، وأنا أشهد الله وملائكته وجملة هرشه وسكان سمواته ، وكفى بالله شهيداً .

وكتب أمير المؤمنين بخط يده لم يحضره إلا الله وملائكته .

( تاريخ الطبرى ۱۰ : ۱۰۲ )

( ۲ ) أى تأديب .

( ۱ ) استنظف الوالى ما عليه من الخراج : استوفاه .

## ۱۷۳ - کتاب ہرثمہ بن أعین إلى الرشيد

وسار ہرثمہ إلى خراسان ، وأنفذ ما عهد به إليه الرشيد ، فلما حمل على بن عيسى إلى الرشيد ، كتب إليه كتابا يخبره ما صنع ، ونسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن الله عز وجل لم يزل يُبلي<sup>(۱)</sup> أمير المؤمنين في كل ما قلده من خلافته ، واسترعاه من أمور عبادته وبلادته أجلّ البلاء وأكملّه ، ويعرّفه في كل ما حضره ونأى عنه ، من خاصّ أموره وعامّتها ، وأطيفها<sup>(۲)</sup> وجليلها ، أتمّ الكفاية ، وأحسن الولاية ، ويعطيه في ذلك كلّ أفضل الأمانة ، ويؤلفه فيه أقصى غاية الهمة ، امتناناً منه عليه ، وحفظاً لما جعل إليه ، مما تكفل بإعزازة وإعزاز أوليائه وأهل حقه وطاعته ، فنسئتم الله أحسن ما عودده وعودتنا ، من الكفاية في كل ما يؤدّبنا إليه ، ونسأله توفيقاً لما نقضي به المفترض من حقه في الوقوف عند أمره ، والاقتصار على رأيه .

ولم أزل - أعزّ الله أمير المؤمنين - مُذْ فَصَلْتُ<sup>(۳)</sup> عن معسكر أمير المؤمنين ، ممثلاً ما أمرني به فيما أنهضني له ، لا أجاوز ذلك ولا أتعداه إلى غيره ، ولا أتعرفُ اليمنَ والبركة إلا في أمثاله ، إلى أن حللت أوائل خراسان ، صائفاً للأمر الذي أمرني أمير المؤمنين بصيانته وسنته ، لا أفضي ذلك إلى خاصّ ولا إلى عامّ ، ودبرّت في مكاتبه أهل : « الشاش وفرغانة<sup>(۴)</sup> » . وخزّ لهما عن الخائن ، وقطع طمعه وطمع من قبله عنهما ، ومكاتبه من « ببلخ » بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين وفصرت له ، فلما نزلت نيسابور همّلت في أمر الكور التي اجتزت عليها ، بتولية

(۱) الإبلاء : الإنعام والإحسان ، يقال : أبلاه الله بلاء حسناً ، وأبليتة معروفان ، قال زهير :

جزى الله بالإحسان ما فعلنا بكم وأبلاها خير البلاء الذي يلو

(۲) لطف الشيء لطفاً ولطافة ككرم : صفر ودق فهو لطيف .

(۳) فصل من البلد فصولاً : خرج منه .

(۴) الشاش وفرغانة : كورتان وراء نهر سيحون متاختان للصين ، وخزله كضربه : قطعه .

مَنْ وَلَّيْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ مَجَاوِزَتِي إِيَّاهَا ، كَجُرْجَانٍ وَنَيْسَابُورٍ وَأَسَا وَمَرْخَسٍ<sup>(۱)</sup> ، وَلَمْ  
 آلُ الْإِحْتِيَاظَ فِي ذَلِكَ ، وَاخْتِيَارَ الْكُفَاةَ وَأَهْلَ الْأَمَانَةِ وَالصَّحَّةَ مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِي ،  
 وَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِمْ فِي سِتْرِ الْأَمْرِ وَكِتْمَانِهِ ، وَأَخَذْتُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ ، وَدَفَعْتُ  
 إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَهْدَهُ بِوَلَايَتِهِ ، وَأَمَرْتَهُمْ بِالسَّيْرِ إِلَى كُورِ أَعْمَالِهِمْ ، عَلَى أَخْفَى  
 الْحَالَاتِ وَأَسْتَرِّهَا ، وَالتَّشْبِهُ بِالْمُجْتَازِينَ فِي وُرُودِهِمُ الْكُورَ وَمُقَامِهِمْ بِهَا ، إِلَى الْوَقْتِ  
 الَّذِي سَمَّيْتُ لَهُمْ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قَدَّرْتُ فِيهِ دَخُولِي إِلَى « مَرَّو » ، وَالتَّقَانِي وَعَلَى  
 ابْنِ عَيْسَى ، وَعَمَلْتُ فِي اسْتِكْفَائِي إِسْمَاعِيلَ بْنَ حَفْصِ بْنِ مُصْعَبِ أَمْرِ جُرْجَانٍ  
 بِمَا كُنْتُ كَتَبْتُ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَنَفَّذَ أَوْلِيَاكَ الْعَمَالَ لِأَمْرِي ، وَقَامَ كُلُّ رَجُلٍ  
 مِنْهُمْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي وُقِّتَ لَهُ بِضَبْطِ عَمَلِهِ ، وَإِحْكَامِ نَاحِيَتِهِ ، وَكَفَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 الْمَثُورَةَ فِي ذَلِكَ بِلَطِيفِ صُنْعِهِ .

وَلَمَّا صِرْتُ مِنْ مَدِينَةِ « مَرَّو » عَلَى مَنَزِلٍ ، اخْتَرْتُ عِدَّةً مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِي ،  
 وَكَتَبْتُ بِقِسْمِيَةِ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى وَكُتَّابِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَغَيْرِهِمْ رِقَاعًا ، وَدَفَعْتُ إِلَى كُلِّ  
 رَجُلٍ مِنْهُمْ رُقْعَةً بِأَسْمِ مَنْ وَكَلَّمْتُهُ بِحِفْظِهِ فِي دَخُولِي ، وَلَمْ أَمِنْ لَوْ قَصَّرْتُ فِي ذَلِكَ  
 وَأَخَّرْتُهُ ، أَنْ يَصِيرُوا عِنْدَ ظَهْوَرِ الْخَبْرِ وَانْتِشَارِهِ ، إِلَى التَّغْيِيبِ وَالْإِنْتِشَارِ ، فَعَمَلُوا بِذَلِكَ ،  
 وَرَحَلْتُ عَنْ مَوْضِعِي نَحْوَ مَدِينَةِ « مَرَّو » ، فَلَمَّا صِرْتُ مِنْهَا عَلَى مِيلَيْنِ تَلَقَّانِي عَلِيُّ  
 ابْنُ عَيْسَى فِي وِلْدِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَقَوَادِهِ ، فَلَقِيْتُهُ بِأَحْسَنِ لِقَاءٍ وَأَنَسْتُهُ ، وَبَلَغْتُ مِنْ  
 تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَالتَّمَاسِ النَّزُولِ إِلَيْهِ أَوْلَ مَا بَصُرْتُ بِهِ ، مَا أَزْدَادُ بِهِ أُنْسًا وَثِقَةً ،  
 إِلَى مَا كَانَ رَ كَنَ إِلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ يَأْتِيهِ مِنْ كُتُبِي ، فَإِنَّهَا لَمْ تَنْقَطِعْ عَنْهُ بِالتَّعْظِيمِ  
 وَالْإِجْلَالِ مَعِي لَهُ وَالتَّمَاسِ ، لِأُلْتَقِيَ سُوءَ الظَّنِّ عَنْهُ ، لِئَلَّا يَسْبِقَ إِلَى قَلْبِهِ أَمْرٌ يَنْتَقِضُ بِهِ  
 مَا دَبَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهِ ، وَأَمَرَنِي بِهِ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْمُنْفَرِدُ  
 بِكِفَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَمْرِ فِيهِ ، إِلَى أَنْ ضَمَّنِي وَإِيَّاهُ مَجْلِسَهُ ، وَصَرْتُ إِلَى الْأَكْلِ مَعَهُ ،

(۱) هكذا ضبطه ياقوت في معجم البلدان ، ثم قال : « ويقال سرخس بالنعريك ، والأول أكثره »



فلا فرغنا من ذلك بداني يسألني المصير إلى منزل كان ارتاده لي ، فأعلمته ما معي من الأمور التي لا تحتمل تأخير المناظرة فيها ، ثم دفع إلي « رجاء » الخادم كتاب أمير المؤمنين ، وأبلغه رسالته ، فعلم عند ذلك أن قد حلَّ به الأمر الذي جناه على نفسه ، وكسبته يداه ، من سخط أمير المؤمنين ، وتغير رأيه ، بخلافه أمره ، وتعدُّيه سيرته . ثم صرت إلى التوكيل به ، ومضيت إلى المسجد الجامع ، فبسطتُ آمال الناس من حضر ، وافتتحتُ القول بما حثني أمير المؤمنين إليهم ، وأعلمتهم إعظام أمير المؤمنين ما أتاه ووضع عنده من سوء سيرة علي ، وما أمرني به فيه وفي عماله وأعوانه ، وأني بالغ من ذلك ، ومن إنصاف العامة والخاصة ، والأخذ لهم بحقوقهم أقصى غايتهم ، وأمرتُ بقراءة عهدي عليهم ، وأعلمتهم أن ذلك مثالي وإمامي ، وأني به أقتدي ، وعليه أحتذي ، فتمزقتُ عن باب واحد من أبوابه فقد ظلمتُ نفسي ، وأحلتُ بها ما يحلُّ بمن خالف رأى أمير المؤمنين وأمره ، فأظهروا السرور بذلك والاستبشار ، وعلتُ بالتكبير والتهليل أصواتهم ، وكثرتُ دعاؤهم لأمر أمير المؤمنين بالبقاء ، وحسن الجزاء .

ثم انكفأتُ إلى المجلس الذي كان علي بن عيسى فيه ، فصرت إلى تقييده وتقييد ولده وأهل بيته وكتابه وعماله ، والاستيثاق منهم جميعاً ، وأمرتهم بالخروج إلى من الأموال التي احتججوها<sup>(١)</sup> من أموال أمير المؤمنين وقتي المسلمين ، وإعفائي بذلك من الإقدام عليهم بالمكروه والضرب ، وناديت في أصحاب ودائهم بإخراج ما كان عندهم ، فحملوا إليّ - إلى أن كتبتُ إلى أمير المؤمنين - صديقاً صالحاً من الورق والعين<sup>(٢)</sup> ، وأرجو أن يعين الله على استيفاء ما قبلهم ، واستنظاف ما وراء ظهورهم ، ويسهل الله من ذلك أفضل ما لم يزل يعودُه أمير المؤمنين من الصنع في مثله ، من الأمور التي يُعنى بها إن شاء الله تعالى .

(١) احتججوا للمال : ضمه واحتواء . (٢) الورق : الدراهم المصروبة ، والعين : الدينار .

ولم أدع عند قدومي « مرو » للتقدم في توجيه الرسل وإنفاذ الكتب البالغة في الإعذار والإنذار، والتبصير والإرشاد، إلى « رافع <sup>(۱)</sup> » ومن قبله من أهل سمرقند، وإلى من يبلغ <sup>(۲)</sup> ، على حسن ظني بهم في الإجابة ولزوم الطاعة والاستقامة ، ومهما تنصرف به رُسلي إلى يأمر المؤمنين من أخبار القوم في إجاباتهم وامتناعهم ، أعمل على حسبه من أمرهم ، وأكتب بذلك إلى أمير المؤمنين على حقه وصدقته ، وأرجو أن يعرف الله أمير المؤمنين في ذلك من جميل صنعه ، ولطيف كفايته ، ما لم تزل عادته جارية به عنده بمنه وطوله وقوته ، والسلام .

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۰۵ )

( ۱ ) هو رافع بن ليث بن نصر بن سيار ، وكان من خبره أنه ظهر بسمرقند مخالفاً للرشيدي وخلعه ونزع يده من طاعته ( سنة ۱۹۰ ) وذلك أن يحيى بن الأشعث الطائي كان تزوج ابنة لعمه أبي النعمان ، وكانت ذات يسار ولسان ، فأقام بمدينة السلام وتركها بسمرقند ، فلما طال مقامه بها وبلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد ، التمت سبياً للتخلص منه ، فمى عليها ، وبلغ رافعا خبرها فطمع فيها وفي مالها ، ففسد إليها من قال لها : إنه لاسبيل لها إلى التخلص من صاحبها إلا أن تشرك بالله وتحضر لذلك قوما هذولا وتكشف شعرها بين أيديهم ، ثم تتوب فتحل للأزواج ، ففعلت ذلك وتزوجها رافع ، وبلغ الخبر يحيى بن الأشعث ، فرفع ذلك إلى الرشيد ، فكتب إلى علي بن عيسى بأمره أن يفرق بينهما ، وأن يعاقب رافعا ويجلده الحد ويقيده ويطوف به في مدينة سمرقند مقيدا على حمار حتى يكون عظة لغيره ، فدرأ سليمان بن حميد الأزدي - عامل علي بن عيسى على سمرقند - عنه الحد ، وحمله على حمار مقيدا حتى طلقها ثم حبسه في سجن سمرقند ، فهرب من الحبس ليلا فلاحق بعلي بن عيسى يبلغ فطلب الأمان ، فلم يجبه علي إليه ، وهم بضرب عنقه ، فكلمه فيه ابنة عيسى بن علي ، ووجدت طلاق المرأة وأذن له في الانصراف إلى سمرقند ، فانصرف إليها فوثب سليمان بن حميد فقتله ، فوجه علي بن عيسى إليه ابنة ، قال الناس إلى سباع بن مسعدة فرأسوه عليهم فوثب علي رافع فقيده فوثبوا على سباع فقيده ورأسوا رافعا وباعوه وطابقه من وراء النهر ، ووافاه عيسى بن علي فلقبه رافع فهزمه ، ثم غلظ أمر رافع بسمرقند سنة ۱۹۱ ، وكتب أهل نيف إليه يبطونه الطاعة ويسألونه أن يوجه إليهم من بينهم علي إقل عيسى بن علي ، فوجه صاحب الشاش في أمراكه وقائدا من قواده فأتوا عيسى بن علي فأحدقوا به وقتلوه ، فخرج علي بن عيسى عن بلخ إلى مرو مخافة أن يسير إليها رافع فيستولي عليها .

( ۲ ) كان عيسى بن علي قبل قتله دفن في بستان داره يبلغ أموالا عظيمة - قيل لأنها كانت ثلاثين ألف ألف ، ولم يعلم بها أباه ولا أطلع على ذلك إلا جارية كانت له ، فلما بشخص علي بن عيسى عن بلخ أطلعت الجارية على ذلك بعض الخدم وتحدث به الناس ، فاجتمع قراء أهل بلخ ووجوهها فدخلوا البستان فانتهبوه وأباحوه للعامة .

## ۱۷۴ - رد الرشید علیہ

فأجابه الرشید :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك بقدمك « مرّو » في اليوم الذي سمّيت ، وعلى الحال التي وصفت ، وما فسّرت ، وما كنت قدّمت من الخيل قبل ورودك إليها ، وعملت به في أمر الكور التي سمّيت ، وتولية من وليت عليها قبل نفوذك منها ، ولطّفت له من الأمر الذي استجمع لك به ما أردت من أمر الخائن علي بن عيسى وولده وأهل بيته ، ومن صار في يدك من عمّاله ، وأصحاب عمّاله ، واحتذائك في ذلك كلّ ما كان أمير المؤمنين مثّل لك ووقفك عليه ، وفهم أمير المؤمنين كلّ ما كتبت به ، وحمد الله على ذلك كثيرا ، وعلى تسديده إليك ، وما أعانك به من توفيقه ، حتى بلغت إرادة أمير المؤمنين ، وأدركت طلبته ، وأحسنت ما كان يجب بك وعلى يدك إحكامه ، بما كان اشتد به اعتناؤه ، ولجّ به اهتمامه ، وجزاك الخير على نصيحتك وكفايتك ، فلا أعدم الله أمير المؤمنين أحسن ما عرفه منك ، في كل ما أهاب<sup>(۱)</sup> بك إليه ، واعتمد بك عليه .

وأمير المؤمنين يأمرك أن تزداد جدّا واجتهادا فيما أمرك به ، من تتبع أموال الخائن علي بن عيسى وولده وكتّابه وحمّاله ووكلائه وجهاً بذته<sup>(۲)</sup> ، والنظر فيما اختانوا<sup>(۳)</sup> به أمير المؤمنين في أمواله ، وظلموا به الرعية في أموالهم ، وتبّع ذلك واستعراجه من مظانّه ومواضعه التي صارت إليه ، ومن أبدى أصحاب الودائع التي استودعوها إياهم ، واستعمال الدين والشدة في ذلك كله ، حتى تصير إلى استنظاف ما وراء ظهورهم ، ولا تبق من نفسك في ذلك بقية ، رآني إنصاف الناس منهم في حقوقهم

(۱) أهاب به : دعاه . (۲) الجهاذة جمع جهبذ بكسر الجيم والياء : وهو النقاد الخبير .

(۳) خانه واختانه : بمعنى .

ومظالمهم حتى لا تَبْتَقَى لِمَتَظَلَّمٍ مِنْهُمْ قَبْلَهُمْ ظُلَامَةٌ إِلَّا اسْتَقْضِيَتْ ذَلِكَ لَهُ ، وَحَمَلَتْهُ وَإِيَّاهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِيهَا ، فَإِذَا بَلَغَتْ أَقْصَى غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ ، فَأَشْخِصِ الْخَائِنَ وَوَلَدَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَكُتَّابَهُ وَعَمَّالَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَثَاقٍ <sup>(۱)</sup> ، وَهَلِي الْحَالِ الَّتِي اسْتَحَقُّوْهَا مِنْ التَّغْيِيرِ وَالتَّنْكِيلِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لِلَّهِ بِظُلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

ثُمَّ اعْمَلْ بِمَا أَمَرَكَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ الشُّخُوصِ إِلَى سَمَرْقَنْدِ ، وَمَحَاوَلَةِ مَا قَبْلَ « خَامِلٍ » <sup>(۲)</sup> ، وَمَنْ كَانَ هَلِي رَأْيَهُ ، مِمَّنْ أَظْهَرَ خِلَافًا وَامْتِنَاعًا مِنْ أَهْلِ كُورِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَطَخَارِسْتَانَ <sup>(۳)</sup> بِالذُّعَاءِ إِلَى الْفَيْئَةِ <sup>(۴)</sup> وَالْمَرَاجِعَةِ ، وَبَسَطِ أَمَانَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي حَمَلَكُمَا إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ قَبِلُوا وَأَنَابُوا وَرَاجَعُوا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِمْ ، وَفَرَّقُوا جُمُوعَهُمْ ، فَهُوَ مَا يَحِبُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يِعَامِلَهُمْ بِهِ ، مِنْ الْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالْإِقَالَةِ لَهُمْ ، إِذْ كَانُوا رَعِيَّتَهُ ، وَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ إِذَا أَجَابَهُمْ إِلَى طَلِبَتِهِمْ ، وَأَمَّنَ رَوْعَهُمْ ، وَكَفَّاهُمْ وِلَايَةَ مَنْ كَرِهُوا وَوَلَايَتَهُ ، وَأَمَرَ بِإِنصَافِهِمْ فِي حَقُوقِهِمْ وَظُلَامَاتِهِمْ ، وَإِنْ خَالَفُوا مَا ظَنَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَخَاكِمْتَهُمْ إِلَى اللَّهِ إِذْ طَغَوْا وَبَغَوْا وَكَرِهُوا الْعَافِيَةَ وَرَدُّوْهَا ، فَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ ، فَغَيَّرْ وَنَكَّلْ وَعِزَّلْ وَاسْتَقْبِدْ وَعَفَا عَنْ أَحَدِثِ وَصَفَحَ عَنْ اجْتَرَمَ <sup>(۵)</sup> ، وَهُوَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي خِلَافِ إِنْ آثَرُوهُ ، وَعُنُودٍ <sup>(۶)</sup> إِنْ أَظْهَرُوهُ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ ، وَالسَّلَامُ .

وكتب إسماعيل بن صُبَيْحٍ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۰۷ )

(۱) الوثاق بالفتح ويكسر : ما يشد به .

(۲) يعني رافع بن ليث ، وسماه بضم السين تحميرا له وتموينا لكأنه .

(۳) ضبطه ياقوت في معجم البلدان بفتح الطاء ، وضبطه ابن خلكان في وفيات الأعيان ( في ترجمة

بشار بن برد ۱ : ۹۰ ) فقال : بضم الطاء وضم الراء ، وهي ولاية واسعة كبيرة من نواحي خراسان

وراء نهر بلخ على جيحون . (۴) الفئته بالفتح والكسر : الرجوع .

(۵) أجرم واجترم : بمعنى . (۶) هند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عنودا : مال .

## ۱۷۵ - کتاب لهرثمة بن أعین

وكتب هرثمة بن أعین :

« ليس يكون منك شيء وإن حسن ، إلا وحسن ظني بك يبلغه ، فاستتم أحسن ما كان منك ، يتم لك أحسن ما تحب مني ، ولا يمنعك إلا اكتفاه بحالك اليوم ، من طلب الزيادة في غد ، فإنه لقل شيء لا يزيد إلا نقص ، والزمان يمحق الكثير ، كما يربو على الزيادة القليل » .  
( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۴ )

## ۱۷۶ - كتاب لقمان بن زيد في السلامة إلى الخليفة

وكتب قامة<sup>(۱)</sup> بن زيد في السلامة إلى الخليفة .

« كل ما قبلنا وما يقناهي إلينا عن ثغور أمير المؤمنين وأطرافه وبلاده أقصاها وأدناها ، في صلاح ذلك كله واستقامته وهدوئه ، على أفضل ما عود الله أمير المؤمنين فيه العلو والعافية ، وأنا أحتذى<sup>(۲)</sup> فيه من أمير المؤمنين أمرين : إما تقديم عرفني فيها رأيه ، فأنا ألزمها ولا أعدل عنها ، وإما أن ترد نهجه أمير المؤمنين فأنا أركبه وأتبعه ولا أفارقه ، فعلى هذا بحول الله وقوته معتمدى ، قد كفى الله به في الهداية ، وأعطى فيه الخير والمن والسعادة ، فله الحمد والشكر » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۸ )

## ۱۷۷ - كتاب آخر

« كتبت إليك وقد استقام كل ما قبلي واعتدل ، وجمع الله أيدى أهله وقلوبهم على إمامهم ، وأراهم من تبشير الخير وأمارات البركة ، ما أرجو أن يدبمه الله ، ويتابع

(۱) كتب عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان بليغا نصيحا - انظر الفهرست ص ۱۷۳ ، ص ۱۸۲ ( وقد ولي عبد الملك الرشيد بلاد الجزيرة والشام ثم وليها من بعده لابنه الأمين )  
(۲) في الأصل « وإلا عندي » وهو تحريف ، وقد أصلحته كما ترى .

المزیدَ فیہ ، والحمد لله الذی قذفَ فی قلوب رعیته من الإذعان بحقه ، والبُخوع<sup>(۱)</sup> بطاعته ، والخروج من ضیق ما كانوا فیہ إلى سَعَةِ ما كانوا علیہ ، والذی ولّاکَ ذلك منا ومنهم بذاتک<sup>(۲)</sup> وبأسمیک ، وجَعَلَکَ الحامِلَ له عنا ، والقائمَ به لنا ، واللسانَ فیہ دوننا ، وأحسن اللهُ جزاءکَ علی ما حطتَ من هذه الدولة ، وتلافیتَ ما کان قدرثَ من حَبْلِها ، وَوَهَى مِنْ قُوَّتِها .

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۷۴ )

## ۱۷۸ - کتاب إسحاق بن الخطاب إلى الهزبر بن صبيح

ولإسحاق<sup>(۳)</sup> بن الخطاب إلى الهزبر<sup>(۴)</sup> بن صبيح يعزیه عن أبيه :

« فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ حَسُنَ عَزَاؤُهُ مَنْ كَانَ بِمَعْرِفَتِهِ مَكْتَفِيًا ، وَعَنْ غَيْرِهِ فِيمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مَعْرِيًا ، وَأَنْتَ لِسَانٌ مَنْصُوبٌ لِذَلِكَ ، بِفَضْلِ مَا عِنْدَكَ فِيمَا بَلَغَهُ مَنْطِقُكَ ، وَأَتَى عَلَيْهِ بَيَانُكَ ، وَهَذَا أَوْانُ اخْتِبَارِ اللهِ إِيَّاكَ بِشُكْرِ ذَلِكَ ، وَإِقْرَارِكَ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِ فِيمَا كُنْتَ بِهِ مَحْتَجًّا عَلَى غَيْرِكَ ، وَدَلِيلًا عَلَيْهِ مِمَّا ذَخَرَ اللهُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ ، وَوَعَدَهُمْ إِيَّاهُ عَلَى مَا رَضِيَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَ وَقُوعِ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ خَلْقَهُ وَبَلَّغَهُ بِحَسَنِهِ وَسَيِّئِهِ ، وَحُلُولِهِ وَمُرُوءِهِ ، وَالْمَوْتَ قَدَرَأَيْتَ وَرَأَيْتَ خَطَرَاتِهِ بَيْنَ أَظْهَرُنَا ، بِخَتَرِمِ<sup>(۵)</sup> الْأَبَدِ فَلَا يَحْفَلُ ، وَيَتْرَكَ الْأَقْرَبَ يَجْزَعُ لَهُ ، وَتَتَقَلَّبُ قُلُوبُنَا فِي ذَلِكَ مَعَ أَهْوَانِنَا دُونَ الرِّضَا بِهِ ، أَسْأَلُ اللهُ تَوْفِيقَكَ وَتَوْفِيقَنَا بِحِظِّ الْعَاجِلِ ، وَسَعَادَةِ الْآجِلِ .

وقد كان أبو الهزبر مخلوقا لما صار إليه ، لا يؤمن منه الشفقة عليه ، حتى أتاه ما كان يتوقع ، ونزل به ما لم ينفكر ، فأعاذك الله أن تكون ليحنة الله كارها ،

(۱) بئح بالحق كنعم بخوعا : أقربه وخضع له .

(۲) في الأصل « يدك » وهو تحريف ، والظاهر أن هذا الكتاب كتبه قامة عن عبد الملك ابن صالح إلى الرشيد بعد نكبة البرامكة .

(۳) كاتب قامة بن زيد - انظر الفهرست ص ۱۸۲ .

(۴) هكذا في المنظوم والمنثور ، وفي الفهرست « الهزبر بن الصريح » كاتب قامة بن زيد ، وكان

فصيحا مترسلا - انظر الفهرست ص ۱۷۳ ، ص ۱۸۲ .

(۵) اخترته المنية : أخذته .

ولقد ربه مُنْكَرًا ، بطَرْفٍ أو وَجْدِ قلبٍ أو بِأذْنِي جَزَعٍ ، وإن خَلَصْتَ في التَّسْلِيمِ لذلك نَيْتُكَ دون تَحْقِيقِهِ بقَوْلِكَ ، وتصديقه بفعلِكَ ، فإن الله لم يَرْضَ من طَيْبٍ (۱) خلقه ومَنْ أُنْتَى عليه بصالحِ عمله ، إلا بباطنٍ مع ظاهرٍ ، وظاهرٍ مع باطنٍ ، ولم يَحْمِلْ كِلَا إلا على قدر طاقته ، ومَبْلَغِ عمله ، فيما قَرَّبَ من طاعته ، وجانِبَ معصيته ، ولم يجعل لك عذراً في تقصيرٍ عن شكر نعمه عليك ، وإحسانه في كلِّ الحَالَاتِ إليك ، ورَحِمَ اللهُ أبا الهزبر ، وجعل ما نَقَلَهُ إليه خيراً ثَوَاباً وأَمْلاً ، وخيراً عُقْباً ومَرَدّاً ، وأرجو أن يفعل اللهُ ذلك به ، لِمَا كان عليه في دينه ونفسه وكريم خُلُقِهِ ، وما مَتَّعَهُ اللهُ به من لسانِ الناس فيه ، وأصْحَبَهُ إِيَّاهُ من حسن الثناء عليه ، وعَوَّضَكَ اللهُ من فقدِهِ وما عَدِمَتْ من الأُنْسِ به السعادة في دنياك ودينك ، حتى تلقاه على أفضلِ حَالَاتِ أَمَلِكَ ، وأَوْفَاهَا له فيما تَوَثَّرَ من طاعته ، وأَبْلَغِيهَا في شكر نعمته ، وما قَدَّمَكَ به على كثير من خلقه فيما تراه ويرى بك من فضله ، جَعَلْنَا اللهُ وإِيَّاكَ من الموقَّنين بالعصمة ، والآمنين من عذاب يوم القيامة ، ولا أعدَمْنَا الأُنْسَ بك ، والمتاع بطول بقائك .

( اختيار المنظوم والمنثور : ۱۳ : ۳۲۳ )

## ۱۷۹ - كتاب إسحق بن الخطاب إلى زيد بن الفرغ

وكتب إسحق بن الخطاب إلى زيد بن الفرغ بعزبه عن أمه :  
 « أسأل الله أن يعصمك بعصمة التقوى ، ويوفقك من العمل لما يحبُّ ويرضى ، وإنا وخلق الله كلهم إليه راجعون ، إن الإكثار من العِظَةِ لا يُبْنِي عن ذى الجهالة ، والاقْتِصَارُ على الكفاية لا يُخِلُّ بذي المعرفة ، وعندك مما كنت تعظُّ به غيرك ما قد احتجنا إلى الانتفاع به في نفسك ، وكفى بالله واعظاً ، وبما وعدت من ثوابه معزياً ، ولست أصغر مصيبتك بوالدتك ، ولا أهون ما نزل بك فيها ، بل أعظمها وأجلها

(۱) في الأصل طيبه .

لَمَّا كُنْتَ تَرْجُو مِنَ اللَّهِ هَلِي بَرُّكَ بِهَا ، وَتَقَرَّبَ مِنْ زِيَادَتِهِ إِلَيْكَ بِدَعَائِهَا ، غَيْرَ أَنْ  
 أَمَلْتَ الْأَمْرِينَ بِكَ فِي حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ : التَّسْلِيمُ لِأَمْرِهِ ، وَالرِّضَا بِمَا وَقَعَ مِنْ قَدَرِهِ ،  
 وَالْأَخْذُ مِنْ نَفْسِكَ بِكُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ يَبْتَكَ مِنْ بَعْدِ صَلَاحِهِ وَحُسْنِ عَمَلِهِ (۱) ، فَإِنَّكَ  
 وَمِثْلَكَ مِنْ سَحَابَةِ النَّعْمِ ، وَذَوِي الْقَلْبِ مِنَ اللَّهِ فِي الْبَلَاءِ الْحَسَنِ ، لَسْتَ كَمَنْ يَدْعُ  
 مَا يَلْزَمُ ، وَيَجْهَلُ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْلَمَهُ ، وَلَوْ مَا فِي الْكِتَابِ مِنْ قَضَاءِ حَقِّ اللَّهِ ، وَمِنْ  
 جَرِّ (۲) ثَوَابٍ وَتَذَكُّرٍ ، لَرَضِيَتْ بِمَعْرِفَتِكَ . دُونَ تَعَزُّبِكَ ، فَأَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ ،  
 وَلَا أَفْقَدَكَ مَا يَعُودُكَ بِبِقَائِهَا مِنْ نَافِلَةٍ (۳) وَزِيَادَةٍ فِي حَظِّ ، وَجَعَلَكَ وَإِيَانًا مِنَ الشَّاكِرِينَ  
 الرَّاظِينَ بِمَجَارِي أَقْضِيَّتِهِ ، وَوَلِيَ لَكَ أُمُورَكَ وَإِخْوَانَكَ بِتَعْمِيرِكَ .  
 ( اِخْتِيَارُ الْمَنْظُومِ وَالْمَثُورِ ۱۳ : ۳۲۴ )

## ۱۸۰ - كِتَابُ لِلْهَزْبِ فِي التَّنْصِلِ

« قَدْ فَتَحْتَ عَلَيَّ - مَنَعَ اللَّهُ فَتْحَكَ - بَابَ الْمَعْتَبَةِ ، وَأَحْوَجْتَنِي إِلَى أَنْ أُغْلِقَهُ عَنِّي  
 بِالْمَعْذِرَةِ وَالْحُجَّةِ ، وَكَلَّفْتَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ لِي خُلُقًا وَلَا عَادَةً ، وَرَأَيْتُكَ عَجِلْتَ  
 قَبِلْتَ صِنَاعَةَ لِسَانِ كَاذِبٍ ، وَاسْتَعْدَبْتَ رَأْيَ فَاجِرٍ ، فَاسْمَعْ وَأَنْصِفْ ، وَلَا يَذْهَبَنَّ بِكَ  
 هَوًى مُسْرِفٌ ، وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ سَبَقَ إِلَى أُذُنٍ أَوْ قَلْبٍ ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَغْفُلَ  
 وَلَا تَغَافَلَ (۱) ، وَلَا تَجْعَلَ تَوْهْمًا كَحَقٍّ ، وَلَا يَقِينًا كَشَكٍّ .  
 ( اِخْتِيَارُ الْمَنْظُومِ وَالْمَثُورِ ۱۳ : ۳۹۰ )

(۱) وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا : « وَالْأَخْذُ مِنْ نَفْسِكَ بِكُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ سَبَكَ مِنْ بَعْدِ  
 صَلَاحِهِ وَعَمَلِ حَسَنِهِ » وَوَلَدَ أَصْلَحْتُهَا كَمَا تَرَى (وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ لِسْتَ بِمَسْتَرِيحٍ إِلَى هَذَا التَّخْرِيجِ ، وَأَغْلَبَ الظَّنُّ  
 أَنَّهُ قَدْ سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ هُنَا كَلَامٌ) .

(۲) فِي الْأَصْلِ « حَرٌّ » .

(۳) النَّافِلَةُ : الْعَطِيَّةُ .

(۴) فِي الْأَصْلِ « أَنْ تَفْعَلَ وَلَا تَعَامَلْ » وَهُوَ تَعْرِيفٌ .



## ۱۸۱ - كتاب محمد بن كثير إلى الرشيد

وكتب محمد بن كثير إلى هرون الرشيد :

« يا أمير المؤمنين ، لولا حظُّ كرم الفعل في مطالع السؤال ، لألهي المَطْلُ قلوبَ  
الشَّاكرين ، ولصَرَفَ عيونَ الناظرين إلى حسن المحبة ، فأى الحالين يبعد قولك عن  
تَجَازِ فمك ؟ » .

فقال هرون الرشيد : هذا الكلام لا يحتمل الجواب ، إذا كان الإقرار به يمنع  
من الاحتجاج عليه . ( زهر الآداب ۳ : ۳۵۶ )

## ۱۸۲ - كتاب أبي هرون العبدى إلى زبيدة بنت جعفر

ولما مات قرد زبيدة<sup>(۱)</sup> بنت جعفر ، ساءها ذلك ونالها من الغم ما عرفه الصغير  
والكبير من خاصتها ، فكتب إليها أبو هرون العبدى :

« أيتها السيدة الخطيرة ، إن مَوْقِعَ الخطب بذهاب الصغير المعجب ، كموقع  
السور بننيل الكثير المفرح ، ومن جهل قدر التعزية عن التأفه الخفى ، عَمِيَ عن  
التهنئة بالجليل السنّي<sup>(۲)</sup> ، فلا نقصك الله الزائد في سرورك ، ولا حرَمَكَ أجرَ  
الذاهب من صغيرك » .

فأمرت له بجائزة ( زهر الآداب ۳ : ۲۹۷ )

## ۱۸۳ - كتاب الأمين إلى أخيه المأمون

ووافته الرشيد منيته وهو بطوس إحدى مدن خراسان في جمادى الآخرة

(۱) هي زبيدة أم جعفر : بنت جعفر بن المنصور ، زوج الرشيد ، وأم الأمين ، توفيت  
ببغداد سنة ۲۱۶ هـ - تاريخ الطبرى ۱۹ : ۱۲۱ .

(۲) السنّي : الرفيع .

( ۱۹ - جبهة رسائل العرب - ثالث )

سنة ۱۹۳ ، وكان معه ابنه صالح<sup>(۱)</sup> ، والمأمون يومئذ بمرو ، والأمين ببغداد ، فبويح له بالخلافة .

وكان الأمين لما بلغه أن أباه قد اشتدت علته ، وأنه لما به ، بعث بكر بن المعتز ، وكتب معه كتبا : منها كتاب إلى أخيه المأمون ، وكتاب إلى أخيه صالح ، وأمره بإخفائها حتى يموت أمير المؤمنين ، فإذا مات دفع إلى كل كتابه ، فلما قضى الرشيد دفع ابن المعتز إلى صالح كتابه ، وبعث إلى المأمون بكتابه .

وكانت نسخة كتاب الأمين إلى أخيه المأمون :

« إذا ورد عليك كتاب أخيك - أعاده الله من قديدك - عند حلول مالا مرد له ولا مدفع ، مما قد أخف<sup>(۲)</sup> وتناسخ الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، بما عزاك الله به ، واعلم أن الله جل ثناؤه ، قد اختار لأمير المؤمنين أفضل الدارين ، وأجزل الخطين ، فقبضه الله طاهراً زاكياً قد شكر سعيه ، وغفر ذنبه إن شاء الله ، فقم في أمرك قيام ذى الحزم والعزم ، والناظر لأخيه ونفسه وسلطانه وعامة المسلمين ، وإياك أن يغلب عليك الجزع ، فإنه يُحْمِطُ<sup>(۳)</sup> الأجر ، ويُعقب الوزر ، وصلوات الله على أمير المؤمنين حياً وميتاً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وخذ البيعة على من قبلك من قوادك وجندك وخاصتك وعامتك لأخيك ، ثم لنفسك ، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين على الشريطة التي جعلها لك أمير المؤمنين من نسخها<sup>(۴)</sup> له أو إثباتها ، فإنك مُقلد من ذلك ما قللك الله وخليفته ، وأعلم من قبلك

(۱) أمه أم ولد يقال لها رثم .

(۲) من خف القوم عن منزلهم خوفاً : أى ارتحلوا مسرعين ، وخف القوم خوفاً أيضاً : قلوباً .

(۳) أى يفسد .

(۴) أى من نسخها وإبطالها ، وقد تقدم لك في عهد الأمين : « فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، فالأمر إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده ، أو صرف ذلك عنه إلى من رأى من ولده وإخوته ... إلخ » .

رأى في صلاحهم وسدّ خلتهم<sup>(۱)</sup> والتوسعة عليهم، فمن أنكرته عند بيعته، أو اتهمته على طاعته، فابست إلى رأسه مع خبره، وإياك وإقالته، فإن النار أولى به، واكتب إلى عمّال نفورك وأمراء أجنادك، بما طرّفك من اللصيبة بأمر المؤمنين، وأعلمهم أن الله لم يرّض الدنيا له ثواباً حتى قبضه إلى رَوْحِه<sup>(۲)</sup> وراحته وجنته مغبوطاً محموداً، قائداً لجميع خلفائه إلى الجنة إن شاء الله، ومُرّم أن يأخذوا البيعة على أجنادهم وخوآصهم وعوامهم على مثل ما أمرتك به من أخذها على من قبلك، وأوعز إليهم في ضبط نفورهم، والقوة على عدوهم. إني متفقّد حالاتهم، ولائم شعّتهم، وموسع عليهم، ولا آن<sup>(۳)</sup> في تقوية أجنادى وأنصارى، ولكن كُتبت إليهم كتباً عامّة لتقرأ عليهم، فإن ذلك ما يسكنهم وييسطُ أملمهم، واعمل بما ناصر به لمن حضرك أو نأى عنك من أجنادك على حسب ما ترى وتشاهد، فإن أخاك يعرف حُسن اختيارك، وصحّة رأيك، وبعُد نظرك، وهو يستحفظُ الله لك، ويسأله أن يشدّ بك عضده، ويجمع بك أمره، إنه لطيف لما يشاء .

وكتب بكر بن المعتمر بين يدي وإملائي شوال سنة ۱۹۲ .

( تاريخ الطبرى ۱۰ : ۱۲۵ )

## ۱۸۴ - كتاب الأمين إلى أخيه صالح

ونسخة كتابه إلى أخيه صالح :

« بسم الله الرحمن الرحيم : إذا ورد عليك كتابى هذا عند وقوع ما قد سبق في علم الله، ونقد من قضائه في خلفائه وأوليائه، وجرت به سنته في الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين - فقال : « كلُّ شئٍ هالكٌ إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » - فاحمدوا الله على ما صار إليه أمير المؤمنين من عظيم ثوابه، ومرافقه

(۱) الخلة : الحاجة والفقر . (۲) أى رحته . (۳) أى ولا مبطيء ولا متأخر .

أنبيائه صلوات الله عليهم ، إنا إليه راجعون ، وإياه نسأل أن يُحسِن الخِلافةَ على أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كان لهم عِصمةً وكَهْفاً<sup>(۱)</sup> ، وبهم رءوفاً رحيماً .  
فَسَمَّرَ في أمرِك ، وإياك أن تُلقَى بيديك ، فإن أخاك قد اختارك لما استنهضك له ،  
وهو متفقٌ موافقٌ فِقْدَانِك<sup>(۲)</sup> ، فَحَقَّقْ ظَنَّهُ ، ونسأل الله التوفيق .

وخذ البيعة على مَنْ قَبْلَكَ من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصته  
وعامته ، لمحمد أمير المؤمنين ، ثم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ،  
على الشريعة التي جعلها أمير المؤمنين صلوات الله عليه مِنْ فَسَخِهَا على القاسم أو إثماتها ،  
فإن السعادة واليمن في الأخذ بهذه والمضي على مناهجها ، وأعلم مَنْ قَبْلَكَ من الخاصة  
والعامّة رأي في استصلاحهم ، وَرَدِّ مَظَالِمِهِمْ ، وتفقد حالاتهم ، وأداء أرزاقهم  
وأعطياتهم<sup>(۳)</sup> عليهم ، فإن شَغَبَ<sup>(۴)</sup> شاغب ، أو نَعَرَ ناعراً ، فاسطُ به مَطْوَةٌ تجعله  
فكلاً لما بين يديها وما خلفها ومَوْعِظَةٌ للمتقين .

واضمم إلى الميمون ابن الميمون الفضل<sup>(۵)</sup> بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله  
ومُرَّه بالمسير معهم فيمن معه وجنده ورابطته<sup>(۶)</sup> ، وصير إلى عبد الله بن مالك أمرَ  
العسكر وأحداثه ، فإنه ثقةٌ على ما يبلى ، مقبول عند العامة ، وضم إليه جميع جند  
الشُرَط من الروابط وغيرهم إلى من معه من جنده ، ومره بالجدِّ والتميقظ وتقديم الحزم في أمره  
كله ليلاً ونهاره ، فإن أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يفتنمون مثل حلول هذه المصيبة .

(۱) الكهف : الوزر والملجأ .

(۲) يريد بالفقدان الغياب ، والمعنى . أن أخاك يربك في المواقف التي استنهضك لها ، ولا يجب أن

يراك غائباً في موقف منها . (۳) أعطيات : جمع أعطية ، وأعطية : جمع عطاء .

(۴) شغبهم وبهم وعليهم كنع وفرح : هيج الشر عليهم ، ونعركنع وضرب نعيراً ونعارة : صاح ،

والاعني نار ودعا إلى الفتنة .

(۵) هو الفضل بن الربيع بن يونس ، استنوزره الرشيد بعد أن نكب البرامكة ، ثم ابنه الأمين من

بمده ، وهو الذي زين للأمين خلع المأمون من البيعة كما سيأتى ، وتوفى سنة ۲۰۸ . انظر ترجمته في

وفيات الأعيان ۲ : ۴۱۷ والفخرى ص ۱۹۲ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ۱۲ : ۳۴۳ .

(۶) الرباط ( بالكسر ) والمرابطة : ملازمة ثغر العدو ، فالرابطة هي الجند المرابطون .

وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه، ومره بحراسة ما يحفظه قصور أمير المؤمنين، فإنه ممن لا يعرف إلا بالطاعة، ولا يدين إلا بها، بمعاقبة من الله، مما قدم له من حال أبيه<sup>(۱)</sup> المحمود عند الخلفاء .

ومر الخدم بإحضار روابطهم من يسد بهم وبأجنادهم مواضع الخلل من عسكري، فإنهم حدث من حدودك .

وصير مقدمتك إلى أسد بن يزيد بن مزيد، وسأقتك<sup>(۲)</sup> إلى يحيى بن معاذ فيمن معه من الجنود، ومرهما بمناوبتك في كل ليلة، والزم الطريق الأعظم، ولا تعدون المراحل، فإن ذلك أرفق بك، ومر أسد بن يزيد أن يتخير رجلا من أهل بيته أو قواده فيصير إلى مقدمته، ثم يصير أمامه تهيئة المنازل أو بعض الطريق، فإن لم يحضر في عسكري بعض من سميت فأختر لموضعهم من تثق بطاعته ونصيحته وهيبته عند العوام، فإن ذلك ان يعوزك من قوادك وأنصارك إن شاء الله .

وإياك أن تنفذ رأيا أو تبرم أمرا إلا برأي شيخك وبقية آباءك الفضل ابن الربيع، وأقر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك، ولا تخرجن أحدا منهم من ضمن ما يلي إلى أن تقدم على .

وقد أوصيت بكر بن المعتز بما سيبلغك، وأعمل في ذلك بقدر ما تشاهد وترى، وإن أمرت لأهل العسكر بعتاء أو رزق، فليكن الفضل بن الربيع المتولى لإعطائهم على دواوين<sup>(۳)</sup> يتخذها لنفسه، بمحض من أصحاب الدواوين، فإن الفضل ابن الربيع لم يزل مثل ذلك لمهمات الأمور .

(۱) يعني هرثمة بن أعين، وقد تقدم ذكره .

(۲) الساقة : مؤخرة الجيش .

(۳) الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، وهو فارسي معرب . قال القلقشندي في صبح الأعيان ۱ : ۹۰ « وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية » في سبب تسميته بذلك وجبهين : أحدهما : أن كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم، وهم يحسبون مع أنفسهم، فقال « ديوانه » أي مجازين، فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ، ثم حذفت الهاء =

وأُنفذَ إلىَّ عند وصول كتابي هذا إليك إسماعيل بن صبيح وبكر بن المعتز على مرَّ كَبَيْهِمَا من البريد<sup>(۱)</sup> ، ولا يكون لك عُرْجَةٌ<sup>(۲)</sup> ولا مُهْلَةٌ بموضعك الذي أنت فيه حتى توجّهَ إلىَّ بمسرك بما فيه من الأموال والخزائن إن شاء الله . أخوك يستدفع الله عنك ، ويسأله لك حُسْنَ التأييد برحمته .

وكتب بكر بن المعتز بين يدي وإملائي في شوال سنة ۱۹۲ .

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۲۶ )

## ۱۸۵ - كتاب عيسى بن واضح إلى الفضل بن الربيع

وكتب عيسى بن واضح إلى الفضل بن الربيع :

« قد أكَّد الله من حرمتي بك ، ووصل من الشَّعب بيني وبينك ، ماجعله ذخيرةً

ليوم الحاجة ، وعدَّة عقد مُلِمِّ النازلة » . ( اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۳ )

## ۱۸۶ - كتاب موسى بن عيسى إلى الأمين

وكتب موسى بن عيسى في سلامة المَوْصِمِ إلى الأمين :

« أما بعدُ ، فإن الله بحمده ومَنه هو وليُّ أمير المؤمنين ووليُّ النعمة عليه فيما حمَّه

من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً لقبيل ديوان . والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، وسمى الكتاب بذلك لحدقهم بالأموار ، ووقوفهم على الجلي منها والخفي ، اه ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب الحاسبين ، وعلى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، ثم على طائفة الكتاب ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من دون الدواوين في العرب سنة ۲۳ هـ أي رتب الجرائد للعمال ورجال الجيش ، فيها أسماءهم ومرتبتهم في النسب وأرزاقهم - انظر تاريخ الطبري ۵ : ۲۳ .

(۱) البريد : البغلة المرتبة في الرباط ، كلمة فارسية : تعريب بريده دم : أي محذوف الذنب ، لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها ، فأعربت وخففت ، ثم سمي به الرسول المحمول هايتها ، وفي قول بعض العرب « الحمى بريد الموت » أي أنها رسوله المنذر به ، ثم سميت به المسافة التي يقطعها .

(۲) عرج تعريجا : ميل وأقام وحبس المطية على النزول ، والعرجة مثلثة العين والعرجة

بالتحريك : التعريج .

الله واستحفظه ، وجعله القائم به ، والمحافظة عليه ، من ولاية دينه ، ورعاية أهله ، والمرجو لإتمام<sup>(١)</sup> ذلك بمنه ورحمته .

وإني كتبتُ إلى أمير المؤمنين يوم النفر<sup>(٢)</sup> الأول ، وقد قضى الله مناسكتنا ، وتمَّ حجَّنا ، وأرانا في موافقنا وإفاضتنا ومن حضر الموسم معينا من رعية أمير المؤمنين أفضل ما لم يزل يُبلى<sup>(٣)</sup> الله أمير المؤمنين وبعوذه ، ويُبلى الرعية في خلافته ، من السلامة والعافية ، والتوفيق والكفاية ، والله محمود .

ولم أر موصيا كان أعمَّ عافية وسلامة ، وأحسن هديا ودعة ، وأكثر داعيا لأمر المؤمنين وولي عهد بطول البقاء ، من موصي الناس في عامهم هذا ، بنعمة الله وفضله .

أحببتُ الكتاب إلى أمير المؤمنين ، لعرفتي بعنايته وتطلعه إلى عمله ، ليُسَّرَ به ، ويحمد الله عليه ويشكره ، فإنه شاكر يحب الشاكرين .

( اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٧١ )

## ١٨٧ - كتاب المأمون إلى الأمين

واستوزر الأمين الفضل بن الربيع ، فأبث أن سعى في إفرائه بأخيه المأمون ، وحثه على خلعه ، وصرف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى ، ولم يزل به يزئ له خلعه حتى جنح إلى رأيه<sup>(٤)</sup> .

(١) في الأصل « لإتمام » وأرى أنه « لإتمام » .

(٢) نقر الحاج من منى كضرب نقر وثقورا ، ويوم النفر الأول : هو الثاني من أيام التشريق ( وأيام التشريق ثلاثة ، وهي بعد يوم النحر ، قيل سميت بذلك لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها : أي تقدد في الشرفة بالفتح وهي الشمس ) .

(٣) أبلاه : أنعم عليه وأحسن إليه .

(٤) وذلك أن الفضل بن الربيع كان مع الرشيد بطوس ، فلما مات الرشيد أمر الفضل الناس بالرحيل ففعلوا ذلك حبة منهم للحاق بأهلهم ومنازلهم ببغداد ، وتركو اليهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون ، وجمع الفضل جيبهما كان في عسكر الرشيد وحمل إلى الأمين ، وكان الرشيد قد أشهد به المأمون ،

وكتب الأمين إلى المأمون يسأله أن يتجاني له عن كور من كور خراسان سماها  
وأن يوجه العمال إليها من قبل الأمين ، وأن يحتمل توجيه رجل من قبله بوليّه البريد  
عليه ليكتب إليه بخبره ، فكبر ذلك على المأمون واشتد ، وأحضر خاصته من الرؤساء  
والأعلام ، وقرأ عليهم الكتاب ، واستشارهم في الأمر ، فأشار عليه كل بما يرى ،  
فقال المأمون لوزيره الفضل<sup>(۱)</sup> بن سهل ذي الرياستين : اكتب يا فضل  
إليه ، فكتب :

« وقد بلغني كتاب أمير المؤمنين ، يسأل التجاني عن مواضع سماها ، مما أثبتته  
الرشيد في العقد ، وجعل أمره إلى ، وما أمر رآه أمير المؤمنين أحد تجاوز أكثره ،  
غير أن الذي<sup>(۲)</sup> جعل إلى الطرف الذي أنا به لا ظنين في النظر لعامتته ، ولا جاهل بما  
أسند إلى من أمره ، ولو لم يكن ذلك مثبتاً بالعهود والمواثيق المأخوذة ، ثم كتبت على الحال  
التي أنا عليها : من إشراف عدو تخوف الشوكة ، وعامة لا تتألف عن هضمها<sup>(۳)</sup> ،

ثم فكر الفضل بعد مقدمه العراق ، وعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون وهو حي لم يبق عليه ، فزين  
للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأمين ولا عزمه - واتفق مع الفضل  
جماعة على ذلك ، قال الأمين إلى أقوالهم ، ثم استشار عقلاء أصحابه فنهوه عن ذلك وحذروه عاقبة البغي  
ونكت اليهود والمواثيق ، وقالوا له : لا تجرى القواد على النكت للأيمان وعلى الخلع فيخلموك ، فلم يلتفت  
إليهم ، ومال إلى رأى الفضل بن الربيع .

(۱) هو الفضل بن سهل بن عبد الله السرخسي وزير المأمون ، ويلقب بنى الرياستين لأنه تقلد  
الوزارة والسيف ، وقد جاء في رسالة الشكر - وسند عليك بعد - : « فآية نعمة أجل قدرا وأسنى أمرا  
معشر الشيعة ، من نعمة أمير المؤمنين أيده الله عند الأمير ذي الرياستين ، ومراتبه التي رتبها بها ، فإنه  
أعطاه رياسة الحرب ورياسة التدبير ... إلخ » وكذلك ذكر الجهشباري في كتابه «الوزراء والكتاب  
من ۳۸۷ » قال : « ولقب المأمون الفضل بن سهل ذا الرياستين ، ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة  
التدبير » . وهو من أبناء الفرس ، وكان بنو سهل صنائع البرامكة . وكان أبوه سهل مجوسيا فأسلم على  
يد المهدي ، وأسلم الفضل على يد المأمون سنة ۱۹۰ ، وقتله المأمون سنة ۲۰۲ كما سيأتى ، انظر ترجمته  
في وفيات الأعيان ۱ : ۴۱۳ والفقرى ص ۲۰۲ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ۲ : ۳۳۹ .

(۲) هو الرشيد ، والطرف : منتهى كل شيء ، وهو هنا خراسان لأنها منتهى الدولة ،  
والظنين : المتهم .

(۳) أى عن طريق ظلمها ونفس حقوقها .



وأجنادٍ لا تُسْتَتَبِعُ طَاعَتُهَا إِلَّا بِالْأَمْوَالِ وَطَرْفٍ<sup>(۱)</sup> مِنَ الْإِفْضَالِ ، لَسَكَانٍ فِي نَظَرِ  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِعَامَّتِهِ ، وَمَا يُحِبُّ مِنْ أَلْمٍ أَطْرَافِهِ ، مَا يُوْجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ كَثِيرًا  
 مِنْ عِنَايَتِهِ ، وَأَنْ يَسْتَصْلِحَهُ بِبَدَلِ كَثِيرٍ مِنْ مَالِهِ ، فَكَيْفَ بِمَسْأَلَةٍ مَا أَوْجَبَهُ الْحَقُّ ،  
 وَوَكَّدَتْهُ مَأْخُودَةُ الْعَهْدِ ؟ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ عَلِمَ مِنَ الْحَالِ مَا عَلِمْتُ ،  
 لَمْ يُطْلَعْ مَا كَتَبَ بِمَسْأَلَتِهِ إِلَيَّ ، ثُمَّ أَنَا عَلَى ثِقَّةٍ مِنَ الْقَبُولِ بَعْدَ الْبَيَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۳۰)

## ۱۸۸ - رد الأمين على المأمون

فكتب إليه الأمين :

« أما بعد : فإن أمير المؤمنين الرشيد ، وإن كان أفرَدَكَ بِالطَّرْفِ ، وَضَمَّ مَا ضَمَّ  
 إِلَيْكَ مِنْ كُورِ الْجَبَلِ ، تَأْيِيدًا لِأَمْرِكَ ، وَتَحْصِينًا لَطَرْفِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُوجِبُ لَكَ  
 فَضْلَةَ الْمَالِ عَنْ كِفَايَتِكَ ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الطَّرْفُ وَخَرَاجُهُ كَافِيًا لِجَدِّهِ ، ثُمَّ تَجَاوَزَ  
 بَعْدَ الْكِفَايَةِ إِلَى مَا يُفْضَلُ مِنْ رَدِّهِ ، وَقَدْ ضَمَّ لَكَ إِلَى الطَّرْفِ كُورًا مِنْ أُمَّهَاتِ كُورِ  
 الْأَمْوَالِ لِاحْتِيَاجِكَ فِيهَا ، فَالْحَقُّ فِيهَا أَنْ تَكُونَ مَرْدُودَةً فِي أَهْلِهَا وَمَوَاضِعِ حَقِّهَا .

فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ أَسْأَلُكَ رَدَّ تِلْكَ الْكُورِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ حَالِهَا ، لِيَكُونَ  
 فُضُولُ رَدِّهَا مَصْرُوفَةً إِلَى مَوَاضِعِهَا ، وَأَنْ تَأْذَنَ لِقَائِي بِالْخَبَرِ بِكَوْنِ بِحَضْرَتِكَ يُوْدِي  
 إِلَيْنَا عَلِيمًا مَا فَعْنَى بِهِ مِنْ خَبَرِ طَرْفِكَ ، فَكَتَبْتُ قَلِطَ<sup>(۲)</sup> دُونَ ذَلِكَ بِمَا إِنْ تَمَّ أَمْرُكَ  
 عَلَيْهِ صَبْرًا نَا الْحَقُّ إِلَى مَطَالِبَتِكَ ، فَاتْنِ مِنْ هَمِّكَ ، أَتْنِ عَنْ مَطَالِبَتِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۳۳)

(۱) الطرف بالتحريك : الطائفة من الشيء .  
 (۲) لَطِطَ وَهِيَ كَضْرِبٍ ، وَالطُّ : جَعْدَةٌ .

## ۱۸۹ - رد المأمون على الأمين

فلما قرأ المأمون الكتاب كتب مجيباً له :

« أما بعدُ : فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين ، ولم يكتب فيما جهل فأكشف له عن وجهه ؟ ولم يسأل ما لا يوجب حَقَّ فيلزمني الحجة بترك إجابته ؟ وإنما يتجاوز المناظران منزلة النصفة<sup>(۱)</sup> ما ضاقت النصفة عن أهلها ، فتى تجاوز متجاوز - وهي موجودة - ولم يكن تجاوزها إلا عن نقضها واحتمال ما في تركها ؟ فلا تبعثني ابن أبي علي مخالفتك وأنا مُذعن بطاعتك ، ولا على قطيعتك وأنا على إيثاري<sup>(۲)</sup> ما تحب من صلتك ، وارض مما حكم به الحق في أمرك ، أكن بالمكان الذي أنزلني به الحق فيما بيني وبينك والسلام » .

( تاريخ الطبري ۱ : ۱۳۴ )

## ۱۹۰ - رد الأمين على المأمون

فلما وصل كتاب المأمون إلى الأمين غضب وتغيظ وأمر بالإمساك عن الدعاء له على المنابر ، وكتب إليه :

« أما بعد : فقد بلغني كتابك عامطاً<sup>(۳)</sup> لنعمة الله عليك فيما مكن لك من ظلها<sup>(۴)</sup> متعراً ضاً لحراق نار<sup>(۵)</sup> لا قبل لك بها ، وأحطت<sup>(۶)</sup> عن الطاعة<sup>(۷)</sup> كان أودع ، وإن كان قد تقدم مني متقدم<sup>(۷)</sup> فليس بخارج من مواضع نفعك ، إذ كان راجعاً على العامة من رعيتك ، وأكثر من ذلك ما يمكن لك من منزلة السلامة ، ويثبت لك من حال الهدنة<sup>(۸)</sup> ، فأعلمني رأيك أعمل عليه إن شاء الله » .

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۳۴ )

- (۱) النصفة : الإنصاف والعدل .  
(۲) أي تقديم وتفضيل .  
(۳) عمط نعمة الله وعمطها كضرب وسمع فيهما : بطرها وكفرها ولم يشكرها .  
(۴) الظل : معروف . والعز والمنعة .  
(۵) نار حراق : لا تبقى شيئاً .  
(۶) أي ولنزولك على إرادتي مطيعاً لأمرى . . . . .  
(۷) أي طلب متقدم ، وهو سؤاله إياه أن يتجافى له عن بعض كور خراسان .  
(۸) الهدنة : المصالحة والدعة والسكون .

## ۱۹۱ - كتاب المأمون إلى الأمين

وقال المأمون لدى الرياستين : إن ولدي وأهلي ومالي الذي أفرده الرشيد لي بحضرة الأمين ، وهو مائة ألف ألف ، وأنا إليها محتاج ، وهي قبلة ، فما ترى في ذلك؟ فكتب عنه إلى الأمين :

« أما بعد : فإن نظرَ أمير المؤمنين للعامةَ نظرُ من لا يقتصر عنه على إعطاء النصفَ من نفسه حتى يتجاوزها إليهم ببرِّه وصلته ، وإذا كان ذلك رأيه في عامته فأحر (۱) بأن يكون على مجاوزة ذلك بصنِّه (۲) وقسيم نَسبه ، فقد تعلم يا أمير المؤمنين حالاً أنا عليها : من تغور حَلَّتْ بين كهواتها (۳) ، وأجنادٍ لا تزال موقنةً بنشر غيِّها ، وبنسك آرائها ، وقلة الخرج (۴) قبلي ، والأهل والولد والمال قبيل أمير المؤمنين ، وما للأهل - وإن كانوا في كفاية من برِّ أمير المؤمنين ، فكان لهم والدٌ - بدُّ من الإشراف ، والنزوع (۵) إلى كني ومالي بالمال من القوة والظهير (۶) على كَمِّ الشعث بحضرتي ، وقد وجهتُ لِحْل العيال وحل ذلك المال ، فرأى أمير المؤمنين في إجازة فلان إلى « الرقة (۷) » في حل ذلك المال ، والأمر بمعونته عليه ، غير مُحرج (۸) له فيه إلى ضيقة تقع بمخالفته ، أو حاملٍ له على رأي يكون على غير موافقته والسلام . »

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۳۴ )

(۱) أي فأجدر وأخلق .

(۲) إذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحدة منهن صنو ، والاثنتان صنوان ، والجمع صنوان برفع النون ، والمراد بالصنو هنا أخوه المأمون .

(۳) الهوات جمع لهاة بالفتح ، وهي في الأصل : الحمة المشرقة على الملق .

(۴) الخرج والمخراج واحد .

(۵) نزع إلى أهله كضرب : اشتاق .

(۶) الظهير : المين . (۷) الرقة : بلد على الفرات .

(۸) حرج عليه : ضيق عليه .

## ۱۹۲ - رد أحد أعيان أهل العسكر

فوافقَ قدومَ الرسولِ بغدادَ ما أمرَ به الأمينُ من الكَفِّ عن الدعاءِ للمأمونِ .  
في الخطبة يوم الجمعة ، فدفع الكتب إلى كلِّ مَنْ كُتِبَ إليه معه ، فمنهم من  
أمسك عن الجوابِ وأعرَبَ للرسولِ عما في نفسه ، ومنهم من أجاب عن كتابه ،  
وكتب أحدهم :

« أما بعدُ ، فقد بلغني كتابك ، ولحقَّ برهانٌ يدلُّ على نفسه تثبتُ به الحجَّةُ  
على كلِّ مَنْ صار إلى مفارقتِهِ ، فكفى غيباً بإضاعة حظِّ مَنْ حظَّ العاقبة ، لِأُمُومٍ مِنْ  
حَظِّ عاجلةٍ ، وأبينُ في الغيبِ إضاعةُ حظِّ عاقبةٍ في التعرُّضِ للنكبة والوقائعِ ولى من  
العلمِ بمواضعٍ خَطَرَ ما أرجو أن يحسُنَ معه النظرُ مِنِّي لِنَفْسِي ، ويضعَ عني مؤنة استزادتي  
إن شاء الله . »

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۳۶ )

## ۱۹۳ - كتاب رسول المأمون إليه

وكتب الرسول الموجه إلى بغداد ، إلى المأمون :  
« أما بعدُ : فإني وافيتُ البلدةَ وقد أعلنَ خَلِيْطُكَ<sup>(۱)</sup> بِنِكَرِهِ ، وقَدَّمْ عَلَيَّ مِنْ  
اعتراضِهِ ومفارقتِهِ بِحَضْرَتِهِ ، ودفعتُ كتبك فوجدتُ أكثرَ الناسِ ولاةَ السَّرِيْرَةِ ،  
ونُفَاةَ العِلانيَّةِ ، ووجدتُ المستمالينَ بالرغبة لا يَحُوطُونَ إلا عنها ، ولا يَنالون ما احتملوا  
فيها ، والمنازِعُ مُخْتَلِجٌ<sup>(۲)</sup> الرَّأْيِ لا يَجِدُ دافعاً مِنْهُ عن هَمِّهِ ، ولا راعياً في عامتهِ ،  
والمُحِلُّونَ بأنفسِهِمْ يُجَلُّونَ تَمَامَ الحَدَثِ ، ليسلَمُوا مِنْ مُنْهَزِمِ حَدِّهِمْ ، والقومُ على جِدِّهِ ،  
فلا تَميلُوا للتواني<sup>(۳)</sup> إن شاء الله والسلام . »

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۳۶ )

(۱) الخليلط : المشارك في حقوق الملك ، يعني الأمين .

(۲) أي مضطربه .

(۳) في الأصل « ولا تجملوا للتوادي » وأراه محرفاً .

## ۱۹۴ - رد الأمين على المأمون

فكتب إليه الأمين :

« أما بعد : فقد بلغت كتابك بما ذكرت : مما عليه رأى أمير المؤمنين في عامته ، فضلاً عما يجب من حقّ لذي حرمة وخليط<sup>(۱)</sup> نفسه ، ومحلّك بين لهواتِ نفورٍ ، وحاجتك لمحلّك بينها إلى فضلة من المال لتأييد أمرك ، والمال الذي سُمّي لك من مال الله ، وتوجيهك من وجهت في حمله وحمل أهلك من قبل أمير المؤمنين . ولعمري ما ينكر أمير المؤمنين رأياً هو عليه مما ذكرت لعامته ، وما يوجب عليه من حقوق أقربيه وعامته ، وبه إلى ذلك المال الذي ذكرت حاجة في تحصيل أمور المسلمين ، فكان أولى به إجراؤه منه على فرائضه ، وردّه على مواضع حقه ، وليس بخارج من نفعك ما عاد ينفع العامة من رعيّتك ، وأما ما ذكرت من حمل أهلك ، فإن رأى أمير المؤمنين تولى أمرهم ، وإن كنت بالمكان الذي أنت به من حق القرابة ، ولم أر من حملهم على سفرهم مثل الذي رأيت من تعريضهم بالسفر لتشتت ، وإن رأى ذلك من قبلي أوجههم إليك مع الثقة من رُسُلي إن شاء الله والسلام .  
( تاريخ الطبرى ۱۰ : ۱۳۵ )

## ۱۹۵ - كتاب المأمون إلى أعيان أهل العسكر ببغداد

ورأى المأمون أن يختار ثقةً من أصحابه ، يكتب معه كتباً إلى أعيان أهل العسكر من بغداد ، فإن أحدث الأمين خلعاً للمأمون صار إلى ذوبها ، وتلطّف لعلم حالات أهلها ، وإلا أمسك عن إيصالها ، وكان كتابه مع الرسول الذي وجهه لعلم الخبر :

(۱) الخليط : الشريك .

« أما بعدُ : فإن أمر<sup>(۱)</sup> المؤمنين كأعضاء البدن : تَحَدُّثُ الْعِلَّةِ فِي بَعْضِهَا فَيَكُونُ كُرْهُ ذَلِكَ مَوْلًا لْجَمِيعِهَا ، وَكَذَلِكَ اَلْحَدَّثُ فِي الْمُسْلِمِينَ ، يَكُونُ فِي بَعْضِهِمْ فَيَصِلُ كُرْهُ ذَلِكَ إِلَى سَائِرِهِمْ ، لِأَلَّذِي يَجْمَعُهُمْ مِنْ شَرِيعَةِ دِينِهِمْ ، وَيَلْزَمُهُمْ مِنْ حُرْمَةِ آخِرَتِهِمْ ، ثُمَّ ذَلِكَ مِنَ الْأُمَّةِ الْأَعْظَمِ ، لِلْمَسْكَانِ الَّذِي بِهِ الْأُمَّةُ مِنْ سَائِرِ أُمَّمِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ مِنَ الْخَبَرِ مَا لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا سَيَعُودُ عَنْ مَجِيئِهِ ، وَيَسْفِرُ<sup>(۲)</sup> عَمَّا سَتَرَ ، وَمَا اخْتَلَفَ مَخْتَلِفَانِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَرْمَعَ<sup>(۳)</sup> عَلَى الْقَدْرِ إِلَّا كَانَ أَوْلَى مَعُونَةَ الْمُسْلِمِينَ وَمُؤَالَاتِهِمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - مِنَ الْأَمْرِ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ ، وَبِحَيْثُ إِنْ قَلْتَ آذَنَ<sup>(۴)</sup> لِقَوْلِكَ ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْ لِلْقَوْلِ مَسَافًا فَأَمْسَكَتَ عَنْ نَخُوفٍ ، أَفْتَدِي فِيهِ بِكَ ، وَلَنْ يَضِيعَ عَلَى<sup>(۵)</sup> اللَّهِ ثَوَابُ الْإِحْسَانِ ، مَعَ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا بِالْإِحْسَانِ مِنْ حَقِّكَ ، وَلَعَظُّ حَازِلِكَ النَّصِيبِينَ أَوْ أَحَدَهُمَا أَمْثَلُ مِنَ الْإِشْرَافِ لِأَحَدِ الْحَظَّائِنِ مَعَ التَّعَرُّضِ لِعَدَمِهِمَا<sup>(۶)</sup> ، فَاصْبِرْ إِلَى بَرَأِيكَ ، وَأَعْلِمْ ذَلِكَ لِرَسُولِي ، لِيُؤَدِّيَهُ إِلَيَّ عَنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۳۵ )

## ۱۹۶ - كتاب المأمون إلى علي بن عيسى بن ماهان

وكان علي بن عيسى بن ماهان ممن مآلاً على خلق المأمون من البيعة ، فكتب إليه المأمون لما بلغه ما عزم عليه :

- 
- (۱) في الأصل « أمير المؤمنين » وهو تحريف .  
 (۲) من سرفت المرأة كضرب : كشفت عن وجهها .  
 (۳) أزمع الأمر وعليه : أجم وتثبت عليه .  
 (۴) أذن إليه وله كفرح : استمع .  
 (۵) أي عند الله .  
 (۶) معنى ذلك أن من نهض لنصرتنا حظي بالنصيبين : ثواب الله ومكافأته له ، أو بالنصيب الأول على الأقل لأن لم يقدر لنا النجاح والظفر لأنه يدغم عن الحق ويعين في ذات الله ، وذلك أفضل له وأولى به من الميل مع الأمين ، فإنه حينئذ يستشرف مكافأة الأمين له غصباً - ويفوته ثواب الله - وقد تكون والدبرة على الأمين ، فيفقد ناصره الحظين جميعاً ( ذلك إلى أنه يفقد مكافأة المأمون أيضاً لانحرافه عنه فعوده عن نصرته ، بل ويتعرض لعقوبته ونكاله ) .

« أما بعدُ : فإنك في ظلِّ دعوةٍ لم تزل أنت وسلفك بمكانٍ ذبٍّ<sup>(۱)</sup> عن حرِّمها ،  
وعلى عنايةٍ بحفظها ، ورعايةٍ لحقها ، تُوجبون ذلك لأئمتكم ، وتمتصمون بحبلِ جماعتكم ،  
وتعظون بالطاعة من أنفسكم ، وتكونون بدًّا على أهلِ مخالفتكم ، وحزبا وإخوانا  
لأهلِ موافقتكم ، تؤثرونهم على الآباء والأبناء ، وتقصرون فيما تصرفوا فيه من منزلةٍ  
شديدةٍ ورخاء ، لاترون شيئا أبلغ في صلاحكم من الأمر الجامع لأئمتكم ، ولا أجرى  
لبواركم<sup>(۲)</sup> مما دعا بشتاتِ كلمتكم ، ترون من رغب عن ذلك جائرا عن القصد<sup>(۳)</sup> ،  
وعن أمه على منهاج الحق ، ثم كنتم على منهاج الحق ، ثم كنتم على أولئك سيوفاً  
من سيوفِ فقمِ الله ، فكم من أولئك قد صاروا وديمةً مستبعةً<sup>(۴)</sup> ، وجزراً جامدةً ،  
قد سفت الرياحُ في وجهه ، وتداعت السباعُ إلى مصرعه ، غير مُمهَّد ولا مؤسَّد ،  
قد صار إلى أمةٍ .....<sup>(۵)</sup> وغير عاجلِ حظِّه ممن كانت الأئمةُ تُنزلكم لذلك بحيثُ  
انزلتم أنفسكم ، من الثقة بكم في أمورها ، والتقدمة في آثارها ، وأنت مُستشعر<sup>(۶)</sup>  
دون كثير من ثقاتها وخاصتها ، حتى بلغ الله بك في نفسك أن كنت قريب<sup>(۷)</sup>  
أهلِ دعوتك ، والعلم القائم بمعظم أمر أمتك ، إن قلت ادنوا دنوا ، وإن أشرت  
أقبلوا أقبلوا ، وإن أمسكت وقفوا وقرءوا ، وإنما<sup>(۸)</sup> لك واستنصاحاً ، وتزداد نعمةً  
مع الزيادة في نفسك ، ويزدادون نعمةً مع الزيادة لك بطاعتك ، حتى حلت الخلة التي  
قربت به من يومك ، وانقرض فيما دونه أكثر مدتك ، لا تنتظر بعدها إلا ما يكون  
ختام عملك : من خير فيرضى ما تقدم من صالح فعلك ، أو خلاف فيضيل له متقدِّم

(۱) الذب : الدفع . والمحريم : ما تحميه وتقاتل عنه . (۲) البوار : الهلاك .

(۳) القصد : استقامة الطريق . وأمه : قصده . والمنهاج : الطريق الواضح .

(۴) أرض مسبعة : كثيرة السباع . وتركوهم جزرا للسباع : أي قطعاً . وجامدة : أي ليس بها حركة ولا حياة . (۵) بياض بالأصل ، ولعله « إلى أمة الكفر » :

(۶) استشعر الشعار : لبسه ( والشعار ككتاب : الثوب الذي يلي شعر الجسد ) والمعنى : وأنت

مقرب مؤثر لدى الأئمة .

(۷) القريم : السبد . (۸) الوثام والموامة : الموافقة .

سَعِيكَ ، وقد تَرَى يا أبا يحيى حالاً عليها جَلَوْتَ<sup>(۱)</sup> أهلَ نعمتك والولاية للقائمة بحق إمامتك ، مِنْ طَعْنٍ فِي عُقْدَةٍ كُنْتَ الْقَائِمَ بِشِدْهَا ، وبمهودٍ توليتَ مَعَاقِدَ أَخْذِهَا ، يُبْدَأُ فِيهَا بِالْأَخْصَيْنِ ، حتى أفضى الأمرُ إلى العامة من المسلمين ، بالأيمان المَحْرَجَةِ<sup>(۲)</sup> ، والمواثيق التوكَّدة ، وما طَلَعَ مما يدعو إلى نَشْرِ كَلِمَةٍ ، وتفريق أُمَّةٍ ، وشتَّ جماعةٍ ، وتتعرضُ به لتبديل نعمة ، وزوالِ ما وطَّأتِ الأسلافُ من الأئمة ، ومتى زالت نعمةٌ مِنْ وِلاةِ أَمْرِكُمْ وَصَلَ زَوَالُهَا إِلَيْكُمْ فِي خَوَاصِّ أَنْفُسِكُمْ ، ولن يغيرَ اللهُ ما يقومُ حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وليس الساعِي في نَشْرِهَا بِسَاعٍ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ ، دون السعي على حَمَلَتِهَا لِلْقَائِمِينَ بِحُرْمَتِهَا ، قد عرضوهم أن يكونوا جَزَرًا لِأَعْدَائِهِمْ ، وَطُعْمَةً قَوْمٍ تَنْتَظِرُ مَخَالِبُهُمْ فِي دِمَائِهِمْ ، ومكانك المَكَانُ الَّذِي إِنْ قَلْتَ رُجِعَ إِلَى قَوْلِكَ ، وَإِنْ أَشَرْتَ لَمْ تُتَّهَمْ فِي نَصِيحَتِكَ ، ولك مع إِيثارِ الْحَقِّ الْحِظْوَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ ، ولا سِوَاهُ مَنْ حَظِيَ بِعَاجِلٍ مَعَ فِرَاقِ الْحَقِّ فَأَوْبَقَ<sup>(۳)</sup> نَفْسَهُ فِي عَاقِبَتِهِ ، وَمَنْ أَعَانَ الْحَقَّ فَادْرَكَ بِهِ صِلَاحَ الْعَاقِبَةِ مَعَ وَفُورِ الْحِظِّ فِي عَاجِلَتِهِ .

وليس لك ما تُسْتَدْعَى ، ولا عليه ما تُسْتَعْتَفُ ، ولكفه حق من حقِّ أحسابك ، يجب ثوابه على ربك ، ثم على من قَتَ بِالْحَقِّ فِيهِ مِنْ أَهْلِ إِمَامَتِكَ ، فَإِنْ أَعْجَزَكَ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ فَصِرْ إِلَى الدارِ الَّتِي تَأْمَنُ فِيهَا عَلَى نَفْسِكَ ، وَتَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِكَ ، وَتَجَاوِزُ إِلَى مَنْ يُحْسِنُ تَقْبِيلًا لِصَالِحِ فِعْلِكَ ، وَيَكُونُ مَرْجِعَكَ إِلَى عِقْدِكَ وَأَمْوَالِكَ ، وَلَكَ بِذَلِكَ اللهُ ، وَكُنْ بِاللَّهِ وَكَيْلًا ، وَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ بَقِيَّةً عَلَى نَفْسِكَ ، فإِمْسَاكَ بِيَدِكَ وَقَوْلًا بِحَقِّ مَا لَمْ تَخَفْ وَقَوَّاهُ بِكَرْهِكَ ، فاعلٌ مُقْتَدِيًا بِكَ وَمُعْتَبَطًا بِنَهْيِكَ ، ثُمَّ أَعْلِنِي رَأْيَكَ أَعْرِفَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ . ( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۴۳ )

فَأْتِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَى الْأَمِينِ .

(۱) أَي كَفَّ .

(۲) مِنَ التَّحْرِيجِ وَهُوَ التَّضْيِيقُ : أَي الَّتِي لَا يَجِدُ فِيهَا مِنْ أَخَذَتْ عَلَيْهِ سَبِيلًا إِلَى النَّكْتِ .

(۳) أَي أَهْلَكَ .



## ۱۹۷ - كتاب المأمون إلى الأمين

ولما بعث الأمين إلى المأمون في البيعة لابنه موسى ، وَوَجَّهَ الرِّسْلَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ ،  
كتب المأمون جواب كتابه :

« أما بعد ، فقد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين منكرًا لإثباتي منزلة تهضمني<sup>(۱)</sup> بها ،  
وأزادني على خلاف ما يعلم من الحق فيها ، ولمعزري إن أورد أمير المؤمنين موارِدَ  
النِّصْفَةِ ، فلم يطالب إلا بها ، ولم يوجب نكرة تركها ، لانبساط بالحجة مطالع  
مقالته ، ولكنك محجوجًا بفارقة ما يوجب من طاعته ، فأما وأنا مُذْعِنٌ بها ، وهو  
على ترك أعمالها ، فأولى به أن يدير الحق في أمره ، ثم يأخذ به ويعطي من نفسه ،  
فإن صرت إلى الحق فرغت عن قلبه ، وإن أبيت الحق قام بمعذرتيه ، وأما ما وعدت  
من بر طاعته ، وأعدت من الوطأة بمخالفته ، فهل أحدٌ فارق الحق في فعله فأبقى  
للمتبيين موضع ثقة بقوله ؟ والسلام » ( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۴۳ )

## ۱۹۸ - كتاب الأمين إلى المأمون

ولما عزم الأمين على خلع المأمون ، أشار عليه إسماعيل بن صبيح الكاتب أن  
يكتب إليه يعلمه حاجته إليه وما يحب من قربه ، والأستعانة برأيه ، ويسأله القدوم إليه ،  
فقال الفضل بن الربيع : القول ما قال يا أمير المؤمنين ، قال ، فليكتب بما رأى ،  
فكتب إليه :

« من عند الأمين محمد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن هرون أمير المؤمنين .  
« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين روى<sup>(۲)</sup> في أمرك ، والموضع الذي أنت فيه من

(۱) هضمه واحتضمه وتهضمه : ظلمه وغصبه .

(۲) روى في الأمر : نظر وفكر .

تَفَرَّكَ ، وَمَا يُؤَمِّلُ فِي قُرْبِكَ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ وَالْمُكَانَفَةِ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ وَقَلَدَهُ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، وَفَكَّرَ فِيمَا كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ أَوْجِبَ لَكَ مِنَ الْوَلَايَةِ ، وَأَمَرَ بِهِ مِنْ إِفْرَادِكَ عَلَى مَا تَصَيَّرَ إِلَيْكَ مِنْهَا ، فَرَجَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ وَكَفَّ<sup>(۱)</sup> فِي دِينِهِ ، وَلَا نَكَثَ فِي يَمِينِهِ ، إِذَا كَانَ إِشْخَاصُهُ إِيَّاكَ فِيمَا يَعُودُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفْعُهُ ، وَيَصِلُ إِلَى عَامَّتِهِمْ صَلَاحُهُ وَفَضْلُهُ ، وَعَلِمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَكَانَكَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ أَسَدٌ لِلتُّغُورِ ، وَأَصْلَحَ لِلْجُنُودِ ، وَآكَدُ لِلنَّيِّءِ ، وَأَرَادَ عَلَى الْعَامَّةِ ، مِنْ مَقَامِكَ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ ، مَنْقِطِعًا عَنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، مُتَفَيِّبًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا يَحِبُّ الْإِسْتِمْتَاعَ بِهِ مِنْ رَأْيِكَ وَتَدْبِيرِكَ .

وَقَدْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يُوَلِّيَ مُوسَى ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يَقْلُدُهُ مِنْ خِلَافَتِكَ مَا يَحْدُثُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، فَأَقْدَمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ ، بِأَبْسَطِ أَمَلٍ ، وَأَفْسَحِ رَجَاءٍ ، وَأَحْمَدِ عَاقِبَةٍ ، وَأَنْفَذَ بَصِيرَةً ، فَإِنَّكَ أَوْلَى مِنْ اسْتِمْتَانِ بِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أُمُورِهِ ، وَاحْتِمَلِ عَنْهُ النَّصَبَ فِيمَا فِيهِ صَلَاحُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَذِمَّتُهُ ، وَالسَّلَامُ .

(تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۴۶)

## ۱۹۹ - رد المأمون على الأمين

فكتب إليه المأمون :

« لعبد الله محمد أمير المؤمنين من عبد الله بن هرون :  
أما بعد : فقد وصل إلي كتاب أمير المؤمنين ، وإنما أنا عامل من عماله ،  
وعون من أعوانه ، أمر الرشيد صلوات الله عليه بلزوم هذا الثغر ومكائده من  
كأيده أهله من عدو أمير المؤمنين ، ولعمري إن مقامي به أرد على أمير المؤمنين ،  
وأعظم غناء<sup>(۲)</sup> على المسلمين ، من الشُّخُوصِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ كُنْتُ مُنْتَبِطًا

(۲) الغناء : الكفاية والمنفعة .

(۱) الوكف : العيب والإثم والفساد والضعف .

بِقُرْبِهِ ، مسروراً بمشاهدة نعمة الله عنده ، فإن رأى أن يُقَرَّنِي على عملي ، و يُعْفِينِي من  
الشخص إلى فعل إن شاء الله ، والسلام . ( تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۴۹ )

## ۲۰۰ - كتاب طاهر بن الحسين إلى المأمون

وَنَمَى الشَّرُّ بَيْنَ الْأَخْوِيْنَ وَاسْتَطَارَ شَرُّهُ ، وَبَعَثَ الْأَمِينُ جَيْشًا كَثِيفًا بِقِيَادَةِ  
عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ لِحَرْبِ الْمَأْمُونِ ، وَأَعَدَّ الْمَأْمُونُ لِلِقَائِهِ جَيْشًا بِقِيَادَةِ طَاهِرِ  
ابْنِ الْحُسَيْنِ ، وَنَسِبَ الْقِتَالَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَدَارَتِ اللَّائِرَةُ عَلَى جَيْشِ الْأَمِينِ وَقُتِلَ  
ابْنُ مَاهَانَ (سنة ۱۹۵) .

وكتب طاهر<sup>(۱)</sup> إلى المأمون :

« أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ ، وَكَبَّتْ<sup>(۲)</sup> أَعْدَاءُكَ ، وَجَعَلَ مَنْ يَشْنُوكَ<sup>(۳)</sup> فِدَاءَكَ ، كِتَابِي  
إِلَيْكَ وَرَأْسُ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى بَيْنَ يَدَيْ ، وَخَاتَمُهُ فِي إصْبَعِي ، وَجُنْدُهُ مُصَرَّفٌ تَحْتَ  
أَمْرِي ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . »

(تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۴۲، ۱۵۵ و مروج الذهب ۲ : ۳۰۰ والفخرى ص ۱۹۵ والمثل السائر ص ۳۳۹)

## ۲۰۱ - كتاب الأمين إلى طاهر بن الحسين

وَحَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ حُرُوبٌ وَوَقَائِعٌ وَشَغَبٌ كَثِيرٌ ، حَتَّى سَارَ طَاهِرٌ وَمَعَهُ هَرْمَةُ بِنْتُ  
أَعْيَنَ إِلَى بَغْدَادٍ وَحَاصِرَاهَا - وَقَدْ نَزَلَ طَاهِرٌ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، وَهَرْمَةُ بِالْجَانِبِ  
الشَّرْقِيِّ - وَكَتَبَ الْأَمِينُ إِلَى طَاهِرٍ بِمِخْطَمِهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اعْلَمْ أَنَّهُ مَا قَامَ لَنَا مُذْقِمْنَا قَائِمٌ بِحَقِّنَا ، وَكَانَ جَزَاؤُهُ إِلَّا  
السِّيفَ ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ أَوْ دَعَّ . »  
( مروج الذهب ۲ : ۳۰۳ )

(۱) توفي سنة ۲۰۷ هـ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۲۳۵ ، وله أخبار في كتاب بغداد  
لابن طينور ۶ : ۱۰۷ وفي الطبري .

(۲) كتبه كضربه : صرعه وأخزاه وكسره وورده بغيظه وأذله .

(۳) شناه كمنه وسمه : أبغضه .

## ۲۰۲ - کتاب طاهر بن الحسین إلى المأمون

وكان الغلبة لطاهر بن الحسين ، وقتل الأمين ومُحِلَ رأسه إلى المأمون بخراسان (سنة ۱۹۸) وكتب طاهر إلى المأمون بالفتح :

« أما بعدُ فالحمدُ لله المتعالی ذی العِزَّة والجلال والمُلك والسلطان ، الذی إذا أرادُ أمراً فإیما یقولُ له کُنْ فیکونُ ، لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحیم .  
 کان فیما قدَّر اللهُ فأحکمَ ، ودبرَ فأبرَمَ ، انتکاکُ الخلوَع بیعتَه ، وانتقاضه بعَهده ، وارتسکاسُه (۱) فی فیتنته ، وقضاؤه علیه القتلَ بما کسبتَ یداه ، وما اللهُ بِظلامٍ للعَبید ، وقد کتبتُ إلى أمير المؤمنين - أطال اللهُ بقاءه - فی إحاطة جُنْدِ اللهِ بالمدينة والخُلدِ (۲) ، وأخذیم بأفواهما وطرقها ومسالكها فی دِجَلَة ، نواحی أزیقة مدينة السلام ، وانتظام المسالِح (۳) حوالیها ، وحَدْرِي السُّفْنِ والزَّوَارِقِ بالعرَّاداتِ (۴) والمقارِبَةِ إلى ما وَاجَهَ الخُلدَ وباب خراسان ، تحفظًا بالخلوع ، وتحوُّفاً من أن یرُوغَ (۵) مرَّاغاً ، ویسَلُکَ مَسَلِکاً یجدُ به السبیلَ إلى إثارة فتنة ، وإحیاء نائرة (۶) ، أو یهاجِ قتالا ، بعد أن حَصَرَه اللهُ عزَّ وجلَّ وخَذَلَه ، ومتابعة الرُّسُلِ بما یعرض علیه هرثمة ابن أعین مولى أمير المؤمنين ویسألنی من تخلیة الطريق له فی الخروج إليه ، واجتماعی وهرثمة بن أعین لِنقناظرَ فی ذلك (۷) ، وکراهی ما أحدثَ ورااه من أمره بعد

(۱) ارتکس : انتکس ووقع .

(۲) المدينة: أى بغداد ، وتسمى أيضاً مدينة السلام . والخلد: قصر بناه المنصور بها ثم بنيت حوالیه منازل فصارت محلة كبيرة عرفت بالخلد ، والأصل فیها القصر المذكور ) وقد هرب الأمين من قصر الخلد . مما كان یصل لیه من حجارة المنجنيق - وهو آلة ترمى بها الحجارة - وصار إلى مدينة السلام .

(۳) المسالِح جمع سلحة بالفتح : وهى القوم ذوو سلاح .

(۴) العرادة : أصفر من المنجنيق . (۵) راغ : مال وحاد .

(۶) النائرة : العداوة والشعناء .

(۷) وذلك أنه لما اشتد الحصار على الأمين ، شاور خواصه فى النجاة بنفسه ، فكل أدلى برأى

وأشار بوجه . وكان الأمين يستوحش من طاهر ، ويأمن بهرثمة ويتق بناحيته ، فراسله فى ذلك ، فأجابه هرثمة إلى ما أراد ووعده بكل ما أحب وأنه عنده من يريد قتله ، وبلغ ذلك طاهراً فاشتد عليه وزاد غيظه =

إرهاق<sup>(۱)</sup> الله إياه ، وقطعه رجاءه من كل حيلة ومتملق ، وانقطاع المنافع عنه ، وحيل بينه وبين الماء فضلا عن غيره ، حتى همّ به خدّمه وأشياؤه من أهل المدينة ومن نجّاه إليها ، وتحزّبوا على الوثوب به للدفع عن أنفسهم والنجاة بها ، وغير ذلك مما فسرتُ لأمر المؤمنين - أطال الله بقاءه - مما أرجو أن يكون قد أتاه .

وإني أخبر أمير المؤمنين أني روّيتُ فيما دبرَ هرثمةُ بن أعين مولى أمير المؤمنين في الخلع ، وما عرض عليه وأجابه إليه ، فوجدتُ الفتنة ، في تخلصه من موضعه الذي قد أنزله الله فيه بالذلة والصغار ، وصيره فيه إلى الضيق والحصار تزداد ، ولا يزيد أهلُ التربّص في الأطراف إلا طمعا وانتشارا . وأعلتُ ذلك هرثمةُ بن أعين وكراهتي ما أطمعه فيه وأجابه إليه ، فذكر أنه لا يرى الرجوع عما أعطاه فصادرتُه - بعد بأسٍ من انصرافه عن رأيه - على أن يقدم الخلع رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه وقضيبه قبل خروجه ، ثم أخلي له طريق الخروج إليه ، كراهة أن يكون بيني وبينه اختلافٌ نصيرُ منه إلى أمرٍ بطمع الأعداء فينا ، أو فراق القلوب بخلاف ما نحن عليه من الائتلاف والاتفاق على ذلك ، وعلى أن نجتمع لميعادنا عشيّة السبت .

وحنفه وأبي أن يرفه عنه ويدعه يخرج ، وقال : هو في حيزي والجانب الذي أنا فيه ، وأنا أخرجته بالحصار والحرب حتى صار إلى طلب الأمان ، ولا أرضى أن يخرج إلى هرثمة دوني فيكون الفتح له ، ولما رأى هرثمة والقواد ذلك اجتمعوا وصار إليهم طاهر وخاصة قواده ، وأداروا الرأي بينهم وأخبروا طاهرا أنه لا يخرج إليه أبدا ، وقالوا له : يخرج يدهن إلى هرثمة ، ويدفع إليك الحاتم والقضيب والبردة - وذلك الخلفة - ولا تفسد هذا الأمر واغتنمه إذ يسره الله ، فأجاب إلى ذلك ورضى به ، ولما علم بعض ذوى الأهواء بالخبر أراد التقرب إلى طاهر فخبره أن الذي جرى بينهم وبينه مكر ، وأن الحاتم والبردة والقضيب تحمل مع الأمين إلى هرثمة ، فاغتناظ وأكمن له كنهان السلاح ، ووعده هرثمة الأمين أن يأتيه في حراسة إلى مشرعة باب خراسان فيصير به إلى عسكره ، فلما صار إلى الحراسة خرج طاهر وأصحابه فرموها بالسهم والحجارة فانكفأت ، ففرق الأمين وهرثمة ومن كان فيها ، فلم يكن لهرثمة شاغل إلا نفسه فتعلق بزورق ومضى إلى عسكره بالجانب الشرقي ، وسبح الأمين حتى عبر دجلة فقبض عليه أصحاب طاهر وقتلوه .

(۱) أرمته : حمله على ما لا يطيقه .

فتوجهتُ في خاصّةِ ثِقَاتِي الَّذِينَ اعْتَمَدْتُ عَلَيْهِمْ ، وَأَثِقْتُ بِهِمْ رِبْطِ الْجَأَشِ (۱) ،  
وَصَدَقَ الْبَأْسُ ، وَصَحَّةُ الْمَنَاصِحَةِ ، حَتَّى طَالَعْتُ جَمِيعَ أَمْرِ كُلِّ مَنْ كُنْتُ وَكَلْتُ بِالْمَدِينَةِ  
وَأَخْلَدْتُ بَرًّا وَبِحَرًّا ، وَالتَّعَدِيمَةَ إِلَيْهِمْ فِي التَّحْفِظِ وَالتَّيَقُّظِ ، وَالْحِرَاسَةَ وَالْحَذَرَ ، ثُمَّ انْكَفَأْتُ  
إِلَى بَابِ خُرَّاسَانَ ، وَكُنْتُ أَعَدَدْتُ حَرَاقَاتِ (۲) وَسُفُنَا سِوَى الْعِدَّةِ الَّتِي كَانَتْ  
لَأَرْكَبُهَا بِنَفْسِي لَوْ قَتَلَ مِيعَادِي بَيْنِي وَبَيْنَ هَرَمَةَ ، فَنَزَلْتُهَا فِي عِدَّةٍ مِمَّنْ كَانَ رَكَبَ مَعِي  
مِنْ خَاصَّةِ ثِقَاتِي وَشَاكِرِي (۳) ، وَصَيَّرْتُ عِدَّةً مِنْهُمْ فُرْسَانًا وَرَجَالَةً بَيْنَ بَابِ خُرَّاسَانَ  
وَالْمَشْرَعَةِ (۴) وَعَلَى الشَّطِّ .

وَأَقْبَلَ هَرَمَةَ بْنَ أَعْيُنٍ حَتَّى صَارَ بِقُرْبِ بَابِ خُرَّاسَانَ مُعِدًّا مُسْتَعِدًّا ، وَقَدْ خَانَلَنِي (۵)  
بِالرِّسَالَةِ إِلَى الْمَخْلُوعِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ إِذَا وَافَى الْمَشْرَعَةَ لِيَجْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ ، أَوْ يَبْعَثَ  
إِلَى الْبَرْدَاءِ وَالسَّيْفِ وَالْقَضِيبِ ، عَلَى مَا كَانَ فَارَقَنِي عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا وَافَى خُرُوجُ  
الْمَخْلُوعِ عَلَيَّ مِنْ وَكَلْتُ بِبَابِ خُرَّاسَانَ ، نَهَضُوا عِنْدَ طُلُوعِهِ عَلَيْهِمْ ، لِيَعْرِفُوا الطَّابِعَ  
لِأَمْرِي كَانَ أَتَاهُمْ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِمْ أَلَّا يَدْعُوا أَحَدًا يَجُوزُهم إِلَّا بِأَمْرِي ، فَبَادَرَهُمْ نَحْوَ  
الْمَشْرَعَةِ وَقَرَّبَ هَرَمَةَ إِلَيْهِ الْحَرَاقَةَ ، فَسَبَقَ النَّاسُ أَصْحَابِي إِلَيْهَا ، وَتَأَخَّرَ كَوْثَرُ (۶) ،  
فَظْفِرَ بِهِ « قُرَيْشٌ » مَوْلَايَ ، وَمَعَهُ الرِّدَاءُ وَالْقَضِيبُ وَالسَّيْفُ ، فَأَخَذَهُ وَمَا مَعَهُ ،  
فَنَفَرَ أَصْحَابُ الْمَخْلُوعِ عِنْدَ مَا رَأَوْا مِنْ إِرَادَةِ أَصْحَابِي مَنَعَ مَخْلُوعَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ ، فَبَادَرَ  
بَعْضُهُمْ حَرَاقَةَ هَرَمَةَ ، فَتَكَفَّاتُ بِهِمْ حَتَّى أُغْرِقَتْ فِي الْمَاءِ وَرَسَدَتْ ، فَانصَرَفَ بَعْضُهُمْ  
إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَرَمَى الْمَخْلُوعُ عِنْدَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَرَاقَةِ فِي دَجَلَةٍ مُتَخَلِّصًا إِلَى الشَّطِّ ،  
نَادِمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُرُوجِهِ ، نَاقِضًا لِلْعَهْدِ ، دَاعِيًا بِشِعَارِهِ (۷) ، فَابْتَدَرَهُ (۸) عِدَّةٌ مِنْ

(۱) الجأش : النفس ، وربط جأشه : اشتد قلبه .

(۲) الحراقات : سفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو .

(۳) الشاكري : الأجير والمستخدم ، معرب جاكر .

(۴) المشرعة : مورد الشاربة . (۵) خانله : خادعه .

(۶) كان خادما خصيا للأمين وكان يحبه .

(۷) لما أخذت السيوف الأمين جعل بصيح : ويحكم ! إني ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

أنا ابن هرون ، أنا أخو المؤمن ، الله الله في دمي . (۸) ابتدره : هاجله .

أولياى الدين كنت وكنتمهم بما بين مشرعة باب خرامان ورُكن الصّراة ، فأخذوه  
 عنوةً (۱) قهرا بلا عهد ولا عقد ، فدعا بشعاره وعاد في نكته ، فعرض عليهم مائة  
 حبة : ذكر أن قيمة كل حبة مائة ألف درهم ، فأبوا إلا الوفاء لخليفتهم أبقاه الله ،  
 وصيانةً لدينهم ، وإيثارا للحق الواجب عليهم ، فتملقوا به ، قد أسلمه (۲) الله وأفرده ،  
 كلُّ برغبه ويريد أن يفوز بالحظوة عندي دون صاحبه ، حتى اضطربوا فيما بينهم ،  
 وتناولوه بأسياهم ، مُنازعةً فيه ، وتشاحا (۳) عليه ، إلى أن أُتيح له مغيظٌ لله ودينه  
 ورسوله وخليفته ، فأتى عليه ، وأتاني الخبرُ بذلك ، فأمرتُ بحمل رأسه إلى ، فلما أتيتُ به  
 تقدّمتُ إلى من كنتُ وكنتُ بالمدينة وأخلد وما حوالها وسائر من في المسالِح ،  
 في لزوم مواضعهم والاحتفاظِ بما يليهم إلى أن يأتهم أمرى ، ثم انصرفتُ ، فأعظمَ اللهُ  
 لأمير المؤمنين الصنعَ والفتحَ عليه ، وعلى الإسلام به وفيه .

فلما أصبحتُ هاج الناس واختلفوا في الخلوع : فصدّق بقتله ومكذبٌ ، وشاكٌ  
 وموقنٌ ، فرأيتُ أن أطرح عنهم الشبهة في أمره ، فقضيتُ برأسه لينظروا إليه ،  
 فيصيحَ بعينهم ، وينقطعَ بذلك بعل (۴) قلوبهم ، ودخل (۵) التياتِ المنتشرِفين  
 للفساد ، والمستوفزين للفتنة ، وغدوتُ نحو المدينة فاستسلم من فيها ، وأعطى أهلها  
 الطاعة ، واستقامَ أمير المؤمنين شرقى ما يلي مدينة السلام وغربيه وأرباعه (۶) وأرباضه  
 ونواحيه ، وقد وضعتُ الحربُ أوزارها ، وتلافي بالسلام والإسلام أهلُه ، وبعدَ اللهُ

(۱) أى قهرا . (۲) أى خذله .

(۳) تشاحا على الأمر : لا يربدان أن يفوتها .

(۴) بعل بأمره كفرح : دهم رفرق وبرم فلم بدر ما يصنم .

(۵) الدخل : ما داخل المرء من فساد في عقل أو جسم ، والالتيات : الاختلاط والالتفاف ،

واستشرف الشيء : رفع بصره إليه وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس ، واستوفز  
 تحفز وتهايا للوثوب .

(۶) كانت المدينة قديما تقسم أرباعا ( ولا يزال ذلك التقسيم إلى اليوم في بعض بلاد القطر المصري ،  
 وقد كانت مدينة القاهرة قبل اليوم مقسمة ثمانية أقسام ، كل قسم ثمن وحرفته العامة فقالوا عن ) والأرباض  
 جمع ربيض بالتحريك ، وربض المدينة : ماحولها ، والأوزار : الأقال ، هم وزير بالكسر .

الدَّغْلُ<sup>(۱)</sup> عنهم وأصارهم بِبِرْكَاتِ أمير المؤمنين إلى الأمانِ والسكونِ والدَّعَّةِ والاستقامةِ  
والإغْتِبَاطِ والصَّنْعِ من الله جل وعز والخَيْرَةِ والحمدُ لله على ذلك .

فَكَتَبْتُ إلى أمير المؤمنين - حَفِظَهُ اللهُ - وليس قَبْلِي دَاعٍ إلى فِتْنَةٍ ، ولا مُتَحَرِّكٌ  
ولا سَاعٍ في فسادٍ ، ولا أَحَدٌ إلا سَامِعٌ مطيعٌ باخِعٌ<sup>(۲)</sup> حَاضِرٌ ، قد أذَاقَهُ اللهُ حَلَاوَةَ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ودَعَّةَ وِلَايَتِهِ ، فهو يَتَقَلَّبُ في تَطَلُّهَا ، يَغْدُو في مَتَجَرِّهِ وَيَرُوحُ في مَعَايِشِهِ ،  
واللهُ وليُّ ما صَنَعَ من ذلك ، والمتممُّ له ، والمَانُ بِالزِّيَادَةِ فيه بِرَحْمَتِهِ .

وأنا أسأل الله أن يَهَيِّئَ<sup>(۳)</sup> أمير المؤمنين نِعْمَتَهُ ، وَيَتَابِعَ له فيها تَمْرِيدهً ،  
ويُوزِعَهُ<sup>(۴)</sup> عليها شُكْرَهُ ، وأن يجعلَ مَنَّهُ لَدَيْهِ متواليًا دَائِمًا متواصلًا ، حتى يَجْمَعَ اللهُ  
له خَيْرَ الدُنْيَا والآخِرَةِ ولأَوْلِيَائِهِ وَأَنْصَارِ حَقِّهِ وِلْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، بِبِرْكَتِهِ وَبِرُكَّةِ وِلَايَتِهِ  
وَيُؤَيِّنَ خِلَافَتَهُ ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَفِيهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ .

وكتب يوم الأحد لأربع بقين من المحرم سنة ۱۹۸ هـ

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۲۰۳ )

## ۲۰۳ - كتاب طاهر بن الحسين إلى أبي عيسى بن الرشيد

وروى الصُّوْلِيُّ في أدب الكتاب قال :

وقال طاهر بن الحسين - وهو يحارب الأمين ، وكان أبو عيسى بن الرشيد معه -  
لكتابه : اكتبوا إلى أبي عيسى كتابا تتقربون به إليه وتتباعدون ، ولا تُطْمِعُوهُ  
ولا تُؤَيِّسُوهُ ، فقلوا : إن رأى الأمير أن يُعْلِمَنَا كيف ذلك ويَحْدِثَهُ لَنَا ، فقال  
اكتبوا :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : حَفِظْتُكَ اللهُ وَأَبْقَاكَ وَأَمْتَعَكَ بِكَ ، وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ

(۱) الدغل : الفساد .

(۲) باخِعٌ بالحق كنع : أقربه وخضع له ، كبخع بالكسر .

(۳) يَهَيِّئُ يقال هَيَّأْنَا اللهُ الطَّعَامَ : أَي جَعَلَهُ هَيِّئًا . (۴) أوزعه الله : ألهمه .



أكتب إلى صغير منكم أو كبير ، بغير التأمير ، وقد بلغني عنك ممالأة<sup>(۱)</sup> للمخلوع ، فإن كان ذلك منك مثيلاً على أمير المؤمنين ، فقليل ما أكتبك به كثير ، وإن كنت كما قال الله : « إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . ( أدب الكتاب ص ۱۵۱ )

\* \* \*

وروى ابن عبد ربه في العقد الفريد قال :

وكتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد إلى إبراهيم بن المهدي :  
« أما بعد ، فإنه عزيزٌ عليّ أن أكتب إلى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها ، غير أنه بلغني عنك أنك مائلٌ الهوى والرأى للناس المخلوع ، فإن كان كما بلغني فقليل ما كتبتُ به كثير لك ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، وقد كتبتُ في أسفل كتابي أبياتاً فتدبرها :

رُكُوبُكَ الْهَوَىٰ مَالِمَ تَلَقَّ فُرْصَتَهُ      جَهْلٌ رَمَىٰ بِكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْرِيرُ  
أَهْوَىٰ بَدْنِيَا يُصِيبُ الْمَخْطِئُونَ بِهَا      حَظُّ الْمُصِيبِينَ ، وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ  
فَارزَعُ صَوَابَا وَخَذَ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ      فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ  
فَإِنْ ظَهَرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ      فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ  
وَإِنْ ظَهَرْتَ عَلَىٰ جَهْلٍ فَفَزْتَ بِهِ      قَالُوا جَهْلُ أَعَانَتِهِ الْمَقَادِيرُ

( العقد الفريد ۲ : ۱۹۸ )

## ۲۰۴ - كتاب السيدة زبيدة إلى المأمون

ولما قُتِلَ الأمين كتبت أمه السيدة زبيدة<sup>(۲)</sup> :

خَيْرَ إِمَامٍ قَامَ مِنْ خَيْرِ عُنُصُرٍ وَأَفْضَلِ رَاقٍ فَوْقَ أَعْوَادِ مِئْبَرٍ

(۱) ماله : ساعده على الأمر وشايعه .

(۲) جاء في تاريخ الطبري : وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر : ثم أورد الأبيات -

وَوَارِثِ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَفَخَّرِهِمْ  
 كَتَبْتُ ، وَعَيْنِي تَسْتَهْلُ دُمُوعُهَا  
 وَقَدْ مَسَّنِي ضُرٌّ وَذُلٌّ كَأَبِي  
 أُصِيبْتُ بِأَذَى النَّاسِ مِنْكَ قَرَابَةً  
 وَهَمْتُ لِمَا لَاقَيْتُ بَعْدَ مُصَابِهِ  
 سَأَشْكُو الَّذِي لَاقَيْتَهُ بَعْدَ فَقْدِهِ  
 وَأَرْجُو لِمَا قَدْ مَرَّ بِي مُذْ فَقَدْتُهُ  
 أَتَى طَاهِرٌ ( لَا طَهَّرَ اللَّهُ طَاهِرًا )  
 فَأَبْرَزَنِي مَكْشُوفَةَ الْوَجْهِ حَاسِرًا  
 يَعْزِزُ عَلَيَّ هُرُونَ مَا قَدْ لَقَيْتُهُ  
 فَإِنْ كَانَ مَا أَسْدَى بِأَمْرِ أَمْرَتِهِ  
 تَذَكَّرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرَابَتِي  
 وَلِلْمَلِكِ الْمَأْمُونِ مِنْ أُمِّ جَعْفَرِ  
 إِلَيْكَ ابْنِ عَمِي مِنْ جُفُونِي وَمَحْجَرِي (۱)  
 وَأَرْقَ عَيْنِي يَا بَنَ عَمِي تَفَكَّرِي  
 وَمَنْ زَالَ عَنِ كَيْدِي فَقَلَّ تَصَبَّرِي  
 فَأَمْرِي عَظِيمٌ مُنْكَرٌ حَدٌّ مُنْكَرِ  
 إِلَيْكَ شَكَاةَ الْمُسْتَهَامِ الْمُقَهَّرِ (۲)  
 فَأَنْتَ لِبَنِي خَيْرُ رَبِّ مُغَيَّرِ (۳)  
 فَمَا طَاهِرٌ فِيمَا أَتَى بِمَطَهَّرِ  
 وَأَنْهَبَ أَمْوَالِي وَأَخْرَبَ (۴) آدْرِي  
 وَمَا نَالَنِي مِنْ نَاقِصِ الْخَلْقِ أَعْوَرِ  
 صَبَرْتُ لِأَمْرٍ مِنْ قَدِيرٍ مُقَدَّرِ  
 فَدَيْتُكَ مِنْ ذِي حُرْمَةٍ مَتَذَكَّرِ

فلما قرأ المأمون شعرها بكى ثم قال : اللهم إني أقول كما قال أمير المؤمنين علي  
 ابن أبي طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان « والله ما أمرت ولا رضيت »  
 اللهم جَلِّ قلب طاهر حزنا .

( تاريخ الطبري ۱۰ : ۲۱۳ و مروج الذهب ۲ : ۳۱۶ )

## ۲۰۵ - كتاب السيدة زبيدة إلى المأمون

وكتبت إلى المأمون أيضاً تستعطفه :

« كل ذنب يا أمير المؤمنين - وإن عظم - صغيرٌ في جنب عفوك ، وكل زلل

(۱) استهل المطر : اشتد انصبابه ، وحجر العين كمجلس ومنبر : ما دار بها .

(۲) الشكاة : الشكوى ، والمستهام : الهائم . (۳) البث : أشد المزن .

(۴) امرأة حاسر : حسرت عنها درعها وكشفتها ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين حاسر ، وأنهب

عاله : جعله نهبا يفار عليه ، ومن جوع دار : آدر وأدور ، وقد روى بالوجهين .

- وإن جَلَّ - حقير عند صَفْحِكَ ، وذلك الذى عَوَّدَكَ اللهُ ، فأطال مُدَّةَكَ ، وتمم نعمتك ، وأدام بك الخيرَ ، ورفع بك الشرَّ .

هذه رُقعة الوالِدِ (١) التى ترجوك فى الحياة لنوائب الدهر ، وفى الممات لجليل الذِّكْرِ ، فإن رأيتَ أن ترحم ضعفى واستكانتى (٢) ، وقلة حيلتى ، وأن تصل رَحِمى ، وتحسب (٣) فيما جعلك اللهُ طالبا ، وفيه راغبا ، فأفعل ، وتذكر (٤) من لو كان حيا لكان شفيعى إليك .

## ٢٠٦ - رد المأمون عليها

فكتب إليها المأمون :

« وصلت رُقعتك يا أمّاه ، حاطك (٥) اللهُ وتولّاك بالرعاية ، ووقفتُ عليها وساءنى - شهد الله - جميع ما أوضحتَ فيها ، لكن الأقدار نافذة ، والأحكام جارية ، والأمور متصرفة ، والمخلوقون فى قبضتها لا يقدرّون على دفاعها ، والدنيا كلها إلى شتات (٦) وكل حتى إلى ممات ، والغدر والبغى حتمّ الإنسان ، والمكر راجع إلى صاحبه (٧) ، وقد أمرتُ بردّ جميع ما أخذ لك ، وأن تفقدى ممن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه ، وأنا بعد ذلك على أكثر مما تختارين ، والسلام . »

(١) الوله بالتحريك : الحزن أو ذهاب العقل حزنا ، وهو ولهان وواله وآله ، وهى وهى وواله وواله وميلاه ( بكسر الميم ) : شديدة الحزن والجزم على ولدها .

(٢) الاستكانة : الخضوع والذل .

(٣) احتسب بكذا أجرا عند الله : اعتمده بنوى به وجه الله .

(٤) تعنى أباه الرشيد .

(٥) حاطه : حفظه وصانته . (٦) الشتات : التفرق . (٧) يعرض بالأمين .

## ۲۰۷ - کتاب أحمد بن يوسف في قتل الأمين

وكان أول ما ارتفع به أحمد<sup>(۱)</sup> بن يوسف الكاتب ، أنه لما قُتل الأمين أمر طاهر بن الحسين الكاتب أن يكتبوا إلى المأمون فأطالوا ، فقال طاهر : أريد أخصر من هذا ، فوصف له أحمد بن يوسف وموضعه من البلاغة فأحضره لذلك<sup>(۲)</sup> فكتب :

« أما بعد . فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب والأحمة<sup>(۳)</sup> ، فقد فرّق حكم الكتاب والسنة بينه وبينه في الولاية والحُرمة ، بمفارقة عِصمة الدين ، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين ، يقول الله عز وجل فيما اقتصَّ علينا من نبي نوح

---

(۱) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى بني عجل بن لجم بالكوفة ، استوزره المأمون بعد أحمد بن أبي خالد الأحول وتوفي سنة ۲۱۳ - انظر ترجمته في الفخرى ص ۲۰۶ والأغانى ج ۲۰ : ص ۵۶ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ۵ : ۲۱۶ وغرر الحقائق الواضحة ص ۱۰۹ ومعجم الأدباء ۵ : ۱۶۱ وكتاب الأوراق لأبي بكر الصولي ۱ : ۱۴۳ وكتاب بغداد لابن طيفور ۶ : ۲۳۴ .

(۲) هذه رواية زهر الآداب ، ومنها ترى أن هذا الكتاب كتب في بغداد ، وروى أنه كتب بمرو . روى الطبري قال : « لما بعث طاهر برأس محمد إلى المأمون ، بكى ذو الرياستين وقال : سل علينا سيوف الناس وألنتهم ، أمرناه أن يبعث به أسيرا ، فبعث به عقيرا ، فقال له المأمون : قد مضى ماضى فاحتل في الاعتذار منه ، فكتب الناس فأطالوا ، وجاء أحمد بن يوسف بشير من قرطاس فيه « أما بعد . . . » وكذلك روى الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب قال : « ولما قتل طاهر محمدا المخلوع أنفذ رأسه إلى المأمون ، فقال الفضل بن سهل : ما فعل بنا طاهر لسل علينا سيوف الناس . . . الخ ثم قال : وأمر المأمون الفضل أن ينشى كتابا عن طاهر بخبره ليقرأ على الناس ، فكتبت عدة كتب لم يرضها واستطالها ، فكتب أحمد بن يوسف . . . »

وروى ياقوت في معجم الأدباء الخبرين ، وقال بعد أن أورد الأول : فرضى طاهر ذلك وأنفذه ، ووصل أحمد بن يوسف وقدمه ، ثم أورد الثاني فقال : « وقيل إن المأمون لما حمل رأس المخلوع إليه وهو بمرو ، أمر بإنشاء كتاب عن طاهر بن الحسين ، ليقرأ على الناس ، فكتبت عدة كتب لم يرضها المأمون ولا الفضل بن سهل ، فكتب أحمد بن يوسف هذا الكتاب ، فلما عرضت النسخة على ذي الرياستين رجم نظره فيها ثم قال لأحمد بن يوسف : ما أنصفناك ، ودعا بقهرمانه . وأخذ القلم والقرطاس وأقبل يكتب بما يفرغ له من المنازل ، وبعد له فيها من الفرش والآلات والكسوة والكراع وغير ذلك ، ثم طرح الرقعة إلى أحمد بن يوسف وقال له : إذا كان في غد فاقعد في الديوان وليقعد جميع الكتاب بين يديك ، واكتب إلى الآفاق . »

(۳) اللحمة : القرابة .

وابنه « يانوح إنه ليس من أهلِكَ إنه عمل غير صالح » ولا صلة لأحدٍ في معصية الله ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله .

وكتبتُ إلى أمير المؤمنين ، وقد قتل الله الخلوغَ وردَّاه رداءً نكثه<sup>(۱)</sup> ، وأحصَدَ<sup>(۲)</sup> لأمر المؤمنين أمره ، وأنجزَ له ما كان ينتظر من سابق وعده ، فالأرضُ بأكنافها<sup>(۳)</sup> أوطأ مهادٍ لطاعته ، وأتبعُ شيءَ لمشيئته ، وقد وجهتُ إلى أمير المؤمنين بالدنيا وهو رأسُ الخلوغ ، وبالآخرة وهي البرُدة والقَصيب .

والحمد لله الراجِع إلى أمير المؤمنين معلومَ حقه<sup>(۴)</sup> والكائدِ له من ختر<sup>(۵)</sup> عهده ، ونقضَ عهده ، حتى ردَّ به الألفةَ بعد فرقتها ، وجمعَ به الأمة بعد شتاتها ، وأحيا به أعلامَ الدين بعد دروسِها<sup>(۶)</sup> ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

( زهر الآداب ۲ : ۳۸ وتاريخ الطبري ۱۰ : ۲۱۴ ومعجم الأدياء ۵ : ۱۶۷ )  
وكتاب الوزراء والكتاب من ۳۸۵ )

## ۲۰۸ - رسالة الحميس لأحمد بن يوسف

ومن رسائل أحمد بن يوسف رسالة الحميس<sup>(۷)</sup> التي كتبها للأمون وكانت تقرأ بخراسان على شيعة بني العباس ، وهي :

- (۱) نكث العهد : نقضه .  
(۲) من أحصد الخبل : إذا أحكم فتله .  
(۳) الأكناف : جمع كنف بالتجريك ، وهو الناحية .  
(۴) الراجِع هنا من رجم المتعدى ومفعوله « معلوم » .  
(۵) الختر : الغدر والخديعة أو أقيح الغدر ، وفعله كضرب ونصر ، وفي المنظوم والنثور « والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين بحقه ، والكائد له من خان عهده ونكث عهده ... » .  
(۶) أي انحائها ، وفي زهر الآداب تكرير الحمد في آخر الكتاب ، قال « والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين حقه ، الراجِع إليه تراث آباءه الراشدين » .  
(۷) رسالة الحميس : هي رسالة كان يكتبها أبلغ كاتب في الدولة ، في عهد كل خليفة من أوائل الخلفاء العباسيين ، في تأييد الدعوة العباسية عامة ، وأن أولى الناس بولاية خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو العباس عمه ووارثه من بعده ، وفي تأييد الخليفة الحاضر خاصة ، والإشادة بذكره ، وتعداد مناقبه ومآثره وأنه أولى أهل بيته بالخلافة ، وكانوا يعيشون بهذه الرسالة إلى خراسان فتلى على أهلها ، ويحشدونهم لسماعها ، تغضياً لشأن المدينة لديهم ، وتجديداً لولائهم لبني العباس واستدانتهم على التشيع لهم ، =

« من عبد الله الإمام <sup>(۱)</sup> المأمون أمير المؤمنين إلى المبايعين على الحق ، والناصرين للدين ، من أهل خراسان وغيرهم من أهل الإسلام .

سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمّدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وبسأله أن يصليَ على محمد عبده ورسوله ، أما بعدُ : فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذى العز والسلطان ، والنور والبُرّهان ، فاطر <sup>(۲)</sup> السموات والأرض وما بينهما ، والمتقدّم بالمن والظّول على أهلها ، قبل استحقاقهم لثوابه بالمحافظة على شرائع طاعته ، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته ، دليلاً هادياً لهم إلى معرفته ، بما أفادهم من الأبواب التى يهتمون بها فصل الخطاب ، حتى أقيموا على موارد الاختبار ، وتعقبوا مصادر الاعتبار ، وحكموا على ما بطن بما ظهر ، وعلى ما غاب بما حضر ، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته ، ومتمنّ صنعته ، وحاجة متزاييل <sup>(۳)</sup> خاقه ومتواصله إلى القوم <sup>(۴)</sup> بما يله ويصليحه ، على أن له بارئاً هو أنشأه وابتدأه ويمرّ بعضه لبعض ، فكان أقرب وجودهم

وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست ص ۱۷۱ « أن لعمارة بن حمزة كاتب النصور ومولاه رسائل مجموعة من جملتها رسالة الخميس التى تقرأ لبني العباس » والظاهر أن رسالة عمارة هى أولى رسائل الخميس ، حتى كانت الفتنة بين الأمين والمأمون ، وكان أحمد بن يوسف فى خراسان فى ديوان الفضل بن سهل ، فعمل رسالة الخميس للدعاية للدولة العباسية وللمأمون ، وللاحتجاج له عن قتل أخيه ، وقد جاء فى الفهرست لابن النديم ص ۱۸۳ : « السكتب المجمع على جودتها . عهد أردشير ، كابل ودمنة ، رسالة عمارة بن حمزة الماهانية ، اليتيمة لابن المقفع ، رسالة الخميس لأحمد بن يوسف » ولما تار العباسيون ببغداد على المأمون ، ونصبوا عمه إبراهيم بن المهدي خليفة مكانه - كما سيأتى - عمل إبراهيم نفسه رسالة خميس - وكان عزيز الأدب وافر الفضل ، لم ير فى أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ولا أحسن منه شعراً - إلى أن كانت خلافة المتوكل فعمل له إبراهيم بن العباس رسالة للخميس ، وقد ذكر ابن طيفور فى المنظوم والمنثور صدر رسالتى إبراهيم بن المهدي وإبراهيم بن العباس ، وسيردان عليك بهد ، ولم يحدثنا التاريخ أنه عملت رسائل للخميس بعد ذلك ، وسبب انقطاعها ما كان من غلبة الترك على الخلفاء ، ثم استيلاء الديلم على بغداد ، وانهبان بديان وحدة الدولة وتشعبها إلى دول مستقلة فى المشرق والمغرب .

(۱) كان الأمين قد نهى عن الدعاء على المنابر فى عماله كله للمأمون ، وأمر بالدعاء له عليها ، ثم من بعده لابنه موسى ، وهو يومئذ طفل صغير وسماه الناطق بالحق ، وذلك سنة ۱۹۵ ، فبلغ ذلك المأمون

فتمسّى بإمام المهدي وكوتب بذلك - انظر تاريخ الطبرى ۱۰ : ۱۳۹ .

(۲) فاطر : خالق . (۳) المتزاييل : المتفرق .

(۴) القوم : القيام .

ما يُبَاشِرُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فِي تَصَرُّفِ أَحْوَالِهِمْ ، وَفَنُونَ انْتِقَالِهِمْ ، وَمَا تَظْهَرُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْعَجْزِ عَنِ التَّائِي (۱) لِمَا تَكَامَلَتْ بِهِ قُوَاهُمْ ، وَتَمَّتْ بِهِ أَدْوَاتِهِمْ ، مَعَ أَثَرِ تَدْبِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقْدِيرِهِ فِيهِمْ ، حَتَّى صَارُوا إِلَى الْخَلْقَةِ الْمُحْكَمَةِ ، وَالصُّورَةِ الْمُعْجَبَةِ ، أَيْسَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا تَلَطُّفٌ يَتِمَّمُونَهُ ، وَلَا مَقْصِدٌ يَعْتَمِدُونَهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى ذِكْرَهُ « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَآشَاءَ رَكَّبَكَ » ثُمَّ مَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ ، وَمَا يَجْرِي فِيهَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مَسْخَرَاتٍ ، عَلَى مَسِيرٍ [ لَا يَثْبُتُ الْعَالَمُ إِلَّا بِهِ ] : مِنْ تَصَارِيفِ الْأَزْمَنَةِ الَّتِي بِهَا صَالِحُ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ ، وَإِحْيَاءُ الْأَرْضِ ، وَلِقَاحُ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ ، وَتَعَاوُرٌ (۲) اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَرُّ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسَّنِينَ الَّتِي تُحْتَضِي بِهَا الْأَوْقَاتُ ، ثُمَّ مَا يَوْجَدُ مِنْ دَلَائِلِ التَّرْكِيبِ فِي طَبَقَاتِ السَّمَاءِ الْمَرْفُوعِ ، وَالْمِهَادِ الْمَوْضُوعِ ، [ بِاخْتِلَافِ ] أَجْزَائِهِ وَالثَّمَامِهَا ، وَخَرْقِ الْأَنْهَارِ ، وَإِرْسَاءِ الْجِبَالِ ، وَمِنْ الْبَيَانِ الشَّاهِدِ عَلَى مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنْ إِنْشَاءِ الْخَلْقِ ، وَحُدُوثِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، مَتَرَقِيًا فِي السَّمَاءِ ، وَثَبَاتِهِ إِلَى أَجَلِهِ فِي الْبَقَاءِ ، ثُمَّ تَحَارِهِ (۳) مُنْقَضِيًا إِلَى غَايَةِ الْفَنَاءِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُفْتَتِحٌ عَدَدٌ ، وَلَا مُنْقَطِعٌ أَمَدٌ ، مَا زَادَ بِنُشُوءِهِ ، وَلَا تَحْيِفُهُ (۴) [ نَقْصَانٌ ] وَلَا تَفَاوُتٌ عَلَى الْأَزْمَانِ ، ثُمَّ مَا يَوْجَدُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْعَتِهِ مِنْ ثَبَاتِ بَعْضِهِ لِبَعْضٍ ، وَقِيَامِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ بِمَا يُسَّرُّ لَهُ ، فِي بَدْءِ اسْتِمْدَادِهِ ، إِلَى مَنْتَهَى نَفَادِهِ ، كَمَا احْتَجَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ فَقَالَ : « أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا » وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » وَكُلُّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَدَلَالَاتِهِ فِي سَمَوَاتِهِ الَّتِي بَنَى ، وَأَطْبَاقِ الْأَرْضِ الَّتِي دَحَا (۵) ، وَأَثَارِ صُنْعِهِ

(۱) تَأْتِي الْأَمْرُ : تَرَفَّقَ وَأَتَاهُ مِنْ وَجْهِهِ .

(۲) التَّعَاوُرُ : التَّدَاوُلُ . (۳) الْحَارُ : الرَّجُوعُ وَفِي الْأَصْلِ « بَحَارُهُ » .

(۴) تَحْيِفُهُ : تَنْقِصُهُ مِنْ حَيْفِهِ ، وَالْحَيْفُ : كَفْظٌ جَمْعُ حَيْفَةٍ بِالْكَسْرِ : وَهِيَ النَّاحِيَةُ .

(۵) دَحَا اللَّهُ الْأَرْضَ يَدْحُوها وَيَدْحَاهَا دَحْوًا : بَسَطَهَا .

فِي مَا بَرَأَ وَذَرَأَ<sup>(۱)</sup> ثَابِتٌ فِي فِطْرِ الْعُقُولِ ، حَتَّى يَسْتَجِرَّ أُولَى الزَّبْحِ مَا يَدُ خِلْوَنٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ  
 مِنَ الشُّبْهَةِ فِيمَا يَجْعَلُونَ لَهُ مِنَ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ ، جَلَّ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، وَلَوْلَا تَوَحُّدُهُ بِالتَّوْبِيرِ  
 عَنْ كُلِّ مُعِينٍ وَظَهِيرٍ<sup>(۲)</sup> ، لَسَكَانَ الشَّرَكَاءُ جُدْرَاءَ أَنْ تَخْتَلِفَ بِهِمْ إِرَادَتُهُمْ  
 [ فِيمَا يَخْلُقُونَ ] وَلَمْ يَكُنِ التَّخَلُّفُ فِيهِ مِنْ إِثْبَاتِهِ وَإِزَالَتِهِ لِيَخْلُوَ مِنْ أَحَدٍ وَجْهِيهِ ، وَأَيُّهَا  
 كَانَ فِيهِ فَالْعَجْزُ وَالنَّقْصُ مِمَّا أَتَاهُ وَبَرَأَهُ ، جَلَّ الْبَدِيعُ خَالِقُ الْخَلْقِ وَمَالِكُ الْأَمْرِ عَنْ  
 ذَلِكَ ، وَتَمَالَى عُلُوًّا كَبِيرًا ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : « مَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ  
 إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ »  
 ثُمَّ مِنْ عَظِيمِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ افْتِمَادُهُ<sup>(۳)</sup> إِيَّاهُمْ ، ثُمَّ يَسُدُّهُمْ وَيُدْهِمُهُمْ عَلَى  
 مَنَافِعِهِمْ ، وَيَجْنِبُهُمْ مَضَارَّهُمْ ، وَيَهْدِيهِمْ لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ ، وَيَرْغَبُهُمْ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى التَّمَسُّكِ  
 بِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي جَعَلَهُ عِصْمَةً لَهُمْ ، وَحَاجِزًا بَيْنَهُمْ .

وَلَوْلَا مَا تَقَدَّمَ بِهِ مِنْ تَلَافِيهِمْ<sup>(۴)</sup> وَاسْتِدْرَاكِهِمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ لِأَجْتِنَاحِهِمْ<sup>(۵)</sup> التَّلَفُ  
 لِقُصُورِ مَعْرِفَتِهِمْ عَنِ التَّائِي لِقُوَاتِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ ، وَلَمْ يَكُونُوا لِيَقْتَصِرُوا عَلَى حِظْوِظِهِمْ  
 وَأَقْسَامِهِمْ عَمَّا بُنُوا عَلَيْهِ مِنَ الْجَمْعِ وَالرَّغْبَةِ ، وَاتِّهَالِكُوهُم بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ،  
 وَعُدْوَانِ قُوِيَّتِهِمْ عَلَى ضَعْفِيَّتِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ تَعْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ مُلْكَ قُدْرَتِهِ ، وَجَلَالَةَ عِزَّتِهِ ،  
 بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ وَرَسُولَهُ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ بِالآيَاتِ الَّتِي لَا تَنَالُهَا أَيْدِي الْخَالِقِينَ ، فَرَضُوا  
 بِمَا قَسَطَ بَيْنَهُمْ ، وَارْتَدَعُوا عَنِ التَّبَاغِي وَالْتِظَالِمِ ، لِمَا وَعُدُوا مِنَ الثَّوَابِ الْجَسِيمِ ، وَخُوفُوا  
 مِنَ الْعِقَابِ الْأَلِيمِ ، وَلَمْ يَكُونُوا لِيُطِيعُوا أَمْرًا لِأَمْرٍ ، وَلَا نَهْيًا لِنَهْيٍ ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَتَبَيَّنُ بِهَا  
 [ الْحَقُّ ] لِمَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْمُبْطَلِينَ ، وَتَخْوِيفٍ يَتَّقُونَ بِهِ مُقَارَفَةَ<sup>(۶)</sup> مَاحِرٍّ [ م عَلَيْهِمْ ] ،  
 وَرَجَاءٍ يَتَجَشَّمُونَ لَهُ مَمْنُونَةً مَا تَعَبَّدُوا بِهِ ، فَافْتَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

(۱) برأ الله الخلق وذرأهم ( كجعل فيهما ) : خلقهم . (۲) الظهير : المعين .  
 (۳) أى تفقده ، وفى الأصل « سواره » . (۴) فى الأصل « تلافهم » .  
 (۵) أى أهلكتهم واستأصلهم . (۶) قارف الذنب : اقترفه وأتاه .



فعلّمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له كما افتص في وحيه المنزل - وكرّم ولده وفضلهم، فقال جلّ وعزّ: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» وجعل ما فطرهم عليه من العطف على ذراريهم وأبنائهم سبباً لما أراد من بقائهم وتناسلهم، وما اختصهم به من العلم والفهم حجة عليهم، ليمتحن طاعتهم، ويبلوهم<sup>(۱)</sup> أيهم أحسن عملاً.

ولم تزل رسل الله عز وجل إلى خلقه تترى<sup>(۲)</sup> بالنور الساطع، والبرهان القاطع، لا يجدون لما يوردون عليهم من الحق القاهر مراداً ولا مدفعاً، لقول الله عز وجل: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنكَرْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَتْمًا عَاقِبًا نَصَرُ الْمُؤْمِنِينَ» فلم يجد المكذّبون مسانعة<sup>(۳)</sup> إلى دفع ما أقيم عليهم من لازم الحجّة إلا المعاندة والمجاهدة، وكان أنبياء الله صلوات الله عليهم يمشون في أعصار الحطب<sup>(۴)</sup> نذراً للأمم، حتى ختمهم الله عز وجل بالنبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم، فبعنه فرّداً وحيداً لا عاضد له ولا رافداً<sup>(۵)</sup>، إلى قوم يعبدون أصناماً بكمّاً، وحجارةً صنماً، فكذب به القوم الذين بُعث فيهم أول ما دعاهم، ورامه ملوك أقطار البلاد بتوجيه الأجناد، ومرافدة القوة والعتاد<sup>(۶)</sup>، وبقوى الغوائل، ونصبت له الحبائل، وهو يدعو إلى سبيل ربه بما أمره به إذ يقول تعالى: «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَا تَتَّبِعِ هِيَ أَحْسَنُ» ثم جاهد بمن أطاعه من عصاه، وبمن اتبعه من خالفه، حتى أعز الله كلمته، وأظهر دعوته، وأكل أعباده دينهم الذى ارتضى لهم، فلما اختار الله له ما لديه، واختصه بما عنده، من النعيم

(۱) أى يختبرهم . (۲) يقال : جاءوا تترى وينون ، وأصله وترى : أى متواترين متتابعين .

(۳) أى مدخلاً وطريقاً .

(۴) الحطب جمع حقة بالكسر ، والحقة من الدهر : مدة لاوقت لها .

(۵) الرافد : المعين الواصل . (۶) العتاد : العدة .

المقيم ، والجزاء الكريم ، بعد استقامة الدين ودخول الناس فيه أفواجا<sup>(۱)</sup> ، خلفه - إذ ختم به الأنبياء - بالبررة النجباء من أدانيه ولحمته<sup>(۲)</sup> ، لإقامة الشرائع المفترضة ، وإنفاذ حكم الله المنزل ، واقتفاء السنة الماثورة ، وحفظه في قرابته ، ومجيب دعوته وإتماما لما أوجب له من التفضيلة ، وقريب الوسيلة ، وإيجازا لما وعده من إظهار ما بعثه به ، من دينه الذي اصطفاه وارتضاه .

وكان اختيار أولي الفضل من لحمته وعصبته لإرث خلافته ، من عظيم الزلف<sup>(۳)</sup> التي رغب إلى الله فيها أنبيأؤه ، فيما اقتص<sup>(۴)</sup> في منزل وحيه<sup>(۵)</sup> ، واختص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسألة أمته نصير مودته في القربى ، جزاءه ممن تبعه على الرسالة ، وهداه من الضلالة ، فكانت فضيلتهم عزيمة من الله عز وجل ، دون طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الزمه تأديته إلى خلقه . وألزمهم أداءه ، فقال عز وجل : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » ودل بما أخبر به وأظهره من تطهيره إياهم ، وإذها به الرجس<sup>(۵)</sup> عنهم ، على اصطفاؤه لهم ، فقال تعالى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » وكان مما أوجب لهم به حق الوراثة في محكم تنزيله قوله تعالى « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » ثم قرن طاعتهم بطاعته فقال : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » وأحدهم من النبأهة والصيت ، بالحل الذي أعلى به أمرهم ، ورَفَعَ به ذكْرهم ، لما أحب من التبين في الدلالة عليهم ، والهداية إليهم ، فإنه يقول عز وجل : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » ،

(۱) الأفواج جمع فوج بالفتح : وهو الجماعة . (۲) اللحمة : القرابة .

(۳) الزلف جمع زلفة بالضم : وهي القرية ، وفي الأصل « ومن عظم الزلف » وفيه أيضا « وعا

اقتص » وهو تحريف .

(۴) يشير إلى قول زكريا عليه السلام « فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِيئِي وَيَرِثُ

مِنْ آلِ يَعْقُوبَ » . (۵) الرجس : القدر ، والمأثم .

ولو كان الأئمة المقلدون أمرَ عباده خاملةً أنسابهم ، متقطعةً أسبابهم ، غيرَ مخصوصين بفضيلةٍ يرَوْنهم بها دون غيرهم لم تعدْ طابعتهم وعقدُ الخلافةِ لهم ، أن تكون من منقرضاته على كافة الأمة ، أو على بعض دون بعض ، فإن كان لأهل الشرق والغرب من ذوى النقص والكمال أن يختاروا لأنفسهم ، فليس في اجتماع آرائهم مع تفرقهم واختلافهم طمعٌ آخرَ أيامِ الدهر ، وإن كان إلى خاصّة دون عامّة ، فستحتاجُ العامّةُ من طلب معرفة تلك الحال ، إلى مثلِ ما احتاجوا إليه في أئمتهم إذ لم يكن أهلُ الارتباب والطلب من أعلام الآفاق ، ايتواطنوا على اتفاق ، لنفادِ آجالهم قبل بلوغهم غايةَ الاجتهاد في الفحص والتكشيف ، وحاجتهم إلى اختيار البلدان ، وتحميصِ أولى الفضائل بالامتحان ، وما [ هو ] خافٍ عليهم من الشبه في اختيارهم ، والاختلافِ فيمن عسوا أن يجتنبوه (۱) وبقدّموه ، حتى تهالك الرعية ، بتظالمها بينها ، وبطرق من يليها من الأمم إياها إذ لا ذائِدَ عنها ولا نحامي ، فإذا ألزمت الأمة الحاجةُ إلى نصبِ الحكّام لإقامة الدين ، وتقسيطِ الحقوق بين المسلمين ، ومجاهدةِ بدوهم من المشركين ، لم يكن لهم في الإمامة عليهم مجازٌ إلى التخلّص إليهم ، ولا ريبَ عند المعرفة برأفة الله ورحمته ، ولطفه وحكمه ، في دفعه عن عباده ما لم يجعل في حيلتهم له وسعاً ، ولا في حياتهم له ذرّاً ، وكفايته إياهم ما يعجزهم من البحث والتنقيب عن ولاة أمرهم ، بنصّه إياهم ، وما رفعهم إليه من الدرجة التي أعلاها وأسناها (۲) ، إذ وصل نسبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقرض مودّتهم على خلقه ، ولم يشنهم (۳) جهابهم للفرض الذي ألزمهم له ، ولم يجب عليهم فرضٌ في معرفة من سواهم ، ولم يزل سياقُ أئمة الهدى مُطرداً ، ونظامهم متصلاً ، يتأقاه كابرٌ عن كابر ، ويؤدّيه أوّلٌ إلى آخرٍ ، حتى تنافى إلى أمير المؤمنين ، وهو حالٌ دارَ دعوته ، وبين أنصاره من أهل

(۱) اجتناب : اختاره . (۲) أي رفعها وأعلاها .

(۳) في الأصل « بينهم » وربما كان « بينهم » .

خُرَاسَانَ ، فنظَرَ به خَيْرَهُمْ ، وعَرَفُوا ما تَصَرَّفَتْ به أحوالهم ، وظهر لهم من بيان حُجَّتِهِ على مَنْ نازَعَهُ في الأمر ، وشاهدوا من إبلاغه في العُدْر ، واستظهاره بالتأني والصبر ، ما أزاح عنهم الشُّبُهَةَ ، وكَشَطَ<sup>(١)</sup> الخَيْرَةَ ، حتى استرأوا<sup>(٢)</sup> نهوضه بحقه ، وخافوا الزَّيْغَ على أديانهم فيما أعطوه من صَفَقَةِ إيمانهم ، وهو ماضٍ على عادته ، مستديمٌ للمُؤادَعَةِ ، متلومٌ<sup>(٣)</sup> على المراجَعَةِ ، بالغُ غايَةَ ما وَسِعَهُ من الرُّخْصَةِ في دفع الولاية التي نَهَنَهُ<sup>(٤)</sup> بها الرعيَةَ ، حتى ضاق عليه في دينه تركُ القيامِ بما أنهضه اللهُ به من ثِقَلِها ، وقلدَه من حَمْلِها ، وخان الخلوْعُ فابتغاه بالشرِّةِ والعِزَّةِ ، فتناول أولياءَ الحقِّ باغياً طاعياً ، لما أراد اللهُ من تأييدهم<sup>(٥)</sup> عليه بالبيان والحُجَّةِ التي وجب<sup>(٦)</sup> لها قابله ، وفَتَّ بها في عَضُدِهِ<sup>(٧)</sup> ، وقَبِلَ اللهُ ما أَيْدِكم به<sup>(٨)</sup> من النصر والغلبة فيه التي جعلها اللهُ للمتقين ، فاجتمعَ لكم معشرَ أهلِ خراسانِ في دولة أمير المؤمنين ثلاثٌ خلالِ اختصاصِكُم اللهُ بفضيلاتها ، وسَنِيَّ<sup>(٩)</sup> مراتبها ، دون ثلاثِ شَمَلَتِكُم وغيرَكُم : أمَّا الأولى من اللواتي خصَّكم اللهُ بهن . فما تقدَّم لأسلافِكُم من نصرة أهل بيت [النبي] وخاتم ميراثه من آباء أمير المؤمنين . وأمَّا الثانيةُ فما آثَرَكم اللهُ به من نُصْرَتِهِ في دعوته الثانية . وأمَّا الثالثةُ فما تقدَّمتم به من صحة ضمائرِكُم ، ومَحْضِ<sup>(١٠)</sup> مناصحتِكُم . وأمَّا الثلاث اللواتي هن لكم ولغيرِكُم :

فهن : ما أكَّد اللهُ لأمير المؤمنين في أعناق المسلمين ، من العهد الذي أخذ إصرَه<sup>(١١)</sup> ، وألهمهم الوفاء به ، والتمسك بوثائق عِصْمَتِهِ ، عند محاولة الخلوْع ما حاول

(١) أي كشف ، وبابه ضرب .

(٢) استرأته : استبطأه ، وفي الأصل « استرادوا » وهو تحريف .

(٣) تلوم في الأمر : تمكث وانتظر . (٤) نهنه : كفه وزجره .

(٥) في الأصل « نادهم » . (٦) أي اضطرب وخفق .

(٧) فت في عضده : أضعفه .

(٨) في الأصل « وقبل ما أُر . . . كم به من النصر » وقد أصلحته كما ترى .

(٩) أي رفيع . (١٠) أي خالص ، (١١) الإصر : العهد .

من الإعلان بالردّة ، والتّمسّ من تبديل معالِمِ الدّين وتعميّة آثاره ، فلم يُلَفِ الرّعيّة سُدَى مهّابين ، لا جامعَ لأمرهم ، ولا ضامّ لفسّهم .

ومنهنّ : ما أفادكم الله وإياهم من العبر ، عند حلول الغيّر<sup>(۱)</sup> ، بمن غدر وختر<sup>(۲)</sup> ، تذكرةً لأولي النّهي ، وحجّةً بالفقّة على من أدبر وتولّى ، ليَهْتدى مُتَحَيِّرٌ ، ويَقْعَظَ مُزْدَجِرٌ • وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ •

ومنهنّ : اجتماعُ أهل الفضل من المسلمين ممّن لم يكن له نصرٌ ولا أزر<sup>(۳)</sup> في الدّعوة الأولى ، على المشابغة في الدّعوة الثّانية ، فأصبح دُعاةُ أمير المؤمنين - من أهل الحرمین والمصرين<sup>(۴)</sup> ومدينة السلام والمشرق والمغرب ، ممّن غار وأنجد<sup>(۵)</sup> من المتمسّكين بدميهم ، الموفين بنذورهم ، من إخوانكم ، وإن كان الله قد قدّمكم في الأمرين جميعاً بتفوّق حالكم على غيركم - يعتدّون من مُعاضداتكم ومكانفتكم<sup>(۶)</sup> بما جعله الله عزّ وجلّ ألفةً لكم ، ومودّةً بينكم ، يُبيدُ بها ما كان الشيطان ينزغ<sup>(۷)</sup> به بين أهل التّباعُدِ في الأنساب ، والتّناهي في الأوطان ، من إبقاعِ العداوة والبغضاء ، والانطواء على الأحقاد والدّمّن<sup>(۸)</sup> ، وطلبِ تقديم الإحن<sup>(۹)</sup> ، وصار أهل السموّ إلى الدرّجة العليّيا ، والأعتصام بالعرّوة الوثقى ، من أولياء أمير المؤمنين ، وشيعته ، مُنْشِرِحَةً صدورهم بمكانفته ، مُنْبِطَةَ أيديهم بمعاونته على حقّه ، مُنْفِصِحَةً آمالهم في إذكاء<sup>(۱۰)</sup> ناره على

(۱) غير الدهر : أحداثه المفيرة .

(۲) الختر : الغدر والخديعة ، أو أقبح القدر ، وفعله كضرب ونصر .

(۳) الأزر : التّفوية .

(۴) الحرمان : مكة والمدينة ، والمصران : الكوفة والبصرة .

(۵) غار . أتى الغور بالفتح ، وهو المنخفض من الأرض ، وأنجد : أتى النجد ، وهو المرتفع منها .

(۶) المكانفة : المعاونة والوازره .

(۷) نزغ الشيطان بينهم كتم : أفسد وأغرى ووسوس .

(۸) الدّمّن جمع دمنة بالكسر : وهي المقد القدم .

(۹) الإحن : جمع إحنة بالكسر ، وهي المقد أيضا .

(۱۰) أذكى النار : أشعلها ، وأنخن في العدو : بالغ الجراحة فيهم .

عدوه والإثخان في بلاده وافتتاح ممتنع حصونه ، بما جمعهم الله عليه من الألة ،  
ورفع عنهم من الحمية<sup>(۱)</sup> والعصبية ، راجين عودتهم إلى أحسن ماضي عليه سلفهم  
في عهد نبيه صلى الله عليه وسلم ، من سلامة الصدور ، وصلاح ذات البين ، واجتماع  
القوى على مجاهدة من شاقهم<sup>(۲)</sup> ، قد أفرخ الله عنهم نقر<sup>(۳)</sup> التجارب والتجاذب ،  
وجعل ما كان يسعى به بعضهم من الإعداد لبعض ، زيادة في ربحهم<sup>(۴)</sup> ، وحدًا  
في شوكتهم ، لا تتلافهم في دولة أمير المؤمنين المجدودة<sup>(۵)</sup> المؤيدة بصدق الضمائر ، ونفاذ  
البصائر ، وإلى الله يرغب أمير المؤمنين في إعانتة على صالح نيته ، وتبليغه منتهى  
سؤله ، وغاية همته ، في إعزاز دينه ، وإذلال من صد عن سبيله ، إنه سميع قريب .  
ومن أقوى الأسباب إلى استدعاء الشكر على النعمة تذكر ما كانت عليه الحال  
قبآيا ، فاستديروا الإفاضة فيما رفع الله من حساستكم ، وأعلي من أقداركم ، بنصرة  
أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما أبلاكم الله في الدعوة الأولى ، مما لا يؤدي  
حقه إلا بعون الله وتوفيقه ، فإنه ارتاح لهم<sup>(۶)</sup> بلطفه وتوفيقه ، فأنالهم رغائب الأقسام ،  
وسني الخطوات ، ورفع درجهم ودرج حلوفهم وأعقابهم من بعدهم ، بعد إذ هم  
مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس ، مذعنون بقهر عدوهم واستنثاره عليهم ،  
ثم لم يلبثوا أن صاروا إلى الحال التي برؤنهم بها من الغبطة والبهجة ، إلا أنهم أخذوها  
بحقها ، وكانت في أيدي الظلمة من أهل بيت اللعنة وأتباعهم ، بخلسة الباطل ، ومحنة  
الابتلاء ، « **وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** » .  
وليس أحدٌ منكم بخارج من المحنة بما ألبس من النعمة ، وإن كنتم أهلها

(۱) الحية : الأنفة . (۲) شاقه : خافه وعاداه .

(۳) أفرخ : أى سكن وهدأ ، ونقر عليه كفرح وضرب ومنع نفرا ونقرانا بمركتين : غلى  
جوفه من الغضب والغليظ ، وهو من نقرت القدر . إذا غلت وفارت ، وفي الأصل الأول « قد أفرد الله  
عنهم نقرة التجارب » والمعنى عليه صحيح .

(۴) الربح : القوة . (۵) المجدود : العظيم الجد بالفتح ، وهو الحظ .

(۶) أى لأهل بيت نبيه ، وارتاح الله له برحمته : ألقاه من البلية .

الآخِذِينَ لَهَا بِحَقِّهَا ، يَلِ الَّذِي يَلْزُمُكُمْ اسْتِدَامَتُهَا وَالْقِيَامُ بِحِفْظِهَا ، عَلَى حَسَبِ أَوْلَاكُمْ  
 اللَّهُ مِنْهَا ، فَرَبَّمَا كَانَ الَّذِي يُعَقِّبُ أَهْلَهَا مِنَ الْغَفْلَةِ وَالْأَغْتِرَارِ ، وَيُلْهِمُهُمْ بِهَا مِنْ  
 حُبُورِهَا <sup>(۱)</sup> وَسُرُورِهَا ، أَعْظَمَ إِنَّمَا وَحُوبًا <sup>(۲)</sup> مِمَّا يُخَافُ عَلَى أَهْلِ الْبَطَالَةِ وَالْعُسْرِ ، مِنْ  
 ضَعْفِ الْعِزْمِ ، وَقَلَّةِ الصَّبْرِ ، لِمَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِمْ مِنْ اسْتِكَانَةِ الذَّلَّةِ ، وَالْإِغْتِرَارِ بِالتَّقْصِيرِ ،  
 وَالْفَرَعِ إِلَى رَبِّهِمْ فِي تَنْفِيسِ كُرْبِهِمْ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ وَصَفَ أَهْلَ الطَّبَقَتَيْنِ فَقَالَ :  
 « وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ،  
 فَجَاجْتُكُمْ - إِذْ أَنْجَحَ اللَّهُ سَعْيَكُمْ ، وَأَظْفَرَ كُمْ بِطَلِبَتِكُمْ - إِلَى حَيَاةٍ مَا أَوْدَعَكُمْ اللَّهُ مِنْ  
 حِفْنِهِ ، وَحِرَاسَةٍ مَا آتَاكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ بِالشُّكْرِ الْمُتَّبَرِّى <sup>(۳)</sup> لِلزَّيْدِ .

فَتَعَهَّدُوا - مَعْشَرَ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَنْفُسَكُمْ بِتَذَكُّرِ مَا سَهَّلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ  
 الْخُزُونَةِ <sup>(۴)</sup> ، وَذَلَّلَ لَكُمْ مِنَ الصُّعُوبَةِ ، وَحَكَمَ لَكُمْ بِهِ مِنَ النُّصْرِ ، عَلَى مُرَّاقِ <sup>(۵)</sup> الْمَلَّةِ ،  
 وَنُخَافِي أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، وَأَبَاحِكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَاصْبِرْتُمْ - بِمَنْنِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - حِمَاةَ  
 الدِّينِ ، وَأَنْصَارَ الْأُمَّةِ الرَّاشِدِينَ ، وَحُصُونَ كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، بَعْدَ مَا اجْتَمَعَتْ <sup>(۶)</sup> اللَّهُ بِكُمْ  
 خُرُونُ النِّفَاقِ ، وَأَبَارَ بَكُمْ صِنَادِيدَ الضَّلَالَةِ ، وَشَرَّدَ بَيْنَ لَمْ تَسْتَحْمِلْهُ سَيُوفِكُمْ ، وَأَضْرَعَ <sup>(۷)</sup>  
 إِلَيْكُمْ مَنْ أذَعَنَ وَاسْتَسَلَمَ ، وَقَدِ اسْتَشْرَفَكُمْ <sup>(۸)</sup> - مَعْشَرَ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَهْلَ الشَّنَّانِ ،  
 وَلا حَظُّوكم بِأَعْيُنِ الْحَسَدِ وَالْمُنَافَسَةِ ، فَبَيَّنَ ذَلِكَ مُجْهَرًا مُعَالِنًا <sup>(۹)</sup> ، وَمُسْتَسِرًّا مُدَاهِنًا ،  
 وَدَاخِلًا فِي عِدَادِكُمْ ، وَوَالِجًا فِي سَوَادِكُمْ <sup>(۱۰)</sup> ، يَرَى أَمْنَهُ بَيْنَ ظَهْرِكُمْ ، فَطَعَنَهُ عَلَيْكُمْ

- (۱) الجبور : السرور . (۲) الحوب : الإثم .  
 (۳) أى المستوجب . يقال : امترى الشيء : أى استخرجه ، وانزىح تنزى السحاب : أى تدرجه  
 وتستره . (۴) حزن السكان ككرم حزنونة : غلاظ ، فهو حزن كصخم .  
 (۵) مراق الملة : الخارجون عنها ، جمع مارق .  
 (۶) اجتهه : قطعه . (۷) أضرع : أذل .  
 (۸) استشرفه : رفع بصره إليه ، والشنان : البغض والكراهية .  
 (۹) جهر الكلام كمنع ، وبه ، وأجهر : أعلن به ، وأعلن الأمر ، وبه : أظهره ، وعانته : أعلن  
 إليه الأمر ، واستسر : استتر .  
 (۱۰) الواج : الداخل ، وسواد الأمة : عامتها .

فی دولتکم بریة التمویہ ، وخذع التشبیہ ، أیسرُ علیہ کُلْفَةٌ ، وأعظمُ فیکم جرحاً ونِکایَةً ، فتوقّوا هذه الطبقةَ أشدَّ التوقی ، فإن أکثرَ من یلجأ إلى استباحة الحیلة ، من عجزَ عن المباداة<sup>(۱)</sup> والإصْحار ، وعند ظهور الحازم وغلبتہ یحترز من لطیف الخدع ، وخبی الأستدراج .

واحدروا - معشرَ شیعة أمير المؤمنین - من استمهال الطأئة<sup>(۲)</sup> ، والركونِ إلى راحة الدعة ، ما قدر أیتم وبآله عادَ علی أهله ، وأورثتہم عواقبہ طولَ الندم والحسرة ، فإنکم قد کنتم فی حال المراقبة لعدوکم ، والخوف لبائتہ<sup>(۳)</sup> ، متحفظین متحفظین لما کان یرومکم به من ختله<sup>(۴)</sup> وخیله ، ثم أفضیتم إلى الحج ، وقد جهدکم السعی ، ومسکم النصب ، وسیناقی الشیطان فی أمایکم أن قد اکتفیتم بسالف ما قاسیتم ، ویجد من ضعف العزائم مُعیناً داعياً إلى اعتنام الخفض ، والإحلال إلى الأرض ، ما لم تعتصموا بما عایتم من الاعتبار ، وتمثلوا مواضی الآثار فیمن سلف من القرون الخالیة ، وما أفضت به إلیه الغرّة من زوال النعم ، ووقوع الغیر ، فإن جمیع ما خوّلکم الله وأفادکم ثمرتہن بما ألزمکم من حیاطتہ واستقامتہ ، فقد وجبت علیکم الحجّة بما حصّکم الله علیہ ، وعظمت علیکم المنة بما هداکم إلیہ ، وأراکم من آیاتہ ومثلاتہ<sup>(۵)</sup> فیمن خلا قبایکم ، ما فیہ أبلغ الإعذار والإنذار لکم ، ومن اجتمع له اقتناء صواب من تقدّمه ، إلى ما ینبعث من نفسه ، فکأنه قد اختبر بالتحریبة ، مع استمداده بما یتفید ویستزید ما ینفتح لبّه ورأیہ . وأیقنوا أنکم لن تصلوا إلى من

(۱) بادی بالعداوة : جاهر بها ، وأصحّر : برز وانکشف - وأمله : خرج إلى الصحراء .

(۲) الطأئة : الإبعاد والرعی .

(۳) البائنة : الداهية . (۴) المثل : الخداع .

(۵) العرب تقول للعقوبة مثله بفتح فضم ، ومثله بضم سکون ، فر قال الأولى جمعاً علی مثلات بفتح

فضم أيضاً ، ومن قال الثانیه جمعاً علی مثلات بضم الأول وضم الثانی وفتح سکونه ، قال تعالى :

« وَقَدْ خَاتَ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ »



سِوَاكُمْ ، مَنْ هُوَ أَعْسَرُ طَاعَةً عَلَيْكُمْ ، وَأَعْدَرُ بِمَعْصِيَتِكُمْ ، حَتَّى تَبْدُؤُوا بِاسْتِصْلَاحِ  
أَنْفُسِكُمْ ، وَأَنَّهُ لَنْ يُرْجَى لَكُمْ الْقُوَّةُ عَلَى مَجَاهِدَةِ عَدُوِّكُمْ ، حَتَّى تَقْوُوا عَلَى مَجَاهِدَةِ  
أَهْوَانِكُمْ ، فَإِنَّ عَلَى كُلِّ امْرَأٍ رِيَّةً مِنْ أَمْرِهَ ، وَغِطَاءً مِنْ غَيْبِهِ ، لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا صِحَّةُ  
الْمَعْرِفَةِ . وَالْإِذْعَانُ بِالنِّصْفَةِ (۱) ، فَهَنَّاكَ يَوْمَ مَنْ عَلَيْهِ الْجَهْلُ وَالْمَعَانِدَةُ ، وَإِذَا أُمِنْتَ هَاتَانِ  
الْخَلَّتَانِ أَسَدَّتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تِلْمُ الْآفَاتِ ، وَفُتُوْقُ الْمَكَارِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُخَافُ الضَّلَالَةَ عَلَى  
مَنْ اهْتَدَى . وَلَا اعْتِمَادُ الْجَوْرِ عَلَى مَنْ انْتَصَفَ مِنْ هَوَى .

وَلِيَكُنْ أَوْلَ مَا تَتَعَهَّدُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَتُشَابِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ صَالِحِ أَدْبِكُمْ ، تَنَاصُفُ  
الْحَقِّ بَيْنَكُمْ ، بِتَقْدِيمِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ مِنْكُمْ ، وَتَفْخِيمِ أَمْرِهِمْ ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ  
أَنَّ مِنْكُمْ الْمُبْرِزَ (۲) الْفَائِتَ الَّذِي لَا يُدْرِكُ شَأُوهُ ، وَلَا يُوَازِي بِلَاؤُوهُ ، حِينَ كَشَفَ  
الْإِبْلَاءَ ضَمَائِرَ الْقُلُوبِ ، وَجَلَّ مُشْتَبِهَاتِ الظَّنُونِ ، فَصَرَاحَ بِالْمَحَارِبَةِ بَعْدَ التَّقَدُّمِ فِي الْحُجَّةِ ،  
وَقَاءَ بِمُرَّ كَدِّ الْعَهْدِ ، وَرَكُوبًا مِنْهُ لِهَاتِلِ الْخَطَرِ ، غَيْرَ هَائِبٍ مَعَ صِحَّةِ الْحَقِّ ، مَا بَرَقَ  
لَدَيْهِ النَّارُ الْخَلُوعُ وَرَعْدًا ، وَلَا مُسْتَوْحِشٍ فِيمَا تَفَرَّدَ بِهِ إِلَى مَنْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَ ، حَتَّى  
أَتَى الْغَايَةَ الَّتِي أُجْرِيَ إِلَيْهَا فِي اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ، وَخَلِيفَتَهُ ، ثُمَّ لِرُؤُسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَشَابِعَةِ  
وَالْمَكَانِفَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْحِظِّ الْجَزِيلِ وَالْأَثَرِ الْمُبِينِ ، ثَوَابِهِمْ وَاجِبٌ ، وَحَقُّهُمْ لَازِمٌ ،  
ثُمَّ مِنْكُمْ مَنْ يُحَنِّظُ لِسَلْفِهِ وَأَوْلَاهُ مِنَ الْآبَاءِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ وَلَا يَتَّبِعُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عِزُّ وَجَلُّ  
يَقُولُ فِي ذِكْرِ الْيَتِيمِينَ : « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ  
تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا  
كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ،  
وَقَالَ عَلَى لِسَانِ بَعْقُوبَ لِابْنِهِ يُوسُفَ « وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ  
الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ بَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

(۱) النصفه : الإنصاف . (۲) برز : باق أصحابه ، والكأو : الغاية .

وأمر المؤمنين يرى توريث الحكمة والذمام<sup>(۱)</sup> سنة عليه في أخلاقه التي يرعاها ويحافظ عليها ، كما أنه يرى وراثته التركة فريضة واجبة ، فيخلف السلف الصالح عنده في المزية والفضل من يتلون به من أهل الغناء<sup>(۲)</sup> بأنفسهم ، ثم يتلوهم من اقتدى بهم واهتدى بهديهم ، والسابق المتقدم من اعتدَّ ببلاء نفسه إلى بلاء سلفه ، ثم يتبعه بعد المبلي بنفسه ، ثم يتلوها المتوسلُ بأبائه ، ثم الصاعدُ به هواه ورأيه ، طبقةً فطبقةً ، فليتمصر كلُّ امرئٍ منكم على المرتبة التي أحلَّ بها سعيه ، وليسلك إلى الأزدباد فيها بالزيادة من نفسه ، فإن من الفتوق العظيمة على أهل الدول ما ينزع به الشيطان بينهم ويكثر عندهم ما يكون منه ، فيوافق من الخفيف للأنفس ما يجد به مساعداً إلى ما يروم من إبقاء الشحناء بينهم ، وتثبيت الإحن في صدورهم ، بعد التآزر والتناصر . ومتى يجمع المرء مرتبة من فوقه واعتباط من دونه ، كفى ماترك ، وإن تخلص نيانكم ، وتسلم ضمائركم حتى تمحضوا<sup>(۳)</sup> مشكراً ما أوليه إخوانكم ، وتعتدوا ما ناهم شاملاً لكم ، وتجانبوا طريفة من اقتصر بأمنيته على خاصته ، وتعتب فيما أوثر به أهل الفضل دونه ، وكفى عظة فيما نهاكم الله عنه من ذلك ، يقول الله عز وجل : « وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّا اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » ولا يلتمس أحدٌ مودته عن سوء نية بحسن مداراة في ظاهره ، فإن الله مثلد كلِّ امرئٍ رتبة<sup>(۴)</sup> عمله ، ومطوقه طوق سريره ، ولا يفدرن فيما يلزمه لإمامه ، فإنه إنما يفدر في حظه ، ويبخس قسمة ، ويبخس<sup>(۵)</sup> نفسه ، ثم لا يقتصرن على استصلاحها حتى يتناول من

(۱) الذمام : الحق والحرمة . (۲) الغناء : الكفاية ، وفي الأصل « فيخلف السلف الصالح عنده من المزية والفضل ما يتلون به أهل الغناء بأنفسهم » وأراه محرفاً .  
(۳) محضه كمنع وأحضه : أخاصه .  
(۴) الرقيق بالكسر : حبل فيه عدة عرى يشد به إليهم ، كل عروة رتبة .  
(۵) نخسها ( كمنع ) : عناها وأشفاها .

كانت منته عليه من أفریبه وحشویة<sup>(۱)</sup>، فإن یسیر ما هو معانٍ من تادیتهم ، لا ینشب أن یتجاوز أدنی المراتب إلى أفاصیها ، وقربها إلى منتهایها ، حتی یتفیض شاملًا عامًا ، بعد أن بدا محلاً<sup>(۲)</sup> خاصًا .

واعلموا أن أمير المؤمنين متفقدٌ من ثقیفکم وتقویکم علی صالح الأدب ، ومحمود السيرة ، مالا یتفقد به من سواکم ، فإنه إن كان یوجبُ علی نفسه استصلاح الرعية ، وحملهم علی ما فیہ رُشدُهم وقوامهم ، لیس یأزمه من فضل العناية بالأخص والأولی فالأولی ، فإن فی إخلالکم من التقدیم فی التأدیب والتعهد وجوها من الضرر ، منها : أنکم أولى بحسن الطاعة وسرعة الإجابة ، للطف محلكم ، وقرب مکانکم عند أمير المؤمنين . ومنها : أنکم یأنس بکم المؤمنون ، ویقتدی بکم التابعون ، فمتی قصرتم وأخللتم ، اقتفی أثرکم من نصبتُم له أعلاما ، ثم لم یکن لکم أن تزرُوا<sup>(۳)</sup> علیه ، ولا أن تأخذوا فوق یده ، بل کان قمیناً<sup>(۴)</sup> أن یكون بسوّمکم الرضا بمثل ما ستمتوه ، ثم تجری هذه العادة فی الطبّات ، حتی یطرّد السیاق ، إلى أن یتفیض الفساد فی حشو الناس وعامتهم ، فلا تُغنی قوة ولا حزم ولا شدة إلا العجز والإضاعة ، ثم یجد الأعداء مساعدا إلى الطعن والعیب ، فلا یلکون أن برهتوکم<sup>(۵)</sup> ، ویستولی علیکم الفشل ، فإن الأیدی إنما تُبسط بِنفاذ العزائم ، والعزائم إنما تُنفذ بثبات الحجّة ، والحجّة إنما تثبت إذا كانت عن الحق ، وإذا أضعی أولُ هذه الرسوم التي رَمَم لکم أمير المؤمنين

(۱) نسبة إلى حشو ، ومعناها الماشية والأنباع ، وقد تقدم فی رسالة یحیی بن زیاد الخارثی ص ۲۰۹ « وأما الحشو من اجند والرعاع .. » وجاء أيضا فی رسالة الجاحظ فی مدح التجارة وذم عمل السلطان فی کتاب الفصول المختارة من كتب الجاحظ ( هامش الکامل للمبرد ۲ : ۲۴۷ ) : « وهذا الکلام لا ینزال ینجم من حشونة أتباع السلطان ، فأما علیتهم وحصصهم وذو والبصائر والتمییز منهم ... »

(۲) أي ذا محل محدود خاص .

(۳) زری علیه کرمی : عابه ، کأزری ، لکنه قلیل .

(۴) أي جدیرا وخیلقا ، وسامه الأمر : کافه لیاہ ، وفی الأصل « بمثل ما ستمتوه » وهو تحریف .

(۵) أرهقه : حمله علی ما لا یطیق .

تَبِعْتَهُ تَوَالِيَهُ ، وَشَفَعْتَهُ لَوَاحِدَتِهِ ، وَوَجَدَ الْعَدُوَّ الْمَلَا حِظُّ مَكَانَ الْعَوْرَةِ ، مَطْمَعًا فِي إِهْمَالِ مَا كَانَ يُعِدُّ لَهُ مِنَ الْغِرَّةِ ، وَيَتَوَفَّقُ بِهِ مِنْ مُنَاهَزَةِ الْفُرْصَةِ .

ولیکن ماتفییضون فیہ وتعدُّونہ ظہیرًا علی طاعنٍ إن طعنَ فی دولتکم، ما أَلْهِمَ اللهُ أميرَ المؤمنین من شمولِ رعیئته بالعدل، وفرشٍ<sup>(۱)</sup> الأمرِ فی مُضَمَّرَاتِهَا وَمُنْقَلِبِهَا ، وَرَفَعَهُ بِهِ مِنْ سَیْرِ الْجُودِ<sup>(۲)</sup> ، وَبَسَطَ بِهِ يَدَهُ مِنْ إِثَابَةِ أَهْلِ الْبَلَاءِ ، وَتَفَعَّدَ<sup>(۳)</sup> الْجَرَائِمَ لِأَوَّلِي الزَّلَّلِ ، وَالْإِبْلَاحِ فِي دَعَاءِ مَنْ عَانَدَ وَشَاقَّ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ ، وَإِقَالَةِ الْعَثْرَةِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ ، وَالْحَقْنِ لِمَبَاحِ الدَّمَاءِ ، فَلَمْ تَعْلَمُوهُ صَبْرًا مُجَلًّا<sup>(۴)</sup> وَلَا هَتَكَ لِأَحَدٍ مِمَّنْ أَظْهَرَهُ اللهُ بِهِ سِتْرًا ، وَلَا وَقَفَهُ عَلَى عَوْرَةٍ . ثُمَّ تَوَلَّى اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حُرُوبِهِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، الَّتِي أَغْنَاهُ اللهُ عَنِ الْإِطْنَابِ فِي وَصْفِ صُنْعِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا ، لِاسْتِنَاضَةِ أَخْبَارِهَا فِي دَهْمَائِكُمْ<sup>(۵)</sup> ، مَعَ مَا أَحَبَّ مِنْ مَطَالَعَتِهِ إِيَّاكُمْ بِبَالِغِ أَدَبِهِ ، وَشَاقِي عَطْفِهِ ، أَنْ يَتَكَبَّ<sup>(۶)</sup> عَنِ الْإِسْمَابِ ، فِي غَيْرِ مَا صَمَدٍ<sup>(۷)</sup> لَهُ ، وَرَأَى مِنْ تَفْرِيعِ أَسْمَاعِكُمْ وَأَذْهَانِكُمْ ، لَوْ عَنَى مَا التَّمَسُّ أَنْ تَعُوهُ ، مِنْ تَبْصِيرِكُمْ حَظُّكُمْ ، وَتَنْبِيهِكُمْ عَلَى رَشْدِكُمْ ، وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ وَفِيكُمْ اللهُ ، وَكَفَى بِهِ مُبِينًا .

وإن أمير المؤمنین — مع ماتقدّم به إليکم — کعلی ثمة من حیاطة الله خِلافتَه الّتی جعلها عِزًّا لِلدِّينِ ، وَقِيَامًا لِحُلَّتِهِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَدْبَرٍ عَنْ حَقِّهَا اخْتِلَالٌ ، بَلْ مَنْ خَلَعَ رِيقَتَهَا وَأَضَاعَ حَظَّهَا مِنْهَا ، جَلَبَ الْخَلَّةَ<sup>(۸)</sup> وَالْحَاجَةَ وَحَسْرَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنَّمَا أَتَى الْمُقْضِرُونَ فِي إِعْظَامِ حَقِّهَا ، مِنْ ضَعْفِ الرُّوِيَةِ عَنِ بُلُوغِ مَا تُقْضَى بِهِمْ إِلَيْهِ مَصَادِرُ

(۱) فرشہ امرأ : او سمعہ لیاہ .

(۲) ای من الجود السائر الشامل . (۳) تفعدہ : سترہ .

(۴) صبر الإنسان علی القتل : أن یحبس ویرمى حتی یموت ، وقد قتله صبرا وصبره علیہ ، والمحل

المخرج من البشاق والدمعة انظر شرحه بتوسع فی الجزء الأول ص ۴۰۳ - واصل الأصل : محملاً وهو تحریف .

(۵) الدماء : جماعة الناس . (۶) تکب عنه : عدل .

(۷) صمد کنصر : قصد .

(۸) الخلة : الفاقة والحاجة .

العواقب ، وتؤديهم إليه رواجع ماقدّموا ، فلا يكونون بعملهم متجاوزين لهممهم  
- وفيهم الذي هم فيه - إلى ما يمنهم (۱) .

واستدبروا معشر المسلمين سابق النعمة ، بحمد موليها والمتطول بها ، وقد ترون  
ما كنتم فيه قبلها ، وما آتت إليه حال من سلبها ، ثم يعقب الندامة حين لامنتمب (۲)  
ولا نظيرة يمكن فيها استقالة الفارط بتقصير ولا هفوة زلل ، وثقوا من رعاية  
أمير المؤمنين محمود آثاركم ، وما مضى من بلاء كل امرئ منكم ، بما تطمئنون إليه ،  
وتتوقعون عادته ، بأسنى ما ترتفع إليه آمالككم ، وتسمو إليه هممكم ، إلى ما يدخر الله  
لن تملك بهداه ، واعتصم بتقواه ، وجاهد عن حقه ، وافيا بأمر عهده ، من جزيل  
ثوابه ، وكريم مآبه ، إلى الدار التي هي أكبر درجات وأكبر تفضيلاً .

أحب أمير المؤمنين أن يتعهدكم بعظة تنبهكم على حظكم ، وتثبت من بصائركم  
وتقطع من طمع الشيطان وجزبه فيكم ، لما يجب عليه إرشادكم ، ويرجو من تادية  
حق من الله عز وجل فيكم ، ولما يرى من اتصالكم بحبّه ، وما يشمله من الصنيع  
فيما ولاكم الله به ، وتولاه لكم .

وأمر المؤمنين يسأل الله الذي دلّ على الدعاء تطوّلاً ، وتكثراً بالإجابة حمناً ،  
فقال عز وجل : « ادعوني أستجب لكم » أن يجمع على رضاه ألتكم ، وأن يصل  
على الطاعة حبلكم ، وأن يمتنعكم بأحسن ما أودعكم من منته ، ويوزعكم (۳) عليها  
من شكره ، ما يواصل لكم مزيدته ، وأن يكفيعكم كيد الكافرين ، وحسد الباغين ،  
ويحفظ أمير المؤمنين فيكم بأفضل ما حفظ به « إمام هدى » في أوليائه وشيعته ، ويحمل  
عنه ثقل ما حمله منكم . وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي من جزائكم بالحسنى ،

(۱) في الأصل « فلا يكون عملهم غير متجاوزين بهمهم وفيهم الذي هم فيه إلى ما يمنهم » والعبارة كما  
تري مضطربة .

(۲) أي استغاب ، واستغيبه : طلب لايه العتي . وهي الصنع والرضا . والنظرة : التأخير .

(۳) أي يلهمكم .

وحمديكم على الطريقة المثلى، وبه يرضى ناصرا وولييا، وكفى بالله وليا، وكفى بالله نصيرا،  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» .

( المنظوم والمنثور ۱۲ : ۱۷۳ )

## ۲۰۹ - تحميد لأحمد بن يوسف إلى الولاية عن الخليفة

« أما بعد ، فالحمدُ لله ذى المنن الظاهرة والألحجج القاهرة ، الذى قَطَعَ بينه وبين  
عباده المَعْدِرَةَ ، وَرَادَفَ عليهم البيئَةَ ، وَمُهَلَّةَ النَّظِرَةَ<sup>(۱)</sup> ، وجعل ما آتاهم من حظوظ  
الدنيا بالتَّسْمِ والكَتُوبِ ، وما ذَخَرَ لهم من ثواب الآخرة بالنُّجْحِ المطلوبِ ، فهم  
في العاجلة سُرُكَاءُ في النعمة ، وفي الآجلة شَتَّى في الرحمة يختص بها أهلها المنتفعين بما ضَرَبَ  
لهم من الأمثال ، وتصريفِ الحلال بعد الحلال ، المبادرين بأعمالهم إلى انقضاء مُدَدِ آجالهم ،  
قبل حلول ما يَتَوَقَّعُ ، وفوتِ ما لا يُرْتَجَعُ » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۶۹ )

## ۲۱۰ - تحميد لأحمد بن يوسف

ولأحمد بن يوسف عن ذى الرياستين إلى إبراهيم بن اسمعيل بن داود صدر فتح .  
« أما بعد ، فالحمد لله الذى حفظ من دينه ماضِيع المُلْحَدُونَ ، وَرَأَبٌ<sup>(۲)</sup> منه  
ما [ نلته ] الصَّدَعَةُ ، وأعاد من حَبْلِهِ<sup>(۳)</sup> ما حاولوا نَقْضَهُ . حتى أعاد لعباده أَحْسَنَ الْفِتْهِمِ ،  
وَرَدَّ إِلَيْهِمْ أَجْمَلَ عَوْدِهِمْ ، من الاستِشْلَاءِ<sup>(۴)</sup> بعد التردى فى قُحْمِ المعاطِبِ . والاستنقاذ  
بعد التوريط فى المهالكِ ، وبلغ خليفته القائم بحقه ، المؤتمم بكتابه ، الذائد<sup>(۵)</sup> عن حرِيمِ

(۱) النظرة : التأخير .

(۲) رأبه : أصله ، وما بين القوسين بياض الأصل ولعله لأنه كما أنبتنا ، والصدعة جمع صاعد ،

(۳) المراد به الدين .

من صدعه : إذا شقه .

(۴) استشلأه : استنقذه من الهلكة ، والتجم جمع قحمة بالضم : وهى الاقتحام فى الشئ ، والمهلكة

(۵) أى الدافم .

الدين ، وميراث النبیین ، أجزَلَ ما بَلَغَ الخلفاء الراشدين المَهديين ، من إعلاء الكَلِمَة ، وغَلَبَة الأعداء ، والفوز بالعاقبة التي وَعَدَها المتقين ، وفرغَه لما أشعَر قلبه ، وشرَح له صدره ، من إمضاء حُكم الفرائض الموجبة ، وأقتفاء الشَّئْن الهادية ، حيث سَلَكَ به من المناهج ، حَمداً يُوازِي نِعَمَهُ ، وَيَبْلُغُ أَدَاءَ شُكْرِهِ ، وَيُوجِبُ مَزِيدَهُ .

والحمد لله على ما خصنا به من إعلاء الدرجة ، وإسناء<sup>(١)</sup> الرُّتَبَة ، في مشايمة أمير المؤمنين - أيده الله - والمجاهدة عن حتمه ، والوفاء لله بما عقدهُ له ، لا نريد بما كان منا إلا وجهه ، ولا نَسَى فيه إلا لِرِضاهُ ، حَمداً لا يُحْصَى عَدَدُهُ ، ولا يَنْقُطِعُ أَمَدُهُ .  
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٨٤)

### ٢١١ - تحميد لأحمد بن يوسف في فتح السند

« الحمد لله وليَّ الحمد ، وأهل الثناء والمجد ، خالق الخلق ومُدبِّر الأمر ، المُسَبِّح<sup>(٢)</sup> على عبادته ، والموجب عليهم حُجَّتَهُ ، فليسوا يرجون إلا سَعَةَ فضلِهِ ، ولا يحذرون إلا ما اجترَحُوا<sup>(٣)</sup> من معصيته ، لِما سَبَقَ من جَزِيلِ إحسانِهِ ، وتَظَاهَرَ<sup>(٤)</sup> من امتنانه ، وتقدَّم به الإِعذارُ والإِنذارُ اللذان لا يَسْتخِفُّ بِما عَظُمَ مِنهُما إلا مَنْ اسْتَحْوَذَ<sup>(٥)</sup> عليه الشيطانُ ، واستولى عليه الخِذلانُ ، وقاده الحُيْنُ<sup>(٦)</sup> إلى مَوَارِدِ الهَلَكَةِ . »  
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٨٣)

### ٢١٢ - تحميد لكاتب خزيمه بن خازم في فتح الصنارية<sup>(٧)</sup>

« أما بعد ، فالحمد لله ذي المَلَكُوتِ والقُدْرَةِ ، والجَبَرُوتِ والعِزَّةِ ، والساطِئانِ

(١). أسناه : أعلاه ورفعه .

(٢) أي المسبح عليهم نعمه ، وأسبح الله النعمة : أتتها . (٣) أي اكتسبوا واقتربوا .

(٤) أي تضاعف . (٥) أي استولى . (٦) الحين : المحنة والهلاك .

(٧) خزيمه بن خازم : هو أحد قواد الدولة العباسية ، وقد جاء في تاريخ الطبري (١٠ : ١٩٢) أنه لما حاصر طاهر بن الحسين بغداد استأمن إليه خزيمه وفارق الأمين وخامه ودعا إلى المؤمن سنة ١٩٨ ، وقد توفي سنة ٢٠٣ . انظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨ : ٣٤١ ، ولم يذكر ياقوت في الصنارية في معجمه .

والقوة ، أهل المحامد كآباً ، ومدبر الأمور ووليها ، وحائق الخلائق وبارئها ،  
ومميتها ومُحْيِيها ، وباعثها ووارثها ، الذي أوجب على نفسه بما نفذ من مشيئته ، وسبق  
من علمه ، وثبت في اللوح المحفوظ عنده إعزاز دينه ، وإظهار حقه ، وإعلاء كلمته ،  
وإلاج<sup>(۱)</sup> حجته ، وإزهاق باطل أعدائه ، الصادقين<sup>(۲)</sup> عن طاعته ، والجاحدين لربوبيته ،  
المكذِّبين بكتبه ورسوله ، بلغ بذلك أمره ، ونطق به كتابه ، فإنه يقول تبارك اسمه  
في المنزل من فرقانه : « بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ  
وَأَلْكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ » . ( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۶۹ )

### ۲۱۳ - كتاب للفضل بن سهل

ووجه الفضل بن سهل إلى رجل بجائزة ، وكتب إليه :  
« قد وجهت إليك بجائزة ، لا أعظمها تكثراً ، ولا أقلها تجبُّراً ، ولا أقطع لك  
بمدها رجاء ، ولا أستثيبك عليها ثناء ، والسلام » .  
( تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ۱۲ : ۳۴۲ )

### ۲۱۴ - كتاب إبراهيم بن إسماعيل بن داود

#### إلى ذي الرياستين

وكتب إبراهيم<sup>(۳)</sup> بن إسماعيل بن داود إلى ذي الرياستين :  
« وصل إلى كتابك بخط يدك المباركة ، فلم أر قليلاً أجمع ، ولا إيجازاً أكفأ  
من إطناب ، ولا اختصاراً أبلغ في معرفة وفهم منه ، وما رأيت كتاباً على وجازته  
أحاط بما أحاط ، وضربتُ ظنِّي في فلان فعظم ذلك سروري ، وقد يستعطف الظالم ،

(۱) أبلعه : أوضعه . (۲) صدف عنه كضرب : أعرض .

(۳) ذكره ابن النديم في الفهرست ص ۱۷۹ قال « إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب ، وله

تقدم في البراعة والبلاغة » .



وَيُسْتَعْتَبُ الْمُتَجَنِّيُّ <sup>(۱)</sup> ، وَفِي رِفْقِكَ وَعِلْمِكَ بِالْأُمُورِ مَا يُصْلِحُ الْفَاسِدَ ، وَيُدَلِّلُ الصَّعْبَ ، وَيُقْبِلُ الْمُدْبِرَ ، وَلَا يَمْنَعُكَ جَوْرُ مَنْ جَارَ عَلَيْكَ ، مِنْ الْإِعْتِقَادِ فِي الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، وَالْأَخْذِ بِالثِّقَةِ فِي أَمْرِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْعَلْ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ مَنَقَصَةً وَلَا غَضاضَةً ، بَلْ فِيهِ الْإِعْذَارُ وَالْإِنْدَارُ وَالْإِسْتِبْصَارُ وَقِضَاءُ حَاجَةِ النَّفْسِ ، مَعَ التَّأْدِيَةِ إِلَى السَّلَامَةِ ، وَالْأَمْنِ مِنَ النَّدَامَةِ . ( اِخْتِيَارُ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ۱۲ : ۲۶۲ )

## ۲۱۵ - كِتَابُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ

وَكُتِبَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ :  
 « يَا فَنِي مَا أَظْهَرْتَ مِنَ الْوَعِيدِ وَالْحَمِيَّةِ ، فَحَمَلْتَ ذَلِكَ مِنْكَ عَلَى شَرَفِ الْحَسَبِ ، وَكِرَمِ النَّسَبِ ، فَإِنَّ لِأَشْرَافِ الْعَرَبِ سَطَوَاتٍ لَا يَمْلِكُ كَوْنُهَا ، وَكُلُّ مَا أَتَيْتَ فَشِبِيهِ بِكَ وَبِمَوْضِعِكَ ، وَقَدْ قِيلَ : « اخْذِرْ صَوْلَةَ اللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ » وَأَنْتَ أَبَا حَسَنِ - مَدَّ اللَّهُ فِي عَمْرِكَ - مِنْهُمْ ، وَلَكَ فِي مَعَادَاةِ الرِّجَالِ لَذَّةٌ أَرْجُو أَنْ يَجْعَلَهَا اللَّهُ سَبِيلًا لِهَلَاكَكَ ، وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ لَمْ يُحْدِثْ لَكَ نَفْسًا غَيْرَ نَفْسِكَ ، وَلَا أَبَا غَيْرِ أَبِيكَ ، وَقَدْ تَجَرَّيَ الْمَقَادِيرُ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّفَلَةِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْحِظِّ ، يَجْعَلُهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَبِأَلَا ، وَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نَكَالًا ، يَهْتِكُ بِهَا أَسْتَارَهُمْ ، وَيُخْرِجُ بِهَا أَضْفَانَهُمْ ، إِذَا ضَمَّتْهُمْ مِضَامِنُ النَّوْمِ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُدْلِحُهُمْ بِأَهْلِ الْفَضْلِ غَيْرُ التَّعْجِيزِ وَالْفَخْرِ ، وَوَاللَّهِ مَا دَعَانِي إِلَى هَذَا أَنِّي أَرَى الْأَنْتِقَامَ مِنْكَ حِظًّا ، وَإِنِّي أَلْكِنِي أَحَبِّتُ أَنْ أَعْرِفَكَ مِنْ نَفْسِكَ مَا أَصْبَحْتَ بِهِ جَاهِلًا ، وَأَصْبَحَ لِلنَّاسِ بَادِيًا ، وَإِنَّ أَنْكَرْتَ نَصِيحَتِي <sup>(۲)</sup> لَقَدْ وَضَعْتُهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ عَلَى ابْتِلَائِهِ الدُّنْيَا ، وَتَدْنِيهِهِ النِّعْمَةَ ، وَحَطُّهُ الْمَرَاتِبَ وَالْأَقْدَارَ بِكَ ، أَعَاذَنَا بِمَا ابْتَلَاكَ بِهِ .

( الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ۱۳ : ۴۲۲ )

(۱) استعتهبه : طلب إليه العتيبي ( بالضم ) وهي الرضا والصفح ، وتجنني عليه : ادعى ذنبا لم يفعله .

(۲) في الأصل « فضيحتي » وهو تحريف .

## ۲۱۶ - رد ابن الهيثم عليه

فأجابه هلى بن الهيثم :

« قرأتُ كتابك الذى تنظرُف ، وبيجوابك عنه تتشرف ، ولولا ما نسبتنى إليه من الكبر ما كان له معنى ، إن الله جعانى فى أصلِ حرَمك نيَله ، ولم يُلبسك فضله ، فلزِمْتُ الموضع الذى وضعنى الله به ، جهله من جهله وَعَالِمُهُ مَنْ عَالِمُهُ ، إذ أنت تنتقل من نسب إلى نسب ، ومن أب إلى أب ، بلا أصل ثابت ، وما مثلك إلا مثل إبليس ، لنا أذله الله لآدم عليه السلام ، فأسجده وأبان فضله عليه ، أحقده فخيرَ دنياه وآخرته ، إذ كاده وكاد ولده ، فلم يَبْأخ له من كِيادته<sup>(۱)</sup> أكثرَ من قيادته ، والكسب اللوم ، والفعل المأثوم ، وما تُغْنِي أساطيرُك وأقاويلُك ، فلو كنت بأصول أبيك وأمك تَدْفِظ ، أو عنها تنطق ، أطلال عليك أن تتكلم أو تعلم ، فاشكر الله واشكر اللسان الذى انتحلته ، ونبت به ولست من أهله ، أمّا أنا فلم أعدُ ما كان عليه أبى من قوله فى نفسه ، وشرفه فى رُتبه ، وأنا بموضع من الكتابة وفى الشرف من العمالة ، وبمكان من أولاد الخلافة ، أخلو فى قلوبهم ، وأعدب فى ألسنتهم ، وأنولى الدواوين ، وأخالط السلاطين ، وأحكم فى أمر الدنيا والدين ، وأنت لاتصلح لمعاش ، ولا تُرجى فى معاد ، دنس فَعَلَك لثيمُ أصلِك ، تهجو العرب بلسانهم ، وتفتخر عليهم بكلامهم فإذا أخذك عقابُ الله بأيديهم ، ووجب عليك حقه فيهم ، [ اتخذت الإيمان ، وابتداله دينه<sup>(۲)</sup> ] فحسبك ما أحببت من ذهاب آخرتك ، واؤم طبعك ، ولو أردت قَتَلَكَ لم أقتلك ، أو أصل إلى قتلك ، بأكرم من لؤم فعلك وأصلك ؛ فافخر بهذا جواباً ، على أنى لا أريك له أسبابا ، والسلام على كل عاقل كريم سليم الأصل ، ولرسول الله صلى الله عليه ، والإسلام وأهله . .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۲۲ )

(۱) الذى فى كتب اللغة أن مصدر كاد كيدا لا كيادة .

(۲) هكذا فى الأصل ، والمعنى غير متسق ، وأغاب الظن أنه قد سقط من النسخ هنا كلام .

## ۲۱۷ - كتاب الحسن بن سهل إلى أخيه الفضل

وكتب الحسن بن سهل إلى أخيه ذى الرياستين فى تهنئة بمولود :  
« إنه ليس من نعم الله وفوائده قسمه - وإن خص موقعا ، ووجب شكرها -  
نعمة تعدل النعمة فى الولد لتمامها فى العدد ، وزيادتها فى قوة العضد ، وما يتعجل به من  
عظيم بهجتها ، ويرجى من باقى ذكراها فى الخلوفا والأعقاب ، ولاحق بركتها فى  
الدعاء والاستغفار ، وإن الله قد أفادك وأنالك غلاما سريا سمىته فلانا ، فكان ميلاده  
عند فتح الله على أمير المؤمنين ، فرجوت أن تكون موافاته بالنصر الذى أظهرنا الله  
به على عدو الدين والمسلمين ، من دلائل برّكته وئمنه ، وشواهد سعادته والسعادة به ،  
فبارك الله لأمر المؤمنين فى طارف نعمته وتالدها ، وشفع له قديم منته بحادتها ،  
ورزقه ذكورا طيبين مهذبين يأنس بهم ربعة<sup>(۱)</sup> ، ويتصل بهم نجاحه ، ويعلمهم  
ذرية زاكية ، وبقية سالحة » .

( اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۰۳ )

## ۲۱۸ - كتاب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن

وكتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال :  
« إن الله قد جعل جَدَّك عالیا ، وجعلك فى كل خير مُقَدِّمًا ، وإلى غاية كل فض  
سابقا ، وصيرك - وإن نأت بك الدار - من أمير المؤمنين وكرامته قريبا ، وقد جَدَّد  
لك من البرِّ كَيْتَ وكَيْتَ ، وكذا يحوزُ الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف ،  
أكثره وأشرفه ، إن شاء الله » .  
( عيون الأخبار ۱ : ۹۴ )

(۱) الربع : المنزل .

## ۲۱۹ - عهد المأمون لعلی بن موسی الرضی

وفي سنة ۲۰۱ هـ جعل المأمون - وهو بخراسان - علی بن موسی بن جعفر بن محمد ابن علی بن الحسين بن علی بن أبي طالب رضی الله عنه ولیاً عهد المسلمين والخليفة من بعده وسمّاه الرضی من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتب له كتاباً بخطه ، وذلك أنه نظر في بني العباس وبني علی ، فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أوزع ولا أعلم منه ، وأمر الناس بطرح السّواد ولبس ثياب الخضر ، وكتب بذلك إلى الآفاق .

وهذه نسخة عهده لعلی بن موسی :

« هذا كتابٌ كتبته عبد الله بن هرون الرشيد أمير المؤمنين بيده إلهي بن موسی ابن جعفر ولی عهد .

أما بعدُ : فإن الله عزّ وجلّ اصطفى الإسلام ديناً ، واصطفى له من عباده رُسلًا دالّين عليه ، وهادين إليه ، يُبشّر أولهم بأخيرهم ، ويصدّق تاليمهم ماضيهم ، حتى انتهت نبوءة الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، على فترة من الرُّسل ، ودروس (۱) من العلم ، وانقطاع من الوحى ، واقتراب من الساعة ، فختم الله به النبيين ، وجعله شاهداً لهم ومهمّيناً (۲) عليهم ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ » فأحلّ وحرّم ، ووعد وأوعد ، وحذّر وأنذر ، وأمر ونهى ، لتكون له الحجّة البالغة على خلقه ، و « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا » ، وإن الله لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ، فبلغ عن الله رسالته ، ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، ثم بالجهاد والغلبة حتى قبضه الله إليه ، واختار له ما عنده صلى الله عليه .

(۱) أى اعما .

(۲) أى شامدا .

فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي والرسالة ، جعل قوام الدين ، ونظام أمر المسلمين ، بالخلافة وإتمامها وعزها والقيام بحق الله فيها ، بالطاعة التي تقام بها فرائض الله وحدوده ، وشرائع الإسلام وسننه ، ويجاهد بها عدوه ، فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده ، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله ، وأمن السبل ، وحسن الدماء ، وصالح ذات البين وجمع الألفة ، وفي إخلال ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم ، واختلاف ملتهم ، وقهر دينهم ، واستعلاء عدوهم ، وتفرق الكلمة ، وخسران الدنيا والآخرة . فحق على من استخلفه الله في أرضه ، وأتمنه على حلقه ، أن يؤثر ما فيه رضا الله وطاعته ، ويعدل فيما أُلِّهُ واقفه عليه ، وسائرله عنه ، ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمَّله الله وقلده ، فإن الله عز وجل يقول لنبية داود عليه السلام :

« يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ » وقال عز وجل : « فَوَرَبُّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال : « لو ضاعت سَخْلَةٌ (۱) بجانب الفرات لنخوفت أن يسألني الله عنها » وإيم الله إن المسئول عن خاصة نفسه ، الموقوف على عمله ، فيما بين الله وبينه ، لمعرض لأمر كبير ، وعلى خطر عظيم ، فكيف بالمسئول عن رعاية الأمة ؟ وبالله الثقة ، وإليه المنزع والرغبة في التوفيق مع العِصمة ، والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجَّة ، والفوز من الله بالرضوان والرحمة .

وأنظر (۲) الأئمة لنفسه ، وأنصحهم في دينه وعباده وخلافته في أرضه ، من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه عليه السلام في مدة أيامه ، واجتهد وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهدَه ، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده ، وينصبه علماء لهم ،

(۱) السخلة : ولد الشاة . اكان . (۲) أي أحسنهم نظرا .

وَمَفْرَعًا فِي جَمْعِ أَلْفَتِهِمْ ، وَلَمْ شَمَّتْهُمْ ، وَحَقَّنْ دِمَائِهِمْ ، وَالْأَمْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ فُرْقَتِهِمْ ،  
 وَفَسَادِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَاجْتِلَافِهِمْ ، وَرَفَعَ نَزْغَ<sup>(۱)</sup> الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ عَنْهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
 جَعَلَ الْعَهْدَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ تَمَامِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَكُلِّهِ وَعِزِّهِ وَصَلَاحِ أَهْلِهِ ، وَاللَّهُمَّ خَلْفَاءَهُ مِنْ  
 تَوْسِيئِهِ لِمَنْ يَخْتَارُونَهُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، مَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَشَمِلَتْ مِنْهُ الْعَافِيَةُ ، وَتَقَضَّى  
 اللَّهُ بِذَلِكَ مَرَّةً<sup>(۲)</sup> أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالْعِدَاوَةِ ، وَالسَّعْيِ فِي الْفُرْقَةِ وَالرَّفْضِ<sup>(۳)</sup> لِلْفِتْنَةِ .  
 وَلَمْ يَزَلْ<sup>(۴)</sup> أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذُ أَفْضَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةَ فَاخْتَبَرَ بِشَاعَةَ مَذَاقَتِهَا ، وَثِقَلَ  
 كَمَحَلِّهَا<sup>(۵)</sup> ، وَشَدِيدَةَ مَثْوُونَتِهَا ، وَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ تَقَلَّدَهَا مِنْ ارْتِبَاطِ طَاعَةِ اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ فِيهَا  
 حَمَلِهِ مِنْهَا ، فَأَنْصَبَ بَدَنَهُ ، وَأَسْهَرَ عَيْنَهُ ، وَأَطَالَ فِكْرَهُ فِيهَا فِيهِ هِزُّ الدِّينِ ، وَقَمْعُ  
 الْمُشْرِكِينَ ، وَصَلَاحُ الْأُمَّةِ وَنَشْرُ الْعَدْلِ ، وَإِقَامَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَمَنْعَهُ ذَلِكَ مِنْ  
 الْخَلْفِ وَاللِّدَاعَةِ بِهَيْئِ الْعَيْشِ : عَالِمًا بِمَا اللَّهُ سَائِلُهُ عَنْهُ ، وَحُبَّةً أَنْ يَلْقَى اللَّهَ مُنَاصِحَةً  
 فِي دِينِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَمُخْتَارًا لَوْلَايَةِ عَهْدِهِ ، وَرِعَايَةَ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ أَفْضَلَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ  
 فِي دِينِهِ وَوَرَعِهِ وَعِلْمِهِ ، وَأَرْجَاهُ لِلْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَحَقِّهِ ، مُنَاجِيًا اللَّهَ بِالِاسْتِخَارَةِ فِي ذَلِكَ ،  
 وَيَسْأَلُهُ إلهَامَهُ مَا فِيهِ رِضَاهُ وَطَاعَتُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَمُعْمِلًا فِي طَلْبِهِ وَالتَّمَاسِهِ مِنْ أَهْلِ  
 بَيْتِهِ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِكْرَهُ وَنَظَرَهُ ، وَمَقْتَصِرًا فِيمَنْ  
 عَلِمَ حَالَهُ وَمَذْهَبَهُ مِنْهُمْ عَلَى عِلْمِهِ ، وَبِالْفَأْ فِي الْمَسْأَلَةِ عَمَّنْ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ جُهْدَهُ وَطَاقَتَهُ ،  
 حَتَّى اسْتَقْصَى أُمُورَهُمْ بِمَعْرِفَتِهِ ، وَابْتَلَى<sup>(۶)</sup> أَخْبَارَهُمْ مَشَاهِدَةً ، وَكَشَفَ مَا عَفَدَهُمْ مُسَاءَلَةً  
 فَكَانَتْ خَيْرَتُهُ بَعْدَ اسْتِخَارَتِهِ لِلَّهِ وَإِجْهَادِهِ نَفْسَهُ فِي قَضَاءِ حَقِّهِ وَبِلَادِهِ ، مِنْ الْبَيْتَيْنِ

(۱) نَزْغُ الشَّيْطَانِ بَيْنَهُمْ كَمَنْعٍ : أَفْسَدَ وَأَغْرَى وَوَسَّوَسَ . (۲) الْمَرَّةُ : الْحَبْلُ .  
 (۳) رَفَضَ الرَّجُلُ غَنَمَهُ وَإِبِلَهُ كَفَضَرَ وَنَصَرَ رَفَضًا : تَرَكَهَا تَبَدُّدًا فِي مِرَاعِيهَا تَرَعَى حَيْثُ شَاءَتْ  
 وَلَا يَثْنِيهَا عَنْ وَجْهِ تَرْيِدِهِ . وَالْمَعْنَى هُنَا : وَتَرَكَ الْفِتْنَةَ تَسِيرًا فِي النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهِ .  
 (۴) لَمْ يَزَلْ : لَمْ يَرُدَّ الْخَبْرُ فِي الْكَلَامِ ، وَلَعَلَّهُ مَحْذُوفٌ لِأَنَّهُ مَفْهُومٌ مِنَ السِّيَاقِ .  
 (۵) الْمَحَلُّ كَجُلُوسٍ : شَقَانٌ عَلَى الْبَعْرِ يَحْمَلُ فِيهَا الْعَدِيلَانَ ، وَالْمَعْنَى : وَثِقَلَ عَيْشُهَا وَحَمَلُهَا ، وَالثُّنُونَةُ :  
 الثَّقَلُ وَالْحَمْلُ .  
 (۶) أَيُّ اخْتَبَرَ .

جميعا: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما رأى من فضله البارِع ، وعلمه الناصِح<sup>(۱)</sup> وورَعِه الظاهر ، وزُهده الخالص ، وتخلّيه من الدنيا ، وتسلّمه من الناس ، وقد استبان له ما لم تزل الأخبارُ عليه متواطئةً ، والألسُنُ عليه متفِقَةٌ ، والكلمة فيه جامعةٌ ، ولما لم يزل يعرّفه به من الفضل يافِعًا<sup>(۲)</sup> وناشئًا وحدثنا ومُكْتَهَلًا ، فعقد له بالعقد والخلافة إيثارًا لله والدين ، ونظرًا للمسلمين ، وطلبًا للسلامة وثبات الحُجّة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناسُ فيه لربِّ العالمين .

ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه ، فبايعوه مُسرِعين مسرورين ، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيره ، عَمَّنْ هو أشبِكُ به رَحِمًا ، وأقربُ قرابةً ، وسَمَاءُ « الرَضِيَّ » إذ كان رَضِيًّا عند أمير المؤمنين .

فبايعوا معشرَ بيت أمير المؤمنين ومن بالمدينة المحروسة من قواده وجنده وعامة المسلمين « الرَضِيَّ » من بعده ، على اسم الله وبرّ كته وحُسن قضائه لدينه وعباده ، بيعةً مبسوطةً إليها أيديكم ، منشريحةً لها صدوركم ، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها ، وآثرَ طاعة الله والنظرَ لنفسه ولكم فيها ، شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من نصيحته في رعايتكم ، وحِرصه على رُشدكم وصلاحكم ، راجين عائِدَةً في ذلك في جمع أنفسكم ، وحُسنِ دمانكم ، ولمْ شَعْنكم ، وسدِّ ثغوركم ، وقُوَّةِ دينكم ، ورَغْمِ عدوكم ، واستقامة أموركم ، وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، فإنه الأمرُ إن سارعتم إليه ، وحَدِّثتم الله عليه ، عرَفتم الحظَّ فيه إن شاء الله تعالى .

( صبح الأعشى ۹ : ۳۶۲ )

(۱) الناصح : الخالص من كل شيء .

(۲) يفع الغلام يفعم كمنم وأبغم فهو يافع : شب . واكنهل : صار كهلًا ، وهو من جاوز الثلاثين أو أربعًا وثلاثين إلى إحدى وخمسين .

## ۲۲۰ - صدر رسالة لإبراهيم بن المهدي في الخميس

فلما علم العباسيون ببغداد بما فعل المأمون ، من نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي ، وتغيير لباس آباء وأجداده بلباس الخضر ، أنكروا عليه ذلك ، وخلصوه من الخلافة ، وبايعوا عمه إبراهيم<sup>(۱)</sup> بن المهدي ، وقد أنشأ إبراهيم لنفسه رسالة للخميس ، صدرها :

« الحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً لنفسه ، ورَضِيَ أن يعبدَه مَنْ في سَمَوَاتِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَمَنْ فِي أَرْضِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَمَنْ آمَنَ بِالنُّورِ الَّذِي هَدَاهُمْ لَهُ مِنَ الثَّقَلَيْنِ<sup>(۲)</sup> ، واختار لرسالته في سابق علمه ، والذَّكْرَ الْحَكِيمَ عِنْدَهُ ، مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْصُولَةً (بكدا) فَقَالَ : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۷۹ )

(۱) توفي سنة ۲۲۴ هـ في خلافة المعتصم - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۸ .

(۲) الإنس والجن .



## ۲۲۱ - رسالة الشكر لأحمد بن يوسف

ولما قتل الفضل<sup>(۱)</sup> بن سهل (سنة ۲۰۲) ، استوزر المأمون بعده أخاه الحسن<sup>(۲)</sup> ابن سهل جبراً لمصابه بقتل أخيه ، فأمر الحسن أحمد بن يوسف فكتب عن لسانه رسالة يشكر فيها للمأمون صنعه ، وهي :

« أما بعد ، فالحمد لله القاهر القادر الخالق الرازق ، فاطر السموات والأرض ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، ونطق به خيراً ، وأتقنه حكمةً وعلماً ، وألف بين مختلفه ومختلفه ، ليدلّ بقوام بعضه على بعض على اتصال تدير مشيئته ومبتدعه ، وأنه أحد صمد<sup>(۳)</sup> ، لا ضد له ولا ند ، إذ قدر له حاجته ، ثم شدّها ببلاغها إلى الغاية التي جعلها ، فقال الله

(۱) وذلك أنه لما ثارت الفتنة ببغداد كما قدمنا ، كتم الفضل بن سهل عن المأمون أخبارها مدة ، وكان متى علم أن أحداً قد دخل عليه أو أعلمه بخبر سعى في مكروهه وعاقبه ، فامتنع الناس من كلام المأمون ، واطوت عنه الأخبار ، فدخل عليه على بن موسى الرضى وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن الناس ببغداد قد أنكروا عليك مبايعتي بولاية العهد وتغيير لباس السواد ، وقد خلعوك وبايعوا عمك إبراهيم ابن المهدي ، وأحضر إليه جماعة من القواد ليخبروه بذلك ، فلما سألهم المأمون أمكروا ، وقالوا : نخاف من الفضل ، فإن أمتنا شره أخبرناك ، بأنهم وكتب لهم خطه ، فأخبروه بحقيقة الحال وعرفوه خيانة الفضل وتسميته الأمور عليه ، وصنعه الأخبار عنه وقالوا له الرأي أن تسير بنفسك إلى بغداد ، وتستمررك أمرك ، وإلا خرجت الخلافة من يدك ، فشخص من مرو إلى العراق ، فلما كان بسم خس دس على الفضل جماعة فقتلوه في الحمام ، ثم أخذهم وقدمهم ليضرب أعناقهم ، فقالوا له : أنت أمرتنا بذلك ثم تقتلنا ! فقال لهم : أنا أقتلكم بإقراركم ، وأما ما ادعيتموه على فدعوى ليس لها بينة ، ثم صرب أعناقهم وحل رؤسهم إلى أخيه الحسن بن سهل بواسط وكتب يمزيه ويؤايبه مكانه . وتزوج ابنته بوران بنت الحسن ، ودس إلى علي بن موسى سما في عنب - وكان يحب العنب - فأكل منه واستكثر فوات من ساعته ، وكتب إلى بني العباس ببغداد يقول لهم : إن الذي أنكروتموه من أمر علي بن موسى قد زال ، وإن الرجل قد مات ، فأجابوه أغلظ جواب ، وجد المأمون في المسير إلى بغداد قبلها ، وقد هرب إبراهيم بن المهدي والفضل ابن الربيع ، فلما دخل المدينة (سنة ۲۰۴) تلقاه العباسيون وكلموه وترك لباس الحضرة والعود إلى السواد ، فأجاب إلى ذلك وأمر الناس بالعود إلى لباس السواد ، ثم إنه عفا عن عمه إبراهيم وأحسن إليه وكذلك فعل مع الفضل بن الربيع .

(۲) توفى الحسن سنة ۲۳۶ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۱۴۱ والفخرى ص ۲۰۳ وتاريخ بغداد الخطيب البغدادي ۷ : ۳۱۹ .

(۳) الصمد : السيد الذي يقصد في قضاء الحاجات .

عز وجل « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ » وحكى عن نبيّه موسى عليه السلام : « قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى » وقال الله تعالى : « وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلاً » ثم لم يكلف العباد من شكره كفاء نعمته ، بل رضى منهم باليسير ، وقبّل منهم العفو ، وجعل طاعتهم إياه عائدة عليهم بجزيل الحظّ في دينهم ودنياهم اغناء عن عبادتهم ، واتّسع قدرته بالتطوّل عليهم ، مفتتحةً وخاتمةً ، وبأدنا وعائداً .

والحمد لله الذى اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم ، نبياً رسالته ، وأتمنه على وحيه ، وأنزل عليه كتابه العزيز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فأدى إلى خلقه الرسالة ، واستنقذهم من الضلالة ، وصدّح بأمر ربّه ، وجاهد في سبيله ، ونصح لأمته ، حتى أتاه اليقين من ربّه ، بعد استنارة الحقّ ، وظهور الحجّة ، فصلى الله عليه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، قد تلاقى من الهاكتة ، وجمع الألفة بعد الفرقة ، وأوضح الهدى بعد الدروس<sup>(۱)</sup> ، ومعالج الرشد بعد الطموس ، وكان بالموثمين رحيماً .

والحمد لله الذى قفى على آثار المرسلين ، والأئمة الراشدين ، الهادى التقيّ ، الطاهر الزكىّ ، الإمام المأمون أمير المؤمنين - أعزّ الله نصرته - فسدّ ثلثتهم ، ورأب صدعهم<sup>(۲)</sup> ، وقلده خلائقهم ، وجعله لكافة المسلمين غيآثاً ورحمةً ، وجعل ما ألهمه من العدل والإحسان إليهم ، منةً عليه ورحمةً ذخرها له دون الخلفاء قبله ، فيما أظهر من فضل زمانه على الأزمنة ، وسياسة من تقدمه ، ومنع الرعية من عطفه ونظره ما لا يحمل عنهم أوبه<sup>(۳)</sup> ، ولا يؤدّى عنهم شكره ، إلا هو لا شريك له ، وأحسن الله جزاء أمير المؤمنين ومثوبته ، على صفة رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى

(۱) الدروس : الاعاء .

(۲) الصدع : الشق ، ورأبه كمنه : أصله . (۳) أى ترجيعه وترديده .

رَحْمَهُ وَقَرَابَتَهُ ، واختيارِهِ لولايةِ هِدْيَةِ الأَمِيرِ الرَضِيِّ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى - حَفِظَهُ اللهُ - حينَ أَحَدَ سِيرَتِهِ <sup>(۱)</sup> ، وَرَضِيَ مَحَبَّتَهُ ، وَعَرَفَ اسْتِقْلَالَهُ <sup>(۲)</sup> بِمَا قَلَّدَهُ فِي هَدْيِهِ وَدِينِهِ ، وَوَفَاءَهُ بِمَا كَدَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَيْدَهُ اللهُ - فِي اعْتِيَامِهِ <sup>(۳)</sup> مِنْ آزَرِهِ وَأَسَاءَهُ بِمَا شَفَعَ رَأْيَهُ ، وَأَنْقَذَ تَدْيِيرَهُ حينَ هَمَّ لاسْتِصْلَاحِ مَا اسْتَرَعَاهُ اللهُ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ ، لَمَّا انْتَضَى <sup>(۴)</sup> الْقَائِمَ بِدَعْوَتِهِ ، وَرَئِيسَ شَرِيعَتِهِ ، الأَمِيرَ ذَا الرِّيَاسَتَيْنِ - رَحِمَهُ اللهُ - فَاتَّخَذَهُ مَكَانِفًا ظَهِيرًا وَوَزِيرًا دُونَ مَنْ سِوَاهُ ، فَاتَّبَعَ مِنْهَا جَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَيْدَهُ اللهُ - وَسَارَ بِسِيرَتِهِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَغَوْرًا وَتَجْدًا ، مُوفِيًا بِعَهْدِهِ ، قَائِمًا بِدَعْوَتِهِ ، مُقْتَفِيًا لِأَثَرِهِ وَسُنَّتِهِ ، فَحَسَمَ اللهُ بِهِ الأَدْوَاءَ ، وَقَمَعَ بِهِ الأَعْدَاءَ : مِنْ عِتَاةِ الأُمَّمِ ، وَطَوَاغِيَتِ <sup>(۵)</sup> الشُّرْكِ ، وَأَبَارِ <sup>(۶)</sup> عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ أَهْلِ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، فِي كُلِّ أَفُقٍ وَطَرَفٍ ، بِجِدِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَعَزَّهُ اللهُ - وَبَرَكَتِ سِيَاسَتِهِ وَدَوْلَتِهِ ، وَنَجَحَ سَعْيِهِ مَنْ قَامَ بِنُصْرَةِ مَنْ قَامَ بِمَحَبَّتِهِ وَأَنَارَ بِرَهَانِهِ ، حَقَّ تَوْفَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، حينَ بَلَغَ هِمَّتَهُ وَغَابَتَهُ ، وَحَسَمَ <sup>(۷)</sup> أَجَلَهُ وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ ، سَعِيدًا حَمِيدًا ، شَهِيدًا فَقِيدًا ، عِنْدَ إِمَامِهِ - أَكْرَمَهُ اللهُ - وَعِنْدَ الخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ .

وَكَانَ مِنْ إِجْلَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الخَادِثُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ ، فَأَحْيَا آثَارَهُ ، بِوصفِ مَحَاسِنِهِ فِي مَشَاهِدِهِ وَبِجَامِعِهِ ، وَتَرَجَّحَ عَلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ ، وَحَفِظَهُ فِي لِحْمَتِهِ <sup>(۸)</sup> وَأَهْلَ حُرْمَتِهِ ، وَفِيمَنْ كَانَ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى طَاعَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ ، مَا أَتَمَّ بِهِ نَعْمَتَهُ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ مَعَشَرَ الشَّيْعَةِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ أَمْرُهُ بِكُمْ مُتَّصِلًا ، وَمَوْقِعُهُ مِنْ جَمَاعَتِكُمْ [ مَتَمَكِّنًا ] ، يَقْبِضُكُمْ مَا قَبَضَهُ ، وَيَسْطُرُكُمْ مَا بَسَطَهُ مِنْ لَوْعَةِ المَصِيبَةِ ، وَحُسْنِ العُقْبَى ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ -

(۱) أَحَدَ أَمْرِهِ : صَارَ عِنْدَهُ مَعْمُودًا .  
 (۲) اعْتَامَ الشَّيْءَ : اخْتَارَهُ .  
 (۳) مَنْ انْتَضَى السِّيفَ : إِذَا اسْتَلَّهُ ، وَبِمَا كَانَ « اِتَّقَى » .  
 (۴) الطَوَاغِيَتُ جَمْعُ طَاغُوتٍ : وَهُوَ كُلُّ رَأْسٍ ضَلَّالٍ .  
 (۵) أَبَارَهُ : أَهْلَكَ .  
 (۶) حَمَّ : قَبَضَ .  
 (۷) اللِّحْمَةُ : القَرَابَةُ .

معشرَ أهل الحِجَا والنَّهْي والطاعة لله عز وجل وخليفته ، وذوى الغناء<sup>(۱)</sup> والبلاء  
 في دعوته ، من أهل خراسان وغيرهم ممن حضر ، ممن امتحن الله قلبه بوفاء العهد ،  
 والاستبصار في حق أمير المؤمنين أبقاه الله ، والمجاهدةِ دونه ، والصبر على مواطن  
 الصدق والألواء<sup>(۲)</sup> ، والذب عن البيضة والحريم ، والمتحملين للنصب والمصائب التي  
 انجَلَتْ حتى كأن لم تكن ، وبقِيَ أجرُها على الله عز وجل ، ومحمودُ ذكرها شائعا  
 في الناس — أن نِعَمَ اللهُ قد جَلَّتْ ولَطُفَتْ ، وخصَّتْ وعمَّتْ ، وعلتْ وسمَّتْ<sup>(۳)</sup> ،  
 وتمَّتْ ودامت ، حتى قصرنا عن موازينها ، والإحاطة بأدائها ، فإذا لم يكن لنا معشرَ  
 إخواننا سببٌ إلى مكافأةِ بلاءه بالعمل ، فنحن جُدْرَاهُ أن نجتهد في القول ، ونُظنِّبَ  
 في الوصف إن شاء الله جل وعز ، فقد جعل ذِكْرَ النِّعَمِ من أسباب الشكر .

وقد جدَّد لنا أمير المؤمنين — أيده الله — من الجِباء<sup>(۴)</sup> والكرامة وجزِيل الحِيطَةِ  
 ومَنِي الرُّتْبَةِ التي قُرئ بها عليكم كتابه ، ما يستفرقُ جُهدَنَا ، ويستفرغُ وُسْعَنَا ،  
 فترغب إلى الله عز وجل وَلِيَّ الرِّغْبَةِ ، ومُؤْتِي السُّؤْلِ والطَّلِبَةِ ، في إعانتنا على تاديةِ  
 ما وَجِبَ له ، فيما منَحْنَا من فوائده ونِحْلِهِ<sup>(۵)</sup> ، ثم نَسْتُرْفِدُكُمْ<sup>(۶)</sup> ونستمينكم على شكره ،  
 وإمدادنا بما بَلَغَتْه طاقتكم في السعي له ، فقد آدَانَا<sup>(۷)</sup> ثِقْلُ مَا حَمَلْنَا ، وثِقْلُ مَا طَوَّقْنَا ،  
 وعظُمَتْ فاقَتْنَا إلى استعمال القوى من الأنفُس والحامَّة<sup>(۸)</sup> ، والخاصَّة والعامة ، في جزاءِ  
 ما جَلَّلَ<sup>(۹)</sup> أمير المؤمنين فينا من سُنَنِهِ ، وشَمِلْنَا من تالِدِ أياديه وطَارِفِهَا<sup>(۱۰)</sup> ، وقديمها

(۱) الغناء : الكفاية .

(۲) الألواء : الشدة .

(۳) سمى كنعن سموا : علا وطال .

(۴) العطاء بلا من ، أو عام .

(۵) النحل جمع نحلة بالكسر . وهي العلية . (۶) استرَفِدُهُ استعانه .

(۷) آدَاهُ الأمر بشوذه : بلغ منه المجهود .

(۸) الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده .

(۹) جَلَّلَهُ : غطاه .

(۱۰) أي من قديمها وحديثها .

وحدیثہا ، وکیف یوجد إلى موازاة أمير المؤمنين سبیلٌ ببذل جهدي ، أو بلوغ حشد ،  
 فإنما نقصدی بهداه ، ونعشو<sup>(۱)</sup> بنوره فی دیننا ، ولس عجزنا عن أن نجزی حقه<sup>(۲)</sup> ،  
 بواضع عفا مؤنة الدوب فی التحری لتأدیته ، فإن الله عز وجل قد أخبر بفضائل  
 الشکر ومناقبه ، وجعله من أسماء « وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ »  
 وقد قال تعالی « مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا  
 عَلِيمًا » وقال تعالی : « إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ  
 وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ » ولولا أن الله عز وجل رضیه لنفسه لأجلناه عن التسمية ، إذ  
 كان أكثر ما نستعمله ونعرفه فی مكافأة من من وتطول ، ثم نئی بذكر فضله فی  
 العباد ، فإن الله تبارك وتعالی افتتح أول ما علم خلقه بالحمد ، وجعله بدء كتابه وخاتمة  
 دعوة أهل جنته ، فقال عز وجل : « وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »  
 وخلق الله السموات والأرض ومن برأ وذرا فی الحياة لیلو عباده بشكره ، وأعد  
 الجنة فی الآخرة لمن شكره ، والنار لمن كفره ، وقال الله تعالی : « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ  
 لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، وقال الله تعالی  
 « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ،  
 فجعل التقوى واقعة<sup>(۳)</sup> ، والشکر مرجوًا ، لیدل على ارتفاع رتبته ، وعلو درجته  
 عنده ، وقال لنجیه موسى علیه السلام : « إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي  
 وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ » فلم يكلفه إلا أخذ ما أعطاه ،  
 والشکر على ما آتاه ، وأخبر بعزته فی العباد فقال تعالی : « وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِي  
 الشَّاكِرُونَ » .

(۱) عشا النار ولایها : رآها ایلامن بعد نقصدها مستضيًا ، كاعفشاها ، وبها .

(۲) فی الأصل « ولس علينا بأنا لن نجزی حقه » .

(۳) أي واجبة .

فأيةُ نعمةٍ أجلُّ قدراً ، وأسنى أمراً - معشر الشيعة - من نعمة أمير المؤمنين - أيده الله - عند الأمير ذي الرياستين ، ومراتبه التي رتبها بها ، فإنه أعطاه رئاسةَ الحرب ورئاسةَ التدبير ، وعقد له على رأسيهما علمًا في راية دعوته ، وقلده سيفهما ، وختمه بخاتم الخلافة وخاتم الدولة ، وجعل صلواته بين صاحب حرّسه وصاحب شرطته ، ومسيرة بين أمير المؤمنين وبينهما أمامه وخلفه - وصير له الجلوس على الكرسي بحضرتة في صدر كل مجلسٍ جلسه - إلا أن يؤثر به من أحب من أبناء الخلفاء - وقدمه في دخول داره<sup>(۱)</sup> راكبًا إلى أقصى مكان ينتهي إليه أحد من بني هاشم ، لأنه منهم ، وأعظمهم غناء عنهم ، فسماه صاحب دعوته ، وسيفه على عدوه ، وبابه الذي يدخل إليه منه ، وولاه خيوله في أقطار الأرض ، ومقدمته بحضرتة ، وقلده من الثغور ما قد علمتم ، بما أفرده في عهده ، إلى ما أنفذه من أمره ، في جميع سلطانه ومملكه ، من مشارق الأرض ومغاربها ، وأين يأتي الوصف على مافضله به وقدمه وشرّفه على الناس كافة ؟ ولكننا نخاطر بذكره ثم نكل السامعين إلى ما يرجعون إليه من المعرفة التي لا تبلغها الصفة .

نم لم يكن ما أكرمه به في حياته ، بأعلى مما أكرمه به في وفاته : تولى غسله وتكفينه ومباشرته لجهازه إلى حفرة بيده ، وقاسى من الفصص ، وبرحاء<sup>(۲)</sup> الحزن ، وإذراء<sup>(۳)</sup> العبرة ، وإراقه الدّمة ، ما حال بينه وبين الكلام ، وكاد يمنعه من القول ، والدعاء في صلواته عليه ، من الحكم وحفظ أهل الحزمة به ، رعاية له فيهم ، ووفاء بعهده من بعده ، وأقرّ خاصته وقواده وعماله وكتابه على مراتبهم ، وحجده بحمده ، وذمّ بذمه ، وجدّد لجنده وشاكريته<sup>(۴)</sup> نظرًا وعطفًا ، فلم يبق عليه في إحياء ذكره ، وبلوغ كل ما يحبه في حياته ، [ غاية ] إلا أتى من ورائها ، وأمر بقراءة فتوحه ، كما

(۱) في الأصل « دار الأمير » . (۲) برحاء الحمى وغيرها : شدة الأذى .

(۳) أذرت العين الدمع : صبته .

(۴) في الأصل « وشل كريتته » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه « وشاكريته » والشاكريّة جمع شاكري : وهو الأجير والمستخدم معرب جاكر - انظر القاموس المحيط - والمعنى : وأتباعه ورجاله .

كانت تُقرأ على عهده ، وأضاف كل ما حدث من بعده ، إلى ما تقدم من سعيه ، وأخبر أنه كان سببه ، والفتتح به ، وولي محمد بن الحسن خلافته ، ونصبه منصبه ، وأقامه مقامه إلى أن جدّد العهد لي ، فاستخلفته على ما ولي بحضرته ، ثم تقابعت كتب أمير المؤمنين - أكرمه الله - بعد مصاب الأمير ذي الرّياستين ، بما<sup>(۱)</sup> لا يقارب من التفضيل والإطلاق والتفويض الذي كنتم سمعتم به وبلغكم ، فلم يكن يرى وراءه مجازاة<sup>(۲)</sup> ، ولا فوقه مصعدا ، حتى جدّد لنا من كرامته ، ما قد قرئ عليكم في كتابه ، فبلغ بنا ما لم تكن المهيم تتبلفه ، والأمانى لتحيط به ، لولا ما منحنا الله عز وجل من الترقى في الفضل إلى ما تنحسر<sup>(۳)</sup> من دونه الأبصار ، وتنقطع دونه الآمال ، وإنما اقتصنا وذكرنا ما أبلانا واصطنع عندنا من بلائه ، بدعائنا إلى الله عز وجل ، وإلى طاعته بالعدل والإحسان إلى رعيته والنظر بالصفح ، والأخذ بالفضل ، والأمر بالمعروف ، وصلة المروءة بالوفاء بالعهد ، والشكر للمن ، ورعاية الأخلاق الحمودة ، وإحطاء<sup>(۴)</sup> أهلها ، وإقامة سؤفها ، حتى تنافسوها وتشاحوا<sup>(۵)</sup> فيها ، وصارت هي الذرائع إليه ، والوسائل عنده ، فلو تأمل متأمل أهل الزلفة والأثرة لديه ، لو جد الأخص فالأخص ، والأعلى قدرا عنده ، الأفضل ديناً ومروءة ، فلو لم يكن في الحظوة عنده إلا إيجابها لصاحبها صحّة المحبة ، والنزاهة عن كل ظنة<sup>(۶)</sup> ، لكان فيها أعظم الغبطة ، وأعدل الشهادة والدلالة .

وسنقص عليكم بما خبركم عنه ما لا سبيل إلى جعله وإنكاره ، لوضوح معاليه ومناثره ، أو ليس المجاهد عن دين الله ، والمُحامي عن بيضة المسلمين ،

(۱) في الأصل « كما » وهو تحريف . (۲) في الأصل « مجازاة » وهو تصحيف .

(۳) أي تسكل وتنقطع . (۴) في الأصل « وإحطاء » وهو تصحيف .

(۵) في الأصل « وشاحوا » (۶) الظنة : التهمة .

والمؤاتی<sup>(۱)</sup> لأغظِ عدوهم شوكةً ، وأخوفهم عداوةً والمبجیح<sup>(۲)</sup> من بلادهم فيما كان لا يرَام ولا يحاولُ ، لاستصعابه وشدةِ مقاساته ، حتى أذعن « جيفوية » بالمبودية له ، ثم أباح حريمه حين تمرد عليه ، حتى بلغ السبى إلى ولده وحابوبانه<sup>(۳)</sup> ، وتوغلت خيولُه حتى توصلت إلى قُبْته ومنتهى عزّه؟ أوليس مسكن الهبيج بالشرق ، حتى خَبَتِ<sup>(۴)</sup> النيرانُ فيه ، وأذعن رؤساؤها وقادتها أوليس غازي بلاد بابل حين طغى [ملكها] وبَدَل ونكث ونقض ، حتى اجتث أرومته<sup>(۵)</sup> ، وأباح حريمه ، وأراح المسلمين من معرته؟ أوليس ساد الثغور ، ومحصن عورتها ، والمباشر لتدبيرها ، والمُسعد المكايدة المنجح فيمن أَرادها ، وفك العناة<sup>(۶)</sup> من رِق الإِسار ، وناثير الرّحة على فقراء المسلمين وضعفائهم وأهل المسكنة والخلّة منهم ، وقاسم الصدقات في أهلها ، وعامر المومس ومحصنه من الآفات ، حياطةً للمسلمين في حجّهم وما يتقربون به إلى ربهم؟

وهل اقترن لأحد من الأئمة ما اقترن له في الملك والدين والعز والتواضع والسعة والبذل والقدرة والعمو والغلظة والليان في مواضعها ، والنسك مع الهمة ، والسطوة مع الإقالة؟ وهل ترك معشر الأولياء والإخوان في الدين غاية لم ينمُ بنا إلى شرفها ، وعلى مراتبها ، ومستزاد الحظ في عاجلٍ وآجلٍ لم يُبْلغناه؟ احتاز لنا خاصّ مكرّمته ، ومدّخر عاقبته ، أرشدنا إلى الدين ، وسلّك بنا سُبُل الجنة ، حاز لنا الملك ، فلم يبق وراء ما ملكنا غايةً ، ووَرَد بنا الحروب وساسها لنا ، فلم يدع غايةً

(۱) آت فلانا : جازاه .

(۲) في الأصل «كذا» والمصحح «وتبجح الدار» وفي الدار ، وبجح : إذا توسطها وتمكن من الحلول والمقام فيها ، وربما كان «والمحتاج» من اجتاحه : إذا أهلكه واستأصله .

(۳) كذا في الأصل ، وقد يكون «وجواريه» .

(۴) خبت النار تحبو : سكنت وطفئت .

(۵) في الأصل «لدومته» وهو تحريف . الأرومة بالفتح وتضم : الأصل .

(۶) العناة : جمعان ، وهو الأسير .



فی التعلّم والدراية ، والتقلّد والفقه ، إلا سلطنا عليها بسُلطان الله (۱) الذي آتاه ، علمنا للفضائل ، ثم فضلنا بها ما غلب لنا الأمم ، ثم خولناها (۲) ، علمنا طرائق الشرف ، ثم شرفنا بها ، أخبرنا عن الأنبياء فكفانا مؤنة التماسها ، وأغنانا بما عنده فيها ، أخذنا على أيدينا الخير للرعية فوهب لنا شكرها ، وصدق مقالتنا عند الشبهة ، وأنفذ أمرنا في التدبير .

فيا أيها الإمام المنصور المهدي الرشيد : حُرِّتَ فضائل الآباء ، واهتدبت بهدي الأنبياء ، أنشرك عن الإسلام ؟ فأنت القائم به ، الداعي له ، والناصر لحقه ، أم نشرك عن الأمصار ؟ فأنت المفتتح لمقنعيها عنوة (۳) ، والمتطوّل على أهلها بالرحمة ، والمنعطف عليهم بحسن الفائدة ، بعد ما هيّجت منك سورة (۴) الغضب ، فأطعأت ناراها ، وأخذت لهبها ، وعدت على من سفه وأضاع حظّه ، أم نشرك على المساجد ؟ فأنت الذي أسستها على التقوى ، وعمرتها بتلاوة القرآن ، وطهرت المنابر وركبتها ، تعلوها صائما ، وتنطق عليها صادقا ، وتدعو إلى الرشيد عليها ناصحا ، وتحمّم القرآن قبل أن تبدأها محسنا ، وتتلو من قوارعه (۵) ما تصيخ له الأسماع ، وتلين به القلوب ، أم نشرك على البيت العتيق ، والرُّكن والمقام والحجر وزمزم ، ومشاعر الحج (۶) ؟ وأنت ذببت عنها ، وأعدت إليها عهدا في مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ، فأمنت الفازع (۷) إليها من كل فج عميق ، والحالين بها من الركع السجود ،

(۱) في الأصل « فلم يدع غاية التعليم والدراية سلطانا سلطان الله الذي آتاه فلم يدع غاية في التقلد والفقه ، علمنا الفضائل ... » .

(۲) خوله الله المال : أعطاه إياه متفضلا .

(۳) العنوة : القهر . (۴) أي حديثه .

(۵) أي من آياته الشديدة الفرع ، وأصاخ له : استمع .

(۶) مشاعر الحج : معالي التي تدب الله إليها وأمر بالقيام بها ، جم شعر كذهب .

(۷) نزع إليه كضرب : اشتاق ، والفج : الطريق الواسع .

أم نشكرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حظيت فيه من عثرته<sup>(۱)</sup> ؟ بعفوك  
 عن مجرمهم ، ومضاعفتك ثواب محسنهم ، وإحيائك من أمرهم ، ما كان قد اندرس  
 وانطامس ، مُعدًّا للقاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رعيت منه في قرابته وقرابتك  
 وذوى رحمة ورحمك ماضيع الناس ، ووصلت منهم ما كان وصله . إذ كان الله  
 عز وجل قد فرض صلة الأرحام ، فكان أطوع خلق الله عز وجل فيما فرض عليه ،  
 أم نشكرك عن العوام ؟ فقد ألبست المسلمين ثوب الأمن ، وأذقتهم طعم السعة  
 والرفاهية<sup>(۲)</sup> ، وعدلت بينهم بالإنصاف ، وتوليت دونهم النصب ، وآثرتهم بالراحة ،  
 أم نشكرك عن الملوك والتواد والأجناد ؟ فأنت الذي رفعت منازلهم ، ووفرت عددهم ،  
 فلم يكونوا في دهرٍ أحدي من الخلفاء أسعد ولا أخطى منهم في سلطانك ، بما بذات لهم  
 من المعاون ، ووليتهم من الثغور والأمصار ، وأذرت عليهم من الأرزاق والخواص ،  
 أم نشكرك عن الأحكام والسنن ؟ فأنت الذي أنهجت<sup>(۳)</sup> سبيلها ، فأوجبت فرضها ،  
 ونافست في أهلها ، أم نشكرك عن الأعداء ؟ فأنت الذي بدأتهم بالحجة ، ودعوتهم  
 إلى الفية<sup>(۴)</sup> والإنيابة ، ثم نفيت مَعَقِبًا بالعفو ، ونعشتهم بعد البؤس ، وآنتهم من  
 الوحشة ، أم نشكرك على مكارم الأخلاق ؟ فأنت الذي نبتت وطاءها<sup>(۵)</sup> ، ونفيت  
 عنها أضدادها ، ولو نطقت بالفضل لنطقت بشكرك في إزالتك إياها عن اللثام ،  
 وإخطائك من اعتزى<sup>(۶)</sup> (منهم) إليها ، أم نشكرك عن الثغور ؟ فأنت الذي تَمَّتْهَا  
 وحصنت عوراتها<sup>(۷)</sup> ، أم نشكرك عن السلف ؟ فأنت الذي أشدت بفعالهم ،  
 وحفظتهم في أبنائهم ، أم نشكرك عن بُرْد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن  
 القضيب الذي ( كان ) يتخضر<sup>(۸)</sup> ، حتى جعلتها زينتك ، وسموت بهما في أعيادك

(۲) الرفاهية : الرفاهية .

(۱) العثرة : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأذنون .

(۳) أي أوضعت .

(۴) الفية : الرجوع .

(۵) أي انتسب .

(۶) في الأصل « وطاءها » .

(۸) أي يمسه بيده .

(۷) في الأصل « عذراتها » .

عند حشدك على الطهر والزكاة والنسك والتقوى؟ أم نشكرك عن المسلمين؟ في رعايتك إياهم، وما ترعيتهم من جنابك، وتنفى عنهم من الآفات، وتقل<sup>(۱)</sup> عنهم من جبايرة الكفر، وتفض من جيوش الشرك والنكث، وتفتح من الحصون المستصعبة، وتستل من الطرق الوعرة؟ أم نشكرك عن تواضعك لله عز وجل وإصلاح المسلمين طلباً للرفعة عند الله؟ أم نشكرك عن الدين؟ وقد جعلت السلطان عبداً وقائداً ومنقذاً، وكان مأموراً فجعلته آمراً، وآلة للقوة فجعلت القوة له آلة.

فيا من اتصل شكره بشكر الله عز وجل، ونعمته بنعمة الله تعالى، وطاعته بطاعة الله، فوهب الله لك شرف المنازل، ورقاك درج الفضائل، وجزاك الله عنا وعن غيرنا، مما شكر من ناطق أو صامت، جزيل الثواب، ورفيع الدرجات، وأمتك ما آتاك، وأمتع الأمة ما آتاه منك، والحمد لله ذي الرغبات، ومتمم الصالحات، شكراً لرب العالمين، فإنه مبلغ طاقتنا، ومنتهى جهدينا، وبه نستعين على تأدية فرائضه إنه لا يعين على ذلك إلا هو.

أحبيت أن أشكر إليكم أمير المؤمنين - أيده الله - إذ ورد على من إنعامه وإفضاله ما لا يبلغه بالفعل، وأن يكون ما اقتصصنا عليكم داعياً لكم إلى أن تشكروه عنا وعن أنفسكم وعن الإسلام والمسلمين، ورجوت بما وفقنا الله له فيما شرعنا وأوضحنا من الدلالة والبيان، أن يكون مجتمعاً ينتفع به من حضرنا، ومن عسى أن يؤدي إليه الخبر عنا، أو حدث بعدنا، وضمنت بهذه المكرمة الرائعة والمأثرة البارعة التي ادخرها الله لأمر المؤمنين - أعز الله نصره - وأفرده بهادون الأئمة والخلفاء، أن تمر بالأسماع صفحا، وتجتاز على القلوب سهواً، حتى تؤكد بالشواهد والبرهان، ليبقى ذكرها ونفعها في الخلوف والأعقاب.

(۱) قل القوم كنصر: هزمهم.

ونحن نسال الله عز وجل الذي جمع بأمر المؤمنين - مدد الله في عمره - ألفتنا ، وعلى طاعته أهواءنا وضمائرنا ، وأنالنا من الغبطة في دولته وسلطانه ما لم تحوهِ شيعةُ إمام ولا أنصار خائفة ، أن يُتمَّ نورَ أمير المؤمنين ، ويُعلَى كعبه ، ويمتدَّنا ببقائه حتى يبافه سُواله وهمتَه في الاستكثار من البرِّ ، وادِّخار الأجر ، واستيجاب الحمد والشكر وأن يلمَّ به الشَّمت ، ويرأبَّ به الصَّدع ، ويضلع على يديه الفساد ، ويرتقُ به فتوق هذه الأمة ، ويُشخِّن<sup>(١)</sup> سياسته ونِكَايته في عدوها ، ويتابع الفتوحَ في بلدانهم حتى يوتِّيَهُ من نُجح السَّعي ، ورغائب الحظِّ في الدنيا ما يُجزِل عليه ثوابه في الآخرة ، وأرشد نُجباءه وأصفياه الذين يقول لهم : « فَاتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » .

( اختيار المنظوم والنتور ١٢ : ١٦٦ )

## ٢٢٢ - كتاب المأمون إلى الحسن بن سهل يعزیه بأخيه

فصل من كتاب المأمون إلى الحسن بن سهل يعزیه بذی الرباستين :

« وقد أبقى الله لأمر المؤمنين خلفاً من خير سلف ، افتقاراً منك لأثر ذی الرباستين - نصر الله وجهه ورَّحمه - وسلوكاً منك لمذهبه وكفايته لأمر المؤمنين ، وعائده<sup>(٢)</sup> عنه ، واجتهاده في طاعته ، ومعاونته على نيته ، وابتدالك نفسك في إعزاز دولته ، وجهادِ عدوه ، والمحاماة عن سلطانه ، وحلولا من قلب أمير المؤمنين محله في علوه وارتفاع مكانه ، إذ كفت شقيقه وشبيهه ، والجارى عند أمير المؤمنين في الأُنس والثقة والتقديم مجراًه » .

( اختيار المنظوم والنتور ١٣ : ٣٢٥ )

(١) اتَّخَن في العدو : بالغ الجراحة فيهم .

(٢) العائدة : المنفعة .

## ۲۲۳ - كتاب المأمون إليه يعزيه بأبيه

وفصل من كتاب المأمون إليا بالتعزية بأبيه سهل :

« وقد جرى من قضاء الله عزاً وجل على أبي الفضل رحمه الله ، يعقب المصيبة بذى الرياستين رحمه الله ، ما عظم مَبْلَغُهُ من أمير المؤمنين ، ووصل إليه من مَضْضِ وألمِ هذه ، لِأَنَّهُ كَانَ بِمَكَانِهِ ، وَتَحَلُّهُ كَانَ مِنْ قَلْبِهِ ، وَلِمَعْرِفَتِهِ بِمَوْقِعِ ذَلِكَ عِنْدَكَ ، وما تجدد لك من الوَحْشَةِ وَالوَجْدِ وَاللَّوْمَةِ لوفاته ، لأن المصائب لو تأخرت عن أمير المؤمنين وعنتك بعد المصيبة بذى الرياستين رضى الله عنه عِدَّةَ سنين ، لَمَا عَفَا أثرُها ، وَلَا انْدَمَلَ كَلْمُهَا<sup>(١)</sup> ، وَلَا سَكَنَ رَوْعُهَا وَلَا مَوْقِعُهَا مِنْ فِكْرِهِ ، فَأَعْظَمَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَجْرَ فِيهِ عَلَى عَظَمِ الرِّزْيَةِ ، وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ وَعُقْبَاكَ مِنْهُ ، وَرَبَطَ<sup>(٢)</sup> عَلَى قَلْبِهِ وَقَلْبِكَ ، وَعَزَمَ لَكَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى مَا يُرْضِيهِ عِنْدَكَ ، وَسَدَّ اللَّهُ كُلَّ نُقْمَةٍ انْشَلَتْ عَلَيْكَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْفَضْلِ رَحْمَةً تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ زَلَّتِهِ ، وَتَعْنِي عَلَى قَرَطَاتِ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، آتَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبِقَائِكَ ، وَدَفَعَ الْأَسْوَاءَ وَالْمَسْكَرَةَ عِنْدَكَ بِقُدْرَتِهِ . »

( اختيار المنظوم والمختوم : ۱۳ : ۳۲۵ )

## ۲۲۴ - كتاب المأمون إليه

من كتاب المأمون إلى الحسن بن سهل بالإحماله على كفايته :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين إذا فكر في نعمة الله عليه منذ استخلفه في أرضه ، واستحفظه دينه<sup>(٣)</sup> وعبادته ، وألمه من طاعته ، وجعل عليه رأيه وهمته ونيته في إقامة حقه ، وبسط عدله ، والعمل بفرائضه وأحكامه ، وعَضَدَهُ بِهِ مِنْكَ ، وَجَعَلَ عِنْدَكَ مِنْ

(١) الكلم : المبرح .

(٢) ربط الله على قلبه : ألمه الصبر وقواه . (٣) في الأصل : منه . »

النية في مساعدته ومعاونته على ما فيه القربة إلى الله عز وجل ، وَدَرَكُ رِضْوَانِهِ وَالْقِيَامُ  
بِمَا اسْتَكْفَاهُ مِنْ أُمُورٍ ، وَنُجْحُ السَّعْيِ فِي إِعْزَازِ الدِّينِ وَتَأْيِيدِهِ . وَوَقَمٌ <sup>(١)</sup> الشَّرْكُ  
وَتَدْوِينُهُ ، وَتَابِعَ لَهُ مِنَ الْفَتْوحِ عَلَى يَدِكَ فِي صَنُوفِ أَعْدَائِهِ ، مِنْ شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ،  
وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا ، وَسَهَّلَ لَهُ الْبُلْدَانَ الْمُسْتَصَعِبَةَ عَلَى غَيْرِهِ ، حَتَّى دَانَ لَهُ عِظَمَاؤُهَا ، وَانْقَادَتْ  
لَهُ رُؤَسَاؤُهَا ، وَقِيدَتْ إِلَيْهِ أَشْرَافُهَا ، وَحِلَّتْ إِلَيْهِ أَرْبَابُهَا ، رَأَى أَنَّهُ قَدْ عَصَدَهُ مِنْكَ  
بِمَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ وَصَفَهُ ، وَلَا الْعُقُولُ كُنْهَهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا  
كَثِيرًا ، وَشُكْرًا دَائِمًا .

( اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٦٢ )

## ٢٢٥ - كتاب الحسن بن سهل إلى المأمون

وتزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل ، فكتب إليه الحسن بعد أن زُفَّتْ  
إليه بوران ، وَتَوَهَّمَ الْقَوَادُ أَنْ هَذَا التَّزْوِيجُ قَدْ أَنْسَى الْحَسْنَ حَالَهُ قَبْلَ ذَلِكَ .  
« قَدْ تَوَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَعْظِيمِ عِبْدِهِ ، فِي قَبُولِ أُمَّتِهِ ، شَيْئًا لَا يَتَّسَعُ لَهُ  
الشُّكْرُ عَنْهُ إِلَّا بِمَعُونَةِ الْمِحْنِ <sup>(٢)</sup> لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ - فِي إِخْرَاجِ تَوْقِيعِهِ  
بِتَرْزِيهِ حَالِي فِي الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ بِمَا يَرَاهُ فِيهِ صَوَابًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

نخرج التوقيع :

« الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ زَمَامٌ عَلَى مَا جَمَعَ أُمُورَ الْخَاصَّةِ ، وَكَنَفٌ <sup>(٣)</sup> أَسْبَابَ الْعَامَّةِ ،  
وَأَحَاطَ بِالنَّفَقَاتِ ، وَنَفَذَ بِالْوَلَاةِ ، وَإِلَيْهِ الْإِخْرَاجُ وَالْبَرِيدُ وَاخْتِيَارُ الْقَضَاةِ ،  
جَزَاءً بِمَعْرِفَتِهِ بِالْحَالِ الَّتِي قَرَّبَتْهُ مِنَّا ، وَإِثَابَةً لِشُكْرِهِ إِيَّاَنَا عَلَى مَا أَوْلَيْنَا . »  
( زهر الآداب ٢ : ٣٠ )

(١) وقه : فهره وأذله .

(٢) محنه كنهه : اختبره ، والاسم المحنة بالكسر والجمع عن .

(٣) كنهه كنصره : صانه وحفظه وحاطه .

## ۲۲۶ - کتاب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي

وكتب الحسن بن سهل إلى محمد<sup>(۱)</sup> بن سماعة القاضي :

« أما بعدُ : فإني احتجتُ لبعض أمورى إلى رجل جامعٍ لخصال الخير ، ذى عِفَّةٍ وَنَزَاهَةٍ طُعْمَةٍ<sup>(۲)</sup> ، قد هذَّبته الآداب ، وأحكمته التجاربُ ، ليس بظَنِينٍ<sup>(۳)</sup> في رأيه ، ولا بمطعونٍ في حسبه ، إن أوثمن على الأشرار قام بها ، وإن قُلِّدَ مُهِمًّا من الأمور أَجْزَأُ فَيَدٍ<sup>(۴)</sup> ، له سِنٌّ مع أدبٍ ولسانٍ ، تُقْعِدُهُ الرِّزَانَةُ ، ويسكِّنُهُ الحِلْمُ ، قد قرأ عن ذكاءٍ وفِطْنَةٍ ، وعَضَّ على قَارِحِهِ<sup>(۵)</sup> من السَّكَالِ ، تَكْفِيهِ الأَحْظَةَ ، وترشده السَّكْتَةَ قد أبصر خِدْمَةَ الملوك وأحْكَمَهَا ، وقام في أمورهم فحُمِدَ فيها ، له أناةُ الوزراء ، وصولةُ الأمراء ، وتواضعُ العلماء ، وفَهْمُ الفقهاء ، وجوابُ الحكماء ، لا يبيع نصيبَ يومه بجرمان غده ، يكاد يسترِقُ قلوبَ الرجال بحلاوة لسانه ، وحُسن بيانه ، دلائلُ الفضل عليه لأثمةٌ ، وأماراتُ العلم له شاهدةٌ ، مُضْطَلِعًا<sup>(۶)</sup> بما استُنْهِضَ ، مستقلاً بما حُمِّلَ ، وقد آثرتُك بطالبه ، وَحَبَوْتُكَ<sup>(۷)</sup> بارتياده ، ثِقَّةٌ بفضل اختيارك ، ومعرفةٌ بحسن تأنيك<sup>(۸)</sup> . »

(۱) هو أبو عبد الله محمد بن سماعة التميمي ، كان فقيهاً ، وولى القضاء ببغداد بالجانب الغربي ، وتوفي سنة ۲۳۳ - انظر الفهرست ص ۲۸۹ .

(۲) الطعمة : وجه المكعب . (۳) الظنين : المتهم . (۴) أجزأ : أغنى وكفى . (۵) قر : أى فتش وجرب . وأصله من فر الهابة : إذا فتح حنكها وكشف أسنانها لينظر منها ، وفتح الفرس قروحا : إذا ألقى أقصى أسنانه ، وله أربع أسنان يتحول من بعضها إلى بعض ، يكون جذعا ( بالتحريك ) وذلك إذا كان في السنة الثانية ، ثم ثنيا ( بفتح فكسر مع تشديد الياء ) في السنة الثالثة ، ثم رباعيا ( بفتح أوله وتنايه وتخفيف الياء ) إذا سقطت رباعيته ونبت مكانها سن ، وذلك إذا استتم الرابعة ، ثم قارحا إذا سقطت السن التي تلى رباعيته ونبت مكانها نابه ، وهو لارحه الذي صار به قارحا ، وليس بعد القروح سقوط سن ولا نبات سن ، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة ، والمعنى هنا : تام التجربة .

(۶) اضطلع به . قوى على حله ، واستقله : حله ورفعه .

(۷) حبا : أعطاه ، والمعنى هنا : وخصمتك ، والارتياح : الطلب .

(۸) تأني للأمر : ترفق وأناه من وجهه .

## ۲۲۷ - رد ابن سہاۃ علیہ

فكتب إليه :

« إني عازمٌ أن أرغبَ إلى الله جل وعزَّ حَوْلًا كاملاً في ارتيادِ مِثَالِ هذه الصفةِ وأفرِّقَ الرُّسُلَ الثُّقَاتِ في الآفاقِ لِالْتِمَاسِهِ ، وأرجو أن يَمُنَّ اللهُ بالإجابة ، فأفوزَ لَدَيْكَ

( الأمل ۱ : ۲۵۳ )

بقضاء حاجتك والسلام . »

## ۲۲۸ - كتاب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب

وكتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب<sup>(۱)</sup> وقد اصطبَّح<sup>(۲)</sup> في يوم دَجْنٍ

لم يُمَطِّرِ :

« أما ترى تكافؤَ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بِقُرْبِ المطرِ وَبُعْدِهِ كَأَنَّهُ

قول كثير<sup>(۳)</sup> :

وإني وَتَهْيَا مِي بَعْرَةَ بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ<sup>(۴)</sup>

أَكَا لُرْتَمِي ظِلَّ النِّعْمَةِ ، كَمَا تَبَوَّأُ مِنْهَا المَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ<sup>(۵)</sup>

(۱) هو الحسن بن وهب بن سعيد . كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ( وزير المعتصم والواقف والنوكل ، وصياني ) وقد ولي ديوان الرسائل ، و كان شاعرا بليغا مترسلا فصيحاً ، وأحد ظرفاء الكتاب ، و كان هو وأخوه سليمان بن وهب ( الذي وزر للمهتدي بالله ، وانتمسده على الله ، وتوفي سنة ۲۷۲ ) من أعيان عصرهم وكان جده سعيد في خدمة آل برمك ، ونجول ولده وهب بن سعيد إلى جعفر بن يحيى ، ثم صار بعده في حملة دي الرياستين الفضل بن سهل ، وآل وهب من قرية من أعمال واسط وكانوا نصارى ثم أسلموا ، وخدموا في الدواوين حتى آلت بهم الحال إلى ما آلت ، وكانوا من رؤساء الناس وحنذاهم وفضلاتهم وكرماهم ، انظر الفهرست لابن النديم ص ۱۷۷ ووفيات الأعيان ۱ : ۲۱۶ ( في ترجمة سليمان بن وهب ) و فخرى ص ۲۲۳ و ص ۲۲۶ .

(۲) اصطبَّح : شرب الصبوح ، والصبوح بالفتح : شرب الغداة ( أول النهار ) - والغبوق بالفتح

أيضاً : شرب العشي - والدجن لباس النيم الأرس وأفطار السماء .

(۳) هو كثير بن عبد الرحمن ، شاعر أموي مشهور ، والبيتان من تائينته المعروفة التي مطلعها :

خليلى هذا ربح عزة قاعقلا قلوبكما ثم انظرا حيث حلت

(۴) الهمام بالضم : كالجنون ، من العشق . والتهبام : بناء موضوع للتكثير .

(۵) قال يفيل مقيلاً : نام في القائلة ( نصف النهار ) .



وما أصبحت أمنيّتي إلا في لقائك ، فليت حجاب النأي هتك بيني وبينك ،  
ورفعتي هذه وقد دارت زجاجات أوقعت بعقلي ولم تتحيّفه<sup>(۱)</sup> ، وبعثت نشاط حركتي  
للكتاب<sup>(۲)</sup> ، فرأيتك في إمطاري سروراً بشاراً خبرك ، إذ حُرمت السرور بمطر  
هذا اليوم موقفاً إن شاء الله .  
( زهر الآداب ۲ : ۵۸ )

## ۲۲۹ - رد الحسن بن وهب عليه

فكتب الحسن بن وهب :

« وصل كتاب الأمير - أيده الله - وفتي طميم ، وبدي عاملة ، وازلك تأخر  
الجواب قليلا ، وقد رأيت تكاموا إحسان هذا اليوم وإساءته ، وما استوجب  
ذنبا استحق به ذما ، لأنه إذا أشمس حكي حُسنك وضيائك ، وإن أمطر حكي  
جودك وسخائك ، وإن غام أشبه ظلك وفنك ، وسؤال الأمير عنى نعمة  
من نعم الله عز وجل على ، أعني<sup>(۳)</sup> بها آثار الزمان السيئ عدى ، وأنا كما  
يحب الأمير ، صرف الله الحوادث عنه وعن حظي منه . »

( زهر الآداب ۲ : ۵۹ )

## ۲۳۰ - كتاب المطلب بن عبد الله بن مالك

إلى الحسن بن سهل

وكتب المطلب بن عبد الله بن مالك إلى الحسن بن سهل في رجل توصل به :  
« طلبُ العافين<sup>(۴)</sup> الوسائل إلى الأمير - أعزه الله - يُبذِي عن شروع<sup>(۵)</sup>  
موارد إحسانه ، ويدعو إلى معرفة فضله ، وما أنصفه - أعزه الله تعالى - من

(۱) تحيفه : تنقصه من حيفه أى نواحيه . والحيف كغيب ، جمع حيفة بالكسر ، وهى الناحية .

(۲) مصدر كتب كالكتابة .

(۳) أى أزيل وأعو . (۴) العاق : كل طالب فضل أو رزق .

(۵) شرعت الدواب في الماء كتم شروما وشروما : فخلت .

توسَّلَ إلى معروفه بغيره ، ورَأَى الأميرَ في التطوُّلِ (۱) على مَنْ قَصُرَتْ معرفتُه عن ذلك ما يريد الله تعالى فيه مَوْفِقًا ،

### ۲۳۱ - رد الحسن بن سهل عليه

فكتب إليه الحسن :

« وَصَلَّكَ اللهُ فِيمَا وَصَلَّتَنِي فِي صَاحِبِكَ مِنَ الْأَجْرِ وَالشُّكْرِ ، وَأَرَاكَ الْإِحْسَانَ فِي قَصْدِكَ إِلَى بَأْمَثَالِهِ بَرَضًا يُفِيدُكَ شُكْرُهُ ، وَيُعْقِبُكَ أَجْرُهُ ، وَرَأَيْتَكَ فِي إِيْمَامٍ مَا ابْتَدَأَتْ بِهِ ، وَإِعْلَامِي ذَلِكَ مُشْكُورًا ۝ » .  
( زهر الآداب ۳ : ۳۸۷ )

### ۲۳۲ - ومن فصول الحسن بن سهل

فصل له :

« فَلَانَ قَدْ اسْتَفْنَى بِاصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ ، فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلصَّنُوعِ إِلَيْهِ ، وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُصْطَنِعِهِ ، فَبَسَطَ اللهُ يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ ، وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا ۝ » .  
( العقد الفريد ۲ : ۱۹۳ )

\*\*\*

وفصل له :

« مَوْصَّلَ كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا ، فَكُنْ لِي أَنَا ، وَتَأَمَّلْهُ بَعِينَ مَشَاهِدَتِي وَخُلَّتِي (۲) ، فَبِلِسَانِهِ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ ، وَأُذِمُّ مَا قَصُرَتْ فِيهِ ۝ » .

\*\*\*

وكتب يصف عقل المأمون :

« وَقَدْ أَصْبَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودَ السَّيْرِ ، عَنيفَ الطَّعْمَةِ (۳) ، كَرِيمَ الشَّيْمَةِ ،

(۱) التطول : التفضل . (۲) الخلة : الصداقة الخنصة لا تخلل فيها .

(۳) الطعمة : وجه المكسب ، والمأكل .

حُبَارِكِ الضَّرْبِيَّةَ (۱) ، مُحَمَّدِ النَّقِيبَةَ (۲) ، مُوقِفًا بِمَا أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِ ، مَطْلِعًا (۳) بِمَا حَمَلَهُ مِنْهُ ،  
مُؤَدِّيًا إِلَى اللهِ حَقَّهُ ، مُقِرًّا لَهُ بِنِعْمَتِهِ ، شَاكِرًا لِآلَائِهِ (۴) ، لَا يَأْمُرُ إِلَّا عَدْلًا ، وَلَا يَنْطِقُ  
إِلَّا فَضْلًا ، عَيْنًا لِدِينِهِ وَأَمَانَتِهِ ، كَأَنَّ لِيَدَهُ وَلِسَانَهُ ۝ . (العقد الفريد ۲ : ۱۹۸)

### ۲۳۳ - كتاب الفضل بن الربيع إلى المأمون

وروى صاحب زهر الآداب قال :

ولما أمر المأمون أن يُحَجَّبَ عنه الفضلُ بن الربيعِ لسببٍ تألم قلبه منه كتب إليه :  
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ يُذَسِّنِي التَّقْرِيبُ حَالِي أَيَّامَ التَّبَعِيدِ ، وَلَا أَغْفَلْتَنِي الْمُوَانَسَةَ  
عَنْ شُكْرِ الْإِبْتِدَاءِ ، فَعَلَى أَيِّ الْحَالِينَ أُبْعَدُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَلْحَقَنِي ذَمُّ التَّقْصِيرِ  
فِي وَاجِبِ خِدْمَتِهِ ؟ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْدَلُ شُهُودِي عَلَى الصِّدْقِ فِيهَا وَصَفْتُ ، فَإِنْ رَأَى  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَكْتُمُ شَهَادَتِي فَعَلَّ إِن شَاءَ اللهُ ۝ . (زهر الآداب ۱ : ۳۴۳)

### ۲۳۴ - كتاب أحمد بن يوسف إلى المأمون

وكتب أحمد بن يوسف إلى المأمون حين كثُر الطلاب للصلوات ببابه :

« إِنَّ دَاعِيَ نَدَاكَ ، وَمُنَادِي جَدَاكَ (۵) ، جَمَعًا بِبَابِكَ الْوُفُودَ ، يَرْجُونَ نَائِلَكَ  
الْعَتِيدَ (۶) . فَهُمْ مَنْ يَمُتُ (۷) بِجُرْمَةٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدَلِّي بِسَالِفِ خِدْمَةٍ ، وَقَدْ أُجْحَفَ

(۱) الضريبة : الطيبة .

(۲) النقية : النفس ؛ والظاهر أنه « ييمون النقية » لتقديم كلمة محمود .

(۳) يقال : هو بهذا الأمر مضطلع ومطلع ، فالاضطلاع من الضلعة وهي القوة ، والاطلاع من  
العلو من قولهم : اطلعت الثنية ، أي علوتها ، أي هو حال لذلك الأمر مالك له .

(۴) الآلاء : النعم .

(۵) وفي رواية نهاية الأرب « جدواك » . والجدا والجدو : العطية .

(۶) النائل : العطاء . والعتيد : الحاضر للهِبَاءِ ، وفي رواية معجم الأديباء « المهبود » .

(۷) يموت : يتوسل ، وأدلى برحمه : امت بها وأدلى بحجته : احتج بها .

بهم المقام ، وطالت عليهم الأيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُنعمشهم بسَيِّبه<sup>(۱)</sup> ،  
ويحقق<sup>(۲)</sup> حسن ظنهم بطأوله ، فَعَلَ ، إن شاء الله تعالى .

فوق المأمون في كتابه :

الخير مُتَّبِعٌ ، وأبوابُ الملوك مَعَانٍ<sup>(۳)</sup> لطلابِ الحاجات ، ومواطنُ لهم ، ولذلك

قال الشاعر :

يَسْقُطُ الطيرُ حيثُ يَلْتَقِطُ الحَبَّ <sup>ب</sup> وَتُنْفِثِي منازلُ الكرماء

فا كتب أسماء من بيابنا منهم ، وأحكِ مراتبهم ليصيرَ إلى كل امرئ منهم  
قَدْرُ استحقاقه ، ولا تكدرن معروفنا عندهم بطول الحجاب ، وتأخير الثواب<sup>(۴)</sup> ،

فقد قال الشاعر :

فإنك أن ترمى طردًا إجرَ كإصاقٍ به طارفَ الهوانِ

ولم تجلب مودة ذى وفاقٍ بمثلِ الودِّ أو بذلِ اللسانِ

(زهر الآداب ۲ : ۳۹ ، ومعجم الأدباء ۵ : ۱۶۹ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۶۰)

## ۲۳۵ - كتابه إلى المأمون

وأهدى أحمد بن يوسف إلى المأمون في يومِ نوروز<sup>(۵)</sup> طبقَ جزع<sup>(۶)</sup> ، عليه

مِيلٌ من ذهب ، فيه اسمه منقوشا ، وكتب إليه :

(۱) السيب : العطاء ، ونشئه كنعه وأنعته ونعشه : جيره بعد فقر .

(۲) وفي نهاية الأرب « ويمتوش » واحتوش القوم فلانا . جلوه وسطهم . والمعنى : ويمرر حسن

ظنهم . والطول : الفضل .

(۳) الغنى : جمع معنى كرمي ، وهو المنزل ، وفي نهاية الأرب « وأبواب الملوك مواطن لدوى

لحاجات » وفي زهر الآداب « وأموال الملوك مظان لطلاب الحاجات » .

(۴) وفي زهر الآداب ونهاية الأرب « بالمطل والحجاب » .

(۵) النيروز والنوروز . أول يوم من السنة ، فارسي معرب ، وهو عند القبط أول توت .

(۶) الجزع بالفتح ويكسر : الحرز اليماني فيه سواد وبياض ، تشبه به الأيمن . والميل بالكسر

(والمول كعصفور) : المكعال الذي تكحل به العين - ويقال أيضا للعديدة التي يكتب بها في ألواح

الدفتر ملول .

« هذا يومٌ جرَّت فيه العادةُ ، بِالطَّافِ (۱) العبيدِ السَّادَةِ ، وَقَدْ بَعَثُ إِلَى أميرِ المؤمنين طَبَقَ جَزَعٍ فِيهِ مِيلٌ » .

فَلَمَّا قَرَأَ المأمون الرُّقْعَةَ قال : جاءت هدية أحمد بن يوسف ؟ قالوا : نعم ، قال : هي في داري ، أم داري فيها ؟ فلما رفع المندبل استظرف الهدية ، واسترجح مُهْدِيهَا .  
( زهر الآداب ۲ : ۴۰ )

\* \* \*

وفي رواية أخرى :

وأهدى أحمد بن يوسف إلى المأمون في يوم نوروز سَفَطَ ذهب فيه قطعة عودٍ هندي في طوله وعرضه (۲) ، وكتب معه :

« هذا يوم جرَّت فيه العادةُ ، بِاتِّحَافِ العبيدِ السَّادَةِ ، وقد قلتُ :

على العبدِ حقٌّ فهو لا شكَّ فاعِلُهُ      وَإِنْ عَظُمَ المولى وَجَلَّتْ فواضِلُهُ (۳)  
ألم ترنا نُهْدِي إلى الله مالهُ      وَإِنْ كان عنه ذا غِنَى فهو قابِلُهُ  
فلو كان يُهْدَى للجليل بقدره      لقصَّرَ هنهُ البحرُ يوماً وساحِلُهُ  
ولكننا نُهْدِي إلى مَنْ نُجِلُّهُ      وَإِنْ لم يكن في وُسْعِنَا ما يشا كِلُهُ

( صبح الأعشى ۲ : ۴۲۰ ، ومعجم الأدباء ۵ : ۱۷۲ ، والفخرى ص ۲۰۶ ،  
والأوراق لأبي بكر الصولي ۱ : ۲۱۲ )

\* \* \*

وفي رواية أخرى للصولي :

وأهدى أحمد بن يوسف هدية إلى المأمون في عيد وكتب إليه :

« هذا يوم جرَّت فيه العادةُ ، بِإِهْدَاءِ العبيدِ للسَّادَةِ ، وقد أهديتُ لأمير المؤمنين قليلاً من كثيره عندي ، وقلتُ :

(۱) الطفه : أتمفه ، واللطفة بالتحريك . الهدية .  
(۲) وفي الفخرى والأوراق . « هدية قيمتها ألف ألف درهم » .  
(۳) وفي الفخرى « فهو لا بد » والفواضل : الأباذي الجسيمة أو الجيلة .

أهدى إلى سيده العبدُ ما ناله الإمكانُ والجهدُ<sup>(۱)</sup>  
وإنما أهدى له مالهَ يَبْدَأُ هذا ، ولذا رَدُّ

فقال المأمون : عاقل أهدى حَسَنًا . (الأوراق لأبي بكر الصولي ۱ : ۲۱۶)

### ۲۳۶ - كتابه إلى إبراهيم بن المهدي

وأهدى أحمد بن يوسف إلى إبراهيم بن المهدي مِلْحًا مُطَيَّبًا وكتب إليه :  
« الثقةُ بك قد سهلتَ السبيلَ إليك ، فأهديتُ هديةً مَن لا يَحْتَشِمُ ، إلى من

لا يَفْتَنِمُ » . (زهر الآداب ۲ : ۴۰ ، والعقد الفريد ۳ : ۳۰۸)

\* \* \*

وقال ابن طيفور :

كتب أحمد بن يوسف إلى إبراهيم بن المهدي في هدية استقلها :  
« بلغني استقلالك لما أطفئتُك ، والذي نحن عليه من الأُنسِ مَهَّلَ علينا قلةَ  
الحُشْدِ لك في البرِّ ، فأهدينا هديةً مَن لا يَحْتَشِمُ إلى مَن لا يَفْتَنِمُ » .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۰)

### ۲۳۷ - كتاب له عن المأمون

وقال أحمد بن يوسف :

أمرني المأمون أن أكتب إلى النواحي في الاستكثار من القناديل في المساجد  
في شهر رمضان ، فأعيا عليّ ولم أجِدْ مثالا أحتذِي عليه ، فبتُّ مغموماً<sup>(۲)</sup> ، فأتاني  
آتٍ في منامي فقال : اكتب :

(۱) الجهد بالفتح ويضم : الطاقة .

(۲) في الأوراق « فبت لا أدري كيف أفتح السلام ولا كيف أحتذيه » وفي الصناعتين « فبت

لا أدري كيف أحتذِي » .

« فَإِنَّ فِي ذَلِكَ عِمَارَةً لِلْمَسَاجِدِ ، وَإِضَاءَةً لِلْمُتَهَجِّدِينَ <sup>(۱)</sup> وَأُنْسًا لِلسَّابِلَةِ <sup>(۲)</sup> ، وَنَفِيًّا لِمَكَايِدِ <sup>(۳)</sup> الرُّيْبِ ، وَتَنْزِيهَا لِبُيُوتِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ وَحْشَةِ الظُّلْمِ » :  
فانتهت وقد انفتح لي ما أريد فابتدأت بهذا وأتممت عليه <sup>(۴)</sup> .

( كتاب بغداد ۶ : ۲۳۷ ، وزهر الآداب ۲ : ۴۰ ، وكتاب الصناعتين ۲۲ ،  
والأوراق للصولي ۱ : ۲۳۱ )

## ۲۳۸ - كتابه إلى بعض إخوانه يهنئه بمولود له

وكتب أحمد بن يوسف إلى بعض إخوانه يهنئه بمولود له :  
« بَارَكَ اللَّهُ فِي مَوْلُودِكَ الَّذِي أَتَاكَ ، وَهَنَّاكَ نِعْمَتَهُ بَعِطِيَّتَهُ ، وَمَلَّاكَ <sup>(۵)</sup> كِرَامَتَهُ  
بِفَائِدَتِهِ ، وَأَدَامَ سُرُورَكَ بِزِيَادَتِهِ ، وَجَعَلَهُ بَارِعًا تَقِيًّا ، مَيْمُونًا مَبَارَكًا زَكِيًّا ، مَمْدُودًا  
لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، مُبَلِّغًا غَايَةَ الْأَمَلِ ، مَشْدُودًا بِهِ عَضُدُكَ ، مُكْتَرًّا بِهِ وَلَدُكَ ، مُدَامًا بِهِ  
سُرُورُكَ ، مَدْفُوعًا بِهِ الْآفَاتُ عَنكَ ، مَشْفُوعًا بِأَكْثَرِ الْعَدَدِ ، مِنْ طَيِّبِ الْوَلَدِ » .

( اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۰۳ )

## ۲۳۹ - كتاب آخر

وكتب إلى بعض إخوانه يهنئه بمولود أيضاً :  
« أَمَا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي مِنْ مُتَجَدِّدِ نِعْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ ، وَإِحْسَانِهِ  
إِلَيْكَ ، فِيمَا رَزَقَكَ مِنَ الْهَبَةِ ، مَا اشْتَدَّ جَذَلِي <sup>(۶)</sup> بِهِ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَشْفَعَهُ بِأَمثَالِهِ ،  
وَلِذَلِكَ أَقُولُ :

- (۱) التهجيد : المصلي بالليل .
- (۲) السابلة : الجماعة المختلفة في الطرقات في حوائجهم .
- (۳) وفي كتاب بغداد « لظان » .
- (۴) وفي زهر الآداب « فأخبرت بذلك المؤمن فاستظرفه وأمر أن تضي السكتب عليه » .
- (۵) ملاه الله حبيبه : متعه به وأعاشه معه طويلاً .
- (۶) الجذل : الفرح والسرور .

قد شُفِعَ الواحدُ بالوafدِ وأرغِمَ الأنفُ من الحاسِدِ  
 أبا حُسَيْنٍ : قرَّ عَيْنًا بما أُعْطِيَتْهُ من هِبَةِ الماجِدِ (۱)  
 وأكثِرَ الشكرَ [جَزِيلاً] فقد نِلتَ حباً الرِّفْدِ من الرافِدِ (۲)  
 قد قلتُ لَمَّا بَشَّرُونِي به بُورِكَ في المولودِ للوالِدِ  
 إِنَّا كَنَزْجُو وafدًا مثله والطائرُ الميمونُ للوafدِ «  
 (اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۴)

## ۲۴۰ - كتاب آخر

وكتب إلى بعض إخوانه يهنئه بمولود :

« أما بعد ، فإنه ليس من أمرٍ يجعل الله لك فيه سروراً إلا كنتُ به بهيجاً ، أعتدُّ  
 فيه بالنعمة من الله الذي أوجبَ عليَّ من حَقِّكَ ، وعرفني من جميل رأيك ، فزادك الله  
 خيراً ، وأدام إحسانه إليك .

وقد بلغني أن الله وهب لك غلاماً سرياً (۳) ، أجمل لك صورته ، وأتمَّ خلقه ،  
 وأحسن البلاء (۴) فيه عندك ، فاشتدَّ سروري بذلك ، وأكثرتُ حمدَ الله عليه ،  
 فبارك الله فيه ، وجعله باراً تقياً ، يشدَّ عضدَكَ ، ويكثُرُ عددَكَ ، ويقرُّ عينَكَ .  
 (اختيار المنظور والمنثور ۱۳ : ۳۰۴)

## ۲۴۱ - كتاب آخر

« هَنَّاكَ اللهُ هذه الفائدة التي أفادَكها ، وبارك الله في الهبة التي رزقَكها ، وشفعها  
 بإخوة متواترين ، بسُرُونِكَ في حياتك ، ويخافونك في عقبك .  
 (اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۳)

(۱) قرَّت عينه : رأت ما كانت متشوقة إليه .

(۲) حبا : تصور حبا ، والحباء : العطاء بلامن (أو عام) والرِّفْد : العطاء ، وما بين القوسين

مفقود في الأصل ، وقد زدته ليستقيم وزن البيت .

(۳) أي سيدا شريفاً ، وصف من السرو : وهو المروءة في شرف .

(۴) أي النعمة .



## ۲۴۲ - كتابه في تهنئة بإفراق من مرض

وكتب في تهنئة بإفراق<sup>(۱)</sup> من مرض .  
« قد أذهب الله وصب<sup>(۲)</sup> العلة ونصبها ، ووهر أجرها وثوابها ، وجعل فيها من  
إرغام العدو بمقباها ، أضعاف ما كان عنده من المرور بفتح أولها » .  
( العقد الفريد ۲ : ۱۹۸ )

## ۲۴۳ - كتاب له

وكتب :

« قد بذلت لنا من نفسك أعز مبدول وأنفسه ، والمودة التي كل ما محمد من  
صاحبها فهو لها نافع ، وثقتنا بك واستنامتنا<sup>(۳)</sup> إلى ناحيتك على أحسن ما أكد الله  
بيننا وبينك ، وإن كان مدى اللقاء بيننا لم يطل ، فأئله<sup>(۴)</sup> ما برعاه أهل الوفاء  
والمخالصة ، وبقتصر في المحافظة عليه وعلى أكثر منه من دخلت نيته ، وضعفت خلته<sup>(۵)</sup> .  
( اختيار المطوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۰ )

## ۲۴۴ - كتابه إلى بعض أخلائه

وكتب إلى بعض الأخلاء وقد اعتل<sup>(۶)</sup> :

« ورد كتاب صاحبى على ، بذكر شكوى قبلك ، فكرهه إلى الاستبداد عليك  
بالصحة ، وقبح عندى ترك مشاركتك في العلة ، ولم يكن لي حول بتغيير ما قدر الله  
في جسمي ، ولا ينقل ما ألم بجسمك إلى ، فاستقل<sup>(۶)</sup> بألم قلمي ، وأسكنته همى وكآبتي ،

(۱) أفرق من مرضه : برى . (۲) الوصب : الوجع .

(۳) استنام إليه : اطمان وسكن .

(۴) أفله : أصله . (۵) الخلة : الصداقة .

(۶) في الأصل « فاستقل » وقد أصلحته « فاستقل » أى استند واستأثر .

( ۲۴ - جمهرة رسائل العرب - ثالث )

لأكون كأشوة المنقطعين إليك ، المنتظمين في خيطك ، وجعلت ذلك شماره في عاتك ،  
 حتى يأتيني المرجو من سلامتك ، وأخرت الكتاب بالعيادة ، وإرسال من يقوم  
 مقامي فيها لديك ، لأني إذا استقصيت في الكتاب وصف ما بدأخلى طال ،  
 فعققت به من قصدت برّه ، والرسول فلا يحمل ما يتضمنه صدرى ، فينيل<sup>(۱)</sup> كنه  
 ما عندي ، ولا يلقاك بسحنة<sup>(۲)</sup> مرسله ، التي ترجم عن نيته ، فأبى لكذلك أميل<sup>(۳)</sup>  
 بين التقرير في إتيانك قبل استئذنانك ، أو تقدمه استطلاع رأيك ، إذ جاءني البشير  
 بإفراقك<sup>(۴)</sup> وإقبال العافية إليك ، وظهور تباشيرها عليك ، فاحسرت<sup>(۵)</sup> كل هم ، وزال  
 كل غم ، ورحب<sup>(۶)</sup> من الأرض ما كان متضايقا عليّ ، واستقبلت أملا سررتني جدته ،  
 وسررتي<sup>(۷)</sup> عني ما كنت أجده ، فالحمد لله الذي أشجى<sup>(۸)</sup> عدوك ، ولم يصدق طمعه ،  
 وأزال غصّة وائيك ، ولم يحقق حذرّه ، وأنا أسأل الله الذي وهب لنا إقالته<sup>(۹)</sup> ، وساق  
 إليك عافيته ، أن يهب لك عمراً زائداً على أمنيّتك ، متجاوزاً حدّ إحسانك ، مؤفياً<sup>(۱۰)</sup>  
 على مبلغ ظنك ، ويصل العزلك في أمده ، بكريم المنقلب من بعده ، ويجعل حسن بلائه  
 عندك ، كمداً في صدر حاسدك ، وجمالا في عين مؤمّلك ، وسرورا لمتصلين بك  
 إن شاء الله . ( الأوراق للضوء ۱ : ۲۳۴ )

## ۲۴۵ - كتاب له

وكتب :

« من قصّر في الشغل عمره ، قلّ في العطلة<sup>(۱۱)</sup> صبره ، وما من وجهة أو مل فيها

- (۱) من نزل الكنانة كضرب : إذا استخرج نبلها فنثرها . والمعنى فيبلغ ويؤدي وربما كان الأصل  
 « فينقل » . (۲) السحنة : الهيئة .  
 (۳) ميل بين أمرين : تردد بينهما أيهما يأتي ، وفي الأصل « أمثل وهو تصحيف .  
 (۴) أفرق من مرضه : برى . (۵) أي انكشف .  
 (۶) رحب : اتسع . (۷) أي ذهب وانكشف .  
 (۸) أي أوزن . (۹) أقوال الله عزّته : إذا رفعه من سقوطه ، والمعنى هنا : وهب لنا شفاءه من عاتيه .  
 (۱۰) أي زائداً . (۱۱) تعطّل الرجل : بقي لا عمل له ، والاسم العطلة .

سَدَّ اخْتِلَالِي ، إِلَّا دَهَمْتَنِي فِيهَا خَيْبَةً تَكْسِيفُ بَالِي ، وَأَنْتَ مَنْ لَا يَتَخَطَّاهُ الْأَمَلُ  
 فِي أَوَانِ عُظْمَتِهِ ، وَلَا يَجَاوِزُ رَجَاءَهُ الْحِرْمَانُ فِي حِينِ وَلَايَتِهِ ، وَلَيْسَ لَدَمَّ عَلَيْكَ طَرِيقُ ،  
 وَلَا إِلَى مَدْحِكَ سَبِيلُ ، لِأَنِّي إِذَا قَاتُ فَيْكَ مَا لَا تُعْرَفُ بِهِ ، عُوْرِضْتُ بِالتَّكْذِيبِ ،  
 وَإِنْ أُتَيْتُ بِمَا لَمْ تُرَ لِي ، طَالَبْتُ حَالِي بِالتَّحْقِيقِ ، فَلَا يَرَى الدَّاسُ فِيهَا أُثْرَ تَصْدِيقٍ ، وَقَدْ  
 صَبَّرْتُ بَدِي مِنْ قَائِدَتِكَ ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ مَلَأْتُهَا مِنْ عَائِدَتِكَ<sup>(۱)</sup> ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ  
 تُجِيرَنِي مِنَ الْحَدَثَانِ<sup>(۲)</sup> ، وَتُقَيِّمَنِي مِنْ قَيْدِ الزَّمَانِ ، فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
 ( الأوراق للصولي ۱ : ۲۳۵ )

## ۲۴۶ - وَمِنْ كَلَامِهِ

« لَكَ جَدٌّ<sup>(۳)</sup> تُنَجِّدُهُ هَمَّتِكَ ، وَإِنْعَامٌ تَفُوهُ بِهِ نِعْمَتُكَ ، فَهِيَ تَحْسِرُ<sup>(۴)</sup> النَّاطِرَ  
 إِلَيْهَا ، وَتُحْيِرُ الْوَاقِفَ عَلَيْهَا ، حَتَّى كَأَنَّهَا تَنَاجِيهِ بِحُسْنِ الْعُقْبَى ، وَتُوْحِي إِلَيْهِ بِبُعْدِ  
 الْمَدَى ، وَلِلَّهِ دَرُّ نَابِغَةِ بَنِي ذُبْيَانَ فِي قَوْلِهِ :  
 مَجَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ ، وَدِينُهُمْ قَوِيمٌ ، فَمَا يَرْتَجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ<sup>(۵)</sup>  
 ( الأوراق للصولي ۱ : ۲۳۲ )

(۱) العائدة : المعروف والصلاة .

(۲) حدثان الدهر بالتحريك : حوادثه ونوبه .

(۳) الجد : الحظ والحظوة والمظنة . (۴) أي تقطع بصره وتكلمه .

(۵) هذا البيت من قصيدة للناطقة الذبياني يمدح عمرو بن الحارث الأصغر الفسائي ، وطلعتها :

كأبي لهم يا أميمة ناصب وابل أناسيه بطيء الكواكب

وجاء في لسان العرب : « والمجلة : الصحيفة فيها الحكمة ، كذلك روى بيت النابغة بالمعنى ،

« مجلتهم ذات الإله . . . » يريد الصحيفة ، لأنهم كانوا نصارى ، فهي الإنجيل ، ومن روى

« مجلتهم » أراد الأرض المقدسة وناحية الشام والبيت المقدس ، وهناك كان تنو جفنة ، وقال

الجوهري : معناه أنهم يحجون فيجلون مواضع مقدسة .

## ۲۴۷ - ومن كلامه

« من اتسع في الإفضال ، اتسعت به الأقوال ، من شاك كرم مثنى ، ومادح مطر ،  
ولسنا نصيفك بما يعين لنا ، وبذيل على السدنا ، مما يتقرب به ذو الرغبة ، ويضرع  
إليه ذو الرهبة ، لاستنزال مرغوب ، أو استنجاز مطلوب ، واكفنا نطق عن سيرتك  
بإفصاح ، ونبين عنها بإيضاح ، فكف شغب الكائد ، ونطيل نفس الحاسد .  
( الأوراق لاصول ۱ : ۲۳۳ )

## ۲۴۸ - ومن كلامه

« كفى عاراً على راغب أن يعدل برغبته عن الأمير ، إذ كانت عائدته تُشير  
إليها ، وتقف راجية إليها ، فالقصدُ بها حيث يُومي لها ، من منبت رافع ، ومشرح  
واسع ، أولى براجي نجاحها ، وتصديق الأمل فيها ، من إيقافها على حيرة ، وإفحامها  
في شبهة لم يضح نهج السبيل إليها ، ولا نصبت أعلام جود عليها ، فأقل ما في الأمير  
من كرم الخلال ، برزبي<sup>(۱)</sup> على كثير من فنون المقال ، فجهد المادح له أن يبلغ أدنى  
فضله ، كما أن غاية الشاكر<sup>(۲)</sup> أن يجزي أيسر نعمه ، فأطال الله مدته ، وأدام له  
درلته ، وتم عليه نعمته .  
( الأوراق لاصول ۱ : ۲۳۳ )

## ۲۴۹ - كتاب له في الاعتذار

ومن كلامه يعتذر إلى بعض الأخلاء :  
« لي ذنوب إن عدتها جلت ، وإن ضممتها إلى فضلك حسنت ، وقد راجعت  
إذابتى ، وسلكت طريق استقامتى ، وعلمت أن توتى في حجتى وإقرارى أبلغ  
في عذرتى ، فهذا مقام التائب من جرّمه ، المتضمن حسن الفيئة<sup>(۳)</sup> على نفسه ، فقد كان

(۱) أى يزيد . (۲) فى الأصل « الشكر » . (۳) الفيئة : الرجوع .

عقابك بالحلم عني ، أبلغ من أمرِك بالانتصاف مني ، فإن رأيتَ أن تهَبَ لي ما استحققتَه  
من العقوبة ، لِمَا ترجوه من المثوبة ، فعلتَ إن شاء الله .

( الأوراق للصولي ١ : ٣٣٣ )

## ٢٥٠ - ومن كلامه

« قد كان كتابي نَفَذَ إليك بما كان غيرُه أولى بي ، وألزمَ لي في حقِّ الحرية  
والكرم ، اللذَّين جُعِلَاك إرثًا ، والشرفِ والفضلِ اللذَّين قُسمَا لك حظًا ، ولما كنتُ  
دُفِعْتُ من اتصال الزَّلَلِ ، والإخلال بالعمل ، إلى ما اضطرَّني إلى محادثتك ، ودعاني  
إلى مخالفتك ، لأجلى عني هَبْوَةٌ<sup>(١)</sup> الاتهام ، وأصرفَ عنك عارضَ الملام ، وقد  
جرى لك القدارُ بالشوؤد الذي خصَّك الله بمزيتِه ، وأفردك بفضيلته ، فليس يحاول  
أحدٌ استقصاءَ عليك ، إلا عرَضَ دونه حاجزٌ من واجبك ، يضطرُّه إلى ذلَّةِ التنصُّلِ  
إليك ، ويحور ذلك عن التعمُّد . » ( الأوراق للصولي ١ : ٢٣٤ )

## ٢٥١ - كتابه إلى بني سعيد بن مسلم

وكتب إلى بني سعيد بن مسلم :

« لولا أن الله عز وجل ختمَ نبوَّته بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكتبَه بالقرآن ،  
تبعثَ لكم نبيًّا نعمةً ، وأنزلَ فيكم قرآنَ غدر ، وما عَسَيْتُ أن أقولَ في قوم : محاسنُهم  
مساوي السُّفلة ، ومساويهم فضائحُ الأمم ، والسنتُهم معقولةٌ بالعي ، وأيديهم معقودةٌ  
بالبخل ، وأعراضُهم أغراضُ للذم ، وهم كما قال الشاعر :

لا يكثرُونَ وإن طالت حياتُهُمْ      ولا تبيدُ مخازيهم وإن بادوا

( زهر الآداب ٢ : ٤٠ ، واختيار النظم والمنثور ١٣ : ٤٢٠ )

(١) الهبوة : الغبرة .

## ۲۵۲ - کتاب له

وروی الصُّولی قال : ومن كلامه :

« لقد أَحَلَّكَ اللهُ من الشرفِ أَعْلَى ذِرْوَتِهِ ، وبلغَكَ من الفضلِ أبعَدَ غَايَتِهِ ، فالآمالُ  
إِلَيْكَ مَهْرُوفَةٌ ، والأعناقُ إِلَيْكَ معطوفةٌ ، عندَكَ تنتهي الهِمَمُ الساميةُ ، وعلَيْكَ تَقِفُ  
الظنونُ الحسنةُ ، وبِكَ تُدْنِي الخفاصِرُ<sup>(۱)</sup> ، وتُسْتَفْتَحُ أغلاقُ<sup>(۲)</sup> المطالبِ ، ولا يَسْتَرِيثُ<sup>(۳)</sup>  
النُّججُ مَنْ رَجَاكَ ، ولا تَعْرُوه النوائِبُ في ذَرَاكَ<sup>(۴)</sup> . »

( كتاب الأوراق للصولى ۱ : ۲۳۲ )

\* \* \*

وفي رواية أخرى للصولى أيضاً قال :

قالوا للقاسم بن يوسف - أخى أحمد بن يوسف - أقبلت على الشعر وتركت البلاغة ،  
فقال : امتحنونى ، فقبل له : فاكتب إلى محمد بن منصور فى الرضا عن هذا الرجل ،  
فقد كان فى ناحيته ثم عتب عليه ، فكذب إليه :

« قد أَحَلَّكَ اللهُ من الشرفِ فى أَعْلَى ذِرْوَتِهِ ، وبلغَكَ من الفضلِ أبعَدَ غَايَتِهِ ،  
فالآمالُ إِلَيْكَ عَائِلَةٌ<sup>(۵)</sup> ، والأعناقُ نَحْوَكُ مَائِلَةٌ ، وإلَيْكَ تنتهى الهِمَمُ الساميةُ ، وعلَيْكَ  
تَقِفُ الظنونُ الراجيةُ ، لا يَسْتَرِيثُ نُّججاً مَنْ رَجَاكَ ، ولا تَعْرُوه النوائِبُ فى ذَرَاكَ .  
وفلان ممن قَدُمْتَ بِكَ حُرْمَتُهُ ، وطالت لك خِدْمَتُهُ ، ووجبت لك حقوقُ عَالِيهِ ،  
وهى أوكدُ وسيلةُ ، وأقصدُ ذريعةُ ، وقد فَرَطَ<sup>(۶)</sup> جُرْمٌ ما تَعَمَّدَهُ ، وخطأُ جَرَى  
القضاءِ به ، وفى عَتَبِكَ ما قَوَّمَهُ ، وفى عَفْوِكَ ما تَلَفَى زَلَّتَهُ ، إن شاء اللهُ . »

( كتاب الأوراق للصولى ۱ : ۱۹۷ )

(۱) كناية عن أنه المول عليه فى قضاء الحاجات والمآرب ، كما يقال : هو مطمح أنظار الآملين  
ومعنى رجائهم ومحط آمالهم .

(۲) الأغلاق : جمع غلق بالتحريك ، وهو القفل . (۳) استرائه : استبطأه .

(۴) أى فى طلك وكنفك .

(۵) أى عائله . يقال : عالت القريضة فى الحساب : أى زادت وارتفعت ، والمعنى : قد انجبت إليك

لآمال وتكاثرت حتى جازت الحد . (۶) أى سبق .

## ۲۵۳ - کتاب لأحمد بن يوسف في العدل والإنصاف

« لو لم يكن العدلُ من شيمتك ، والإنصافُ من خليقتك ، لكان يجب عليك في قدرِ نعمةِ الله عندك ، وما رَفَعَ إليه من الفضل غايته ، أن تتَّخذها عتادا (۱) ليومك ، وذُخراً اغدك ، فكيف وقد جعلهما الله شعاراً باطناً ، وليباساً ظاهراً ؟ » .  
( اختيار المنظوم والمشور ۱۳ : ۳۰۹ )

## ۲۵۴ - كتابه في إنصاف قوم تظلموا

« أما بعد ، فإن الله جَلَّ ثَنَاهُ جَعَلَ عِزَّ السُّلْطَانِ فِي أَرْضِهِ مَعَاذًا يُلْجَأُ إِلَيْهِ مَنْ اضْطَهَدَ بِقُوَّةٍ ، أَوْ عُدِيَّ عَلَيْهِ بِمُظْلَمَةٍ ، وَحِجَابًا بَيْنَ السَّاعِينَ بِالْفَسَادِ وَبَيْنَ مَا يَتَشَوَّفُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَنَازَعُونَ نَحْوَهُ ، مِنْ رُكُوبِ الْكِبَارِ ، وَانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ (۲) ، وَمَوْثُلَاتِ مَنْ اسْتَرْقُوا (۳) مِنْ أَهْلِ الضَّعْفِ ، بِالْعُدْوَانِ وَالْعَسْفِ ، وَالْوَلَاةِ مُسْتَوْلُونَ عَمَّا خُوِّلُوا ، مُرْتَهِنُونَ بِمَا حُمِّلُوا ، حَتَّى يَكْفَهُمْ عَدْلٌ ، أَوْ يُوْبِقَهُمْ (۴) جَوْرٌ ، وَقَلِيلٌ مَا يَتَّقَهُمْ (۵) الْعَمَالُ مِنْ سُوءِ السَّيْرِ ، أَوْ يَرْغَبُونَ فِيهِ لِاتِّبَاعِهِمْ مِنَ الْغَمِيزَةِ (۶) ، أَشَدُّ لِلْقُلُوبِ [إِفْسَادًا] (۷) ، وَلِكَافَةِ الرِّعْيَةِ إِجْجَامًا (۸) ، مِمَّا يَتَسَاوَرُونَ (۹) بِهِ بَيْنَهُمْ ، لِلْمَجْلُ الَّذِي نُصِبَتْ لَهُ الرِّعَاةُ مِنْ إِصْرَاحِ (۱۰) الْمَلْهُوفِينَ ، وَالْأَخْذِ فَوْقَ أَيْدِي الْمُعْتَدِينَ ، وَمَا يَسْكُنُ فَائِرَةً مَنْ انْتَصَرَ بِهِمْ ، فَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْ حَوَازَتِهِ مِنَ الْقُنُوطِ وَالْإِيَّاسِ .

- (۱) العتاد : العدة .  
(۲) في الأصل « المحارم » وهو تحريف .  
(۳) في الأصل هكذا « ويورل » من اشتراكوا من أهل الضعف بالعدا والعسف « وهو تحريف ، وقد أصلحته كما ترى . والموئل : الملجأ .  
(۴) أوبقه : أهلكه .  
(۵) اقتحم الأمر العظيم وتفحمه : رمى بنفسه فيه من غير روية .  
(۶) الغميزة : المطنن أو الماطم .  
(۷) ما بين القوسين بياض بالأصل .  
(۸) أججمه . دنا أن يهلكه .  
(۹) أي يتواثبون ، ساوره : واثبه « وكذا ساوره » وفي الأصل « يتساورون » وهو تحريف .  
(۱۰) أي لغائنة .  
(۱۱) في الأصل « إفادة » وأراه محرفا عن « فائرة » أي نائرة ، يقال : فار فائرة : أي ثار نائرة .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا وكذا ، فأبكر ذلك إنكاراً لم يرد عليه مثله ، وكان أحق من غلظ عليه في التنكيل ، وضوعف له التأديب ، من كان من أعوان السُّلطان ، الذين التمس بهم إحياء العدل وإماتة الجور ، فانظر نظراً تقضي به حق الله وحق الناس ، غير متجانف<sup>(۱)</sup> بصغو<sup>(۱)</sup> إلى أحد من مال عن التصد ، ثم أنفذ بينهم ما ألزمهم الحكم ، غير متجاوز للحق ، ولا معطل للحكم ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » وقال : « وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۵۹ )

## ۲۵۵ - كتاب له في السلامة

« أما بعد ، فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين ، مع ما يحوط له ما استحفظه واسترعاه وتولاه من حسن الخلافة فيما قرب منه ونأى ، وتعقبه من الصنع على من شاقه<sup>(۲)</sup> وناواه ، البلاء الذي حق علينا وعلى عامة رعيتته القول فيه وإذاعته والحديث عن النعمة الشاملة والكرامة المجلاة فيه ، والله نسأل كذا .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۸ و ۳۷۸ )

## ۲۵۶ - وله صدر في السلامة

« إن من أعظم النظم عند الخاصة والعامة موقفاً ، وأوجبها عليهم شكراً ، سلامة أمير المؤمنين التي جعلها الله عماد الدين ، وقواما للمسلمين ، وجعل بها فواتح اليمن والبركة ، وفوائد السرور والغبطة لكافة المؤمنين » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۸ و ۳۷۴ و ۳۷۸ )

(۱) تجانف : مال ، من الجنف بالتحريك . وهو الميل ، والجور . والصغو : الميل ، يقال : صغوه بالفتح والكسر وصغاه معك : أي ميله . والتصد : الاستقامة .  
(۲) شاقه : خالفه . وناواه : عاداه أيضا .



## ۲۵۷ - فصل له في السلامة

« وقد أفادني الله بما ورد على من كتاب أمير المؤمنين سروراً وابتهاجا أيام أظلم ما أظلم من بركات اقترابه ، وشارف من اليمن والسعادة في رؤيته ، وامتدت بذلك فيمن قبلي ، فكلُّ سرٍّ واستبشر ، ودعا وتشكر » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۷۴ )

## ۲۵۸ - فصل له في الشكر

« لم يخطئني من النعم ما أصابك ، ولا عداني منها ما حلَّ بك ، ولا خلوتُ من واجب حقها وما نفاك (۱) الله منها إذ قلَّتها ، اعتداداً مني بما طوّفت من المنِّ ، وإيجاباً على نفسي لما حلتُ من الشكر » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۰ )

## ۲۵۹ - فصل له في الشكر

« ذكّر أمير المؤمنين كذا ، وليس ما تقدّم من رأيه في الاستقامة (۲) إلى ، والسكون إلى قولي ، حالاً يفي بها الشكر ، وإن حُظر عليها ، وأُفرد بتأديتها ، فيكون فيه اتساع لما اتّصل بها ، وتظاهر بعدها » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۲ )

## ۲۶۰ - كتاب له في الشكر

« وقد قدّم على فلانٍ بما حمّله أمير المؤمنين من كتابه وكرامته ، فكفي صنيعاً من أمير المؤمنين وسعادةً إخلاص أمير المؤمنين الدعاء له في كتبه ، وتطلّعه إلى علم خبره ، وتوجيهه ذا الثقة والنصيحة من خدمه ليصدُر إليه بسلامته ، فوفّاك الله يا أمير المؤمنين

(۲) استنم إليه : سكن واطمان .

(۱) أي أعطاك .

جزاء هذه الكرامات التي تظاهرُ بينها ، وتَرُبُّ<sup>(۱)</sup> نِعَمَكَ فيها ، وتَتَّبِعِ ما قَدَّمْتَ بما استأنفتَ منها ، وشكر الله لك ما أصبحتَ مشكورا به من الوفاء على ألسن البشر ، طيبًا عليك النَّشْرُ في جميع الأمم .

وقد كان كذا ، وحضرتني في يوم جلومى لإظهار<sup>(۲)</sup> كرامته مَنْ قَبَلِي من قواده ، فكان من دعائهم لأمر المؤمنين ، وَتَحَمَّلُ كل امرئ منهم بِقِسْطِهِ من شكره ، ما سأل الله أن يَقْبَلَ رَغَبَاتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَيَقْضِيَ عَنْهُمْ الْحَقَّ بما عملوا له «

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۳ )

## ۲۶۱ - كتاب له في الاعتذار

« أما بعد ، فإن لكل ذنب عفو أو عقوبة ، وذنوب الخاصّة عندك مستورة مغفورة ، فأما مثلي من العامّة فذنبه لا يُغْفَرُ ، وكسره لا يُجْبَرُ ، فعاقبني بإعراض لا يؤدّي إلى مقتي » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۵ )

## ۲۶۲ - كتاب آخر

« أتيتك وَاغِدًا بذنوبي على عفوك ، واثمًا لعفوقى ببرك ، لامستظهِرًا عليك بشفيح قدّمته ، خلا تطوُّلك بالعفو عن الإخوان ، وتفَضُّلك عليهم بالإحسان ، فإن تعاقب فقد حكمت بالعدالة بمقوبتك على نفسى ، وإن تجاف عن ذلك فإن الله يعلم أن قلبى لم يُصِرَّ لك على قطيعة ، وكل ذنب كان أصله الاستبطاء ، لدالة الحرمة ، والاستعطاف بما تفرّ الخدمة ، فهو مما يُعدُّ في الحسنات لا السيئات » .

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۰ )

(۱) رب النعمة : ناعها وزادها وآتمها وأصلحها .

(۲) في الأصل « طهار » وهو تحريف ، وصوابه « لإظهار » .

## ۲۶۳ - کتاب آخر

« قد ارتهنتُ لك الشكرَ من نفسي ، معرفةً بالتقصير عن حَقِّكَ ، واعتقدتُ لك الميثاقَ ، على عليِّ محمدٍ الوفاء في أمرِكَ ، فأنا وكيلُكَ على ما أصاحَ اللهُ لك قلبي ، وأمينُكَ في المناصحة لحجَّتِكَ على نفسي ، والله على ذلك شهيدٌ . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۰ )

## ۲۶۴ - کتاب آخر

« قد يسعُ العُدْرُ مَنْ ضاقت عليه الحُجَّةُ ، وحيثُ قُبِحَت الاستكاثَةُ فهي هاهنا حَسَنَةٌ ، ولعلَّ اللهُ أن يَهَبَ لنا نَفْسًا<sup>(۱)</sup> في المَدَّةِ نتلافِي به سالفَ التفریطِ والإِضاعةِ . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۰ )

## ۲۶۵ - کتاب له في حاجة

« قد كان لك فلان على ما بلغك في الفضل وجميل الأخلاق ، وقد حوامم<sup>(۲)</sup> اللهُ لك وصيرهم في ظِلِّكَ وتحت جناحك ، فإن رأيتَ أن ترعى ما تقدم لهم عندك من المعروف ، فإن عليك أن ترُبَّهُ<sup>(۳)</sup> كما عليهم أن يشكروه ، . . . . .<sup>(۴)</sup> مَنْ انقبضتُ عنه في حوائجِي ، فإني أنبسطُ إليك وآنسُ بك فيها ، ومن ادخرته ذات نفسي فإني أُبْثِكُ إياها نِجَالِيلَ كَثِيرَةٍ ، خَارَ اللهُ لك فضأها ، وقدمك على غيرك عندي بها : قبلَ اللقاء على حسن الأحدثِ ، وبعده على محمود الخبرِ ، والله أشكرُ على السبب الذي وصله بيننا شكرا أستثيبه به إتمامَ ما وصلَ منه ، وإعادته من نخون<sup>(۵)</sup> الحوادث إياه . »

(۱) النفس : السعة والفسحة في الأمر .

(۲) تنبه إلى أنه لم يتقدم لهذا الضمير مرجع .

(۳) رب المعروف كنصر : ناه وزاده وآنه وأصلحه .

(۴) يياض بالأصل . (۵) نخونه : نفعه .

وكان إتياني إليك - أعزك الله - في حوائجي ، بعد أن طال بفيرك تشاغلي .  
 وبعد أن استهلكت إضاءته الواجب في أمري ، وانكأه على لين مطالبتي ، سأمًا كنت  
 أعتمد عليه ، وأترّوح إليه ، فأتيتك حين أنفد الصبر مدته ، وبلغ المكروه غايته ،  
 ولم يبق من السّتر إلا ما كاد أن يشفّ عما دونه ، ألزمتك عمارة حال أبدى سواها  
 خَلَّاهَا ، وأعجلك في تدارك أمور تسلف التفریط من غيرك مَهَامَا ، فتلقيت بالقبول  
 وسائلِي ، وبالإيجاز حاجتي ، وأعجلتني عن الشكوى بالعلم بالداء ، وتضمن الدواء ،  
 ثم لم تجعل جاهك ، مع كثرتِه وانبساطه ، مندوحة<sup>(۱)</sup> عن مالك مع قلة مادته ، وضعفه  
 عما تُحْمَلُه ، بذلا قبل المسألة ، وتطوُّعا بعد الفريضة ، ولا والذي جميلُ رأيك من عظيم  
 نعمه عندي ، ما أصبحت لي هناك عَرَجَةٌ إلا عليك ، طالت أم قصرت ، ولا أنتظر  
 بها فسحةً إلا من قبلك ، تقدّمت أو تأخرت ، ولا أتشبّث في مقامى إلا بعلقة<sup>(۲)</sup>  
 متراخية عن الوثيقة ، لا فضل فيها للأناة والنظر ، ولا تبلغ أن تكون بُلغةً ، فرايك  
 في الأمر الذي رغبت إليك فيه ، وهو حسن موقعه ، محتل إليك موضعه ، مستكتر  
 قلوبه ، مقبول عفوهُ «

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۱ )

## ۲۶۶ - كتاب له في الشوق

وكتب إلى صديق له يشكو شوقه إليه :

« شوقى إليك شديد ، يستوى في العجز عن صفته الخطيبُ البليغُ والعَيُّ المُفحَمُ<sup>(۳)</sup> ،  
 فدعاني ذلك إلى الخفض على نفسى ، وتقديم جملة من ذكره إذا عارضت بها ما فى  
 قلبك كانت له موافقةً ، بل كانت عليه مُفضلةً<sup>(۴)</sup> . »

( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۶ )

(۱) المندوحة . السعة .

(۲) العلقة : كل ما يقبل به من العيش .

(۳) المفحَم : العي . (۴) أفضل عليه : زاد .

## ۲۶۷ - فصل له في الإخاء

« وليس ينبغي لك أن تؤاخى إلا الكريمة الأخوة ، الكامل المروءة ، الذي إذا ضبت خلفك ، وإذا حضرت كخفك ، إن لقي صديقك استزاد لك في مودته ، وإن لقي عدوك كف عنك من عاديتك ، إن رأيتك ابتهجت ، وإن أتيتك استرحت » .  
( اختيار المنظوم والمشهور ۱۳ : ۱۰۸ )

## ۲۶۸ - كتاب له في العتاب

وكتب أحمد بن يوسف :

لولا حسن الظن بك - أعزك الله - لكان في إغضائك عني ما يقبضني من الطلبة<sup>(۱)</sup> إليك ، ولكن أمسك برمق من الرجاء علمي برأيتك في رعاية الحق ، وبنط يدك إلى الذي لو قبضتها عنه لم يكن له إلا كرمك مذكراً ، وسوددك شافعاً .  
( العقد الفريد ۲ : ۱۹۳ )

\* \* \*

وكتب أيضاً :

« لا تجوز قطيعة ، لأنها لا تخلو من أحد وجهين ، إما ضعف في نفس الاختيار ، وإما ملل ، وكلاهما حجة فيه » .  
( العقد الفريد ۲ : ۱۹۳ )

## ۲۶۹ - كتاب له في الذم

وكتب يذم :

« أما بعد ، فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من طريقه إليك ، فالمعروف

(۱) الطلبة : الطلب .

لديك ضائع ، والشكرُ عندك مهجور ، وإنما غايتهُك في المعروف أن تحقره ، وفي وائيه  
أن تكثره . ( العقد الفريد ۲ : ۱۹۶ )

### ۲۷۰ - كتاب له في الذم

وله في الذم إلى والٍ :  
« أمّا والله إن كنتَ لَسِينًا إلى جفدك ، مُخِطًا لحظّك ، غيرَ نبيل في عملك ،  
ولا مُصِيب عزّك عن عمل في حكمك ، تحييف في التضاء ، وتنبّع الهوى وتنبّل  
الرّشا ، لستَ الثابتَ الرزّين ، ولا الحلّيمَ الركين<sup>(۱)</sup> .  
( اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۲۰ )

### ۲۷۱ - كتاب إلى أحمد بن يوسف من صديق له

وكتب إلى أحمد بن يوسف صديق له في يوم دجن<sup>(۲)</sup> :  
« يومُنا ظريفُ النواحي ، رقيقُ الحواشي ، قدرَعدتَ سماؤه وبرّقتَ ، وحنّتَ  
وارججتَ<sup>(۳)</sup> ، وأنتَ قُطبُ السرور ، ونظام<sup>(۴)</sup> الأمور ، فلا تُفردنا منك ، فنقلًا ،  
ولا تُفردنا عنّا فنذلّ ، فإن المرء بأخيه كثير ، وبمساعده جدير .  
( معجم الأدباء ۵ : ۱۷۰ )

### ۲۷۲ - كتاب القاسم بن يوسف إلى صديق له

وجازى القاسم بن يوسف صديقا له على مكروه أتاه ، فكتب إليه بعدله في ذلك ،  
وكتب القاسم :

(۱) الركين : الرزّين وفعله ككرم .  
(۲) الدجن : لباس القيم الأرض وأقطار السماء .  
(۳) ارججت السحاب : مال من ثقله .  
(۴) النظام . الحيط ينظم به لؤاؤ ونحوه ، وملاك الأمر .

« ظلمت - أعزك الله - وما أنصفت ، وأسأت وما أحسنت ، تأتي ذلك اختياراً ، ولا تُتبعه اعتذاراً ، حتى إذا لُدِّعَتْ بِلَظَى الكِفَاةِ (۱) ، وسُلك بك طريقُ المِجَازَةِ ، جعلت ذلك لنا ذنباً ، وألزمنا له عتياً ، ومن لم يعرف قبيح ما يُبئلي ، لم يعرف حسن ما يُؤلي ، والله در القائل :

إذا ما مروا لم يحمل الحقد لم يكن لديه لذي نعمي جزاء ولا شكر ،  
( كتاب الأوراق للصولي ۱ : ۲۰۶ )

### ۲۷۳ - كتاب أحد غلمان الديوان إلى آخر منهم

قال أحمد بن يوسف :

كتب غلام من ولد أنو شروان ممن كان أحد غلمان الديوان إلى آخر منهم ، وكان قد علق به وكان شديد الكلف (۲) به والمحبة له :

« ليس من قدرى - أدام الله سماعتك - أن أقول لمثلك : جعلت فداك ، لأنى أراك فوق كل قيمة نصيرة ، وتتمت معجز ، ولأن نفسى لانسوى نفسك ، فتقبل فى فديتك على كل حال ، فجعاني الله فداء ساعة من أيامك .

أعلم أيها السيد العلي المنزلة ، أنه لو كان لعبدك من شدة الخطب أمر يقف على حدّه النعت ، لا جهد أن يصف من ذلك ما عسى أن يعطف به زمام قلبك ، ويحنو على الرقة والتحنى (۳) أثناء جوانحك ، ولكن الذى أمسيت وأصبحت ممتحناً به فيك ، مُنِعَ عن كل بيان ، ونزح (۴) عن كل لسان .

والحب أيها الملك لم يشبهه قذى (۵) ريبق ، ولم يختلط به قلب معاب ، فلا ينبغي

(۱) الكفاة : المِجَازَةُ .

(۲) كلف به كفرح : أولم .

(۳) حناه يحنوه عطفه ، وتحنى به واحتنى : بالغ في كرامه وأظهر المرور والفرح وأكثر السؤال

(۴) غاب وبعد .

(۵) القذى : ما يقع في العين والشراب . والمعاب : العيب .

لمن كَرُمَتْ أخلاقه أن يعاف<sup>(۱)</sup> مقاربهَ صاحبه المَدِلَّ بِجَزْمِ نَيْتِه ، والذي أَمَنَاهُ أيها المولى اللطيف مجلسٌ أَقِفَ فيه أمامك ، ثم أبوحُ بما أضنى جَسَدِي ، وفَتَّتْ كبدِي ، فإن خَفَّ ذلك عليك ، ورأيتَ نشاطاً من نفسك إليه ، كنتَ كمن فكَّ أسيراً ، وأبرأَ عليلًا ، ومن الخيرِ سَلَكَ سبيلًا يتوعَّرُ مُلوَكُها على من كانَ قبله ويكون بعده ، ثم أضاف إلى ذلك مِنَّةً لا يُطيقها جَبَلٌ رَاسٌ ، ولا فَلَكَ دَائِرَةٌ .

فَرَأَيْكَ أيها السيد المعتمد في الإسعاف قبل أن يَبْدُرَ<sup>(۲)</sup> في الموت ، فيحُولَ بيني وبين ما نَزَعَتْ<sup>(۳)</sup> إليه النفسُ مواصِلًا برًّا إن شاء الله تعالى .

( زمر الآداب ۳ : ۱۴ )

## ۲۷۴ - رده عليه

فأجابه :

« تَوَلَّى اللهُ تعالى ما جرى به لسانك بالزَّيْد ، ولا أَوْحَشَ ما بيننا بطائر فُرْقَةٍ ، ولا حَافِرٍ<sup>(۱)</sup> تَشَدَّتْ ، وَخَمَّنَا وإياك في أوثقِ حِبَالِ الأَسْرِ ، وأوْ كَدِّ أَسْبَابِ الأَلْفَةِ وقفتُ على ما نَلَخْتَهُ من العجز عن بلوغ ما خامرَ قلبك ، وانصَوْرَى في ضميرك ، من الشَّغَفِ المُقَلِّقِ ، والهَوَى الضَّرِيعِ<sup>(۲)</sup> ، ولعمري لو كُشِفَ لك عن مِعْشَارٍ<sup>(۳)</sup> ما اشتمل عليه مُضْمَرٌ صدري ، لأيقنتَ أن الذي عندك إذا نسبته إلى ما عندي كالمقلَّشِ الزَّائِلِ ولكنك بفضل الإِنعام سَبَقْتُمَا إلى كَشْفِ ما في الضمير . وأما طاعتِي لك وذيامِي<sup>(۴)</sup> إليك ، فطاعةُ العَبْدِ المقتنى الطائِعِ لما يَحْكُمُ له وعايه مَوْلَاهُ وَمَالِكُهُ ، وأنا سائرُ إليك وقت كذا ، فتأهَّبْ لذلك بأجهد عافيةٍ ، وأتم عاقِبَةً ، واستعدَّ نَجْمٌ ، حرى بالآلَةِ . إن شاء الله تعالى . »

( زمر الآداب ۳ : ۱۵ )

(۱) يكره . (۲) يسرع ويمجل إلى . (۳) اشتاقت .  
 (۴) حافر الدابة معروف ، والمراد به الدابة : أي ولا كان سبب الوحشة بيننا مطية تفلك إلى مكان ناه عنا .  
 (۵) أضرعه : أذله .  
 (۶) المشاعر والعشير والعشر : جزء من عشرة .  
 (۷) الذمام . الحق والحرمة .



## ۲۷۵ - رسالة سهل بن هرون في البخل

وهذه رسالة سهل<sup>(۱)</sup> بن هرون بن راهبون إلى بنى عمه من آل راهبون ، حين ذموا مذهبه في البخل ، وتتبعوا كلامه في الكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أ صلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلّمكم الخير ، وجعلكم من أهله ، قال الأحنف بن قيس : « يا معشر بنى تميم لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياة من الفرار » وقد كانوا يقولون : « إذا أردت أن ترى العيوب جمة فامل عياباً ، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب » ، وأول العيب<sup>(۲)</sup> أن تعيب ما ليس بعيب ، وقبيح أن تنهى مرشداً ، وأن تفرى بمشفق ، وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإلا لإصلاح فسادكم وإبقاء النعمة

(۱) هو سهل بن هرون بن راهبون ، كما جاء في كتاب البخل وشرح العيون ، وفي حياة الحيوان للدميري ، راهويه ، وفي الفهرست لابن النديم ، رامنوى الدستميساني ، فارسي الأصل من أهل نيسابور ثم انتقل إلى البصرة ، وكان شعوبياً - والشعوبية بضم الشين : فرقة تبغض العرب وتحتقرها وتتعصب للفرس عليها ، اقرأ البيان والتبيين ۳ : ۵۰ والمقد الفريد ۲ : ۷۰ - وكان أول أمره خاصاً بالفضل ابن سهل ، فقدمه إلى المأمون ، فأعجب ببلاغته وعقله ، وجعله صاحب بيت الحكمة . وكان حكماً شاعراً فصيحاً ، إلا أنه كان نهاية في البخل ، وله فيه حكايات عجيبة . من ذلك ما حكاه دعبل الخزاعي ، قال : كنا عنده يوماً فأطلنا العفود حتى كاد يموت جوعاً ، ثم قال : ويحك يا غلام عدنا ، فأناه بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم لا تحز فيه السكين ولا يؤثر فيه الضرس ، فتأمله ثم قال : أين الرأس يا غلام ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ولا تسأل عنه ، قال : ولم ظننت ذلك ؟ إلى والله لأمقت من يرمى برجله ، فكيف من يرمى برأسه ! ولو لم يكن فيما فعلت إلا الطيرة والفأل لكرهته ، أأعلنت أن الرأس رئيس الأعضاء ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصبح الديك ، ولو لا صوته ما أريد ، وفيه عرفة الذي يتترك به وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء ، فيقال : شراب كعين الديك ، ودماغه عجيب لو جمع السكاكين ، ولم يرقط عظم أهنس تحت الأسنان منه . وهب أنك ظننت أني لا آكله ، أو ليس العيال كانوا يأكلونه ؟ فإن كان قد بلغ من جهلك أن لا تأكله فعدنا من يأكله ، أما علمت أنه خير من طرف الجراح ، ومن رأس العنق ؟ انظر إلى أين هو ؟ فقال والله ما أدري أين هو ، ولا أين رميت به ، فقال : الكفى والله أدري ، إنك رميته في بطنك فأنلك الله ، - انظر أخباره في شرح العيون من ۱۶۵ والفهرست لابن النديم من ۱۷۴ و ۱۸۲ والمقد الفريد ۳ : ۲۶۵ وزهر الآداب ۲ : ۲۰۱ وحياة الحيوان للدميري ۱ : ۵۱۳ .

(۲) وفي المقد الفريد : ومن أعيب العيب .

( ۳۵ - جمهرة رسائل العرب - ثالث )

عابكم ، ولئن أخطأنا سبيلَ إرشادكم فما أخطأنا سبيلَ حُسنِ النِّيَّةِ فيما بيننا وبينكم ،  
ثم قد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم<sup>(۱)</sup> ، وشُهرتنا  
في الآفاق دونكم ، ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لتومه : « وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
أُخَالِفَكُمُ إِلَى مَا أَنهَاكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِي  
إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » ، فما كان أحقَّكم في تقديم حُرْمَتنا بكم<sup>(۲)</sup> ،  
أن ترعوا حقَّ قصدنا بذلك إليكم ، وتنبهنا على ما أغفلنا من واجب حقكم ،  
فلا العذرَ المبسوطَ ببلغتم ، ولا بواجب الحرمة فتم ، ولو كان ذكرُ العيوبِ برًا  
وفضلاً<sup>(۳)</sup> رأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغلاً .

وإن من أعظم الشُّقوة ، وأبعدَ من السعادة ، ألا يزال يتذكر زللَ المعلمين ،  
ويتناسى سوء استماعِ المتعلمين ، ويستعظم غاظَ الماذنين ، ولا يحفل بتعمُّدِ العذوبين .  
عَبْتَمُولِي بقولي لخادمي<sup>(۴)</sup> أَجِيدِي عَجْنَهُ خَيْرًا كَمَا أَحَدَتْهُ فَطِيرًا<sup>(۵)</sup> ، ليكون أطيبَ  
لطعمه ، وأزیدَ في ريعه . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورَّحِمَهُ لأهله :  
« اَمْلِكُوا الْعَجِينَ فَإِنَّهُ أَرْبَعٌ لِلطَّعِينِ<sup>(۶)</sup> » .

وعَبْتَمُولِي عَلَى قَوْلِي : من لم يعرف مواقعَ السَّرَفِ في الموجود الرخيص ، لم يعرف  
مواقعَ الاقتصادِ في المتنوعِ الغالي ، فلقد أُوتيتُ من ماء الوضوءِ بِمِكْيَلَةٍ<sup>(۷)</sup> يدل حجمها

(۱) وفيه « إلا بما اخترناه لكم ولأنفسنا قبلكم » .

(۲) وفيه « فما كان أحقنا منكم في حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم على ما رعبناه

من واجب حقكم » .

(۳) وفيه « ولو كان ذكر العيوب يراد به نخر » .

(۴) هو خادم وهي خادم وخادمة .

(۵) الفطير : ضد الخبز ، وهو العجين الذي لم يختمر ، وفي القصد « أجيدى العجين فهو أطيب لطعمه

وأزید في ريعه . والریم : النماء والزيادة .

(۶) ملك العجين كضرب وأملكه وملكه : أنه عجنه ، وفي القصد « املكوا العجين فإنه

أحد الربيعين » .

(۷) المكيلة ما كيل به ، وفي الأصل « بكيلة » وهو تحريف ، والكيلة بالكسر : اسم

من الكيل .

على مَبْلَغِ الكِفاية ، وأشدّ من الكفاية ، فلما صيرتُ إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ،  
 وإلى التوفير عليها من وَظيفة<sup>(١)</sup> الماء ، وجدتُ في الأعضاء فضلا على الماء ، فعلمتُ  
 أن لو كنتُ سَلَكْتُ الأقتصادَ في أوائله ، ورَغِبتُ عن التهاوُن به في ابتدائه ،  
 لخرج آخِرُهُ على كفاية أوّله ، وكان نصيبُ العُضْوِ الأوّلِ كَنصيبِ الآخِرِ ،  
 فِعِبْتُمونى بذلك ، وشنّعتُموه بِجِهْدِكُمْ وَقَبَّحْتُموه ، وقد قال الحَسَنُ<sup>(٢)</sup> عند ذكر  
 السَّرْفِ « أَمَا إِنَّهُ لَيَكُونُ فِي المَاعُونَيْنِ<sup>(٣)</sup> : الماءُ وَالكَلاَّ » فلم يرضَ بِذِكْرِ الماءِ  
 حتى أَرَدَفَهُ بِالكَلاَّ .

وعبتمونى حين ختمتُ على سَدِّ<sup>(٤)</sup> عظيم ، وفيه شيء ثمين من فاكهة نسيئة ،  
 ومن رُطْبَةٍ<sup>(٥)</sup> غريبة ، على عبدٍ نهم ، وصبي جَشِيع ، وأمة أكعاه ، وزوجة خرقاء<sup>(٦)</sup> ،  
 وليس من أصل الأدب ولا في ترتيب الحِكم ، ولا في عادات<sup>(٧)</sup> القادة ، ولا في تدبير  
 السَّادة ، أن يستوى في نثيس المأكول ، وغريب الشروب ، وثمان الملبوس ، وخطير<sup>(٨)</sup>  
 المركوب ، والناعم من كل فن ، واللَّبابِ<sup>(٩)</sup> من كل شكل ، التابعُ والتبوع ،  
 والسيدُ والمُؤد ، كما لا تستوى مواضعهم في المجالس ، وواقع أسمائهم في العُنُونات  
 وما يستقبلون به من التحيَّات ، وكيف وهم لا يفتقدون من ذلك ما يفقد القادر ،  
 ولا يكثرنون له أكثرات العارف ؟ ومن شاء أطعمَ كلبه الدجاج المسمَّن ، وَعَلَّفَ

(١) الوظيفة : ما يقدر لك من طعام أو رزق ونحوه ، ومضاها هنا : المقدر من الماء ، وفي العقد  
 « وضيفة » وهو تحريف .

(٢) أى الحسن البصرى . (٣) الماعون : كل ما انتفعت به .

(٤) السد : سلة من قضبان ، والجمع سداد ككتاب وسدد كعشق .

(٥) أى تمر مرطب ، ويصح أن يكون « ومن رطوبة » بفتح فسكون : أى ومن فاكهة رطبة طرية  
 وفي العقد « من فاكهة رطوبة نقيه ، ومن رطوبة غريبة » .

(٦) نهم : شره ، وجشع : شديد الحرص شره أيضا ، والأكعاه : نسيئة ، وخرقاء : حرقاء ، وفي  
 العقد « وزوجة مضيفة » .

(٧) وفي العقد « عدالة » . (٨) أى عظيم .

(٩) لب كل شيء وليابه : خالصه وخياره .

حِجَارَه السَّمَمِ المَقَشَّرِ ، فَعَبْتُمُونِي بِأَخْتَمِي ، وَقَدْ خَتَمَ بَعْضُ الأَئِمَّةِ عَلَى مِزْوَدٍ <sup>(۱)</sup> سَوِيقٍ ،  
وَوَخَتَمَ عَلَى كَيْسِ فَارِغٍ ، وَقَالَ : « طَيِّبَةٌ <sup>(۲)</sup> خَيْرٌ مِنْ طَيِّبَةٍ » فَأَمْسَكْتُمْ عَنْ خَتَمِي عَلَى  
لَا شَيْءٍ ، وَعَبْتُمْ مِنْ خَتَمِي عَلَى شَيْءٍ .

وَعَبْتُمُونِي حِينَ قَلْتِ لِلغَلَامِ إِذَا زِدْتِ فِي المَرَقِ فَزِدِي فِي الإِنْضَاجِ ، لِيَجْتَمَعَ مَعَ التَّادِيمِ  
بِاللَّحْمِ طَيِّبُ المَرَقِ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا طَبَخْتُمْ لِحْمًا فَزِيدُوا فِي المَاءِ ،  
فَإِنْ لَمْ يُصِيبْ أَحَدَكُمْ لِحْمًا أَصَابَ مَرَقًا » .

وَعَبْتُمُونِي بِخَصْفِ <sup>(۳)</sup> النَّعَالِ ، وَبِتَصْدِيرِ القَمِيصِ ، وَحِينَ زَعَمْتُ أَنَّ المَخْصُوفَةَ مِنَ  
النَّعْلِ أَبْقَى وَأَوْطَأَ وَأَقْوَى وَأَنْتَفَى لِلاَكْبَرِ ، وَأَشْبَهَ بِالنُّسْكَ ، وَأَنَّ التَّرْقِيعَ مِنَ الخَزْمِ ،  
وَأَنَّ الاجْتِمَاعَ مَعَ الحِفْظِ ، وَأَنَّ التَّفَرُّقَ مَعَ التَّضْيِيعِ <sup>(۴)</sup> ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ ، وَيَلْعَقُ أَصَابِعَهُ ، وَيَقُولُ : « لَوْ أَتَيْتُ بِذِرَاعٍ لِأَكَلْتُ <sup>(۵)</sup> ،  
وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ <sup>(۶)</sup> لَأَجَبْتُ » وَلَقَدْ لَفَقْتُ <sup>(۷)</sup> سَعْدَى بَدَتْ عَوْفَ إِزَارَ طَلْحَةَ <sup>(۸)</sup>

(۱) الميزود : وعاء الزاد ، والسويق : طعام يعمل من الخنطة والشعير .

(۲) طابه : ختمه بالطين .

(۳) خصف النعل كرقع الثوب ، ويقال : صدر كتابه إذا جعل له صدرا ، وهو مصدر : أى قوى  
الصدر ، والمراد بتصدير القميص : تقوية صدره برقعة أو ببطانة ، وأوطأ : ألين .

(۴) وفي العقد « والتفريط من التضميم » .

(۵) وفيه « لو أهدى إلى ذراع لقبلت » .

(۶) الكراع من البقر والغنم : بمنزلة الوظيف من الفرس ، وهو مستدق الساق .

(۷) لفق الثوب كضرب : ضم شقة إلى أخرى خاطهما .

(۸) هو طلحة بن عبيد الله التيمي القرشي ابن عم أبي بكر الصديق ، خرج مع الزبير وعائشة إلى البصرة  
للاطلب بدم عثمان وقتل يوم الجمل سنة ۳۶ ، وقد قدمنا لك خبره في الجزء الأول ، وكان من أجواد  
العرب ، وعنه أنه قال سمأ بن زيد بن عبيد الله عليه وسلم يوم أحد : طلحة الحير ، ويوم غزوة ذات العشيرة :  
طلحة الفياض ، ويوم حنين طلحة الجود ، وقال فيه عمرو بن العاص حين بلغه مقتل عثمان : من يلي هذا  
الأمر من بعده ؟ إن ياله طلحة فهو فتى العرب سيبا ( أى عطاء ) وحكى عنه أنه يفرق في يوم واحد مائة  
ألف درهم وقال قبيصة بن حاتم : صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت أعطى لجزيل من غير مسألة منه .

واستتماما للفائدة نقول : هو أحد مشهورى الطلحات الذين يضرب بهم المثل في الجود ، وكانوا ستة  
ويسمى هذا طلحة الفياض ، وطلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي أيضا ، ويسمى طلحة الجود ،  
وطلحة بن عبد الله بن عوف أخى عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، ويسمى طلحة الندى ، وطلحة بن الحسن  
ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ويسمى طلحة الحير ، وطلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر =

وهو جواد قريش ، وهو طلحة الفيّاض ، وكان في ثوبٍ عُمرَ رِقَاعُ أَدَمَ ، وقال (١) :  
 « من لم يستحي من الحلال خفت مؤنته وقلّ كبره . » وقالت الحكماء : لا جديد لمن  
 لا يلبس الخلق ، وبعث زياد رجلا يرتاده (٢) محدّثا ، واشترط على الرائد أن يكون  
 عاقلا مسدّدا ، فأناه به موافقا ، فقال : أكنتَ ذا معرفة به ؟ قال : لا ولا رأيتَه قبل  
 ساعته ، قال : أفناقلته (٣) الكلام ، وفاتحته الأمورَ قبل أن توصله إليّ ؟ قال : لا ،  
 قال : فلم اخترته على جميع من رأيتَه ؟ قال : يوما يومٌ قانِظٌ (٤) ، ولم أزل أتعرف  
 عقول الناس بطعامهم ولبامهم في مثل هذا اليوم ، ورأيتُ ثيابَ الناس جُدّدا ، وثيابَه  
 لبّسا (٥) ، فظننتُ به الحزم (٦) . وقد علمنا أن الجديد في موضعه دون الخلق (٧) ، وقد  
 جعل الله عز وجل لكل شيء قَدْرًا ، وبقوًّا له موضعا ، كما جعل لكل دهر رجلا ،  
 ولكل مقام مقالا ، وقد أحيا الله بالسُّم ، وأمات بالغيذاء ، وأغصّ بالماء ، وقتل بالدواء ،  
 فترقيعُ الثوب يجمع مع الإصلاح التواضع ، وخلافُ ذلك يجمع مع الإسراف التكبر ،  
 وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكسبيين ، كما زعموا أن قلة العيال أحدُ اليسارين ،

== الصديق ، ويسمى طلحة الدرام ، وطلحة بن عبدالله بن خبيب المزاعي البصري ، ويسمى طلحة الطلحات ،  
 سمى بذلك لأنه كان أجودهم ، وقيل : لأنه وهب في عام واحد ألف جارية ، فسكانت كل جارية مهن  
 إذا ولدت غلاما تسميه طلحة على اسم سيدها ، وقيل سمى بذلك بسبب أمه ، وهي صفية بنت الحرث بن  
 طلحة بن أبي طلحة ، وأخوها أيضا طلحة بن الحرث ، فقد تكفنه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقد شهد  
 الجمل مع عائشة ، ومات بسجستان سنة ٦٣ ، وفيه بقول عبد الله بن قيس الرقيات :

نصر الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

انظر أسد الغابة ٣ : ٥٩ وخلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ص ١٥٢ وتاريخ الطبري ٥ : ٢٣٤ ،  
 وغرر الحاصل الواضحة ص ٢٤٥ ، وخزانة الأدب للبغدادى ٣ : ٣٩٤ ، ولسان العرب ٣ : ٣٦٣ ،  
 ومعجم البلدان ٥ : ٣٩ ، والعقد الفريد ١ : ٨٩ .

(١) وفي العقد « وقال عليه الصلاة والسلام . « من لم يشبم من الحلال ... » .

(٢) يرتاد : يطلب . (٣) المناقلة في المنطق أن تحدثه ويحدثك .

(٤) قانِظٌ يومنا : اشتد حره .

(٥) جمع لبس : وهو الثوب قد أكثر لبسه فأخلق .

(٦) وفي العقد « فقال له : أكنتَ به ذا معرفة ؟ قال : لا ولكن رأيتَه في يوم قانِظٍ يلبس خلفا  
 ويلبس الناس جديدا ، ففرست فيه العقل والأدب » .

(٧) وفيه « وقد علمت أن الخلق في موضعه مثل الجديد في موضعه » .

وقد جَبَرَ الْأَحْنَفُ يَدَ عَنَزٍ وَأَمَرَ بِذَلِكَ النِّعْمَانَ<sup>(۱)</sup> ، وقال عمر : « من أكل بيضة  
فتد أكل دجاجة » ، ولَبِيسَ سَالِمٌ<sup>(۲)</sup> بن عبد الله جِلْدَ أُضْحِيَّةٍ ، وقال رجل لبعض  
السادة : أريد أن أهدي إليك دجاجة ، فقال : إن كان لا بدَّ فاجعلها بيوضاً ، وعدَّ  
أبو الدرداء العُرَاقَ<sup>(۳)</sup> جَزَرَ البهيمة .

وعبتموني حين قلت : لا يفتَرَنَ أَحَدُكُمْ بطول عمره ، وتَقْوُسَ ظهره ، وورِقَةَ عظمه ،  
وهن قوته ، وأن يرى نحوه أكثر ذرِبته فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يديه ،  
وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السَّرَفِ فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعلة أن  
يكون مُعَمَّرًا وهو لا يدري ، وممدودًا له في السن وهو لا يشعر ، ولعله أن يرزق الولدَ  
على اليأس ، أو يحدث عليه بعضُ مَخَبَّاتِ الدهور ، مما لا يخطر على البال ولا تُدرِكُه  
العقول ، فيستردّه ممن لا يرُدُّه ، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه ، أضعفَ  
ما كان عن الطلب ، وأقبح ما يكون به الكسب<sup>(۴)</sup> ، فعبتموني بذلك ، وقد قال  
عمرو بن العاص : « اعملْ لِدُنْيَاكَ عَمَلًا من يعيشُ أبدأ ، واعملْ لِآخِرَتِكَ عَمَلًا من  
يموت غداً » .

وعبتموني حين زعمتُ أن السرف والتبذير : إلى مال القمار ، ودال الميراث ،  
وإلى مال الالتقاط ، وحباء<sup>(۵)</sup> الملوك ، أمرعُ ، وأن الحفظ إلى المال المكتسب ، والغنى  
المجتلب ، وإلى ما لا يعرض فيه لذهاب الدين ، واهتضام العرض ، ونصب البدن  
واهتمام القلب ، أمرعُ ، وإن من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم

(۱) أي أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، وفي العقد « وأمر مالك بن أنس بفرك النمل » .

(۲) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

(۳) قد نأكلنا كلمة عن أبي الدرداء في الجزء الأول ، والعراق كعراب : العظام إذا جردت

من اللحم ، والجزر بالتحريك : الشياخ السمين ، الواحدة جزرة .

(۴) وفي العقد « أصعب ما كان عليه الطلب ، وأقبح ما كان به أن يطلب » .

(۵) الحباء : المطاء .

يَحْسَبُ الدَّخَلَ فَقَدْ أَضَاعَ الْأَصْلَ ، وَإِنْ مِنْ لَمْ يَعْرِفْ لِلغَيْبِ قَدْرَهُ ، فَقَدْ أُوزِنَ بِالْمَقَرِ ،  
وَطَابَ نَفْسًا بِالذَّلِّ .

وعبتموني بأن قلت : إن كَسْبَ الحلالِ يضمنُ الإنفاقَ في الحلالِ . وإن الخبيثُ  
ينزِعُ إلى الخبيثِ ، وإن العطيْبَ يدعو إلى العاطيبِ ، وإن الإنفاقَ في الهوى حِجَابٌ  
دونَ الحقوقِ ، وإن الإنفاقَ في الحقوقِ حِجَابٌ دونَ الهوى<sup>(۱)</sup> ، فعبتم على هذا القول ،  
وقد قال معاوية : « لم أرَ تَبْذِيرًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَانِبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ » وقد قال الحسن :  
« إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله ، فانظروا في أي شيء يُنْفِقُهُ ؟ فإن  
الخبيثَ إنما يُنْفِقُ في السَّرَفِ » .

وقلت لكم : بالشفقة مني عليكم ، وَبِحُسْنِ النَّظَرِ مِنِّي لَكُمْ ، وَبِحِفْظِكُمْ لِآبَائِكُمْ ،  
وَلَمَّا يَجِبُ فِي جِوَارِكُمْ ، وَفِي مُمَالِحَتِكُمْ<sup>(۲)</sup> ، وَمَلَابَسَتِكُمْ ، وَأَنْتُمْ فِي دَارِ الْآفَاتِ ،  
وَالجَوَائِحِ<sup>(۳)</sup> غَيْرُ مَأْمُونَاتٍ ، فَإِنْ أَحَاطَتْ بِمَالِ أَحَدِكُمْ آفَةٌ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى بَقِيَّةٍ ،  
فَأَحْرَزُوا<sup>(۴)</sup> النعمة باختلاف الأمكنة ، فَإِنَّ البليَّةَ لا تجرى في الجميع إلا بموت الجميع ،  
وقد قال عمر رضي الله عنه في العبد والأمة والشاة والبعير ، وفي الشيء الخفير اليسير :  
« فَرَّقُوا بَيْنَ المَنَايَا ، وَاجْعَلُوا الرُّؤْسَ رَأْسِينَ<sup>(۵)</sup> » وقال ابن سيرين<sup>(۶)</sup> لبعض البَحْرِيِّينَ :  
كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِأَمْوَالِكُمْ ؟ قَالُوا : نَفَرَّقُهَا فِي السَّفَنِ ، فَإِنَّ عَاطِبَ بَعْضٍ سَلِمَ بِبَعْضٍ ،

(۱) وفي القصد « وإن الإنفاق في الهوى حِجَابٌ دونَ الهوى » وعليه فكلمة الهوى الثانية معرفة  
وصوابها « الهدى » .

(۲) المألحة : المواصلات .

(۳) الجوائح جمع جائمة ، وهي الشدة المهلكة . (۴) أي حصنوها .

(۵) أي فرقوا غنمكم في أماكن مختلفة حتى إذا اخترمت النية بعضها لسبب ما كان الباقي بمنزلة ونجاة ،

أو معناه عملوا على تنميتها حتى يتضاعف عددها .

(۶) هو محمد بن سيرين أحد فقهاء أهل البصرة ، وكان معروفًا بالورع ، وهو صاحب الحسن

البحري ، وتوفي سنة ۱۱۰ هـ .

ولولا أن السلامة أكثر لما حملنا خزائنا في البحر ، قال ابن سيرين : تحسبها خرقةً وهي صناع<sup>(۱)</sup> .

وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى لسُكراً ، وإن للمال لزوة<sup>(۲)</sup> ، فن لم يحفظ الغنى من سُكْر الغنى فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله ، فعبتموني بذلك ، وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلاً من غنى أمين الفقر ، وسُكْر الغنى أشد من سكر الخمر ، وقلتم : قد لزم الحث على الحقوق ، والتزهيد في الفضول ، حتى صار يستعمل ذلك في أشعاره بعد رسائله ، وفي خطبه بعد سائر كلامه ، وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد بن برمك :

هدرُ تلادِ المالِ فيما ينوبُهُ مَنوعٌ إذا ما منعه كان أحزماً<sup>(۳)</sup>

وقال في محمد بن زياد :

وخَلِيقَتانِ : تُعَى وفضلٌ تحرُّمٍ وإِهانةٌ في حَقِّهِ للمال

وعبتموني حين زعمت أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يُفادُ العلم<sup>(۴)</sup> ، وبه تقومُ النفوسُ قبل أن تعرفَ فضلَ العلم ، فهو أصل ، والأصلُ أحقُّ بالفضل من الفرع ، وأنى قلت : إن كنا نستبينُ الأمورَ بالنفوس ، فإننا بالكفاية نستبين ، وبأخلة نعى<sup>(۵)</sup> ، وقلتم كيف تقول هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء ، ومقدم الأدباء ، العلماء أفضل أم الأغنياء ؟ قال : بل العلماء ، قيل : فما بال العلماء يأتون بابَ الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبوابَ العلماء ؟ قال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، ولجهل

(۱) خرقة : وصف من الحرق بالتحريك ، وهو أن لا يحسن المرء العمل والتصرف في الأمور ، وإدراة صناع حاذقة بالعمل ماهرة ويقال أيضا امرأة صناع اليدين : أى حاذقة ماهرة بعمل اليدين ، وهو مثل يضرب لمن تظن به الغفلة وهو فظن بفظ .

(۲) النزوة : الوثبة والثورة .

(۳) وفي العقد « وهوب تلاد المال ... » والتلاد : المال القديم الذى ولد عندك .

(۴) وفى البخلاء « به يفاث العالم » . (۵) الخلة : الفقر ، ونعى : نضل .



الأغنياء بفضل العلم ، فقلتُ : حائلهما هي القاضيةُ بينهما ، وكيف يستوى شيء تَرَى حاجةَ الجميع إليه ، وشيء يُغني بعضهم فيه عن بعض ؟

وعبتموني حين قلتُ : إن فضل الغنى على القوتِ إنما هو كفضل الآلة تكون في الدار : إن احتيجَ إليها استعملت ، وإن استغنيَ عنها كانت عدّةً ، وقد قال الخُضَين<sup>(١)</sup> بن المنذر : وَدِدْتُ أَنْ لِي مِثْلَ أَحَدٍ<sup>(٢)</sup> ذَهَبًا لَا أَنْتَفِعَ مِنْهُ بِشَيْءٍ ، قيل : فما ينفعُك من ذلك ؟ قال : لكثرة من كان يخدمُني عليه ، لأن المال مخدموم ، وقد قال بعض الحكماء : « عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه إلا أنه عزٌّ في قلبك ، وذلٌّ في قلب عدوك ، اسكان الخُطِّ فيه جسيما ، والنفع فيه عظيما » ولنا ندعُ سيرة الأنبياء ، وتعليم الخلفاء ، وتأديب الحكماء ، لأصحاب الأهواء<sup>(٣)</sup> . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، والفقراء باتخاذ الدجاج ، وقال : « دِرْهَمُكَ لِمَعَاشِكَ ، وَدِينُكَ لِمَعَادِكَ » فقموا الأمور كلها على الدين والدنيا ، ثم جعلوا أحد قِسْمَيِ الجميع الدرهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « إني لأبغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد » وكانوا يُبغضون أهل البيت اللّحميين<sup>(٤)</sup> ، وكان هشام<sup>(٥)</sup> يقول : « ضَعِ الدَّرْهَمَ عَلَى لَدَّرْهَمٍ يَكُونُ مَالًا » ونهى أبو الأسود الدؤلي<sup>(٦)</sup> وكان حكيما أدبيا ، وداهيا أريبا<sup>(٧)</sup> عن جودكم هذا الولد ، وعن كرمكم هذا المستحدث ، فقال لابنه : « إِذَا بَسَطَ اللَّهُ لَكَ فِي الرِّزْقِ قَابِسُطًا ، وَإِذَا قَبَضَ قَابِضًا ، وَلَا تُجَاوِدِ<sup>(٨)</sup> اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) بالضاد المعجمة ، وهو صاحب راية الإمام على كرم الله وجهه بصين ، وفيه يقول الإمام :

لمن راية حمراء يخفق ظلها إذا قلت قدمها حزين قدما

فيوردها في الصف حتى يزيرها حياض الناياتقطر الموت والدماء

انظر العمدة لابن رشيقي ١ : ١٤ ، ولسان العرب ١٦ : ٢٨٠ .

(٢) أحد : جبل بالمدينة .

(٣) وفي المقدم لأصحاب اللهو .

(٤) اللحم ككتف : الأكل اللحم القرم إليه .

(٥) هو هشام بن عبد الملك ، وكان معروفا بالبخل . (٦) وكان معروفا بالبخل أيضا .

(٧) أي عاقلا . (٨) أي لا تغالبه ولا تباره في الجود .

أجود منك » وقال : « درهم من حِلِّ يَخْرُجُ فِي حَقِّ ، خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ قَبْضًا »  
 وَتَلَقَّطَ عُرْنَدًا مِنْ بَرِيمٍ<sup>(۱)</sup> فَقَالَ : تُذَيِّعُونَ مِثْلَ هَذَا وَهُوَ قَوْتُ أَمْرِي مُسَلِّمٌ يَوْمًا إِلَى  
 اللَّيْلِ ! وَتَلَقَّطَ أَبُو الدَّرَّزْدَاءِ حَبَّاتِ حِنْطَةٍ ، فَهَاهُ بَعْضُ الْمُسْرِفِينَ ، فَقَالَ : « لِيَهْتَبِ  
 ابْنُ الْعَبْدِيَّةِ أَنْ مَرَّ فَرَّقَةَ الْمَرْءِ رِفْقَهُ فِي مَعِيشَتِهِ » فَلَسَّمْ عَلَى تَرْدُونٍ ، وَلَا رَأْيِي تَفَنَّدُونَ<sup>(۲)</sup>  
 فَقَدَّمُوا النَّظَرَ قَبْلَ الْعَزْمِ وَتَذَكَّرُوا مَا عَلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ تَذَكَّرُوا مَا لَكُمْ<sup>(۳)</sup> ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .  
 ( كِتَابُ الْبُخْلَاءِ ص ۸ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ۳ : ۲۷۴ )

## ۲۷۶ - كِتَابُ سَهْلِ بْنِ هُرُونَ إِلَى صَدِيقِ لَهُ

وَكَتَبَ سَهْلُ بْنُ هُرُونَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ أَبَلَّ<sup>(۴)</sup> مِنْ ضَعْفٍ :

« بَلَّغْنِي خَيْرُ الْفَتْرَةِ<sup>(۵)</sup> فِي إِيَامِهَا وَأَنْحِسَارِهَا ، وَالشُّكَاةِ فِي حُلُولِهَا ، وَارْتِمَالِهَا ،  
 فَكَادَ يَشْغَلُ الْقَلْقُ بِأَوَّلِهِ عَنِ السَّكُونِ لِآخِرِهِ ، وَتُذْهِلُ الْخَيْرَةُ فِي ابْتِدَائِهِ ، عَنِ الْمَسْرَةِ  
 فِي انْتِهَائِهِ ، وَكَانَ تَغْيِيرِي فِي الْحَالَيْنِ بِقَدَرِهَا ، ارْتِيَاعًا<sup>(۶)</sup> لِلأُولَى ، وَارْتِيَاعًا لِلْآخِرَى . »  
 ( مَرْحُومَةُ الصِّيُونِ ص ۱۶۸ )

(۱) المرند : الصلب . والبريم : السكبد والنام ، يقدان طولاً وبلغان بخرط أو غيره .

(۲) فند رأيه : خطأ .

(۳) وفي العقد « وأدر كوا مالكم قبل أن تذكروا ما لكم » .

(۴) أبلى من مرضه : حسنت حاله بعد الهزال .

(۵) الفترة : الضعف ، يقال : أجد في نفسي فترة ، وهي كالضعفة بالفتح ، ويقال للشيخ : قد علته

كبرة وعمرته فترة ، يفتح الكاف والقاف ، والفتحة بالتحريك : الضعف أيضاً ، فترجسه فتورا : لانت  
 مفاصله وضعف .

(۶) ألم به نزل ، وانحسر : انكشف ، والشكاة : الشكوى ، والارتباع : الفرع .

## ۲۷۷ - كتابه إلى صدق له

وكتب لآخر :

« أما بعد ، فالسلامُ على عهدك ، وداعِ ذِي وَدِّ ضنين بك ، في غير مَقْلِيَّة<sup>(١)</sup> لك ،  
ولا سَلْوَةٍ عنك ، بل استسلامٍ للبلوى في أمرك ، وإقرارٍ بالعجز عن استعطافك إلى  
أوانِ فَيْئَتِكَ<sup>(٢)</sup> ، أو يجعل الله لنا دولة من رَمَقِكَ<sup>(٣)</sup> . » (شرح العيون ص ۱۶۸ )

## ۲۷۸ - ومن رسالة له يفضل الزجاج على الذهب

وقال يفضل الزجاج على الذهب في رسالة :

« الزجاجُ بَجَلْوٍ نُورِيٍّ ، والذهبُ متاعُ سائرٍ ، والشَّرَابُ في الزجاجِ أحسنُ منه  
في كلِّ معدِنٍ ، ولا يُفقدُ معه وجهُ النديمِ ، ولا يُثقلُ اليدَ ، ولا يرتفعُ في السَّوْمِ<sup>(٤)</sup> ،  
واسمُ الذهبِ يُتطَيَّرُ منه ، ومن لؤمه سرعتهُ إلى اللثامِ : وهو فاتِنٌ فانتك<sup>(٥)</sup> لِمَن صانهُ ،  
وهو أيضاً من مصايدِ إبليس ، ولذلك قالوا : أهلكَ الرجالَ الأحران<sup>(٦)</sup> ، والزجاجُ  
لا يحملُ الوَضْرَ<sup>(٧)</sup> ، ولا يُدَاخِلُهُ الفمَرُ ، ومتى غَسِلَ بالماءِ وحدهُ عادَ جديداً ، وهو

(١) قلاء كرماء ورضيه قلى بالكسر وقلاء بالفتح ومقلية : أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه.

(٢) الفَيْئَةُ بالفتح والكسر : الرجوع .

(٣) رمقه كنعصر : نظر إليه ولحظه .

(٤) السوم في المبايعة : المساومة . (٥) أي غالب ، من الفتك ، وهو الغلبة .

(٦) جاء في المان : أهلك الناء الأحران : ينعون الذهب والزعفران : أي أهلكن حب الحلي والطيب ، وأهلك الرجال الأحران : اللحم والحمر . وأقول : والمناسب للعقام هنا أن يكون المراد بالأحرين : الذهب والحمر ، أو الذهب والفضة على أن التنية من باب التعلب .

(٧) الوضر : وسخ الدم واللبن ، أو غسالة السقاء والتصعة ونحوها ، والمراد الوسخ مطلقاً ،  
والفمر : زئبق اللحم وما يتلق باليد من دسمة .

أشبه شيء بالماء ، وصفته عجيبة ، وصناعته أعجب . . « من رسالة طويلة<sup>(۱)</sup> .

( سرح العيون ص ۱۶۸ )

## ۲۷۹ - كتاب الحسن بن سهل إلى سهل بن هرون

وقال ابن النديم في الفهرست :

وعمل سهل بن هرون للحسن بن سهل رسالة يمدح فيها البخل ويرغبه فيه ، ويستميجه<sup>(۲)</sup> في خلال ذلك ، فأجابه الحسن على ظهر رسالته :

« وصلت رسالتك ، ووقفنا على نصيحتك ، وقد جعلنا المكافأة عنها القبول منك والتصديق لك ، والسلام . »

ولم يصله عنها بشيء .

وجاء في زهر الآداب وسرح العيون :

وصنف سهل بن هرون كتاباً يمدح فيه البخل ويذم الجود ، ليظهر قدرته على البلاغة ، ثم أهداه للحسن بن سهل في وزارته للأمن واجتماعه ، فكتب إليه الحسن :

(۱) قال ابن نباتة : « وكان سبب قوله لها أن شداداً الحارثي كان قد وصف الذهب فأطرب ، وكان النظام قد ذم الزجاج . »

وروى أنه ألف كتاباً سماه « عَفْرَاءُ وَثُمَّلَةٌ » على مثال كتاب كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ

لابن المقفع ، ومن قوله فيه :

« اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من

تفضلكم ، فإن تقديم الغافلة مع الإبطاء في أداء الفريضة ، شاهدٌ على وهن العقيدة ،

وتقصير الروية ، ومُضِرٌّ بالتدبير ، ومُخِلٌّ بالاختيار ، وليس في نفعِ مُحَمَّدٍ به ، عِوَضٌ

من فساد المُرُوءة ، ولزوم النَّقِيصَة . »

( سرح العيون ص ۱۶۹ ، وزهر الآداب ۲ : ۲۰۲ )

(۲) استباحه : سأله العطاء .

« لقد مدحت ما ذمه الله ، وحسنت ما قبّحه الله ، وما يقوم صلاح لفظك  
بإطلاق معنائه ، وقد جعلنا ثواب مدحك قبول قولك فيه ، فما نُعطيك شيئاً » .

( الفهرست لابن النديم ص ۱۷۴ ، وزهر الآداب ۳ : ۱۵۰ ، وشرح العيون ص ۱۶۶ )

## ۲۸۰ - كتاب العتابي إلى بعض إخوانه

وكتب كلثوم بن عمرو العتابي<sup>(۱)</sup> إلى بعض إخوانه :

« لو اعتصم شوقى إليك بمثل سلوك عنى ، لم أبذل وجه الرغبة إليك ، ولم أتجشم مرارة  
تماديك ، ولكن استخففتنا صبابتنا ، فاحتملنا قسوتك ، لعظيم قدر مودتك ، وأنت  
أحق من اقتصص لصلتنا من جفانه ، ولشوقنا من إبطائه » . ( زهر الآداب ۳ : ۳۲۶ )

## ۲۸۱ - كتاب آخر له

وله :

« دُعيتُ إليك ونفسي رهينة بشكرك ، ولساني عاقق بالثناء عليك ، والغالبُ  
على ضميري لأئمة نفسي في الإبطاء عنك ، واستقلالُ لجهدى في مكافأتك ، وأنت  
- أعزك الله - في عز الغنى عني ، وأنا تحت ذل الفاقة إلى عطفك ، وليس من  
متشابه أخلاقك أن تولي جانب النبوة<sup>(۲)</sup> منك ، من هو عانٍ في الضراعة إليك » .

( زهر الآداب ۳ : ۳۲۶ ، والمنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۹ )

(۱) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي من أهل قنسرين ، كان شاعراً مقدماً من شعراء الدولة  
عباسية ، وكان حسن الترسيل ، وكان منقطعاً إلى البرامكة ، فوصلوه بالرشيد فبلغ عنده كل مبلغ ، ثم  
كتب المأمون في إشغافه إليه ووصله صلوات سنية ، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل - انظر ترجمته  
في الأغاني ۱۲ : ۲ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۵۹۹ في ترجمة العتابي النحوي ، والفهرست لابن النديم  
ص ۱۷۵ ، والشعر والشعراء ص ۳۶۰ ، وتاريخ بغداد ۱۲ : ۴۸۸ .

(۲) النبوة : التجاني والتباعد ، والعالى : الأسبر ، والضراعة : الذل .

## ۲۸۲ - کتاب آخر له

وكتب العتّابي :

« أما بعد ، فإنّ أحداً ليس بمستخّاصٍ شيئاً من غَضَارَةِ<sup>(۱)</sup> عَيْشٍ إِلَّا مِنْ بَيْنِ خِلَالِ مَكَارِهِ ، فَمَنْ<sup>(۲)</sup> انتظر بعاجل الدَّرَكِ آجَلَ الاستقصاء ، سلبته الأيامُ فُرْصَتَهُ ، لأن من صناعتها السَّلْبُ ، ومن شرط الزمن الإفاته » .  
( زهر الآداب ۳ : ۳۸۶ ، واختيار المنظوم والمشور ۱۲ : ۲۵۹ )

## ۲۸۳ - كتابه إلى بعض أهل السلطان

وكتب العتّابي إلى بعض أهل السلطان :

« أما بعد ، فإن سحاب وعدك قد ابرقت ، فليكن وبلها<sup>(۳)</sup> سالماً من عِلَلِ المَطَلِ ، والسلام » .  
( العقد الفريد ۱ : ۷۵ )

## ۲۸۴ - كتابه إلى صديق له

وكتب إلى صديق له :

أما بعد ، أطال الله بقاءك ، وجعله يمتدُّ بك إلى رضوانه والجنة ، فإنك كنت عندنا روضةً من رياض الكرم ، تبتهجُّ النفوسُ بها ، وتسرح القلوبُ إليها ، وكنا نُعْفِيهَا مِنَ النُّجْعَةِ<sup>(۴)</sup> استقاماً لزهرتها ، وشفقةً على خضرتها ، وادّخارا لثمرتها ،

(۱) الغضارة : النعمة والسعة والخصب .

(۲) في زهر الآداب « ومن انتهر بمعالجة الدول ومؤاجلة الاستقصاء ، فسكينة الأيام ترمفه »

وهو تحريف .

(۳) الويل : المطر الشديد .

(۴) النجعة : طاب الكلام في موضعه .

حتى أصابتنا سنة كانت عندي قطعة من سني يوسف ، واشتد علينا كذبها (۱) ،  
وغابت قِطَّتْهَا (۲) ، وكذبتنا غيومها ، وأخلفتنا بروقها ، وققدنا صالح الإخوان فيها ،  
فانتجعتك (۳) وأنا بانتجاعي إياك شديد الشفقة عليك ، مع علي بأنك موضع الرائد (۴) ،  
وأنتك تُغطّي عين الحاسد ، والله يعلم أني ما أعدك إلا في حومة الأهل . واعلم أن  
الكريم إذا استجيا من إعطاء القليل ، ولم يُمكنه الكثير ، لم يُعرف جوده ، ولم  
تظهر همته ، وأنا أقول في ذلك (۵) :

ظِلُّ الْبَسَارِ عَلَى الْعَبَّاسِ مَمْدُودٌ      وَقَلْبُهُ أَبَدًا بِالْبَخْلِ مَعْقُودٌ  
إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ      حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودٌ  
وَالْبَخِيلُ عَلَى أَمْوَالِهِ عَيْلٌ      زُرْقُ الْعُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودٌ (۶)  
إِذَا تَكْرَمْتَ عَنْ بَدْلِ الْقَلِيلِ وَلَمْ      تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرِ الْجُودُ (۷)  
بُتَّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ      فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودٌ  
فشاطره ماله حتى أعطاه إحدى نعليه ونصف قيمة خاتمه .

( الأما لي ۲ : ۱۳۷ )

- (۱) كلب الزمان كفرح كلنا : اشتد وأح على أهله بما يسوءهم .  
(۲) أي لأنها لا تجد مانأ كله ، كناية عن الجذب والقطط . قال في اللسان « القط : السور ،  
والأني قطة ، وقال كراع : لا يقال قطة ، قال ابن دريد : لا أحسبها عربية . »  
(۳) انتجعه : أتاه طالباً معروفه . (۴) الرائد : المرسل في طلب الكلاب .  
(۵) الأبيات ابشار بن برد يهجو العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، وكان بشار قد استمنحه  
فلم يمنحه - انظر الأغاني ۳ : ۴۶ .  
(۶) جرى في التعبير بزرق العيون على طبيعة العرب . فقد كانوا بكرهون الروم - وقد نشبت  
الحرب بينهم وبين العرب دهوراً كثيرة - والروم كما تعلم زرق العيون ، فكانت الزرقة أبيض شيء  
من ألوان العيون إلى العرب ، ولذا قالوا في صفة العدو : أزرق العين ، وأضاف إليها بشار أنها في أوجه  
سود تعظما انكارتها وبشاعتها . أي أن عائل البخيل ومعاذيره في المنم قبيحة منكرة كهذه الهيئة .  
(۷) وفي رواية الأغاني « إذا تكبرمت أن تغطي القليل ... » .

### ۲۸۵ - تعزیه له

« إن أشدَّ من المصيبة حرمان الأجر فيها والحسبة ، وقد ذهب منك ما رزيت .  
فلا يذهب منك ما عوّضت ، قال الشاعر :

وعوّضت أجراً من فقيده فلا يكن قعيدك لا يأتي وأجرك يذهب<sup>(۱)</sup>

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۱ )

### ۲۸۶ - کتاب له

« إن أقلَّ من بلائك عندي يستفرقُ ثنائِي ، وأقلَّ من تأميلي إياك يُعني على

ما كان مني ، وليس لك - مع فضلك ورجائي تجاوزك سبيلٌ إلى قطيعتي .

( المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۹ )

### ۲۸۷ - فصول للعتابي

فصل له :

« أنت أيها الأمير وارثُ سلفك ، وبقيةُ أعلام أهل بيتك ، السدودُ به تُلمهم ،  
المجددُ به قديمُ شرفهم ؛ المحيياً به أيامُ سعيهم ، وإنه لم يتحمل من كنت  
وارثه ، ولا درست آثارُ من كنت سالك سبيله ، ولا أُنحت أعلام من خلفته  
في رتبته . »

وفصل له :

« تأنينا<sup>(۲)</sup> إفاقتك من سكرتك ، وترقبتنا انبهاك من رذلتك ، وصبرنا  
على تجرع الفيظ فيك ، حتى بان لنا اليأس من خيرك ، وكشف لنا الصبر عن وجه

(۱) انظر الجزء الثاني من ۲۳ ( كتاب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز ) .

(۲) أي اتظرنا .



الغلط فيك ، فهأنا قد عرفتك حق معرفتك ، في تعددك لطورك ، واطراحتك حق  
من غلط في اختيارك .

وفصل له :

« أما بعد ، فإن قريبك من قرب منك خير ، وابن عمك من عمك نفعه ،  
وعشيرك من أحسن عشرتك ، وأهدى الناس إلى مودتك من أهدى  
بره إليك . »

وكتب في وصاة :

« حامل كتابي إليك أنا ، فكُنْ له أنا ، والسلام . »

( العقد الفريد ٢ : ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ )

## ٢٨٨ - كتاب لابن الكلبي

وكتب ابن الكلبي<sup>(١)</sup> :

« كان خبر ما أبلاك الله<sup>(٢)</sup> في فلان بعد إيتائه<sup>(٣)</sup> ما عَزَمْتُ عليه من الأمان ،  
خبراً عظيماً مكانه من أمير المؤمنين ، وحسن موقعه من الدين ، ثم رَدَفَ<sup>(٤)</sup> خبرك  
بإذعانه ، عند ما عَضَهُ من بأسك ، ومَسَّهُ من مؤلم إيقاعك ، للاستسلام وطلب  
عقد الأمان ، وأنتك بذلت له ما طلب لارهبته بقيت في ناحيتك ، إلا الاحتذاء  
على مثال أمير المؤمنين وأدبه ، فكان إباؤه ما عَرَضَتْ عليه في أول أمره ذخيرة  
حظاً فيما كَشَفَتْ عنه البلوى من محمود أترك ، واجتمع لك في ذلك حظان : الظفر  
آخر ، والدرك لما حاولته أولاً ، فلا زلت على نصيبك من الحظ ، مؤيداً بالنصر

(١) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي الراوية الفسابة المشهور المتوفى سنة ٢٠٤ - انظر  
ترجمته في وفيات الأعيان ٢ : ١٩٥ والفهرست لابن النديم ص ١٤٠ ، وترجمة أبيه محمد الكلبي المتوفى  
سنة ١٤٦ في وفيات الأعيان ١ : ٤٩٣ والفهرست ص ١٣٩ .

(٢) الإبلاء : الإنعام والإحسان . (٣) الأصل « بعد أمانه » وأراه محرفاً .

(٤) رَدَفَهُ كَسَمَهُ ونَصَرَهُ : تبعه .

والمعونة ، والحمد لله ما حَقَّقَ من الظن ، [ وآتَى ]<sup>(١)</sup> من هذه اللمعة على يدك  
وَبِسَعْيِكَ . ( اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦١ )

## ٢٨٩ - كتاب آخر

« أنت من أطول بمكانه ، وأثيقُ بجميل رأيه ، وأَعْتَمِدُ على رِفْدِهِ<sup>(٢)</sup> ، وأرجو  
دَرَكَ كل فضيلة به ، ومما أحبُّ علمه مَقَرُّ نِعَمِ الله عز وجل لديك » .  
( اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦٤ )

## ٢٩٠ - كتاب علي بن عبيدة إلى ابن الكلبي

وكتب علي<sup>(٣)</sup> بن عبيدة إلى ابن الكلبي :  
« وَصَلَ اللهُ أيامَ عمرى باتِّباعِ مُوَافَقَتِكَ ، ولولا مَوْعِدٌ أُخِذَ عَلَيَّ لِأَطْعَمْتُكَ فِيمَا  
أَمَرْتَنِي بِهِ مُتَّبِعًا مَعَ إِجَابَتِكَ مَرُورَ نَفْسِي بِرُؤْيُوتِكَ فِي السَّلَامَةِ .  
أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَصْبَحْتُ وَقَدْ اسْتَفْرَغَ الْأَمِيرُ مِنِّي كُلَّ مَوَدَّةٍ وَنَصِيحَةٍ ،  
وَمَبْلَغِ جُهْدٍ وَطَاقَةٍ فِيمَا عَرَفْتُ لَهُ فِيهِ مَوَافَقَةً » .  
( اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦٤ )

## ٢٩١ - كتاب عنبسة بن إسحاق إلى المأمون

وكتب عنبسة بن إسحاق إلى المأمون ، وهو عامِلُهُ على الرَّقَّةِ<sup>(٤)</sup> يصف خروج  
الأعراب بناحية سِنْجَارٍ وَعَيْشِهِمْ<sup>(٥)</sup> بها .

(١) بياض بالأصل .  
(٢) الرِّفْدُ : العطاء والصلة .  
(٣) قال ابن النديم في ترجمته : « هو علي بن عبيدة الريماني ، أحد اليلغاء والنصحاء ، له اختصاص  
بالمأمون ، وكان يسلك في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الحكمة ، وكان يرمى بالزندقة ، وكان كاتباً بارعاً ،  
وله مع المأمون أخبار ... » - انظر الفهرست ص ١٧٣ .  
(٤) الرقة : بلد على الفرات ، وسنجار : مدينة بالجزيرة .  
(٥) العيش : الإفساد .

« يا أمير المؤمنين : قد قطع سُبُلَ المجتازين ، من المسلمين والمعاهدین ، نَفَرٌ من شدَّاذ<sup>(١)</sup> الأعراب ، الذين لا يَرْتَقُونَ في مؤمنٍ إِلَّا<sup>(٢)</sup> ولا ذمَّةً ولا يخافون في الله حدًّا ولا عقوبةً ، ولولا رِقَّتِي بسيف أمير المؤمنين ، وحَصَدِهِ هذه الطائفة ، وبلوغه في أعداء الله ما يدُعُ<sup>(٣)</sup> قاصِبِهِم ودَا نِيَهُم ، لأذِنْتُ بالاستنجداء عليهم ، ولَأَسْقِيْتُ الخيلَ إليهم ، وأمير المؤمنين مُعانٌ في أموره بالتأييد والنصر . »

## ٢٩٢ - رد المأمون عليه

فكتب إليه المأمون :

« أَسْمَعْتَ غيرَ كهَّامِ السَّمْعِ والبَصْرِ لا يقطعُ السيفُ إلا في يد الخَدرِ<sup>(٤)</sup> سَيُصْبِحُ القومُ من سِيفِي وضارِبِهِ مثلَ الهَشِيمِ ذَرَّتْهُ الرِّيحُ بالمَطَرِ<sup>(٥)</sup> فوجَّه عنبسةً بالبیتين إلى الأعراب ، فما بقي منهم اثنان .

( زهر الآداب ٣ : ٣٨٧ )

## ٢٩٣ - كتاب طاهر بن الحسين إلى يحيى بن حماد

وروى ابن طيفور في كتاب بغداد قال :

وهذا توقيع لذي اليمينين طاهر بن الحسين<sup>(٦)</sup> إلى يحيى بن حماد الكاتب

النيسابوري :

- (١) الشذاذ : الذين لم يكونوا في حبيهم ومنازلهم .  
 (٢) الإل : العهد . (٣) الدع : الدفع العنيف .  
 (٤) يقال سيف ، ولدان ، وفرس ، ورجل كهَّام : أي كليل ، وعى ، وبطلى ، ومن لا غناء عنده  
 (٥) الهشيم : نبت يابس منكسر ، وذرتة الريح : أطارته وأذمته .  
 (٦) وقد روى ابن طيفور نفسه أيضا في « اختيار المنظوم والمنثور » الشطر الأول من هذا الكتاب  
 « إلى آخر البيت الثالث » وذكر أنه من حماد بن عبد الملك الزيات إلى إبراهيم بن العباس الصولي ، وقال  
 ابن خلكان في ترجمة طاهر بن الحسين في وفيات الأعيان : « واختلفوا في تلقيه بذي اليمينين ، لأي معنى  
 كان ؟ فقيل : لأنه ضرب شخصا في وقته مع علي بن ماهان فقتله نصفين وكانت الضربة بيداه ، فقال

« قلة نظرك لنفسك حرمتك سني<sup>(١)</sup> المنزلة ، وغفامتك عن حظك حطمتك عن أعلى الدرجة ، وجهلك بموضع النعمة أحل<sup>(٢)</sup> بك للغير<sup>(٣)</sup> والنقمة ، وعماك عن سبيل الدعة أسلكك في طريق المشقة ، حتى صرت من قوة الأمل ، مُعْتَصِماً شدة الوجَل ، ومن رجاء الغد ، مُعْتَبِراً بأس الأبد ، وحتى رَكِبْتَ مطية الخفاة ، بعد مجلس الأمن والكرامة ، وصرت موضعا للرحمة ، بعد أن تكففتك الغبطة<sup>(٤)</sup> ، على أنى أرى أمثل أمريك أذعاهما المكروه إليك ، وأنفع حالتك أضيتهما متنفسا عليك بقول القائل :

إذا ما بدأت امرأ جاهلاً      بترٍ فقَعَّرَ عن تخله  
ولم تُلْفِه قابلاً للجميل      ولا عَرَفَ العِزَّ من ذلّه  
فَسُمِّهِ الهَوَانِ فَإِنَّ الهَوَانَ      دَوَاءٌ لِذِي الجَهْلِ مِنَ جَهْلِهِ<sup>(٥)</sup>

وقد قرأت كتابك ، بإغراقك وإطنايك ، فوجدت أرجاهُ عندك ، آنسَه لك ، وأرقه في نفسك ، أقساه لقلبي عليك ، ومن صادفَه<sup>(٥)</sup> ما أذهبت ، وخامرَه ما ذكرت خرس عن تشقيق<sup>(٦)</sup> الكلام ، وتزويق الكذب والآثام ، ولعمري لولا تعلقك مني بجرمة المعايبة ، واتصالك مني بسبب المفاوضة ، وإنحائي بهما لمن نالهما بسط المنفعة ، وقبض الأذى والمعرة ، مع استدامتي النعمة بالعفو عن ذى الجريمة ، واستدغائي الزيادة بالتجاوز عن ذى الهفوة ، واستتالتي العثرة بإقالة الزلة ، لنالك من عقوبتي ما يؤذيك ،

== فيه بعض الشعراء : « كلنا بيدك بين حين تضربه ، فلقبه المأمون ذا اليمين ، وقيل غير ذلك ، وذكر الطبري في تاريخه ١٠ : ١٥٥ أنه سمى بذلك في سنة ١٩٥ ، وذلك أنه لما هزم جيش علي بن عيسى ابن ماهان وقتله وكتب إلى الفضل بن سهل بذلك نهض الفضل فلم على المأمون بأمر المؤمنين ، فأمد المأمون طاهرا بالرجال والقواد وسماه ذا اليمين وصاحب جبل الدين الخ .

- (١) السني ، الرفيع ، وفي المنظوم والمنثور « سناء المنزلة » .  
(٢) وفيه « البأس » . (٣) الغبطة : حسن الحال والمسرة .  
(٤) سامه الأمر : أولاه إياه .  
(٥) أي لقيه ، وفي الأصل « صافه » وأراه محرفا ، وأذهبه : طلاه بالذهب ، والمعنى ما موهت ، أو ما أذهبت : أي ما ضيعت من النعمة التي كنت فيها .  
(٦) شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج .

وَمَسَّكَ مِنْ سَطْوَاتِي مَا يَنْهَكَكَ<sup>(١)</sup> ، وَبِحَسَبِكَ مَا اجْتَرَمْتَهُ لِنَفْسِكَ مِنَ الْعَجْزِ ذَلَا  
وَجَهْلًا ، وَمَا أَخْلَدْتَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَمُولِ وَضَعًا ، وَمَا حُرِّمْتَهُ مِنَ الْفَضْلِ عَقُوبَةً وَنَقْصًا ،  
وَفِي كِفَايَةِ اللَّهِ غِنَى عَنْكَ ، وَفِي عَادَتِهِ الْجَمِيلَةِ عِوَضٌ مِنْكَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ  
الْوَكِيلُ ، أَقْوَى مُعِينٍ وَأَهْدَى دَلِيلٍ .

( كتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ١٢٣ ، واختيار المنظوم والمنثور ١٠ : ٣٦٣ )

## ٢٩٤ - كتاب يحيى بن حماد إلى طاهر

وقال ابن طيفور :

وهذه نسخة كتاب يحيى بن حماد الذي هذا التوقيع حوَّابٌ عنه لما حَدَّثَهُ  
لِتَرَ كَمَا أَرَادَ أَنْ يَقْلُدَهُ مِنْ كِتَابَتِهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : تَمَّ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ السَّلَامَةَ ، وَأَدَامَ لَهُ الْكِرَامَةَ ، وَوَصَلَ  
نِعْمَهُ عَلَيْهِ بِالزِّيَادَةِ ، وَقَوَّيْ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ بِالسَّعَادَةِ ، ضَعُفَ صَبْرِي - أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ -  
عَمَّا أَقَامِي ، مِنْ ثِقَلِ الْحَدِيدِ ، وَمَكَابِدَةِ الْهَمُومِ ، وَمُصَاحَبَةِ الْوَحْشَةِ فِي دَارِ الْغُرْبَةِ ،  
مِنْ انْقِطَاعِ الْأَهْلِ ، وَتَعَقُّبِ الْوَجَلِ ، وَاسْتِخْلَافِ الْبَلَاءِ مِنْ وَثِيقِ الرَّجَاءِ ، وَتَذَكُّرِي  
مَا أَفَاتَنِي الْقَضَاءُ الْمَاضِي مِنْ رَأْيِ الْأَمِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فِي ، وَمَوْجِدَتِهِ<sup>(٢)</sup> عَلَيَّ .  
لَقَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يُسْرِعَ لَزُومُ الْفِكْرَةِ إِيَّايَ فِي فِسَادِي ، وَبِصِيرَ بِي تَمَكُّنُ الْهَمِّ  
إِلَى تَغْيِيرِ حَالِي ، وَلَوْلَا أَنَّ سُخْطَ الْأَمِيرِ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - لَا يُصْبِرُ عَلَيْهِ ، وَوَجِدَهُ لَا يَقَامُ  
لَهُ ، لَرَأَيْتُ الْإِمْسَاكَ عَنْ ذِكْرِ أَمْرِي ، وَشِكْوَى مَا بِي ، إِلَى أَنْ يَسْتَوِيَ غَيْرُ مَا أَنَا فِيهِ  
لِسُرُورِ مَا كُنْتُ صَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ إِكْرَامِ الْأَمِيرِ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - وَبِرِّهِ وَتَشْرِيفِهِ  
وَتَقَرُّبِهِ ، وَلِعَمْرِي إِنْ شَدِيدَ مَا أَقَامِي ، - وَلَوْ دَامَ حِينًا مِنْ دَهْرِي - لَيَصْفُرُ عِنْدَ

(١) نهكة السلطان عقوبة كسم : بالغ في عقوبته .

(٢) الموجدة : الغضب ، وكذا الوجد .

لحظة لحظتها إلى يبرئه ، فضلا من رأيه الذي جَلَّ عن قدرى ، وعَجَزَ عن احتمالهِ شكري .

وقد تبينَ للأمير - أعزه الله - أمرى ، وتحقيقُ شأنى ، فإن كان ما أنا فيه للهفوة التى كانت منى ، والجناية التى جنيتها على نفسى بالجهل بصباى ، فقد وضع الله عن الصبى فرائضه عِلما بحاله ، وكانت حالى فى الصبا قريبةً من حاله ، والأمير - أعزه الله - أَوْلَى مَنْ عَطَفَ فى ذات الله عن زَلَّتى ، واحتسبَ الأجرَ فى إقالة عثرتى وهفوتى ، فإن رأى الأمير أبقاه الله أن يأمر بالدعاء بى ، والاستماع منى ، فَعَلَّ مُنِعِمًا ، إن شاء الله .

( كتاب بغداد ٦ : ١٢٥ )

### ٢٩٥ - عهد طاهر بن الحسين لابنه عبد الله

وكتب طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله<sup>(١)</sup> لما ولّاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما ( سنة ٢٠٦ هـ ) .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايله سُخْطه وحفظِ رعيته ، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذکر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدلَ عليهم ، والقيامَ بحقه وحدوده فيهم ، والذبَّ عنهم<sup>(٢)</sup> ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم<sup>(٣)</sup> والحقنَ لدمائهم ، والأمن لسبيلهم<sup>(٤)</sup> ، وإدخال الراحة عليهم فى معاشهم ، ومواخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفتك عليه ، ومُسائلتك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت

(١) توفى سنة ٢٣٠ هـ - انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ١ : ٢٦ .

(٢) الدفع . (٣) البيضة : حوزة كل شىء .

(٤) وفى مقدمة ابن خلدون : لسربهم ، والسرب : النفس .

وأخرت ، ففرغ لذلك فِكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ، ولا يذَهلك<sup>(١)</sup> عنه ذاهل ، ولا يشغلك<sup>(٢)</sup> عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقك الله به لرشدك .

وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك في مَوَاقِيئِهَا على سُنَنِهَا في إسباغ<sup>(٣)</sup> الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتّل<sup>(٤)</sup> في قراءتك ، وتمكّن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك . وادأب عليها فإنها كما قال الله تأمر بالمعروف ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستمعن عليه باستخارة<sup>(٥)</sup> الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، واثتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت ، لقرب من الناس أو بعيد ، وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والأمر به ، والنهي عن المعاصي والمؤبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، وإجلالاً له ، ودرجاً كاللدرجات العُلا في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسطانك ، والأنسة بك ، والاثمة بعدلك .

(١) ذهلت عن الشيء ( كفتح ) : غفلت ، وقد يتعدى بنفسه فيقال ذهلت ، والأكثر أن يتعدى بالهزة فيقال أذهلت فلان عن الشيء .

(٢) شغله من باب فتح ، وأشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة .

(٣) أصبغ الوضوء : وفي كل عضو حقه .

(٤) ترتل ولا تهجل . (٥) استخار الله : طالب منه الخيرة .

وعليك بالاعتقاد في الأمور كلها ، فليس شيء أبين نفعاً ، ولا أحضر أمناً ، ولا أجمع فضلاً من القصد ، والقصد داعية إلى الرشيد ، والرشيد دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد إلى السعادة وقوام الدين ، والسنن الهادية بالاعتقاد ، فأثره في دنياك كلها ولا تقصّر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ، ومعالم الرشيد ، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له ، إذا كان يُطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه في دار كرامته . واعلم أن القصد في شأن الدنيا يُورث العز ، ويحصن من الذنوب ، وإنك لن تحوط<sup>(١)</sup> نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأته واهتد به تتم أمورك ، وتزد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستديم به النعمة عليك .

ولا تتهم أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره فإن إيقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مآثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم ، يُعنعك ذلك على اصطناعهم<sup>(٢)</sup> ورياضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مفخراً ، فإنه إنما يكتفى بالقبيل من وهنك<sup>(٣)</sup> ، فيدخل عايك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاعة عيشك . واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى محبتك ، والأستقامة في الأمور كلها ، ولا يمنحك حسن الظن بأصحابك ، والرافة برعيتك ، أن تستعمل المسألة ، والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأمر الأولياء ، والحياطة للرعية ، والنظر فيما يُقيمها ويصلحها ، بل لتكن المباشرة لأمر الأولياء والحياطة للرعية ، والنظر في حوائجهم وتحمل مئوناتهم ، آثر عندك مما سوى ذلك ،

(١) تصور . (٢) اصطنتك لنفسى : اخترتك لخاصة أمر استكفيك إياه .

(٣) الوهن بسكون الهاء وفتحها : الضعف .



فإنه أفومٌ للدين ، وأحيا للسنة . وأخلص نيتك في جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك  
تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ، ومجزى بما أحسن ، وماخوذ بما أساء ، فإن الله جعل  
الدين حِرْزًا وعِزًّا ، ورفع من اتبعه وعززه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين  
وطريقة الهدى . وأقيم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ، ولا  
تعطل ذلك ولا تهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فإن في تفريطك في ذلك  
لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب  
الشبه والبدعات يسلم لك دينك ، وتقم لك مروءتك ، وإذا عاهدت عهدا فف به ،  
وإذا وعدت الخير فأنجزه ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وأغض عن عيب كل ذي عيب  
من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وأبيض أهله ، وأقص أهل  
النميمة ، فإن أول فساد أمرك في عاجل الأمور وآجلها تقرب الكذب والجراة على  
الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمها ؛ لأن النميمة لا يسلم  
صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لمطيعها أمر . وأحب أهل الصدق  
والصلاح ، وأعز الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك  
وجه الله وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور  
واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك ، وأنعم بالعدل في سياستهم ،  
وقم بالحق فيهم ، والمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى ، وأملك نفسك عند الغضب  
وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول:  
إني مَلَّطُ أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع بك إلى نقص الرأي ، وقلة اليقين بالله وحده  
لا شريك له ، وأخلص لله النية فيه واليقين به . واعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ،  
وينزعه ممن يشاء . وإن تجد تغير النعمة وحلول النعمة إلى حد أمرع منه إلى حلة النعمة  
من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة ، إذ كفروا بنعم الله وإحسانه ،  
واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخائر كنفوزك

التي تدخر وتكثير البرّ والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارّة بلادهم ، والتنفذ  
 لأمرهم ، والحفظ لدّهمائهم<sup>(١)</sup> والإغاثة للمهوفهم . واعلم أن الأموال إذا كثرت  
 ودُخرت في الخزائن لا تُثمر ، وإذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف  
 المثونة عنهم ، نمت وربّت وصلحت به العامة ، وتزيدت به الولاية ، وطاب به الزمان ،  
 واعتقد فيه العز والمنعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارّة الإسلام وأهله  
 ووفرّ منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيّتك من ذلك حصصهم  
 وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم ، فإنك إذا فعلت ذلك قرّرت النعمة عليك واستوجبت  
 المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية خراجك ، وجمع أموال رعيّتك وعملك أقدر ،  
 وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتهم ، وأطيب نفسا لكل ما أردت  
 فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ، ولتعظم حسبتك فيه ، فإنما يبقى من المال  
 ما أنفق في سبيل حقه ، واعرف للشاكرين شكرهم ، وأثيبهم عاياه . وإياك أن تنسيك  
 الدنيا وغرورها هول الآخرة ، فتهاون بما يحق عليك ، فإن التهاون يوجب التفريط ،  
 والتفريط يورث البوار ، وليكن عمك لله وفيه تبارك وتعالى ، وارج الثواب ، فإن الله  
 قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا ، وأظهر لدينك فضله ، فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد ،  
 يردك الله خيرا وإحسانا ، فإن الله يُثيب بقدر شكر الشاكرين ، وسيرة المحسنين ،  
 وقضى الحقّ فيما حَمَل من النعم ، وألبس من العافية والكرامة ، ولا تحقرن ذنبا ، ولا  
 تمانن حاسدا ، ولا ترجمن قاجرا ، ولا تصلن كفوورا ، ولا تدهنن عدوا ، ولا تصدقن  
 نماما ، ولا تأمنن غدارا ، ولا توالين فاسقا ، ولا تتبعن غاويا ، ولا تحمدن مُراثيا ،  
 ولا تحقرن إنسانا ، ولا تردن سائلا فقيرا ، ولا تجيبن<sup>(٢)</sup> باطلا ، ولا تلاحظن مضحكا ،  
 ولا تخلفن وعدا ، ولا تزھون نفرا ، ولا تطهرن غضبا ، ولا تأتين بذخا<sup>(٣)</sup> ، ولا

(١) الدعاء : جماعة الناس « وفي المقدمة : والحفظ لدمائهم » .

(٢) وفي المقدمة « ولا تخونن باطلا » . (٣) البذخ : الكبر .

تمشين مَرَحًا ، ولا تركبن سَفَهَا<sup>(١)</sup> ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا ترفع للنَّام عينا ولا تُغْمِضَنَّ عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب ، وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتك أهل الدقة<sup>(٢)</sup> والبخل ولا تسمعن لهم قولا ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم ، وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح . واعلم أنك إذا كنت حريصا كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا ، فإن رعيتك إنما تعتقد هلى محبتك ، بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عنهم . ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه ، وأن المعاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » فسئل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظا ونصيبا ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعدده لنفسك خلقا ، وارض به عملا ومذهبا .

وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتيبهم ، وأذّر عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانشراحا ، وحسبُ ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحبيطة<sup>(٣)</sup> وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته ، فزابل مكروه أحد البابين بامشعار تكلمة الباب الآخر ولزوم العمل به ، تاق إن شاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا .

واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى يعتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وإقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ،

(١) وفى المقدمة « ولا تركبن سفها » . (٢) وفى المقدمة « أهل الرقة » .

(٣) فى المقدمة « وعطيته » .

وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وهى مجاريها يتنجز الحق والعدل فى القضاء ، واشتد فى أمر الله ، وتورع عن النطف<sup>(١)</sup> ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وأبعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ربحك ، ويقرّ حدك ، وانتفع بتجربتك ، وانقبه فى صحتك ، واشدد<sup>(٢)</sup> فى منطقتك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذك فى أحد من رعيتك محاباةً ولا محاماة<sup>(٣)</sup> ولا لوم لأم ، وثبت وتأن وراقب ، وانظر وتدبر ، وتفكر واعتبر ، وتواضع لربك ، وآرأف<sup>(٤)</sup> بجميع الرعية ، وسأط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم - فإن الدماء من الله بمكان عظيم - انتها كما لها بغير حقها .

وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوم كبتاً<sup>(٥)</sup> وغيضاً ، ولأهل الكفر من معاديبهم ذلاً وصفاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غنى لغناه ، ولا عن كاتب لك ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ، ولا تكلفن أمراً فيه شطأ ، واحمل الناس كلهم على مرّ الحق ، فإن ذلك أجمع لألفتهم ، وألزم لرضا العامة . واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً ، وإنما سُمى أهل عمالك رعيتك لأنك راعيتهم وقيمتهم ، تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم ، وتنفقه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودمهم ، فاستعمل عليهم فى كور عمالك ذرى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل ، والعلم بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم فى الرزق ، فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت

(١) النطف : العيب والشر والفساد .

(٢) شديد كضرب : صار سيديداً . (٣) فى المقدمة « ولا بجاملة » .

(٤) من باب كرم وقطع وطرب .

(٥) كبه . صرعه وأخزاه ورد العدو ببيضه وأذله .

وَأَسْنِدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْهُ صَارِفٌ ، فَإِنَّكَ مَتَى آتَرْتَهُ  
 وَقَمْتَ فِيهِ بِالْوَجِيبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسْنَ الْأَحْدُوْثَةِ فِي عَمَلِكَ ،  
 وَاحْتَرَزْتَ النَّصِيْحَةَ مِنْ رَهِيْتِكَ ، وَأَعِيْنْتَ عَلَى الصَّلَاحِ ، فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ بِبِلَدِكَ ، وَفَشَتْ  
 الْعِمَارَةُ بِبَنَاحِيْتِكَ ، وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُوْرِكَ ، فَكَثُرَ خَرَاجُكَ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ ،  
 وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ حَنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ عَنْ نَفْسِكَ ، وَكَانَتْ  
 مَحْمُودِ السِّيَاسَةِ ، مَرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوْكَ ، وَكَانَتْ فِي أَمْوَالِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ  
 وَقُوَّةٍ وَآلَةٍ وَعُدَّةٍ ، فَفَانَفَسَ فِي هَذَا وَلَا تَقْدَمَ عَلَيْهِ شَيْئًا ، تُحَمَّدُ مَغْنَمَةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
 وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كُوْرَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِيْنًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيْرَتِهِمْ  
 وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ  
 تَأْمُرَهُ بِأَمْرٍ ، فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ ،  
 وَرَجَوْتَ فِيهِ حَسْنَ الدِّفَاعِ وَالنَّصِيْحِ وَالصَّنْعِ ، فَأَمْنِيْهِ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَرَاجِعْ  
 أَهْلَ الْبَعْرِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ خَذْ فِيهِ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدِ وَاثَاهُ  
 عَلَى مَا يَهْوَى ، فَقَوَّاهُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنَقَضَ عَلَيْهِ  
 أَمْرَهُ ، فَاسْتَعْمَلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ ، وَبِإِشْرِهِ بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ بِالْقُوَّةِ ، وَأَكْثِرِ  
 اسْتِخَارَةَ رَبِّكَ فِي جَمِيْعِ أَمْوَالِكَ ، وَافْرُغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ ، وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِنَفْسِكَ ، وَأَكْثِرِ  
 مَبَاشِرَتَهُ بِنَفْسِكَ ، فَإِنْ لَقِيَ أَمْوَالًا وَحَوَادِثَ تُلْهِمُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخْرَتَ .  
 وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ ، فَإِذَا أَخْرَتَ عَمَلَهُ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَمْرٌ يَوْمِيْنٌ ،  
 فَشَغَلَكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرَضَ عَنْهُ . فَإِذَا أَمْضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ ،  
 وَأَحْكَمْتَ أَمْوَالَكَ .

وَانْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي الشَّرْفِ مِنْهُمْ ، ثُمَّ اسْتَبِيْنِ صَفَاءَ طَوْبِيْتِهِمْ ، وَتَهْذِيْبَ  
 مَوَدِّيْتِهِمْ لَكَ ، وَمُظَاهَرَتِهِمْ بِالنَّصِيْحِ وَالْمُخَالَصَةِ عَلَى أَمْرِكَ ، فَاسْتَخَاصِهِمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ ،

(١) فِي الْمَقْدَمَةِ « وَقَدْ آثَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ » .

وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخت عليهم الحاجة ، فاحتل مؤنتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا نخلتهم<sup>(١)</sup> مئاً ، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيته ، ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداءً بأمر المؤمنين - أعزه الله - في العطف عليهم والصلاة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به بركةً وزيادة ، وأجر للأغرياء من بيت المال ، وقدّم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية<sup>(٢)</sup> على غيرهم ، وانصب لترضى المسلمين دوراً تؤويهم وقوِّمهم ورفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ، مالم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال . واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيتهم ، لم يرضهم ذلك ، ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى وولاتهم ، طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ، وربما برم<sup>(٣)</sup> المتصفح لأمر الناس ، لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة . وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أمره في العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذي يستقبل ما يقرب به إلى الله ، ويلتمس رحمته به ، وأكثر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، ومسكن لهم أحراسك ، واخفص لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، وإن لهم في المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجدك وفضلك ، وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر غير مكدر ولا مفان ، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله ، واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها

(١) الخلة : الحاجة . (٢) في المقدمة « في الجرائد » .

(٣) ضجر ومل .

بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراما ، ولا تنفق إسرافا ، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم . وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها . وليكن أكرم دُخلائك وخاصتك عليك ، من إذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر ، وإعلامك ما فيه من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ومُظاهريك لك ، وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابتك ، فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه ، بكتبه ومؤامرتة وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك ، وكرّر النظر إليه والتدبر له ، فما كان موافقا للحزم والحق فأمضه ، واستخِر الله فيه ، وما كان مخالفا لذلك فأصرّفه إلى التثبيت فيه والمسألة عنه ، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأنيه إليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك ، وتفهم كتابي إليك وأكثِر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخِره ، فإن الله مع الصالح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاما ، ولأهله عزا وتمكيناً ، وللذمة والملة عدلاً وصلاحاً . وأنا أسأل الله أن يُصلح عونك وتوفيقك ورُشدك وكلائك ، وأن يُنزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ، حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسناهم ذكراً وأمرأ ، وأن يُهلك عدوك ومن ناوأك وبني عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد ، تنازعه الناس وكتبوه

وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، فقال : ما بقى أبو الطيب يعنى ( طاهراً ) شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال فى نواحي الأعمال .

« تاريخ الطبرى ١٠ : ٢٥٨ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ٦ : ١٢٤ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٣٣٩ ومختصر أخبار الخلفاء لابن الساعى ص ٤٣ ، وكتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ٣٦ )

## ٢٩٦ - كتاب إلى طاهر بن الحسين من بعض عماله

وكتب بعض عمال طاهر بن الحسين إليه كتاباً ، وفيه :  
« وقد وجَّهت إلى الأمير ثوبَ ديباجٍ أحر أحر أحر » .

## ٢٩٧ - رد طاهر عليه

فكتب طاهر إليه :

« قد قرأت كتابك ، فعلمتُ أنك أحمق أحمق أحمق ، فأقدم أقدم أقدم ، والسلام » .  
( غرر الحقائق الواضحة ص ١٧٥ )

## ٢٩٨ - كتاب إبراهيم بن المهدي إلى طاهر

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى طاهر كتاباً ، منه :

« زادك الله للحقِّ قضاءً ، وللشكر أداءً ، أبلغنى رسولى عنك ما لم أزل أعرفه منك ، واللهُ يمتنعى بك ، ويؤخِّرين فى ذلك عنى جزاءك ، ومع ذلك فإنى أظن أنى علمتك الشوقَ ، لأنى ذكرتك لك ، فهيجته منك ، والسلام » .

( الأوراق للصوى ٢ : ٣٥ )



## ٢٩٩ - كتاب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر

### يعزيه بأبيه

وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر يعزيه بأبيه :

« أما بعدُ : فإنه قد حَدَّثَ من الرُّزءِ العظيم - بوفاء ذى اليمينين - ما إلى الله  
جَلَّ وعزَّ فيه المَفزَعُ والمرَجِيعُ ، وفيه عليه المستعانُ ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ،  
اتباعاً لأمر الله ، واعتصاماً بطاعته ، وتسليماً لنازل قضائه ، ورجاءً لِمَا وَعَدَ الصابرين :  
من صلواته ورَحْمته وهداه ، وعند الله نَحْتَسِبُ مصيبتنا به ، فقد كان سبق إلى القلوب  
عند بداهة الخبر ، من اللوعة واطِّلاع<sup>(١)</sup> الفحيجة ، ما كنا نخاف إحباطه من الأجر ،  
ولا ما تداركنا الله به من الذِّكرِ لِمَا وَعَدَ أهلَ الصبر ، فنسأل الله أن يرأب<sup>(٢)</sup>  
هذه الثلثة ، ويسدَّ هذه الخلةَ بأمر المؤمنين أوَّلاً ، وبك ثانياً ، وأن يعظّم مَثوبتك ،  
ويُحسِّن عُقبك ، ويخاف بك ذا اليمينين ويعمُرُ بك مكانه من أمير المؤمنين ومن  
كافة المسلمين .

فأما ما تحتاج إليه من التسلية والتعزية ، فإنك في فضل رأبك ، وانساع لُبِّك  
في حال العِزَّة والنِّماء ، لم تكن تخلو من عوارض الذكر ، وخواطر الفكر ، فيما  
تعرو به الأيام من نوائبها ، وتبعث به من حوادثها ، وفي هذا لمن وفق له إعدادٌ  
للفوازل ، وتوطينٌ للأفئس على المكاره ، فلا يكون معه هَلَعٌ ولا إفراطٌ جزع  
ياذن الله ، مع أن مرَدَّ كلِّ ذِي جَزَعٍ إلى سلوة لا ثبات عليها ، فأؤتَى بالراغب

(١) أى وإشرافها على القلوب وإحراقها لإياها ، أخذه من قوله تعالى : « فَأَرَأَيْتُمُ الْمُؤَقَّدَةَ الَّتِي

تَطْلِعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ » أى يبلغ ألمها الأفتدة ، توفى عليها فتحرقها ، من اطلع : إذا أشرف .

(٢) راب الصدع كنع : أصلحه ، والمخة : النقبة الصغيرة أو عام .

فِي ذَاتِ اللَّهِ أَنْ يَهْتَبِلَ<sup>(١)</sup> مَثُوبَتَهُ فِي أَوَانِهَا ، مِنْ مَضَضِ الْأَمْسِ ، وَفَجَاءَ النَّكْبَةُ ،  
وَأَوْلَى بِذِ اللَّبِّ إِذَا عَلِمَ مَا هُوَ لِابِدِّ صَارَتْ إِيَّاهُ إِلَّا يُبْعَدُ مِنْهُ إِبْعَادًا يَلْزِمُهُ التَّفَاوُتُ  
عِنْدَ التَّأَمُّلِ وَاخْتِلَافِ الْحَالِينَ فِي بَعْدِ الْأَمَدِ بَيْنَهُمَا .

وَقَدْ كُنْتُ أَحَبُّ إِلَّا أَقْنَعُ فِي تَعَزُّبِكَ بِرَسُولٍ وَلَا كِتَابٍ ، دُونَ الشَّخْصِ  
إِلَيْكَ بِنَفْسِي ، لَوْ أَمَكَّنِي الْمَسِيرُ ، إِجْلَالًا لِلْمَصِيبَةِ ، وَتَأَنُّسًا بِقُرْبِكَ ، بَعْدَ الَّذِي دَخَلَنِي  
مِنَ الْوَحْشَةِ ، فَتَمَّ عَرَفْتَ مَا خَصَّنِي مِنَ الْمُرْزِقَةِ بِذِي الْيَمِينِ ، لِمَا كُنْتُ أُنْعَرَفُ  
مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ ، وَعَظِيمِ بِرِّهِ حَاضِرًا ، وَمَا كَانَ يَذْكُرُنِي بِهِ غَائِبًا ، ذَكَرَهُ اللَّهُ  
فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، وَأَنْتَ وَارِثُ حَقِّهِ عَلَيَّ ، إِلَى مَا كُنْتُ لَكَ عَلَيْهِ ، مِنْ صَدَقِ الْمَوَدَّةِ  
وَخَالِصِ النَّصِيحَةِ ، وَإِلَى اللَّهِ أَرْغَبُ فِي تَأْدِيَةِ شُكْرِكَ ، وَالْقِيَامِ بِمَا أَوْجِبُهُ لَكَ ، فَإِنْ  
رَأَيْتَ أَنْ تَأْمُرَ بِالْكِتَابِ إِلَىَّ بِمَا أَبْلَاكَ<sup>(٢)</sup> فِي نَفْسِكَ ، وَأَهْلَمَكَ مِنَ الْعَزَاءِ وَالصَّبْرِ ،  
مَعَ مَا أَحْبَبْتَ وَبَدَأَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

( كِتَابُ نَعْدَادِ ابْنِ طَيْفُورٍ ٦ : ١٣٤ ، وَالنَّظْمُ وَالْمَثُورُ ١٣ : ٣٢٦ )

### ٣٠٠ - كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ شَبِثٍ

وَلِيُّ الْمَأْمُونُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ الرَّقَّةَ كَمَا قَدِمْنَا ، وَعَهْدَ إِلَيْهِ فِي مُحَارَبَةِ نَصْرِ  
ابْنِ شَبِثٍ - وَكَانَ خَرَجَ عَلَى الْمَأْمُونِ بِالْجَزِيرَةِ - فَلَمَّا جَادَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ الْقِتَالَ  
وَحَصَرَهُ وَبَلَغَ مِنْهُ ، طَابَ الْأَمَانُ فَأَعْطَاهُ وَتَحَوَّلَ مِنْ مَعْنَى كَرِهِ إِلَى الرَّقَّةِ ، وَصَارَ  
إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ .

(١) أَي يَنْتَمِ .

(٢) أَي أَنْهَمَ عَلَيْكَ .

وكان المأمون قد كتب إليه قبل ذلك كتابا ( كتبه عمرو بن مسعدة<sup>(١)</sup> )  
يدعوه إلى طاعته ، ومفارقة معصيته ، فلم يقبل ، فكتب عبد الله إليه :  
« أما بعد : فإنك يا نصر بن شيبث قد عرفت الطاعة وعزها وبرد ظلها ،  
وطيب مرتعها ، وما في خلافها من الندم والخسار ، وإن طالت مدة الله بك ، فإنه  
إنما يملي<sup>(٢)</sup> لمن يلتمس مظاهره الحجة عليه لتقع غيره بأهلها على قدر إصرارهم  
واستحقاقهم ، وقد رأيت إنكارك وتبصيرك لما رجوت أن يكون لما أكتب به  
إليك موقع منك ، فإن الصدق صدق ، والباطل باطل ، وإنما القول بمخارجه ،  
وبأهله الذين يعنون به ، ولم يعاملك من عمال أمير المؤمنين أحداً أنفع لك في  
مالك ودينك ونفسك ، ولا أحرص على استنقاذك ، والانتدائش<sup>(٣)</sup> لك من  
خطائك مني .

فبأى أول أو آخر أوسط<sup>(٤)</sup> أو إمرة إقدامك يا نصر على أمير المؤمنين ، تأخذ  
أمواله وتولي دونه ما ولأه الله ، وتريد أن تبيت آمناً أو مطمئناً أو وادعاً أو ما كنا  
أو هادئاً ، فوعالم السر والجهر : إن لم تكن للطاعة مراجعاً ، وبها خانعاً<sup>(٥)</sup> ،  
لنستوبلن<sup>(٦)</sup> وخيم العاقبة ، ثم لأبدأن بك قبل كل عمل ، فإن قرون الشيطان  
إذا لم تقطع كانت في الأرض فتنة وفسادا كبيرا ، ولأطأن بمن معي من أنصار الدولة

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أحد وزراء المأمون ، وكان كاتباً بليغاً جزل العبارة  
وجيزها . سعيد المقاصد والمعاني ، توفي سنة ٢١٧ هـ انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٣٩٠  
والفهرست لابن النديم ص ١٧٨ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢ : ٢٠٣ ، ومعجم الأدباء ٦ :  
٨٨ ( طبع مطبعة هندية ) .

(٢) يملي : يعجل ، ومظاهرة الحجية : أي مضاعفتها .

(٣) انتاشه . أخرجه . والخطأ والخطاء واحد .

(٤) يقال وسطت القوم أسطهم وسطا وسطة ، كوعد : أي توسطتهم .

(٥) الخنوع : الخضوع والنذل .

(٦) الرعى الويل : الوخيم الثقيل ، واستوبله : وجدده وببلا غير موافق .

كواهل رَعَاعِ أَصْحَابِكَ ، وَمَنْ تَأَشَّبَ<sup>(١)</sup> إِلَيْكَ مِنْ أَدَانِي الْبُلْدَانِ وَأَقَاصِيهَا وَطَفَامِهَا  
وَأَوْبَاشِهَا ، وَمَنْ انْضَوَى<sup>(٢)</sup> إِلَى حَوْزَتِكَ مِنْ خُرَابِ<sup>(٣)</sup> النَّاسِ ، وَمَنْ لَفَّظَهُ بِلَدُّهُ ،  
وَنَفَّثَهُ عَشِيرَتَهُ لِسُوءِ مَوْضِعِهِ فِيهِمْ ، وَقَدْ أَعْدَرَ مَنْ أَنْذَرَ ، وَالسَّلَامُ .

( كتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ١٣٧ ، وتاريخ الطبري ١٠ : ٢٦٧ )

### ٣٠١ - كتاب عبد الله بن طاهر إلى نصر بن شبث

وَرَوَى صَاحِبُ زَهْرِ الْأَدَابِ قَالَ :

وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ شَبْثٍ وَقَدْ نَزَلَ بِهِ لِيُحَارِبَهُ فِي جَنْدِهِ فَوَجَدَهُ

مَحْصَنًا مِنْهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

« اِعْتَصِمُكَ بِالْقِلَالِ<sup>(٤)</sup> ، قَيْدَ عَزَمَكَ عَنِ الْقِتَالِ ، وَالتَّجَاوُكَ إِلَى الْحِصُونِ ، لَيْسَ

يُنْجِيكَ مِنَ الْمَنُونِ<sup>(٥)</sup> ، وَأَسْتَ بَمُغْلِتٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِمَّا فَارِسٌ مُطَاعِينَ ،

أَوْ رَاجِلٌ مُسْتَأْمِنٌ » :

فَلَمَّا قَرَأَهُ حَصْرَهُ الرَّعْبُ عَنِ الْجَوَابِ ، فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ خَرَجَ مُسْتَأْمِنًا .

( زهر الآداب ٣ : ٣٣١ )

### ٣٠٢ - أمان عبد الله بن طاهر لنصر بن شبث

وَكَانَ مَقَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ عَلَى نَصْرِ بْنِ شَبْثٍ مُحَارِبًا لَهُ فِيمَا ذَكَرْ خَمْسَ سِنِينَ

حَتَّى طَلَبَ الْأَمَانَ ، فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى لِلْأَمُونِ يُغْلِبُهُ أَنَّهُ حَصْرَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ وَقَتْلَ

رُؤَسَاءَ مِنْ مَعَهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ عَاذَ بِالْأَمَانِ وَطَلَبِهِ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابَ أَمَانَ ،

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمَانًا نَسَخْتَهُ :

(١) تَأَشَّبُوا : اجتمعوا ، والطعام : أوغاد الناس . (٢) انضوى إليه : انضم ومال .

(٣) الخراب : جمع خارب ، وهو اللس ، ولفظه : طرحه ورماه .

(٤) القلال : جمع قلة بالضم : وهي أعلى الجبل . (٥) المنون : الموت .

« أما بعدُ : فإن الإِعذارَ بالحقِّ حُجَّةُ اللَّهِ المقرونُ بها النصرُ ، والأحتجاجُ بالعدلِ دعوةُ اللَّهِ الموصولُ بها العِزُّ ، ولا يزالُ المُعذِرُ بالحقِّ ، المحتجُّ بالعدلِ في استفتاحِ أبوابِ التأييدِ ، واستدعاءِ أسبابِ التمكينِ ، حتى يفتحَ اللَّهُ وهو خيرُ الفاتحينِ ، ويُمكنَ وهو خيرُ المكنينِ ، ولستَ تَعُدُّو أن تكونَ فيما لميجت<sup>(١)</sup> به أحدَ ثلاثةٍ : طالبَ دينِ ، أو ملتَمِسَ دنيا ، أو متهورًا يطلبُ الغلبةَ ظلمًا ، فإن كنتَ للدينِ تَسعى بما تصنعُ ، فأوضحْ ذلكَ لأميرِ المؤمنينِ بغتمِ قبوله إن كان حقا ، فلعمري ما هَمَّتُهُ الكبري ، ولا غابتهُ القُصوى ، إلا الميلُ مع الحقِّ حيثُ مال ، والزوالُ مع العدلِ حيثُ زال ، وإن كنتَ للدنيا تقصِدُ فأعلمْ أميرَ المؤمنينِ غابتكَ فيها ، والأمرَ الذي تستحقُّها به ، فإن استحققتَها وأمكنَكَ ذلكَ فعَلَهُ بك ، فلعمري ما يستجيزُ مَنْعَ خلقٍ ما يستحقُّه وإن عَظُم ، وإن كنتَ متهورًا فسيكفي اللهُ أميرَ المؤمنينِ مؤنتَكَ . ويعجَّلُ ذلكَ كما عَجَّلَ كِفايَةَ مؤنِّ قومٍ سَلَكَوا مِثْلَ طَريقِكَ ، كانوا أقوى يدًا ، وأكثرَ جندًا ، وأكثرَ جَمًّا وعدداً ونصراً منك ، فيما أصارهم إليه من مَصَارِعِ الخاسرينِ ، وأنزَلَ بهم من حوائج<sup>(٢)</sup> الظالمينِ .

وأمرُ المؤمنينِ يحتمُّ كتابَهُ بشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له ، وأن محمداً عبدهُ ورسوله صلى اللهُ عليه وسلم ، وضمانَهُ لك في دينهِ وذمَّتَهُ الصَّفْحَ عن سوائِفِ جرائمِكَ ، ومتقدِّماتِ جرائمِكَ<sup>(٣)</sup> ، وإنزالَكَ ما تستأهلُ من منازلِ العزِّ والرفعةِ ، إن أنبَتَ وراجعتَ إن شاء اللهُ ، والسلام .

وخرج نصر إلى عبد الله بن طاهر بالأمان ، فوجَّه به إلى بغداد ، فأنزله المأمون مدينة أبي جعفر ، ووكلَ به من يحفظه ( سنة ٢١٠ هـ ) .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٦٨ )

(١) لهج بالأمر كفرح : أغرى به فتأبر عليه .  
(٢) الجوائح : جمع جائحة ، وهي الآفة المهلكة .  
(٣) الجرائم : جمع جريمة ، وهي الجريمة .

### ٣٠٣ - كتاب عبد الله بن طاهر إلى عبد الله بن السري

ولما فرغ عبد الله بن طاهر من نصر بن شبث ، كتب إليه المأمون بأمره بالسير إلى مصر - وكان قد خرج بها عبیدُ الله بن السري بن الحَكَم - فسار إليه ، فلم تكن من عبد الله إلا حَمَلَةٌ واحدة ، حتى انهزم ابن السري وأصحابه وطلب منه الأمان ، وخرج إليه :

وروى أن ابن السري بعث إلى ابن طاهر لما وُرد مصرَ وصانَعَه من دخولها ، بألف و صيف ووصيفة ، ومع كل و صيف ألف دينار في كيس حرير ، وبعث بهم إليه ليلاً ، فرد ذلك عليه ابن طاهر وكتب إليه :

« لو قبِلتُ هديتكَ ليلاً لقبِلتُها نهاراً<sup>(١)</sup> ، « بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ، أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا تَيَدَّبْنَاهُمْ بَجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ . »  
( كتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ١٤٩ ، وتاريخ الطبري ١٠ : ٢٧٤ )

### ٣٠٤ - كتاب المأمون إلى عبد الله بن طاهر

وكتب المأمون إلى عبد الله بن طاهر وهو بمصر حين فتحها ، في أسفل كتاب له :

أَخِي أَنْتَ وَمَوْلَايَ وَمَنْ أَشْكُرُ نِعْمَاهُ<sup>(٢)</sup>  
فَمَا أَحْبَبْتَ مِنْ أَمْرٍ فَإِنِّي الدَّهْرَ أَهْوَاهُ  
وَمَا تَسَكَّرَهُ مِنْ شَيْءٍ فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَاهُ  
لَكَ اللَّهُ عَلَى ذَاكَ لَكَ اللَّهُ لَكَ اللَّهُ

( كتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ١٤٩ ؛ وتاريخ الطبري ١٠ : ٢٧٦ )

(١) وفي الطبري « لو قبِلت هديتكَ نهاراً لقبِلتُها ليلاً » .

(٢) المولى هنا : النصير والصديق .

### ٣٠٥ - كتاب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر

وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر عند خروج عبيد الله ابن السريّ إليه يهفته بذلك الفتح :

« بَلَّغْنِي - أَعَزَّ اللهُ الأَمِيرَ - مَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكَ ، وَخَرُوجُ ابْنِ السَّرِيِّ إِلَيْكَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاصِرِ لِدِينِهِ ، الْمُعَزِّزِ لِدَوْلَةِ خَلِيفَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، الْمُدِلُّ لِمَنْ عِنْدَ<sup>(١)</sup> عَنْهُ وَعَنْ حَقِّهِ ، وَرَغِبَ عَنْ طَاعَتِهِ ، وَنَسَأَ اللهُ أَنْ يُظَاهِرَ لَهُ النَّعَمَ ، وَيَفْتَحَ لَهُ بُلْدَانَ الشُّرْكِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَاوَلَيْكَ بِهِ مُذْ ظَنَنْتَ<sup>(٢)</sup> لَوَجْهِكَ ، فَإِنَّا وَمَنْ قَبْلَنَا نَتَذَكَّرُ سِيرَتِكَ فِي حَرْبِكَ وَسِلْمِكَ ، وَنُكْثِرُ التَّعَجُّبَ لِمَا وُقِّتَ لَهُ مِنَ الشَّدَةِ وَاللَّيَانِ فِي مَوَاضِعِهِمَا ، وَلَا نَعْلَمُ سَائِسَ جَنْدٍ وَرَعِيَّةٍ عَدَلَ بَيْنَهُمْ عَدْلًا ، وَلَا عَفَا بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَنْ آسَفِهِ<sup>(٣)</sup> وَأَضْفَنَهُ عَفْوِكَ ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا ابْنَ شَرَفٍ لَمْ يُلْقِ بِيَدِهِ مَتَكِلًا عَلَى مَا قَدَّمَتْ لَهُ أُبُوتُهُ ، وَمَنْ أُوتِيَ حَظًّا وَكَفَايَةً وَسُلْطَانًا وَوَلَايَةً ، لَمْ يُخْلِ إِلَى مَا عَفَا<sup>(٤)</sup> لَهُ حَتَّى يُخْلِ بِمُسَامَاةِ مَا أَمَامَهُ ، ثُمَّ لَا نَعْلَمُ سَائِسًا اسْتَحَقَّ النُّجْحَ الْحَسَنَ السَّيْرَةَ ، وَكَفَّ مَعْرَةَ الْأَتْبَاعِ ، اسْتَحَاقَكَ ، وَمَا يَسْتَجِيزُ أَحَدٌ مِمَّنْ قَبْلَنَا أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْكَ أَحَدًا يَهْوَى عِنْدَ الْحَاقَةِ<sup>(٥)</sup> ، وَالنَّازِلَةَ الْمُعْضِلَةَ ، فَلْيَهْنِكْ<sup>(٦)</sup> مِنَّةُ اللهِ وَمَزِيدُهُ ، وَيُسَوِّغْكَ اللهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي حَوَاهَا لَكَ ، بِالْحِفَاظَةِ عَلَى مَا بِهِ نَمَّتْ لَكَ ، مِنَ التَّمَكُّنِ بِجَبَلِ إِمَامِكَ وَمَوْلَاكَ وَمَوْلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَلَائِكَ<sup>(٧)</sup> وَإِيَانَا الْعَيْشَ بِبِقَائِهِ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ عِنْدَنَا وَعِنْدَ مَنْ

(١) عند عن الطريق كنصر وسم وكرم عنودا : مال . (٢) ظمن كمنع : سار .

(٣) آسفه : أغضبه . (٤) عفا الشيء : إذا كثر وزاد .

(٥) الحاقة : النازلة .

(٦) في الأصل « فليهنك » وجاء في لسان العرب والمصباح « تقول العرب في الدعاء : ليهنك الولد ، وليهنك الفارس ، يجزم الهمة ، ويأبدلها ياء ساكنة ، ولا يجوز ليهنك بحذف الياء كما تقول العامة . أقول : والوجه في إبقاء الياء مرعاة أصلها وهو الهمة ، وأن ذلك الإبدال عارض للتخفيف لا يعتد به وإلا فالحق حذف الياء لموجب الجزم .

(٧) ملاك الله حبيك تلية : متمك به وأعاشك معه طويلا .

قَبَلْنَا مَكْرَمًا مُتَقَدِّمًا مُعْظَمًا ، وَقَدْ زَادَكَ اللَّهُ فِي أَعْيُنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ جَلَالَةً وَبِحَالَةٍ (١) ،  
فَأَصْبَحُوا يَرْجُونَكَ لِأَنْفُسِهِمْ ، وَيُعِدُّونَكَ لِأَحْدَانِهِمْ وَنَوَائِبِهِمْ ، وَأَرْجُو أَنْ يُوَفَّقَكَ اللَّهُ  
لِحَابَّتِهِ كَمَا وَفَّقَ لَكَ صُنْعَهُ وَتَوْفِيقَهُ ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ جِوَارَ النِّعْمَةِ فَلَمْ تَطْفُكْ ، وَلَمْ تَزِدْ إِلَّا  
تَذَلُّلاً وَتَوَاضِعًا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْالَكَ وَأَبْلَاكَ (٢) وَأَوْدَعَ فِيكَ ، وَالسَّلَامُ .

( كتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ١٥٠ ، وتاريخ الطبري ١٠ : ٢٧٨ )

### ٣٠٦ - كتاب الهزبر بن صبيح إلى عبد الله بن طاهر

وكتب إلى عبد الله بن طاهر الهزبر بن صبيح يستمنحه لشاعر مدحه : « جُعِلَتْ  
فِيكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَمَدَّ اللَّهُ لَكَ فِي الْعَمْرِ مُتَمَعًا بِالنِّعَمِ ، مَكْفِيًا نَوَائِبَ الدَّهْرِ ، أَنْتَ  
- أَيُّهَا الْأَمِيرُ - سَمَاءٌ مُمَطَّرٌ ، وَبِحْرٍ لَا يَكْدُرُ ، وَغَيْثٌ مُمْرِعٌ (٣) بِجَبَابَتِهِ الْمَجْدِبُ ، وَمُنْتَهَى  
أَبْصَارِ (٤) قَوْمٍ ، وَمَمْتَنَى أَعْنَاقِهِمْ ، أَصْبَحْتَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ تُكْرِمُ زَائِرَهُمْ ، وَتُصَفِّدُ (٥)  
مَادِحَهُمْ ، وَتُضْدِرُ وَارِدَهُمْ وَقَدْ انْفَرَجَتْ عَنْهُ الضِّيْقَةُ ، وَانْزَاخَتْ عَنْهُ الْكُرْبَةُ ، وَكَذَلِكَ  
كَانَ آبَاؤُكَ لِلْمُعَلَّمِينَ بِهِمْ ، وَالْمَوْجَّهِينَ رَغْبَتَهُمْ نَحْوَهُمْ ، وَإِنْ كُنْتَ تَمَهَّلْتَ وَسَبَّغْتَ  
سَبْقًا بَيْنَنَا ، وَذَهَبْتَ بِحَيْثُ لَا يَشُقُّ أَحَدٌ غُبَارَكَ ، وَلَا يَجْرِي إِلَى غَايَتِكَ ،  
وَفَتَحْتَ بَدَأَ مَخْضَلَةَ (٦) مَتَدَفِّقَةَ النَّوَالِ وَالْإِفْضَالِ ، عَلَى الْحَالِيِّنَ بِسَاحَتِكَ ، وَالْمُنْتَجِعِينَ  
خِصْبَ جَنَابِكَ .

وَأَنَا أَقْدَمُ عَايِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فِي أَشْيَاءَ تُشْبِهُ قَدْرَكَ ، وَأَحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ  
زَادِكَ مِمَّا أَفَادَكَ اللَّهُ صَنِيعَةً تَصْنَعُهَا ، وَنِعْمَةً تَشْكُرُهَا ، وَتَحُوزُ أَجْرَهَا ، وَتَصْدُقُ  
الظَّنَّ فِيهَا .

(١) بحاله تبيلا : عظمه ، وقد بجل ككرم بحالة ويجولا .

(٢) الإبلاء : الإنعام والإحسان ، يقال : أبلاه الله بلاء حسنا .

(٣) أمرع الوادي : أخصب ، والهباء : العطاء ، وفي الأصل « بجياته » .

(٤) في الأصل « أنصار » .

(٥) أصفده اصفادا : أعطاه ووصله ، والاسم الصفد بالتحريك . (٦) مخضلة : ندية .



وَفَلَانِ فِي الصَّحْبَةِ مِنْ ذَوِي الْبَيْوتَاتِ الَّتِي يُرْغَبُ فِي الصَّنَائِعِ عِنْدَهَا ، وَالتَّوَسُّطِ مِنْ الْأَدَاةِ<sup>(١)</sup> الَّتِي تَوْجِبُ احْتِمَالَ مِنْ حَمَلِهَا ، وَقَدْ أَهْدَى إِلَى الْأَمِيرِ شِعْرًا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَهْدِي مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّهُ يُعِينُهُ فِي مِثْلِهِ ، وَسَأَلَنِي أَنْ أكون سَبَبَ ذَلِكَ وَقَاتِحِهِ ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْإِعْتِدَادِ بِمَا ذَكَرَ وَالتَّطَاوُلِ وَالاِبْتِهَاجِ بِهِ ، رَهْطُ الْأَمِيرِ الْأَدْنَوْنَ وَأَسْرَتُهُ الْأَقْرَبُونَ ، الَّذِينَ جَعَلَهُ اللَّهُ سَهْمَهُمُ الَّذِي بِهِ يَقَارِعُونَ ، وَعَزَمَ الَّذِي بِهِ يَعْزُونَ ، وَسَنَدَهُمُ الَّذِي بِهِ يَلْجَأُونَ ، وَمَعْقَلَهُمُ الَّذِي بِهِ يَثْوُونَ ، فَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَدِيَّتِهِ ، وَاسْتَمَاعِهَا مِنْهُ ، وَوَضِعِهِ بِمِثِّهِ وَضَعَهُ أَمَلُهُ وَرَجَاؤُهُ .

فَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ بِالشَّاعِرِ الَّذِي وَجَّهَهُ إِلَيْهِ وَاسْتَمَعَ مِنْهُ ، وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ .  
( كِتَابُ بَغْدَادِ لِابْنِ طَيْفُورٍ ٦ : ١٥١ )

### ٣٠٧ - كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو

وَكَتَبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو الشَّعْبِيَّ :

« أَمَا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي مِنْ قَطْعِ الْفَسَقَةِ الطَّرِيقَ مَا بَلَغَ ، فَلَا الطَّرِيقَ تَحْمِي ، وَلَا اللَّصُوصَ تَكْفِي ، وَلَا الرَّعِيَّةَ تُرْضِي ، وَتَطْمَعُ بِهَذَا فِي الزِّيَادَةِ ! إِنَّكَ لَمُنْفَسِحُ الْأَمَلِ ! وَإِيمُ اللَّهِ لَتَكْفِينَنَّ مَنْ قَبْلَكَ ، أَوْ لَا وَجَّهَنَّ إِلَيْكَ رَجَالًا ، لَا تُعْرِفُ مَرَّةً مِنْ جَهَنَّمَ ، وَلَا عَدِيٍّ مِنْ رُحْمٍ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . »

( الْعَقْدُ الْعَرِيدُ ١ : ١٧ )

(١) فِي الْأَصْلِ « الْأَدَادُ » وَأَرَى أَنَّ صَوَابَهَا « الْأَدَاةُ » وَهِيَ الْوَسِيلَةُ .

(٢) كَلَّمَا أَسْمَاءَ قَبَائِلَ .

### ٣٠٨ - كتاب عبد الله بن طاهر إلى المأمون

وأهدى عبد الله بن طاهر إلى المأمون فرساً ، وكتب إليه :  
« قد بعثتُ إلى أمير المؤمنين بفرس ، يَلْتَحِقُ الأَرَابَ في الصَّعْدَاءِ (١) ،  
وَيَجَاوِزُ الظُّبَاءَ في الأَسْتَوَاءِ ، وَيَسْبِقُ في الحُدُورِ (٢) جَرَى المَاءِ ، فهو كما قال  
تَابَّطَ شَرًّا :

وَيَسْبِقُ وَفَدَّ الرِّيحَ من حيث تَنَّتَحَى بِمُنْخَرِقٍ من شَدَّةِ المِتْدَارِكِ (٣)  
( زمر الآداب ١ : ٣٠٧ )

### ٣٠٩ - كتاب المأمون إلى قثم بن جعفر

ولما كانت سنة ٢١٠ هـ أمر المأمون بدفع « فِدَاكَ (٤) » إلى وُلْدِ السَيِّدَةِ فاطمة  
رضي الله عنها ، وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة :  
« أما بعدُ ، فإن أمير المؤمنين بِمَكَانِهِ من دين الله ، وخِلافةِ رسولِ الله  
عليه وسلم والقِرابَةِ به ، أَوْلَى مَنْ اسْتَنْ بِسُنَّتِهِ . وَنَفَذَ أَمْرَهُ ، وسَلِمَ - لِمَنْ مَنَحَهُ مِئْجَةَ  
وَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِصَدَقَةٍ - مِئْجَتَهُ وَصَدَقَتَهُ ، وبِاللهِ تَوْفِيقُ أمير المؤمنين وَعِصْمَتُهُ ،  
وَإِلَيْهِ - في العَمَلِ بما يَفْرِيهِ إِلَيْهِ - رَغْبَتُهُ ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أَعْطَى فاطمة بنت رسول الله فِدَاكَ ، وَتَصَدَّقَ بِهَا عَلَيْهَا ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً  
لا اِخْتِلافَ فيه بين آلِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تَزَلْ تَدَّيْ مِنْهُ ما هِيَ أَوْلَى  
مَنْ صَدَّقَ عَلَيْهِ ، فرأى أمير المؤمنين أن يردّها إلى وِوَرَّتِهَا ، وَيَسَلِّمُهَا إِلَيْهِمْ ، تَقَرُّباً

(١) الصعداء : المشقة . (٢) الحدور : الإسراع .

(٣) الشد : العدو ، واختراف الرياح وانخراقها : مرورها وهبوبها ( ومنخرقها بفتح الراء : مهبها )

قال رؤبة : \* بكل وفد الريح من حيث انخرق \*

(٤) فدك : قرية بخير بينها وبين المدينة بومان ، وقد قدمنا عنها كلمة . طولة في الجزء الثاني

ص ٢٨٥ فارجم إليها .

إلى الله تعالى ، بإقامة حقه وعدله ، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه ، والكتاب إلى عماله ، فلئن كان يُنادى في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يذُكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عِدَّةٌ ذلك ، فيقبل قوله ، وتنفذ عِدَّتُه ، إن فاطمة رضى الله عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها .

وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري موثلي أمير المؤمنين يأمره برَدِّ فِدَاكَ على ورثة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بِحُدُودِهَا وَجَمِيعِ حَقُوقِهَا الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهَا ، وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسين بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لتولية أمير المؤمنين إياها القيام بها لأهلها .

فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ، وما أَلْهَمَهُ اللهُ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَوَقَّعَهُ لَهُ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْلَمَهُ مَنْ قَبْلَكَ ، وَعَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بِمَا كُنْتَ تَعَامِلُ بِهِ الْمُبَارَكِ الطَّبْرِي ، وَأَعْنِئَهُمَا عَلَى مَا فِيهِ عِمَارَتُهَا وَمُصْلِحَتُهَا وَوُقُورُ غَلَّاتِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَالسَّلَامُ .

وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة ٢١٠ هـ .

( فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٠ ، ومجم البلدان ٦ : ٣٤٥ )

### ٣١٠ - كتاب أبي العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة :

« أما بعد : فإني توسلتُ إليك في طلب نائلك<sup>(١)</sup> بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ، فراراً من الفقر ، ورجاءً للغنى ، فازددتُ بهما بعداً مما فيه تقرُّبتُ وقرُّباً مما فيه تبعَّدتُ ، وقد قسمتُ اللائمة<sup>(٢)</sup> بيني وبينك ، لأنى أخطأتُ في سؤالك ، وأخطأتُ في مني :

(١) النائل : العطاء كالنوال والنال . (٢) اللائمة : اللوم .

أمرتُ باليأس من أهل البخل فالتهم ، ونهيت عن منع أهل الرغبة فمَنَعْتَهُمْ ، وفي ذلك أقول :

فَرَرْتُ مِنَ الْفَقْرِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي      إِلَى بُخْلِ مَحْظُورِ النَّوَالِ مَنُوعِ  
فَأَعْقَبَنِي الْحِرْمَانَ غِيبٌ مَطَامِعِي      كَذَلِكَ مَنْ يَلْقَاهُ غَيْرَ قَنُوعِ  
وغيرُ بديعٍ منعُ ذِي الْبُخْلِ مَالَهُ      كَمَا بَدَلُ أَهْلِ الْفَضْلِ غَيْرُ بَدِيعِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا أَنْتَ كَشَفْتَ الرِّجَالَ وَجَدْتَهُمْ      لِأَعْرَاضِهِمْ مِنْ حَافِظٍ وَمُذِيعِ  
(العقد الفريد ٢ : ١٩٦)

### ٣١١ - كتاب عمرو بن مسعدة إلى المأمون

وكتب عمرو بن مسعدة إلى المأمون في رجل من بني ضبّة يستشفع له بالزيادة في منزلته ، وجعل كتابه تعريضاً :

« أما بعد ، فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين - لِتَطَوُّلِكَ<sup>(٢)</sup> عليّ - في إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به ، وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدّي طاعته ، والسلام . »

### ٣١٢ - رد المأمون عليه

فكتب إليه المأمون :

« قد عرفنا توطنك له ، وتمريضك لنفسك ، وأجبتناك إليهما ، ووافقناك عليهما . »  
(المثل السائر ص ٣٩١)

(١) أي غير مبتدع .

(٢) التطول : التفضل .

### ٣١٣ - كتاب عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل

وكتب عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل :

« أما بعدُ : فإنك ممن إذا غرس سقى ، وإذا أسس بني ، لِيَسْتَتِمَّ تشبيد أسه ،  
ويجتنى ثمار غرسه ، وبنائك (١) عندي قد شارف الدروس (٢) ، وغرسك مشف (٣)  
على اليبوس ، فتدارك بناء ما أسست ، وسقى ما غرست ، إن شاء الله » (٤) .  
( معجم الأدباء ، ٦ : ٩٠ ) ( طبع هندية )

### ٣١٤ - كتابه إلى الحسن بن سهل

وكتب إلى الحسن بن سهل عن لسان المأمون يهنته بمولود :

« أما بعدُ : فإن هبة الله لك هبة لأمر المؤمنين ، وزيادته إياك في عددك زيادة له  
في عدده ، لِحَلَّكَ عنده ، ومكانك من دولته ، وقد باغ أمير المؤمنين أن الله وهب  
لك غلاماً مريباً (٥) ، فبارك الله لك فيه ، وجعله باراً تقياً ، مباركاً سعيداً زكياً » .  
( اختيار المنظوم والمنثور ، ١٣ : ٣٠٣ )

(١) في الأصل « وبنائك » وهو تصحيف .

(٢) الدروس : الاعاء والزوال . (٣) أشنى عليه : أشرف .

(٤) وروى ابن خلكان في وفيات الأعيان ( ٢ : ٥٥ ) قال : وحكى أبو عبيد الله البهارستاني أن  
أبا حفص الكرماني كاتب عمرو بن مسعدة كتب إلى محمد بن عبد الملك الزيات : « أما بعد فإنك ممن إذا  
غرس سقى غرسه ، وإذا أسس بني أسه . . . ويجتنى ثمره غرسه ، وبنائك في ودي قد وهى وشارف  
الدروس ، وغرسك عندي قد عطش وأشنى على اليبوس ، فتدارك بناء ما أسست ، وسقى ما غرست »  
وسيرد عليك هذا الكتاب بعد بصورة أطول صادرا من الكرماني إلى بختيشوع .

(٥) سريبا : سيدا شريفيا ، وصف من السرو : وهو المروءة في شرف .

## ٣١٥ - كتابه إلى المأمون

« وَقَدِمَ عَلَى الْمَأْمُونِ رَجُلٌ مِنْ أَبْنَاءِ الدَّهَّاقِينَ <sup>(١)</sup> وَعِظْمَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، عَلَى هِدَاةِ سَلَفَتِ لَهُ مِنَ الْمَأْمُونِ ، مِنْ تَوَلِيَّتِهِ بِلَدِّهِ ، وَأَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ مَمْلَكَتَهُ ، فَطَالَ عَلَى الرَّجُلِ انْتِظَارُ خُرُوجِ أَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَصِدَ عَمْرًا وَبْنَ مَسْعَدَةَ ، وَسَأَلَهُ إِبْصَالَ رُقْعَةٍ إِلَى الْمَأْمُونِ مِنْ نَاحِيَّتِهِ ، فَقَالَ : اكْتُبْ بِمَا شِئْتَ فَإِنِّي مُوَصِّلُهُ ، قَالَ : فَتَوَلَّى ذَلِكَ عَنِّي حَتَّى تَكُونَ لَكَ نِعْمَتَانِ ، فَكُتِبَ عَمْرًا :

« إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَفُكَّ أَمْرَ عِدَّتِهِ مِنْ رِبْقَةٍ <sup>(٢)</sup> اللَّطَّلِ ، بِقَضَاءِ حَاجَةِ عِبْدِهِ ، وَالإِذْنَ لَهُ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى بِلَدِهِ ، فَعَلَّ مُوَفَّقًا .

فَلَمَّا قَرَأَ الْمَأْمُونُ الرُّقْعَةَ دَعَا عَمْرًا وَجَعَلَ يَعْجَبُ مِنْ حَسَنِ لَفْظِهَا ، وَإِيجَازِ الْمُرَادِ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ عَمْرًا : فَمَا نَتِيجَتُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : الْكِتَابَةُ لَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِمَا سَأَلَ ، لِئَلَّا يَتَأَخَّرَ فَضْلُ اسْتِحْسَانِنَا كَلَامَهُ ، وَبِجَاهِزَةٍ تَفِي دِنَاءَةَ اللَّطَّلِ .

( زهر الآداب ٣ : ٣٥٧ )

## ٣١٦ - كتابه في وصاة

وَأَمْرَهُ الْمَأْمُونُ أَنْ يَكْتُبَ لِشَخْصٍ كِتَابًا إِلَى بَعْضِ الْعَمَّالِ بِالْوَصِيَّةِ عَلَيْهِ وَالِاعْتِنَاءِ بِأَمْرِهِ فِي سَطْرٍ وَاحِدٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

« كِتَابِي إِلَيْكَ كِتَابٌ وَاقِعٌ بَيْنَ كُتَيْبٍ إِلَيْهِ ، مَعْنِي بَيْنَ كُتَيْبٍ لَهُ ، وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ الثَّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ ، وَالسَّلَامُ . »

قَالَ ابْنُ خُلِكَانَ : وَقِيلَ إِنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ ، وَالْأَوَّلُ أَصْحَحُ وَأَشْهُرُ .

( وفيات الأعيان ١ : ٣٩٠ ؛ ونهاية الأرب ٧ : ٢٦٠ )

(١) الدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم ، وهو رئيس الإقليم ، وزعيم فلاحى العجم ، مغرب .  
(٢) الربق بالكسر : جبل فيه عدة عرى يشد به البهم ، كل عروة ربقة .

### ٣١٧ - كتابه إلى بعض أصحابه

وكتب عمرو إلى بعض أصحابه في حق شخص بعز عليه .

« أما بعد . فموصول كتابي إليك سالم ، والسلام » .

أراد قول الشاعر :

يُدِيرُونِي عَنْ سَالِمٍ وَأَدِيرُهُمْ      وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

أى يحلُّ منى هذا المحلِّ . ( وفيات الأعيان ١ : ٣٩٠ )

### ٣١٨ - كتابه إلى المأمون

وقال أحمد بن يوسف : دخلت على المأمون وفي يده كتاب ، وهو يعاود قراءته مرّة بعد مرّة ، ويصعد فيه بصره ويصوّبه ، فالتفت إلىّ وقد لحظني في أثناء قراءته للكتاب ، فقال : يا أحمد أراك متفكراً فيما تراه منى ! قلت : نعم ، وقي الله أمير المؤمنين من المكاره ، وأعاده من المخاوف ، قال : لا مكروه إن شاء الله ، ولكني قرأت كتاباً وجدته نظير ما سمعت الرشيد يقوله في البلاغة ، فإني سمعته يقول : « البلاغة التباعد من الإطالة ، والتقرب من البُغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى » وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على هذه البلاغة ، حتى قرأت هذا الكتاب من عمرو ابن مسعدة إلينا ، ورمى به إلىّ فقرأته فإذا فيه :

« كتابي إلى أمير المؤمنين ، ومَنْ قَبَلِي مِنْ قَوَّادِهِ وَسَائِرِ أَجْنَادِهِ فِي الْإِنْقِيَادِ وَالطَّاعَةِ ، هَلِ أَحْسَنِ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ طَاعَةُ جُنْدٍ تَأَخَّرَتْ أَرْزَاقُهُمْ ، وَانْقِيَادُ كُفَّاقِهِ تَرَخَتْ أُعْطِيَاتُهُمْ ، وَاخْتَلَّتْ لَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ ، وَالتَّائْتُ<sup>(١)</sup> مَعَهُ أُمُورُهُمْ » .

(١) الايتيات : الاختلاط .

فلما قرأته ، قال : إن استحسناني لإيابه بعثني أن أمرتُ للجنود قبلة بعطائهم  
لسبعة أشهر<sup>(۱)</sup> ، وأنا على مجازاة الكتاب بما يستحقه ، من حل محلّه  
في صناعته .

( وفيات الأعيان ۱ : ۳۹۱ ؛ وزهر الآداب ۳ : ۱۵۵ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۶۰ )

### ۳۱۹ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وكان بعض الرؤساء قد تزوجت أمه فسأه ذلك ، فكتب إليه عمرو بن مسعدة  
رسالة بديعة ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها وذهب عنه ما كان يجده ، وهي :  
الحمد لله الذي كَشَفَ عَنَّا سِتْرَ الْخَيْرِ ، وَهَدَانَا لِسِتْرِ الْعَوْرَةِ ، وَجَدَعَ بِمَا شَرَعَ  
مِنَ الْحَلَالِ أَنْفَ الْغَيْرِ<sup>(۲)</sup> ، وَمَنَعَ مِنْ عَضْلِ الْأُمَّهَاتِ<sup>(۳)</sup> ، كَمَا مَنَعَ مِنْ وَأْدِ الْبَنَاتِ ،  
اسْتَنْزَالًا لِلنَّفُوسِ الْأَبِيَّةِ عَنِ الْحِمِيَّةِ حَمِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، ثُمَّ عَرَّضَ لِحَزْبِ الْأَجْرِ مَنْ اسْتَسْلَمَ  
لِوَأَقِعِ قَضَائِهِ ، وَعَوَّضَ جَلِيلَ الدُّخْرِ مَنْ صَبَرَ عَلَى نَازِلِ بِلَائِهِ ، وَهَنَّاكَ الَّذِي شَرَحَ  
لِلتَّقْوَى صَدْرَكَ ، وَوَسَّعَ فِي الْبُلُوبِ صَبْرَكَ ، وَأَهْمَكَ مِنَ التَّسْلِيمِ لِمَشِيئَتِهِ ، وَالرِّضَا بِقَضِيئَتِهِ ،  
مَا وَفَّقَكَ لَهُ مِنْ قَضَاءِ الْوَاجِبِ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ وَمَنْ عَظَّمَ حَقَّهُ عَلَيْكَ ، وَجَعَلَ اللَّهُ - تَعَالَى  
جَدُّهُ - مَا تَجَرَّعْتَهُ مِنْ أَنْفٍ ، وَكَطَمْتَهُ مِنْ أَسْفٍ ، مَعْدُودًا فِيهَا بِعُظْمِ بِهِ أَجْرَكَ ، وَيُجْزِلُ  
عَلَيْهِ ذُخْرَكَ ، وَقَرَنَ بِالْحَاضِرِ مِنْ امْتِعَاظِكَ بِفَعْلِهَا ، الْمُنْتَظَرَ مِنْ ارْتِمَاظِكَ<sup>(۴)</sup> بِدَفْنِهَا ،  
فَدَسْتَوْفِي بِهَا الْمَصِيبَةَ ، وَتَسْتَكْمِلُ عَنْهَا الْمَثُوبَةَ ، فَوَصَّلَ اللَّهُ لِسَيْدِي مَا اسْتَشَعَّرَهُ مِنَ الصَّبْرِ  
عَلَى عُرْسِهَا ، بِمَا يَسْتَكْسِبُهُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى نَفْسِهَا<sup>(۵)</sup> ، وَعَوَّضَهُ مِنْ أُسْرِئَةِ فَرَشِهَا ، أَعْوَادًا

(۱) وفي زهر الآداب « ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه في الأجناد، وإعفائه سلطانه من الإكثار، ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر » .

(۲) أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم ليلة زفت فاطمة إلى علي رضي الله عنهما « جدد الحلال أنف الغيرة » وجدد أنفه كمنع : قطعه .

(۳) عضل المرأة : منعها الزوج ظلما ، ووأد بنته : دفنها حية ، والحمية : الأفة .

(۴) امتعض من الأمر : شق عليه ، وارتعض منه : اشتد عليه وأقلقه أيضا .

(۵) أي حين موتها .



نَعَشَهَا ، وَجَعَلَ — تَعَالَى جَدُّهُ — مَا يُنْعِمُ بِهِ عَلَيْهِ بَعْدَهَا مِنْ نِعْمَةٍ ، مُعَرِّئِي مِنْ نِعْمَةٍ ،  
وَمَا يُؤَلِّيه بَعْدَ قَبْضِهَا مِنْ مِئْتَةٍ ، مُبْرَأً مِنْ نِحْتَةٍ ، فَأَحْكَامُ اللَّهِ — تَعَالَى جَدُّهُ ،  
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ — جَارِيَةٌ عَلَى غَيْرِ مُرَادِ الْمَخْلُوقِينَ ، لَكِنَّهُ تَعَالَى يَخْتَارُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ  
مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ فِي الْعَاجِلَةِ ، وَأَبْقَى لَهُمْ فِي الْآجِلَةِ ، اخْتَارَ اللَّهُ لَكَ فِي قَبْضِهَا إِلَيْهِ ،  
وَقَدُومِهَا عَلَيْهِ ، مَا هُوَ أَنْفَعُ لَهَا وَأَوْلَى بِهَا ، وَجَعَلَ الْقَبْرَ كُفُوًا لَهَا ، وَالسَّلَامَ .

وقيل إن هذه الرسالة لأبي الفضل بن العميد<sup>(١)</sup> .

( وفيات الأعيان ١ : ٣٩٠ )

## ٣٢٠ — كتاب له

وكتب عمرو بن مسعدة :

وصل إليّ كتابك ، على ظمإٍ مني إليه ، وتطلّع شديد ، وبعْدَ عهدٍ بعيدٍ ، ولوْمْ  
منى على ما مَسَّسْتَنِي بِهِ مِنْ جَفَائِكَ ، على كثرة ما تابعتُ من الكتب ، وعلِمْتُ  
من الجواب ، فكان أول ما سبق إليّ من كتابك السرورُ بالنظر إليه ، أُنَا بِمَا  
تجدد لي من رأيك ، في المواصلة بالكتابة ، ثم تضاعف السرورُ بخبر السلامة ، وعلم  
الحال في الهيئة ، ورأيتك بما تظاهرت من الاحتجاج في ترك الكتاب ، سالكا  
سبيل التخلص مما أنا مخلص منه ، بالإغضاء عن إلزامك الحجّة في ترك الابتداء  
والإجابة ، وذكرت شغلك بوجوه من الأشغال كثيرة متظاهرة مُبْمَلَّة<sup>(٢)</sup> لا أجشّمك  
متابعة الكتب ، ولا أحيلُ عليك المشاكلة بالجواب ، ويُقِنِعِي مِنْكَ فِي كُلِّ شَهْرٍ

(١) وأنت إذا تأملت هذه الرسالة وجدتها بنسخ ابن العميد أشبه ، إذ تتجلى فيها الصنعة البديعية  
من الطباق والجناس الناقص والسجع مما كان عماد طريفته ، ولم يكن فاشيا في كتابة ابن مسعدة  
ولا كتاب عصره .

(٢) في الأصل « ممكنة » وهو تحريف .

كتاب ، ولن ( تُلْزِمُ <sup>(١)</sup> ) من نفسك في البرِّ قليلا إلا أُلزمتُ نفسي منه كثيرا ،  
وإن كنتُ لا أستكثِرُ شيئا منك ، أدام الله مودَّتَكَ ، وثبَّتْ إِيَّاهُكَ ، واستمَّاحَ <sup>(٢)</sup>  
لي منك ، فرأيتُ في متابعة الكُتُبِ ومحادَثَتِي فيها بخبرك ، مُوقَّفاً إن شاء الله .

( اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦٢ )

### ٣٢١ — كتابه إلى أبي الرازي

وخرج المأمون يوما من باب البستان ببغداد ، فصاح به رجل بصريُّ :  
يا أمير المؤمنين ، إني تزوجت بامرأة من آل زياد ، وإن أبا الرازي <sup>(٣)</sup> فرَّقَ  
بيننا ، وقال : هي امرأة من قريش ، فأمر المأمون عمرو بن مسعدة فكتب  
إلى أبي الرازي :

« إنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادةِ وخَلَمِكَ إياها إذ كانت من  
قريش ، فمتى تحا كمتُ إليك العربُ — لا أمَّ لك <sup>(٤)</sup> — في أنسابها؟ ومتى وَكَلَّتْكَ  
قريش يا ابن الأَخْفَاءِ <sup>(٥)</sup> بأن تُلصِقَ بها من ليس منها؟ فخلُ بين الرجل وامرأته ، فلئن  
كان زيادٌ من قريش إنه لا بنُ سُمَيَّةَ ، بِنِي عَاهِرَةَ ، لا يفتخِرُ بقرابتها ، ولا بتطاوُلِ  
بِوِلاَدَتِهَا ، وإن كان ابنَ عُبَيْدٍ لقد باءَ بأمرٍ عظيمٍ ، إذ ادَّعى إلى غير أبيه لِحَظِّ  
تَمَجِّلِهِ ، وَمَلِكٍ قَهْرِهِ . »

(١) في هذه الكلمة بيان بالأصل ، والسياق يقتضيها .

(٢) استمَّاحه : سأله أن يشفع له .

(٣) هو محمد بن عبد الحميد المعروف بأبي الرازي ، ولاء المأمون اليمن سنة ٢١٢ هـ — تاريخ

الطبري ١٠ : ٢٧٩ .

(٤) انظر الجزء الثاني ص ٢٠ .

(٥) اللخن بالتحريك : قبح ربيع الفرج ، وامرأة لخناء ، ويقال اللخناء : التي لم تحن ، وهي من

شتم العرب ، كأنهم يقولون : يادني الأصل ، أو يالقيم الأم .

## ٣٢٢ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى عمرو بن مسعدة

وكان بين عمرو بن مسعدة وبين إبراهيم بن العباس الصُّولي (ابن عمه) مودة ،  
فحصل لإبراهيم ضائقةٌ بسبب البطالة في بعض الأوقات ، فبعث له عمرو مالاً ، فكتب  
إليه إبراهيم :

« ما شكرَ عمرًا ما تراختَ منيَّتي      أيديَ لم تُتمننَ وإن هي جلتِ  
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه      ولا مظهرِ الشكوى إذا النعلُ زات  
رأى خلتي من حيث يُخفى مكانها      فكانت قذى عينيه حتى تجلتِ »  
( وفيات الأعيان ١ : ٣٩١ )

## ٣٢٣ - كتاب أبي جعفر الكرمانى إلى المأمون

ورفع أبو جعفر الكرمانى إلى المأمون رقعةً يقول فيها :

« ثقى من أمير المؤمنين باعتناؤه ، تمنعنى من استبطائه ، ومعرفتى بأشفاه ،  
تدعونى إلى إذكاره ، ولا آمنُ بين منع الثقة ودعاء المعرفة ، اخترام<sup>(١)</sup> قُربِ الأجلِ  
بُعْدَ أمله ، إذ كانت الآجال آفاتِ الآمالِ ، نفسَ الله لأمير المؤمنين فى أجله ، وبلغه  
منتهى أمله . »  
( اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٦٣ )

(١) اخترمته للنية : أخذته .

## ٣٢٤ - كتابه إلى بختيشوع

وله إلى بختيشوع<sup>(١)</sup> :

« فإنك من إذا أسسَ بَنِي ، وإذا غرسَ سَتِي ، لاستتمام بناء أسه ، واجتناء ثمار غرسه ، وأسك قد بَلِي<sup>(٢)</sup> وقارب الدُّروسَ ، وغرسك في حفطي قد عطش وشارفَ اليُبوسَ ، فتداركُ بالبناء ما أمَّنتَ ، وبالسقي ما غرَّستَ .

قد جعلك الله من يحتمل الدَّالةَ الكبيرةَ ، لذِي الحُرْمَةِ اليسيرةَ ، ورفعك عن أن تتلقَى استزادةَ المستزيد بعُنفِ الحِمِيَّةِ والإعراضِ والتَّبَوَّةِ ، لأن هذا من أخلاق مَنْ حَدَّاتُ نعمتهُ ، وصَغُرَتْ همتهُ ، فأما من انقادت النعمُ له في أوَّله وآخِره ، وكان له في تشييد المكارم وربِّ<sup>(٣)</sup> الصنائع ، مثلُ سهمك . فإنه يُنصفُ من نفسه ، وَيَقْضِي عن حقه ، ويحتمل دالةَ المتحرِّم<sup>(٤)</sup> ، ويجاوز بالمستزبد غايةَ استحقاقه<sup>(٥)</sup> . »  
( اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٦٣ )

(١) هو بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع الطبيب المشهور ، وقد رفق المأمون منزله ، وأكرمه غاية الإكرام ، وأخرجه معه إلى بلاد الروم حين خرج إليها سنة ٢١٣ هـ ، وكان كذلك عظيم المنزلة عند المتوكل ، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ . انظر أخباره في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١ : ١٣٥ ، وأخبار الحكماء لابن القفطي ص ١٠٢ ( طبع أوربة ) .

(٢) في الأصل « ثرى » وأراه محرفاً ، وإن صح فهو من ثريت الأرض كفرح : إذا نديت وابتلت ومعناه : قد ندى ورطب فتأكل ، - وهو مع ذلك تخريج متكلف - أو هو محرف عن ( ثم ) من ثومت السن كفرح : إذا انكسرت من أصلها .

(٣) رب الصنعة كنصر : ناعاها وزادها وأنعها وأصلحها .

(٤) تحرم منه بجرمة : تمنع وتحمي بذمة .

(٥) قدمنا لك في ص ٤٢٩ أن الشطر الأول من هذا الكتاب رواه ياقوت في معجم الأدباء

صادرا من عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل .

## ٣٢٥ - كتاب العباس بن الحسن إلى جرير بن يزيد

وكتب العباس بن الحسن بن عبید الله بن العباس بن علی بن أبی طالب علیه السلام ، إلى جریر بن یزید يعزیه فی العباس ابنته :

« أما بعد ، فإنك لا تخبر عن الله عز وجل فيما وعد على المصائب ، ولا توعظ فيما حدث من بفتات الدهور ، وملمات الأمور ، بأشقي من علمك به وأوعظ به ، بما لم تنزل له معايننا من ملمات قدره وفضله ، وفي الله تبارك وتعالى لمن اعتصم به كافٍ ، وفي ثوابه لمن رغب عن الأجابة معزٍ ، وليس من أحداث الدهر حادثٌ يمسي به امرؤ في حميم ، وإن لطف من القلوب موقعه ، وجل في المصاب رزؤه ، إلا والمرء مرتين في نفسه بأعظم منه ، إما بقاء يكون به حظاً لِحميمه في المعاد إن قصر به في نفسه أملٌ ، وإما بقاء يكون به عرضاً لمختلف الأيام والليالي ، حتى يموت منه ما لا ينتفع بعده بالبقاء إن عمرٌ ، ثم يكون الموت من ورائه لا تحالة ، فأين المذهب لمن عرف هذا عن ثواب الله الذي منه الخلف والعوض ، في الدار التي لا تنفى ولا ينفي ما فيها ؟

وكفي نظراً من الله لك ، وإنعاماً عليك ، أن جعل ابنك لك ولداً ، فشرّفك بشرفه على الأبناء ، وزينك بخصاله الفاتحة للوصف في الفضائل والكمال ، وبلغ به الغاية التي تبلغ في السن والثروة ، ثم جعله لك مقدّمةً إليه ، وذخيرةً عنده ، وأى الأمرين تراه يا أبا العباس أملاً لديك : أبقاؤه لو بقي حتى تكون له ؟ أم فناؤه إذ فني حتى كان لك ؟ وما كنت تأمل له أكثر مما أعطاه الله وأعطاك فيه ؟ فخير ما أخذته تقوى الله في حسن العزاء ، واستيجاب العوض والاستعداد فيما هو نازل بك في نفسك ، وإن كان غير ذي أمثال عندنا إن تأخر في أجلك ، ونسأل الله أن ينسي فيه .

فأما أنا فإنه لما بدّهني ما بدّهني من مُصابه، وتخوّفتُ أن يستولى الأسي على الصبر، والجزعُ على الشلْو، ذكرتُ ما وعدَ اللهُ الصابرين، فأشفقتُ، أن يكون حظّي من الأُخ الحبيب القريب الفاجع فقدَ المرجوَّ ثوابه، وإعطاء النفسِ حاجتها من الجزعِ والمَلَم، فلما رُضتُها على الصبر، لم أجد عندها مع شدة اللوعة أكثرَ من ظاهر التعزّي، وكتبتُ إليك وأُكثرُ ما عندي التجمُّلُ، واللهُ المستعانُ، وليس لك ولا لنا وإن عظم الرُزءُ عما أمرَ اللهُ به مذهبٌ، ولا على غيره مُعوّل، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبه لك ولأنفسنا، ونسأله الثوابَ عليه، والعفو عنه، والعُقبى منه، والتجاوُزَ والمغفرةَ لذنوبه، ولا تدعِ الكتابَ إلى، فإنه قد زادني تعزّيًا، علمي بك في حُسن ظني بالله لك .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١١)

### ٣٢٦ - كتاب العباس بن الحسن إلى المأمون

وكتب العباس بن الحسن الطالبي إلى المأمون يهنئه بمولوده :  
 « قد كان أجدلني <sup>(١)</sup> ما أحدث اللهُ لأمير المؤمنين من الموهبة التي ليس - وإن كان أولى بها من غيره - بأعظمَ فيها حظًا من رعيته، فعمّر اللهُ لك يا أمير المؤمنين قلوبهم <sup>(٢)</sup> بنور الحكمة وأبصارهم، حتى يشدّ بهم عضدك ويسدّ بهم ثلمتك، ويبلغهم الغاية المأمول لهم بلوغها بعدك، غيرَ مُقعد بك مهل، ولا مُحلّ بك أجل، ولا مُكذّبك أمل، ولا منقطعة أيامك، حتى تُخترَم <sup>(٣)</sup> أنفسنا قبلك، وتأتي على تقصيرنا وزللنا بركاتك . »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٣)

(١) أي سرنى . أخذته .

(٢) أي قلوب أبنائك .

(٣) اخترمته المنية .

## ۳۲۷ - کتاب جریر بن زید البجلی

وكتب جریر<sup>(۱)</sup> بن زید البجلی :

« أما بعد : فإنه لولا ( ماله )<sup>(۲)</sup> الناس من تقلب قلوبهم ، وتصرف حالاتهم وتباينهم ، واختلافهم واثلافهم ، لما تشعبوا من أصلهم ، ولا اختلف منهم اثنان بعد تشعبهم ، فلا بدّ فيما يحدث بين الناس من علل الوحشة ، وأسباب العداوة والفرقة ، ويجرى بينهم من المودة وداعي الصلة من سابق ومسبوق ، وداعٍ ومجيبٍ ، فسابقٌ إلى قطيعة يجتني بها من صاحبه الوحشة ، ومبتدئٌ بصلته اجتلب بها من صاحبه الثقة ، وزرع بها في قلبه المقة له .

وقد بلغني عنك في وفائك وفضلك ما حرّ كنى لودّك ، ورغّبي في خلّتك<sup>(۳)</sup> ، ودعائي إلى طلب وصالك ، فأجبت دعاءك إلى الصلة والملاطفة بما أحسنتُ لك من الثمة ، وحدث لي فيك من الرغبة ، فأقبل ما بدّلنا من ودّنا وأحسن الإجابة إلى ما دعوناك إليه من إخواننا ، واتبعنا بإحسان إذ كان الابتداء منا ، فإن المجيب إلى الجميل شريك الراغب فيه ، وإن المكافئ به شكلي<sup>(۴)</sup> لسديبه ، ولا تكرهن أن تكون لنا إذ دعوناك محبباً ، وإذ سبقناك بالفضيلة تابعا ، فإننا قد أحسننا إجابة فضلك ، وسألنا في اتباع ما قادنا إليك من محاسنك ، وأعلم أنك لو كنت سبقتنا إلى الصلة ، وتقدمتنا بالرغبة ، وطلبت فضلنا عليك بالمودة ، كنت لذلك في الفضل أهلاً ، وبه جديراً ، لأن مثلك في فضلك عطف على نفسه ، ومثلنا رغب في صلته ، فقد أهدينا

(۱) هو جریر بن زید بن خالد بن عبد الله القسري البجلی ، وهو أحد الخطباء المدودين - انظر

لنهرست ص ۱۸۱ .

(۲) كذا في الأصل ، فاللام في « له » بمعنى لأجل ، أي لولا ما خلق لاجله الناس .

(۳) الخلة : الصداقة . (۴) الشكل : الشبه والتل -

إليك صفواً وُدنا ، وَ كَفيْناكَ ما كَنتَ بِهِ جَدِيراً مِن طَلبِنا ودَعائِنا ، فَأَحْسِنِ قَبولَ  
هِدْيَتِنا ، وَ بَدِّلِ الحَقَّ في مَكافاتِنا ، ولا يَفوتَنَّكَ السَّبِقُ وَ حَسَنُ الأَتِباعِ مَعاً ، وَالسَّلَامُ .  
( المَناظِمُ وَالْمَشوَرُ ١٣ : ٤٠٩ )

### ٣٢٨ - كِتابِ آخِرِ

« إِنْ القَبِيحُ لو كانَ فَضْلاً قَلَّ حَظُّكَ مِنْهُ ، وَ كَنا أَوْلَى بِهِ مِنْكَ ، فَأَما إِذْ كانَ  
نَقْصاً فَأَنتَ أَحَقُّ بِهِ مِنّا ، وَأَنتَ وِليُّهُ دُونَنا ، وَ قد وَلَّيْناكَ مِنْهُ ما تَوَلَّيْتَ ، وَ كَرِهْنا مِنْهُ  
ما ارْتَضَيْتَ ، فَاجْرِ ما بَدَأَ لَكَ فِيهِ ، غَيْرَ مَحسودِ عَليهِ ، وَالسَّلَامُ .  
( المَناظِمُ وَالْمَشوَرُ ١٣ : ٤٢٣ )

### ٣٢٩ - كِتابِ آخِرِ

وَاهِ أَيْضاً :

« فَإِنْ أَحَقَّ مَن زُهِدَ في الصَّنِيعَةِ عِندَهُ ، مَن بَلَى الكُفْرُ مِنْهُ ، وَأَوْلَى مَن يُهَوَّنُ  
مَن لَمْ يَنْفَعِ فِيهِ إلا كِرامُ لَهُ ، وَ قد بَلَوْناكَ بِإِتيانِ المَروِفِ ، فلم تَوُدَّ حَفِيزَةً في الشُّكْرِ  
عَليهِ ، وَ بَلَوْناكَ بِالإِ كِرامِ لَكَ فلم يَنْفَعِ ذَلكَ فِيكَ ، فَبأَيِّ الأُمورِ تَسْتَزِيدُنا في الصَّلَةِ ،  
وَتَسْتَبِطُنا في التَّسَكُّرِمةِ ، وَ تَقْجَمُ عَلَينا « أَنْ حَرَمَناكَ » بِاللَّامَةِ ؟ فلمْ نَفَسَكَ  
في قَلَةِ شُكْرِكَ واحْتِمالِكَ ، فَإِنَّكَ بِذَلكَ أَجَدَرُ ، وَمِنْهُ أَعذَرُ ، وَالسَّلَامُ .  
( المَناظِمُ وَالْمَشوَرُ ١٣ : ٤٢٣ )



## ٣٣٠ - كتاب محمد بن سعيد في السلامة

وكتب محمد<sup>(١)</sup> بن سعيد في السلامة يوم عيد :

« إن الله وهب العلم لعباده ، هدايةً إلى معرفة نعمه ، وأداء شكرهم ، ثم أمرهم بالحديث عن نعمه ، وتواضع آلائه ، وإن من حق النعمة فيما أكل الله من هذا العيد الجليل قدره ، الشامل نفعه ، أن يجتمع العوام بالقصد لشكره ، والثناء به على الله تبارك وتعالى وعلى خلقته ، فإن لم يجمعها سعيدٌ واحد تفرّد أهلُ الفقه والعلم وذوو الدين والفضل للقيام عن أنفسهم وعن ورائهم بشكر النعمة فيه ، فإنه أعظم عيدٍ على المسلمين بركةً وعائدةً<sup>(٢)</sup> بعد العيد الذي جمعهم فيه نظره للإسلام ، إذ عصم الله به الدين ولأم به الشعث ، وأطفأ النائرة<sup>(٣)</sup> ، حوارى<sup>(٤)</sup> الأمة وإمامهم ، والقائم بحق الله فيهم على منبرهم ، يعظهم ويُسدّدم ، ويقوم بهم على إخلاص العبادة ، وفضيلة الطهر والزكاة .

فالحمد لله على هذه النعمة التي جعلها تذكرةً لما سبق من وعده ، في تمكين أوليائه ، وتصويره العاقبة للمتقين من عباده ، وأسأل الله أن يتقبل منه فريضة العمل ، وناقلة القربة ، فيما قضى عنه من شهره ، وأدى من الحق فيه عليه ، ويجعله أعظم شهرٍ وسنةٍ وعيدٍ ، وتجمع بين وبركة ، مستقبلاً وعائدةً ، إنه سميع قريب .

( المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٤ )

(١) ذكره ابن النديم في الفهرست في عداد البلغاء فقال : « محمد بن سعيد زمن المؤمنين » انظر

ص ١٨٢ .

(٢) العائدة : الفائدة .

(٣) النائرة : العداوة والشحناء .

(٤) في الأصل « حوارى الأمة لإمامهم » وهو تحريف ، وقد أصلحته كما ترى ، والحوارى : الناصر ،

أو ناصر الأنبياء .

### ٣٣١ - كتاب إلى المأمون من عامل

« قَلَّ مَنْ يَسَارِعُ فِي بَدْلِ الْحَقِّ مِنْ نَفْسِهِ ، إِذَا كَانَ الْحَقُّ مُضِرًّا بِهِ ، وَقَلَّ مَنْ يَدْعُ الْأُسْتَعَانَةَ بِالْبَاطِلِ ، إِذَا كَانَ فِيهِ صِلَاحٌ مَعَاشِيهِ ، وَسَبَبٌ مُكْتَسَبِهِ ، وَإِذَا تَفَرَّقَ الْحَقُّ فِي أَيْدِي جَمَاعَةٍ فَطُولِبَتْ بِهِ ، تَشَابَهَتْ فِي الْكُرْهِ لِبَذْلِهِ ، وَتَعَاوَنَتْ عَلَى دَفْعِهِ وَمَنْعِهِ ، بِالْحَيْلِ وَبِالشُّبْهِ ، قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَاحْتِجَاجَ الْمَبْتَلَى بِاسْتِخْرَاجِ ذَلِكَ الْحَقِّ مِنْ أَيْدِيهَا ، إِلَى اسْتِعْمَالِ مَجَاهِدَتِهَا ، وَمَصَابِرَتِهَا عَلَى الْحِيلَةِ فِي مَدَافِعَتِهَا . »  
( اختيار المنظوم والنثور ١٢ : ٢٦١ )

### ٣٣٢ - كتاب رجل إلى المأمون

وكتب رجل كان في حبس المأمون إليه لما طال حبسه :  
« أَغْفَلْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي ، وَتَنَاسَيْتَ ذِكْرِي ، وَلَمْ تَتَأَمَّلْ حُجَّتِي وَعُذْرِي ، وَقَدْ مَلَ مِنْ صَبْرِي الصَّبْرُ ، وَمَسَّنِي مِنْ حَبْسِكَ الْفُرُّ . »

### ٣٣٣ - رد المأمون عليه

فأجابه المأمون :

« رَكُوبُكَ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ ، صَبْرُكَ أَهْلًا لِلْقَتْلِ ، وَبَغْيُكَ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ ، نَقْلُكَ عَنِ سَعَةِ الدُّنْيَا إِلَى قَبْرِ مَنْ قَبُورِ الْأَحْيَاءِ ، وَمَنْ جَهَلَ الشُّكْرَ عَلَى الْمَنِّ ، قَلَّ صَبْرُهُ عَلَى الْمِحْنِ ، فَاصْبِرْ عَلَى عَوَاقِبِ هَفْوَانِكَ ، وَمُؤَبِّقَاتِ زَلَّاتِكَ ، عَلَى قَدْرِ صَبْرِكَ عَلَى كَثِيرِ جُنَايَاتِكَ ، فَإِنْ حَصَلَ فِي نَفْسِكَ كَفٌّ عَنِ مَعْصِيَتِي ، وَعَزَمْتَ عَلَى طَاعَتِي ، وَتَنَدَّمْتَ عَلَى مَخَالَفَتِي ، فَلَنْ تَعْدَمَ مَعِ ذَلِكَ جَمِيلًا مِنْ نَيْتِي . »

( غرر الحقائق الواضحة ص ٤٠٩ )

## ٣٣٤ - كتاب إحدى جوارى المأمون إليه

وأهدت جارية من جوارى المأمون تفاعاً له ، وكتبت إليه :

« إني يا أمير المؤمنين لما رأيتُ تنافسَ الرعية في الهدايا إليك ، وتواترَ  
الطافيم<sup>(١)</sup> عليك ، فكُرتُ في هدية تخيفُ مؤنتها ، وتهون كلفتها ، ويعظم  
خطرُها<sup>(٢)</sup> ، ويجلُّ موقعُها ، فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعتُ ، ويكمل فيه هذا  
الوصفُ ، إلا التفاح ، فأهديتُ إليك منها واحدةً في العدد ، كثيرةً في التقرب ،  
وأحبتُ يا أمير المؤمنين أن أعرب لك عن فضلها ، وأكشِف لك عن محاسنها ،  
وأشرح لك لطيف معانيها ، وما قالت الأطباء فيها ، وتفنن الشعراء في أوصافها ،  
حتى ترُمُّمها<sup>(٣)</sup> بعين الجلالة ، وتلحظها بمقلة الصيانة ، فقد قال أبوك الرشيد رضي الله  
عنه : « أحسنُ الفاكهة التفاح ، اجتمع فيه الصفرة الدرّية ، والحمرة الخمرية ، والشقرة  
الذهبية ، وبياض الفضة ولون التبر يلدُّ بها من الخواس : العينُ يهيجتها ، والأنفُ  
يريحها ، والفم بطعمها » وقال أرسطاطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة ، واجتمع  
إليه تلاميذه : « التمسوا لي تفاعاً أعتصم بريحها ، وأقضي وطري<sup>(٤)</sup> من النظر إليها .  
وقال إبراهيم بن هانئ : « ما علل المريضُ المبتلى ، ولا سُكنت حرارة الشكلى<sup>(٥)</sup> ،  
ولا رُدّت شهوة الخبلى ، ولا جُمعت فكرة الخيران ، ولا مكنت حنقة الغضبان ،  
ولا تحبب<sup>(٦)</sup> الفتيان في بيوت القيان ، بمثل التفاح » والتفاع جارية المأمون إن

(١) التواتر : التتابع . والطفة بالتحريك : الهدية .

(٢) أي قدرها .

(٣) أي تلحظها . (٤) الوطر : الحاجة .

(٥) التي قتلت ولدها .

(٦) في الأصل « ولا تحنت » وأراه مصحفاً ، والقيان : جم قينة بالفتح ، وهي الجارية المعنية أو أعم .

حملتها لم تؤذك ، وإن رميت بها لم تؤلمك ، وقد اجتمع فيها ألوان قوس قزح ، من  
الخضرة والحرة والصفرة ، وقال فيها الشاعر :

حُورَةُ التَّفَاحِ مَعَ حُضْرَتِهِ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ قَوْسِ قَزَحٍ  
فَعَلَى التَّفَاحِ فَاشْرَبْ قَهْوَةً وَاسْقِنِيهَا بِنَشَاطٍ وَفَرَحٍ<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ غَنَّنِي لَكِي تَطْرِبِي طَرَفُكَ الْفِتَانُ قَلْبِي قَدْ جَرَحَ<sup>(٢)</sup>

فإذا وصلت إليك يا أمير المؤمنين فتناولها بيمينك ، واصرف إليها بُغْيَتَكَ ،  
وتأمل حُسْنَهَا بِطَرَفِكَ ، ولا تخذشها بظُفْرِكَ ، ولا تبعدِها عن عينك ، ولا تبدلها  
لخدمك ، فإذا طال لُبُّهَا عِنْدَكَ ، ومقامها بين يديك ، وخفت أن يرميها  
الدهر بسهمه ، ويقصدها بصرفه<sup>(٣)</sup> ، فتذهب بهجتها ، وتحيل<sup>(٤)</sup> نضرتها ،  
فكلها .

« هَنِئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَائٍ مُخَامِرٍ<sup>(٥)</sup> » والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله  
وبركاته . ( العقد الفريد ٣ : ٣٩٠ )

### ٣٣٥ - الرقعة التي علقت على رأس علي بن هشام بعد قتله

وكان المأمون قد وليّ عليّ بن هشام كور الجبال وأذربيجان ، وكور أرمينية ،  
ثم غضب عليه للذي بلغه من سوء سيرته في أهل عمله ، وقتله الرجال ، وأخذ  
الأموال ، فوجه إليه عَجِيفُ بن عَنبَسَةَ ، فأراد أن يفتك به ، فظفر به عَجِيفُ ،

(١) القهوة : الخمر .

(٢) البيت من بحر الرمل ، وقد دخل الكف في التفعيلة الأولى منه ، وفي الأصل « ثم غنّيني »  
ويلاحظ أنه أمر معتل فيبنى على حذف الباء ، ولا يضير حذفها وزن الشعر .

(٣) صرف الدهر : نوابه . (٤) حال يحيل حيولا : تغير .

(٥) هو صدر بيت لكثير عزة من تائيته المشهورة ، وعجزه : لفة من أعراضنا ما استعلت  
وخامره الداء : خالطه .

فقدّم به على المأمون ، فأمر بضرب عنقه ( سنة ٢١٧ ) ثم بعث رأسه فطيف به في الأقطار ، ثم أُلقي بعد ذلك في البحر .

ولما قتله المأمون أمر أن تكتب رُقعة وتعلق على رأسه ليقرأها الناس ، وفيها .

« أما بعدُ : فإن أمير المؤمنين كان دعا عليّ بن هشام فيمن دعا من أهل خراسان أيام الخلوغ إلى معاونته والقيام بحقه ، وكان فيمن أجاب وأسرّع الإجابة ، وعاون فأحسن المعاونة ، فرعى أمير المؤمنين له ذلك ، واصطنعه (١) وهو يظنُّ به تقوى الله وطاعته ، والانتهاى إلى أمر أمير المؤمنين في عمل إن أسندَ إليه في حسن السيرة ، وعنافِ الطعمة (٢) ، وبدأه أمير المؤمنين بالإفضال عليه ، فولاه الأعمال السنيّة ، ووصله بالصّلات الجزيلة ، التي أمر أمير المؤمنين بالنظر في قدرها ، فوجدّها أكثر من خمسين ألف ألف درهم ، فدّأ يده إلى الخيانة ، والتضييع لما استرعاه من الأمانة فباعده عنه وأقصاه ، ثم استقل أمير المؤمنين عثرته ، فأقاله إياها ، وولاه الجبل وأذربيجان وكور أرمينية ، ومخاربة أعداء الله الحرّميّة (٣) على أن لا يعود لما كان

(١) اصطنعه : اختاره لحامه أمره . (٢) الطعمة : المأكلة ووجه المكسب .

(٣) الحرّميّة . فرقة لإباحية وهم أتباع بابك الحرّمي ، الذي ظهر في جبل البذ ( بفتح الباء وتشديد الذال : كورة بين أذربيجان وأران ) وكثيرها أتباعه ، واستباحوا المحرمات ، وكان للبابكية في جبلهم ليلة عيد يجتمعون فيها على الخمر والزمر ، وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم ، فإذا أطفئت سرجهم ونيرانهم فجر فيها الرجال بالنساء ، وقد قتلوا كثيرا من المسلمين .

وكان بابك خادما لجاويدان صاحب البذ ، وكانت امرأة جاويدان تتعشقه وكان يفجر بها ، فلما مات جاويدان أذاعت امرأته على أصحابه أنه عهد إليها قبل موته فقال : « إن أموت في ليلتي هذه ، وإن روحي تخرج من جسدي وتدخل بدن هذا الغلام خادمي ، وقد رأيت أن أملكه على أصحابي ، فإذا مت فأعلمهم ذلك ، وأنه لا دين لمن خالفني فيه ، فقبلوا هبده فيه ، وولوه عليهم وتزوج امرأة جاويدان .

وتحرك بابك في الجاويدانية ( سنة ٢٠١ ) وأخذ في العبث والفساد ، وفي سنة ٢٠٤ واقعه بحري ابن معاذ والي الجزيرة فلم يظفر واجد منها بصاحبه ، وفي سنة ٢٠٥ ولي المأمون عيسى بن محمد ابن أبي خالد أرمينية وأذربيجان ومخاربة بابك ، ونسكب به بابك سنة ٢٠٦ ثم ولي صدقة بن علي سنة ٢٠٩ وانتدب لقيام بابك أحمد بن الجنيد ، ورجع ابن الجنيد إلى بغداد ثم رجع إلى الحرّميّة فأمره =

منه ، فعاودَ أكثرَ ما كانَ ، بتقديمه الدينارَ والدرهمَ على العملِ لله ودينه وأساءَ السيرةَ ، وَعَسَفَ<sup>(١)</sup> الرعيةَ ، وَسَفَكَ الدماءَ المحرَّمةَ ، فوجَّهَ أميرَ المؤمنينَ عَجِيفَ ابنَ عَنبَسَةَ مباشِراً لأمره ، وداعياً إلى تَلَا فِي ما كانَ منه ، فَوَتَّبَ بعُجِيفَ ، يُرِيدُ قَتْلَهُ ، فقَوَّى اللهُ عَجِيفاً ، بنَيْتِهِ الصادقةَ في طاعةِ أميرِ المؤمنينَ ، حتى دَفَعَهُ عن نفسه ، ولو تَمَّ ما أَرَادَ بعجيفَ ، لكانَ في ذلكَ ما لا يُسْتَدْرَكُ ولا يُسْتَقَالُ ، ولكن اللهُ إذا أَرَادَ أمراً كانَ مفعولاً ، فلما أَمَضَى أميرُ المؤمنينَ حُكْمَ اللهِ في علي بنِ هشامَ ، رأى أن لا يُوَاخِذَ مَنْ خَلَفَهُ بذنبِهِ ، فأمرَ أن يُجْرَى لولده ولعياله ، ولن اتصلَ بهم ، ومن كانَ يجرى عليهم ، مثلُ الذي كانَ جارياً لهم في حياته ، ولولا أن علي بنَ هشامَ أَرَادَ العُظْمَى بعجيفَ ، لكانَ في عِدَادِ مَنْ كانَ في عسكرِهِ ممن خَالَفَ وَخَانَ ، كَعِيسَى بنِ منصورٍ ونظرائِهِ والسلامَ . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٨٢ )

### ٣٣٦ - كتاب توفيل ملك الروم إلى المامون

وفي سنة ٢١٥ هـ شخصَ المأمونَ من مدينة السلام لغزو الروم ، واستخلفَ عليها إسحاقَ بنَ إبراهيمَ بنِ مُصْعَبَ ، ففَتَحَ وَقَتَلَ وَسَبَى .

== بابك ، ثم وجهَ إليه سنة ٢١٢ هـ محمد بنُ حميد الطوسي لمحاربتِهِ وقد قتلَهُ بابك سنة ٢١٤ هـ وفضَّ عسكرَهُ وقتلَ جمعا كثيرا ممن كانَ معه ، وورثاه أبو تمامَ برائتِهِ المشهورة ، كذا فليجل المطب . . . - إلى أن أظفر اللهُ المسلمينَ بالبابكيةَ فأسرَ بابكَ وصلبَ بسرَ من رأى سنة ٢٢٣ هـ ، وسيردُ عليك بقيةَ خبرِهِ في خلافةِ العنصمِ في الجزء الرابع إن شاء اللهُ .

والحرمية نسبة إلى خرم ، جاء في معجم البلدان : « خرم : وتفسيره بالفارسية السرور ، وهو رستاق ( ناحية ) بأردبيل ( من أشهر مدن أذربيجان ) قال نصر : وأظن الحرمية الذين كان منهم بابك الحرمي نسبوا إليه ، وقيل : الحرمية فارسي معناه الذين يتبعون الشهوات ويستبيحونها ، ثم قال وخرمة : ناحية من نواحي فارس قرب إصطخر ، اه . وجاء في القاموس المحيط : « وخرمة ككرة : بلدة بفارس منها بابك الحرمي » - انظر أخبار بابك والحرمية في الفرق بين الفرق للبخداي ص ٢٥١ ، ٢٥٢ و ٢٦٨ ، وفي الفهرست لابن النديم ص ٤٨٠ - ٤٨٢ وتاريخ الطبري ١٠ : ص ٢٤٤ و ٢٥٥ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٦٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٣٠٧ و ٣٠٩ و ٣١٤ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٣٢ ، ومعجم البلدان ٢ : ٩٣ و ٣ : ٤٢٤ .

(١) أي ظلمها .

وفي سنة ٢١٧ هـ ، كتب ثوفيل<sup>(١)</sup> بن ميخائيل ملك الروم إلى المأمون يسأله الصلح :

« أما بعد : فإن اجتماع المختلفين على حظهما أو على رأى مما عاد بالضرر عليهما ، ولست حرياً أن تدع لحظاً يصل إلى غيرك - حظاً تحوزه إلى نفسك ، وفي علمك كافٍ من إخبارك ، وقد كنت كتبت إليك داعياً إلى المسالمة ، راغباً في فضيلة المهادنة<sup>(٢)</sup> ، لتضع أوزار الحرب عناءاً ، وتكون : كل واحد لكل واحدٍ ولياً وحزباً ، مع اتصال المرافق<sup>(٣)</sup> ، والفسح في المتاجر ، وفك المستأمر ، وأمن الطرق والبيضة ، فإن أبيت فلا أدب لك في الخمر<sup>(٤)</sup> ولا أزعرف لك في القول ، فإني لخائض إليك غمارها ، آخذ عليك أسدادها<sup>(٥)</sup> ، شأن خيلها ورجالها ، وإن أفلت فبعد أن قدمت العذرة ، وأقتت بيني وبينك علم الحجة ، والسلام . »

( كتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ٢٨٤ وتاريخ الطبري ١٠ : ٢٨٣ )

(١) ولي ملك الروم سنة ٨٢٩ م .

(٢) المهادنة : المصالحة ، والأوزار جم وزر بالكسر وهو الحمل والنقل .

(٣) المرافق : جمع مرفق ، والمرفق من الأمر : ما ارتفعت به وانتفعت ، فن قرأ : « وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقًا » جعله مثل مقطع بكسر الميم ، ومن قرأ : « مِرْقًا » جعله مثل مجد ، والفسح جمع فحة بالضم وهي السعة ، والبيضة : حوزة كل شيء ، وساحة القوم .

(٤) الخمر ، بالتحريك . كل ماوارك من شجر أو بناء أو غيره ، وغمر كفرح : تواري ، ومن أمثال العرب « يدب له الضراء ومعنى له الخمر » - والضراء كسحاب : الشجر الملتف في الوادي ، يقال تواري الصيد منه في ضراء ، وقلان يعنى الضراء : إذا مشى مستغنياً فيما يوارى من الشجر - وهو مثل يضرب للرجل يختل صاحبه .

(٥) الأسداد : جمع سد ، وهو الحاجز ، وشن الفارة عليهم : صبها من كل وجه .

## ٣٣٧ - رد المأمون عليه

فكتب إليه المأمون :

« أما بعد ، فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة ، ودعوت إلى من الموأدعة ، وخالطت فيه من اللين والشدة ، مما استعظفت به من سراح<sup>(١)</sup> المتاجر ، واتصال المرافق ، وفك الأسارى ، ورفع القتل والقتال ، فلولا ما رجعت إلى من أعمال التؤدة ، والأخذ بالخط في تقلاب الفكرة ، وألا أعتقد الرأي في مستقبلي إلا في استصلاح ما أوتره في معتقبي ، لجعلت جواب كتابك خيلاً تحمّل رجلاً من أهل البأس والنجدة والبصيرة ، ينازعونكم عن تكلمكم<sup>(٢)</sup> ، ويتقرّبون إلى الله بدمائكم ، ويستقلّون في ذات الله ما نالهم من ألم شوكمكم ، ثم أوصل إليهم من الأمداد ، وأبديع لهم كافيًا من العدة والعتاد<sup>(٣)</sup> ، هم أظماً إلى موارد المنايا ، منكم إلى السلامة ، من مخوف معرفتهم عليكم ، موعدهم إخذى الحسنيين : عاجل غلبتي ، أو كريم منقلب ، غير أني رأيت أن أتقدم إليك بالوعظة التي يثبت الله بها عليك الحجّة ، من الدعاء لك ، ولمن معك إلى الوحدانية ، والشريعة الحنيفية<sup>(٤)</sup> ، فإن أبيت ففدية توجب ذمة ، وتثبت نظرة<sup>(٥)</sup> ، وإن تركت ذلك ففي يقين المعاينة لنعوتنا ما يُغني عن الإبلاغ في القول ، والإغراق في الصفة ، والالام على من

اتبع الهدى . ( كتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ٢٨٥ وتاريخ الطبري ١٠ : ٢٨٣ )

(١) في الأصل « شرح » وأراه محرفاً والصواب « سراح » وهو التسهيل ، اسم من التسريح .

(٢) الشكل : الموت والملاك . (٣) العتاد : العدة .

(٤) الحنيفية : ملة الإسلام ، وفي الحديث . « أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة » وبوصف به

فيقال : ملة حنيفة ، والدين الحنيف : الإسلام ، والحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام ، الثابت عليه ،

مشتق من الحنف بالتحريك وهو : الاستقامة ، والميل ، فعناه على الأول : المستقيم الدين ، وعلى الثاني

لمائل إلى الدين المستقيم . (٥) النظرة : التأخير .



## ٣٣٨ - كتاب عبد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم

وكتب عبد الله<sup>(١)</sup> بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم من خراسان إلى بغداد ،  
يسأله أن يوجه إليه بأقلام قصبية :

« أما بعد ، فإننا على طول الممارسة لهذه الصناعة ، التي غلبت على الاسم ، ولزمت  
لزوم الوشم<sup>(٢)</sup> فحلت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام  
القصبية<sup>(٣)</sup> أسرع<sup>(٤)</sup> في الكواغد<sup>(٥)</sup> ، وأمر في الجلود ، كما أن البحيرة منبهاً أسلس  
في القراطيس ، وألين في المعاطف ، [وأكل عن تمزيقها ، والتعلق بما ينبو من  
شظاياها]<sup>(٦)</sup> ونحن في بلاد قليلة القصب ، ردىء ما يوجد بها منه .

وقد أحببت أن تتقدم<sup>(٧)</sup> في اختيار أقلام قصبية ، وتتأنق<sup>(٨)</sup> في انتقائها قبلك ،

(١) قال الطبري (١٠ : ٢٨٠) « وفي سنة ٢١٤ خرج عبد الله بن طاهر إلى الدينور ، فبعث  
المأمون إليه إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكرم بخبراته بين خراسان والجلال وأرمينية وأذربيجان ،  
ومحاربة بابك ، فاختر خراسان وشخص إليها ، وإسحاق بن إبراهيم هو الذي استغلفه المأمون على  
بغداد كما قدمنا ، وهو ابن عم عبد الله بن طاهر ، فمدا الله : هو ابن طاهر بن الحسين بن مصعب بن  
رزيق بن ماهان ، وإسحاق . هو ابن إبراهيم بن مصعب . . . الخ ، وما ذكرنا من أن هذا الكتاب  
من عبد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم ، وهو ما رواه الصولي في أدب الكتاب ، وجاء في زهر الآداب  
أنه من عبيد الله بن طاهر ، وهو تحريف ، فقد توفي إسحاق بن إبراهيم سنة ٢٢٥ وتوفي عبد الله بن  
طاهر بمرو سنة ٢٣٠ ، أما ابنه عبيد الله فقد ولد سنة ٢٢٣ وتوفي ببغداد سنة ٣٠٠ انظر ترجمته في  
وفيات الأعيان ١ : ٢٧٣ .

وفي العقد الفريد وصبح الأعشى ونهاية الأرب أنه من علي بن الأزهر إلى صديق له ، ولم  
يرد فيها رده .

(٢) الوشم : العلامة . وفي زهر الآداب « الرسم » وفي أدب الكتاب « الوثني » وهو النقش .  
(٣) وفي العقد والصبح « الصخرية » وفي نهاية الأرب « الصخرية » بالضم ، نسبة إلى الصخرة  
وهي جوبة تنجاب وسط الحرة ، وتكون أرضاً لينة تطيف بها حجارة .

(٤) وفي الصبح ونهاية الأرب « أجرى » .

(٥) الكواغد : جمع كاغد يفتح الفين : وهو القراطيس ، فارسي معرب .

(٦) محل ما بين القوسين في الصبح والعقد « وأشد لتصريف الخط فيها » .

(٧) تقدم إليه في كذا : أمره وأوصاه به .

(٨) وفي الصبح ونهاية الأرب وأدب الكتاب « وتتأنق » وما يعنى تأنق فيه وتتأنق : عمله

بالإتقان والحكمة ، وفي الصبح « في اقتنائها » .

(٢٩١ - جبهة رسائل العرب - ثالث)

وتطلبها في مظاهرها ومناياتها<sup>(١)</sup> ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء<sup>(٢)</sup> الكروم ، وأن تقيم<sup>(٣)</sup> باختيارك منها : الشديدة المَجَسَّ ، الصُّلْبَةُ المَعَصَّ<sup>(٤)</sup> ، النقيَّة الخلود<sup>(٥)</sup> ، القليلة الشحوم<sup>(٦)</sup> ، الكثيرة اللحوم ، المكتنزة<sup>(٧)</sup> الجوانب ، الضيقة الأجواف ، الرزينة الوزن<sup>(٨)</sup> ، فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعد من الحفي<sup>(٩)</sup> ، وأن تقصد بانقائك منها : الرقاق القُضبان ، اللطاف المفظر ، المقومات الأود<sup>(١٠)</sup> ، المُسَّ العُقد ، فلا يكون فيها التواء عوج ولا أمت<sup>(١١)</sup> ، وضم الصافية القشور ، الخفيسة الإبر ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكعوب الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكاد أسافلها تهتز من أعلاها ، لاستواء أصولها برءوسها ، المستحسكة يديسا ، القائمة على سوقها ، قد تشرب الماء في لحائها<sup>(١٢)</sup> ، وانتهت في النضج منتهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وإبان ينعها ، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عاهاتها<sup>(١٣)</sup> ، من خصر<sup>(١٤)</sup> الشتاء وعفن الأنداء ، فإذا استجمعت عندك ، أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعاً رقيقاً<sup>(١٥)</sup> تتحرز معه من أن تشعث<sup>(١٦)</sup> رءوسها ، وتنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزماً فيما بصونها من الأوعية ، وعليها الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من يؤدي الأمانة<sup>(١٧)</sup> ، في حراستها وحفظها وإيصالها ،

(١) وفي أدب الكتاب « وطلبها من مظاهرها ومرامها » .

(٢) الأرجاء : جمع رجا كعصا ، وهو الناحية .

(٣) تقيم : تتوخى ، وفي الصبح ونهاية الأرب « تقيم » وهو تحريف .

(٤) وفي الصبح « الشديدة الصلبة » . (٥) وفي الصبح وأدب الكتاب « النقية الخلود »

(٦) وفي زهر الآداب وأدب الكتاب « الغليظة الشحوم » وفي العقد « القليلة الشحوم »

المكتنزة اللحوم » .

(٧) اكنن : اجتمع وامتلاً . (٨) وفي الصبح والعقد ونهاية الأرب « الرزينة الحمل »

(٩) أصل الحفي : رقة القدم والحافر ، وفعله كفرح .

(١٠) الأود : الأعوجاج ، وفي الصبح والعقد « المقومات المتون ، المس المساقد » .

(١١) الأمت : العوج والميب . (١٢) اللحاء : القشر .

(١٣) وفي الصبح والعقد « المخوفة عليها » .

(١٤) الحصر : البرد .

(١٥) وفي زهر الآداب والعقد ونهاية الأرب « رقيقاً » وفي أدب الكتاب « دقيقاً » .

(١٦) تشعث : تفرق . (١٧) وفي أدب الكتاب « مع من يحتاط » .

إذ كان مثلها يتوانى فيها لقلّة خَطَرِهَا<sup>(١)</sup> عند من لا يعرف فضل جَوهرها ، واكتب معه بَعْدَتَهَا وأصنافها ، وأجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير تأخير ولا توان ولا إبطاء إن شاء الله تعالى .

( زهر الآداب ٢ : ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٨٢ ، وصبح الأعشى ٢ : ٤٥١ ،  
ونهاية الأرب ٧ : ٢١ ، وأدب الكتاب ٦٩ )

### ٣٣٩ - رد إسحق بن إبراهيم عليه

فأجابه ووجه إليه الأنابيد :

« أتاني كتاب الأمير - أعزه الله تعالى - بما أمرني به ولخصه ، من البعث إليه بما شا كل نعتة ، وضاهى صيفته من أجناس الأقلام ، فتيمنت بغيرته قاصدا لها ، وانتهجت معالم سؤاله آخذا بها ، فأنفذت إليه منها حزما : أنشئت بلطيف السقيا ، وحسن التعمد والبقييا ، لم تُعجل بإخراجها ، ولا بُودرت قبل إدراكها ، فهي مستوية الأنابيد معتداتها ، مثقفة<sup>(٢)</sup> الكعوب مقومتها ، لا يرى فيها أمت زور<sup>(٣)</sup> ، ولا وضم صعر ، وقد رجوت أن يجدها الأمير عند إرادته وحسب بغيرته ، إن شاء الله .

( زهر الآداب ٢ : ١٤٨ ، وأدب الكتاب ص ٧١ )

(١) أي قدرها .

(٢) أي مسواة معتدلة .

(٣) الزور : الميل ، والوصم : العيب ، والصعر : الميل .

## ٣٤ - كتاب ابن الحرون إلى أحد إخوانه

وأهدى ابن الحرون<sup>(١)</sup> إلى رجل من إخوانه من الكتّاب أقلاما ،  
وكتب إليه :

« إنه لما كانت الكتابةُ - أبقاك الله - أعظم الأمور ، وقوامَ الخلافة ،  
وعمودَ المملكة ، خصصتُك من آلتها بما يحِفُّ حَمَلَهُ ، وتثقلَ قِيَمَتُهُ ، وبمَظْمُ نَفْعِهِ ،  
ويجِلُّ خَطَرَهُ<sup>(٢)</sup> ، وهى أقلام من القصب النابتِ فى الصَّخْر ، الذى نَشِفُ<sup>(٣)</sup> بحرِّ الهجير  
فى قشره ماؤه ، وسَتَرَهُ من تلويحه<sup>(٤)</sup> غِشاؤه ، فهى كاللآلى المكنونة فى الصِّدْف ،  
والأنوار المحجوبة فى الصِّدْف<sup>(٥)</sup> ، تَبْرِيبَةُ القشور ، دُرِّيَّةُ الظهور ، فِضِّيَّةُ الكسور ،  
قد كتبها الطبيعةُ جواهرَ كالوثنى المحبَّر<sup>(٦)</sup> ، وفرندَ الدُّباجِ المنير<sup>(٧)</sup> .

(العقد الفريد ٢ : ١٨٣ ، وصبح الأعشى ٢ : ٤٥٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٢ )

\* \* \*

وفى رواية أدب الكتاب وزهر الآداب :

أهدى بعض الكتّاب إلى أخ له أقلاما ، وكتب إليه :

« إنه - أطل الله بقاءك - لما كانت الكتابة قوامَ الخلافة ، وزينة الرياسة ،

(١) قال ابن النديم فى الفهرست ( ص ٢١٢ ) : « هو محمد بن أحمد بن الحسن بن الأصم بن الحرون ،  
حسن التأليف والتصنيف ، مليح الأدب ، من أهل بغداد من أولاد الكتّاب » وفى العقد الفريد  
ابن الحرورى « وهو تحريف .

(٢) أى قدره .

(٣) يقال : نشف الماء فى الأرض : أى ذهب ، ونشف الثوب العرق : أى شربه ، والفعل

كسمع ونصر ، والهجير : شدة الحر ، وفى العقد « الذى نشف فى حر الهجير ماؤه » .

(٤) لوحته الشمس : غيرته .

(٥) الصدف بحركة والصدفة بالفتح والضم : الظلمة والضوء ، ضد ، والمراد هنا الأول .

(٦) الوثنى : نقش الثوب ، والتجبير : التحسين والتزيين .

(٧) فرند البسف : وشبهه ، وثوب منير : منسوج على نيرين ، وفى الصبح « وروثقا

كالديباج المنير » .

وعمودَ الملكة ، وأعظم الأمور الجليلة قدراً ، وأعلاها خطراً ، أحببتُ أن أُنحِفَكَ  
من آلتها بما يحف عليك مَحْمَلُهُ ، وتثقلُ<sup>(١)</sup> مع ذلك قيمته ، ويكثر نفعه ، ويجلُّ  
خطره ، فبعثت إليك أقلاماً من القصب النابت في الأعذاء<sup>(٢)</sup> ، المفذوِّ بماء السماء ،  
كالآليِّ المكنونة في الصدف ، والأحجار المحجوبة بالصدف ، تذبُّو عن تأثير الأسنان ،  
ولا يثنيها غمزُ البنان ، قد كسَّها طبائعها جوهرًا كالوشى الخطير ، وفرِّند الديداج  
المنير<sup>(٣)</sup> ، فهي كما قال السكيت :

وبيضِ رِقاقِ صِفاحِ المُتُونِ      تَسْمَعُ للبيضِ فيها صريراً<sup>(٤)</sup>  
مهذَّدة من عتادِ الملوكِ      يكاد سناهنَّ يُعشى البصيرا

وكقداح النبل في ثقلِ أوزانها ، وقضب الخيزران في اعتدالها ، ووشيج  
الخطى<sup>(٥)</sup> في أطرادها ، كأنما خرطت في شهر<sup>(٦)</sup> لاستدارتها ، تمرُّ في القرطاس كالبرق  
اللاَّح ، وتجرى في الصحفِ كالماء السائح ، أحسن من العقيان<sup>(٧)</sup> ، في نُحُورِ القيان .  
( أدب الكتاب ص ٧١ وزهر الآداب ٢ : ٢٤٨ )

- 
- (١) في الأصل « ونقل » وفيه أيضا « ويصغر خطره » ولعله سهو من الناصح .  
(٢) الأعذاء ، جمع هذى بالكسر : وهو النخل والزرع الذي لا يسقى إلا من ماء المطر لبعده من المياه .  
(٣) وفي زهر الآداب « والفرد المير » .  
(٤) صفاح المتون . عراضها ، وفي زهر الآداب « صفاح المتون » .  
(٥) الخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط ، وهو مرفأ السفن بالبحرين ، وإليه نسبت الرماح ، لأنها كانت  
تباع به ، والوشيج : شجر الرماح .  
(٦) كذا في الأصل ، وربما كان الصواب « في شهرستان » يفتح فسكون ، وهي بفارس .  
(٧) العقيان : الذهب ، والقيان جمع قينة بالفتح : وهي الجارية .

## ٣٤١ - كتاب المأمون إلى إسحق بن إبراهيم

وفي سنة ٢١٢ هـ أظهر المأمون القول بخلق القرآن<sup>(١)</sup> ، وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في دعوة الناس إلى مذهبه ، حتى قوى عزمه في السنة التي مات فيها (سنة ٢١٨ هـ) فحملهم على القول بخلقه ، وعاقب كل من لم يقل به أشد عقوبة .  
وكتب في هذه السنة وهو بالرقّة إلى إسحق بن إبراهيم نائبه ببغداد في امتحان القضاة والمحدثين في ذلك ، وأمر بإشغاص جماعة منهم إليه بالرقّة ، وكان ذلك أول كتاب كتب في ذلك ، ونسخة كتابه إليه :

« أما بعد ، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم ، الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استخفظهم ، ومواريث النبوة التي أوزرهم ، وأثر العلم الذي استودعهم ، والعمل بالحق في رعيّتهم ، والتشمير لطاعة الله فيهم ، والله يسأل أمير المؤمنين أن

(١) كانت المعتزلة تقول بتفويض صفات المعاني عن الله تعالى - ومنها الكلام - لأن لإبانتها يؤدي إلى التشبيه وإلى تعدد القديم ، وذلك يناقض التوحيد ، وكان من النتائج اللازمة لذلك أن قالوا بأن القرآن كلام الله مخلوق ، قال صاحب المواقيف ( ج ٨ : ص ٩٢ ) « قالت المعتزلة : كلامه تعالى أصوات وحروف لكنها ليست قائمة بذاته ، بل يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي ، وهو حادث » .

وليس المعتزلة أول من قال بخلق القرآن - كما أنهم ليسوا أول من أنكر الصفات - بل إن أول من عرف بالقول بخلقه الجعدي بن درهم بدمشق ، ( وهو مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ) وأخذ منه ذلك القول جهنم بن صفوان النرندى زعيم فرقة الجهمية الجبرية فقال بخلقه ، إذ أن الجهمية تنكر الصفات . وذكروا أن بشر بن غياث الربيعي - وهو زعيم الربيعية من فرق المرجئة - قال أيضا بخلق القرآن في عصر الرشيد ، ونهاه أبو يوسف عن ذلك فلم ينته ، فمجره وطرده من مجلسه ، وقال : لا تنتهي أو تفسد خشبة ( يريد الصلب ) ولما بلغ ذلك الرشيد قال : على إن أظفرتني الله به أن أقتله ، وظل بشر محتفيا طول خلافة الرشيد ولم يظفر به مع شدة طلبه له . وذكروا أيضا أن حفصا الفرد - وهو من أكابر المجبرة - قال بذلك القول . وأن الشافعي ناظره وكفره ، وكان الناس في تلك المسألة في عصر الرشيد بين أخذ وترك ، حتى ولي المأمون فقال بخلقه وكان من أشد بصراء الاعتزال - انظر شرح العيون ص ٢٠٣ ، ووفيات الأعيان ١ : ٩١ والفرق بين الفرق ص ١٩٢ وتبيين كذب المفتري ص ٣٣٩ و ٣٤٥ و ٣٤٦ وحياة الحيوان الكبرى للدميري ١ : ١١٤ و ١١٥ وتاريخ الطبري ١٠ : ٢٧٩ .

يوقفه لمزينة الرشد وصريحه<sup>(١)</sup> ، والإقساط فيما ولأه الله من رعيته برحمته ومنته .  
 وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم ، والسواد<sup>(٢)</sup> الأكبر ، من حشو الرعية ،  
 وسفلة العامة ، من لا نظر له ولا روية ، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته ، ولا استضاءة  
 بنور العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق ، أهل جهالة بالله ، وعمى عنه ، وضلالة  
 عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به ، ونكوب<sup>(٣)</sup> عن واضحات أعلامه ، وواجب  
 سبيله ، وقصور أن يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا بينه  
 وبين خلقه ، لضعف آرائهم ، ونقص عقولهم ، وجفائهم عن التفكير والتذكر ، وذلك  
 أنهم ساوا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا<sup>(٤)</sup> مجتمعين ،  
 واتفقوا غير متعاجين ، على أنه قديم أول ، لم يخلق الله ويحدثه ويخترعه ، وقد  
 قال الله عز وجل في محكم كتابه الذي جعله لما في الصدور شفاءً ، والمؤمنين رحمةً  
 وهدى : « إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا » فكل ما جعله الله فقد خلقه ، وقال :  
 « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ » ، وقال  
 عز وجل : « كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، فَأَخْبَرَ أَنَّه قَصَصَ لَأُمُورٍ  
 أَحَدَثَهُ بِمَعَادِهَا ، وَتَلَا بِهَ مَتَقَدِّمَهَا ، وَقَالَ : « أَلَمْ يَكُنْ مِنْ آيَاتِهِ ، ثُمَّ فَصَّلَتْ  
 مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ » وكل محكم مفصل فله محكم مفصل ، والله محكم  
 كتابه ومفصله ، فهو خالق ومبتدعه .

ثم هم الذين جادلوا بالباطل ، فدعوا إلى قولهم ، ونسبوا أنفسهم إلى السنة ، وفي  
 كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته ، مبطل قولهم ، وكذب دعواهم ،  
 يرُدُّ عليهم قولهم ونحلتهم<sup>(٥)</sup> ، ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة ،

(١) الصرحة : المزينة وقطم الأمر . والإقساط : المدل .

(٢) السواد : العدد الكثير وعامة الناس .

(٣) أي عدول . (٤) أطبق القوم على الأمر : أجموا .

(٥) النحلة : الدعوى .

وأن من سوائهم أهل الباطل والكفر والفرقة ، فاستطالوا بذلك على الناس ، وغرّوا به الجهال ، حتى مال قوم من أهل السمّت<sup>(١)</sup> الكاذب ، والتخسّع لغير الله ، والتقسّف لغير الدين ، إلى موافقتهم عليه ، ومواطأتهم على سيّئ آرائهم ، تزيناً بذلك عندهم ، وتصنعاً للرئاسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحقّ إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة<sup>(٢)</sup> إلى ضلالتهم ، فقبِلتْ بتزكيتهم لهم شهادتهم ، ونفَذتْ أحكامُ الكتابِ بهم على دغل<sup>(٣)</sup> دينهم ، ونقلِ أديبهم ، وفساد نياتهم وبقينهم ، وكان ذلك غايتهم التي إليها أُجروا ، وإيادها طلبوا في متابعتهم ، والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاقُ الكتابِ - ألاّ يقولوا على الله إلاّ الحقّ ودَرَسُوا ما فيه ، أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفاها .

فَرَأَى أمير المؤمنين أن أولئك شرُّ الأمة ، ورؤوسُ الضلالة ، المنقوصون من التوحيد حظاً ، والمخسوسون<sup>(٤)</sup> من الإيمان نصيباً ، وأوعيةُ الجهالة ، وأعلامُ الكذب ، ولسانُ إبليس الناطق في أوليائه ، والهائل على أعدائه من أهل دين الله ، وأحقُّ مَنْ يُتَمَّ في صدقه ، وتُطرحُ شهادته ، ولا يُوثق بقوله ولا عمله ، فإنه لا عملَ إلا بعد يقين ، ولا يقينَ إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد ، ومَنْ عميَ عن رَشده وحظّه من الإيمان بالله وبتوحيده ، كان عما سيّوى ذلك من عمله والقصدِ في شهادته أعمى وأضلَّ سهيلاً ، ولعمراً أمير المؤمنين إن أحمج<sup>(٥)</sup> الناسِ بالكذب في قوله ، وتخرّص الباطل في شهادته ، مَنْ كذّب على الله ووَخِيه ، ولم يعرف الله

(١) السمّت : هيئة أهل الخير .

(٢) الواجعة : خاضتك ، أو من تتخذها معتمداً عليه من غير أهلك .

(٣) الدغل : الفساد ، ونقل الأديب كفرح : فسد في الدباع .

(٤) خس نصيبه : جملة خسيباً دنيئاً حقيراً .

(٥) أي أبله ، يقال : هو حمجى به كفتى ، وحمج كسج ، وحمجى كفتى أي جدير ،

وتخرّص عليه : اتزى ..



حقيقة معرفته ، وإن أولاهم برّد شهادته في حكم الله ودينه ، من ردّ شهادة الله على كتابه ، وبهت<sup>(١)</sup> حقّ الله بباطله .

فأجمع من يحضرتك من القضاة ، وأقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، فأبدأ بامتحانهم فيما يقولون ، وتكشيفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ، ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته ، بمن لا يوثق بدينه ، وخلص توحيدہ وبقينه ، فإذا أقرؤوا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه ، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة ، فرمهم بنص<sup>(٢)</sup> من يحضرتهم من الشهود على الناس ، ومسألتهم عن علمهم في القرآن ؛ وترك إثبات شهادة من لم يُقرّ أنه مخلوق محدث ولم يرّه ، والامتناع من توقيفها عنده ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم ، والأمر لهم بمثل ذلك ، ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم ، حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين ، والإخلاص للتوحيد ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة ٢١٨ هـ .

\* \* \*

وكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في إشخاص سبعة نفر ، فأشخصوا إليه ، فامتحانهم وسألهم عن خلق القرآن ، فأجابوا جميعاً : أن القرآن مخلوق ، فأشخصهم إلى مدينة السلام ، وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره ، فشرّ أمرهم وقولهم ، بحضرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث ، فأقرؤوا بمثل ما أجابوا به المأمون ، فغلى سبيلهم ، وكان ما فعل من ذلك إسحاق بن إبراهيم بأمر المأمون .

( كتاب بغداد لابن طيفور ٦ : ٣٣٨ ؛ وتاريخ الطبري ١٠ : ٢٨٤ )

(١) بهت كنعج : قذوه بالباطل وافترى عليه الكذب .

(٢) نصه : استقصى مسألتهم عن الشيء .

## ٣٤٢ - كتاب المأمون إلى إسحق بن إبراهيم

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحق بن إبراهيم :

« أما بعد : فإن من حق الله على خلفائه في أرضه ، وأمنائه على عباده ، الذين ارتضاهم لإقامة دينه ، وحملهم رداية خلقه ، وإمضاء حكمه وسننه ، والائتمام بعده في بريته ، أن يجهدوا لله أنفسهم ، وينصحوه فيما استحفظهم وقلدهم ، ويدلوا عليه تبارك اسمه وتعالى ، بفضل العلم الذي أودعهم ، والمعرفة التي جعلها فيهم ، ويهدوا إليه من زاع عنه ، ويردوا من أدبر عن أمره ، وينهجوا لرعابهم سمت<sup>(١)</sup> نجاتهم ، ويقفؤهم على حدود إيمانهم ، وسبيل فوزهم وعصمتهم ، ويكشفوا لهم عن مغطيات أمورهم ومشتبهاتها عليهم ، بما يدفعون الريب عنهم ، ويعود بالضياء والبينة على كافتهم ، وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم ، إذا كان جامعا لفنون مصانيمهم ، ومنظما لحفظ عاجلتهم وآجلتهم ، ويتذكروا ما الله مرصده<sup>(٢)</sup> من مساءلتهم عما حملوه ، ومجازاتهم بما أسلفوه وقدّموا عنده ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحده وحسبه الله وكفى به .

ومما بينه أمير المؤمنين برؤيته ، وطالعه بفكره ، فتبين عظيم خطره وجليل ما يرجع في الدين من وكفه<sup>(٣)</sup> وضرره ، ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم ، وأثرا من رسول الله وصفيته محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم ، واشتباهاه على كثير منهم ، حتى حسن عندهم وتزين في عقولهم ، ألا يكون مخلوقا ، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله ، الذي بان به عن خلقه ، وتفرّد بجلالته من

(١) السمّت : الطريق .

(٢) أرصد له : أعد ، وكافأه بالخبر أو بالشر .

(٣) الوكف : العيب والإثم .

ابتداع الأشياء كلها بحكمته، وإنشائها بقدرته، والتقدم عليها بأوليتها التي لا يُبْلَغ أولاهها، ولا يُدْرَك مداها، وكان كلُّ شيءٍ دونه خلقاً من خلقه، وحدّثنا هو المُحدِّث له، وإن كان القرآنُ ناطقاً به، ودالاً عليه، وقاطعاً للاختلاف فيه، وضاهراً به قول النصارى في ادّعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمةَ الله، واللهُ عز وجل يقول: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» وتأويل ذلك «إِنَّا خَلَقْنَاهُ» كما قال جل جلاله «وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» وقال: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا» «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ». فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق، التي ذكرها في شِيبَةِ<sup>(۱)</sup> الصَّنْعَةِ، وأخبر أنه جاعله، وحدّثه فقال: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» فقال ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن، ولا يُحَاطُ إِلَّا بِمَخْلُوقٍ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم «لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» وقال: «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ» وقال: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ» وأخبر عن قوم ذمّهم بكذبهم أنهم قالوا: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله: «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُرْآنَ قُرْآنًا وَذِكْرًا وَإِيمَانًا وَنُورًا وَهُدًى وَمُبَارَكًا وَعَرَبِيًّا وَقَصَصًا، فَقَالَ: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ» وقال: «قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» وقال: «قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَّاتٍ» وقال: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» فجعل له أولاً وآخراً، ودل عليه أنه محدود مخلوق.

(۱) أى لحنها، من وشى الثوب كوعد وشيا وشية: أى قسه وحته.

وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن ، التَّم (١) في دينهم ، والجرح في أمانتهم ، وسَّهَّلوا السبيل لعدو الإسلام ، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفوا ووصفوا خالق الله وفعَّله بالصفة التي هي لله وحده ، وشبهوه به ، والأشباه أوَّلَى بِمَخْلَقِهِ ، وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة خطأ في الدين ، ولا نصيباً من الإيمان واليقين ، ولا يرى أن يُحَلَّ أحدًا منهم محلَّ الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة ، ولا صدق في قول ولا حكاية ، ولا تولى لشيء من أمر الرعية ، وإن ظَهَرَ قَصْدٌ (٢) بعضهم ، وعُرِفَ بالسَّدَادِ مُسَدِّدٌ فيهم ، فإن الفروع مردودة إلى أصولها ، ومحمولة في الحمد والذم عاينها ، ومن كان جاهلاً بأمر دينه الذي أمره الله به من وحدانيته فهو بما سواه أعظم جهلاً ، وعن الرُّشْدِ في غيره أعمى وأضل سبيلًا ، فاقراً على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب أمير المؤمنين بما كَتَبَ به إليك ، وانصنهما عن علمهما في القرآن ، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شيء من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده ، وأنه لا توحيد لمن لم يُقَرَّ بأن القرآن مخلوق ، فإن قالوا بقول أمير المؤمنين في ذلك ، فتقدَّم إليهما في امتحان من يحضُر مجالسهما بالشهادات على الحقوق ، ونصَّهم عن قولهم في القرآن ، فمن لم يقل منهم إنه مخلوق أبطلاً شهادته ، ولم يقطعاً حكماً بقوله ، وإن ثبت عفاؤه بالتصدِّ والسَّدَادِ في أمره ، وأفعل ذلك بمن في سائر عمَلِك من القضاة ، وأشرف عليهم إشرافاً يزيد الله به ذا البصيرة في بصيرته ، ويمنع المرتاب من إغفال دينه ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك في ذلك إن شاء الله .

( كتاب بغداد ٦ : ٣٤٤ ، وتاريخ الطبري ١٠ : ٢٨٦ )

(١) أى النفس ، من تلم الإناء إذا كسر حرفه .

(٢) القصد : الاستقامة .

## ٣٤٣ - كتاب المأمون إلى إسحق بن إبراهيم

فأحضر إسحق بن إبراهيم جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين ، ثم امتحنهم رجالاً رجلاً ، فتوقفوا عن الإقرار بخلق القرآن ، وكلهم يقول : « القرآن كلام الله » ، إلا نفرًا منهم ، وكتب مقالاتهم ووجه بها إلى المأمون ، فكث القوم تسعة أيام ، ثم دعا بهم وقد ورد كتاب المأمون في أمرهم ، ونسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك - جواب كتابه كان إليك - فيما ذهب إليه متصنعة أهل القبلة وملتيمسو الرياسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة ، من القول في القرآن ، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم ، وإحلالهم محالهم ، تذكر إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحق عند ورود كتاب أمير المؤمنين ، مع من أحضرت ممن كان ينسب إلى النقة ، ويعرف بالجلوس للحديث ، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعاً كتاب أمير المؤمنين ، ومسألتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن ، والدلالة لهم على حفظهم وإطباقهم على نفي التشبيه ، واختلافهم في القرآن ، وأمرك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى في السر والعلانية ، وتقدمك إلى السندی وعباس مولى أمير المؤمنين بما تقدمت به فيهم إلى القاضيين<sup>(١)</sup> بمثل ما مثل لك أمير المؤمنين من امتحان من يحضر مجالسهم من اليهود ، وبث الكتب إلى القضاة في النواحي من عملك بالقدوم عليك ، لتجملهم وتمجنهم على ما حده أمير المؤمنين ، وتثبيتك في آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم ، ونعم أمير المؤمنين ما اقتضت .

(١) يعني جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحق .

وأمر المؤمنين بحمد الله كثيراً كما هو أهلُه ، ويسأله أن يصليَ على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ويرغب إلى الله في التوفيق لطاعته ، وحسن المعونة على صالح نيته برحمته ، وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبتَ به من أسماء من سألتَ عن القرآن ، وما رجعتَ إليك فيه كلُّ امرئ منهم ، وما شرحتَ من مقالاتهم .

فأما ما قال المغرورُ بشرُّ بن الوليد في نفي التشبيه ، وما أمسكَ عنه من أن القرآن مخلوق ، وادَّعى من تركه الكلامَ في ذلك واستعهادِه أمير المؤمنين <sup>(١)</sup> ، فقد كذَّبَ بشرُّ في ذلك وكفَّر ، وقال الزورَ والمنكرَ ، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك ولا في غيره عهدٌ ولا نظرٌ أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص ، والقول بأن القرآن مخلوق ، فادَّعُ به إليك ، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك ، وانصصه عن قوله في القرآن ، واستتبه منه ، فإن أمير المؤمنين يرى أن تستتیبَ من قاله بمقالته ، إذ كانت تلك المقالة الكفرَ الصراحَ ، والشركَ المحضَ عند أمير المؤمنين ، فإن تاب منها فأشهرَ أمره وأمسكَ عنه ، وإن أصرَّ على شركه ، ودَّع أن يكون القرآن مخلوقاً بكفره وإلحاده ، فاضربْ عنقه وابعثْ إلى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله .

وكذلك إبراهيم بن المهدي فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرُّ ، فإنه كان يقول بقوله ، وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالسُّخ ، فإن قال إن القرآن مخلوق ، فأشهرَ أمره واكشفه ، وإلا فاضربْ عنقه ، وابعثْ إلى أمير المؤمنين برأسه إن شاء الله .

(١) وذلك أنه لما امتحنه إسحق بن إبراهيم قال : ما تقول في القرآن ؟ فقال : قد عرفت مقالتي لأمر المؤمنين غير مرة ، قال : فقد تجدد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال : أقول القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ، قال : ما القرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال : فخلق ؟ قال : ليس بخلق ، قال : ليس أسألك عن هذا ، أخلق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه ، وليس عندي غير ما قلت لك ، فأخذ إسحق بن إبراهيم رقعة كانت بين يديه فقرأها عليه ، ووقفه عليها فقال : أشهد أن لا إله إلا الله أحداً فرداً ، لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه ، قال : نعم وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكتاب : اكتب ما قال .

وأما علي بن أبي مُقاتِل ، فقل له : أَلَسْتَ الْقَائِلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ تَحَلَّلَ  
وَتَحَرَّمَ؟ وَالْكَلِمَ لَهُ بِمِثْلِ مَا كَلَّمْتَهُ بِهِ . مِمَّا لَمْ يَذْهَبْ عَنْهُ ذِكْرُهُ !

وأما الذِّبَالُ بْنُ الْهَيْثَمِ ، فَأَعْلِمُهُ أَنَّهُ كَانَ فِي الطَّعَامِ الَّذِي كَانَ يَسْرِقُهُ فِي الْأَنْبَارِ ،  
وَفِيمَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَدِينَةِ<sup>(١)</sup> أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي الْعَبَّاسِ مَا يَشْغَلُهُ ، وَأَنَّهُ  
لَوْ كَانَ مُقْتَفِيًا آثَارَ سَلْفِهِ ، وَسَالِكًا مَنَاهِجَهُمْ ، وَمَحْتَذِيًا سَبِيْلَهُمْ ، لَمَا خَرَجَ إِلَى  
الشَّرْكَ بَعْدَ إِيمَانِهِ .

وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العَوَّامِ وَقَوْلُهُ إِنَّهُ لَا يُحْسِنُ الْجَوَابَ فِي الْقُرْآنِ ،  
فَأَعْلِمُهُ أَنَّهُ صَبِيٌّ فِي عَقْلِهِ لَا فِي سِنِّهِ ، جَاهِلٌ ، وَأَنَّهُ إِنْ كَانَ لَا يُحْسِنُ الْجَوَابَ  
فِي الْقُرْآنِ فَسَيُحْسِنُهُ إِذَا أَخَذَهُ التَّأْدِيبُ ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ كَانَ السَّيْفُ مِنْ وَرَاءِ  
ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وأما أحمد بن حَنْبَلٍ وَمَا تَكْتُبُ عَنْهُ ، فَأَعْلِمُهُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَرَفَ  
فَحْوَى<sup>(٢)</sup> تِلْكَ الْمَقَالَةَ وَسَبِيلَهُ فِيهَا ، وَاسْتَدْلَّ عَلَى جَهْلِهِ وَآفَتِهِ بِهَا .

وأما الْفَضْلُ بْنُ غَانِمٍ ، فَأَعْلِمُهُ أَنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ مِنْهُ بِمِصْرَ ،  
وَمَا اكْتَسَبَ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي أَقَلِّ مِنْ سَنَةٍ ، وَمَا شَجَرَ<sup>(٣)</sup> بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُطَّلِبِ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ مِنْ كَانَ شَأْنُهُ شَأْنَهُ ، وَكَانَتْ رَغْبَتُهُ فِي الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ رَغْبَتَهُ ،  
فَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَبِيعَ إِيمَانَهُ طَمَعًا فِيهِمَا ، وَإِيْثَارًا لِعَاجِلِ نَفْعِهِمَا ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ  
الْقَائِلُ لِعَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ مَا قَالَ ، وَالْمُخَالِفُ لَهُ فِيمَا خَالَفَهُ فِيهِ ، فَمَا الَّذِي حَالَ بِهِ عَنْ  
ذَلِكَ ، وَنَقَلَهُ إِلَى غَيْرِهِ ؟

(١) هي مدينة الهاشمية ، بناها السفاح بالكوفة .

(٢) فحوى الكلام : معناه .

(٣) شجر الأمر بينهم كنصر : اضطرب وتنازعوا فيه .

وأما الزُّيَادِيُّ (١) فأعلمه أنه كان مُنتَحِلاً أَوْلَى أَوْلَ دَعِيٍّ كان في الإسلام خُوفَ فيه حُكْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جديراً أن يسلك مسلكه ، فإنكر أبو حَسَّان أن يكون مَوْلَى لزيد ، أو يكون مولى لأحد من الناس ( و ذكر أنه إنما نُسِبَ إلى زيد لأمر من الأمور ) .

وأما المعروف بأبي نصر التَّمَّار ، فإن أمير المؤمنين شَبَّهه خَسَاسَةً عقله بخَسَاسَةِ مَنَجْرِهِ .

وأما الفضل بن الفَرَّخَان ، فأعلمه أنه حاول بالفول الذي قاله في القرآن أخذَ الودائع التي أودَعَهَا إِيَّاهُ عبدُ الرحمن بن إسحاق وغيره تَرْبُصًا (٢) مِن أَسْتَوْدَعَهُ وَطِعْمًا في الاستكثارِ مَا صار في يده ، ولا سبيلَ عليه عن تقادم عهده ، وتطاوُلِ الأيام به ، فَقُلْ لعبد الرحمن بن إسحاق لا جزاك الله خيراً عن تقويتك مثل هذا وإيمانك ، إِيَّاه ، وهو معتقدٌ للشُّرك ، مُنْسَلِخٌ من التوحيد .

وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبي مَعْمَر ، فأعلمهم أنهم مشاغِلٌ بِأكل الربا عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحلَّ محاربتهم في الله ومجاهدتهم إلا لإربائهم وما نزل به كتابُ الله في أمثالهم ، لاستحلَّ ذلك ، فكيف هم وقد جَمَعُوا مع الإرباءِ شِرْكَاً ، وصاروا للنصارى مثلاً .

وأما أحمد بن شجاع ، فأعلمه أنك صاحبُه بِالْأَمْس ، والمستخرجُ منه ما استخرجته من المال الذي كان استجلبه من مال علي بن هشام ، وأنه مِّنَ الدِّينَارِ والدرهمِ دِينَهُ .

وأما سَعْدُ وَبْنُ الوَاسِطِيِّ ، فقل له : قَبَّحَ اللهُ رجلاً بلغ به العصنُجُ للحديث ، والتزُّنُ به ، وَالْحِرْصُ على طلب الرِّياسة فيه ، أن يَتَمَنَّى وقتَ المِحْنَةِ . فيقول بالتقرب بها متى يَمْتَحَنُ فيجلس للحديث .

(١) هو أبو حسان الزيادي . وانتحل : ادعاه لنفسه وهو لغيره . والدعي : المتهم بنسبه المنسوب

لغير أبيه ، والمراد : زيد ابن أبيه . (٢) أي انتظارا .



وأما المعروف بِسَجَادَةِ وَإِنْكَارِهِ أَنْ يَكْرَهُنَّ سَمِعَ مِنْ كَانِ يَجَالِسُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ الْفَقْهِ الْقَوْلَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ فِي شُغْلِهِ بِإِعْدَادِ النَّوَى وَحَاكَمَهُ لِإِصْلَاحِ سَجَادَتِهِ ، وَبِالْوَدَائِعِ الَّتِي دَفَعَهَا إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى وَغَيْرُهُ مَا أَذْهَلَهُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْمَاهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا كَانَ يُوَسِّفُ بِنِ ابْنِ يُوْسُفَ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بِقَوْلَانِهِ إِنْ كَانَ شَاهِدَهُمَا وَجَالَسَهُمَا .

وأما القواريريُّ ، فَمَا تَكشَّفَ مِنْ أَحْوَالِهِ وَقَبُولِهِ الرُّشَا وَالْمُصَانَعَاتِ ، مَا أَبَانَ عَنْ مَذْهَبِهِ وَسُوءِ طَرِيقَتِهِ ، وَسَخَافَةِ عَقْلِهِ وَدِينِهِ ، وَقَدِ اتَّهَمَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ يَتَوَلَّى جَعْفَرَ بْنَ عَيْسَى الْحَسَنِيِّ مَسَائِلَهُ ، فَتَقَدَّمَ إِلَى جَعْفَرَ بْنِ عَيْسَى فِي رَفْعِهِ وَتَرَكِ الثَّمَنَةَ بِهِ وَالِاسْتِنَامَةَ<sup>(١)</sup> إِلَيْهِ .

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمري ، فَإِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَجَوَابُهُ مَعْرُوفٌ .

وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُقْتَدِبًا بَعْدَ مَضَى مِنْ سَلَفِهِ ، لَمْ يَنْتَحِلِ النَّحْلَةَ الَّتِي حَاكَمَتْ عَنْهُ ، وَإِنَّهُ بَعْدُ صَبِيٌّ يَحْتَاجُ إِلَى تَعَلُّمٍ .

وقد كَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَّهَ إِلَيْكَ الْمَعْرُوفَ بِأَبِي مُشَيْرٍ بَعْدَ أَنْ نَصَّاهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مِحْنَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ، فَجَمَّعَ<sup>(٢)</sup> عَنْهَا وَلَجَّلَجَ فِيهَا ، حَقَّ دَعَاؤُهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْيَمِّ ، فَأَقْرَبَ ذَمِيمًا ، فَأَنْصَصَهُ عَنْ إِقْرَارِهِ ، فَإِنْ كَانَ مَقِيمًا عَلَيْهِ فَأَشْهَرَهُ ذَلِكَ وَأَخْطَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ شِرْكِهِ — مَنْ سَمَّيْتَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كِتَابِكَ ، وَذَكَرَهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ ، أَوْ أَمْسَكَ عَنْ ذِكْرِهِ فِي كِتَابِهِ هَذَا — وَلَمْ يَقُلْ إِنْ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ،

(١) استنم إليه : سكن واطمأن .

(٢) الجمعة . أن لا بين كلامه ، كالتجمع .

بعد بشر بن الوليد ، وإبراهيم بن المهدي ، فأحلبهم أجمعين مؤثمين إلى عسكر أمير المؤمنين ، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في طريقهم ، حتى يؤدبهم إلى عسكر أمير المؤمنين ويسلمهم إلى من يؤمن بتسليمهم إليه ، لينصهم أمير المؤمنين ، فإن لم يرجعوا وبتوبوا ، حملهم جميعا على السيف إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله .

وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بندية<sup>(١)</sup> ، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية ، معجلاً به ، تقرُّباً إلى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ، ورجاء ما اعتمده ، وإدراك ما أمل من جزيل ثواب الله عليه ، فأنفذ لما أتاك من أمير المؤمنين وعجل إجابة أمير المؤمنين بما يكون منك في خريطة بندية مفرّدة عن سائر الخرائط ، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله<sup>(٢)</sup> .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٨٩ )

وكتب سنة ٢١٨ هـ .

(١) الخريطة . وعاء من آدم وغيره يشد على ما فيه ، وبندية نسبة إلى بندار ، وقد تقدم أنه التاجر الذي يخزن البضائع للقلاء - فهو كثير المال - والظاهر أن الخريطة البندية كانت تمتاز عن سائر الخرائط ، بمتانة صنعها وإحكامها واتساعها لمقدار من النقود كبير ، وأنظره : أخره .

(٢) فأجاب القوم كلهم حين أعاد القول عليهم إلى أن القرآن مخلوق إلا أربعة نفر ، وهم : أحمد ابن حنبل وسجادة والقواريري ومحمد بن نوح ، فأمر بهم لإسحق بن إبراهيم فشدوا في الحديد ، فلما كان من الغد دما بهم جميعا يساقون في الحديد ، فأعاد عليهم الحنة فأجابهم سجادة إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر بإطلاق قيده وخلي سبيله ، وأصر الآخرون على قولهم ، فلما كان من بعد الغد عاودهم أيضا فأعاد عليهم القول ، فأجاب القواريري إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر بإطلاق قيده وخلي سبيله ، وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما ولم يرجعا ، فشدوا جميعا في الحديد ، ووجهها إلى طرسوس « بفتح الطاء والراء : مدينة ببلاد الروم ( الأناضول ) بينها وبين أذنة ( أطنة ) ستة فراسخ ، وكان المأمون قد خرج إليها غازياً فأدركته منيته بها ، وفيها قبره » ومات ابن نوح في طريقه إليها .

واتفق أن مات المأمون قبل وصول ابن حنبل إليه ( سنة ٢١٨ هـ ) وعهد إلى أخيه المعتصم بالخلافة وأوصاه أن يحمل الناس على القول بخلق القرآن ، واستمر الإمام أحمد محبوساً إلى أن امتحنه المعتصم . واستنهما للفائدة نسوق إليك بقية الخبر في هذه المسألة فنقول : أحضر المعتصم الإمام أحمد ، وعقد له مجلساً للمناظرة ، وفيه عبد الرحمن بن إسحق والقاضي أحمد بن أبي دواد وغيرهما ، فناظروه ثلاثة أيام ولم يزل معهم في جدال إلى اليوم الرابع ، فأمر المعتصم بضربه بالسياط ، ولم يحمل عن رأيه إلى أن أغشى عليه ، ونحسه هجيف بن عنبية بالسيف ، ورمى عليه بارية ( وهي الحصير المنسوج ) وديس عليه ثم حمل إلى منزله بعد أن ضرب ثمانية وثلاثين سوطاً ، وكانت مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهراً .

ذكروا أنه لما نظر في الأيام الثلاثة كان المعتصم يخلو به ويقول له : ويحك يا أحمد ! أنا والله عليك شفيق ، وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على ابني هرون « يعني الواثق » فأجبنى ، فوالله لئن أجبنتني لأطلقن غلك بيدي ، ولأطأن عتبتك ، ولأركبن إليك بجندی ، فيقول : يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا طال به المجلس ضجر وقام ، ورد أحمد إلى الموضع الذي كان فيه ، وتزدد إليه رسل المعتصم يقولون : يا أحمد أمير المؤمنين يقول لك : ما تقول في القرآن ؟ فبرد عليهم كما رد أولاً . فلما كان في اليوم الثالث طلب للمناظرة فأدخل على المعتصم وعنده وزيره محمد بن عبد الملك الزيات والقاضي أحمد بن أبي دؤاد ، فقال المعتصم : كما هو وناظروه ، فلم يزالوا معه في جدال إلى أن قالوا : يا أمير المؤمنين اقتله ودمه في أعناقنا . فرفع المعتصم يده ولطم بها وجه الإمام أحمد فخر منشياً عليه ، فتممرت وجوه قواد خراسان - وكان عم أحمد فيهم - فخاف الخليفة منهم على نفسه فدعا بماء ورش على وجهه ، فلما أفاق من غشيته رفع رأسه إلى عمه . وقال يا عم لعل هذا الماء الذي رش على وجهي غصب عليه صاحبه ، فقال المعتصم : ويحك أما ترون ما يتهم به على هذا وقرابني من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! لارفعت للسوط عنه حتى يقول القرآن مخلوق ، ثم التفت إلى أحمد وأعاد عليه القول ، فرد أحمد كالأول ، فلم يزل كذلك حتى ضجر وطال المجلس ، فعند ذلك قال : عليك اعنة الله ، لقد كنت طمعت فيك قبل هذا ، خذوه ، اخلعوه ، اسحبوه فأخذ وسحب ثم خلع ، ثم قال المعتصم : السياط . قال الإمام أحمد : وكان عندي شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم قد صررتها في كم قبصي ، فجاء بعض القوم إلى قبصي ايجرقه ، فقال المعتصم : لا تحرقوه واترعوه عنه وإنا ندرى عن القميص المرق بركة شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وشدوا يديه فتخلعتا - ولم يزل أحمد يتوجع منها حتى مات - ثم قال المعتصم للجلادين : تقدموا ، ونظر إلى السياط فقال : ايتوا بغيرها ، ثم قال لأحدهم : أذمه ( أي أسل دمه . من ذم أذمه وذن إذا سال ) وأوجع ، قطع الله يدك ، فتقدم وضربه سوطين ثم تنحى ، ثم قال لآخر : أذمه وشد ، قطع الله يدك ، فتقدم وضربه سوطين ثم تنحى ، ولم يزل يدعو رجلاً رجلاً فيضربه كل واحد سوطين ويتنحى ، ثم قام المعتصم وجاءه وهم محذقون به ، وقال : يا أحمد تقتل نفسك ! أجبنى حتى أطلق غلك بيدي ، وجعل بعضهم يقول له : يا أحمد ، إمامك على رأسك قائم فأجبه ، وعجيف بنخه بالسيف ويقول : أتريد أن تغلب هؤلاء كاهم ؟ وبعضهم يقول : يا أمير المؤمنين اجعل دمه في عنقي ، فرجع المعتصم إلى الكرسي ، ثم قال للجلاد : أذمه ، قطع الله يدك ، ثم جاء المعتصم إليه ثانياً وقال : يا أحمد أجبنى ، فقال كالأول . فرجع المعتصم وجلس على الكرسي ، ثم قال للجلاد : شد عليه ، قطع الله يدك ، قال أحمد : فذهب عقلي ، فاعقلت إلا وأنا في حجرة مطلق عني ، كل ذلك وهو صائم لم يفطر ، وكان ذلك في العشر الأخيرة من رمضان سنة ٢٢٠ هـ ، ثم وجه المعتصم رجلاً ينظر الضرب والجراحات وبما لجه ، فنظر إليه وقال : والله لقد رأيت من ضرب ألف سوط ، فما رأيت أشد ضرباً من هذا ثم عالجته ، وبقي أثر الضرب بينا في ظهره إلى أن مات ( سنة ٢٤١ هـ ) - انظر تاريخ الطبری ١٠ : ٢٩٢ وتبيين كذب المفتري ص ٣٤٩ ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ١ : ١١٥ - ١١٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٧ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٤٨ .

ولم يزل ابن حنبل بعد ضربه يحضر الجمعة والجماعات ويفتي ويحدث إلى أن مات المعتصم ( سنة ٢٢٧ هـ ) ، وولي الواثق فأظهر ما أظهره السامون والمعتصم من المحنة ، ولال للإمام أحمد : لا تجمن إليك أحداً ، ولا تما كني في بلد أنا فيه ، فأقام الإمام أحمد محتفياً لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها =

حتى مات الواثق ( سنة ٢٣٢ هـ ) وولى المتوكل ، فكتب إلى الآفاق برفع المحنة ، ومنع الناس من المناظرات في الآراء والمذاهب ، وقرب منه أهل السنة ، وأمر بإحضار الإمام أحمد وإعزازه ، وأطلق له مالا كثيرا فلم يقبله ، وفرقه على الفقراء والمساكين ، وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم فلم يرض بذلك ، ولم يحفل المتوكل بالمعتزلة فخدمت نارهم ، وتضاءل أمرهم - انظر حياة الحيوان الكبرى للدميري ١ : ١١٥ ، ١٢٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٦٩ .

ومن عفته هذه المحنة بأنبيائها في عهد الواثق أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المصري صاحب الإمام الشافعي ، دهمي إلى القول بخلق القرآن ، فامتنع منه ، فحمل من مصر إلى العراق مقيدا حتى مات في أفياده محبوسا صابرا على ما أصابه من الأذى ، وكان مقيدا إلى أنصاف ساقيه ؛ مغلولة يده إلى عنقه ، قال الربيع بن سليمان : رأيت البويطي على بغل في عنقه غل وفي رجله قيد ، وبين النمل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا ، وهو يقول : إنما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق « بكن » فإذا كانت « كن » مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا ، فوالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدى قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم ، ولئن أدخلت عليه لأصدقته - يعني الواثق - وقال الربيع أيضا : كتب إلى أبو يعقوب من السجن : إنه ليأتي على أوقات لا أحس بالحديد إنه على بدني حتى تمسه يدي ، وتوفي سنة ٢٣١ هـ في القيد والسجن ببغداد - انظر تبين كذب المقتري ص ٣٤٨ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٤٧ .

ومنهم نعيم بن حماد ، وقد مات في سجن الواثق مقيدا أيضا - انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٥ : ص ١٧٧ .

ومنهم أحمد بن نصر الحزاعي قتله الواثق وصلبه سنة ٢٣١ هـ ذكروا أن ثمانية بن أشرس سعى به إلى الواثق ، وذكر له أنه يكفر من يقول بخلق القرآن ، ومن ينكر رؤية الله تعالى يوم القيامة فأحضره الواثق وقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله ، قال : أفخلق هو ؟ قال : هو كلام الله ، قال : أفترى ربك يوم القيامة ؟ قال : كذا جاءت الرواية ، فقال : ويحك ؟ يرى كما يرى المحدود المتجسم ، يحويه مكان ، ويحصره الناظر ؟ أنا أكفر برب هذه صفته ، ما تقولون فيه ؟ فقال عبد الرحمن ابن إسحق - وكان قاضيا على الجانب الغربي ببغداد فعزل - هو حلال الدم ، وقال جماعة من الفقهاء كما قال ، فأظهر ابن أبي دؤاد أنه كاره لقتله . فقال للواثق : يا أمير المؤمنين ، شيخ مختل ، لعل به عاهة أو تغير عقل ، يؤخر أمره ، فقال الواثق : ما أراه إلا مؤديا لكفره ، ودعا الواثق بالصمصامة ، وقال : إذا قت إليه فلا يقوم أحد معي ، فإني أحسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربا لا نعبد ، ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ، ثم أمر بالنطح فأجلس عليه وهو مقيد ، وأمر بشد رأسه بحبل ، وأمرهم أن يمدوه ، ومشى إليه حتى ضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد ، فنصب في الجانب الشرقي أياما ، وفي الجانب الغربي أياما ، وتنبع رؤساء أصحابه فوضعوا في الحبوس ، ولم يزل رأسه منصوبا ببغداد ، وجسده بسر من رأى ست سنين إلى أن حط وجم بين رأسه وبدنه - انظر الفرق بين الفرق ص ١٥٩ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ١٧٣ - ١٨٠ ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ١ : ١١٩ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٦٣ .

### ٣٤٤ - كتاب منصور بن محمد إلى المريسي

وكتب المريسي<sup>(١)</sup> إلى أبي يحيى منصور بن محمد ، اكتب : القرآن خالق  
أو مخلوق ؟ فكتب إليه :

« عافانا الله وإياك من كل فتنة ، وجعلنا وإياك من أهل السنة ، ومن  
لا يرغب بنفسه عن الجماعة ، فإنه إن يفعل فأعظم بها منة ، وإن لا يفعل فهي  
الهلكة ، ونحن نقول :

إن الكلام في القرآن بدعة ، يتكاف المجهيب ما ليس عليه ، ويتعاطى السائل  
ما ليس له ، وما نعلم خالفاً إلا الله ، وما سوى الله فمخلوق ، والقرآن كلام الله ، فأنته  
بنفسك إلى أسماءه التي سماه الله بها ، فتكون من المهتدين ، ولا تسم القرآن باسم  
من عندك ، فتكون من الضالين ، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب ،  
وهم من الساعة مشفقون » .  
( العقد الفريد ١ : ٢٦٧ )

### ٣٤٥ - كتاب راشد الكاتب إلى محمد بن عبد الملك الزيات

وحج محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(٢)</sup> في آخر أيام المأمون ، فلما قدم كتب  
إليه راشد الكاتب :

« لا تنس عهدي ولا مودتيه وأشتق إلى طلعتي ورؤيتيه  
فإن تجاوزت ما أقول إلى العصب فذاك المأمول منك ليه<sup>(٣)</sup> »

( الأغاني ٢٠ : ٥١ )

(١) هو بشر بن غياث المريسي ، وقد تقدم لك ذكره ، وتوفى سنة ٢١٨ هـ - انظر ترجمته  
في وفيات الأعيان ١ : ٩١ .

(٢) وزير للمعتصم والواثق والمتوكل ، وتوفى سنة ٢٣٣ هـ - انظر ترجمته في الأغاني ٢٠ : ٤٦  
ووفيات الأعيان ٢ : ٥٤ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢ : ٣٤٢ ، والفخرى ص ٢١٣ ، والفهرست  
لابن النديم ص ١٧٧ ، وتاريخ الطبري ١١ : ٢٧ ، وغرر الحقائق الواضحة ١٤٣ و ص ٤١١ .

(٣) العصب : ضرب من برود اليمن .

## ٣٤٦ - رد ابن الزيات عليه

فأجابه محمد بن عبد الملك :

إِنَّكَ مِنِّي بِحَيْثُ بَطَّرِدُ النَّاطِرُ مِنْ تَحْتِ مَاءِ دَمْعَتَيْهِ  
وَلَا ، وَمَنْ زَادَنِي تَوَدُّدُهُ عَلَى صِحَابِي بِفَضْلِ غَيْبَتَيْهِ<sup>(١)</sup>  
مَا أَحْسَنَ التَّرْكَ وَالْخِلَافَ لِمَا تُرِيدُ مِنِّي وَمَا تَقُولُ لِيهِ  
يَا أَبِي أَنْتَ ، مَا نَسَبْتُكَ فِي يَوْمِ دُعَايَ وَلَا هَدَيْتَنِي  
نَاجِيَتُ بِالذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ ، لَكَ اللَّهُ لَكَ اللَّهُ رَافِعًا يَدَيْهِ  
حَتَّى إِذَا مَا ظَنَنْتُ بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ أَنْ قَدْ أَجَابَ دَعْوَتِي  
فَمَتُّ إِلَى مَوْضِعِ النَّعَالِ ، وَقَدْ أَقَمْتُ عَشْرِينَ صَاحِبًا مَعِيهِ  
وَقُلْتُ : لِي صَاحِبٌ أُرِيدُ لَهُ نَعْلًا ، وَلَوْ مِنْ جُلُودِ رَاحَتَيْهِ  
فَانْقَطَعَ الْقَوْلُ عِنْدَ وَاحِدَةٍ قَالَ الَّذِي اخْتَارَهَا : بِشَارَتِيهِ  
فَقُلْتُ : عِنْدِي لَكَ الْبَشَارَةُ وَالشُّكْرُ وَقَلًّا فِي جَنْبِ حَاجَتَيْهِ<sup>(٢)</sup>  
ثُمَّ تَخَيَّرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْعَصَبِ الْيَمَانِيِّ بِفَضْلِ خَيْرَتَيْهِ  
مَوْثِقَتَيْهِ ، لَمْ أَزَلْ يَبَايِعُهُمَا أُرْغَبُ حَتَّى زَهَا هَلَى بَيْتِهِ<sup>(٣)</sup>  
يَرْفَعُ فِي سَوْمِهِ وَأُرْغَبُهُ حَتَّى التَّقَى زَهْوُهُ وَرَغْبَتَيْهِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ أَتَاكَ الَّذِي أَمَرْتَ بِهِ فَاعْذِرْ بِكُثْرِ الْإِنْعَامِ فَنَيْتَيْهِ<sup>(٥)</sup>  
( الأغانى ٢٠ : ٥١ )

(١) الواو في « ومن » للقسم .

(٢) القل : القليل .

(٣) ونى الثوب كوعى : نعمة ونقشه وحسنه ، والزهو . الكبر والتب .

(٤) في الأصل « زهده » وهو تحريف .

(٥) القنية بالكسر والضم : ما اكتسب .

## ٣٤٧ - كتاب المأمون إلى عماله

وفي سنة ٢١٨ هـ نفذت كتب المأمون إلى عماله في البلدان :  
« من عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين ، وأخيه الخليفة من بعده  
أبي إسحاق<sup>(١)</sup> ابن أمير المؤمنين الرشيد . »

فورد كتاب إلى إسحاق بن يحيى بن معاذ عامله على جند دمشق عنوانه :  
« من عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين ، والخليفة من بعده  
أمير المؤمنين أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد . »

أما بعدُ فإن أمير المؤمنين أمر بالكتاب إليك في التقدّم إلى عمالك : في حسن  
السيرة ، وتخفيف المؤنة ، وكف الأذى عن أهل عمالك ، فتقدّم إلى عمالك في ذلك  
أشدّ التقدّم ، واكتب إلى عمال الخراج بمثل ذلك . »

وكتب إلى جميع عماله في أجناد الشام ، جند حمص والأردن وفلسطين بمثل ذلك .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٩٣ )

(١) هو الملقب بالعتصم .

تم الجزء الثالث بحمد الله وتوفيقه

ويليه

الجزء الرابع

وأوله الشطر الثاني

من رسائل العصر العباسي الأول



# فہرس

## الجزء الثالث

من جمہرۃ رسائل العرب

## الباب الرابع

الرسائل فی العصر العباسی الأول

| رقم الصفحة | رقم الرسالة | الرسالة  |
|------------|-------------|--|
| ۹          | ۱           | كتاب أبي العباس السفاح إلى الحسن بن قحطبة            |
| ۱۰         | ۲           | كتاب المنصور إلى ابن هبيرة                           |
| ۱۱         | ۳           | • أبي جعفر المنصور لابن هبيرة بالأمان                |
| ۱۳         | ۴           | كتب بين أبي مسلم وأبي العباس وأبي جعفر               |
| ۱۴         | ۵           | كتاب صالح بن علي إلى أبي العباس السفاح               |
| ۱۴         | ۶           | • أبي العباس إلى عامر بن إسماعيل                     |
| ۱۵         | ۷           | • سليمان بن علي إلى أبي العباس                       |
| ۱۶         | ۸           | • يوسف بن القاسم عن عبد الله بن علي إلى أبي العباس   |
| ۱۶         | ۹           | كتاب يوسف بن القاسم إلى عبد الله بن علي              |
| ۱۷         | ۱۰          | رد عبد الله بن علي عليه                              |
| ۱۸         | ۱۱          | كتب بين أبي مسلم وأبي العباس وأبي جعفر               |
| ۱۹         | ۱۲          | كتاب لعمار بن حمزة عن أبي العباس في وفاة داود بن علي |
| ۲۰         | ۱۳          | • أبي مسلم إلى أبي جعفر                              |
| ۲۱         | ۱۴          | رد أبي جعفر على أبي مسلم                             |
| ۲۱         | ۱۵          | كتاب من الخليفة إلى ولي العهد لعبد الله بن علي       |

| الرسالة  | رقم الرسالة | رقم الصفحة |
|--|-------------|------------|
| كتاب صالح بن علي في السلامة                    | ١٦          | ٢٢         |
| كتاب عبد الله بن صالح في السلامة               | ١٧          | ٢٣         |
| بين أبي مسلم وأبي جعفر                         | ١٨          | ٢٣         |
| كتاب أبي جعفر إلى عبد الله بن علي              | ١٩          | ٢٤         |
| كتاب الأمان لعبد الله بن علي - كتبه ابن المقفع | ٢٠          | ٢٤         |
| أبي جعفر إلى أبي مسلم                          | ٢١          | ٢٦         |
| أبي مسلم إلى أبي جعفر                          | ٢٢          | ٢٧         |
| رد أبي جعفر على أبي مسلم                       | ٢٣          | ٢٧         |
| كتاب أبي مسلم إلى أبي جعفر                     | ٢٤          | ٢٨         |
| أبي جعفر إلى أبي داود                          | ٢٥          | ٢٩         |
| أبي داود إلى أبي مسلم                          | ٢٦          | ٣٠         |
| رسالة ابن المقفع في الصحابة - كتبها للمنصور    | ٢٧          | ٣٠         |
| الرسالة اليتيمة لابن المقفع                    | ٢٨          | ٤٨         |
| تحميد لابن المقفع                              | ٢٩          | ٥٣         |
| كتاب ابن المقفع إلى بعض إخوانه                 | ٣٠          | ٥٤         |
| وله في وصف أحد إخوانه                          | ٣١          | ٥٤         |
| كتابه إلى صديق له يهذبه بمولودة                | ٣٢          | ٥٥         |
| كتابه يعزى عن ولد                              | ٣٣          | ٥٦         |
| » » » »  | ٣٤          | ٥٦         |
| » » » بنت                                      | ٣٥          | ٥٦         |
| » » » »  | ٣٦          | ٥٦         |
| كتاب تعزية له                                  | ٣٧          | ٥٧         |
| كتاب آخر                                       | ٣٨          | ٥٧         |
| كتابه إلى صديق له يستقصيه حاجة                 | ٣٩          | ٥٨         |
| كتاب آخر                                       | ٤٠          | ٥٨         |
| كتاب له في السلامة                             | ٤١          | ٥٩         |
| آخر إلى ابن الثقفى                             | ٤٢          | ٥٩         |

| الرسالة                                      | رقم الرسالة | رقم الصفحة |
|--|-------------|------------|
| كتاب آخر                                     | ٤٣          | ٦٠         |
| كتاب في السلامة                              | ٤٤          | ٦٠         |
| » لابن الثقفى في السلامة                     | ٤٥          | ٦١         |
| كتاب ابن المقفع إلى يحيى بن زياد الحارثى     | ٤٦          | ٦١         |
| رد يحيى بن زياد على ابن المقفع               | ٤٧          | ٦٣         |
| كتاب أبي نصر الرقاشى إلى يحيى بن زياد        | ٤٨          | ٦٥         |
| جواب يحيى بن زياد                            | ٤٩          | ٦٧         |
| كتاب حماد عجرد إلى يحيى بن زياد              | ٥٠          | ٧٠         |
| جواب سلامة لمحمد بن زياد الحارثى إلى المنصور | ٥١          | ٧١         |
| كتاب له في الشكر                             | ٥٢          | ٧٢         |
| » آخر  | ٥٣          | ٧٣         |
| » »  | ٥٤          | ٧٣         |
| كتابه إلى صالح بن علي                        | ٥٥          | ٧٤         |
| كتاب عبد الله بن الحسن إلى صديق له           | ٥٦          | ٧٥         |
| أبو جعفر المنصور وعبد الله بن الحسن          | ٥٧          | ٧٥         |
| كتاب أبي جعفر إلى النفس الزكية               | ٥٨          | ٧٥         |
| رد النفس الزكية على أبي جعفر                 | ٥٩          | ٧٩         |
| رد أبي جعفر على النفس الزكية                 | ٦٠          | ٨١         |
| كتاب أبي جعفر إلى الحسن بن زيد               | ٦١          | ٨٧         |
| كتب بين أبي جعفر وسلم بن قنينة               | ٦٢          | ٨٨         |
| كتاب المنصور إلى عيسى بن موسى                | ٦٣          | ٨٨         |
| رد عيسى بن موسى على أبي جعفر                 | ٦٤          | ٩٢         |
| كتاب عيسى بن موسى إلى المنصور                | ٦٥          | ٩٥         |
| كتاب آخر                                     | ٦٦          | ٩٦         |
| رد المنصور عليه                              | ٦٧          | ٩٦         |
| كتاب المنصور إلى عيسى بن موسى                | ٦٨          | ٩٧         |
| » » » » » » »                                | ٦٩          | ٩٧         |

| الرسالة  | رقم الرسالة | رقم الصفحة |
|--|-------------|------------|
| كتاب عبيد الله العمرى إلى جعفر المنصور         | ٧٠          | ٩٨         |
| رد أبي جعفر على العمرى                         | ٧١          | ٩٩         |
| كتاب أبي جعفر إلى محمد بن سليمان               | ٧٢          | ١٠٠        |
| رسالة غسان بن عبد الحميد في العتاب             | ٧٣          | ١٠١        |
| كتاب « « « في تهنة بتزويج                      | ٧٤          | ١٠٧        |
| تحميد له                                       | ٧٥          | ١٠٨        |
| تعزية له                                       | ٧٦          | ١٠٨        |
| « « إلى خليفة                                  | ٧٧          | ١٠٨        |
| « «  | ٧٨          | ١٠٩        |
| « «  | ٧٩          | ١١٠        |
| « «  | ٨٠          | ١١٠        |
| رسالة عمارة بن حمزة في على بن ماهان            | ٨١          | ١١٢        |
| كتاب له في السلامة                             | ٨٢          | ١١٧        |
| « له   | ٨٣          | ١١٨        |
| « جبل بن يزيد إلى بعض إخوانه                   | ٨٤          | ١١٨        |
| « « « « « « «                                  | ٨٥          | ١١٩        |
| « « « « « « «                                  | ٨٦          | ١٢٠        |
| كتاب له في المطر                               | ٨٧          | ١٢٠        |
| تعزية له                                       | ٨٨          | ١٢١        |
| تعزية له                                       | ٨٩          | ١٢١        |
| تعزية له إلى الخليفة                           | ٩٠          | ١٢٢        |
| فصل له في الدم                                 | ٩١          | ١٢٣        |
| كتاب بشر البلوى إلى يزيد بن منصور              | ٩٢          | ١٢٤        |
| « أبي جعفر إلى عامه بحضر موت                   | ٩٣          | ١٢٥        |
| فصل من كتاب أبي جعفر إلى الآفاق بالبيعة للمهدى | ٩٤          | ١٢٥        |
| كتاب بعض الهاشميين إلى المهدي وهو ولي عهد      | ٩٥          | ١٢٧        |
| كتاب أبي جعفر عند موته يوصى بالمهدى            | ٩٦          | ١٢٨        |

| رقم الصفحة | رقم الرسالة | الرسالة  |
|------------|-------------|--|
| ١٢٩        | ٩٧          | كتاب لجبل بن يزيد تعزية وتمنئة للمهدى                |
| ١٣٠        | ٩٨          | تعزية لغسان بن عبد الحميد عن خايفة                   |
| ١٣١        | ٩٩          | فصل من تعزية له                                      |
| ١٣٢        | ١٠٠         | كتاب له في المودة                                    |
| ١٣٣        | ١٠١         | عهد من المهدي إلى أحد ولاته                          |
| ١٣٤        | ١٠٢         | كتاب المهدي إلى محمد بن سليمان                       |
| ١٣٨        | ١٠٣         | كتاب بشر البلوي إلى علي بن سليمان                    |
| ١٣٨        | ١٠٤         | كتاب عيسى بن موسى بنزوله عن ولاية العهد لموسى الهادي |
| ١٤١        | ١٠٥         | المهدي إلى روح بن حاتم                               |
| ١٤٢        | ١٠٦         | أبي عبيد الله إلى المهدي                             |
| ١٤٢        | ١٠٧         | تحميد لأبي عبيد الله                                 |
| ١٤٤        | ١٠٨         | » » » »  |
| ١٤٥        | ١٠٩         | » » » »  |
| ١٤٥        | ١١٠         | » » » »  |
| ١٤٦        | ١١١         | » » » » في آخر كتاب                                  |
| ١٤٦        | ١١٢         | كتاب إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي إلى المهدي          |
| ١٤٦        | ١١٣         | جواب تعزية لشبيب بن شيبه                             |
| ١٤٧        | ١١٧         | كتاب في البيعة لمحمد بن حجر                          |
| ١٤٨        | ١١٥         | رسالة ابن سيابة إلى يحيى بن خالد البرمكي             |
| ١٤٩        | ١١٦         | بين ابن سيابة وصديق له                               |
| ١٥٠        | ١١٧         | كتاب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى يحيى بن خالد         |
| ١٥٠        | ١١٨         | » آخر  |
| ١٥٠        | ١١٩         | » آخر  |
| ١٥١        | ١٢٠         | » يوسف بن القاسم إلى يحيى بن خالد                    |
| ١٥١        | ١٢١         | رد يحيى عليه   |
| ١٥٣        | ١٢٢         | رد يوسف بن القاسم عليه                               |
| ١٥٣        | ١٢٣         | كتاب يوسف بن القاسم إلى محمد بن زياد الحارثي         |

| الرسالة  | رقم الرسالة | رقم الصفحة |
|--|-------------|------------|
| بين يوسف بن القاسم ومحمد بن زياد               | ١٢٤         | ١٥٣        |
| كتاب ليوسف بن القاسم عن الفضل بن يحيى          | ١٢٥         | ١٥٤        |
| كتاب يحيى بن خالد إلى ابنه الفضل               | ١٢٦         | ١٥٥        |
| رد الفضل عليه                                  | ١٢٧         | ١٥٥        |
| كتاب يحيى بن خالد إلى ابنه الفضل               | ١٢٨         | ١٥٦        |
| » أبي العباس بن جرير إلى الفضل بن يحيى         | ١٢٩         | ١٥٧        |
| » للفضل بن يحيى                                | ١٣٠         | ١٥٨        |
| » عمر بن مهران إلى الرشيد                      | ١٣١         | ١٥٨        |
| » أبي الربيع محمد بن الليث إلى جعفر بن يحيى    | ١٣٢         | ١٥٩        |
| » له في السلامة                                | ١٣٣         | ١٦٠        |
| » له في الاعتذار                               | ١٣٤         | ١٦٠        |
| » منصور النمرى إلى الرشيد                      | ١٣٥         | ١٦١        |
| » محمد بن عبد الله بن حرب                      | ١٣٦         | ١٦١        |
| » محمد بن علي إلى محمد بن يحيى بن خالد         | ١٣٧         | ١٦٣        |
| رد محمد بن يحيى عليه                           | ١٣٨         | ١٦٣        |
| كتاب جعفر بن يحيى إلى أحد عماله                | ١٣٩         | ١٦٤        |
| » حميد بن مهران إلى عامل معزول                 | ١٤٠         | ١٦٤        |
| تحميد لأنس بن أبي شيبخ                         | ١٤١         | ١٦٥        |
| كتاب بشر البلوى إلى إبراهيم بن عبد الله الحجبي | ١٤٢         | ١٦٦        |
| » بشر البلوى إلى إبراهيم بن عبد الله الحجبي    | ١٤٣         | ١٦٨        |
| » بشر البلوى إلى إبراهيم بن عبد الله الحجبي    | ١٤٤         | ١٧٣        |
| كتابه إلى يحيى بن خالد البرمكي                 | ١٤٥         | ١٧٤        |
| » إلى يحيى بن خالد البرمكي                     | ١٤٦         | ١٧٥        |
| » إلى بشار بن رضابة                            | ١٤٧         | ١٧٧        |
| كتاب مطرف بن أبي مطرف إلى أحد إخوانه           | ١٤٨         | ١٧٨        |
| » آخر له                                       | ١٤٩         | ١٨٠        |
| » آخر له                                       | ١٥٠         | ١٨٢        |

| الرسالة  | رقم الرسالة | رقم الصفحة |
|--|-------------|------------|
| كتاب آخر له  | ١٥١         | ١٨٢        |
| » آخر له   | ١٥٢         | ١٨٣        |
| » آخر له   | ١٥٣         | ١٨٤        |
| » آخر له   | ١٥٤         | ١٨٤        |
| » آخر له   | ١٥٥         | ١٨٥        |
| » آخر له   | ١٥٦         | ١٨٧        |
| » آخر له   | ١٥٧         | ١٨٨        |
| » يحيى بن خالد إلى ابنه جعفر   | ١٥٨         | ١٩٠        |
| » يحيى بن خالد إلى أيوب بن هرون بن سليمان                              | ١٥٩         | ١٩١        |
| » يحيى بن خالد إلى الرشيد  | ١٦٠         | ١٩١        |
| بين يحيى بن خالد والرشيد   | ١٦١         | ١٩١        |
| عهد الأمين على نفسه للرشيد   | ١٦٢         | ١٩٤        |
| صورة أخرى  | ١٦٣         | ١٩٩        |
| عهد المأمون على نفسه للرشيد  | ١٦٤         | ٢٠٣        |
| كتاب الرشيد إلى عماله  | ١٦٥         | ٢٠٦        |
| رسالة يحيى بن زياد الحارثي في تقرير الرشيد                             | ١٦٦         | ٢٠٩        |
| رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيد إلى قسطنطين ملك الروم | ١٦٧         | ٢١٧        |
| كتاب نقفور ملك الروم إلى الرشيد  | ١٦٨         | ٢٧٤        |
| رد الرشيد عليه   | ١٦٩         | ٢٧٥        |
| رواية أخرى   | ١٧٠         | ٢٧٥        |
| كتاب الرشيد إلى علي بن عيسى بن ماهان                                   | ١٧١         | ٢٧٦        |
| عهد الرشيد لهرثمة بن أعين وقد ولاه خراسان                              | ١٧٢         | ٢٧٧        |
| كتاب هرثمة بن أعين إلى الرشيد  | ١٧٣         | ٢٧٩        |
| رد الرشيد عليه   | ١٧٤         | ٢٨٣        |
| كتاب هرثمة بن أعين   | ١٧٥         | ٢٨٥        |
| » لقمامة بن زيد في السلامة إلى الخليفة                                 | ١٧٦         | ٢٨٥        |
| » آخر  | ١٧٧         | ٢٨٥        |

| الرسالة                                  | رقم الرسالة | رقم الصفحة |
|--|-------------|------------|
| كتاب إسحاق بن الخطاب إلى الهزبر بن صبيح  | ١٧٨         | ٢٨٦        |
| » إسحاق بن الخطاب إلى زيد بن الفرغ       | ١٧٩         | ٢٨٧        |
| » للهزبر في التنصل                       | ١٨٠         | ٢٨٨        |
| » محمد بن كثير إلى الرشيد                | ١٨١         | ٢٨٩        |
| » أبي هرون العبدى إلى زبيدة بنت جعفر     | ١٨٢         | ٢٨٩        |
| » الأمين إلى أخيه المأمون                | ١٨٣         | ٢٨٩        |
| » الأمين إلى أخيه صالح                   | ١٨٤         | ٢٩١        |
| » عيسى بن واضح إلى الفضل بن الربيع       | ١٨٥         | ٢٩٤        |
| » موسى بن عيسى إلى الأمين                | ١٨٦         | ٢٩٤        |
| » المأمون إلى الأمين                     | ١٨٧         | ٢٩٥        |
| رد الأمين على المأمون                    | ١٨٨         | ٢٩٧        |
| رد المأمون على الأمين                    | ١٨٩         | ٢٩٨        |
| رد الأمين على المأمون                    | ١٩٠         | ٢٩٨        |
| كتاب المأمون إلى الأمين                  | ١٩١         | ٢٩٩        |
| رد أحد أعيان أهل العسكر                  | ١٩٢         | ٣٠٠        |
| كتاب رسول المأمون إليه                   | ١٩٣         | ٣٠٠        |
| رد الأمين على المأمون                    | ١٩٤         | ٣٠١        |
| كتاب المأمون إلى أعيان أهل العسكر ببغداد | ١٩٥         | ٣٠١        |
| » المأمون إلى علي بن عيسى بن ماهان       | ١٩٦         | ٣٠٢        |
| » المأمون إلى الأمين                     | ١٩٧         | ٣٠٥        |
| » الأمين إلى المأمون                     | ١٩٨         | ٣٠٥        |
| رد المأمون على الأمين                    | ١٩٩         | ٣٠٦        |
| كتاب طاهر بن الحسين إلى المأمون          | ٢٠٠         | ٣٠٧        |
| » الأمين إلى طاهر بن الحسين              | ٢٠١         | ٣٠٧        |
| » طاهر بن الحسين إلى المأمون             | ٢٠٢         | ٣٠٨        |
| » طاهر بن الحسين إلى أبي عيسى بن الرشيد  | ٢٠٣         | ٣١٢        |
| » السيدة زبيدة إلى المأمون               | ٢٠٤         | ٣١٣        |



| الرسالة   | رقم الرسالة | رقم الصفحة |
|---|-------------|------------|
| كتاب السيدة زبيدة إلى المأمون                     | ٢٠٥         | ٣١٤        |
| رد المأمون عليها                                  | ٢٠٦         | ٣١٥        |
| كتاب أحمد بن يوسف في قتل الأمين                   | ٢٠٧         | ٣١٦        |
| رسالة الحميس لأحمد بن يوسف                        | ٢٠٨         | ٣١٧        |
| تحميد لأحمد بن يوسف إلى الولاة عن الخليفة         | ٢٠٩         | ٣٣٤        |
| تحميد لأحمد بن يوسف                               | ٢١٠         | ٣٣٤        |
| تحميد لأحمد بن يوسف في فتح السند                  | ٢١١         | ٣٣٥        |
| تحميد لكتاب خزيمة بن خازم في فتح الصنارية         | ٢١٢         | ٣٣٥        |
| كتاب للفضل بن سهل                                 | ٢١٣         | ٣٣٦        |
| » إبراهيم بن إسماعيل بن داود إلى ذى الرياستين     | ٢١٤         | ٣٣٦        |
| » إبراهيم بن إسماعيل بن داود إلى علي بن الهيثم    | ٢١٥         | ٣٣٧        |
| رد ابن الهيثم عليه                                | ١٥٦         | ٣٣٨        |
| كتاب الحسن بن سهل إلى أخيه الفضل                  | ٢١٧         | ٣٣٩        |
| » الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن                     | ٢١٨         | ٣٣٩        |
| عهد المأمون لعلي بن موسى الرضى                    | ٢١٩         | ٣٤٠        |
| صدر رسالة لإبراهيم بن المهدي في الحميس            | ٢٢٠         | ٣٤٤        |
| رسالة الشكر لأحمد بن يوسف                         | ٢٢١         | ٣٤٥        |
| كتاب المأمون إلى الحسن بن سهل يعزیه بأخيه         | ٢٢٢         | ٣٥٦        |
| » المأمون إليه يعزیه بأبيه                        | ٢٢٣         | ٣٥٧        |
| » المأمون إليه                                    | ٢٢٤         | ٣٥٧        |
| » الحسن بن سهل إلى المأمون                        | ٢٢٥         | ٣٥٨        |
| » الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضى           | ٢٢٦         | ٣٥٩        |
| رد ابن سماعة عليه                                 | ٢٢٧         | ٣٦٠        |
| كتاب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب                | ٢٢٨         | ٣٦٠        |
| رد الحسن بن وهب عليه                              | ٢٢٩         | ٣٦١        |
| كتاب المطالب بن عبد الله بن مالك إلى الحسن بن سهل | ٢٣٠         | ٣٦١        |
| رد الحسن بن سهل عليه                              | ٢٣١         | ٣٦٢        |

| الرسالة                              | رقم<br>الرسالة | رقم<br>الصفحة |
|--------------------------------------|----------------|---------------|
| فصول للحسن بن سهل                    | ٢٣٢            | ٣٦٢           |
| كتاب الفضل بن الربيع إلى المأمون     | ٢٣٣            | ٣٦٣           |
| » أحمد بن يوسف إلى المأمون           | ٢٣٤            | ٣٦٣           |
| كتابه إلى المأمون                    | ٢٣٥            | ٣٦٤           |
| كتابه إلى إبراهيم بن المهدي          | ٢٣٦            | ٣٦٦           |
| كتاب له عن المأمون                   | ٢٣٧            | ٣٦٦           |
| كتابه إلى بعض إخوانه بهنته بمولود له | ٢٣٨            | ٣٦٧           |
| كتاب آخر                             | ٢٣٩            | ٣٦٧           |
| » آخر                                | ٢٤٠            | ٣٦٨           |
| » آخر                                | ٢٤١            | ٣٦٨           |
| كتابه في تهنته بإفراق من مرض         | ٢٤٢            | ٣٦٩           |
| كتاب له                              | ٢٤٣            | ٣٦٩           |
| كتابه إلى بعض أخلائه                 | ٢٤٤            | ٣٦٩           |
| كتاب له                              | ٢٤٥            | ٣٧٠           |
| ومن كلامه                            | ٢٤٦            | ٣٧١           |
| ومن كلامه                            | ٢٤٧            | ٣٧٢           |
| ومن كلامه                            | ٢٤٨            | ٣٧٢           |
| كتاب له في الاعتذار                  | ٢٤٩            | ٣٧٢           |
| ومن كلامه                            | ٢٥٠            | ٣٧٣           |
| كتابه إلى بني سعيد بن مسلم           | ٢٥١            | ٣٧٣           |
| كتاب له                              | ٢٥٢            | ٣٧٤           |
| كتاب له في العدل والإنصاف            | ٢٥٣            | ٣٧٥           |
| كتابه في إنصاف قوم تظلموا            | ٢٥٤            | ٣٧٥           |
| كتاب له في السلامة                   | ٢٥٥            | ٣٧٦           |
| وله صدر في السلامة                   | ٢٥٦            | ٣٧٦           |
| فصل له في السلامة                    | ٢٥٧            | ٣٧٧           |
| فصل له في الشكر                      | ٢٥٨            | ٣٧٧           |

| الرسالة                            | رقم الرسالة | رقم الصفحة |
|------------------------------------|-------------|------------|
| فصل له في الشكر                    | ٢٥٩         | ٣٧٧        |
| كتاب له في الشكر                   | ٢٦٠         | ٣٧٧        |
| » له في الاعتذار                   | ٢٦١         | ٣٧٨        |
| » آخر                              | ٢٦٢         | ٣٧٨        |
| » آخر                              | ٢٦٣         | ٣٧٩        |
| » آخر                              | ٢٦٤         | ٣٧٩        |
| » له في حاجة                       | ٢٦٥         | ٣٧٩        |
| » له في الشوق                      | ٢٦٦         | ٣٨٠        |
| فصل له في الإخاء                   | ٢٦٧         | ٣٨١        |
| كتاب له في العتاب                  | ٢٦٨         | ٣٨١        |
| » له في الذم                       | ٢٦٩         | ٣٨١        |
| » له في الذم                       | ٢٧٠         | ٣٨٢        |
| » إلى أحمد بن يوسف من صديق له      | ٢٧١         | ٣٨٢        |
| » القاسم بن يوسف إلى صديق له       | ٢٧٢         | ٣٨٢        |
| » أحد غلمان الديوان إلى آخر منهم   | ٢٧٣         | ٣٨٣        |
| رده عليه                           | ٢٧٤         | ٣٨٤        |
| رسالة سهل بن هرون في البخل         | ٢٧٥         | ٣٨٥        |
| كتاب سهل بن هرون إلى صديق له       | ٢٧٦         | ٣٩٤        |
| كتابه إلى صديق له                  | ٢٧٧         | ٣٩٥        |
| ومن رسالة له يفضل الزجاج على الذهب | ٢٧٨         | ٣٩٥        |
| كتاب الحسن بن سهل إلى سهل بن هرون  | ٢٧٩         | ٣٩٦        |
| كتاب العتابي إلى بعض إخوانه        | ٢٨٠         | ٣٩٧        |
| » آخر له                           | ٢٨١         | ٣٩٧        |
| » آخر له                           | ٢٨٢         | ٣٩٨        |
| كتابه إلى بعض أهل السلطان          | ٢٨٣         | ٣٩٨        |
| كتابه إلى صديق له                  | ٢٨٤         | ٣٩٨        |
| تعزية له                           | ٢٨٥         | ٤٠٠        |

| رقم الصفحة | رقم الرسالة | الرسالة   |
|------------|-------------|---|
| ٤٠٠        | ٢٨٦         | كتاب له   |
| ٤٠٠        | ٢٨٧         | فصول للاعتابي                                   |
| ٤٠١        | ٢٨٨         | كتاب لابن الكلبي                                |
| ٤٠٢        | ٢٨٩         | » آخر   |
| ٤٠٢        | ٢٩٠         | » علي بن عبيدة إلى ابن الكلبي                   |
| ٤٠٢        | ٢٩١         | » عنيسة بن إسحاق إلى المأمون                    |
| ٤٠٣        | ٢٩٢         | رد المأمون عليه                                 |
| ٤٠٣        | ٢٩٣         | كتاب طاهر بن الحسين إلى يحيى بن حماد            |
| ٤٠٥        | ٢٩٤         | » يحيى بن حماد إلى طاهر بن الحسين               |
| ٤٠٦        | ٢٩٥         | عهد طاهر بن الحسين لابنه عبد الله               |
| ٤١٦        | ٢٩٦         | كتاب إلى طاهر بن الحسين من بعض عماله            |
| ٤١٦        | ٢٩٧         | رد طاهر عليه                                    |
| ٤١٦        | ٢٩٨         | كتاب إبراهيم بن المهدي إلى طاهر                 |
| ٤١٧        | ٢٩٩         | » أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر يعزیه بأبيه |
| ٤١٨        | ٣٠٠         | » عبد الله بن طاهر إلى نصر بن شيبث              |
| ٤٢٠        | ٣٠١         | » عبد الله بن طاهر إلى نصر بن شيبث              |
| ٤٢٠        | ٣٠٢         | أمان عبد الله بن طاهر لنصر بن شيبث              |
| ٤٢٢        | ٣٠٣         | كتاب عبد الله بن طاهر إلى عبد الله بن السري     |
| ٤٢٢        | ٣٠٤         | » المأمون إلى عبد الله بن طاهر                  |
| ٤٢٣        | ٣٠٥         | » أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر             |
| ٤٢٤        | ٣٠٦         | » الهزبر بن صبيح إلى عبد الله بن طاهر           |
| ٤٢٥        | ٣٠٧         | » عبد الله بن طاهر إلى الحسن بن عمرو            |
| ٤٢٦        | ٣٠٨         | » عبد الله بن طاهر إلى المأمون                  |
| ٤٢٦        | ٣٠٩         | » المأمون إلى قثم بن جعفر                       |
| ٤٢٧        | ٣١٠         | » أبي العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة        |
| ٤٢٨        | ٣١١         | » عمرو بن مسعدة إلى المأمون                     |
| ٤٢٨        | ٣١٢         | رد المأمون عليه                                 |

| الرسالة                                       | رقم الرسالة | رقم الصفحة |
|---|-------------|------------|
| كتاب عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل           | ٣١٣         | ٤٢٩        |
| كتابه إلى الحسن بن سهل                        | ٣١٤         | ٤٢٩        |
| » إلى المأمون                                 | ٣١٥         | ٤٣٠        |
| » في وصاة                                     | ٣١٦         | ٤٣٠        |
| » إلى بعض أصحابه                              | ٣١٧         | ٤٣١        |
| » إلى المأمون                                 | ٣١٨         | ٤٣١        |
| » إلى بعض الرؤساء                             | ٣١٩         | ٤٣٣        |
| كتاب له                                       | ٣٢٠         | ٤٣٣        |
| كتابه إلى أبي الرازي                          | ٣٢١         | ٤٣٤        |
| كتاب إبراهيم بن العباس إلى عمرو بن مسعدة      | ٣٢٢         | ٤٣٥        |
| » أبي جعفر الكرمانى إلى المأمون               | ٣٢٣         | ٤٣٥        |
| كتابه إلى بنخيشوع                             | ٣٢٤         | ٤٣٦        |
| كتاب العباس بن الحسن إلى جرير بن يزيد         | ٣٢٥         | ٤٣٧        |
| » العباس بن الحسن إلى المأمون                 | ٣٢٦         | ٤٣٨        |
| » لجرير بن زيد البجلي                         | ٣٢٧         | ٤٣٩        |
| » آخر   | ٣٢٨         | ٤٤٠        |
| » آخر   | ٣٢٩         | ٤٤٠        |
| » محمد بن سعيد في السلامة                     | ٣٣٠         | ٤٤١        |
| » إلى المأمون من عامل                         | ٣٣١         | ٤٤٣        |
| » رجل إلى المأمون                             | ٣٣٢         | ٤٤٣        |
| رد المأمون عليه                               | ٣٣٣         | ٤٤٣        |
| كتاب إحدى جوارى المأمون إليه                  | ٣٣٤         | ٤٤٣        |
| الرقعة التي علقت على رأس علي بن هشام بعد قتله | ٣٣٥         | ٤٤٤        |
| كتاب ثوفيل ملك الروم إلى المأمون              | ٣٣٦         | ٤٤٦        |
| رد المأمون عليه                               | ٣٣٧         | ٤٤٨        |
| كتاب عبد الله بن طاهر إلى إسحق بن إبراهيم     | ٣٣٨         | ٤٤٩        |
| رد إسحق بن إبراهيم عليه                       | ٣٣٩         | ٤٥١        |

| الرسالة                        | رقم<br>الرسالة | رقم<br>الصفحة |
|--------------------------------|----------------|---------------|
| كتاب ابن الحرون إلى أحد إخوانه | ٣٤٠            | ٤٥٢           |
| المأمون إلى إسحق بن إبراهيم    | » ٣٤١          | ٤٥٤           |
| المأمون إلى إسحق بن إبراهيم    | » ٣٤٢          | ٤٥٨           |
| المأمون إلى إسحق بن إبراهيم    | » ٣٤٣          | ٤٦١           |
| منصور بن محمد إلى المريسي      | » ٣٤٤          | ٤٦٩           |
| راشد الكاتب إلى ابن الزيات     | » ٣٤٥          | ٤٦٩           |
| رد ابن الزيات عليه             | ٣٤٦            | ٤٧٠           |
| كتاب المأمون إلى عماله         | ٤٤٧            | ٤٧١           |

# فهرس أعلام الكتاب

## مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

أبو نصر الرقاشي ٦٥  
أبو هرون العبدى ٢٨٩  
أحمد بن يوسف ٣١٦، ٣١٧، ٣٣٤، ٣٣٥،  
٣٤٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧،  
٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣،  
٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩،  
٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٤١٧، ٤٢٣

إسحق بن إبراهيم ٤٥١  
إسحق بن الخطاب ٢٨٦، ٢٨٧  
الأمين ١٩٤، ١٩٥، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٧،  
٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١٦  
أنس بن أبي شيخ ١٦٥

### ب

بشر البلوى ١٣٧، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٤،  
١٧٧

### ث

ثوفيل ٤٤٦

### ج

جبل بن يزيد ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١،  
١٢٢، ١٢٣، ١٢٩

### ا

إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمى ١٤٦  
إبراهيم بن إسماعيل بن داود ٣٣٦  
إبراهيم بن سيابة ١٤٨، ١٤٩  
إبراهيم بن العباس ٤٣٥  
إبراهيم بن المهدي ٣٤٤، ٤١٦

ابن الثقفى ٦١

ابن الحرون ٤٥٢

ابن الكلبي ٤٠١، ٤٠٢

أبو جعفر المنصور ١٠، ١١، ١٣، ١٨،  
٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩،  
٣٠، ٧١، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٨٧، ٨٨، ٩٦،  
٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٢٥، ١٢٨

أبو داود ٣٠

أبو العباس بن جرير ١٧٥

أبو العباس السفاح ٩، ١٣، ١٤، ١٨

أبو عبيد الله ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥،  
١٤٦

أبو العتاهية ٤٢٧

أبو مسلم الخراساني ١٣، ٢٠، ٢٣، ٢٦،  
٢٧، ٢٨

ع

العباس بن الحسن ۴۳۷، ۴۳۸

عبد الله بن الحسن ۷۵

عبد الله بن صالح ۲۲

عبد الله بن طاهر ۴۱۸، ۴۲۱، ۴۲۲،

۴۴۹، ۴۲۵

عبد الله بن علي ۱۹، ۲۱

عبد الله بن المقفع ۲۴، ۳۰، ۳۰، ۴۸، ۵۳، ۵۴،

۵۵، ۵۶، ۵۷، ۵۸، ۵۹، ۶۰، ۶۱، ۶۳

عبد الله العمري ۹۸

العتابي ۳۹۷، ۳۹۸، ۴۰۰

علي بن عبيدة ۴۰۲

علي بن الهيثم ۳۱۶

عمارة بن حمزة ۱۹، ۱۱۲، ۱۱۷

عمر بن مهران ۱۸۵

عمرو بن مسعدة ۴۲۸، ۴۳۰، ۴۳۱، ۴۳۲،

۴۳۳، ۴۳۴، ۴۳۵

عنبسة بن إسحق ۴۰۲

عيسى بن موسى ۹۲، ۹۵، ۹۶، ۱۰۴

عيسى بن واضح ۲۹۴

غ

غسان بن عبد الحميد ۱۰۱، ۱۰۷، ۱۰۸،

۱۰۹، ۱۱۰، ۱۳۰، ۱۳۱

ف

الفضل بن الربيع ۲۶۳

الفضل بن سهل ۳۲۶، ۳۳۹

الفضل بن يحيى ۱۵۵، ۱۵۸

جرير بن يزيد ۴۳۹، ۴۴۰

جعفر بن محمد بن الأشعث ۱۵۰

جعفر بن يحيى البرمكي ۱۶۴

ح

الحسن بن سهل ۳۳۹، ۳۵۸، ۳۵۹، ۳۶۰،

۳۶۲، ۳۹۶

الحسن بن وهب ۳۶۱

حماد عجرد ۷۰

حميد بن مهران ۱۶۴

ر

راشد الكاتب ۴۶۹

ز

السيدة زبيدة ۳۱۳، ۳۱۴

س

سلم بن قتيبة ۲۶

سليمان بن علي ۱۵

سهل بن هرون ۳۸۵، ۳۹۴، ۳۹۵

ش

شبيب بن شيبه ۱۴۶

ص

صالح بن علي ۱۴، ۲۲، ۲۳

ط

طاهر بن الحسين ۳۰۷، ۳۱۲، ۴۰۶، ۴۱۶،

۴۱۸، ۴۲۰



محمد بن یحییٰ ۱۶۳  
 مطرف بن أبی مطرف ۱۷۸، ۱۸۰، ۱۸۲،  
 ۱۸۳، ۱۸۴، ۱۸۵، ۱۸۸  
 المطلب بن عبد الله بن مالک ۳۶۱  
 موسى بن عیسیٰ ۲۹۴  
 منصور بن محمد ۴۶۹  
 منصور الفری ۱۶۱  
 المهدي ۱۳۲، ۱۳۴، ۱۴۱  
 ن  
 نقفور ۲۷۴  
 هـ  
 هرثمة بن أعین ۲۷۹، ۲۸۵  
 هرون الرشید ۲۰۶، ۲۷۵، ۲۷۶، ۲۷۷،  
 ۲۸۳  
 الهزبر بن صبیح ۲۸۱، ۴۲۴  
 ی  
 یحییٰ بن حماد ۴۰۵  
 یحییٰ بن خالد البرمکی ۱۵۱، ۱۵۵، ۱۹۰،  
 ۱۹۱  
 یحییٰ بن زیاد ۶۳، ۶۷، ۲۰۹  
 یوسف بن القاسم ۱۶، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۳،  
 ۱۵۴

ق  
 القاسم بن یوسف ۳۸۲  
 قامة بن زید ۲۸۵  
 ک  
 الکرمانی ۴۳۵  
 م  
 المأمون ۲۰۳، ۲۸۹، ۲۹۸، ۳۰۱، ۳۰۲،  
 ۳۰۵، ۳۰۶، ۳۱۵، ۳۴۰، ۳۵۶، ۴۰۳،  
 ۴۲۲، ۴۲۶، ۴۲۸، ۴۴۲، ۴۴۸، ۴۵۴،  
 ۴۵۸، ۴۶۱، ۴۷۱  
 محمد بن حجر ۱۴۷  
 محمد بن زیاد الحارثی ۷۱، ۷۲، ۷۳، ۷۴،  
 ۱۵۳  
 محمد بن سعید ۴۴۱  
 محمد بن سماعة ۳۶۰  
 محمد بن عبد الله بن الحسن (النفیس الزکیة)  
 ۷۹  
 محمد بن عبد الله بن حرب ۱۶۱  
 محمد بن عبد الملك الزیات ۴۷۰  
 محمد بن علی ۱۶۳  
 محمد بن الليث ۱۵۹، ۱۶۰، ۲۱۷،  
 محمد بن کثیر ۲۸۹

## فہرس

بعض ماورد في الهامش من الفوائد التي قد يحتاج القارى إلى مراجعتها

| رقم<br>الصحيفة            | رقم<br>الصحيفة             |
|---------------------------|----------------------------|
| ٢٩٣ الديوان               | ٢٦ ولد رشدة وولد زنية      |
| ٢٩٤ البريد                | ٣٠ قتل أبي مسلم الخراسانى  |
| ٢٩٦ ذو الرياستين          | ٦٣ ذو بعد وبعده            |
| ٣١١ الأربعاء              | ٧٦ عذيرك من خليلك من مراد  |
| ٣١٧ رسالة الخميس          | ٨٣ التسرى بالسبايا         |
| ٣٤٥ قتل الفضل بن سهل      | ٨٦ عام الرمادة             |
| ٣٥٩ القارح                | ٩٠ أمور الله جارية أذلالها |
| ٣٦٤ النيروز               | ٩٨ الحمراء                 |
| ٣٨٥ بخل سهل بن هرون       | ١٣٤ زياد                   |
| ٣٨٨ الطلحات               | ١٤٠ ألبنة                  |
| ٣٩٥ الأحمران              | ١٤٠ طلاق الحرج             |
| ٤٠٣ ذو اليمينين           | ١٦٦ الأبناء                |
| ٤٢٣ ليهنك الولد           | ١٧١ المعذرون               |
| ٤٣٢ جدع الحلال أنف الغيرة | ١٧٣ الداية                 |
| ٤٣٦ بمختيشوع              | ١٧٧ الغدو والرواح          |
| ٤٤٥ الحرمية - بابك الخرمى | ١٩٠ لاشوى لها              |
| ٤٤٨ الحنيفية              | ١٩٢ الحدّثان والحدّثان     |
| ٤٥٤ فتنة خلق القرآن       | ٢٢٣ وَسَطٌ ووسط            |
| ٤٦٢ فتنة خلق القرآن       | ٢٤٤ الحرب بينهم سجال       |
|                           | ٢٦٨ يوشع وحبس الشمس        |

